

كتاب

الأمم والامم

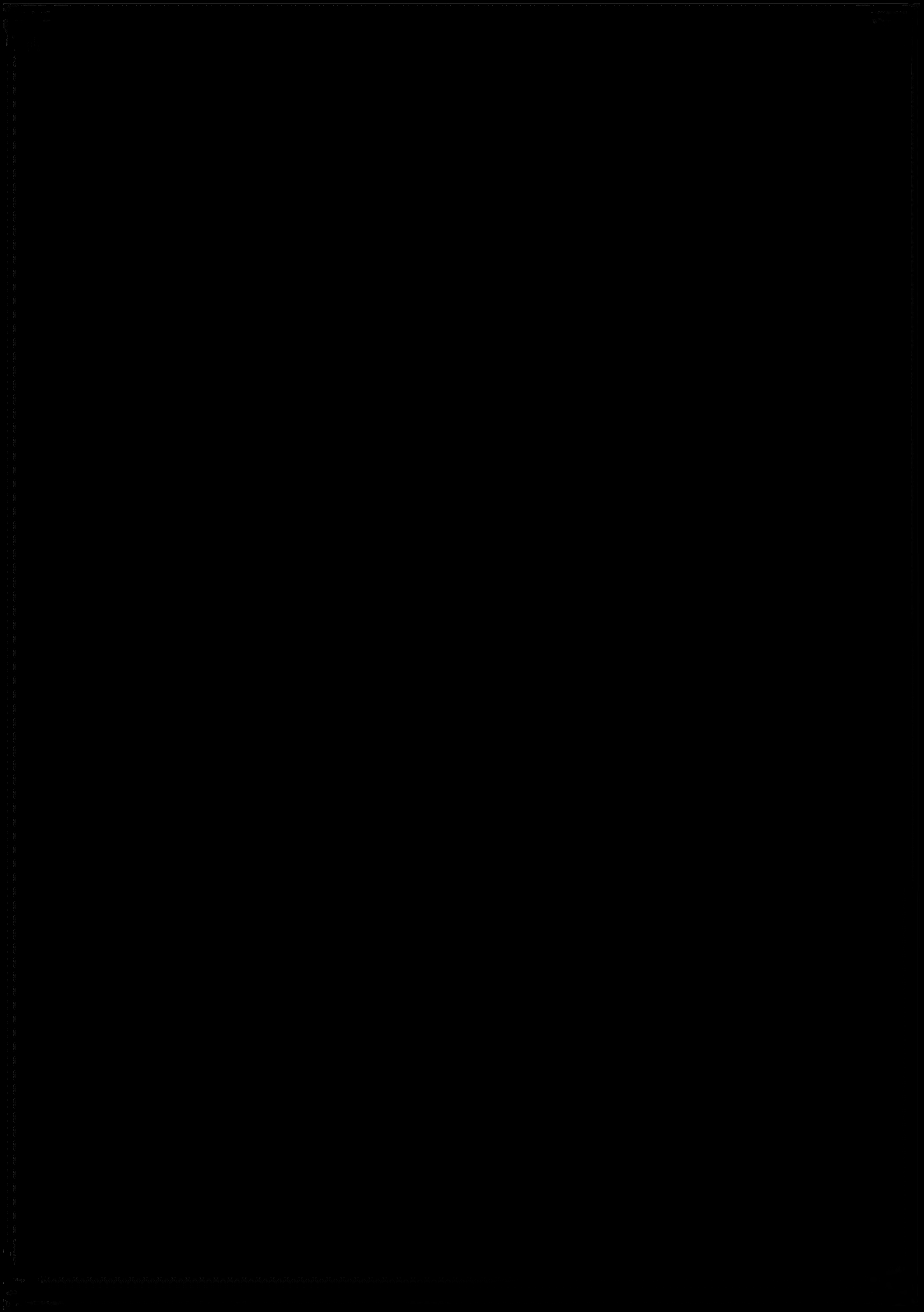
تأليف  
أبي حنيفة النعمان

١٠١

مكتبة


















# كتاب الامتاع والموانسة

تأليف  
أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى  
حاضر بها الوزير ابا عبد الله العارض في نحو اربعين ليلة

## للمجلد الأول

صححه وضبطه وشرح عربيه  
أحمد أمين و أحمد الزين

 دار مكتبة الحياة  
للطباعة والنشر والتوزيع



## مقدمة الناشر

ان من غايات مكتبة الحياة للطباعة والنشر ان تبقى مجلية في كل مضمار يرتبط بالكتاب ، منها اختلف نوعه ومنتجاءه ، شرط ان يكون ذا قيمة انسانية يسهم في البناء الثقافي العربي المعاصر ، وقد الف القراء مفاجآت هذه المؤسسة النشيطة بكتب التراث العربي الضخمة أمثال «الاغاني» لابي الفرج الاصبهاني و«محاضرات الادباء» لابي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و«مجمع الامثال» للميداني و«عيون الانباء في طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة واخيراً الموسوعة التاريخية الادبية الضخمة «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد . كما نشرت «معجم متن اللغة» للشيخ احمد رضا في خمسة مجلدات . مع عشرات الكتب الماثلة في الادب والفكر ، التاريخ ، يقابلها ثروة من الترجمات العالمية لمفكرين أمثال : اشبنغلر ووايتهد وبرتراند راسل وجان بول سارتر وكامو وجون ديوي وكثيرين غيرهم في حقول مختلفة من اقتصاد وعلم وسياسة وفلسفة وفن الخ.. وغاياتها من هذا النشاط الرصين هي اغناء المكتبة العربية وتهيئة الجوار فيها للكتب العالمية ، الآمنة الجوار .

وهي اذ تقدم كتاب «الامتناع والموانسة» في حلته هذه فانما تعتبره حلقة من سلسلة في موضوعه تواصل بها رسالتها أمام تراث الحضارة العربية ولخدمة ثقافة العرب المعاصرة .



# مقدمة

## كتاب الامتاع والموانسة

بقلم : احمد أمين

أبو حيان التوحيدى من أولئك العلماء الأدباء ، الذين أصيبوا فى حياتهم بالبؤس والشقاء ، وظل حياته يجاهد ويكافح فى التأليف واحتراف الوراق والنسخ وجوب الأقطار ، يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبه ، فلم يحظ من كل ذلك بطائل ، وعاش كما يقول فى بعض كتبه على نحو أربعين درهما فى الشهر أى ما يساوى جنيهاً واحداً — مع أنه كما يقول — رأى كل من حوله من العلماء والشعراء يحظون من الأمراء بالمال الكثير والحظ الوافر ، وليس أكثرهم يدانيه علماً أو يجاريه أدبا . قصد ابن العميد وابن عباد وابن شاهويه وابن سعدان وأبا الوفاء المهندس وغيرهم ، ومدح وأطرى ، وبكى واشتكى ، وهدد وأوعد ، فما نفعه مدحه ولا ذمه ، ولا إطراؤه ولا هجاؤه ، فإن استفاد شئ مما عاناه أبو حيان فإنما هو الأدب بما كتب وألف ، وبما حجا واستعطف .

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه فى حياته ، فقد عجب ياقوت من أن مؤرخى الرجال لم يترجموا له ، مع أنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، ولم نعثر فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته إلا نتفاً قصيرة وأخباراً ضئيلة .

وأراد هو أن ينتقم من الناس الذين كفروا بصنيعه ، وجحدوا علمه وأدبه ، فأحرق فى آخر أيامه كتبه ، وقال : « إني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة



منهم ، ولعقد الرياضة بينهم ، وللد الجاه عندهم ، فخرمتُ ذلك كله... ولقد اضطررت بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والروءة ، وإلى تماطى الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم .

قال السيوطى : « ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته وخرجت من قبل حرقها . »

وكان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التى ألفها — وتبلغ نحو العشرين — إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابسات والصدّاقة والصديق ، ورسالة فى العلوم ، وما بقى منها مخطوطاً ، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيّف إلى حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها .

ولعل أقوم كتبه وأنعمها وأتممها كتابه الذى نحن بصددده وهو « كتاب الإمتاع والمؤانسة » .

فهو كتاب ضخم يقع فى ثلاثة أجزاء أخذنا أنفسنا بنشره لتعميم نفعه . ولتأليف أبى حيان لهذا الكتاب قصة ممتعة ، ذلك أن أبى الوفاء المهندس كان صديقاً لأبى حيان وللوزير أبى عبد الله العارض ، فقترب أبى الوفاء أبى حيان من الوزير ، ووصله به ، ومدحه عنده ، حتى جعل الوزير أبى حيان من مُتمّاره ؛ فسأمره سبعا وثلاثين ليلة كان يحادثه فيها ، ويطرح الوزير عليه أسئلة فى مسائل مختلفة فيجيب عنها أبى حيان .

ثم طلب أبى الوفاء من أبى حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديث ، وذكره بنعمته عليه فى وصله بالوزير ، مع أنه « أى أبى حيان »



ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبح هيئته وسوء عاداته وقلة مراعاته وحقارة لبسته ،  
وهده إن هو لم يفعل أن يغض عنه ، ويستوحش منه ، ويوقع به عقوبته ،  
وينزل الأذى به .

فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ، ونزل على حكمه ، وفضل أن يدون ذلك  
في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومر ،  
فوافق أبو الوفاء على ذلك ، ونصحه أن يتوخى الحق في تضاعيفه وأثنائه ،  
والصدق في إirاده ، وأن يطنب فيما يستوجب الإطناب ، ويصرح في  
موضع التصريح .

« فكان من ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة »

من هو الوزير أبو عبد الله العارض الذي سامره أبو حيان ؟  
لقد بحثت عنه في مظانه فلم أوفق إلى العثور عليه ، وقبل ذلك عني المرحوم  
أحمد زكي باشا بالبحث والسؤال عنه من بعض علماء الشرق والغرب فكان  
حظه حظي .

وأخيراً رجحت أنه هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان  
وزير مصمّام الدولة البويهى ، وقد ورد اسمه هكذا في كل ما راجعت من  
كتب التاريخ أمثال : (تجارب الأمم) وذيله (وابن الأثير) ، ولم يلقبه أحد منهم  
(بالعارض) ؛ وكلمة (العارض) كما في كتاب (الأنساب للسمعاني) معناها : « من  
يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ، ويوصلها إليهم ويعرضهم على الملك إذا احتيج  
إلى ذلك » فالظاهر أن الوزير أبا عبد الله لقب هذا اللقب إما لأنه تولى هذا  
العمل قبل أن يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته ؛ ودليلي على ذلك أمور :  
(١) أنه ورد في صدر هذا الكتاب أن أبا الوفاء ذكر لأبي حيان :



أنك لما انكفأت من الرّى إلى بغداد في آخر سنة ٣٧٠ مغيظاً من ابن عباد ، وعدتك صلاح حالك ، وأن أوصلك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض ، ثم جاء وصف أبي عبد الله هذا بالوزير .

ونحن إذا رجعنا إلى من استوزر فيما بين سنة ٣٧٠ وسنة ٣٧٥ لم نجد وزيراً يكنى بأبي عبد الله إلا الوزير أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، فقد استوزره مصمصام الدولة سنة ٣٧٣ وقتله سنة ٣٧٥ .

(٢) جاء في أثناء كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أن أبا حيان قص على الوزير أنه سمع رجلاً على جسر بغداد يقول وقد رأى ابن بقية الوزير المشهور مصلوياً بعد أن مات عضد الدولة : « سبحان الله ! عضد الدولة تحت الأرض وابن بقية فوق الأرض » ، فلما سمع الوزير ذلك قال : استأذنت الملك في دفن ابن بقية فدفن .

وقد ذكر المؤرخون أن ابن بقية دفن في عهد مصمصام الدولة ؛ ولم يكن لمصمصام الدولة وزير يكنى بأبي عبد الله غير ابن سعدان .

(٣) ومما يستأنس به أن أبا حيان كان متصلاً بالوزير ابن سعدان وألف له كتاب « الصداقة والصديق » وقد ذكر في أوائله « أن السبب كان في إنشاء هذه الرسالة أني ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاعه أبي الخير ، فتماء إلى ابن سعدان سنة إحدى [ وسبعمين ] وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة وتدييره أمر الوزارة حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على أذلالها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قد قال لي زيد عنك كذا وكذا . قلت : قد كان ذلك . قال : فدوّن هذا الكلام وصله بصلاته . . . . . فجمعت ما في هذه الرسالة » .



فاتصال أبي حيان بابن سعدان وتأليفه له كتاب « الصداقة والصديق » يرجح الظن بأنه هو أبو عبد الله العارض .

نم كان من رجال صمصام الدولة من اسمه أبو الحسن بن عمارة العارض استخدمه صمصام الدولة في السفارة بينه وبين أعدائه أحياناً ، ولكن يبدو أن يكون هو الذي ألف له كتاب الإمتاع والمؤانسة — لأن كنيته أبو الحسن والذي ألف له الكتاب أبو عبد الله — ولأن أبا الحسن لم يكن وزيراً لصمصام الدولة . وفي الكتاب النص في مواضع متعددة على أنه ألفه لوزير .

(٤) ذكر في كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أصدقاء أبي عبد الله العارض وعدد منهم ابن زرعة وأبا الوفاء المهندس ومسكويه والأهوازي وبهرام وابن شاهويه ، وأنهم كانوا يلزمونهم وأنهم أهل مجلسه ، وعدد في كتاب الصداقة والصديق أصدقاء ابن سعدان فإذا هم هم<sup>(١)</sup> ؛ فاتحاد الأصدقاء وتوافقهم واجتماعهم في مجلس وزير يرجح الظن جداً بأن ابن العارض هو ابن سعدان .

(٥) جاء في « كتاب الإمتاع والمؤانسة » أن الوزير سأل أبا حيان عما يقول الناس فيه . فقال له : « سمعت بباب الطاق قوما يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشط ، فلما نزل الوزير ليركب الزبزب صاحوا وخبجوا وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام وتعذر الكسب وغلبة الفقر ، وأنه أجابهم بجواب مُرّة مع قطوب الوجه وإظهار التبرم » .

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على ما ذكره أبو شجاع في كتابه « ذيل تجارب الأمم » عن حادثة جرت لابن سعدان .

\*\*\*



وابن سعدان هذا استوزره صمصام الدولة البويهى سنة ٣٧٣ لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة . جاء فى كتاب « ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع : « وفيها [ أى فى سنة ٣٧٣ ] خلّع على أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة — وكان رجلاً باذلاً لعطائه ، مانعاً للقيانه ، فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين نزوله من درجة داره إلى زبزه<sup>(١)</sup> ؛ ومع ذلك فلا يخيّب طالب إحسان منه فى أكثر مطلبه .... فبسط يده فى الإطلاقات والصلوات .... وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتّاب والخواشى من أموالهم وأرزاقهم .... وانضاف إلى ضيق خلقه ما اتفق فى وقت نظره من غلاء سعر ، فتطيرت العامة ورجحوا زبزه ، وشغبوا الديلم عليه ، وهجموا على نهب داره ، وابتهدت الحال إلى ركوب صمصام الدولة إلى مجتمعتهم حتى تلافاهم وردّهم<sup>(٢)</sup> . »

وقد ظل ابن سعدان فى الوزارة إلى سنة ٣٧٥ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به .

وحدث أن ابن سعدان أراد أن يعيّن أباه كاتباً لوالة صمصام الدولة لما مات كاتبها ، فقال أبو القاسم لصمصام الدولة : « إن ابن سعدان قد استولى على أمورك ، وملك عليك خزائنك وأموالك ، فإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه<sup>(٣)</sup> . » وتمت المكيدة ولم يعيّن أبوه . ثم قبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن ، واستوزر صمصام الدولة هذا الواشى

(١) الزبزب : ضرب من السفن .

(٢) ص ٨٥ .

(٣) ص ١٠٣ .



أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ولم يكتب أبو القاسم بمحبس ابن سعدان فاتتهز فرصة خروج تائر على صمصام الدولة اسمه « أسفار بن كردويه » يريد خلعه ، فـدس أبو القاسم إلى صمصام الدولة أن ابن سعدان متصل بهذا التائر وأن الذى جرى كان من فعله وتدييره ، وأنه لا يُؤمن ما يتجدد منه فى محبسه ، فأمر صمصام الدولة بقتله ، فقتل سنة ٣٧٥

وكان لابن سعدان ناحية أخرى علمية أدبية يصورها أبو حيان فى كتبه ، فهو واسع الاطلاع ، له مشاركة جيدة فى كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق ، يدل على ذلك حوار الذى يحكيه أبو حيان فى كتابه الإمتاع والمؤانسة والمقابسات ، فهو يسأل أسئلة عميقة ، وينقد الإجابة عنها تقدماً قياً .

وفوق ذلك كان له فى وزارته منتدى يجمع كثيراً من جلة العلماء والأدباء منهم ابن زرة الفيلسوف النهرانى ، وابن مسكويه صاحب (تهذيب الأخلاق) (وتجارب الأمم) ، وأبو الوفاء المهندس الذى سنتحدث عنه ، وأبو سعد بهرام بن أردشير ، ومن الشعراء ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور ، ومن الكتّاب أبو عبيد الخطيب الكاتب ، وأبو حيان صاحبنا .

وكان له مجلس شراب يجلس إليه بعض هؤلاء فيتفكهون ويتنادرون ويذهبون فى فنون الحديث كل مذهب ، ومجلس جد يتحاورون فيه ويتناقشون فى الفلسفة والأخلاق والأدب .

وكان يباهى بمجلسه ويفخر به على مجالس الأصراء المعاصرين له ، مثل المهلبى وابن العميد والصاحب بن عباد . فيقول فى أصحابه هؤلاء : « ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، ... وأن جميع ندماء المهلبى لا يفون بواحد من



هؤلاء ، وأن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم ، وأن ابن عباد ليس عنده إلا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون<sup>(١)</sup> . فلا عجب — إذن — أن يكون من نتاج ابن سعدان الوزير العالم هذا الكتاب الذى نحن بصددده ؛ كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

\*\*\*

وأما أبو الوفاء الذى وصل أبا حيان بابن سعدان والذى ألف أبو حيان له كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ودون له فيه كل ما دار بينه وبين الوزير فى سبع وثلاثين ليلة ، فهو محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني . ترجم له ابن النديم فى (الفهرست) وابن خلكان فى (وفيات الأعيان) ؛ وقال فيه هذا الأخير : « إنه أحد الأئمة المشاهير فى علم الهندسة ، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها ، وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس — وهو القيم بهذا الفن — يبالغ فى وصف كتبه ، ويعتمد عليها فى أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تأليفه عدة كتب .... وكانت ولادته سنة ٣٢٨ بمدينة بوزجان ، وقدم العراق سنة ٣٤٨ ، وتوفى سنة ٣٧٦ » . وقد ذكر ابن خلكان أنه نقل تاريخ الوفاة هذا من شيخه ابن الأثير . ولكن الذى فى ابن الأثير أنه عدّ وفاته فى حوادث سنة ٣٨٧ ، فإما أن ابن خلكان أخطأ فى النقل أو أن الناسخ أخطأ فى الكتابة .

وكان أبو الوفاء هذا من ندماء ابن سعدان كما تقدم ، وقد وصفه ابن سعدان فى جملة ما وصف من أصحابه . فقال : « وأما أبو الوفاء فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة للطرية والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشهية ، إلا أن لفظه خراسانى ، وإشارته ناقصة ، هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد ، والبغدادى



إذا تخرسن كان أعلى وأظرف من الخراساني إذا تبغدد<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

إلى هنا رأينا أن الكتاب ألف لأبي الوفاء المهندس ، نقل فيه أبو حيان ما دار بينه وبين ابن سمدان . ولكن القفطي في كتابه « أخبار الحكماء » عند ترجمته لأبي سليمان المنطقي أورد كلاماً يناقض ما نقول ، سواء في ذلك من ألف له الكتاب ، ومن دار الحديث بينه وبين أبي حيان .

فقد ذكر : « أن أبا سليمان كان أعور ، وكان به وضح ، وكان ذلك سبب انقطاعه عن الناس ولزومه منزله ، فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم ، وكان يشتهي الاطلاع على أخبار الدولة وعلم ما يحدث فيها . . . . . وكان أبو حيان التوحيدى من بعض أصحابه المعتصمين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الأخبار ، ومهما علمه من ذلك نقله إليه وحاضره به ، ولأجله صنف كتاب « الإمتاع والمؤانسة » نقل له فيه ما كان يدور في مجلس أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازى عند ما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة<sup>(٢)</sup> » . وأنا أرجح خطأ القفطي في الوجهين معاً .

فأما في الأول : فإن النسخة التي بيدي تذكر أنه ألفه لأبي الوفاء المهندس لا لأبي سليمان المنطقي . ويقول في صدر الكتاب : إنه ألفه رداً لجميل أبي الوفاء إذ كان هو الذي أوصله لأبي عبد الله . وعندما يأتي ذكر أبي الوفاء في ثنايا الكتاب ، ويسأل أبو عبد الله أبا حيان عن رأيه فيه يمدحه ويثنى عليه ، ويقول : كيف أذمه وهو الذي أوصلني بك ، وقد سبق أن أثبتنا أن أبا الوفاء كان من ندماء أبي عبد الله .

(١) الصداقة والصديق ٣٢ .

(٢) أخبار الحكماء ص ٧٨٣ .



ودليل آخر ، وهو أن أبا حيان في بعض كلامه في الكتاب يستجدي من ألف له الكتاب ، وقد كان أبو الوفاء المهندس في منزلة تسمح له بذلك ، فإنه رجل جليل القدر يلقبه الوزير بشيخنا . أما أبو سليمان فكان فقيراً كما ذكر ذلك أبو حيان في هذا الكتاب ، وكانت صلة أبي حيان به صلة علمية لا صلة مالية ، فمن البعيد جداً أن يستجديه أبو حيان .

ودليل ثالث : وهو أن الوزير أبا عبد الله سأل أبا حيان في الكتاب عن أبي سليمان هذا ، فذكر له أوصافه ، وفيها ما هو عيب لأبي سليمان كقوله : إنه يجتمع مع قوم للشراب ، ويذكر بعضهم الوزير بالسوء ، فلو كان أبو حيان ألقه لأبي سليمان لكان بعيداً كل البعد أن يذكر هذا الحديث .

ودليل رابع : وهو أن أبا حيان ينقل في كتابه هذا عن أبي سليمان ، ويذكر آراءه ، وينقل بعض رسائله إلى الوزير ، ولو كان يؤلف الكتاب لأبي سليمان لاستغنى عن ذكر ما يعرفه أبو سليمان عن نفسه من أقواله ورسائله ، ولكن أبو حيان في ذلك كمن ينقل إلى البئر ماءه ، وإلى الكنز ذهبه ، وهذا غير مألوف ولا مستساغ .

لهذا كله نرجح خطأ القفطي فيما ذهب إليه من أنه ألقه لأبي سليمان المنطقي . كما نرجح خطأه في الشق الثاني ، وهو أن أبا حيان دوّن فيه ما كان يدور بينه وبين أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي وزير صمصام الدولة . ذلك لأن النسخة التي بين أيدينا يذكر فيها أبو حيان أنه دوّن فيه ما دار بينه وبين أبي عبد الله العارض لا أبي الفضل عبد الله بن العارض . وقد راجعنا كتب التاريخ التي بين أيدينا وأحصينا فيها من تولى الوزارة لصمصام الدولة ، فلم نجد من بينهم أبا الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي الذي ذكره القفطي



وكما تقول دائرة المعارف الإسلامية في مادة أبي حيان تبعاً له .

نعم رأينا من يسمى أبا الفضل الشيرازي ، وكان يعيش في هذا العصر  
ولكن اسمه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي لا أبو الفضل  
عبد الله الشيرازي كما يقول القفطي . وكان هذا كاتباً لا وزيراً ، وكان صديقاً  
لأبي علي الحسن التنوخي ، ونقل عنه كثيراً في كتابه « نشوار المحاضرة » ولقبه  
الكاتب لا الوزير . والذي ألف له الإمتاع والمؤانسة وزير لا كاتب .

يضاف إلى ذلك ما ذكرنا قبل من البراهين .

فالكتاب — في رأينا — كتب لأبي الوفاء المهندس لا أبي سليمان المنطقي  
ودون فيه ما دارق مجلس ابن سعدان لا أبي الفضل الشيرازي .

\*\*\*

وصف الكتاب : قال القفطي في وصفه : « وهو كتاب ممتع على الحقيقة  
لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنه خاض كل بحر ، وغاص كل بلجة ، وما أحسن  
ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو :  
ابتداء أبو حيان كتابه صوفياً وتوسطه محدثاً ، وختمه مسائل ملحفاً <sup>(١)</sup> » .

قسم أبو حيان كتابه إلى ليال ، فكان يدون في كل ليلة ما دارق فيها بينه  
وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني وقلت له وأجبتة . وكان الذي يقترح  
الموضوع دائماً هو الوزير . وأبو حيان يجيب عما اقترح ، وكان الوزير يقترح  
أولاً موضوعاً حسبما اتفق وينتظر الإجابة ؛ فإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته  
أفكاراً ومسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها ، فقد يسأله سؤالاً يأتي



في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي ، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم ، وهكذا ، يستطرد من باب لباب ، حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالباً أن يأتيه بطريقة من الطرائف يسميها غالباً : « ملححة الوداع » فيقول الوزير — مثلاً — : إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملححة الوداع . وهذه الملححة تكون — عادة — نادرة لطيفة أو أبياتاً رقيقة ، وأحياناً يقترح الوزير أن تكون ملححة الوداع شعراً بدوياً يشم منه رائحة الشيخ والقيصوم وهكذا .

وأحياناً يكلفه الوزير أن يتم له المسألة المعروضة في رسالة ؛ فقد سأله مرة عن المصادر التي تجيء على وزن تفعال ، فأجابه أبو حيان عن بعضها ، ثم طلب منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها .

وأحياناً يتخذ الكلام شكل حوار . فأبو حيان — مثلاً — يروي عن ديوجانيس أنه مثل : متى تطيب الدنيا ؟ . فقال : « إذا تفلسف ملوكها ، وملك فلاسفتها » ؛ فلم يرض الوزير عن هذا ، وقال : إن الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ؛ فكيف يكون الملك رافضاً للدنيا وقالياً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها ، والقيام عليها باجتلاب مصالحها ونفي مفسدها — وأطال في ذلك — وفي كثير من الأحيان يعلق الوزير على إجابة أبي حيان بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك .

وأحياناً يطلب إليه الوزير أن يحضر له رسالة في موضوع ، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما فعل مرة ، إذ كلفه أن يكتب له في المجون والملح ، ففعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس . قال أبو حيان : « فلما قرأتها على الوزير قال : ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوى هذه الوصايا والملح » .



وآونة يشير الوزير مسائل أشكلت عليه في اللغة والفلسفة والاجتماع ،  
يعرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل .  
ويحدث أحياناً أن الوزير يدفع لأبي حيان برقعة فيها أسئلة يطلب إليه  
أن يفكر في الإجابة عنها ، ويتصل بغيره من العلماء ليأخذ رأيهم فيها ؛ كما حدث  
مرة أنه دفع إليه رقعة بخطه فيها مطالب ، وقال : باحث عنها أبا سليمان  
وأبا الخير ، ومن تعلم أن في محاورته فائدة . وكان في الرقعة أسئلة منها عن الروح  
وصفته ومنفعته ، وما المانع أن تكون النفس جسماً أو عرضاً أو هباء ؛ وهل تبقى ؟  
وإن كانت تبقى فهل هي تعلم ما كان الإنسان فيه ههنا الخ . ويقول الوزير في آخر  
هذه الرقعة : « إن هذا وما أشبهه شاغل لقلبي وجائهم في صدري ، ومعترض بين  
نفسى وفكرى ، وما أحب أن أبوح به لكل أحد » ؛ ويأمره بأن يكتم خطه  
فإن أراد أن يعرض هذه المسائل مكتوبة على أبي سليمان فلينسخها بخطه هو . ثم  
سأل أبو حيان أبا سليمان وذكر إجابته عنها ونقلها إلى الوزير ، وعلى هذا النمط  
يجرى تأليف الكتاب .

وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب ،  
إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث . حتى لنجد في  
الكتاب مسائل من كل علم وفن ؛ فآداب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة  
وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر  
وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

\*\*\*

فلما أراد أبو حيان أن يدون لأبي الوفاء ما دار بينه وبين الوزير زاد فيه ونمق  
الحديث . وكان يدون جزءاً ويرسله إلى أبي الوفاء ويتبعه بجزء آخر وهكذا ...



وحدث هو نفسه عن ذلك كله في أول الجزء الثاني فقال : « قد فرغت من الجزء الأول على ما رسمت لي القيام به ، وشرفتني بالخوض فيه ، وسردت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير ، ولم آل جهداً في روايتها وتقويمها ، ولم أجنح إلى تعمية شيء منها ، بل زبرجت كثيراً بناصع اللفظ مع شرح الغامض ، وصلة المحذوف ، وإتمام المنقوص ، وحملته إليك على يد « فائق » الغلام ، وأنا حريص على أن أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصل إليك في الأسبوع إن شاء الله .

وقد خاف أبو حيان من بعض ما ورد في الكتاب ؛ فإنه في حديثه مع الوزير عاب أشخاصاً من رجالات الدولة الذين يستطيعون إيذائه ، فرجا أبا الوفاء أن يحفظ هذا الكتاب سرا ، فقال : « وأنا أسألك ثانية على طريق التوكيد كما سألتك على طريق الاقتراح أن تكون هذه الرسالة مصونة عن عيون الحاسدين العيابين ، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافسين ، فليس كل قائل يسلم ، ولا كل سامع ينصف » .

وقد أنجز أبو حيان وعده ، وأرسل إليه الجزء الثاني على يد غلامه فائق أيضاً . ثم أرسل إليه الجزء الثالث وهو الأخير ، وقال في أوله : « قد أرسلت إليك الجزءين الأول والثاني . وهذا الجزء — وهو الثالث قد والله ألقيت فيه كل ما في نفسي من جد وهزل ، وغث وسمين ، وشاحب ونضير ، وفكاهة وأدب ، واحتجاج واعتذار .... ولأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري » .

وعلى هذا الوضع ينتهي الكتاب .

ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزايد فيه ، واخترع أشياء لم تجر في



مجلس الوزير ، فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل ، فقد اتهمه العلماء من قبل ومنهم ابن أبي الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعروفة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر وعمر في حق علي بن أبي طالب ، ولعل هذا التزويد كان من ضمن الأسباب التي دعت أن يرجو أبا الوفاء في أن يكون الكتاب سرا ، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير ، وخشى أن الوزير يطلع عليه فيعلم مقدار ما تزويد . أما أنه ألفه في حياة الوزير ، فالدليل عليه ما جاء في نسخة ميلانو : « أنشئت هذه الرسالة في رجب سنة ٣٧٤ » والوزير ابن سعدان ظل وزيراً من سنة ٣٧٣ إلى سنة ٣٧٥ كما تقدم .

\*\*\*

وأيا ما كان ، فالكتاب ممتع مؤنس كاسمه ، يلقي نوراً كثيراً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع — أعني في العصر البويهى — وهو عصر مغبش بالظلام فإنه يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه ، فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم كابن عباد وابن العميد وابن سعدان ، ومجالسهم ومساوئهم ، ويصف العلماء ، ويحلل شخصياتهم ، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجدال وخصومة وشراب ، ويصف النزاع بين المناطقة والنحويين كالمناظرة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي ومقي بن يونس القناني في المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي ، ورأى العلماء في الشعبية والمفاضلة بين الأمم ، إلى كثير من أمثال ذلك .

وفي الكتاب النص الوحيد الذي كشف لنا عن مؤلفي إخوان الصفاء ، وقد نقله القفطى منه ، إذ كان الوزير قد سأل أبا حيان عن هذه الرسائل ومن ألفها ؛ وعن القفطى نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفاء .



كما أن فيه فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره وموقفهم من الأمراء والملوك ، وهيجانهم واضطرابهم وأسباب ذلك .

وكما يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية الشعبية فيذكر عدد القينات في الكرخ فيقول : « ولقد أحصينا في سنة ٣٦٠ : ٤٦٠ جارية من القينات ومائة وعشرين من الحرائر ، وخمسة وتسعين من الصبيان الذين يجمعون بين الخلق والحسن . هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزته ورقبائه ، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهرون بالغناء والضرب إلا إذا نشط أو ثمل في حال أو خلع العذار في هوى » . وأطيل جداً لو وصفت ما في الكتاب من فوائد .

ثم إن أسلوبه في تقسيمه إلى ليال ، وذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والحوار ، يجعله لذيذاً شيقاً ، أو على حد تعبيره هو — ممتعاً مؤنساً — فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة ، ولكنها ليست ليالى اللهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام ، إنما هي ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء ، إذ يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلاسفة ، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك ، كما يتعرض لمشاكل البلغاء كاللغة البديعة التي جرى فيها الحديث عن النثر والنظم والمفاضلة بينهما ، ومزايا كل ونقصه وهكذا . فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبداع تصوير الحياة الشعبية في ملاحمها وفتنمها وعشقمها ، فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية ؛ كيف يبحثون ، وفيهم يفكرون ، وكلاهما في شكل قصصى مقسم إلى ليال ، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة .



وأسلوب أبي حيان في الكتاب أنه رب أدبي راق كهدهنا في كل كتابته ؛ يحب الازدواج ويطيل في البيان ، ويحتذى حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة في تصوير الفكرة ، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قولاً ؛ ولكن أغض أسلوبه في هذا الكتاب تعرضه كثيراً لمسائل فلسفية عميقة قد غرقت على البيان ، ودقت عن الإيضاح ، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة إلى موضوعات أدبية : كوصف لفقره وبؤسه ، أو وصف للكرم وفوائده ، أو وصف للسان والبيان ؛ جرى قلمه وسال سيله وأجاد وأبدع .

نسخ الكتاب : للكتاب — فيما أعلم — نسختان ، لا أعلم لهما في مكاتب العالم نالته .

فأما النسخة الأولى فكاملة ، وهي تقع في خمسة أقسام .

وقد جاء في طرة الجزء الثاني ما نصه : « رسم لخزانة السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأم ، مولى ملوك العرب والعجم ، باسط الأمن والأمان ، ناشر العدل والإحسان ، أبي المفاخر فخر الدنيا والدين سليمان بن غازي « محمد الأيوبي » خلد الله تعالى مملكته وسلطانه ، وأعلى في الخافقين عزه وبرهانه » .

فالجزء الثاني كتب للعادل سليمان بن غازي الأيوبي .

\*\*\*

وكان العادل سليمان أديبا شاعرا ، جاء في ( كشف الظنون ) ذكر كتاب اسمه « الدر الثمين في شعر الثلاثة السلاطين » وهم : « العادل سليمان الأيوبي وولده الأشرف أحمد وولده الكامل خليل » . فسليمان هذا هو صاحب الخزانة المكتوب هذا الجزء برسمها .



وجاء في آخر هذا الجزء : « تمت الجزء الثاني من كتاب المؤانسة والإمتاع بحول الله وحسن توفيقه في شوال سنة خمسة عشر وثمانمائة على يد أضعف العباد شرف بن أميره في حصن المحروسة حماها الله تعالى عن الآفات والعمات آمين يا رب العالمين » .

وخط الجزء الثاني ( وهو في ثلاثة مجلدات ) مخالف لخط الجزء الأول ( وهو في مجلدين ) ، وإن كان الخطان قريبين الشبه بعضهما ببعض ، والجزء الأول غير مضبوط ، والثاني مضبوط بالضبط الكامل . وكلا الجزئين مملوء بالأخطاء الخطيرة بالزيادة والنقص والتعريف ، ويظهر أن الكاتبين من الخطاطين الذين يجيدون الخط ولا يحسنون الفهم . وكاتب الجزء الثاني يغلب على الظن أنه تركى لا يحسن العربية فهو يقول : « تمت الكتاب » « لا تم الكتاب » . ويقول « في سنة خمسة عشر وثمانمائة » بدل « خمس عشرة » وهذه — مع الأسف — هي وحدها النسخة التامة .

وهذه النسخة أخذها المرحوم أحمد زكى باشا بالفتوغرافيا من مكتبة طوب قبهوسراى لما اطلع على الكتاب وعرف قيمته . وقد أحضر النسخة الفتوغرافية منه إلى القاهرة ، واحتفظ بها في مكتبته الخاصة ؛ وقد قرأ الكتاب ، ووضع في الصفحة الأولى من كل جزء فهرسا بعدد الليالي وبعض الموضوعات ، كما وضع أسماء الأعلام الواردة في الكتاب أمام كل صفحة ، مما يدل على أنه كان يريد نشره ، ويريد ترجمة الأعلام التي وردت فيه ولكن لم يتعرض لتصحيح شيء مما فيه من أغلاط .

وقد توفى — رحمه الله — وهي في مكتبته الخاصة ، فاشتراها السيد حمدى السبرجلانى الدمشقى ، وباعها لدار الكتب المصرية .



والنسخة الثانية نسخة فوتوغرافية أخذت من أصل في ميلانو ، وليست كاملة ، وإنما هي قطع ثلاث : قطعتان من الجزء الثاني وقطعة من الجزء الثالث وهي مشوشة غير مرتبة ، وقد استحضرها زكي باشا أيضا ، واحتفظ بها لنفسه ، ثم بيعت لدار الكتب .

ولم يذكر في أية قطعة من القطع تاريخ نسخها ، وخطها واضح وجميل أيضا ومضبوطة . ولكنها في مجلتها لا تقل في الأخطاء عن سابقتها .

وقد كان في نية السيد حمدي السفرجلاني نشر المخطوطة قبل بيعها لدار الكتب ، فاستنسخ نسخة منها ، وقرأها مع بعض أفاضل دمشق ، منهم الدكتور حسني سبيع والسيد رشدي الحكيم و خليل مردم بك ؛ واستظهروا بعض تصحيحات لما وجدوه في هذه النسخة من تحريف .

وبقيت بعد ذلك مملوءة بالأغلاط كثيرة الجمل والألفاظ التي تشبه الألفاظ حتى لا يخلو سطر منها من وقفات تستدعي الجهد الشديد في تصحيحها . فعرض على لجنة التأليف نشره ، فوافقت على ذلك ، وعهدت إلى كاتب هذه السطور والأستاذ أحمد الزين بتصحيحه ؛ وقد بذلنا معا جهدا كبيرا في تصحيح المحرف من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، وشرح المشكل من عباراته ، وتكميل الناقص من جملة ، وضبط الملتبس من كلماته ، والتعريف بكثير ممن ورد ذكرهم فيه من العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة ، وهذا هو جهدنا تقدمه للقراء .

ومع هذا فربما نكون قد أخطأنا الصواب أو أغفلنا بعض المحرف ، وقد أثبتنا ألفاظه المحرفة في حواشي صفحاته . ويلاحظ أننا في أكثر الأحيان نثبت اللفظ المحرف وحده غير منبهين على أنه محرف اتكالا على فهم القارى ، وفي بعض الأحيان ننبه على أنه تحريف وأن صوابه ما أثبتنا ؛ كما يلاحظ أننا



قسمنا كل ليلة من ليالى هذا الجزء إلى موضوعات ، مثبتين فى أول كل موضوع رقما يدل عليه .

فنحن ننشر الجزء الأول من الكتاب اعتمادا على نسخة طوب قبو سراى وحدها ، حتى إذا وصلنا إلى الجزء الثانى أمكننا الانتفاع بنسخة ميلانو .  
ولعلنا بهذا النشر نحسن إلى أبى حيان بالتعريف بقيمته ، والإشادة بذكره ، بعد أن أساء إليه الزمان ، فأماتته فى حياته ، وأخذ اسمه بعد وفاته ؛ كما نحسن إلى عصره فنلقى عليه بعض الضوء ، وقد اكتنفه الظلام ، وعفت على آثاره الأيام ، والسلام .

أحمد أمين



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو حيان التوحيدى : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين  
ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالفوز والنعم من قطع  
طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه وعلى  
آله الطاهرين .

- (١) أما بعد ، فإني أقول منبهًا لنفسى ، ولمن كان من أبناء جنسى : من لم يُطع  
ناصحه بقبول ما يسمع منه ، ولم يملك صديقه كله<sup>(١)</sup> فيما يمثله له ، ولم ينقذ  
لبنيانه<sup>(٢)</sup> فيما يريته<sup>(٣)</sup> إليه ويطلبه عليه ؛ ولم ير أن عقل العالم الرشيد ، فوق  
عقل المتعلم البليد ؛ وأن رأى المجرب البصير ، مقدّم على رأى الغمري<sup>(٤)</sup> الغرير  
فقد خسر حظه في العاجل ، ولعله أيضا يخسر حظه في الآجل ؛ فإن مصالح الدنيا  
معقودة بمراشد الآخرة ، وكلّيات الحس في هذا العالم ، في مقابلة موجودات  
العقل في ذلك العالم ؛ وظاهر ما يرى بالعيان مُفضي إلى باطن ما يصدق عنه  
الخبر ؛ وبالجملة ، الداران متفتحتان في الخير المغتبط به ، والشر المندوم عليه ؛  
وإنما يختلفان بالعمل المتقدم في إحداها ، والجزاء المتأخر في الأخرى ؛ وأنا أعوذ  
بالله الملك الحق الجبار العزيز الكريم المساجد أن أجهل حظي ، وأعمى عن

(١) كله : مفعول لـ « يملك » ، يريد بهذه العبارة تمام الطاعة لصديقه حتى كأن صديقه  
ملك له كله يتصرف فيه كيف يشاء .

(٢) في الأصل « ولم ينفذ لسانه » .

(٣) يريته : يريده ويطلبه .

(٤) الغمري بالفتح والضم : من لم يجرب الأمور ؛ والجاهل الأبله .



رُشْدِي ، وَأَلْقَى بِيَدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَاتَّجَانَفَ<sup>(١)</sup> إِلَى مَا يَسُوهُنِي أَوْ لَا وَلَا يَسُرُّنِي  
آخِرًا ؛ هَذَا وَأَنَا فِي ذَيْلِ الْكُهُولَةِ وَبَادِئَةِ الشَّيْخُوخَةِ ، وَفِي حَالٍ مَنْ إِنْ لَمْ تَهْدِهِ  
التَّجَارِبُ فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَّامِهِ ، فِي حَالِي سَفَرِهِ وَمُقَامِهِ ؛ وَقَفَرِهِ وَغِنَائِهِ ، وَشِدَّتِهِ  
وَرَخَائِهِ ، وَمَسَرَّاتِهِ وَضُرَّاتِهِ ، وَخِيفَتِهِ وَرَجَائِهِ ؛ فَقَدْ أَتَقَطَعَ الطَّمَعُ مِنْ فَلَاحِهِ  
وَوَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ تَدَارُكِهِ وَأَسْتَصْلَاحِهِ ؛ فَإِلَى اللَّهِ أَفْزَعُ مِنْ كُلِّ رَيْثٍ وَجَلٍ  
وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فِي كُلِّ سَوْءٍ وَأَمَلٍ ، وَإِيَّاهُ أَسْتَعِينُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

(٢) قَدْ فَهِمْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ<sup>(٢)</sup> — حَفِظَ اللَّهُ رُوحَكَ ، وَوَكَّلَ السَّلَامَةَ بِكَ ، وَأَفْرَغَ  
الْكَرَامَةَ عَلَيْكَ ، وَعَصَبَ كُلَّ خَيْرٍ بِحَالِكَ ، وَحَشَدَ كُلَّ نِعْمَةٍ فِي رِجَالِكَ  
وَرَحِمَ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ الْمَاهِلَةَ — مِنْ أَبْنَاءِ الرِّجَاءِ وَالْأَمَلِ — بِعَنَائِكَ ، وَلَا قَطْعَكَ  
مِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا ثَنَى طَرَفِكَ عَنْ الرِّقَّةِ لَهُمْ ، وَلَا زَهْدَكَ فِي أَصْطِنَاعِ  
حَالِهِمْ وَعَاطِلِهِمْ ، وَلَا رَغِبَ بِكَ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِمْ لِبَعْضِ بَاطِلِهِمْ ، وَلَا ثَقْلَ عَلَيْكَ  
إِدْنَاءُ قَرِيبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ ، وَإِنَالَةَ مُسْتَحِقِّهِمْ وَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِمْ  
وَأَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاسَاتِهِمْ ، مِنْ بَشْرِ تَبْدِيهِ ، وَجَاهِ تَبَذُّلِهِ ، وَوَعْدِ  
تُقْدُّمِهِ ، وَضَمَانِ تَوْكُّدِهِ ، وَهَشَاشَةِ تَمَرُّجِهَا بِشَاشَةِ ، وَتَبَشُّمِ تَخْلُطِهِ بِفُكَاةِ  
فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا زَكَاةُ الْمُرُوءَةِ ، وَرِبَاطُ النِّعْمَةِ ، وَشَهَادَةُ الْمَحْتَدِ<sup>(٣)</sup> الزَّكِيِّ  
وَالْعِرْقِ الطَّيِّبِ وَالْمَنْشَأِ الْحَمِيدِ ، وَالْعَادَةِ الْمَرْضِيَّةِ ؛ وَهِيَ مُؤَدِّنَةٌ بِأَنَّ الْمُنْحَةَ  
رَاهِنَةٌ<sup>(٤)</sup> ، وَالتَّوْهِيَةُ قَاطِنَةٌ ، وَالشُّكْرُ مَكْسُوبٌ ، وَالْأَجْرُ مَذْخُورٌ ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ

(١) « وَاتَّجَانَفَ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجَانَفُ إِلَى الْمَيْمَنِ : الْمِيلُ إِلَيْهِ .

(٢) يُرِيدُ بِالشَّيْخِ أَبَا الْوَفَا الْمُهَنْدِسَ ، وَهُوَ الَّذِي وَصَلَ أَبَا حَيَّانَ بِالْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

الْعَارِضِ كَمَا يَفْهَمُ مِمَّا يَأْتِي .

(٣) « بِالْمَحْتَدِ » .

(٤) رَاهِنَةٌ : دَائِمَةٌ .



واقع ؛ وأسأل الله بعد هذا كله ألا يُسهم<sup>(١)</sup> وجهي عندك ، ولا يُزِلَّ قَدَمِي  
في خدمتك ، ولا يُزِيغَنِي<sup>(٢)</sup> إلى ما يقطع مادةَ إحسانِكَ وعائدةَ رأيك ونافع<sup>(٣)</sup>  
نيتك وجميلَ معتقدك ، بمنه ولطفه .

فهمت جميعَ ما قلته لي بالأمس فهما بليغا ، ووعيته وعتيًا تامًا ؛ وبأن لي  
الرُّشدُ في جملته وتفصيله ، والصَّلاحُ في طرفيه ووسطه ، والغنيمةُ في ظاهره  
وباطنه ، والشفقةُ من أوله إلى آخره . وأنا أعيده ههنا بالقلم ، وأرُسِّمه بالخطِّ  
وأقَيِّده باللفظ ، حتَّى يكون أعترافي به أُرْسَى وأُثْبِتَ ، وشهادتي على نفسي  
أَقْوَى وأَوْكَدَ ، ونُكُولِي عنه أَبْعَدُ وَأَصْعَبَ ، وحُكْمُكَ بِرِي وَعَلِيَّ  
أَمْضَى وَأَنْفَذَ .

قلتَ لي — أدام الله تعالى توفيقك في كلِّ قولٍ وفعلٍ ، وفي كلِّ رأيٍ  
ونظرٍ — : إنَّكَ تعلمُ يا أبا حَيَّانَ أنَّكَ أَنْكَفَأْتَ من الرِّمِّيِّ<sup>(٤)</sup> إلى بغداد في آخر  
سنة سبعين<sup>(٥)</sup> بعد فوتِ مأمولِكَ من ذِي الكفائتين<sup>(٦)</sup> — نَصَرَ الله وجهه —  
عابسا على ابنِ عَبَّادٍ<sup>(٧)</sup> مَغِيظًا منه ، مقروحَ الكبدِ ، لما نالكَ به من الحرمانِ

(١) السهوم : تغير الوجه وعبوسه من الهم ؛ وكُنِيَ به عن تغير الحال .

(٢) يزيعني : يعيلني .

(٣) « ويافع » .

(٤) الرِّي : مدينة فارسية قديمة كانت قسبة بلاد الجبال ، وكان اسمها الفارسي راغة  
ومنه أخذ اسمها العربي ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران .

(٥) أي وثلاثمائة .

(٦) ذُو الكفائتين : لقب لأبي الفتح علي بن أبي الفضل محمد المروفي بابن العميد .  
ويعنون بالكفائتين كفاية السيف وكفاية القلم ، وقد قام مقام أبيه ابن العميد ، واستوزر لركن  
الدولة البويهية ، ثم لما تولى عميد الدولة نكبه وقتله سنة ٣٦٦ هـ .

(٧) ابن عباد ، هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد ، ولد سنة ست  
وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري ، وكان وزيراً لمؤيد الدولة أبي



المُرّ ، والصدُّ<sup>(١)</sup> القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ، والقَدْع<sup>(٢)</sup> المؤلم  
والمعاملة السيئة ، والتغافل عن الثواب على الخدمة ، وحبس الأجرة على النسخ  
والوراقة ، والتجهم المتوالى عند كل لحظة ولقطة .

وذكرت في الجملة شقاء اتصل بك في سَفَرِكَ ذلك ، وعناء نال منك في  
عُرْضِ<sup>(٣)</sup> أحوالك ؛ ولَعَمْرِي إِنَّ السَّفَرَ فَعُولٌ لهذا كله ولأكثر منه ؛ فأرعيتك  
بصري ، وأعرتك سمعي ، وساهمتك في جميع ما وقرته في أذني بالجزع والتوجع  
والاستفطاع<sup>(٤)</sup> والتفجع ؛ وَضَمِنْتُ لَكَ تِلَافِي ذلك كله بِحَاقٍ<sup>(٥)</sup> الشفقة  
وخالص الضمير ، ووعدتك صلاح الحال عن ثبات النية ، وصحة العقيدة ، وقلت :  
أنا أُرعى حَقَّكَ القديم حين التقينا (بَارْجَانِ)<sup>(٦)</sup> ، وأنا على باب (ابن شاهويه)<sup>(٧)</sup>  
الفقيه ، وعهدك الحديث حين اجتمعنا بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين ؛  
وأوصلك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض<sup>(٨)</sup> — أدام الله تأييده — وأخطب

== منصور بويه الديلمي ، ثم وزير لأخيه نجر الدولة أبي الحسن علي ، وهو أول من لقب  
بالمصاحب من الوزراء ، لأنه صاحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا .

(١) « والقصد » .

(٢) القدع بالمهملة : النزع والزجر . وبالنال المعجمة : الشتم . والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٣) « في عرض أحوالك » أى في أكثرها . وعرض الشيء أكثره ومعظمه .

(٤) « والاستفطاع » .

(٥) حاق الشفقة : أى صادقها وكاملها .

(٦) أرجان : مدينة بين فارس وخوزستان ، وهى من كور الأهواز ، وتعرف الآن

باسم « بابهان »

(٧) ابن شاهويه هو أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفارسي الفقيه الشافعي

تولى القضاء ببلاد فارس ، وتوفى سنة ثنتين وستين وثلاثمائة بنيسابور .

(٨) أبو عبد الله العارض ، هو — فى رأينا — أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان

كان وزيرا لمصعصم الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٢ إلى سنة ٣٧٥ والعارض لقب له

وهو كما فى الأنساب للسمعاني « من يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم ، ويعرض

العسكر على الملك إذا احتيج إلى ذلك » والظاهر أنه لقب بهذا إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن

يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته (راجع الأدلة على هذا الرأى فى المقدمة) .

لك قبولاً منه ، وتخفيف الإذن عليك ، وامتلاء الطرف بك ، وثقل الخطوة بخدمتك وملازمتك ؛ وفعلت ذلك كله حتى استكتبك (كتاب الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ ، لمنيبتك به ، وتوفرك على تصحيحه ، ثم حضنت<sup>(١)</sup> لك هذه الحال إلى يومنا هذا ؛ وهو الوزير العظيم الذي افتقرت الدولة إلى نظره وأمره ونهيه ، وإلى أن يكون هو المبرم والناقض ، والرافع والواضع ، والكافي والوافي ، والمقرب لخدمتها ونصحائها ، والمزحزح لحسدتها وأعدائها ؛ والراعى لرعيتهما ودعمائها ، والناهض بأثقالها وأعبائها ، أعانه الله على ما تولاه ، وكفاه المهم في دنياه وأخراه ، بمنه وقدرته .

نعم وربت ذلك كله ، ولم أقطع عنك عادتى معك في الأسترسال والأنبساط ، والبر والمواساة ، والمساعدة والمواتاة<sup>(٢)</sup> ، والتعصب والحماية .

أفكان من حقى عليك في هذه الأسباب التى ذكرتها ، وفى أخواتها التى تركتها كراهة الإطالة بها أنك تخلو بالوزير — أدام الله أيامه — لىالى متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب وتريد ، وتلقى إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ؛ ولعلك فى عرض ذلك تعدو طورك بالتشديق<sup>(٣)</sup> وتجاوز حدك بالاستحقار ، وتتناول إلى ما لبس لك ، وتغلط فى نفسك ، وتنسى زلة العالم ، وسقطة المتحرى ، وخجلة الواثق ؛ هذا وأنت غير لا هيئة لك فى لقاء الكبراء ، ومحاوره الوزراء ؛ وهذه حال تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك ، وإلى

(١) « حضنت لك هذه الحال » ، أى كفلتها لك وحفظتها عليك .

(٢) المواتاة : الموافقة .

(٣) التشديق ، هو التوسع فى الكلام من غير احتياط واحتراز ، وهو أيضا استهزاء الرجل بالناس يلوى شدة بهم وعليهم .



البارق، وسلوتُ عن قربك بقلب معرضٍ وعزيمٍ حيٍّ ؛ إلا أن تُطْلِعَنِي طَلْعَ<sup>(١)</sup> جميع ما تحاورتما وتجادبتما هُذْبَ الحديث عليه ، وتصرفتما في هزله وجِدّه ، وخيره وشرّه ، وطيبه وخبيثه ، وباده ومكتمه ؛ حتى كأني كنتُ شاهداً معكما ورقيباً عليكما ، أو متوسطاً بينكما ، ومتى لم تفعل هذا ، فأنتظر عِقْبِي أَسْتَبْحِثُ مِنْكَ ، وتوقعُ قَلَّةَ غُفُولِي عَنْكَ ، وكأني بك وقد أصبحتَ حَرَّابَ حَيْرَانٍ يا أبا حَيَّان ، تأكلُ أصبعك أسفاً ، وتزددُ رَيْقَكَ لَهْفاً ، على ما فاتك من العَوَاطِلِ لنفسك ، والنظر في يومك لغدك ، والأخذُ بالوثيقة في أمرك ، أتظنن بغيرارتك<sup>(٢)</sup> وغمارتك<sup>(٣)</sup> ، وذهابك في فُسُولَتِكَ<sup>(٤)</sup> التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والغرباء والمجتدين الأدنياء الأردياء ؛ أنك تقدر على مثل هذه الحال ، وأناأمُ منك على حسن الظن بك ، والثقة بصَدْرِكَ وورْدِكَ ، وأطمئن إلى حَكِّكَ وجَرْدِكَ وأتعمى عن حركٍ وبرذك ؛ هيهات ؛ رَقَدْتَ فَحَلَمْتَ ، نفيرا رأيت وخيرا يكون على هذا الحدِّ كان مَقْطَعُ كلامك في مَوْجِدَتِكَ ، وإلى ههنا بلغ فيضُ عَتَبِكَ ولَأُمْتِكَ ؛ وفي دون ذلك تنبيه للنائم ، وإيقاظٌ للساهي ، وتقويمٌ لمن يقبل التقويم ؛ وقد قال الأول :

ألا إنا<sup>(٥)</sup> يكفي القى عند زَيْفِهِ من الأود<sup>(٦)</sup> البادي ثِقافُ المقومِ

قلت لك : أنا سامع مطيع ، وخادمٌ شكور ، لا أشتري سخطك بكلِّ

(١) يقال : « أطلعت طلح أمرى » بكسر الطاء ، أى أثبتته سرى .

(٢) الفرارة : الغفلة .

(٣) الفارة : الجهل والبلامة .

(٤) الفسولة : الضعف والحنّة وقلة المروءة .

(٥) « إنا » بالياء . (٦) الأود : العوج . والثقاف : ما سوى به الرماح .

صفراء<sup>(١)</sup> وبيضاء في الدنيا ؛ ولا أنفِر من التزام<sup>(٢)</sup> الذنب والاعتراف بالتقصير ؛  
ومثلي يهفو ويجمَح ، ومثلك يعفو ويصفح ؛ وأنت مولى وأنا عبد ، وأنت آمرٌ  
وأنا مؤتمر ، وأنت ممتثلٌ وأنا ممثِل ، وأنت مصطنع وأنا صنيعةٌ ، وأنت  
منشئٌ وأنا مُنشَأ ، وأنت أولٌ وأنا آخِر ، وأنت مأمول وأنا آملٌ ، ومتى  
لم تغفر لي الذنب البكر ، والجنابة العذراء ، والبادرة النادرة ؛ فقد أعنتني على  
ما كان مني ، ودللت على مَلَلِك لي ؛ وأنت كنت مترصداً لهذه الهفوة  
ومعتقداً في مقابلتها هذه الجفوة ؛ وكرمك يأبى عليك هذا ، ومثولي بين يديك  
خِدمة لك يحظره عليك .

هذا وأنا أفعل ما طلبتني به من سرِّد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه  
على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن  
أذِنتَ جمعه كله في رسالة تشتمل على الدقيق والجليل ، والخلو والمُر ، والطرى  
والعامى<sup>(٣)</sup> ، والمحبوب والمكروه ؛ فكان من جوابك لي : إفعل . ونِمْ ما قلتَ  
وهو أحبُّ إليّ وأقربُ إلى إرادتي ، وأُحْصِرُ لما أُرِغ<sup>(٤)</sup> منه ، وأدْخُلُ  
في الحجة عليك ولك ؛ وأغسلُ للوسخ الذي بيني وبينك ، وأزهرُ للسراج الذي  
طَنِي عني وعنك ، وأجذبُ لِعِنان الحجة إن كانت لك ، وأنطقُ عن العذر إن  
أتضح بقولك ؛ وإذا عرمت فتوكّل على الله ؛ وليكن الحديثُ على تباعد  
أطرافه ، واختلافِ فنونه مشروحا ، والإسناد عالياً متصلاً ، والتمنُّ تاماً بيننا ،

(١) يريد بالصفراء الذهب ، وبالبيضاء الفضة .

(٢) « أكرام » .

(٣) العاسى : الياسى .



من الحجا، ودَرْيُهُ<sup>(١)</sup> بالتمييز؛ وتَسْجُهُ بالرقّة، والحجا في غاية النشاط<sup>(٢)</sup> وبهذا  
البَيِّن يقع التباين ويتسع التأويل، ويجول الذهن، وتمطّى<sup>(٣)</sup> الدعوى، ويفزع  
إلى البرهان، ويُبْرَأ من الشبهة، ويُعْتَر بما أشبه الحجة وليس بحجة؛ فأحذر  
هذا النعت وروادفه، واتق هذا الحكم وقوائمه<sup>(٤)</sup>؛ ولا تمسّق اللفظ دون المعنى  
ولا تهو المعنى دون اللفظ؛ وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء في جانب، فإن  
صناعتهم يُفْتَقَر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم، ولست منهم، فلا تشبه بهم، ولا  
تجبر على مثالمهم، ولا تنسج على منوالهم، ولا تدخل في غمارهم، ولا تكثر  
ببياضك سوادهم، ولا تقابل بفكاهتك براعتهم، ولا تجذب بيدك رِشَاءهم، ولا  
تحاول بباعك مطاولتهم<sup>(٥)</sup> وأعرف قدرك تسلّم، وألزم حدّك تأمن؛ فليس  
الكوْذَن<sup>(٦)</sup> من العتيق في شيء، ولا الفقير من الغنى على شيء؛ أما سمعت قول  
الناس: ليس الشامى للعراق<sup>(٧)</sup> بصاحب، ولا الكردي من الجندي بساخر،  
فإن طال<sup>(٨)</sup> فلا تُبَلِّ، وإن تشعب فلا تكثر، فإن الإشباع في الرواية أشنى  
للغليل، والشرح<sup>(٩)</sup> للحال أبلغ إلى الناية، وأظفر بالمراد، وأجرى على العادة.  
(٥) فكتبت: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، أقول أيها الشيخ — عطف الله

(١) دريه، أي درياه وعلمه.

(٢) الظاهر أن هنا كلاماً سقط من الناسخ.

(٣) تمطى: تتناول.

(٤) قوائمه، أي توابه. يقال: قاف أثره إذا تبعه.

(٥) «مطاوئعهم».

(٦) الكوذن: الفرس المهجين والبرذون. والعتيق من الأفراس: الكريم الرائع منها.

(٧) يشير بهذه الجملة إلى ما وقع بين الشام والعراق من المداوة أيام علي ومعاوية وما

ذلك.

(٨) طال، أي الكلام.

(٩) «والسرج».

قلبك على ، وألممك بالإحسان إلى - في جواب جميع ما قلته واجدًا على وعاتبا ، وقابضا ، وباسطا ، ومرشدا ، وناصحا ؛ ما يُعرَف الحق فيه ، ويستبين الصواب منه ، غير خائن لك ، ولا جانح إلى مخالفتك ، ولا مُرينغ<sup>(١)</sup> للباطل معك ، ولا جاحد لأياديك القديمة والحديثة ، ولا منكِر لنعمتك الكافية الشافية ، ولا غاطٍ<sup>(٢)</sup> على فواضلك المجتمعة والمتفرقة ، ولا تارك لشيء هو على من أجل شيء هو لى ، ولا معرض عن شيء هو لى بسبب شيء هو على ؛ بل أجهز دِقَّة وجهه إليك حتى تراه بِسَدِّه<sup>(٣)</sup> وغُبَّاره ، وأجلوه عليك حتى تلاحظه بردائه وإزاره . كأننى لم أسمع قول الأول :

« والكفر<sup>(٤)</sup> مخبئةٌ لنفس المنعم » « والشكر مَبْعَثَةٌ لنفس المفضل »  
أنا أدعك واجدًا على ، وأرقد وأنت ماقت لى ، وأجد حسَّ نعمة أنت وهبتها لى ، وألذَّ عيشًا أنت أذقتنى حلاوته . أنسى أياديك وهى طوق رقبتي ، ونُجاة عيني ، وحشؤ نفسى ، وراحة حلمى ، وزادُ حياتى ، ومادة روحى ؟ هيات ، هذا بعيد من القياس ، وغير معهود بين أحرار الناس ؛ الذين لهم اهتمام بصون أغراضهم ، وحرص على إكرام أنفسهم ؛ قد عَبَقُوا<sup>(٥)</sup> بفوايح الفتوة ، وعلِقُوا بحبائل المروءة ، وشدَّوا<sup>(٦)</sup> من الحكمة أشرف الأبواب ؛ واعتزَّوا من الأدب

(١) المرينغ : المريد .

(٢) غطى على الشيء بتخفيف الطاء : كغطى عليه بتشديدها .

(٣) السد : الصحيح من الكلام وكنى بالغبار عما يشور حول الكلام من اعتراض ونحوه ، ومنه قولهم : « كلام لا غبار عليه » .

(٤) هذا الشطر عجز بيت لعنترة العبسى ومصدره :

نبثت عمرا غير شاكر نعمتى

(٥) « عتقوا بفرائح » .

(٦) شدوا : أخذوا . يقال : شدا من العلم شيئا إذا أخذه كأنه ساقه أو جمعه ، وفى

الأصل « شدوا » بالمعجمة .



إلى أعز حرم<sup>(١)</sup> ؛ وحازوا شرفاً بعد شرف ، وانحازوا عن نطاف بعد نطاف<sup>(٢)</sup> ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة ، وعزفوا<sup>(٣)</sup> أنفسهم عن زهراتها بتجربة صادقة .  
 فأول ما أبدوك به أنني ظننتُ ظناً لا كيقين أن شيئاً مما كنتُ فيه مع الوزير — أدام الله أيامه ، وقصم أعداءه — ليس مما يهتك ، ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له ؛ وحسبتُ أيضاً أنني إن بدأتُ بشئٍ منه رذلتني عليه وتنقصتني به ، وزريتُ على فيه ؛ وأنتك ربما قلت : لم بدأتُ بما لم أسئلك عنه ولم أرخص لك فيه ، هلا كظمتُ على جرّتك<sup>(٤)</sup> ، وطويتُ ما بين جنبيك وما على مما يدور بين الصاحب وخادمه والرؤساء ، والناظرين في أمور الدهماء<sup>(٥)</sup> والمتصفحين لأحوال العامة والخاصة ، ولهم أسرار وعيوب لا يقف عليها أقرب الناس إليهم ، وأعزُّ الناس عليهم ، وأنت أيضاً فلم تسألني عنه ، فكان في تقديري أنك قد عرفتُ وصولي في وقت دون وقت ، وأنتك قد سحلتُ أمري على الخدمة التي ليس للعلم بها فائدة ، ولا في الإعراض عنها فائدة .

وإذ جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبّس<sup>(٦)</sup> بظني ، فإني أهدى ذلك كله بقثائته وسمائته ، وحلاوته ومرارته ، ورقته وخثارته في هذا المكان ؛ ثم أنت أبصرُ بعد ذلك في كتمانهِ وإفشائه ، وحفظهِ وإضاعته وستره<sup>(٧)</sup> وإشاعته ؛ والله ما أرى هذا أسراً صعباً إذا وصل إلى مرادك

(١) « خدم » .

(٢) النطف بالتحريك : العيب والفساد .

(٣) « هرفوا » وعزف عن الشيء : أعرض عنه وزهد فيه .

(٤) « جريك » ، وجرة البعير معروفة ، شبه بها الحديث المختزن يفضيه صاحبه .

(٥) « الذهبما » والدهماء : جماعة الناس .

(٦) « ولكبس » .

(٧) « ولهره وأشكر عته » .

ولا كُلفَ شاقَّةً إذا أُكسبني مَرْضَاتِكَ ؛ وإن كان ذلك يمرُّ بأشياء كثيرةً ومختلفةً ، متعصيةً غريبةً ، منها ما يَشِيطُ <sup>(١)</sup> به الدم المحقون ، ويُنزع من أجله الروح العزيز ، ويُستغفر معه الصَّلب ، ولا يُقنع فيه بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ؛ وإن كان فيها أيضاً غيرُ ذلك مما يُضحك السنَّ ، ويُفكِّه النفس ، ويدعو إلى الرشاد ، ويدلُّ على النصيح ، ويؤكد الحُرمة ، ويعقد الذِّمام ، وينشر الحكمة ، ويشرف المهمة ، ويلتج العقل ، ويزيد في الفهم والأدب ويفتح بابَ اليُمن والبركة ، ويُنفق بضاعةَ أهل العلم في السوق الكاسدة ، ويوقظ العيون الناعسة ، ويُبَلِّ الشَّنَّ <sup>(٢)</sup> المتغصِّف ، ويُندِّي الطَّينَ المترشِّف ؛ ويكون سبباً قويا على حُسن الحال وطلبِ العيش ، فإن هذه العاجلةَ محبوبة ، والرفاهيةَ مطلوبة ، والمكانةَ عند الوزراء بكلِّ حولٍ وقوَّةٍ مخطوبة ، والدنيا حلوةٌ خَصِرة وعَذْبَةٌ نَصِرة ، ومن شَفَّ <sup>(٣)</sup> أمله شقَّ عمله ؛ ومن اشتدَّ إلحاحه ، توالى غدؤه ورواحه ، ومن أسره رجاؤه ، طال عناؤه ، وعظم بلاؤه ؛ ومن ألهب طمعه وحرصه ، ظهر عجزه ونقصه .

وفي الجملة :

من لم يكن لله متهمًا لم يمس محتاجًا إلى أحدٍ

ولا بدَّ من فتى يعينُ على الدهر ، ويُغني عن كرام الناس فضلا عن لثامهم ، <sup>(٦)</sup> ويذلل قعود الصبر ، ويُجِّم راحلة الأمل ، ويُحلي مسرَّ اليأس ؛ والعزلة محمودة

(١) يشيط : يذهب هدرا .

(٢) « السن بالسين المهملة » . والشن بالمعجمة : القرية الخلق . والمتغصِّف ، أى التكرس المتغصن من اليبوسة .

(٣) شف أمله : زاد ، ويجوز أن يفسر بمعنى أسفه الأمل وأضناه لعلوه وبعد مناله .



إلا أنها محتاجة إلى الكفاية ، والقناعة مَزَّةٌ <sup>(١)</sup> فَكِيهةٌ ولكنها فقيرةٌ إلى البلغة وصيانة النفس حسنة إلا أنها كُلفَةٌ مُحرجةٌ إن لم تكن لها أداةٌ تُجِدُّها <sup>(٢)</sup> وفاشيةٌ <sup>(٣)</sup> تَمُدُّها ، وتركُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطيع إلا بدينٍ متين ، ورغبةٌ في الآخرة شديدة ، وفِطامٌ عن دار الدنيا صعب ، ولسانٌ بالحلو والحامض يبلغ .

قال ابن السماك <sup>(٤)</sup> : لولا ثلاثٌ لم يقع حَيْفٌ ، ولم يُسَلَّ سيفٌ ، لقمةٌ أُسَوِّغُ من لقمة ، ووجهٌ أُصَبِّحُ من وجه ، وسِلْكٌ <sup>(٥)</sup> « أَنْعَمُ مِنْ سِلْكٍ » ، وليس كلُّ أحدٍ له هذه القوة ، ولا فيه هذه المُنَّةُ <sup>(٦)</sup> والإنسان بشرٌ ، وبنيته متهافئةٌ وطينته منتثرةٌ ، وله عادةٌ طالبةٌ ، وحاجةٌ هانكةٌ ، ونفسٌ جَموحٌ ، وعينٌ طموحٌ ؛ وعقلٌ طفيفٌ <sup>(٧)</sup> ، ورأى ضعيفٌ ، يهفو لأوّل ريحٍ ، ويستخيلُ <sup>(٨)</sup> لأوّل بارقٍ ؛ هذا إذا تخلص من قُرْئاء السوء ، وسلم من سوارقِ <sup>(٩)</sup> العقل ، وكان له سلطان على نفسه ، وقَهْرٌ <sup>(١٠)</sup> لشهواته ، وقَمْعٌ لهوائجه <sup>(١١)</sup> وقبولٌ من ناصحه ، وتهَيُّؤٌ

(١) « مَرَّةٌ » والمَزَّةُ : الحُرَّةُ اللذيذة الطعم .

(٢) تجدها ، أى تجددتها .

(٣) الفاشية : ما انتشر من المال . وفي الأصل « غاشية » .

(٤) « ابن السماك » ، وهو تحريف وابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح الكوفي الزاهد الواعظ المشهور لقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم وقدم من بغداد زمن هرون الرشيد وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة .

(٥) السلك : الحيط . وكنى به عن الثوب لأنه من الخيوط .

(٦) « المنة » . والمنّة بضم الميم : القوة .

(٧) الطفيف الناقص والقليل .

(٨) في الأصل : « ويستحيل » بالخاء ، وهو تصحيف . ويستخيل لأول بارق ؛ أى يخال المطر عند أول بارق .

(٩) يريد بسوارق العقل : الشهوات التى تذهب به وتجعله فى حكم غير الموجود كأنها تسرقه . والذي فى الأصل : « سراق » ؛ وهو تصحيف .

(١٠) « وفهم » .

(١١) لهوائجه ، أى لما يهيج به من النزعات والمطامع .

في سعيه ، وتبوؤ في مَعَانٍ<sup>(١)</sup> حَظَّهُ ، وأَتَمَّ بِسَعَادَتِهِ ، وأَسْتَبْصَرَ في طلب ما عند ربه ، وأَسْتَنْصَفَ من هَوَاهِ الْمُضِلِّ لِعَقْلِهِ الْمُرْشِدِ ، هذا قليلٌ وصعبٌ ولو قلتُ : معدومٌ أو مُحَالٌ في هذا الزمن العسير والذهر الفاسد ، لما خفتُ عائقاً يعوقني ، ولا حسوداً يردُّ قولي . قال ابن السَّمَّاك : الله المستعان على ألسنِ تصيف وقلوبٍ تعترف ، وأعمالٍ تختلف . وقال معاوية لأبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث — ورآه لا يَلِيَّ له عملاً ، ولم يقبل منه نائلاً — : يا ابن أخي ، هي الدنيا ، فإِذَا أَنْ تَرْضَعَ معنا ؛ وإِذَا أَنْ تَرِدَّعَ عَنَّا . وربما قال بعض المتكلمين قد قال بعض السلف : ليس خيركم مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، وَلَا مَنْ تَرَكَ الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ . وهذا كلام مقبول الظاهر موقوف الباطن . وربما قال آخَرُ من المتقدمين : (أَعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غداً ، وَأَعْمَلْ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبداً) . وهذا أيضاً كلامٌ مَنْتَقٍ ، لا يَرْجِعُ إلى معنى محقق ؛ أين هو من قول المسيح — عليه السلام — حين قال : الدنيا والآخرة كالشرق والمغرب متى بَعُدَ أَحَدُكُمَا مِنْ أَحَدِهِمَا قَرُبَ مِنَ الْآخَرِ ؛ ومتى قَرُبَ مِنْ أَحَدِهِمَا بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ . وأين هو من قول الآخر : الدنيا والآخرة ضَرَّتَانِ ، متى أَرْضِيتَ إِحْدَاهُمَا أَسْخَطْتَ الْآخَرَى ، ومتى أَسْخَطْتَ إِحْدَاهُمَا أَرْضِيتَ الْآخَرَى .

وهذا لأنَّ الإنسان صغيرُ الحجم ، ضعيفُ الحول ، لا يستطيع أن يجمع بين شهواته وأخذِ حظوظِ بدنه وإدراكِ إرادته ، وبين السعي في طلب المنزلة عند ربه بأداء فرائضه ، والقيام بوظائفه ، والثبات على حدود أمره ونهيهِ ، فإنَّ صَفْقَ

(١) المعان : المأنة ، المتزل .



وجهه وقال : نعمل تارة لهذه الدار وتارة لتلك الدار ، فهذا المذبذب الذي لا هو من هذه ولا من هذه ؛ ومن تَخَنَّتْ <sup>(١)</sup> وتَلَيَّتْ لم يكن رجلاً ولا امرأة ، ولا يكون أباً ولا أما ؛ وهذا كما نرى .

ونرجع فنقول : ونعوذ بالله من الفقر خاصة إذا لم يكن لصاحبه عيادٌ من التقوى ، ولا عِمَادٌ من الصبر ، ولا دِعَامَةٌ <sup>(٢)</sup> من الأنفة ، ولا أَصْطَبَارٌ على المرارة .

وقد بُلينا بهذا الدهر الخالي من الدَيَّانين الذين يُصْلِحُونَ <sup>(٣)</sup> أنفسهم وَيُصْلِحُونَ غيرهم بفضل صلاحهم ، الخاوي من الكرام الذين كانوا يَتَّسِعُونَ في أحوالهم ، ويوسعون على غيرهم من سَعَتِهِمْ ، وكانوا يَهْتَنُونَ بذخائر الشكر المعجَّل في الدنيا ، يَحْرِصُونَ <sup>(٤)</sup> على ودائع الأجر المؤجَّل في الآخرة ؛ ويتلذذون بالثناء ، ويَهْتَرُونَ للدعاء ؛ وتملِكهم الأريحية عند مسألة المحتاج ، وتعترِبهم الهِزَّةُ معها والابتهاج ؛ وذلك لعشقهم الثناء الباقي ؛ والصنيع الواقى ؛ ويرون الغنيمة في الغرامة ، والرجح في البذل ، والحظ في الإيثار ، والزيادة في النقص ؛ أعني بالزيادة . الخَلَفَ المنتظر من الله ؛ وبالنقص : العطاء ؛ ورأيتُ الناس يعيبون ابن العميد حين قال : أنا أعجب من جهل الشاعر الذي قال :

أنت للمال إذا أمسكته      فإذا أنفقته فالمال لك

قال : ولو كان هذا صحيحاً كان لا ينبغي أن يُكْتَسَبَ المال ، لأنه ليس في ترك

(١) في الأصل : « تخنت » ؛ وهو تصحيف . ويريد بالتخنت والتليت : اللين والتشدد تشبهاً بالخنثين والليوث .

(٢) « دِمَامَةٌ » . والدعامة : العماد .

(٣) « لا يصلحون » : وقوله « لا » زيادة من الناسخ .

(٤) « يحوضون » .

كسبه أكثر من إخراجِه بالإتفاق . هذا لقولهم <sup>(١)</sup> بحكمتِه وعقلِه وتحصيلِه وصوابُ الجاهل لا يُستحسن كما يُستقبَح خطأ العاقل ؛ نعم ، وكانوا إذا وُلُوا عَدَلُوا ، وإذا مَلَكُوا أَفْضَلُوا <sup>(٢)</sup> ، وإذا أَعْطَوْا أَجْزَلُوا ، وإذا سُئِلُوا أَجَابُوا وإذا جَادُوا أَطَابُوا ، وإذا عَلَلُوا <sup>(٣)</sup> صَبَرُوا ، وإذا نَالُوا <sup>(٤)</sup> شَكَرُوا ؛ وإذا أَنْفَقُوا وَاسَّوْا ، وإذا امْتَحِنُوا تَأَسَّوْا ؛ وكانوا يرجعون إلى نقائب ميمونة ، وإلى ضرائب <sup>(٥)</sup> مأمونة ؛ وإلى دِيانات قويَّة ، وأماناتٍ ثَخِينَةٍ <sup>(٦)</sup> ؛ وكان لهم مع الله أسرار طاهرة ، وعَلَانِيَةٌ مقبولة ؛ ومع عباد الله معاملَةٌ جميلة ، ورحمةٌ واسعة ومَدِيدَةٌ فاشية ؛ وكانت تجارتُهم في العلم والحكمة ، وعادتهم جارية على الضيافة والتَّكْرِيمَةِ ؛ وكانت شِيَمَتُهُم الصِّفْحُ والمَغْفِرَةُ وربُّهُمْ <sup>(٧)</sup> من هذه الأحوال النجاة والكرامة في الأولى والعاقبة ؛ وكانوا إذا تَلَقَّوْا تَوَاصَّوْا بالخير ، وتَنَاهَوْا عن الشرِّ ؛ وتَنَافَسُوا في اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ ، وأَدْخَارِ البَضَائِعِ ( أعنى صنائع الشكر ، وبضائع الأجر ) فذهب هذا كُلُّهُ ، وتاه <sup>(٨)</sup> أهْلُهُ ؛ وأَصْبَحَ الدِّينُ وقد أُخْلِقَ لِبُوسِهِ ، وأَوْحِشَ مَأْنُوسُهُ ، وأَقْتُلِعَ مَغْرُوسُهُ ؛ وضار المنكر معروفًا ، والمعروفُ منكراً ، وعاد كلُّ شَيْءٍ إلى كَدْرِهِ وخَاثِرِهِ ، وفاسدِهِ وضائِرِهِ ؛ وَحَصَلَ الْأَمْرُ

(١) هذا لقولهم ، أى عيب الناس لابن العبيد في كلامه السابق ، لما يصفونه به من الحكمة والعقل الخ .

(٢) أَفْضَلُوا : أَنْعَمُوا .

(٣) في الأصل « اعزلوا » . وعالوا : افتقروا ، من العيلة بفتح أوله .

(٤) « قالوا » .

(٥) الضرائب : الطبائع والسجايا ، الواحدة ضريبة .

(٦) ثَخِينَةٌ : قوية كما يقال في عكس ذلك : هو رقيق الدين ، أى ضعيفه .

(٧) « وزكهم » .



قَلَى أَنْ يَقَالَ : فَلَانٌ خَفِيفُ الرُّوحِ ، وفَلَانٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، وفَلَانٌ ظَرِيفُ الْجَمَلَةِ ،  
 حَلَوُ الشَّامِلِ ، ظَاهِرُ الْكَئِيسِ ، قَوِيُّ الدَّسْتِ <sup>(١)</sup> فِي الشُّطْرَنِجِ ، حَسَنُ اللَّعْبِ فِي  
 النَّرْدِ ، جَيِّدٌ فِي الْأَسْتِخْرَاجِ ، مَدْبِرٌ <sup>(٢)</sup> لِلْأَمْوَالِ ، بَذُولٌ لِلْجَهْدِ ، مَعْرُوفٌ بِالْأَسْتِقْصَاءِ  
 لَا يُغْضِي عَنْ دَانِقٍ ، وَلَا يَتَغَافَلُ عَنْ قِيرَاطٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْنَفُ الْعَالِمُ مِنْ  
 تَكْثِيرِهِ ، وَالكَاتِبُ مِنْ تَسْطِيرِهِ .

وهذه كلها كنايات عن الظلم والتجديف <sup>(٣)</sup> ، والخساسة والجهل وقلة الدين  
 وحب الفساد ، وليس فيها شيء مما قدمنا وصفه عن القوم الذين اجتهدوا أن  
 يكونوا خلفاء الله على عباد الله بالرأفة والرفقة والرحمة والأصطناع والعدل والمعروف .  
 وأرجع عن هذه الشككية الطويلة اللاذعة والبليغة العامة الشاملة ؛ إلى  
 عينٍ مارِسمتَ لِي ذِكْرَهُ ، وكَلَفْتَنِي إِعَادَتَهُ ؛ عَائِذَا بِاللَّهِ فِي صَرْفِ الْأَذَى عَنِّي  
 وَسَوِّقِ الْخَيْرَ إِلَيَّ ؛ وَلَا تَذَا بِكَرْمِكَ الَّذِي رَشْتَنِي <sup>(٤)</sup> بِهِ إِلَى السَّاعَةِ ، وَكَفَيْتَنِي بِهِ  
 مَوْوَنَةً لِلْخِدْمَةِ لِعَفْرِكَ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا ، وَالصُّدُورُ بِأَعْبَازِهَا ؛  
 وَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِّي إِذَا عَرَفْتَ بَرَاءَتِي فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ  
 بِي مِنْ ذِمَامِكَ ؛ وَيَجِبُ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ فِي مَوْدَّتِكَ ، وَالْأَعْتَصَامِ بِحَبْلِكَ  
 وَالْإِتِّجَاعِ <sup>(٥)</sup> مِنْ عُشْبِكَ ، وَالْأَرْتِفَاءِ <sup>(٦)</sup> مِنْ لَبِنِكَ .

(١) الدست : الحيلة ، وهو أيضا ما يكون فيه الغلب في المَطْرَنَجِ ؛ تقول : « الدست لي والدست على » .

(٢) « مشير » .

(٣) التجديف : الكفر بنعمة الله . وفي الأصل : والتخويف .

(٤) رَاشَهُ يَرِيشُهُ : جعل له ريشا . شبه ما بذله له من المعروف بالريش للطائر .

(٥) الإلتجاع : طلب المعروف .

(٦) في الأصل « الارتقاء » بالقياس ؛ وهو تصحيف . والارتقاء : أخذ رغوّة اللبن واحتساؤها .

## الليلة الأولى

(١) وصلتُ أيتها الشيخ — أطال الله حياتك — أول ليلة إلى مجلس الوزير —  
أعزَّ الله نصره ، وشدَّ بالعصنة والتوفيق أزره — فأمرني بالجلوس ، وبسط لي  
وجهه الذي ما أعتراه منذ خُلِقَ العُيُوس ؛ ولَطَفَ كلامه الذي ما تبدَّل منذ كان  
لا في الهزل ولا في الجدِّ ، ولا في الغضب ولا في الرضا .

ثم قال بلسانه الذليق<sup>(١)</sup> ، ولَفْظِهِ الانيق : قد سألتُ عنك مرَّاتٍ شيخنا  
أبا الوفاء ، فذكر أنَّكَ مراعى لأمر البيارستان من جهته ، وأنا أُرَبِّأُ بك عن  
ذلك ، ولعلِّي أعرضُكَ لشيءٍ أنبَهَ من هذا وأجدى ، ولذلك فقد تآقت نفسي  
إلى حضورك للمحادثة والتأنيس ، ولأتعرفَ<sup>(٢)</sup> منك أشياء كثيرة مختلفة ترَدُّدُ  
في نفسي على مرِّ الزمان ، لا أحصِيها لك في هذا الوقت ، لكنِّي أثرها في  
المجلس بعد المجلس على قدر ما يَسْنَحُ وَيَعْرِضُ ، فأجبنِي عن ذلك كله باسترسال  
وسكونٍ بال ؛ بملء فيك ، وجَمِّ خاطرك ، وحاضرِ عليك ؛ ودعْ عنك تَفَنُّنَ  
البغداديين<sup>(٣)</sup> . . . . .<sup>(٤)</sup> مع غفوَ لفظك ، وزائدِ رأيك ، وربِّحْ<sup>(٥)</sup> ذِهْنِكَ ؛  
ولا تَجَبُنْ جُبْنَ الضُعفاء ، ولا تَتَأَطَّرْ<sup>(٦)</sup> تأطَّرَ الأغبياء ؛ وأجزِمِ إذا قلت ، وبالغِ إذا  
وصفت ؛ وأصدق إذا أسندت ، وأفضل إذا حكمت ، إلَّا إذا عَرَضَ لك

(١) اللسان الذليق : الحاد البليغ .

(٢) « ولا تفرق » .

(٣) يريد بتفنن البغداديين : استطرادهم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن .

(٤) هنا كلمة مطبوسة بالأصل لا يمكن قراءتها .

(٥) ربِحْ ذهْنك ، أى فضلتَه .

(٦) التأطَّر : التعبس والتثني ، شبه به وقوف النفي وتردده في جواب ما يسأل عنه .



ما يوجب توقفا أو تهاديا<sup>(١)</sup> ؛ وما أحسن ما قال الأول :

لا تَدَّخُ الظَّنَّ فِي حُكْمِهِ شَيْئُهُ عَدْلٌ وَإِنْصَافٌ

يَمُضِي إِذَا لَمْ تَلْقَ شَبَهُهُ وَفِي اعْتِرَاضِ الشَّكِّ وَقَافٌ

وقد قال الأول :

أَبَالِي الْبَلَاءِ وَإِنِّي أَمْرُوهُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ<sup>(٢)</sup>

وكن على بصيرة أني سأستدل بما أسمعك منك في جوابك عما أسألك عنه

على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقرافه<sup>(٣)</sup> .

قلت قبل : كل شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصري على ما يراد<sup>(٢)</sup>

متى فإني إن منفعته نكلت ، وإن نكلت قل إفصاحي عما أطلب به

ونخفت الكساد ، وقد طمعت بالنفاق<sup>(٤)</sup> وأقلبت بالخيبة ، وقد عقدت

خنيصري على المسألة . فقال — حرص الله روحه — : قل — عافاك الله —

ما بدالك ، فأنت مجاب إليه ما دمت ضامنا لبلوغ إرادتنا منك ، وإصابة

غرضنا بك .

قلت : يؤذن لي في كاف الخطابية ، وتاء المواجهة ، حتى أخلص من مزاحمة

الكناية ومضايقة التعريض ، وأركب جدد<sup>(٥)</sup> القول من غير تقية<sup>(٦)</sup> ولا تحاش

(١) التهادي : للمضي الرقيق في تمثيل .

(٢) في الأصل « ارتب » ؛ وهو تحريف .

(٣) قرافه ، أي ارتكابه . يقال : قارف الذنب واقترفه ، إذا خالطه .

(٤) النفاق ضد الكساد .

(٥) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض لا وعث فيه ولا جبل ولا أكمة ، شبه به

القول الذي لا عوج فيه ولا التواء .

(٦) « تقة » .

ولا مُحَاوَنَةً<sup>(١)</sup> ولا انْحِيَاشَ<sup>(٢)</sup> .

- (٣) قال : لك ذلك ، وأنت المأذون فيه ، وكذلك غيرك ، وما في كاف المخاطبة وتاء المواجهة ؟ إن الله تعالى — على علو شأنه ، وبسطة ملكه ، وقدرته على جميع خلقه — يواجه بالتاء والكاف ، ولو كان في الكناية بالهاء رفعة وجلالة وقدر ورتبة وتقديس وتمجيد لكان الله أحق بذلك ومقدماً فيه ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله — عليهم السلام — وأصحابه — رضى الله عنهم — والتابعون لهم بإحسان — رحمة الله عليهم — وهكذا الخلفاء ، فقد كان يقال للخليفة : يا أمير المؤمنين أعزك الله ، ويا عمرُ أصلحك الله ؛ وما عاب هذا أحد ، وما أنف منه حسيب ولا نسيب ، ولا أباه كبير<sup>(٣)</sup> ولا شريف ؛ وإني لأعجب من قوم يرغبون عن هذا وشبهه ، ويحسبون<sup>(٤)</sup> أن في ذلك ضعة أو نقيصة أو خطأ أو زرية ، وأظن أن ذلك لعجزهم وفُسُولَتِهِمْ<sup>(٥)</sup> ، وانخزالهم<sup>(٦)</sup> وقتلهم وضُؤُولَتِهِمْ ، وما يجدونه من الغضاضة في أنفسهم ، وأن هذا التكلف والتجبر يحوان عنهم ذلك النقص ، وذلك النقص ينتفي بهذا الصلف ؛ هيات ، لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخيلاء ، ومن مقابح الزهو والكبرياء .
- (٤) فقلتُ : أيتها الوزير ، قد خالطت العلماء ، وخدمت الكبراء وتصفحت أحوال الناس في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ، فما سمعتُ هذا المعنى من أحد على

(١) لعله : مواربة .

(٢) الانحياش : الاتقياض .

(٣) « كثير » .

(٤) « يفتشون » .

(٥) الفسولة : الحسة والضعف .

(٦) انخزالهم ، أى انقطاعهم وتخلفهم عن طلب العالي .



هذه السَّيَاقَةُ الحسنة والحجَّةُ الشافية والبلاغُ المبين ؛ وقد قال بعض السلف الصالح :  
« مَا تَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَصَاغَرَ لِمَنْ فَوْقَهُ » . والتصاغر دواء  
النفس ، وسجِّيةُ أهل البصيرة في الدنيا والدين ؛ ولذلك قال ابن السَّكَّ (١) للرشيد  
— وقد عَجِبَ من رِقَّتِهِ وحُسْنِ إصاخَتِهِ لموعظتِهِ وبلغَ قبولُهُ لقوله وسرعةَ دمعَتِهِ  
على وجنتِهِ — : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَوَاضَعُكَ فِي شَرْفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرْفِكَ ، وَإِنِّي  
أُظَنُّ أَنَّ دَمْعَتَكَ هَذِهِ قَدْ أَطْفَأَتْ أَوْدِيَةَ مِنَ النَّارِ وَجَعَلَتْهَا بَرْدًا وَسَلَامًا » .

قال (٢) : هَذَا بَابٌ مُفْتَرَقٌ فِيهِ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْحَدِيثِ [ فَإِنَّهُ شَهِيٌّ ، سِيًّا إِذَا  
كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ (٣) الْعَقْلِ ] قَدْ خُدِمَ بِالصُّوَابِ فِي نَفْعَةٍ نَائِغَةٍ ، وَحُرُوفٌ مُتَقَاوِمَةٌ ؛  
وَلَفْظٌ عَذْبٌ ، وَمَأْخَذٌ سَهْلٌ ؛ وَمَعْرِفَةٌ بِالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ ، وَوَفَاءٌ بِالنَّثْرِ وَالسَّجْعِ ؛  
وَتَبَاعُدٌ مِنَ التَّكَلُّفِ الْجَانِي ، وَتَقَارُبٌ فِي التَّلَطُّفِ الْخَافِي ، قَاتِلٌ لِلَّهِ ذَا الرُّمَّةِ (٤)  
حَيْثُ يَقُولُ :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ (٥) وَلَا نَزْرُ  
وَكُنْتُ أَنْشِدُ أَيَّامَ الصَّبَا هَذَا (٦) بِالذَّالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ تَلْقِينِ الْمَعْلَمِ ؛ وَبِالْعِرَاقِ  
رُدُّ عَلَى وَقِيلَ : هُوَ بِالزَّايِ ؛ وَقَدْ أَجَادَ الْقَطَامِيُّ (٧) أَيْضًا وَتَغَزَّلَ فِي قَوْلِهِ :

(١) انظر التعريف بابن السكك رقم ٤ صفحة ١٤ .

(٢) قال ، أي الوزير .

(٣) عبارة الأصل « خاصة سيبا إذا كان من طيران العقل » .

(٤) ذو الرمة ، هو غيلان بن عقبة بن نهيس أحد فحول الشعراء الأمويين ، توفي سنة سبع عشرة ومائة عن أربعين سنة .

(٥) رخم الحواشي : ناعمها . والهراء : المنطق الكثير ، والنزر : القليل .

(٦) هذا ، أي قوله في البيت السابق : « نزر » .

(٧) القطامي لقب علي عمير بن شيم التغلبي من بني جهم بن بكر ، وهو شاعر إسلامي  
مقل ، وكان نصرانيا .

فَهْنٌ<sup>(١)</sup> ينبذن من قول يُصَبِّن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى قلتُ : ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له : أتمَل الحديث ؟ قال : إنما يُمَلّ العتيق<sup>(٢)</sup> ، والحديث معشوق الحسِّ بمعونة العقل ، ولهذا يُولَم به الصبيان والنساء ، فقال : وأى معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم ؟ قلتُ : ههنا عقلٌ بالقوة وعقلٌ بالفعل ، ولهم أحدهما وهو العقل بالقوة ، وههنا عقلٌ متوسط بين القوة والفعل مُزِيع<sup>(٣)</sup> ، فإذا برز فهو بالفعل ، ثم إذا أستمَرَّ<sup>(٤)</sup> العقل بلغ الأفق ؛ ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وضع<sup>(٥)</sup> فيه الباطل ، وخُلط بالُمُحال ووُصِل بما يُعجب ويُضحك ولا يؤول إلى تحصيل وتحقيق ، مثل (هزار أفسان<sup>(٦)</sup>) وكل ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات ؛ والحسُّ شديد اللَهج<sup>(٧)</sup> بالحادث والمُحدث والحديث ، لأنه قريب العهد بالكون ، وله نصيب من الطرافة . ولهذا قال بعض السلف<sup>(٨)</sup> : « حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدُّثور » ، كأنه أراد أصقلوها وأجلوا الصَّدأ عنها ، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير ، فإنها إذا دَثرت — أى صَدِثت ، أى تَغَطَّت ؛ ومنه الدُّثار الذى فوق الشُّعار — لم يُنتفع بها ؛

(١) « فهل » .

(٢) العتيق : القديم .

(٣) استعار الإزمام هنا لمعنى التهيؤ والاستعداد للظهور .

(٤) استمر ، أى قوى واستحكم ، من المرة بكسر الميم وتشديد الراء ، وهى القوة .

(٥) ما وضع ، أى وضع ، « ما » هنا زائدة ، وهو تعبير شائع الاستعمال فى كلام المؤلف .

(٦) فى الأصل « حسان » ؛ وهو تحريف . وهزار أفسان كتاب فى الخرافات نقل

ابن النديم معنى هذا الاسم ألف خرافة . ويستفاد مما ذكره من السبب فى تأليفه أنه أصل

(لكتاب ألف ليلة وليلة) المعروف ، فقد ذكر أن بعض الملوك كان إذا تزوج امرأة وبات معها

ليلة قتلها من الفد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لهن عقل ودراية يقال لها « شهرزاد »

فلما حصلت معه ابتدأت تحدّثه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استيقاظها ،

ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن آتى عليها ألف ليلة الخ .

(٧) « الكهج » .

(٨) يروى هذا الحديث عن الحسن .



والتعجب كله مَنِيوطٌ بالحدوث ؛ وأما التعظيم والإجلال فهما لكل ما قَدُمَ : إما بالزمان ، وإما بالدهر ؛ ومثال ما يقدّم بالزمان الذهب والياقوت وما شابههما من الجواهر التي بعد العهد بمبادئها ، وسيمتدّ العهد جدا إلى نهاياتها ؛ وأما ما قَدُمَ بالدهر ، فكالعقل والنفس والطبيعة ؛ فأما الفلكُ وأجرامُه الزهريةُ في المعانقة المعجبية ، ومَنَاطِقُه الخفيةُ ، فقد أخذت من الدهر صورةً إلهيةً ، وأحدثت فيما سلف منها صورةً زمانيّةً .

(١) فقال : بَقِيَ أن يتصل به <sup>(١)</sup> نعتُ العتيق والخلق ، فكان من الجواب أن العتيق يقال على وجهين : فأحدهما يشار به إلى الكرم والحُسن والعظمة ، وهذا موجودٌ في قول العرب : « البيت العتيق » ؛ والآخرُ يشار به إلى قَدَم من الزمان مجهول . فأما قولهم : « عبد عتيق » ، فهو داخل في المعنى الأول ، لأنه أكرم بالعتيق ، وأرتفع عن العبوديّة ، فهو كريم . وكذلك « وجه عتيق » لأنه اعتقته الطبيعة من الدمامة والقبح . وكذلك « فرس عتيق » .

وأما قولهم : « هذا شيء خلق » ، فهو مضمّن معنيين : أحدهما يشار به إلى أن مادّته بالية <sup>(٢)</sup> ؛ والآخر أن نهايةَ زمانه قريبة . وكان ابنُ عبّاد قال لكتابه مرّة — أعنى ابنُ حنّوالة <sup>(٣)</sup> — في شيء جرى ... : « نَعَمْ ، العالمُ عتيق ولكن ليس بقديم » أي لو كان قديما لكان لا أول له ، ولمّا كان عتيقا كان له أول ، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنّه قديم ، وأستحسنوا هذا الإطلاق . وقد سألتُ العلماء البُصراء عن هذا الإطلاق ، فقالوا : ما وجدنا

(١) ب ، أي بالحديث الثّاني سبق الكلام فيه .

(٢) « سائلة » ؛ وفيه تحريف وقلب .

(٣) في الأصل « ابن حنّو » ، وقد جاء اسمه في معجم الأدباء : أبا القاسم بن حنّوالة ، ومرّة يسميه : أبا القاسم الحنّو ، وذكر في بعض المواضع أنه كان يمرض الأوراق على الصاحب ابن عبّاد ، فالظاهر أنه هو المراد .

هذا في كتاب الله — عز وجل — ولا كلامٍ نبيّه — صلى الله عليه وسلم — ولا في حديث الصحابة والتابعين . وسألت أبا<sup>(١)</sup> سعيد السيرافي الإمام : هل تعرف العرب أن معنى القديم ما لا أول له ؟ فقال : هذا ما صح عندنا عنهم ولا سبق إلي وهما هذا منهم ، إلا أنهم يقولون : « هذا شيء قديم » « وبنيان قديم » ويسرّحون<sup>(٢)</sup> وهم في زمانٍ مجهولٍ المبدأ .

(٧) فقال : قد مرّ في كلامك شيء يجب البحث عنه ، ما الفرق بين الحادث والمُحدث والحديث ؟ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلحظ نفسه [ والمُحدث ما يُلحظ<sup>(٣)</sup> ] مع تعلقٍ بالذي كان عنه محدثاً . والحديث كالمُتوسط بينهما مع تعلقٍ بالزمان ومن كان منه .

وهنا شيء آخر ، وهو الحدّثان والحديثان ؛ فأما الأول فكأنه لما هو<sup>(٤)</sup> مضارعٌ للحادث ، وأما الحدّثان فكأنه اسم للزمان فقط ، لأنه يقال : « كان كذا وكذا في حدّثان ما ولي الأمير » ، أي في أول زمانه ، وعلى هذا يدور أمر<sup>(٥)</sup> الحدث والأحداث والحادثات والحوادث . « وفلان حدّثٌ مُلوّكٌ » كله من ديوان واحد وواد<sup>(٦)</sup> واحد وسبّك واحد . قال : « ما الفرق بين حدّث وحدّث » ؟ قلتُ : لا فرق بينهما إلا من جهة أن حدّث تابع لقدم ، لأنه يقال : أخذته ما قدم<sup>(٧)</sup> وما حدّث ؛ فإذا قيل لإنسان : حدّث يا هذا . فكأنه قيل له :

(١) في الأصل « أنا » ؛ وهو تحريف . وأبو سعيد السيرافي هو الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي النحوي المعروف ؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وتوفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(٢) ويسرّحون « ؛ بالشين .

(٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) لما هو ، أي موضوع لما هو .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل بعد قوله : « الحدث » ؛ كما أن داءها كتبت في الأصل

« نونا » . واستقامة الكلام تقتضي ما أثبتنا .

(٦) في الأصل « وهو » ولا معنى له .

(٧) « أخذته ما قدم وما حدث » ، أي أخذته المصوم والأفكار القديمة والحديثة .



صِلْ شيئاً بالزمان يكون به في الحال ، لا تقدّم له من قبل .  
ثم رجعتُ فقلت . ولقوائد الحديث ماصنّف (أبو زيد) <sup>(١)</sup> رسالة لطيفة الحجم  
في المنظر ، شريفة الفوائد في المخبر ، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة  
والتجربة في الأخبار والأحاديث ، وقد أحصاها وأستقصاها وأفاد بها ، وهي  
حاضرة . فقال احملها وأكتبها ، ولا تَمِلْ إلى البخل بها على عادة أصحابنا  
الغثا . قلتُ : السمع والطاعة .

ثم رَوَيْتُ أَنَّ عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه : قد قضيتُ الوطر  
من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزُّهر ، على التلال <sup>(٢)</sup> العُمر <sup>(٣)</sup> .  
وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز قال : والله إنّي لأشتري  
[ المحادثة ] <sup>(٤)</sup> من عبْد الله <sup>(٥)</sup> بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود بألف دينار  
من بيت مال المسلم بن . فقيل : يا أمير المؤمنين ، أقول هذا مع تحرّيك وشدة  
تحفظك وتنزّهك ؟ فقال : أين يُذهب بكم ؟ والله إنّي لأعود برأيه ونصحه  
وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوفٍ دنانير ، إن في المحادثة تلقيحاً  
للعقول ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهمم ، وتنقيحاً للأدب .

(١) الرابع أنه يريد أبا زيد أحمد بن سهل البلخي كان من المتكلمين الفلاسفة الأدباء  
وكان يقال له « جاحظ خراسان » ألف كتباً كثيرة منها كتاب فضيلة علم الأخبار وكتاب  
النوادر في فنون شتى ولعل أحد هذين الكتابين هو الذي يشير إليه أبو حيان ، وكان  
أبو حيان يعجب به وقد قال فيه : « انه لم يتقدم له شبيه في العصر الأول ولا يظن أنه يوجد  
له نظير في مستأنف الدهر » ، مات سنة ٣٢٢ عن سبع أو ثمان وثمانين سنة .

(٢) في الأصل « الكلال » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . وفي رواية « على  
الكتبان » ؛ وهو بضم الكاف بمعنى التلال كما أثبتنا .

(٣) في الأصل « العمر » بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل .

(٥) هو أحد الفقهاء السبعة كان إماماً عالماً وكان أعمى قال البخاري إنه مات سنة ٩٤

وهذا لا يتفق وخلافه عمر بن عبد العزيز وقال ابن المديني سنة ٩٩ وهذا متفق مع هذه القصة .

قال : صدق هذا الإمام في هذا الوصف ، إن فيه <sup>(١)</sup> هذا كله .  
قلت : وسمعتُ أبا سعيد <sup>(٢)</sup> السيرافي يقول : سمعتُ ابن السراج <sup>(٣)</sup> يقول :  
دخلنا على ابن الرومي <sup>(٤)</sup> في مرضه الذي قضى فيه ، فأنشدنا قوله <sup>(٥)</sup> :  
ولقد سئمتُ مآربي فكانَ أطيبها خبيثُ  
إلا <sup>(٦)</sup> الحديثَ فإنه مثلُ اسمه أبدا حديثُ

وقال سليمان بن عبد الملك : « قد ركبنا الفاره <sup>(٧)</sup> ، وتبطننا الحسناء ، ولبسنا  
اللين ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه <sup>(٨)</sup> ، وما أنا اليوم [إلى شيء] <sup>(٩)</sup> أحوجُ  
منِّي إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا يمتجّه السمع ، ويطرَب  
إليه القلب » . وهذا أيضا حقٌّ وصواب ، لأنَّ النفس تملُّ ، كما أنَّ البدن يَكِلُّ ؛  
وكما أنَّ البدن إذا كلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا ملَّت طلبت الروح <sup>(١٠)</sup>  
وكما لا بد للبدن أن يستمدَّ <sup>(١١)</sup> ويستفيد بالجَمَام <sup>(١٢)</sup> الزاهب بالحركة الجالبة

- (١) فيه ، أي في الحديث .  
(٢) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ صفحة ٢٥ .  
(٣) هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ، أخذ الأدب  
عن أبي العباس المبرد ، وأخذ عنه جماعة : منهم أبو سعيد السيرافي ؛ وله التصانيف المشهورة  
في النحو وتوفي سنة ست عشرة وثلاثمائة .  
(٤) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي الشاعر المعروف .  
ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين . وقيل غير ذلك .  
(٥) ورد من هذا اللفظ في الأصل القاف والواو وحدهما .  
(٦) « بلا » .  
(٧) في الأصل « الفاره » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والفرار من الدواب : النشيط  
الحاد القوي .  
(٨) أجمناه ، أي كرهناه ومللناه من المداومة عليه .  
(٩) لم ترد هذه التكملة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن (عيون الأخبار) .  
(١٠) الروح بفتح الراء : الراحة .  
(١١) « يستند » .  
(١٢) الجمام بفتح الجيم : الراحة .



لِلنَّصَبِ وَالضَّجَرِ ، كَذَلِكَ لَا بَدَّ لِلنَّفْسِ مِنْ أَنْ تَطْلُبَ الرُّوحَ عِنْدَ تَكَاثُفِ الْمَلَلِ الدَّاعِي إِلَى الْحَرَجِ<sup>(١)</sup> فَإِنَّ الْبَدْنَ كَثِيفُ النَّفْسِ ، وَلِهَذَا يُرَى بِالْعَيْنِ ، كَمَا أَنَّ النَّفْسَ لَطِيفَةُ الْبَدَنِ ، وَلِهَذَا لَا تَوْجَدُ إِلَّا بِالْعَقْلِ ؛ وَالنَّفْسُ صِفَاءُ الْبَدَنِ ، وَالْبَدَنُ كَدَرُ النَّفْسِ . فَقَالَ : أَحْسَنْتَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ عَلَى هَذِهِ التَّوْشِيحَاتِ وَأَعْجِبْنِي<sup>(٢)</sup> تَرَحُّمُكَ عَلَى شَيْخِكَ أَبِي سَعِيدٍ ، فَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَسْمَحُ<sup>(٣)</sup> بِهَذَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَأْبَهُ لِهَذَا الْفِعْلِ ؛ هَاتِ مُلْحَةَ الْوَدَاعِ حَتَّى نَفْتَرِقَ عَنْهَا ، ثُمَّ نَأْخُذْ لَيْلَةً أُخْرَى فِي شُجُونِ الْحَدِيثِ .

(٨) قلت : حَدَّثَنَا ابْنُ سَيْفٍ الْكَاتِبُ الرَّاوِيَةُ ، قَالَ : رَأَيْتُ جَحْظَةَ<sup>(٤)</sup> قَدْ دُمَا بِنَاءً لِبَنِي لَهُ حَائِطًا ، فَخَضِرُ<sup>(٥)</sup> ، فَلَمَّا أَمْسَى أَقْتَضَى الْبِنَاءَ الْأَجْرَةَ ، قَتَمَا كَسَا<sup>(٦)</sup> وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ طَلَبَ عَشْرِينَ دِرْهَمًا ؛ فَقَالَ جَحْظَةُ : إِنَّمَا عَمِلْتَ يَا هَذَا نَصْفَ يَوْمٍ وَتَطْلُبُ عَشْرِينَ دِرْهَمًا ؟ قَالَ : أَنْتَ لَا تَدْرِي ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ حَائِطًا يَبْقَى مِائَةَ سَنَةٍ ؛ فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ وَجَبَ الْحَائِطُ وَسَقَطَ ؛ فَقَالَ جَحْظَةُ : هَذَا عَمَلُكَ الْحَسَنُ ؟ قَالَ : فَأَرَدْتُ أَنْ يَبْقَى أَلْفَ سَنَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ كَانَ يَبْقَى إِلَى أَنْ تَسْتَوِفِي أَجْرَتَكَ . فَضَحَكَ — أَضْحَكَ اللَّهُ سَنَهُ —

(١) « الجرح » .

(٢) يلاحظ أنه لم يرد في هذه النسخة عند ذكر أبي سعيد السيرافي قوله — رحمه الله — فلعله قد سقط من النسخ هناك :

(٣) « كسمح » .

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الشاعر المعروف ، كان من ظرفاء عصره وكان صاحب فنون ونوادر ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة . وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسط ، ودفن ببغداد .

(٥) في الأصل « وخضر بنا » وبنا لا معنى لها .

(٦) تماكسا ، أي تشاحا في الأجرة ؛ يقال : ما كسه في البيع ونحوه : إذا شاحه فيه واستعطه الثمن واستنقصه إياه .

## الليلة الثانية

ثم حضرت ليلةً أخرى ، فقال : أوّل ما أسألك عنه حديثُ أبي سليمان <sup>(١)</sup> (١) المنطقيّ كيف كان كلامُه فينا ، وكيف كان رضاه عنّا ورجاؤه <sup>(٢)</sup> بنا ، فقد بلغني أنّك جارُه ومعاشره ، ولصيقه وملازمه وقافي خطوه وأثره ، وحافظُ غاية خبره . فقلتُ : والله أيّها الوزير ، ما أعرف اليوم ببغداد — وهي الرقعة الفسيحة الجامعة ، والعرصة <sup>(٣)</sup> العريضة الغاصّة — إنساناً أشكرَ لك ، وأحسنَ ثناءً عليك ، وأذهبَ في طريق العبوديّة معك ، منه ؛ ولقد سكرَ <sup>(٤)</sup> الآذان وملاً البقاع بالدعاء الصالح ، رَفَعَهُ اللهُ إليه ، والثناء الطيّب أشاعه اللهُ ؛ وقد عمل رسالة في وصفك ذكر فيها ما آتاك اللهُ وفضلك به من شرفٍ أعزّيك ، وكرمٍ أخلاقك وعلوّ همّتك ، وصدقِ حَدْسِك وصوابِ رأيك ، وبركةِ نظرك ، وظهورِ غنائك ، وخِصْبِ فنائك ، ومحبةِ أوليائك ، وكَدِّ أعدائك ، وصباحةِ وجهك ، وفصاحةِ لسانك <sup>(٥)</sup> ، ونُبْلِ حَسَبِك <sup>(٦)</sup> ، وطهارةِ غَيِّبك <sup>(٧)</sup> ، ويمنِ تقييتك ، ومحمود

(١) أبو سليمان هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني أكبر علماء بغداد في عصر أبي حيان في المنطق والحكمة والفلسفة كان مجلسه حافلاً بالعلماء والحكماء واسع الاطلاع في الفلسفة اليونانية وكان به عور وبرس يمنعانه من غشيان مجالس الأسماء والوزراء وهو أكبر شيوخ أبي حيان في الفلسفة مات على أغلب الظن في السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجري .

(٢) ورجاؤه بنا ، أي رجاءه المقود بنا . وفي الأصل : « وأرجاؤه » والألف زيادة من النسخ .

(٣) العرصة : الساحة الواسعة .

(٤) سكر الآذان : ملاًها . وفي الأصل : « شكر » بالثين ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « رخم لسانك » وقوله : « رخم » من زيادات النسخ إذ لا معنى

لها ولا تستقيم مع السياق .

(٦) « وتقلحك » .

(٧) « عيك » .



شيمتك ، ودقيق ما أودع الله فيك ، وجليل ما نشر الله عنك ، وغريب ما يرى منك ، وبديع ما يُنتظر لك من المراتب العلية ، والخيرات الواسعة والدولة الوادعة ، وهي تصل إلى مجلسكم في غد أو بعده — إن شاء الله — وكان هذا منه [قياما] <sup>(١)</sup> بالواجب ، فإنك نَعَشْتَ روحه وكان خَفَت ، وبصْرته وكان عَشِي ؛ وأُنبت جناحه وكان قد حُصَّ <sup>(٢)</sup> ، بالرسم الذي وصل إليه لأنه كان قَنِط منه وهو قَنوطٌ ، وسمته يقول مرارا : من يذكركني وقد مضى الملك <sup>(٣)</sup> — رضوان الله عليه — ومن يَخْلُفه في مصلحتي ، ويجري على عادته معي ؟ ومن يسأل عني ، ويهتم بحالي ؟ هيات ، فُقد والله بالأمس من <sup>(٤)</sup> يطول تَلَفُّنَا إليه ويدوم تَلَهُّفُنَا عليه \* إنَّ الزمان بِمِثْلِهِ لَبَخِيل \* كان والله شمسَ المعالي وغمرة الزمن وحامل الأثقال ، وملتقى <sup>(٥)</sup> القفال ، وعحقَّ الأقوال والأفعال ، ومجى لُجْم <sup>(٦)</sup> الأحوال على غاية الكمال ؛ كان والله فوق المتمنى ، وأعلى من أن يلحق به نظير ، أو يوجد له مماثل ؛ لذته لَمَحَّ <sup>(٧)</sup> في تهذيب الأمور ، وهواه وقف على صلاح من في إصلاحه صلاح ونفي من في نفيه تطهير ؛ ولولا أن عمر الفتى الأريحي قصير ، لكنا لا نُبتلى بفقدِهِ ، ولا نتحرق على فوْت ما كان لنا بحياته ؛ الدنيا ظُلوم ، والإنسان فيها مظلوم .

- (١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .  
 (٢) يقال : « حص الریش والشعر » ، إذا انتثا . وكنى بحص الجناح عن الفقر ، وبناته عن الغنى .  
 (٣) الظاهر أنه يريد بالملك « عضد الدولة » البويهى .  
 (٤) عبارة الأصل « مر بطول تلقينا » وهي محرفة في جميع ألفاظها .  
 (٥) في الأصل « ومكتنى الأفعال » ؛ وهو تحريف . والقفال : المسافرون ، سموا بذلك تفاؤلا بقفولهم إلى أوطانهم ، أى رجوعهم إليها .  
 (٦) استعمل اللجم في معنى الخيل مجازا . وفي الأصل : « لُجاء » ؛ وهو تحريف .  
 (٧) الملح ، النظر الخفيف . والمراد بهذا اللفظ وصفه بالفطنة والألمية حتى إنه لينظر إلى الأمور نظرا خفيفا فيكفيه ذلك عن التأمل والإيمان .

فلما وصل إليه ذلك الرسم — وهو مائة دينار — وحاجته مائة إلى رفيف ، وحوّله وقوّته قد عجزا<sup>(١)</sup> عن أجرة مسكنه ، وعن وجه غدائه وعشائه عاش .

ومما زاد في حديث الرسم أنه وصل إليه مع العذر الجليل ، والوعد العريض الطويل ؛ ولورأيته وهو يترقل ويتحنك<sup>(٢)</sup> لعجبت . فقال : سررتني لسروره بما كان مني ، وإن عشت كفت الزمان عن ضييعه ، وفلّت<sup>(٣)</sup> عنه حدّ نابه ، ولولا الضمّانة<sup>(٤)</sup> مانعة<sup>(٥)</sup> عن نفسه ، ومُتمنّع معها بنفسه ؛ لفشّ هذا المجلس فيكم<sup>(٦)</sup> فاستأنس وآنس ، ولكنّه على حال لا محتمل له عليها ، ولا صبر عليه معها ؛ أتخفظ ما قال البديهيّ فيه ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنيّه ، فرويت :

أبو سليمان عالمٌ فطن ما هو في علمه بمنقَصٍ  
لكن تطيّرتُ عند رؤيته من عورٍ موحشٍ ومن برّصٍ  
وبأبنيه مثُلُ ما بوالده وهذه قصّة من القصصِ

فقال : قاتله الله ، فلقد أوجع وبألغ ، ولم يحفظ ذمام العلم ، ولم يقض حق الفتوة .. حدّثني عن درجته في العلم والحكمة ، وعرفني محله فيهما من محلّ أصحابنا

(١) ورد في الأصل بعد قوله « عجزا » تاء وكاف وميم ؛ ولم تبيين الصواب في هذه الحروف الثلاثة ؛ ولعلها زيادة من الناسخ .

(٢) يترقل ، أي يجر ذيله ويتبختر . ويتحنك ، أي يدير العمامة من تحت حنكه . كنى بالترقل والتحنك عن السرور والابتهاج بما وصل إليه من صلة الوزير .

(٣) « قلت » .

(٤) الضمّانة : العاهة في الجسد . وفي الأصل : « الجمّانة » ؛ وهو تحريف .

(٥) مانعة عن نفسه ، أي أن هذه العاهة مانعة لنا عن مجالسته . ومتمنّع معها بنفسه أي أنه هو متمنّع بنفسه مع هذه العاهة عن مجالستها .

(٦) « بكم » .



أَبْنُ زُرْعَةَ<sup>(١)</sup> وَأَبْنُ الْخَمَارِ<sup>(٢)</sup> وَأَبْنُ السَّمْحِ<sup>(٣)</sup> وَالْقَوْمَسِيُّ<sup>(٤)</sup> وَمَسْكُويَةُ<sup>(٥)</sup> وَنَظِيفٌ<sup>(٦)</sup> وَيَحْيَى بْنُ عَدَى<sup>(٧)</sup> وَعِيسَى بْنُ عَلِيٍّ<sup>(٨)</sup> . فَقُلْتُ : وَصِفْ هَؤُلَاءِ أَمْرًا مُتَعَدِّرًا ، وَبَابٌ مِنَ الْكُلْفَةِ شَاقٌّ ؛ وَلَيْسَ مِثْلِي مِنْ جَسَرٍ عَلَيْهِ ، وَبَلَغَ الصَّوَابُ مِنْهُ ؛ وَإِنَّمَا يَصِفُهُمْ مِنْ نَالِ دَرَجَةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَأَشْرَفَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَعَرَفَ حَاصِلَهُمْ وَغَائِبَتَهُمْ ، وَمَوْجُودَهُمْ وَمُنْقُودَهُمْ . فَقَالَ : هَذَا تَحَايُلٌ لَا أَرْضَاهُ لَكَ ، وَلَا أَسْلَمُهُ فِي يَدِكَ ، وَلَا أَحْتَمِلُهُ مِنْكَ ؛ وَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَهُمْ<sup>(٩)</sup> بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ مِنْهُمْ ، وَمَوْهَبُهُ<sup>(١٠)</sup> لَهُمْ ، وَمَسْئُوقُهُ إِلَيْهِمْ ، وَمَخْلُوعُهُ عَلَيْهِمْ ، عَلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا مَزِيدَ فِيهِ وَلَا نَقْصَ ؛ إِنَّمَا أُرَدْتُ أَنْ تَذَكَّرَ مِنْ كُلِّ

(١) ابْنُ زُرْعَةَ ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ عِيسَى بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زُرْعَةَ عَالِمٌ نَصْرَانِيٌّ مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ بَرَزَ فِي الْمُنْطَقِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَتَقَلَّ عِدَّةَ مَصْنُفَاتٍ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَتُوفِيَ كَمَا رَوَى الْقَفْطِيُّ سَنَةَ ٣٩٨ .  
(٢) ابْنُ الْخَمَارِ ، هُوَ أَبُو الْحَيْرِ الْحَسَنِ بْنُ سَوَّارٍ ، كَانَ كَذَلِكَ نَصْرَانِيًّا طَبِيبًا فِيلَسُوفًا تَقَلَّ كِتَابًا كَثِيرَةً مِنَ السَّرْيَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ .

(٣) ابْنُ السَّمْحِ ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ السَّمْحِ مِنْ مَنَاطِمَةِ بَغْدَادَ ؛ مَاتَ سَنَةَ ٤١٨ .  
(٤) الْقَوْمَسِيُّ ، هُوَ أَبُو بَكْرٍ الْقَوْمَسِيُّ الْمُتَفَلِّسُفُ . قَالَ أَبُو حَيَّانَ : إِنَّهُ كَتَبَ لِنَصْرِ الدَّوْلَةِ عَامِينَ .

(٥) مَسْكُويَةُ ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَسْكُويَةُ الْحَازَنُ ، كَانَ عَارِفًا بِالْفَلَسَفَةِ ، أَلْفَ كِتَابًا تَهْدِيبَ الْأَخْلَاقِ وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ ، وَكَانَ قِيَا عَلَى خَزَانَةِ كِتَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ثُمَّ قِيَا عَلَى خَزَانَةِ كِتَابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ اخْتَصَّ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ الْبُوبِيَّةِ وَعَظَّمَ عِنْدَهُ شَأْنَهُ وَمَاتَ سَنَةَ ٤٢١ .

(٦) نَظِيفٌ ، هُوَ النَّفْسُ نَظِيفُ النَّفْسِ الرَّومِيِّ ، كَانَ عَالِمًا جَيِّدَ النَّقْلِ مِنَ الْيُونَانِيِّ إِلَى الْعَرَبِيِّ وَكَانَ مِنْ أَفَاضِلِ الْأَطْبَاءِ ، وَعَيْنُهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي الْبِيَارِسْتَانِ الَّذِي أُنْشِأَ بِبَغْدَادَ .

(٧) يَحْيَى بْنُ عَدَى أَبُو زَكْرِيَّا ، كَانَ نَصْرَانِيًّا مُنْطَفِيًّا ، أَخَذَ الْفَلَسَفَةَ عَنْ أَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ وَبَشَرَ بْنِ مَتَّى ؛ وَلَهُ مَوْلاَتٌ كَثِيرَةٌ ، مَاتَ سَنَةَ ٣٦٤ .

(٨) عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ ، هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عِيسَى بْنُ الْوَزِيرِ الْكَبِيرِ عَلَى بْنِ عِيسَى الْجَرَّاحِ ، كَانَتْ عِيسَى عَالِمًا فَاضِلًا ، قَرَأَ الْمُنْطَقَ عَلَى يَحْيَى بْنِ عَدَى ، كَمَا دَرَسَ الْفِقْهَ وَالْأَدَبَ عَلَى عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، وَعَمِلَ فِي دِيَوَانِ الرِّسَائِلِ ؛ وَمَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٣٩١ . وَقَدْ تَقَلَّ عَنْهُ أَبُو حَيَّانَ كَثِيرًا مِنْ أَقْوَالِهِ فِي الْحِكْمَةِ فِي الْمَقَابِسَاتِ .

(٩) « نَعْتَهُمْ » .

(١٠) مَوْهَبُهُ لَهُمْ ؛ أَيُّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ ؛ يُقَالُ : أَوْهَبْتُ لَهُ الشَّيْءَ ، إِذَا أَعَدَدْتَهُ لَهُ .

وَاحِدٌ مَا لَاحَ مِنْهُ لَعِينُكَ ، وَتَجَلَّى لِبَصِيرَتِكَ ، وَصَارَ لَهُ بِهِ صُورَةٌ فِي نَفْسِكَ ؛  
فَأَكْثَرَ وَصَفَ الْوَاصِفِينَ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا يَجْرِي ، وَإِلَى هَذَا الْقَدَرِ يَنْتَهِي .

فَقُلْتُ : إِذَا قَنَعَ مِنِّي بِهَذَا ، فَإِنِّي أَخْذُمُ بِمَا <sup>(١)</sup> عِنْدِي ، وَأَبْلُغُ فِيهِ أَقْصَى جَهْدِي .  
أَمَّا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَإِنَّهُ أَدَقَّهُمْ نَظْرًا ، وَأَقْعَرَّهُمْ غَوْصًا ، وَأَصْفَاهُمْ فِكْرًا ، وَأَظْفَرَهُمْ  
بِالدَّرَرِ ، وَأَوْقَفُهُمْ عَلَى الْغُرْرِ ؛ مَعَ تَقَطُّعٍ فِي الْعِبَارَةِ ، وَلُكْنَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ <sup>(٢)</sup> الْمُجْمَعَةِ  
وَقَلَّةٍ نَظَرٍ فِي الْكُتُبِ ، وَفَرَطٍ أَسْتَبْدَادٍ بِالْخَاطِرِ ، وَحُسْنٍ أَسْتِنْبَاطٍ لِلْعَوِيصِ ، وَجَرَأَةٍ  
عَلَى تَفْسِيرِ الرَّمْزِ ، وَبِخَلٍّ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْكَتَرِ .

وَأَمَّا ابْنُ زُرْعَةَ فَهُوَ حَسَنُ التَّرْجُمَةِ ، صَحِيحُ النُّقْلِ ، كَثِيرُ الرُّجُوعِ إِلَى  
الْكِتَابِ ، مَحْمُودُ النُّقْلِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، جَيِّدُ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا جَلَّ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ؛  
لَيْسَ لَهُ فِي دَقِيقِهَا مَنَفَذٌ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا لَهُ مِنْ لَغْزِهَا مَا خِذٌ ، وَلَوْلَا تَوَزُّعٌ <sup>(٤)</sup> فِكْرِهِ  
فِي التِّجَارَةِ ، وَمَحَبَّةٌ <sup>(٥)</sup> فِي الرِّبْحِ ، وَحِرْصُهُ عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَشِدَّتُهُ عَلَى الْمَنَعِ ؛  
لَكَانَتْ قَرِيحَتُهُ تَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَغَائِمَتُهُ <sup>(٦)</sup> تَدِرُّ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مَبْدَدٌ مَنَدَّدٌ ، وَحُبٌّ  
الدُّنْيَا يُعِمِّي وَيُصِمُّ .

وَأَمَّا ابْنُ الْخَنَازَرِ فَقَصِيحٌ ، سَبَّطُ الْكَلَامِ ، مَذِيدُ النَّفْسِ ، طَوِيلُ الْعِنَانِ  
مَرَّضِي النُّقْلِ ، كَثِيرُ التَّدْقِيقِ ، لَكِنَّهُ يَخْلُطُ الدُّرَّةَ بِالْبَعْرَةِ <sup>(٧)</sup> وَيُفْسِدُ السَّمِينَ  
بِالْفَتِّ ، وَيَرْقَعُ الْجَدِيدَ بِالرِّثِّ ؛ وَيَشِينُ <sup>(٨)</sup> جَمِيعَ ذَلِكَ بِالزُّهْوِ وَالصَّلَافِ ، وَيَزِيدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « جَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) « مَعَ » .

(٣) « مَنِيدًا » .

(٤) « تَوَزَّعَ » .

(٥) « وَنَحْبَتُهُ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ « وَفَاتِهِ تَدْوُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ . وَالنَّائِمَةُ السَّحَابَةُ .

(٧) « الْبَقْرَةُ » .

(٨) « وَيَشِينُ » .



في الرقم <sup>(١)</sup> والسُّوم ، فما يجديه <sup>(٢)</sup> من الفضل يرتجعه بالنقص ؛ وما يعطيه بالالطف يسترده بالعنف ؛ وما يصفيه بالصواب ، يكدره بالإعجاب . ومع هذا يُصرَع <sup>(٣)</sup> في كل شهر مرة أو مرتين .

وأما ابن السمع ، فلا ينزل بفنائهم ، ولا يسقى من إنائهم ؛ لأنه دونهم في الجفط والنقل والنظر والجدل ، وهو بالتبّع <sup>(٤)</sup> أشبه ، وإلى طريقة الدعى أقرب ، والذي يحطه عن مراتبهم شيئان : أحدهما بلادة فهمه ، والآخر حرصه على كسبه ؛ فهو مستفرغ مُحْ <sup>(٥)</sup> البال مأسور العقل ، يأخذ الدائق <sup>(٦)</sup> والقيراط والحبة والطسوج والفلس بالصرف والوزن والتطفيف ؛ والقلب متى لم يُنق من دنس الدنيا لم يعبق بفوائح الحكمة ، ولم يتفوح <sup>(٧)</sup> برذع الفلسفة ، ولم يقبل شعاع الأخلاق الطاهرة المنفضية إلى سعادة الآخرة .

وأما القومسي أبو بكر ، فهو رجل حسن البلاغة ، حلو الكناية ، كثير الفقر المعجبية ، جماعة للكتب الغريبة ؛ محمود العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثير التردد <sup>(٨)</sup> في الدراسة ؛ إلا أنه غير نصيح في الحكمة ؛ لأن

(١) يزيد في الرقم ، أى يزيد في حديثه ويكذب . ويريد بالزيادة في السوم : الغفلة ، وأصل السوم في البياضة عرض السلعة للبيع .

(٢) في الأصل « يديه » وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا بدليل مقابلته بقوله بعد « يرتجعه » الخ .

(٣) « يصرح » بالخاء .

(٤) « بالمسبح » .

(٥) مع البال ، أى خالعه .

(٦) الدائق : سدس القدم . والقيراط : نصف دائق . والحبة : وزن شعيرتين .

والطسوج : ربع الدائق .

(٧) في الأصل « ولم يتفرخ بربع » ؛ وهو تصحيف ضوابه ما أثبتنا كما يرجعه قوله

قل : « لم يسبق بفوائح » . وردع الطيب : أثره في الثوب والبدن .

(٨) « التردد » .

قريحته ترايبية ، وفكرته سحائية ؛ فهو كالمقلد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ؛ مع حبٍ للدنيا شديد ، وحسد لأهل الفضل عتيد .  
 وأما مسكويه ، فقدير بين أغنياء ، وعي<sup>(١)</sup> بين أبناء<sup>(٢)</sup> ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته في هذه الأيتام (صفوة الشرح لإيساغوجي) وقاطيفورياس ، من تصنيف صديقنا بالرئي . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري ، ومحمده معي ؛ وهو<sup>(٣)</sup> الآن لائد بابن الحمار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه محب<sup>(٤)</sup> في هذا الوقت للحسرة التي لحقته فيما فاتته من قبل .  
 فقال : يا عجبا لرجل محب ابن العميد أبا الفضل ورأى من كان عنده وهذا حفظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك<sup>(٥)</sup> المهمة في طلبه والحرص على إصابته مفتونا<sup>(٦)</sup> بكُتب أبي زكرياء ، وجابر بن حيان ؛ ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كُتبه ؛ هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته<sup>(٧)</sup> الضرورية والشهوية ؛ والمرقصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة<sup>(٨)</sup> والفرص بروق تأتلق<sup>(٩)</sup> ، والأوطار في عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فواتها تذوب

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحرفين الأخيرين من النقط .

(٢) « أبناء » .

(٣) في الأصل « وهو الآن لا يكيلين الحمار » . وما أثبتناه عن معجم الأدباء في ترجمة

ابن مسكويه .

(٤) « محب في هذا الوقت للحيرة » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٥) « المملوك » .

(٦) « مقتنا » .

(٧) « في الحاجات » . وفي هذه الكلمة حروف زائدة من الناسخ ؛ والسياق

يقتضي ما أثبتناه .

(٨) « دائمة » .

(٩) « تكتلق » .



وتحترق ؛ ولقد قطن العاصري<sup>(١)</sup> الرّبيّ خمس سنين مُجمعة<sup>(٢)</sup> ودرس وأملّى وصنّف ورَوَى فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنّه بينه وبينه سدّ ؛ ولقد تجرّغ على هذا التّواني الصّابَ والعلم ، ومضغ بضمه حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع الملامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كلّ . وبعدُ فهو ذكيّ حسن الشّعْر نقيّ اللفظ ، وإن بقي ففساه يتوسط هذا الحديث ، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وإتقائه زمانه وكذبته<sup>(٣)</sup> وقلبه في خدمة السلطان ، وأحترقه في البخل بالدائق والقيراط والكسرة والخرقة ؛ نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ، وإيثار الشّعْخ بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقة العمل ؛ وهذا هو الشقاء المصبوب على هامة من بُليّ به ، والبلاء المعسوب<sup>(٤)</sup> بناصية من غلب عليه .

وأما عيسى بن عليّ ، فله الذّرع الواسع والصّدْر الرّحيب في العبارة ، حجة في النقل والترجمة ، والتصرّف في فنون اللغات ، وضروب المعاني والعبارات ؛ وقد تصفّح ما لم يتصفّح كثير من هذه الجماعة ، وقلب بخزائن الكبراء والسادات ، وأعين<sup>(٥)</sup> بالمر الطويل والفراغ المديد ؛ ولكنه مع هذا الفضل الكثير بخيل

(١) العاصري ، هو أبو الحسن محمد بن يوسف العاصري ، فيلسوف معاصر لابن سينا وكانت بينهما مباحثات في الفلسفة ، ومن جملة كتب ابن سينا كتاب الأجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العاصري ، ويقول أبو حيان في المقابسات إنه كان من أعلام عصره وكان متبحرا في الفلسفة اليونانية منكبا على كتب أرسطو وله على بعضها شروح ؛ وقد اتصل بابن العميد وقرأ معاً عدة كتب ، وتوفي نحو سنة ٣٨٠ .

(٢) جمعة ، أي مجموعة .

(٣) « وكذبته » .

(٤) « المنسوب » بالنون .

(٥) « وأعين » .

بكلمة واحدة ، وَنَصِيحٌ<sup>(١)</sup> عَلَى وَرَقَةٍ فارغة ، لسودائه الغالبة عليه ، ومزاجه  
التشيط<sup>(٢)</sup> بها .

وَأَمَّا نَقْلِيْفٌ ، فَإِنَّهُ مَتَوَسِّطٌ ، لَا يَسْفِلُ<sup>(٣)</sup> عَنْ أَقْلَهُمْ حَفْظًا وَلَا يَعْلُو عَلَى  
أَكْثَرِهِمْ نَصِيْبًا ؛ وَيَدُهُ فِي الطَّبِ أَطْوَلُ ، وَلِسَانُهُ فِي الْمَجَالِسِ أَجْوَلُ ؛ وَمَعَهُ رَفَقٌ  
وَحَذَقٌ فِي الْعَدَلِ .

وَأَمَّا يَحْيَى بْنُ عَدِيٍّ ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا لَيْنَ الْعَرِيكََةِ فَرْوَقَةً<sup>(٤)</sup> ، مَشْوَةً<sup>(٥)</sup>  
الترجمة ، رَدِيٌّ الْعِبَارَةَ ، لَكِنَّهُ كَانَ مَتَأَنِيًّا<sup>(٦)</sup> فِي تَخْرِيجِ الْخِطَابِ<sup>(٧)</sup> وَقَدْ بَرَعَ فِي  
مَجْلِسِهِ أَكْثَرُ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَلُودُ<sup>(٨)</sup> بِالْإِلَهِيَّاتِ ، كَانَ يَنْبَهَرُ<sup>(٩)</sup> فِيهَا وَيَضِلُّ  
فِي بِسَاطِهَا ، وَيَسْتَعْجِمُ عَلَيْهِ مَا جَلَّ ، فَضْلًا عَمَّا دَقَّ مِنْهَا ؛ وَكَانَ مَبَارَكُ الْمَجْلِسِ .  
فَقَالَ : مَا قَصُرَتْ فِي وَصْفِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَتَقْرِيبِ الْبَغِيَةِ الَّتِي كَانَتْ  
دَاخِلَةً<sup>(١٠)</sup> فِي نَفْسِي مِنْهُمْ .

حَدَّثَنِي عَنْ مَذَاهِبِهِمْ فِي النَّفْسِ وَمَا يَقُولُونَ فِيهَا ؛ وَإِلَى أَيْنَ يَتَّقُونَ مِنْ

(١) نصيح على ورقة فارغة ، أى أنه بلغ من شدة بخله بعلمه أنه لا يستطيع أحد أن  
يخدعه حتى في ورقة فارغة يأخذها منه . وم يصفون البخيل بالنصح على ماله ، لأنه لا ينخدع  
عنه فيجود به . أولعله شحيح .

(٢) التشيط : المذهب . وبها ، أى بسبب السوداء .

(٣) « لا يسفل » .

(٤) الفروقة : الشديد الفزع .

(٥) في الأصل : « موشى » وفيه قلب وتحريف .

(٦) متأنيا ، أى مترقفا متلطفنا .

(٧) في تخريج المختلفة ، أى المسائل المختلفة .

(٨) « يكون » .

(٩) الانبهار : تتابع النفس واطرادها من التعب والإعياء .

(١٠) وردت هذه الكلمة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضي

إدخالها هنا .



يقينهم بشأنها ، وكيف يثبتهم ببقائها بعد قضاء أبدانها ؟ فقلت : علمت أني لا أجد<sup>(١)</sup> ما أريد من حديث النفس عند أصحابنا الباقين ، أعني أبا الوفاء علي بن يحيى السامري والمعمري والقومي والصوفي وغلّام زحل<sup>(٢)</sup> والصاغاني ، وكذلك غيرهم أعني ابن عبدان وابن يعقوب وابن لالا وابن بُكش<sup>(٣)</sup> وابن قوسين<sup>(٤)</sup> والحرائي ، لأن هؤلاء ليسوا يحرثون هذه الأرض ، ولا يرقون هذا البرّ ولا يجهزون هذا المتاع ولا يتعاملون به ؛ هذا ينظر في المرض والصحة والداء والدواء ، وهذا يعتبر الشمس والقمر ، وليس فيهم من يذكر كلمة في النفس والعقل والإله ، حتى كأنّه محظور عليهم ، أو قبيح عندهم .

وقلت : إن هؤلاء القوم — أعني الطائفة الأولى — متفقون في الاعتراف بأنها جوهر باق خالد ؛ فأما اليقين فما الحكم به لهم ، لأنهم لو كانوا على ذلك — أعني واجدين لليقين ذاتين لحلاوته — لما كدحوا للدنيا التي تزول عنهم ويزولون عنها مضطرين ؛ فلو أنهم كانوا على ثلج<sup>(٥)</sup> من النفس ، وبقطة من العقل ، وأستبصار من القلب ، وسكون من البرهان ، لما تعجلوا هذه اللذات المنقوصة ، والأوطار الفاضحة ، والشهوات الخسيسة ، مع التبعات الكثيرة والأوزار الثقيلة ؛ ولا عجب فإنه إذا كانت الرّكاكة<sup>(٦)</sup> العائقة تمنع الإنسان

(١) هنا في الأصل راء وجيم بعد قوله « لا » ولعلهما زيادة من النسخ .

(٢) غلام زحل : لقب لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن كان منجما حاذقا ، توفي سنة ٣٧٦ .

(٣) في الأصل « بكس » بالسين . وقد ورد اسمه في أخبار الحكماء لتقطعي بالسين .

(٤) ابن قوسين : طبيب مشهور في زمانه ، كان يهوديا وأسلم ، وصل مقالة في الرد على اليهود .

(٥) ثلج النفس : راحتها واطمئنانها وسكونها إلى الشيء .

(٦) الركاكة : الضعف . أو لعل صوابه : « الزمانة » إذ الركاكة كثيرا ما تستعمل في ضعف العقل والرأي . والمراد هنا ما يخنس البدن ، كما يقتضيه سياق ما يأتي .

من العَدُوِّ والسَّفَرِ ، ومن سرعة الخَطْوِ ، لأن الحركة قد بطلت بالرَّكَاكَةِ الدَّاخِلَةِ عليه في أعضائه وآلاتِهِ ، فَأَيُّ عَجَبٍ مِنْ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ الَّتِي أَسْتَعْبَدَتْهَا الشَّهَوَاتُ الْغَالِبَةُ <sup>(١)</sup> ، والعَمِيدَةُ الرَّدِيئَةُ ، والأَفْعَالُ الْقَبِيحَةُ مَعْقُودَةٌ بِمَنْوَعَةٍ مِنَ الصُّعُودِ إِلَى مَعَانِقِ الذَّلَالَةِ وَتَخَارِقِ النُّجُومِ وَعَالِمِ الرُّوحِ وَمَقْعَدِ الصَّدَقِ وَمَقَامِ الْأَمْنِ وَمَحَلِّ الْكِرَامَةِ وَمَرَادِ الْخُلْدِ وَبَلَدِ الْأَبَدِ وَمَعَانٍ <sup>(٢)</sup> السَّرْمَدِ .

(٤) قال : هذا كلام تام ؛ وسأسألك بعد هذا عن النفس وما تحفظ عنهم فيها لكن تَمَّ لِي مَا كُنَّا فِيهِ ، كَيْفَ عِلْمُ أُنَى سَلْيَانٍ بِالنُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا ؟ قُلْتُ : لَا يَتَجَاوَزُ التَّقْوِيمَ . ثُمَّ قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي الْأَحْكَامِ ؟ قُلْتُ : أَنْشَدْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ :  
علم النجوم على العقول وبال      وطلاب حق لا يُنال محال

وقُلْتُ أَيْضًا : عِلْمُ الْأَحْكَامِ لَا يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَكُونَ مَدْرَكًا مَكْشُوفًا مَخَاطَبًا بِهِ مَعْرُوفًا ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَقْنُوطًا مِنْهُ مَطْرَحًا مَجْهُولًا ؛ بَلِ الْحِكْمَةُ تَوْجِبُ أَنْ يَتَوَسَّطَ هَذَا النَّقْطُ بَيْنَ الْإِصَابَةِ وَالْخَطَأِ حَتَّى لَا يُسْتَغْنَى عَنِ اللَّيَازِ <sup>(٣)</sup> بِاللَّهِ أَبَدًا ، وَلَا يَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ قَبْلِهِ أَبَدًا ؛ وَعَلَى هَذَا سَخَّرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ وَقَيَّضَهُ <sup>(٤)</sup> وَخَيَّرَهُ بَيْنَ الْأُمُورِ وَفَوَّضَهُ ؛ وَمَنَعَ <sup>(٥)</sup> مِنَ الثِّقَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ إِلَّا فِي مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَتَقْدِيسِهِ وَتَمْجِيدِهِ ، وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ ؛ اُنْظُرْ إِلَى حَدِيثِ الطَّبِّ فَإِنَّ عِنْدَهُ الصَّنَاعَةَ تَوَسَّطَتِ الصَّوَابُ وَالْخَطَأُ ، لِتَكُونَ الْحِكْمَةُ سَارِيَةً فِيهَا ، وَاللَّطْفُ مَعْهُودًا بِهَا ؛ لِأَنَّ الطَّبَّ كَمَا يَبْرَأُ بِهِ الْعَلِيلُ ، قَدْ يَهْلِكُ مَعَهُ الْعَلِيلُ ؛ فَلَيْسَ بِسَبَبٍ أَنْ بَعْضُ

(١) « الغالبة » .

(٢) المعان : المنزل .

(٣) « الكيام » .

(٤) في الأصل : « وقيض له » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٥) ورد في الأصل قبل هذه الكلمة « ماء ويا » ولم تبيين الصواب فيهما ؛ ولعلهما

من زيادات النساخ لاستقامة الكلام بدونهما .



المُدبِّرِينَ بالطَّبْ هَلَكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِي الطَّبْ ؛ وَلَيْسَ بِسَبَبٍ أَنْ بَعْضُ الْمَرْضَى  
 بِرَأٍ بِالطَّبْ وَجِبَ أَنْ يَعُوَّلَ عَلَيْهِ ؛ انْظُرْ إِلَى هَذَا التَّوَسُّطِ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَيْكُونُ  
 التَّدْبِيرُ الْإِلَهِيُّ وَالْأَمْرُ الرَّبُّوبِيُّ نَافِذَيْنِ فِي هَذِهِ الْخِلَاقِ بِوَسَاطَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ؛  
 وَلَتَكُونُ الْمَصْلَحَةُ بِالْفَعْلِ غَايَتَهَا ؛ وَهَذِهِ سِيَاسَةُ دَارِ الْفَنَاءِ ، الْجَامِعَةُ لِسُكَّانِهَا عَلَى  
 الْبَاسَاءِ وَالنَّمَاءِ ؛ وَهَكَذَا ، فَانْظُرْ إِلَى حَدِيثِ الْبَحْرِ وَرُكُوبِ الْبَاسِ الْمُتَيَقِّنِ فِيهِ ،  
 وَجُوبِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَإِصَابَةِ الرِّيحِ ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ ، كَيْفَ تَوَسَّطَ بَيْنَ السَّلَامَةِ  
 وَالْمَعْطَبِ ، وَالنَّجَاةِ وَالْهَلَكَةِ ، فَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ السَّلَامَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ يَفْرَقُ  
 وَيَهْلِكُ ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ وَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ الْهَلَكَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ  
 يَسْلَمُ وَيَنْجُو ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ فَالْحِكْمَةُ إِذَا مَا تَوَسَّطَ هَذَا الْأَمْرُ  
 حَتَّى يَشْكُرَ اللَّهُ مَنْ يَنْجُو ، وَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ مَنْ يَهْلِكُ . قُلْتُ : وَبَعْدَ هَذَا فَهَذَا  
 الْعِلْمُ <sup>(١)</sup> عَوِيصٌ غَامِضٌ عَمِيقٌ ، وَقَدْ قُفِدَ الْعُلَمَاءُ بِهِ ، الْمَلْهُمُونَ فِيهِ ؛ وَمَعُوَّلٌ أَهْلُهُ  
 عَلَى الْحَدْسِ وَالظَّنِّ ، وَعَلَى بَعْضِ التَّجَارِبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَكْذِبُ مَرَّةً وَتَصْدُقُ  
 مَرَّةً ؛ وَبِالصَّدَقِ يَعْبُرُ الْإِنْسَانُ ، وَبِالْكَذِبِ يَعْرِى مِنْ فَوَائِدِهِ ؛ فَالْنَقْصُ قَدْ  
 دَخَلَ ، وَالْخِلَالُ قَدْ شَمِلَهُ ؛ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يُوَهَّبَ لَهُ زَمَانٌ غَرِيزٌ ، فَوَرَاءَهُ مَا هُوَ  
 أَهَمُّ مِنْهُ وَأَجْدَرُّ ، وَأَرْشَدُ وَأَهْدَى .

(هـ) قَالَ : هَذَا حَسَنٌ ، حَدَّثَنِي بِالَّذِي أَفَدْتَ الْيَوْمَ . قُلْتُ : قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ :  
 الْعِلْمُ صُورَةُ الْمَعْلُومِ فِي نَفْسِ الْعَالِمِ ، وَأَنْفُسُ الْعُلَمَاءِ عَالِمَةٌ بِالْفِعْلِ ، وَأَنْفُسُ الْمُتَعَلِّمِينَ عَالِمَةٌ <sup>(٢)</sup>  
 بِالْقُوَّةِ . وَالتَّعْلِيمُ هُوَ إِبْرَازُ مَا بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ . وَالتَّعْلَمُ هُوَ بَرُوزُ مَا هُوَ بِالْقُوَّةِ إِلَى  
 الْفِعْلِ . وَالنَّفْسُ الْفَلَكِيَّةُ عَالِمَةٌ بِالْفِعْلِ ، وَالنَّفْسُ الْجَزْئِيَّةُ عَالِمَةٌ بِالْقُوَّةِ ؛ وَكُلُّ

(١) يَرِيدُ عِلْمَ النُّجُومِ وَأَخْكَالِهَا .

(٢) ف. الْأَمَلُ : « عِلْمٌ » .

نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهي أقرب إلى النفس القلبيّة تشبّهاً بها ، وتَصَيَّرَ لها<sup>(١)</sup> .

- قال : هذا في الحُسن نهاية ، وقد أكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء  
 زمان ، وتقرين قلب ، وإصغاء جديد ، هات خاتمة المجلس . قلت له : قرأنا يوم  
 الجمعة على أبي عبيد الله المرزباني لعبد الله بن مُصعب :

إذا أستمعتُ منك بلحظ طرفي      حيّ نصفي ومات عليك نصفي  
 تلذّذُ مقلتي ويذوب جسمي      وعيشي منك مقرون بمحتسفي  
 فلو أبصرتني والليل داج      وخدّي قد توسّطَ بطن كفي  
 ودمي يستهلّ من المآقي      إذا لرأيت مابي فوق وصفي  
 وانصرفتُ .

### الليلة الثالثة

- قال لي ليلة أخرى : حدثني أبو الوفاء عنك حديث الخراساني ، فأريد أن  
 أسمعه منك . قال : كنت قائماً عشية على زنبيرية<sup>(٢)</sup> الجسر في [الجانب] الشرقي  
 والحاجّ يدخلون ، وجمالهم قد سدّت عرض الجسر — أنتظر جوازها وخفّة الطريق  
 منها ، فرأيت شيخاً من أهل خراسان ذكر لي أنه من أهل سنجان<sup>(٣)</sup> واقفاً  
 خلف الجمال يسوقها ، ويحفظ الرجال التي عليها ، حتى نظر إلى الجانب الغربي

(١) يقال : تعير أباه : إذا نزع إليه في شبهه به .

(٢) في الأصل زيرة والزبيريّان هما السفيتان اللتان في الجسر في الجانب الغربي من  
 بغداد يمر عليهما السالكون كما في عيون الأنبا ١/١٧٩ .

(٣) في الأصل : « سحاب » ؛ ولم نجد هذا الاسم فيها راجعاً من الكتب المؤلفة  
 في أسماء البلاد . وسنجان : قرية بمر .



فرأى الجذع عليه ابنُ بَقِيَّة — وكان وزيراً صلبه الملكُ لذنوب كانت له — فقال :  
لا إله إلا الله ، ما أعجب أمور الدنيا وما أقلُّ المفكر في غيرها وغيرِها ، عضد  
الدولة تحت الأرض وعلوّه فوق الأرض ! .

قال : هكذا حدثني أبو الوفاء ، ولذلك استأذنتُ في دفنه ، وكان كلام  
الشيخ سبباً في ذلك .

(٢) قال : بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسلَ سجستانَ لَمَّا<sup>(١)</sup> ويظلُّ  
عندهم طاعماً ناعماً ، ويأنس بأنك معه ، فمن يحضر<sup>(٢)</sup> ذلك المكان ؟ فقلت : جماعة ؛  
وآخر من كان في هذا الأسبوع الماضي ابنُ جبلة الكاتب ، وابنُ برمويه<sup>(٣)</sup> ، وابنُ  
الناظر<sup>(٤)</sup> أبو منصور وأخوه ، وأبو سليمان وبندار<sup>(٥)</sup> المغني<sup>(٦)</sup> وغزال الراقص ، وعلم<sup>(٧)</sup>  
وراء الستارة . فقال : ما الذي حفظت من حديث<sup>(٨)</sup> عنهم ، وما يجوز أن يُلْقَى  
إلينا منهم ؟ فقلت : سمعت أشياء ، ولست أحب أن أسمي نفسي بنقل الحديث  
وإعادة الأحوال فأكون غامزاً وساعياً ومفسداً . قال : معاذ الله من هذا ، إنما  
تدلّ على رشد وخير ، وتُفَضِّلُ<sup>(٩)</sup> عن غيٍّ وسوء ، وهذا يلزم كلَّ من آثر الصلاح  
الخاصَّ والعامَّ لنفسه وللناس ، وأعتقد الشفقة ، وحَثَّ على قبول النصيحة ؛ والنبيّ

(١) اللهم : الجمع ؛ يريد أنه يزورهم مجتمعين .

(٢) « يخطر » .

(٣) في الأصل : « ابنُ زمويه » ، وقد ورد ذكر ابنِ برمويه في كتاب ذيل تجارب  
الأمم ؛ وهو الحسن بن برمويه ، كان كاتباً لوالدة صمصام الدولة وكان ممن تأمروا على الإيقاع  
بإبن سعدان وقتله ، ثم استوزر ابنُ برمويه لصمصام الدولة مشتركاً في الوزارة مع أبي القاسم  
عبد العزيز بن يوسف .

(٤) في الأصل : « ابنُ الناظر » ، وهو من رجال صمصام الدولة .

(٥) في الأصل : « يكدان » ؛ وهو تحريف .

(٦) « المنسكي » .

(٧) علم : اسم جارية .

(٨) في الأصل : « حديثنا » والنون والألف زيادة من الناسخ .

(٩) « تفصل » .

صلى الله عليه وسلم قد سمع مثل هذا. وسأل عنه ، وكذلك الخلفاء بعده ، وكل أحد محتاج إلى معرفة الأحوال إذا رجع إلى مرتبة عالية أو محطوة . فقلت وجدتُ ابن برمويه<sup>(١)</sup> يذكر أشياء هي متعلقة بجانبك ، ويرى أنها لو لم تكن لكان مجلسك أشرف ، ودولتك أغزى ، وأيامك أدوم ، ووليتك أحد ، وعدوك أكمد . قال<sup>(٢)</sup> : ما هذا الاسترسال كله [ إلى ] ابن شاهويه<sup>(٣)</sup> ؟ وما هذا الكلف بهرام<sup>(٤)</sup> ؟ وما هذا التعصب لابن مكيخا<sup>(٥)</sup> ؟ وما هذا السكون إلى ابن طاهر<sup>(٦)</sup> ؟ وما هذا التمويل على ابن عبدان<sup>(٧)</sup> ؟ وما من هؤلاء أحد إلا يرش<sup>(٨)</sup> عدوه ويبريه ويضل صاحبه ويغويه<sup>(٩)</sup> . أما ابن شاهويه فشيخُ إزرء<sup>(١٠)</sup> وصاحب مخرفة<sup>(١١)</sup>

(١) « زمويه » .

(٢) قال ، أى ابن برمويه المحدث عنه .

(٣) ابن شاهويه هذا هو غير ابن شاهويه الفقيه الذى مر ذكره فى مقدمة الكتاب . أما هذا فكان عاملاً كبيراً من عمال صمصام الدولة ، قام بالدعوة له بمان حتى أذعنت له سنة ٣٧٤ ، ثم غضب عليه صمصام الدولة وحبس معه ابن سعدان ، ثم نجا من القتل بأعجوبة ، ثم عفى عنه سنة ٣٧٥ .

(٤) هو أبو سعيد بهرام بن أردشير ، كان من رجال صمصام الدولة ، وكان صديقاً لابن سعدان . يقول ابن سعدان فى وصفه : « لى أرى حديثه آتق من المنى إذا أدركت والدنيا إذا ملكت ، وإن تمازجنا بالعقل والروح والرأى والتدبير ... ليزيد على حال توأمين تراكضا فى رحم وتراضنا من ثدى ونوغيا فى مهد » . وقد قبض عليه مع ابن سعدان وقتل معه سنة ٣٧٥ .

(٥) فى الأصل « ابن مكيخا » والجيم زائدة ، وما أثبتناه عن ذيل تجارب الأمم وقد كان أبو على بن مكيخا صاحب ديوان الخزان لمضد الدولة كما عمل من بعده لصمصام الدولة . (٦) هو أبو عبد الله بن طاهر ، كان نائبا عن أبى نصر سابور كما كان من رجال صمصام الدولة قتل سنة ٣٨٠ .

(٧) « ابن عمان » .

(٨) يرش عدوه الخ كناية عن تقويته للعدو وإعائته على النكاية ، وأصله من راش السهم يرشه إذا ألزق به الريش ليكون أسرع إلى الهدف .

(٩) فى الأصل : « يصل صاحبه ويقويه » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) الإزرء : الفس والتليس . يقال : أزرى به إذا أدخل عليه أمرا يريد أن يلبسه عليه .

(١١) المخرفة : الخلق والكذب .



بين اللذائذ « هُمَّه أَنْ يَتَحَسَّى دَنَّ الشَّرَابِ فِي نَفْسٍ أَوْ نَفْسَيْنِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ كَالْجِدْعِ الْيَابِسِ لَا لِسَانَ وَلَا إِنْسَانَ .

وأما ابن طاهر فرجل يدعى للناس أَنَّهُ لَوْلَا مَكَانَتُهُ وَكَفَايَتُهُ وَحَسَبُهُ وَرَأْيُهُ وَمَشُورَتُهُ لَكَانَتْ هَذِهِ الْوِزَارَةُ سَرَابًا ، وَهَذِهِ الْمُلْكَةُ خَرَابًا ؛ هَذَا مَعَ الشَّرِّ <sup>(١)</sup> الَّذِي فِي طَبْعِهِ وَعَادَتِهِ ؛ فَإِنْ جَرَى خَيْرٌ أَنْتَبَهَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ نَتَائِجِ رَأْيِهِ <sup>(٢)</sup> ؛ وَإِنْ وَقَعَ شَرٌّ عَصَبَهُ بِرَأْسِ صَاحِبِهِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ اسْتَبَدَّ <sup>(٣)</sup> بِهِ ؛ وَمَعَ هَذَا فَهُوَ يَمِيبُ <sup>(٤)</sup> هَذِهِ الْمُرَادَةَ . وَمَا أُدْرِي كَيْفَ اسْتَكْفَى <sup>(٥)</sup> هَذِهِ الْجَمَاعَةُ حَوْلَهُ ؟ وَكَيْفَ يُظَاهَرُ <sup>(٦)</sup> هُوبَهَا وَيَسْكُنُ إِلَيْهَا ؟ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مِنْ وَكْدِهِ الرَّجَسِ وَالْإِفْسَادِ وَالْأَخْذُ بِالْمَصَانِعَةِ وَإِغْرَاءِ الْأَوْلِيَاءِ بِمَا يَعُودُ بِالْوَبَالِ عَلَى الْبَرِّ وَالسَّقِيمِ وَعَلَى الزَّكِيِّ وَالظَّالِمِينَ <sup>(٧)</sup> ؛ هَؤُلَاءِ مِبَاعُ ضَارِيَةٍ ، وَكَلَابُ عَاوِيَةٍ ؛ وَعَقَارُ لِسَاعَةٍ ، وَأَفَاعٍ نَهَائِشَةٍ ، وَقَى اللَّهِ هَذَا الْإِنْسَانَ الْعَمْرَةَ <sup>(٨)</sup> الْمُبَارَكَ الْكَرِيمَ الرَّحِيمَ ، فَإِنَّهُ شَرِيفُ النَّفْسِ طَاهِرُ الطَّوِيَّةِ <sup>(٩)</sup> ، لَيْنُ الْمَرِيكَةِ ، كَثِيرُ الدِّيَانَةِ ، وَهَذِهِ أَخْلَاقُ لَا تَصْلُحُ الْيَوْمَ مَعَ النَّاسِ ، قَالَ الشَّاعِرُ <sup>(١٠)</sup> :

وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ      يَهْدُمُ وَمَنْ لَا يَظْلُمُ النَّاسَ يَظْلَمُ

وَقَالَ :

وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ النَّاسَ أَوْ يَكُنْ      لَهُ جَانِبٌ يَشْتَدُّ إِنْ لَانَ جَانِبُ

(١) « السَّر » .

(٢) « نَتَائِجُ زُلَّتِهِ » .

(٣) « أَسِيد » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَيْبٌ لَهُ » .

(٥) « اسْتَكْفَيْتَ » وَالتَّاءُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) يُظَاهَرُ : يَمَازُونَ .

(٧) الزَّكِيُّ : الطَّاهِرُ النَّقِيُّ . وَالظَّالِمِينَ : الْمُتَمِّمُ .

(٨) « الْحَيْر » .

(٩) « ظَاهِرُ الْخَوِيَّةِ » .

(١٠) الشَّاعِرُ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى .

وكذب ظاهره، كثير الإيهام، شديد التويه، لا يرجع إلى ودي صادق، ولا إلى عقد صحيح وعهد محفوظ؛ وإنما كان الماضي يقربه لغرض كان له فيه من جهة هؤلاء الخريجين القرامطة، وكان أيضا مذبوم<sup>(١)</sup> الهيئة، فكان لا يتنبس<sup>(٢)</sup> إلا بما يقويه ويحرس حاله، واليوم هو رخي اللب<sup>(٣)</sup>، جاذب لكل سبب؛ وليس هناك كفاية ولا صيانة<sup>(٤)</sup> ولا ديانة ولا مروءة؛ وبعد، فهو مشثوم نكد، ثقل الروح، شديد البهت<sup>(٥)</sup> قوله الإفساد وعادته تأجيل<sup>(٦)</sup> اللهمنا والشامة بالمائر<sup>(٧)</sup> والتشفي من المنكوب.

وأما بهرام فرجل مجوسى معجب ذميم، لا يعرف الوفاء ولا يرجع إلى حفاظ، غرضه<sup>(٨)</sup> أن يتبجح في الدنيا بجاهه، ولا يبالي أين صار بعاقبته؛ وهو يحض<sup>(٩)</sup> مع ذلك عليه في كل ما هو مديره ومدبره.

وأما ابن مكينغا، فرجل نصرانى أرعن خسيس، ماجاء يوما بخير قط<sup>(١٠)</sup> لا في رأى ولا في عمل ولا في توسط؛ وأصحابنا يلقبونه بقفا وهو «منهمك»<sup>(١٠)</sup>

(١) مذبوما بالهيئة.

(٢) ينبس : يتكلم.

(٣) رخي اللب، أى متنع الحال. وهو مجاز؛ وأصل اللب ما يهد من سيور السرج في الية من صدر الدابة لينع استئثار الرجل.

(٤) «صناعة».

(٥) البهت : الكذب والباطل.

(٦) في الأصل : «تجيل» وسياق السلام يقتضى ما أثبتنا. واللهنا مصدر ميمي

(٧) «بالغار»؛ وهو تصحيف.

(٨) «غرضه».

(٩) يحض مع ذلك الخ، أى يرى الناس بالوزير ويغسد قلوبهم عليه.

(١٠) وردت هذه العبارة في الأصل محرقة الحروف، سهل أكثرها من النقط؛ وما

أثبتناه أقرب إلى الرسم الوارد في الأصل، كما أن سياق الكلام الآتى يقتضيه.



يَطَّأُ حَوْضَهُ لِلْستوردون وتَغَشَّه شَوَائِبُ لَا تَبْقَى عَلَيْهَا النِّقَائِبُ (١)  
وما ضاع قولهم : لَا تَكُنْ حُلُوا فَتَوْكَلْ ، وَلَا مَرًّا فَتُعَاف . لَيْسَ الْحَذَرُ بَقِي (٢)  
فَكَيْفَ التَّهَوُّرُ ، أَهْمُنَا لِيَحْيَى تُسَجِّبُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَطَوَارِقُ تُتَوَقَّعُ كُلَّ لَيْلَةٍ ! وَالتَّوَكَّلُ  
وَالْأُمْتِسْلَامُ يَلِيقَانِ (٣) بِأَهْلِ الدِّينِ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ؛ فَأَمَّا أَصْحَابُ الدُّنْيَا وَأَرْبَابُ  
الْمَرَاتِبِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَدْعُوا الْهُوَيْنَا جَانِبًا ، وَيَشْتَمِرُوا لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ ؛ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ  
وَيَكُونُ ضُرُّهُمْ أَكْثَرَ ، وَشَرُّهُمْ أَغْلَبَ ؛ وَرَهَبُوتُ خَيْرٍ مِنْ رَحْمَتٍ .

ولهذا قال الأعرابي :

أَنَا الْغَلَامُ الْأَعْسَرُ الْخَيْرُ فِي الشَّرِّ  
وَالشَّرُّ فِي أَكْثَرِ

وهذا معنى بديع ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ الْبِدَاءَةَ بِالشَّرِّ خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنِّي أَتَّقَى  
بِالشَّرِّ ، وَإِذَا أَقْبَلَ الشَّرُّ قُلْتُ لَهُ : مَرْحَبًا ، وَأُدْفَعُ الشَّرَّ وَلَوْ بِالشَّرِّ ، وَالْحَدِيدُ  
بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ (٤) . وَقَدْ قَالَ الْآخَرُ (٥) :

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ

وقال ابن دارة :

إِذَا كُنْتُ يَوْمًا طَالِبَ الْقَوْمِ فَأُطْرَحُ      مَقَاتِلَهُمْ وَأُذْهَبُ بِهِمْ كُلُّ مَذْهَبٍ  
وَقَارِبُ بَذَى حِلْمٍ وَبَاعِدُ بِجَاهِلٍ      جَلُوبٌ عَلَيْكَ الشَّرُّ مِنْ كُلِّ تَجَلَبٍ  
فَإِنْ حَدِّبُوا (٦) فَأُقْعَسْ وَإِنْ هُمْ تَقَاعَسُوا      لَيْسْتُمْ مَسْكُومًا يَمِيدُونَ فَأُحْدَبُ

(١) شَوَائِبُ ، أَيُ عَيُوبٍ تَخَالِطُ أَخْلَاقَهُ . وَالنِّقَائِبُ : السَّجَايَا وَالْأَخْلَاقُ ، الْوَاحِدَةُ نَقِيبَةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « لَيْتَ الْحَذَرُ وَفِي » وَقَوْلُهُ بَعْدَ « فَكَيْفَ » الْخِ يَفْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) « يَلْتَقِيَانِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) يَفْلَحُ : يَشْقُ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « نَجَاةٌ لَكَ » وَقَوْلُهُ « لَكَ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) حَدِّبُوا : مِنْ الْحَدَبِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ خُرُوجُ الظَّهْرِ وَدُخُولُ الْعُنْدَرِ وَالْبَطْنِ .

وَالْقَعْسُ بِالتَّحْرِيكِ : عَكْسُهُ .

وإن حلبوا خَلْقِينَ<sup>(١)</sup> فأحلب ثلاثة وإن ركبوا يوما لك الشر فاركب  
وقال الحجاج بن يوسف أبو محمد — وهو من رجالات العرب وقد قهر المعجم  
بالدهاء والزكاة — « لو أخذتُ من الناس مائة ألف ، كان أرضى عني من أن  
أفرق فيهم مائة ألف ». كان الناس بالأمس مزومين<sup>(٢)</sup> مخطومين ، يقوم كل واحد  
بنفسه على نفسه ، ويتهم غده لما جناه في أمسه ؛ لأن الملك السعيد ساسهم ،  
وقوم زيغهم ، وقلم أظفارهم ؛ وشغلهم بالحاجة عن البطر والأشر ، وبالكفاية  
عن القلق والضجر ؛ وتقدم<sup>(٣)</sup> إليهم بترك الخوض فيما لا مرجوع له بخير ؛  
وكانوا لا يشكرون الله على نعمته عليهم به ، وإحسانه إليهم بمكانه ، فسلبوه  
فتنفس خناقهم ، واتسع نطاقهم ، فامتطى كل واحد هواه ، ويوشك أن يقع  
في مهواة .

قال : وههنا أشياء أخرى غير هذه ، ولكن من يسمع ويقبل ؟ ومع هذا  
فالأمر صائرة إلى مصايرها ، كما أنها صادرة عن مصادرها .

فقال له ابن جبلة : ما عندي إلا أن الوزير — أبقاه الله — عارف بهم  
ومستبطن لأمرهم ؛ مع العشرة القديمة ، والملاينة المتصلة ، والخبرة الواقعة ؛  
ولكن [ لا بد ]<sup>(٤)</sup> لمن كان في محله ورفعته من جماعة يقر بهم ، ويرجع إليهم  
ويسمع منهم ، وينظر بأعينهم ، ويصغي بأذانهم ، ويتناول بأيديهم . فقال له  
مجاوبا : إن كان عارفا<sup>(٥)</sup> بهم ، ومستبطنا لأمرهم ، وخبيرا بشأنهم ؛ فلم سلطهم  
وبسطهم ، وحدد أنيابهم ، وقوى أسنانهم ، وفتح أشداقهم ، وطول أعناقهم

(١) الخلف : الضرع .

(٢) في الأصل « مرموقين مخطومين » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام الآتي بعد  
يقتضى ما أثبتنا . ومزومين مخطومين ، من الزمام والخطام .

(٣) تقدم إليه بكذا أمره به .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ولا تستقيم العبارة بدونها .

(٥) « فارفا بهم مشكبتنا » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .



وقطع أرباقهم ؛ وأبطرهم فأسكرهم ، حتى صاروا يجهلون أقدارهم ، وينسون ما كانوا فيه من القلة والذلة ؟ هلا<sup>(١)</sup> رتب كل واحد منهم فيما تظهر به كفايته ولا يرفعه إلى ما يظن معه الظن الفاسد ، ولم يضحك في وجوههم ، ويفضي<sup>(٢)</sup> على جنائتهم ؟ أما بلغه أن ابن يوسف قال<sup>(٣)</sup> : تشبثه بأبن شاهويه لأنه قد أعدّه للهرب إلى القرامطة إن دهمه أمر ؟ وأنسه بهرام إنما هو لاستمداد<sup>(٤)</sup> الفساد منه وتقديمه لابن طاهر للسرقة على يده ، وفرحه بأبن مكينا<sup>(٥)</sup> للسخرية به وتقريبه لابن الحجاج للسخف ، ولهبجه بأبن هرون للهزء واللعب .

قال له ابن جبلة : من أراد أن يحسن القبيح عند رضاه ، ويقبّح الحسن عند سُخطه فعل ، ولا يخلو أحد تهب ريحه<sup>(٦)</sup> ، ويعلو شأنه ، وينفذ أمره ونهيمه من حاسد وقارف<sup>(٧)</sup> ، ومُدخل ومُرَجِف ، على هذه الأمور بُنيت الدار ، وعليها جرت الأقدار ، إن كنت تنكر هذا الرهط ، فاعرف له<sup>(٨)</sup> الرهط الآخر ؛ فإنك تعرف بذلك حُسن اختياره وجميل انتقائه ومحمود رأيه .

قال : من هم ؟ قال : أبو الوفاء المهندس ، وابن زرعة المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، ومسكويه ، والأهوازيّ والمسجدى فأين<sup>(٩)</sup> هؤلاء الغامطة<sup>(١٠)</sup> ؟

(١) « على » .

(٢) « يقضي » .

(٣) « ظالم » .

(٤) « الاستمداد » .

(٥) « ابن مكينباج » .

(٦) تهب ريحه : كناية عن نهوض الحظ وقيام الدولة .

(٧) قارف ، أي كاذب ظالم . والمدخل : المائب ، من الدخل بالتحريك وسكون الحاء بمعنى العيب .

(٨) له ، أي للوزير .

(٩) « فالآن » .

(١٠) الغامطة : الذين لا يشكرون النعمة . ويشير بهذا الوصف إلى الجماعة التقدم ذكرهم

وم ابن شاهويه وبهرام الخ . يريد أن هؤلاء من هؤلاء .

قومٌ هُمهم أن يأكلوا رغيفا ويشربوا قدحا ، لا هم ممن يُقتبس من علمهم ولا هم <sup>(١)</sup> يتكلفون له نصحا ، وهيبته <sup>(٢)</sup> تعوقهم عن ذكر شيء في الدولة من تلقائهم إلا أن يكون شيء يتعلق بهم على معنى خاص ؛ فهو ينود <sup>(٣)</sup> هكذا وهكذا حتى يبلغ منهم ما قدر عليه .

فلما سمع الوزير هذا كله قال : سألتني إليك في جواب هذه المسألة ما تخدمني به إن لاقيتهم في مجلس آخر على وجه يُخفي <sup>(٤)</sup> أنك له ملقن مُحتمل كأنك ساء عنه غير حافل به ؛ وقد تقطع القليل ، ويحتاج في هذا الحديث إلى استئناف زمان ، بعد استيفاء حمام ؛ ثم أنشدت قول الشاعر :

إني لأصفح عن قومي وألبسهم على الضغائن حتى تبرأ المئثر

ثم قال : ما المئثر ؟ قلت : هي الضغائن التي ذكرها في حشو البيت ، واحدا مئثرة ، كأنه أراد وألبسهم على الضغائن [ حتى تبرأ الضغائن <sup>(٥)</sup> ] فرجع من لفظ إلى لفظ ضرورة القافية لما كان معناهما واحدا ؛ قال : لمن هذا البيت ؟ قلت : لا أحفظ أسم شاعره ، ولكن أحفظ معه أبياتا . قال : هاتها ؛ فأنشدت أول ذلك :  
يأئيها الرجل المُرْجِي أذيتَه <sup>(٦)</sup> هل أنت عن قولك الموراء مزدجرُ  
إني إذا عُدَّ مِبْطَاط <sup>(٧)</sup> إلى أمد لا يستطيع حِضاري المقرف البَطِرُ <sup>(٨)</sup>

(١) « لا هو » .

(٢) « عتقهم » .

(٣) ينود : يتحرك ويتأبل . والمراد أنه يلوح هكذا وهكذا بالكلام .

(٤) « الخفي » .

(٥) هذه العبارة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، ولا يستقيم الكلام بدونها ، فإن

قوله : « وألبسهم على الضغائن » من لفظ البيت ، فلا يصح أن يقال فيه : « كأنه أراد » .

(٦) « أذيتَه » .

(٧) « مد مبطاء » .

(٨) الحضار ، بكسر الحاء والمخاضرة : المالبة في الحضر بعضها ، وهو المد والسريع . =



لاقى قناتى مضاراً عَشْوَزَةً<sup>(١)</sup> لا قادح قد تبغها ولا خور  
إني لأصفح عن قومي وألبسهم على الضغائن حتى تبرأ المثر  
قال : أكتبها . قلت : أفعل ، وأنصرفت ، فما أعاد على بعد ذلك شيئاً مما كان .

### الليلة الرابعة

(١) قال لى بعد ذلك فى ليلة أخرى : كيف رضاك عن أبى الوفاء<sup>(٢)</sup> ؟ قلت :  
أرضى رضا بآتم شكر وأحد ثناء ؛ أخذ بيدي ، ونظر فى معاشى ، ونشطنى  
وبشرنى ، ورعى عهدى ، ثم ختم هذا كله بالنعمة الكبرى ، وقلدنى بها القلادة  
الحسنى ، وشملنى بهذه الخدمة ، وأذاقنى حلاوة هذه الزية ، وأوجهنى عند نظرائى .  
قال : هات شيئاً من الغزل . فأنشدته :  
كلانا سواء فى الهوى غير أنها تجلّد أحياناً وما بى تجلّد

== والغرف من الخيل : ما أمه عربية وأبوه أعجمى . والبطر بكسر الباء : من البطر بالتحريك ؛  
وهو هنا بمعنى التحير والذهش والانبهار . يريد أنه يحير ويدهش حين يسابق أسرع منه فيقصر  
عن مسابقته بسبب ذلك . ويقال للبعير القطوف إذا جرى بغيراً واسع الخطو فقصرت خطاه عن  
مباراته : « قد أبطره ذرعه » أى حمله على أكثر من طوقه .

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

لاقى قناتى مضاراً عسورة لا قادح قد تبغها ولا خور  
وفى بعض ألفاظه تحريف ظاهر . ومضاراً ، أى ذات صرير ، أى صوت . والعرب يصفون  
القناة الجيدة بأنها تصوت عند صهرها ، كما يدل على ذلك بيت عمرو بن كلثوم الآتى . والعشوزة :  
الصلبة الشديدة النليظة ، قال عمرو بن كلثوم يصف قناة :

عَشْوَزَةٌ إِذَا تُهْمَزَتْ أَرَنْتَ تَشْجُّ قَهَا لِلتَّقْفِ وَالْجِينَا

والقادح : أكال يقطع فى الشجر . والصدع فى العود .

(٢) يريد أبا الوفاء المهندس ، وهو محمود بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس ، مولده  
بيوزجان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨ ، وانتقل إلى العراق سنة ٣٤٨ ، وكان إماماً فى الحساب  
والهندسة والجبر والفلك ؛ توفى سنة ٣٨٢ كما فى ابن الأثير أوسنة ٣٨٨ كما فى تاريخ الحكماء .  
وهو الذى ألف أبو حيان له هذا الكتاب .

تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها [حين] أنهي وأبعد  
 ثم قال : غالب ظني أن نصرا غلام خواشاذة<sup>(١)</sup> ما هرب من فئائي إلا برأيك  
 وتجسيراك ؛ فإن ذلك عبد ، ولا جرأة له على مثل هذا التدود والشذوذ ، فقد  
 قال لي القائل : إنك من خلصائه .

قلت : والله الذي لا إله إلا هو ما كان بيني وبينه ما يقتضي هذا الأنس  
 وهذا الاسترسال ، إنما كنا نلتقي على زنبورية<sup>(٢)</sup> باب الجسر بالمشايا وعند  
 البيمارستان وعلى باب أبي الوفاء ؛ وإنما ركنت إليه لمرقعة<sup>(٣)</sup> وتاسومته  
 عند ما كنت رأيته عند صاحبه بالرقي سنة تسع وستين وهو متوجه إلى  
 قابوس وجرجان ، في المذلة الدائمة والحال المربوطة<sup>(٤)</sup> ؛ ولو نبس لي بحرف  
 من هذا<sup>(٥)</sup> ، أو كنت أشعر بأقل شيء منه ، لكنت أقوله لأبي الوفاء  
 قضاء لحقه ، ووفاء بما له في عنقي من مننه وخوفا من هذا الظن بي ، وقصورا  
 عن اللائمة لي .

قال : أفما تعرف أحدا تسأله عنه ممن كان يخالطه ويباسطه ؟ قلت :  
 ما رأيته إلا وحده ؛ ولم كان زمان التلاقي ؟ كان أقل من شهر ، أفى هذا  
 القدر يتوكد الأنس وترتفع الحشمة وتستحكم الثقة ويقع الاسترسال والتشاور ؟

(١) خواشاذة هو أبو نصر خواشاذة كان فارسيا من كبار رجال شرف الدولة البويهى  
 وكان سفيرا في الاتفاق وعقد الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة .

(٢) انظر تفسير هذا اللفظ في الحاشية رقم ٢ صفحة ٤١ .

(٣) المرقعة : من لبس الصوفية ، لما فيها من الرقع . والتاسومة : كلمة شائعة الاستعمال  
 عند العامة في نوع من النعال البالية يلبسه الفقراء ؛ ولم نجدناها فيها راجعنا من كتب اللغة ، كما  
 أنها لم ترد فيها بين أيدينا من الكتب المؤلفة في الألفاظ العامية والدخيلة .

(٤) لعله يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقعة عند حد من الفاقة لا تثقل عنه .

(٥) من هذا ، أى من أمره هربه .



هذا بعيد . قال : هذا المتخلف<sup>(١)</sup> كنتُ قد قرَّبْتُه ورتَّبْتُه ، ووعدته ومنَّيته ؛ وتقدمت إلى أبي الوفاء بالإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وإذكاري بأمره في الوقت بعد الوقت ، حتى أزيد نباهة وتقديما ، فترك هذا كله وطوى الأرضَ كأنَّه هارب من حبس ، أو خائف من عذاب . ويقال في الأثر : إن بعض الصفيحيين<sup>(٢)</sup> قال : لله قوم يتادون إلى الجنة بالسلاسل ، ما أكثر من يفر من هذه الكرامة ، ويَقْوَى — على تَرْفِ جَهَنَّمَ — على الهوان ، ويصبر على البلاء ، وَيَقْلَقُ في العافية ! إن السجايا لمختلفة ، وإن الطبائع لمتعادية ؛ قلما يُرَى شخصان يتشاكلا في الظاهر إلا يتبايانا في الباطن . قلتُ : كذلك هو .

(٣) قال : حدثني لم أمتنع من النفوذ مع ابن موسى إلى الجبل فيما رَسَمْنَا له أن يتوجه فيه ؟ ولقد أطلتُ التعجب من هذا وكررتُه على أبي الوفاء . فقلتُ : من معنى من ذلك ثلاثة أشياء : أحدها أن ابن موسى لم يكن من شكلي « ولا أشدَّ للصدِّ »<sup>(٣)</sup> هونا<sup>(٤)</sup> من مصاحبة الضدِّ<sup>(٥)</sup> ، لأنَّه سوداويٌّ وجَمَد . والآخر أنه قيل : ينبغي أن تكون عينا عليه ، وأنا لو قررت لك الحديث لما رأيتُه [لائقا<sup>(٦)</sup>] بحالي ، فكيف إذا قرنتُ برجل باطلٍ<sup>(٧)</sup> لو مرَّ بوجهه أمرى

(١) يريد بالتخلف : هذا النلام الأبق ، لتخلفه عن متابعة مولا .

(٢) الصفيحيون : نسبة إلى الصفيح ، وهو من أسماء السماء ، يريد المتبعدين المتلفة قلوبهم بالعالم العلوي .

(٣) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في الأصل بحرفة لا معنى لها وما أثبتناه هو أقرب الحروف إلى الرسم الوارد في الأصل ، كما أن سياق الكلام يقتضيه .

(٤) الهون : القل والهوان .

(٥) « الصك » .

(٦) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ناسقة من الأصل ، ولملة يريد أنه لو اكتفى بنقل حقيقة الحديث لما كان ذلك لائقا بحاله لما في هذا العمل من وصفه بالسعاية والوشاية .

(٧) يريد بالباطل أنه يأخذ بالشبهات والظنون الباطلة .

لَتَهْدِيَنِي<sup>(١)</sup> من أعلى جبل في الطريق . والآخرة أتى كنت أفد مع هذا كله على ابن عباد — وهو رجل أساء إلى وأوحشني ، وحاول على لسان صاحبه ابن شاهويه أن أقلب إليه ثانيا ؛ وكنت أكره ذلك ، وما كنت<sup>(٢)</sup> آمن ما يكون منه ومتى ، والمجنون<sup>(٣)</sup> المطاع ، هروب منه بالطباع . وبعد ، فليس لي [حاجة<sup>(٤)</sup>] في مثل هذه الخدمة ، لأن صدر العمر خلا متى عاريا من هذه الأحوال ، وكان وسطه أضعف حملا ، وأبعد من القيام به والقيام عليه .

فقال : ما كان عندي هذا كله .

قال : إني أريد أن أسألك عن ابن عباد فقد أنتجته وخبرته وحضرت<sup>(٥)</sup> مجلسه ، وعن أخلاقه ومذهبه وعادته ، وعن علمه وبلاغته ، وغالب ما هو عليه ، ومغلوب ما لديه ؛ فما أظن أني أجد مثلك في الخبر عنه ، والوصف له ، على أني قد شاهدته بهمدان لما وافى ، ولكني لم أعجمه ، لأن اللبث كان قليلا ، والشغل كان عظيما ، والعائق كان واقعا .

فقلت : إني رجل مظلوم من<sup>(٦)</sup> جهته ، وعاتب عليه في معاملتي ، وشديد الغيظ لحرمانى ، وإن وصفته أزييت<sup>(٧)</sup> منتصفا<sup>(٨)</sup> ، وانتصفت منه مسرفا<sup>(٩)</sup> ،

(١) دهمه : دحرجه .

(٢) « وما أكتب » .

(٣) « والمجنون » .

(٤) موضع هذا اللفظ في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا أو ما يفيد معناه .

(٥) « أمر » .

(٦) أزييت : زدت .

(٧) ورد في الأصل بعد هذه الكلمة لام وميم ؛ ولعلهما من زيادات النسخ ، لاستقامة الكلام بدونهما .

(٨) « مشتركا » ، وقد ورد بعد هذه الكلمة في الأصل حاء وياء ؛ ولعلهما من زيادات النسخ .



فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب ، أو عاريا منهما جملة ، كان الوصف أصدق ، والصدق به أخلق ؛ على أنى عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نفسى الغزير ، ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى المسودة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإن جانبه مهيب ، ولمكره ديب ، وقد قال الشاعر :

إلى أن يغيب<sup>(١)</sup> المرء يرجى ويثقى ولا يعلم الإنسان ما فى الغيب

قال : دع هذا كله ، وأنسخ لى الرسالة من المسودة ، ولا يمنعك ذلك فإن العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها .

وبعد ، فما سألتك إلا وصفه بما جُبِلَ عليه ، أو بما كسب<sup>(٢)</sup> هو بيديه من خير وشر ؛ وهذا غير منكر ولا مكروه ، لأمر الله تعالى ، فإنه مع علمه الواسع ، وكرمه السابغ ، يصف المحسن والمسيء ، ويثنى على هذا وينثو<sup>(٣)</sup> على ذلك ؛ فأذكر لى من أمره ما خفى اللفظ به وسبق الخاطر إليه وحضر السبب له .

قلت : إن الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب فصيح اللسان ؛ قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ؛ والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابه مهجنة بطرائقهم ، ومناظرته مشوبة<sup>(٤)</sup> بعبارة الكتاب ؛ وهو شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزائها كالمهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد ؛ وليس [ عنده ]<sup>(٥)</sup> بالجزء

(١) يغيب ، أى يموت . وفى الأصل « يعيش » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) « كتب » بالناء .

(٣) « ينتو على ذلك » ، أى يخبر عنه بذنوبه ، يقال : « شاعلى فلان ذنوبه » ، إذا أخبر بها عنه وأشاعها .

(٤) كذا فى معجم الأدباء . والذى فى الأصل : « مسترقة » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ ومكانها كلمة مطبوعة تتلوه قاءتها .

الإلهي خبر، ولا له فيه عين<sup>(١)</sup> ولا أثر؛ وهو حسن القيام بالعروض والقوافي؛ ويقول الشعر، وليس بذلك؛ وفي بديهته غدارة. وأما رويته<sup>(٢)</sup> فخوازة؛ وطالعة الجوزاء، والشعري قريبة منه؛ ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية، ولا يرجع إلى الرقة والرافقة والرحمة، والناس كلهم محبسون عنه، لجرأته وسلطته واقتداره وبسطته؛ شديد العقاب لطيف الثواب، طويل العتاب؛ بذى اللسان؛ يعطى كثيرا قليلا (أعني يعطى الكثير القليل)، مغلوب بحرارة الرأس، سريع الغضب، بعيد القيئة<sup>(٣)</sup> قريب الطيرة، حسود حقود حديد، وحسده وقف على أهل الفضل، وحقده سار إلى أهل الكفاية؛ أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سلطوته، وأما المنتجعون<sup>(٤)</sup> فيخافون جفوته؛ وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة، فحوة وتعتنا وتجرأ وزهوا؛ وهو مع هذا يخدعه الصبي، ويخبله النقي؛ لأن المدخل عليه واسع، والمآتي إليه سهل؛ وذلك بأن يقال: مولانا يتقدم بأن أعار شيئا من كلامه، ورسائل منشوره ومنظومه؛ فما جئت الأرض إليه<sup>(٥)</sup> من فرغانة ومصر وتقليس إلا لأستفيد كلامه وأفصح به، وأتلم البلاغة منه؛ لكاننا رسائل مولانا سور قرآن، وفقره فيها آيات فرقان؛ واحتجاجه من ابتدائها إلى انتهائها برهان فوق برهان؛ فسبحان من جمع العالم في واحد، وأبرز جميع قدرته في شخص.

(١) «جن ولا إبر».

(٢) كذا في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٦ الطبعة الأولى. والقى في الأصل: «بديته» ولا يستقيم مع العبارة الساجدة.

(٣) «النية». والتصحيح عن معجم ياقوت. والقيئة: الرجعة.

(٤) «المنكبحون».

(٥) «إلا من فرغانة» وقوله «إلا» زيادة من النسخ.



فيلين عند ذلك ويزوب ، ويلهى عن كل مهم له ، وينسى كل فريضة عليه  
ويتقدم إلى الخازن <sup>(١)</sup> بأن يخرج إليه رسائله مع الورق <sup>(٢)</sup> والورق  
ويسهل <sup>(٣)</sup> له الإذن عليه ، والوصول إليه ، والتمكّن من مجلسه ؛ فهذا هذا .  
ثم يعمل في أوقات كالמיד والفصل شعرا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن  
النتجم ، ويقول : قد نحلّتك هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن  
الثالث من الهمج <sup>(٤)</sup> المنشدين <sup>(٥)</sup> . فيعمل أبو عيسى — وهو بغدادى محكك <sup>(٦)</sup>  
قد شاخ على الخدائع وتحتك — ويُنشد ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه  
ووصفه بلسانه ، ومدحه من تحبيره : أعذ يا أبا عيسى ، فإنك — والله — مُجيد  
زه يا أبا عيسى والله ، قد صفا ذهنك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ؛  
ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد الماضى ، مجالسنا تُخرج الناس  
وتهب لهم الذكاء ، وتزيد لهم الفطنة ، وتحول الكودن <sup>(٧)</sup> عتيقا ، والمحمر <sup>(٨)</sup>  
جوادا ؛ ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة ستيه ؛ وعطية هنيئه ؛ ويغيب الجماعة  
من الشعراء وغيرهم ، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مضراعا ولا يزين  
بيتا ولا يذوق عروضا .

قال يوما : من فى الدار ؟ فقل له : أبو القاسم الكاتب وابن ثابت ؛ فعيل

(١) « الخازن » .

(٢) يريد بأحد الورقين : البرام المضروبة ، وهو بفتح الراء وكسرهما .

(٣) كذا فى معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى . والنسب فى الأصل : « ويهلم » ؛  
وهو تحريف لا معنى له .

(٤) « الهمج » ، وفى حروفه قلب .

(٥) « المنشدين » وما أثبتناه عن معجم الأدباء .

(٦) محكك ، أى مجرب مدرب .

(٧) الكودن : الفرس المجين . والعتيق : عكسه .

(٨) المحمر : الفرس المجين .

في الحال بيتين ، وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنتُ لهذين فأدخلُ بعدهما بساعة  
وقل : « قد قلت »<sup>(١)</sup> بيتين ، فإن رسمتَ لي إنشادهما أنشدتُ « وأزعم أنك  
بُدِيتَ بهما ، ولا تجزع من تأفني بك ، ولا تنزع من نُكْرِي عليك ، ودفعَ  
البيتين إليه ، وأمره بالخروج إلى الصحن ؛ وأذن للرجلين حتى وصلوا ؛ فلما  
جلسا وأنسا<sup>(٢)</sup> دخل الآخر<sup>(٣)</sup> على تقيئتهما<sup>(٤)</sup> ، ووقف للخدمة ، وأخذ  
يتلمظُ يرى أنه يقرضُ شعرا ؛ ثم قال : يا مولانا ، قد حضرني بيتان ، فإن  
أنت أذنتَ لي أنشدتُ . قال : أنت إنسان أخرقٌ سخيف ، لا تقول شيئا  
فيه خير ، اكفني أمرك وشعرك . قال : يا مولانا ، هي بديهتي ، فإن نكسرتني<sup>(٥)</sup>  
ظلمتني ؛ وعلى كلِّ حال فأسمع ، فإن كانا بارعين وإلا فعاملني بما تحب<sup>(٦)</sup>  
قال : أنت لجوج ، هات . فأنشد :

يأئبها الصاحب تاجَ العلا لا تجعلني نُهْزَةً الشامتِ  
بُمُلْحَدٍ يُكْنَى أبا قاسمٍ ومُجَبَّرٍ<sup>(٧)</sup> يُعْزَى إلى ثابتِ

قال : قاتلك الله ، لقد أحسنت وأنت مسيء . قال لي أبو القاسم : فكدتُ  
أثَقَّ غيظا ، لأنني علمت أنه من قَعَلاته المعروفة ؛ وكان ذلك الجاهل لا يقرضُ

(١) ورد في الأصل بعد قوله : « قلت » جيم وميم وهما زيادة من الناسخ ، لاستقامة الكلام بدونهما ، ولأنهما لم يردا في معجم الأدباء . ويلاحظ أن في هذه النسخة كثيرا من الحروف الزائدة .

(٢) كذا في معجم الأدباء . والذي في الأصل : « موانسا » ؛ وهو تحريف .

(٣) « الآخر » وما أثبتناه عن معجم الأدباء .

(٤) « قياثهما » ؛ وهو تحريف . « ودخل على تقيئتهما » ، أي على أثرهما . وتقيئة

القيء : حينه وزمنه .

(٥) « تكسرتني » ؛ وهو تحريف . وفي معجم الأدباء « كسرتني » .

(٦) « يجب » .

(٧) « مجبر » بفتح الباء ، أي منسوب إلى مذهب الجبرية بالتحريك ، وهم فرقة يقولون :

ليس للعبد قدرة ، وإن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعدة .



بيتا . ثم حدثني الخادمُ الحديثَ بنصه .

والذي غلّطه في نفسه وحملَه على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه ، أنه لم يُجِبْهُ قَطُّ بتخطئة ، ولا قوبل بتسوية ؛ ولا قيل له : أخطأت أو قصرت أو لحنت أو غلّطت أو أخطت ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيّدنا ، وصدّق مولانا ، ولله دَرُّه ، ولله بلاؤه ، مارأينا مثله ، ولا سمعنا من يقاربه ، من (أبنُ عبيدٍ كان) مضافا إليه ؟ ومن (أبنُ ثوابة) مقيسا عليه ؟ ومن (إبراهيم بن العباس) الصُّلُوْى [إذا جُمع بينهما] ؟ من (صريع الغواني) من (أشجع السُّلَمَى) إذا سَلَكَ طريقهما ، ومَتَّحَ برشائهما ، وقَدَحَ بزَنديهما ؟ قد استبدرك مولانا على (الخليل) في القروض ، وعلى (أبي عمرو بن القلاء) في اللغة وعلى (أبي يوسف) في النضاء ، وعلى (الإسكافي) في الموازنة ، وعلى (أبنُ نوبخت) في الآراء والديانات ، وعلى (أبنُ مُجاهد) في القراءات ؛ وعلى (أبنُ جرير) في التفسير ، وعلى (أرسطوطاليس) في المنطق ، وعلى (الكِنْدِيّ) في الجزء <sup>(١)</sup> ، وعلى (أبنُ سيرين) في العبارة ، وعلى (أبي القيناء) في البديهة ، وعلى (أبنُ أبي خالد) في الخط ، وعلى (الجاحظ) في الحيوان ، وعلى (سهل بن هرون) في الفقر ، وعلى (يوحنا) في الطب ؛ وعلى (أبنُ رَبَن) <sup>(٢)</sup> في الفردوس ، وعلى (عيسى بن دأب) في الرواية ، وعلى (الواقديّ) في الحفظ ، وعلى (النَّجَّار) في البَدَل <sup>(٣)</sup> ، وعلى (أبنُ ثوابة) في التفقه <sup>(٤)</sup> ، وعلى (السَّريّ السَّقَطِيّ) في الخطرات والوساوس ، وعلى (مُزَيْد) <sup>(٥)</sup>

(١) يريد الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو ما يسمى بالجوهر الفرد .

(٢) « ابن ربن » هو علي بن ربن كان طبيباً مشهوراً ، ألف كتاباً اسمه فردوس الحكمة ، وكان يهودياً ثم أسلم على يد المعتصم .

(٣) البَدَل : اسم كتاب في الكلام لأبي عبد الله الحسين بن محمد النجار .

(٤) في معجم الأدباء « وعلى بن ثوابة في التفقه » .

(٥) هو أبو إسحاق مزيد المدني اشتهر بنوادره المضحكة وبسرعة خاطره ولطيف ملحه .

في النوادر ، وعلى (أبي الحسن العروضي) في أستخراج المعنى ، وعلى (بنى برمك) في الجود ، وعلى (ذى الرياستين) في التدبير ، وعلى (سطيح) في الكهانة ، وعلى (ابن الحميا خالد بن سنان العبسي) في دعواه<sup>(١)</sup> ؛ هو والله أولى بقول (أبي شريح أوس بن حَجَر التميمي) في (فضالة بن كعدة) :

الألمى الذى يظن بك الظن\* كأن قد رأى وقد سمعا

قد يسبق المدح إلى من [لا<sup>(٢)</sup>] يستحقه ، ويصير المال إلى من لا يليق به أن يكون مئلا<sup>(٣)</sup> حتى إذا وجد من كان لذلك مستحقا منحه ووُفِّرَ عليه .

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلوى ويتبسّم ، ويطير فرحا ويتقسم ويقول : ولا كذا<sup>(٤)</sup> ؛ ثمرة السبق لهم ، وقصّرنا أن نلحقهم ، أو نقفوا أثرهم ونشق غبارهم أو نرد غبارهم . وهو في كل ذلك يتشاكى ويتحايل ، ويلوى شدقه ، وابتلع ريقه ، ويرد كالأخذ ، يأخذ كالمتمنع ، ويفضّب في عرض الرضا ، ويرضى في كبوس الغضب ، ويتهاك ويتمالك ، ويتقابل<sup>(٥)</sup> ويتمايل ؛ ويحاكى المومسات ، ويخرج في أصحاب الساجات ؛ ومع هذا كله يظن أن هذا خاف على نقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال ، والذين قد فرغهم الله لتتبع

(١) خالد بن سنان رووا أنه كان نبيا وكان في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكان بأرض عيس . ولم نجد فيما بين أيدينا من الكتب من لقبه بابن الحميا ، وقد وردت كنيته في معجم الأدباء بأبي الحمياة .

(٢) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « ميتا » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والليل ، ذو المال .

(٤) « ولا كذا » : كلمة ظاهرها الرغبة في الاقتصاد في المدح ، وباطنها الحث على الإكثار منه .

(٥) « ويتقابل » ، أى تتقابل أجزاءه بعضها ببعض ، وذلك إذا استوى في مجلسه ولم يحل إلى ناحية .









وقال ابن المرزبان : هو كثير السرقة ، سَيُّ الإِثْناق ، ردىء القلب والعكس ، فَرُوقَةٌ<sup>(١)</sup> في إِرَادِهِ ، هَزِيمَتُهُ قبل هُجُومِهِ<sup>(٢)</sup> . [ وإِحْجَامُهُ<sup>(٣)</sup> ] أَظْهَرَ مِنْ إِقْدَامِهِ . وقال الصَّابِي : هو مُجْتَهِدٌ غَيْرُ مُوَفَّقٍ ، وَفَاضِلٌ غَيْرُ مُنْطَقٍ<sup>(٤)</sup> ولو خَطَا كَانَ أَسْرَعَ لَهُ ، كما أَنَّهُ لَمَّا عَدَا كَانَ أَبْطَأَ عَلَيْهِ ؛ وَطِبَاعُ<sup>(٥)</sup> الْجَبَلِيِّ مُخَالَفٌ لَطِبَاعِ الْعِرَاقِيِّ ، يَثْبُ<sup>(٦)</sup> مُقَارِبًا فَيَقَعُ بَعِيدًا ، وَيَتَطَاوَلُ صَاعِدًا فَيَتَنَاقَسُ قَعِيدًا . وقال عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ : مِمَّ كَانَتِ الطَّبَائِعُ<sup>(٧)</sup> ! هُوَ يَكْذِبُ نَفْسَهُ بِحَسَنِ الظَّنِّ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَطِبَاعُهُ تَصَدِّقُ عَنْهُ بِالتَّخَلُّفِ ، فَهُوَ يَشِينُ اللَّفْظَ وَيَحِيلُ الْمَعْنَى ، فَأَمَّا شَيْنُهُ اللَّفْظَ فَبِالْجَفْوَةِ وَالغَلْظَةِ وَالإِخْلَالَ وَالْفَجَاجَةِ ؛ وَأَمَّا إِحَالَتُهُ فَبِالْإِبْعَادِ عَنْ حَقِيقَةِ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ ؛ وَالْمَعْجَبُ أَنَّهُ يَحْفَظُ الطَّمَّ وَالرَّمَّ<sup>(٨)</sup> مِنَ النُّثْرِ وَالنَّظْمِ ؛ ثُمَّ إِذَا ادَّعَاهَا يَقَعُ دُونَهُمَا سَقُوطًا ، أَوْ يَتَجَاوَزُهَا فُرُوطًا<sup>(٩)</sup> ؛ هَذَا مَعَ الْكِبَرِ الْمَقُوتِ وَالتَّشْيِيعِ الظَّاهِرِ ، وَالدَّعْوَى الْعَارِيَةِ مِنَ الْبَيِّنَةِ الْعَادِلَةِ .

(٦) وما أحسن ما كتب به أحمد بن إسماعيل بن الخصيب إلى آخر : الكبر — أعزك الله — معرض يستوى فيه النبىء ذكرا ، والحامل قدرا ، ليس

(١) الفروقة : الشديد الفرق بالحريك ، وهو الفزع .

(٢) « هجومه » .

(٣) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ، والسياق يقتضى ما أثبتنا أو إثبات ما يفيد معناه .

(٤) غير منطوق ، أى غير بليغ النطق .

(٥) الطباع : الطبع ، يستعمل مفردا كما هنا وجما .

(٦) « ينسبه »

(٧) يشعجب بهذه العبارة من أصل الطبائع التى تخالف صاحبها فتصدق عنه إذا كذب نفسه ، كما يدل على ذلك سياق الكلام الآتى .

(٨) الطم والرم : العدد الكثير . يقال : جاء بالطم والرم . والطم في الأصل : الماء الكثير ، أو ما ساقه الماء من غشاء . والرم : الثرى . والذى في الأصل « الكظم وأكرم » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٩) الفروط : التقدم . وفي الأصل : « قروطا » وهو تصغير .

أمامه حاجب يمنعه ، ولا دونه حاجز يحظره ؛ والناس أشد تحفظاً على الرئيس المحفوظ ، وأكثر اجتناء لأفعاله ، وتتبعاً لمعاييه ، وتصفاً لأخلاقه ، وتنقيراً<sup>(١)</sup> عن خصاله منهم عن خامل لا يُعبأ به ، وساقط لا يُكترث له ؛ فسير عيب الجليل<sup>(٢)</sup> يقدح فيه ، وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل النثم يُسرّع إليه ؛ ولابن هندو في هذا المعنى :

العيب في الرجل المذكور مذكور والعيب في الخامل المستور مستور  
كفوفة<sup>(٣)</sup> الظفر تخفى من مهاتها ومثلها في سواد العين مشهور  
وقال الزهيري : قد نجم بأصبهان ابن لعباد في غاية الرقاعة والوقاحة والخلاعة وإن كان له يوم ، فسيشقى به قوم ، سمعته يقول هذا سنة اثنتين وخمسين في مجلس من الفقهاء .

وقال ابن حبيب : قال بعض الحكماء : إن للنفس أمراضاً كأعراض البدن إلا أن فضل أمراض النفس على أمراض البدن في الشر والضرر كفضل النفس على البدن في الخير ؛ وصاحبنا<sup>(٤)</sup> يعني — ابن عباد — مريض عندنا ، صحيح عند نفسه ، زيف بنقدنا ، جيد بنقده ؛ ولو قامت<sup>(٥)</sup> الشوق على ساقها ، وتناصف المتعاملون فيها ، ولم يقع إكراه في أخذ ولا إعطاء ، عُرف البهرج<sup>(٦)</sup> الذي

(١) « وتنكيراً » ؛ بالكاف .

(٢) « الخليل » .

(٣) « فوفة » ، وهو تصحيف . والفوف بفاءين : اليياض الذي يكون في الأظفار الواحدة فوفة .

(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل جروف مطموسة لم يظهر منها غير الواو والصاد والألف .

(٥) « قامت » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٦) « التهريج » . والبهرج : الردى .









أبلغ من ابن يوسف<sup>(١)</sup> ، وأغزُرُ وأحفظُ وأزوى وأجمُ رَكِيَّة ، وأعذبُ  
مُورِداً ، وأبعدُ من التفاوت ؛ وليس ابن يوسف من ابن عبَّاد في شيء .

فأما ابن العميد فإني سمعت ابن الجمل يقول : سمعت ابن ثوبة يقول :  
أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ وظنَّ أنه إن  
تبعه لحقه ، وإن تلاه أدركه ، فوقع بعيداً من الجاحظ ، قريباً من نفسه ؛  
الأي علم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبرٌ بأشياء لا تلتقي عند كلِّ إنسان  
ولا تجتمع في صدر كلِّ أحد : بالطبع والمنشأ والعلم والأصول والعادة والعمر  
والفراغ والعشق<sup>(٢)</sup> والمنافسة والبلوغ ؛ وهذه مَفَاتِحُ قَلَمَا يملكها واحد ، وسواها<sup>(٣)</sup>  
مُغَالِقُ قَلَمَا ينفك منها واحد .

وأما أبْنُه ذو الكفائتين ، فلو عاش كان أبلغ من أبيه ، كما كان أشعرَ  
منه ؛ ولقد تشبَّه بالجاحظ فأفتضح في مكاتبتة لإخوانه ، وبجائنته في كلامه  
ومسائله لمعلمه التي دلتنا على سرقة وغارته<sup>(٤)</sup> وسوء تأتية<sup>(٥)</sup> ، في تسرُّه وتغطَّيه ؛  
ومن شاء سَمَّقَ نفسه ؛ وكان مع هذا أشدَّ الناس أدعاء لكل غريبة ، وأبعدَ  
الناس من كلِّ قريبة ؛ وهو نَزْرُ<sup>(٦)</sup> المعاني ، شديد الكلف باللفظ ؛ وكان أحسنَ

(١) ابن يوسف الذي يريد هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف أحد أعيان الكتاب  
في دولة بني بويه ، تقلد ديوان الرسائل لعُضد الدولة طوًل أيامه ، وتقلد الوزارة بعده دفعات  
لأولاده ، وهو الذي دس لابن سعدان عند صعبام الدولة حتى سجنه ثم قتله . وفي الجزء الثاني  
من اليتيمة نماذج من رسائله .

(٢) يريد بالعشق هنا : رغبته وميله إلى ما يزاوله من صناعة الكتابة

(٣) « ووباها » .

(٤) « وغارته » .

(٥) « تأليه » .

(٦) « يزور » .

الناس لمن خطَّ بالقلم ، أو بَلَّغَ باللسان ، أو فَلَجَ<sup>(١)</sup> في المناظرة ، أو [ فَكِهَ<sup>(٢)</sup> ]  
بالنادرة ، أو أَغْرَبَ في جواب ، أو أُتَّسَعَ في خطاب ؛ ولقد لقيَ الناسُ منه الدواهيَ  
لهذه الأخلاق الخبيثة ؛ وقد ذكرتُ ذلك في الرسالة ، وإذا بُيِّضَتْ وقتَ<sup>(٣)</sup>  
عليها من أولها إلى آخرها إن شاء الله ؛ وأنصرفتُ .

### الليلة الخامسة

- (١) قال لي ليلة أخرى : ألا تتمَّ ما كُتِّبَ به بدأنا . قلت : بلى .  
فأما أبو إسحاق<sup>(٤)</sup> فإنه أَحَبَّ<sup>(٥)</sup> الناس للطريقة المستقيمة ، وأمضاهم على  
المَحَبَّة الوُسطى ، وإنما يُنقَمُ عليه قِلَّةُ نصيبه من النحر ؛ وليس ابنُ عباد في  
النحو بذاك ؛ ولا كان أيضا ابنُ العميد إلا ضعيفا ؛ وكان يذهب عنه الشيء  
اليسير . وأبو إسحاق معانيه فلسفية ، وطباعه عراقية ، وعادته محودة ؛ لا يَثْبُ  
ولا يَرُسُّب ، ولا يَكِلُّ ولا يَكُمُّ<sup>(٦)</sup> ، ولا يَلْتَفِت وهو متوجِّه ، ولا يتوجَّه وهو  
ملتفِت . وقال<sup>(٧)</sup> لنا : إمامي ابنُ عبد كان<sup>(٨)</sup> ، وهو قد أوَفَّى عليه ، وإن كان

(١) فلج : فاز على خصمه وظفر به .

(٢) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ؛ وما أثبتناه أقرب  
إلى ما ظهر من حروفها .

(٣) « ووقت » . والواو زيادة من الناسخ .

(٤) يريد بآبْنِ إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَلَالِ الصَّابِيِّ كَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ  
وَعَنِ عِزِّ الدَّوْلَةِ الْبُوِيهِ ، وَتَقَدَّرَ دِيْوَانُ الرِّسَائِلِ سَنَةَ ٣٤٩ وَهَمَّ عَلَيْهِ عِضْدُ الدَّوْلَةِ مَكَاتِبَاتٍ  
صَدْرَتْ مِنْهُ ، فَلَمَّا مَلَكَ عِضْدُ الدَّوْلَةِ أَرَادَ قَتْلَهُ فَشَفَعُوا فِيهِ فَأُطْلِقَهُ ، وَأَلْفَ لَهُ كِتَابَ « النَّاجِي »  
فِي أَخْبَارِ بَنِي بُوِيهِ ، وَأُرِيدَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَى وَظَلَّ عَلَى دِينِ الصَّابِئَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٣٨٤ كَمَا  
رَوَى ابْنُ خُلِكَانَ . وَقَالَ ابْنُ النَّدِيمِ إِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ سَنَةِ ٣٨٠ .

(٥) « جم » وسياق العبارة الآتية بعد يقتضى ما أثبتنا .

(٦) يكهم : يضعف .

(٧) وقال ، أى أبو إسحاق الصابى .

(٨) « ابن عبد كان » هو محمد بن عبد كان ، كان كاتباً للدولة الطولونية ، وكان بليفا مترسلا  
فصبيا ، وله ديوان رسائل .









الرأى وقضية العقل ، لكان معلماً في مصطبة على شارع ، أوفى دار ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفهمه وتشاؤمه ، وأستحقاره وأستكباره ، وإعادته وإبدائه ، وهذه أشكال تُعجب الصبيان ولا تنفرهم من المعلمين ، ويكون فرحهم بها سبباً للملازمة والحرص على التعلم والحفظ والرواية والدراسة .

(٤) قال : هذا قدرٌ كافٍ إلى أن تبيض الرسالة ؛ هات ملحة الوداع . قلتُ : قال أبو العيناء : قال أبو دعلج : قال المهدي : بايع ؛ قلتُ : أبايعكم [علام ؟ قال<sup>(١)</sup>] : على ما بويح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم صفين . قال كريز أبو سيار المسمى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدرك صفين ، إنما كانت صفين بين علي ومعاوية . فقال دوست بن رباط النقيمي أبو شعيب : قد علم الأمير هذا ، ولكن أحب التسهيل على الناس ، وأنصرفت .

### الليلة السادسة

(١) ثم حضرته ليلة أخرى فأول ما فاتح به المجلس أن قال : أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب ؟

قلتُ : الأم عند العلماء أربع : الروم ، والعرب ، وفارس ، والهند ؛ وثلاث من هؤلاء عجم ، وصُغِبُ أن يقال : العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة ، مع جوامع ما لها ، وتنازير ما عندها . قال : إنما أريد بهذا القُرْس . فقلتُ : قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي ، أروى كلاماً لابن المقفع ، وهو أصيل في القُرْس عريق في العجم ، مفضل بين أهل الفضل ؛ وهو صاحب (اليتيمة) القائل :

(١) ما بين المرجين لم يرد بالأصل ؛ والسياق يقتضيه .

تركت أصحاب الرسائل بعد هذا الكتاب في تخضاج من الكلام . قال : هات على بركة الله وعونه . قلت : قال شبيب بن شبة : إنا لوقوف في عرصية الميربد — وهو موقف الأشراف ومجتمع الناس وقد حضر أعيان المصر — إذ طلع ابن المقفع ، فما فينا أحد إلا هتف له ، وأرتاح إلى مساءلته ، وصررنا بطلعته ؛ فقال : ما يقفكم على متون دوابكم في هذا الموضع ؟ فوالله لو بعث الخليفة إلى أهل الأرض يبتغي مثلكم ما أصاب أحدا سواكم ، فهل لكم في دار ابن برثن في ظل ممدود ، وواقية من الشمس ، واستقبال من الشمال ، وترويح للدواب والغلان ، وتمهد الأرض فإنها خير بساط وأوطأ ، ويسمع بعضنا من بعض فهو أمد للمجلس ، وأدثر للحديث . فسارعنا إلى ذلك ، ونزلنا عن دوابنا في دار ابن برثن تنسم الشمال ، إذ أقبل علينا ابن المقفع ، فقال : أي الأم أعقل ؟ فقلنا أنه يريد الفرس ، فقلنا : فارس أعقل الأم ، تقصد مقاربتة ، ونتوخي مصانعتة . فقال : كلا ، ليس ذلك لما ولا فيها ، هم قوم علّوا فتعلّوا ، ومثّل لهم فامتثلوا وأقتدوا<sup>(١)</sup> وبُدثوا بأمر فصاروا إلى أتباعه ، ليس لهم استنباط ولا استخراج . فقلنا له : الرّوم . فقال : ليس ذلك عندها ، بل لهم أبدان وثيقة وهم أصحاب بناء<sup>(٢)</sup> وهندسة ، لا يعرفون سواها ، ولا يحسنون غيرها .

قلنا : فالصّين . قال : أصحاب أثاث وصنعة ، لا فكر لما ولا روية . قلنا : فالترك . قال : سباع للهراش . قلنا : فالهند . قال : أصحاب وهم ومخرقة<sup>(٣)</sup> وشعبذة وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائم هائلة<sup>(٤)</sup> . فرددنا الأمر إليه . قال : العرب .

(١) « وامتدوا » .

(٢) « بقاء » ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « الحرق » . والشعبذة والشعوزة : واحد ، وهي أخذ كالسر ترى المعنى بغير ما عليه أصله في رأى العين .

(٤) هائلة ، أي مهيلة . وفي الأصل : « هائلة » .









فللفُرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ؛ وللرُوم العلم والحكمة ؛ وللهند الفكر والروية والخفة<sup>(١)</sup> والسحر والأناة ؛ وللتُّرك الشجاعة والإقدام ؛ وللزُّنَج الصبر والكَد والفرح ؛ وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذِّمام والخطابة والبيان .

ثم إنَّ هذه الفضائل المذكورة ، في هذه الأمم المشهورة ، ليست لكل واحد من أفرادها ، بل هي الشائعة بينها ؛ ثم في جملتها<sup>(٢)</sup> مَنْ هو عارٍ من جميعها ، وموسوم بأضدادها ، يعنى أنه لا تخلو الفُرس من جاهل بالسياسة ، خالٍ من الأدب ، داخلٍ في الرُّعاع والهمَج ؛ وكذلك العرب لا تخلو من جَبَانٍ جاهلٍ طَيَّاشٍ بخيلٍ عيٍّ<sup>(٣)</sup> وكذلك الهند والرُّوم وغيرُهم ؛ فعلى هذا إذا قو بل أهلُ الفضل والكمال من الرُّوم بأهل الفضل والكمال من الفُرس ، تلاقوا على صراطٍ مستقيم ، ولم يكن بينهم تفاوتٌ إلا في مقادير الفضل وحدود الكمال ، وتلك لا تخص<sup>(٤)</sup> بل تلم . وكذلك إذا قو بل أهلُ النقص والذيلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة أخرى ، تلاقوا على نهج واحد ، ولم يقع بينهم [تفاوت<sup>(٥)</sup>] إلا في الأقدار والحدود ؛ وتلك لا يُلْتَفَت إليها ، ولا يعار<sup>(٦)</sup> عليها ؛ فقد بان بهذا الكشف أنَّ الأمم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص بأضطرار الفِطْرة ، وأختيار الفكرة . ولم يكن بعد ذلك إلا ما يتنازعه الناس بينهم بالنسبة الترايبيَّة ، والعادة المنشئيَّة

(١) في الأصل : « المفة » ، ولم نجد من معانيها ما يناسب السياق . ولعل صوابه ما أثبتنا . ويريد بالخفة : الشعوذة ، فإنها خفة في اليد . وقد سبق وصف الهنود بذلك .

(٢) « أجلتها » .

(٣) « غي » .

(٤) في الأصل : « يحصل بل تسلم » ومعنى الكلمتين لا يناسب السياق . ويريد أنها لا تخص أمة دون أمة ، بل تجمع الأمم كلها .

(٥) موضع هذه الكلمة حروف مطموسة في الأصل تتعذر قراءتها .

(٦) يعار : يعاب .

والهوى الغالب من النفس الغضبية ، والنزاع الهائج من القوة الشهوية .  
وهاهنا شيء آخر ، وهو أصل كبير لا يجوز أن يخلو كلامنا من الدلالة عليه  
والإيماء إليه .

[ وهو أن <sup>(١)</sup> ] كل أمة لها زمان على ضدها <sup>(٢)</sup> ، وهذا بين مكشوف إذا  
أرسلت وهمك في دولة يونان والإسكندر ، لَمَّا غَلَبَ وساس ومَلَك ورأس وفتق  
ورَتَق ورَسَم ودَبَّر وأمر ، وحث وزجر ، ومحا وسطر ، وفعل وأخبر ؛ وكذلك  
إذا عطفت إلى حديث كسرى أنوشروان وجدت هذه الأحوال بأعيانها ، وإن  
كانت في غُلف غير غُلف الأول ، ومعارض غير معارض المتقدم ؛ ولهذا قال  
أبو مسلم صاحب الدولة حين قيل له : أى الناس وجدتهم أشجع ؟ فقال : كل  
قوم في إقبال دولتهم شجعان . وقد صدق ؛ وعلى هذا كل أمة في مبدأ سعادتها  
أفضل وأمجد وأشجع وأمجد وأسخر وأجود وأخطب وأنطق وأزأى وأصدق ؛  
وهذا الاعتبار ينساق من شيء عام لجميع الأمم ، إلى شيء شامل لأمة أمة  
إلى شيء حار لطائفة طائفة ، إلى شيء غالب على قبيلة قبيلة ، إلى شيء معتاد  
في بيت بيت ، إلى شيء خاص بشخص شخص وإنسان إنسان ؛ وهذا التحول  
من أمة إلى أمة ، يشير <sup>(٣)</sup> إلى فيض جود الله تعالى على <sup>(٤)</sup> جميع بريته وخليقته  
بحسب استجابتهم لقبوله ، واستعدادهم على تطاول الدهر في نيل ذلك من فضله  
ومن رقي إلى هذه الرتبة بعين لا قذى بها ، أبصر الحق عيانا بلا مريية ، وأخبر

(١) هذه التكملة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) ضدها ، أى لها زمان تكون لها فيه الدولة والغلبة على عدوها . وفي الأصل :  
« ضد هذا » وقوله : « ذا » زيادة من الناسخ ؛ كما يدل عليه سياق الكلام الآتي .

(٣) « وهو يشير » . والظاهر أن قوله « وهو » زيادة من الناسخ .

(٤) « إلى » .



عنه بلا [فريّة<sup>(١)</sup>] ؛ ومتى صدق نظرك في مبادئ الأحوال وأوائل الأمور  
وضح لك هذا كله كالنهار إذا مَتَعَ<sup>(٢)</sup> ، وأستنار كالقمر إذا طلع ؛ ولم يبق  
حينئذ ريب في عرفان الحق وحصول الصواب ، إلا ما يَلْتَنَثُ بالهوى ، وَيَشْتَجُجُ  
بالتعصب ، وَيَجْلِبُ اللّجاج ، ويخرج إلى المحك<sup>(٣)</sup> ؛ فهناك يطيح<sup>(٤)</sup> المعنى  
ويضل المراد ، فإذا آثرت أن تعرف صحة هذا الحكم وصواب هذا الرأي ،  
فاسمع ما أرويه : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : انصرف العباس بن مرداس  
السلمي من مكة فقال : « يا بني سلّم ، إني رأيت أمرا ، وسيكون خيرا ، رأيتُ  
بني عبد المطلب كأن قُدُودَهم الرّماح الرّدينيّة<sup>(٥)</sup> ، وكأن وجوههم بدور الدّجّنة  
وكان عمائمهم فوق الرجال ألوية ، وكان منطقتهم مطرُ الوَبَلِ على المحل ؛  
وإن الله إذا أراد أن يرأ<sup>(٦)</sup> غرس له غرسا ، وإن أولئك غرسُ الله ؛ فترقبوا ثمرته  
وتوكّفوا<sup>(٧)</sup> غيثه ، وتقيّوا ظلاله ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به . ولقد قرع  
العباس بهذا الكلام باب الغيب ، وشعر بالمستور ، وأحسن بالخافي ، وأطلع عقله  
على المستتر ، وأهتدى بلطف هاجسه إلى الأمر المزمع ، والحادث المتوقع ؛ وهذا  
شئ فاش في العرب ، لطول وحدتها ، وصفاء فكرتها ، وجودة بنيّتها  
وأعتدال هينتها ، وصحة فطريتها ، وخلاء ذرعها ، وأتقاد طبيعتها ، وسعة لغتها  
وتصاريف كلامها في أسماؤها وأفصالها وحروفها ، وجوّالانها في اشتقاقاتها ، وماخذها

(١) هنا كلمة مطبوسة الحروف في الأصل تتعذر قراءتها . واستقامة الكلام تقتضي  
ما أثبتنا أو ما يفيد هذا المعنى .

(٢) متع النهار : ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال .

(٣) المحك : للنازعة والتمادي في اللجاج .

(٤) « يطيح » .

(٥) الرماح الردينية : نسبة إلى ردينة ، وهي امرأة من العرب كانت تقوم الرماح .

(٦) « أمرا » .

(٧) الحرفان الأولان من هذه الكلمة في الأصل مطبوسان تتعذر قراءتهما بموسيقا

الكلام يقتضي ما أثبتنا . ومعنى « توكّفوا غيثه » ارتقبوه وانتظروه .

البديعة في أستعاراتها ، وغرائب تصريفها في اختصاراتها ، ولطف كنياتها في مقابلة تصريحاتها ، وفنون تبجيحها<sup>(١)</sup> في أكناف مقاصدها ، وعجيب مقاربتها<sup>(٢)</sup> في حركات لفظها ؛ وهذا وأضعافه مسلم لهم ، وموفر عليهم ، ومعروف فيهم ومنسوب إليهم ، مع الشجاعة والتجدة والذمام<sup>(٣)</sup> والضيافة والفطنة والخطابة والعمية والأثقة والحفاظ والوفاء ، والبذل والسخاء ، والتهاك في حب الثناء والتكلم<sup>(٤)</sup> الشديد عن الذم والمهجاء ؛ إلى غير ذلك مما خصت به في جاهليتها قبل الإسلام ، مما لا سبيل إلى دفعه وجحوده ، والبهت فيه ، والمكابرة عليه ؛ وقد سمعنا لغات كثيرة — وإن لم نستوعبها — من جميع الأمم ، كلفة أصحابنا المعجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا شيء من هذه اللغات نصوع<sup>(٥)</sup> العربية ، أعنى الفرج التي في كلماتها ، والقضاء الذي نجده بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي ندوتها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تتجعد في أبنيتها ؛ وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول ، وصحة هذا الحكم ، فألحظ عرض<sup>(٦)</sup> اللغات الذي هو بين أشدها تلاسا وتداخلا ، وترادفا وتماظلا<sup>(٧)</sup> وتعشرا وتعوصا<sup>(٨)</sup> ، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفا ، وأرق

(١) تبجيحها ، أى اتسامها .

(٢) « مقاربتها » .

(٣) « والتمام » .

(٤) النكل بالتحريك : لغة في النكول ، أى النكوس عن الشيء والتنجي عنه .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل مطبوسة الحرفين الأولين ، ولم يظهر منها غير الواو والعين .

(٦) « عرض » .

(٧) تماظلل الكلام : تراكمه وتوالي بعضه فوق بعض . وكان زهير لا يماظل بين الكلام

أى لا يكرره .

(٨) في الأصل : « وتعوضا » بالفتح والضم ؛ ولم نجد من معاني القروض ما يناسب

السياق ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه خطه على النسخ ، إذ مؤدى الكلمتين واحد .



لفظاً ، وأخفُ اسماً ؛ وألطفُ أوزاناً<sup>(١)</sup> ، وأحضرُ<sup>(٢)</sup> عياناً ؛ وأحلى مخرجاً وأجلى منهجاً<sup>(٣)</sup> وأعلى<sup>(٤)</sup> مدرجاً ؛ وأعدلُ عدلاً ، وأوضحُ فضلاً ، وأصحَّ وصلاً إلى أن تنزل<sup>(٥)</sup> إلى لغة بعد لغة ، ثم تنتهي إلى العربية ، فإنَّك تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والأغماض ، سرى<sup>(٦)</sup> قليلاً قليلاً حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض .

وهذا شيء يجده<sup>(٧)</sup> كل من كان صحيح البنية ، بريثاً من الآفة ، متنزهاً عن الهوى والعصبية ، محباً للإنصاف في الخصومة<sup>(٨)</sup> ، متحرراً للحق في الحكومة ، غير مسترق<sup>(٩)</sup> بالتقليد ، ولا مخدوع بالإلف ، ولا مستغر<sup>(١٠)</sup> بالعادة ، وإني لأعجب كثيراً ممن يرجع إلى فضل واسع ، وعلم جامع ؛ وعقل سديد ، وأدب كثير ، إذا أبى هذا الذي وصفته ، وأنكر ما ذكرته ؛ وأعجب أيضاً فضل عجب من الجيّهاني<sup>(١١)</sup> في كتابه وهو يسب العرب ، ويتناول

(١) « أوزاناً » .

(٢) في الأصل : « وأخطر » ومعناه لا يناسب السياق . ويريد بقوله : أحضر عياناً : أنها شديدة الظهور .

(٣) « منهجكم » .

(٤) « وللاً » .

(٥) « ترك » .

(٦) « سترى » ؛ والتاء زيادة من النسخ .

(٧) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير المال والماء . وسياق الكلام يقتضى لإبائها على هذا الوجه .

(٨) « الخصومية » .

(٩) في الأصل : « مستفرغاً » . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(١٠) « مستخرناً » .

(١١) الجيّهاني : نسبة إلى جيّهان مدينة بخراسان . وقد شهر بهذه النسبة اثنان : أحدهما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر وزير السامانية ببخارى ، كان أديباً فاضلاً من الكتب كتاب آيين نامه وكتب أخرى ؛ وجيّهاني آخر اسمه محمد بن أحمد كان كذلك وزيراً للسامانيين . =

أعراضها ويحيط من أقدارها ، ويقول : يا كلون اليرابيع والضباب والجُرذان والحيات ويتعاورون <sup>(١)</sup> ويتساورون ، ويتهاجون ويتفاحشون ، وكأنهم قد سلخوا من فضائل البشر ، ولبسوا أهُبَ الخنازير . قال : ولهذا كان كسرى يسمي ملك العرب : « سَكَّانَ شاه » ، أي ملك الكلاب . قال : وهذا <sup>(٢)</sup> لشدة شبههم بالكلاب وجرائها ، والذئاب وأطلائها <sup>(٣)</sup> وكلاما كثيرا من هذا الصوب أرفع قدره عن مثله ، وإن كان يضع من نفسه بفضل قوله . أتراه لا يعلم لو نزل <sup>(٤)</sup> ذلك القفر وتلك الجزيرة وذلك المكان الخاوي وتلك النياقي والتوامي ، كل كسرى كان في الفرس ، وكل قيصر كان في الروم ، وكل بلهور <sup>(٥)</sup> كان بالهند ، وكل يقفور كان بخراسان ، وكل خاقان كان بالترك وكل أخشاد <sup>(٦)</sup> كان بفرغانة وكل صهبند <sup>(٧)</sup> كان من أسكنان <sup>(٨)</sup> وأردوان

== قال فيه ياقوت : كان أدبيا فاضلا شهما جسورا . وقد ترجم لكليهما ياقوت . وقال ابن النديم في الأخير : لانة من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ويصنفون في نصرة الأئنية . والظاهر أن الأخير هو المراد هنا .

(١) يتعاورون ، أي يذكر بعضهم عورة بعض .

(٢) « ولهذا » ؛ واللام زيادة من الناسخ .

(٣) أطلائها : أولادها .

(٤) في الأصل : « كوثر » وبعد الراء حرف مطموس يشبه أن يكون « لاما » .

(٥) بلهور : لقب لكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيويه في كتابه ، وفسره السيرافي .

(٦) أخشاد وأخشيد لقب كان للوك فرغانة ، ولهذا لقب الرضى بالله العباسي محمد بن

طنج صاحب مصر والشام بالأخشيد ، لأنه كان فرغانيا . وفرغانة مدينة وكورة واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان .

(٧) في الأصل : « شبه » بالشين ؛ وفيه تحريف وتمس حرفين إذ لم نجده بالمعنى المناسب

فيما راجعناه من معجمات اللغتين العربية والفارسية ، ولعل صوابه ما أثبتنا ، فقد ورد في شفاء

الغليل أن صهبند معناه الأمير ؛ وهو معرب ورد في شعر جرير . وفي كتاب الألفاظ الفارسية

العربية أن صهبند بالفارسية معناه قائد العسكر وهو مركب من كلمتين « سپه » أي عسكر

و « بد » أي صاحب .

(٨) لعله « أشكيشان » كما في معجم البلدان ، وهي من قرى أصبجان . وأردوان :

ويقال فيه : أردوال ، بلدة صغيرة بين واسط والجبل وبلاد خوزستان .



ما كانوا يَعدُّون هذه الأحوال لأنَّ من جاعَ أكل ما وجد ، وطِعم ما لَحِقَ<sup>(١)</sup> ،  
 وشَرِبَ ما قَدَّرَ عليه ، حبَّ للحياة ، وطلباً للبقاء ، وجزعاً من الموت ، وهرباً من  
 القَضاء . أتري أنوشروان إذا وقع إلى فيافي بني أسد وَبَرَ<sup>(٢)</sup> (وَبَار<sup>(٣)</sup>) وسُفوح  
 طِيبِة<sup>(٤)</sup> ، ورَمَلٍ يَبْرِين وساحةٍ هَبِير<sup>(٥)</sup> ، وجاع وعَطَش وعَرِي ، أما كان  
 يأكل اليزْبُوعَ والجُرْذَان ؛ وما كان يشرب بَوَّلَ الجمل وماء البئر ، وما أَسَنَ في  
 تلك الوَهْدَات ؟ أو ما كان يلبس البُرْجُدَ<sup>(٦)</sup> والخَيْصَةَ<sup>(٧)</sup> وَالسِّمْلَ<sup>(٨)</sup> من الثياب  
 وما هو دونه وأخشن ؟ بلى والله ، ويأكل حشرات الأرض ونبات الجبال ، وَكَلَّ  
 ما حمض ومَرَّ ، وخُبث وضرَّ ، هذا جَهْلٌ من قائله ، وخَيْفٌ من منتعلِه ؛ على أن  
 العرب — رحمك الله — أحسنُ الناس حالاً وعيشاً إذا جادتهم السماء ، وصدقَتهم  
 الأنواء<sup>(٩)</sup> ؛ وأزدانت الأرض ، فهُدَّت الثمار ، وأطردت الأودية ، وكثُر اللبَنُ  
 والأقِطُ<sup>(١٠)</sup> والجُبْن واللَّحْم والرُّطْب والتَّمَر والقَمَح ، وقامت لهم الأسواق ، وطابت

(١) « بالحق » .

(٢) وبار : أرض واسعة يبلد اليمين زهاء ثلثة فرسخ في مثلها ، وهي ما بين الشحر  
 إلى نفوم صنعاء .

(٣) طيبة : بلدة عند زُرود . ويريد سفوح الجبال التي هناك .

(٤) الهبير : رمل قرب زُرود بطريق مكة . وفي الأصل : « هبير » بتقديم الياء على الباء  
 ولم نجد فيه فيما راجعناه من الكتب .

(٥) البرجد : كساء غليظ من صوف أحمر . وقال بعضهم : هو كساء ضخم مخطط يصلح  
 للخباء وغيره .

(٦) الخيصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٧) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٨) الأنواء : الأمطار ؛ الواحد نوء . وأصل النوء سقوط نجم في المغرب وطلوع  
 نجم بحاله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى هذه  
 الأنواء .

(٩) الأقط : شيء يتخذ من الخيض الفضي يطبخ ثم يترك حتى يعسل . وقيل : من  
 اللبن الحليب .

المِزَابَ وَفُشَا الْحِصْبِ ، وَتَوَالَى النَّتَاجُ ، وَأَتَّصَلَتِ الْمِيزَةُ ، وَصَدَقَ الْمَصَابُ <sup>(١)</sup> وَأَرْفَعَ <sup>(٢)</sup> المنتجع ، وَتَلَاقَتِ الْقِبَائِلُ عَلَى الْمَحَاضِرِ <sup>(٣)</sup> ، وَتَقَاوَلُوا <sup>(٤)</sup> وَتَضَافَعُوا ، وَتَعَاقدُوا وَتَعَاهَدُوا ، وَتَزَاوَرُوا وَتَنَاشَدُوا ؛ وَعَقَدُوا الذَّمَّ ، وَنَطَقُوا بِالْحِكْمِ ؛ وَقَرَّوْا الطَّرَاقَ وَوَصَلُوا الْعُقَاةَ ، وَزَوَّدُوا السَّابِلَةَ ، وَأَرْشَدُوا الضَّلَّالَ ، وَقَامُوا بِالْحَمَلَاتِ <sup>(٥)</sup> وَفَكَّوْا الْأَسْرَى ، وَتَدَاعَوْا <sup>(٦)</sup> الْجَفَلَى ، وَتَعَاوَا النَّقْرَى ، وَتَنَافَسُوا فِي أفعال المعروف ؛ هَذَا وَهَمٌّ فِي مَسَاقِطِ رءُوسِهِمْ ، بَيْنَ جِبَالِهِمْ وَرِمَالِهِمْ ، وَمَنَاشِيْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، وَمَوَالِدِ أَهْلِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، عَلَى جَاهِلِيَّتِهِمْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ حِينَ هَبَّتْ رِيحُهُمْ وَأَشْرَقَتْ دَوْلَتُهُمْ بِالْدَعْوَةِ ، وَأَنْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُمْ بِالْمَلَّةِ ، وَعَزَّتْ مَلَّتُهُمْ بِالنَّبُوَّةِ ، وَغَلَبَتْ نَبِيُّتُهُمْ بِالشَّرِيعَةِ ، وَرَسَخَتْ شَرِيعَتُهُمْ بِالْخِلَافَةِ ، وَنُضِرَتْ خِلَاقَتُهُمْ بِالسِّيَاسَةِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ، كَيْفَ تَحَوَّلَتْ جَمِيعُ مُحَاسِنِ الْأُمَمِ إِلَيْهِمْ وَكَيْفَ وَقَعَتْ فُضَائِلُ الْأَجْيَالِ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ طَلِبُوهَا وَكَدَحُوا <sup>(٧)</sup> فِي حَيَازَتِهَا أَوْ تَعَبُوا فِي نَيْلِهَا ، بَلْ جَاءَتْهُمْ <sup>(٨)</sup> هَذِهِ الْمَنَاقِبُ وَالْمَغَاخِرُ ، وَهَذِهِ النُّوَادِرُ مِنَ الْمَآثِرِ عَفَا <sup>(٩)</sup> ، وَقَطَنَتْ بَيْنَ أَطْنَابِ بِيُوتِهِمْ سَهْوَا رَهْوَا <sup>(١٠)</sup> ؛ وَهَكَذَا يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ

(١) المصَاب : المقصد . يريد المكان الذي يقصدونه للاتِّجَاع ، مِنْ صَاب يَصُوبُ إِذَا قَصِدَ .

(٢) أَرْفَعَ لَهُ الْمَعَاشُ : وَسَّعَهُ .

(٣) الْمَحَاضِرُ : الْمَنَاحِلُ ، لِحُضُورِ الْقِبَائِلِ وَاجْتِمَاعِهَا عَلَيْهَا ، الْوَاحِدُ مُحَضَّرٌ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالضَّادِ .

(٤) « وَتَقَاوَلُوا » بِالْفَيْنِ وَالزَّيِّ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) الْحَمَلَاتُ بَفَتْحِ الْحَاءِ : الدِّيَاتُ وَالْفَرَامَاتُ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ عَنْ قَوْمٍ .

(٦) تَدَاعَوْا الْجَفَلَى ، أَيْ دَعَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى الطَّعَامِ دَعْوَةً عَامَةً لَا تَخْصِيصَ فِيهَا .

وَالنَّقْرَى : الدَّعْوَةُ الْخَاصَّةُ ، قَالَ طَرَفَةُ : (نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى \* لَا تَرَى الْآدَبَ فِينَا يَنْتَقِرُ) وَتَعَاوَا أَيْ كَرِهُوا ، مِنْ عَافَ الشَّيْءُ يَافُهُ .

(٧) « وَقَدَحُوا » بِالْقَافِ .

(٨) « جَلَّتْهُمْ » .

(٩) « حَفُوا » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثَبْنَا كَمَا يَنْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(١٠) سَهْوَا رَهْوَا ، أَيْ عَفَا بِلَا مَشَقَّةٍ . يُقَالُ : أَتَاهُ هَذَا الْأَمْرُ سَهْوَا رَهْوَا ، أَيْ فِي سَهْوَةٍ وَرَفَقٍ .



تولاه الله بتوقيفه ، وساقه إلى أهله بتأييده ، وحلّى مستحقّيه بأختياره ؛ ولا غالب لأمر الله ، ولا مبدّل لحكم الله ، ولذلك قال الله تعالى : ( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) . والله في خلقه أسرار ، تتصرف بها دوائر الليل والنهار ، وتذلّلها تجارى الأقدار ، حتى يُنتهى بمحبوبها ومكروهها إلى القرار .

عزّ إلها معبودا ، وجلّ ربّا محمودا مقصودا . وبعد ، فالذى لا شكّ فيه من وصف العرب ، ولا جاحد له من حالها ، أنه ليس على وجه الأرض جيلٌ من الناس ينزلون القفر ، وينتجعون السحابَ والقطر ؛ ويمالجون الإبل والخيل والغنم وغيرها ، ويستبدّون في مصالحهم بكلّ ما عندهم ، وبكلّ ما قلّ وكثُر ، وبكلّ ما سهّل وعسّر ؛ ويرجون الخير من السماء في صَوْبِهَا<sup>(١)</sup> ، ومن الأرض في نباتها ؛ مع مراعاة الألوان بعد الألوان ، وثقة بالحال بعد الحال وتبصرة فيما يُفعل ويُجتنب ؛ ما للعرب فيما قدّمنا وصفه ، وكرّرنا شرحه من علمهم بالخشب والجذب ، واللّين والقسوة ، والحرّ والبرّد ، والرياح المختلفة والسحاب الكاذبة ، والمخايل الصادقة ، والأنواء المحمودة والمذمومة ، والأسباب الغريبة العجيبة .

وهذا لأنّهم مع توخّشهم مستأنسون ، وفي بواديهم حاضرون ، فقد أجمع لهم من عادات الحاضرة أحسنّ العادات ، ومن أخلاق البادية أطهر الأخلاق . وهذا المعنى على هذا النظم قد عدّمه أصحاب المدّن وأرباب الحضر ، لأن الدناءة والرقة والكيس والهيّن والخلابة والخداع والحيلة والمكر والخبث تغلب

(١) « صوتها » بالناء ؛ وهو تصحيف .

على هؤلاء وتمليكهم ، لأن مدار أمرهم على المعاملات السيئة ، والكذب في الحس<sup>(١)</sup> ، والخلف في الوعد .

- (٤) والعرب قد قدّسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجعلها على أشرف الأخلاق بقدرته ؛ ولهذا تَجِدُ أحدهم وهو في بَيْتٍ<sup>(٢)</sup> حافيا حاسرا يذكر الكرم ، ويفتخر بالمحمدة ، وينتحل النجدة ، ويحمل الكل<sup>(٣)</sup> ، ويضحك في وجه الضيف ويستقبله بالبشر ، ويقول : \* أحذثه إن الحديث من القرى \* ثم لا يقنع بئث العُرف وفعل الخير والصبر على النوائب حتى يحضّ الصغير والكبير على ذلك ويدعو إليه ، ويستنهضه نحوه ، ويكلفه مجهوده وعفوه .

وقد قيل لرجل منهم في يوم شاتٍ وهو يمشي في سَمَلٍ<sup>(٤)</sup> : أما تجد البرد يا أخا العرب ؟ فقال : أمشي الخيزلي<sup>(٥)</sup> ويكفيني حسبي . والفارسي لا يحسن هذا النمط ، ولا يذوق هذا المعنى ولا يحلم بهذه اللطيفة ؛ وكذلك الرومي والمهندي وغيرهما من جميع العجم .

- (٥) ومما يدل على تحضرهم في باديتهم ، وتبذيرهم في تحضرهم ، وتخليهم بأشرف أحوال الأمرين ، أسواقهم التي لهم في الجاهلية ، مثل دومة<sup>(٦)</sup> الجندل بقرى

(١) في الأصل : « الحسة » والتاء زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « بيت » والياء زيادة من الناسخ . والبت : كساء غليظ من صوف أو وبر .

(٣) الكل : الضعيف ؛ يقال هو يحمل الكل ، أي يميز الضعفاء الذين لا يستطيعون الكسب ويقوم بأمرهم .

(٤) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٥) « الختلي » وهو تصحيف . والختلي : مشية فيها تتأقل وانكالك ، كالخوزلي .

(٦) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جلي على وينها وبين دمشق سبع مراحل ، وكانت منازل لكثافة من كلب .



كلب<sup>(١)</sup> وهي النصف بين العراق والشام ، كان ينزلها الناسُ أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ؛ وكان يعشّرم<sup>(٢)</sup> أكبر<sup>(٣)</sup> دومة ، وربما غلبت على السوق كلب فيعشّرم<sup>(٤)</sup> بعض رؤساء كلب ؛ فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر<sup>(٥)</sup> ، وهو المشقر<sup>(٦)</sup> في شهر ربيع الآخر ، فتقوم أسواقهم ؛ وكان يعشّرم المندر بن ساوي أحد بني عبد الله بن دارم ، ثم يرتحلون نحو عمان<sup>(٧)</sup> ، فتقوم سوقهم بديار دبا<sup>(٨)</sup> ، ثم بصحار<sup>(٩)</sup> ، ثم يرتحلون فينزلون إرم<sup>(١٠)</sup> ، وقرى الشحر<sup>(١١)</sup> فتقوم أسواقهم أيتاما ، ثم يرتحلون فينزلون عدن أبين ، ومن سوق عدن تشتري اللطائم<sup>(١٢)</sup> وأنواع الطيب ، ولم يكن في الأرض أكثر طيبا ، ولا أحذق صنّاعا للطيب من عدن ؛ ثم يرتحلون فينزلون الراية من حضرموت ، ومنهم من

(١) في الأصل : « كليب » والماء زيادة من الناسخ .

(٢) أكبر ، هو صاحب دومة الجندل .

(٣) يعشّرم ، أى يأخذ منهم العشر .

(٤) مدينة هجر : قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر . قال ياقوت : وهو الصواب .

(٥) المشقر : حصن بالبحرين قديم كان لعبد القيس بنى حصنا لهم آخر يقال له : الصفا قبل مدينة هجر .

(٦) ذكر صاحب بلوغ الأرب أن هذه السوق كانت تقوم في أول يوم من جمادى الآخرة .

(٧) عمان : كورة عربية على ساحل البحر ، وهي في شرقي هجر .

(٨) في الأصل : « دبا » وهو تحريف . قال ياقوت : « دبا سوق من أسواق العرب بعمان ، وهي مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديمة قسبة عمان » .

(٩) صحار : بلدة بعمان كانت فيما مضى قسبة هذه الكورة ، وهي على البحر وتلى الجبل .

(١٠) إرم : فلاة قرب عدن كما في كتاب صفة جزيرة العرب .

(١١) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن وعمان .

(١٢) اللطائم : نوافج المسك ، أى سرره ، الواحد لطيمة .

يمجوزها ويرد صنعاء ، فتقوم أسواقهم بها ، ومنها كانت تجلب آلة الخزز والأدم والبرود ، وكانت تجلب إليها من معافر<sup>(١)</sup> ، وهي معدن البرود والخبر<sup>(٢)</sup> ثم يرحلون إلى عكاظ وذى المجاز فى الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتحاجون ويتحادون ، ومن له أسير يسعى فى فدائه ، ومن له حكومة أرتفع إلى الذى يقوم بأمر الحكومة من بنى تميم ، وكان آخرهم الأقرع بن حابس ؛ ثم يقفون بعرفة ، ويقضون ما عليهم من مناسكهم ؛ ثم يتوجهون إلى أوطانهم . وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة ، فيحضرها من قرب من العرب ومن بعد . هذا حديثهم ، وهم همّل لا عز لهم إلا بالسودد ، ولا تعقل لهم إلا السيف ، ولا حصون إلا الخيل ، ولا نغر إلا بالبلاغة .

ثم لما ملكوا الدور والقصور والجنان والأودية والأنهار والمعادن والقلاع والمدن والبلدان والسهل والجبل والبر والبحر ، لم يقعدوا عن شأو<sup>(٣)</sup> من تقدم بألاف سنين ، ولم يعجزوا عن شيء كان لهم ؛ بل أبرأوا عليهم وزادوا ، وأغربوا وأفادوا ؛ وهذا الحكم ظاهر معروف ، وحاضر مكشوف ؛ ليس إلى مرده سبيل ولا لجاحده<sup>(٤)</sup> ومنكره دليل .

فليستخى الجيهانى<sup>(٥)</sup> بعد هذا البيان والكشف والإيضاح ، بالإيضاف من القذع والسفّه اللذين حشا بهما كتابه ، ويرفع نفسه عما يشين العقل ، ولا تقبله حكام العدل ؛ وصاحب العلم الرصين ، والأدب المكين ؛ لا يسلط

(١) فى الأصل : « معافر » والياء زيادة من الناسخ . ومعافر : مخلاف باليمن تنسب إليه الثياب المعافرية .

(٢) فى الأصل : « والخبر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا : شا « و » والصواب ما أثبتنا .

(٤) « مجاحدة » ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « الجاني » .



خصته على عرضه بلسانه ، ولا يستدعى مراً الجواب بتعرضه ويرضى باليسور في  
غالب أمره ؛ فإن المصيبة في الحق ربما خذلت صاحبها وأسلمته ؛ وأبدت عورته ،  
واجتلبت مساءته<sup>(١)</sup> ؛ فكيف إذا كانت في الباطل ونعوذ بالله أن نكون لفضل  
أمة من الأمم جاحدين ، كما نعوذ به أن نكون بنتقص أمة من الأمم جاهلين .  
فإن جاحد الحق يدل من نفسه على مهانة ، وجاهل النقص يدل من نفسه على  
قصور ؛ فهذا هذا ؛ وفي الجملة المسئلة ، والدعوة المرسلّة ، أن أهل البرّ وأصحاب  
الصّحارى الذين وطأهم الأرض ، وغطاؤهم السماء ، هم في العدد أكثر وعلى  
بسيط الأرض أجول ، ومن الترفه والرفاهية أبعد ، وبالحول والقوة أعلق  
وإلى الفكرة والنظنة أفزع<sup>(٢)</sup> ، وعلى المصالح والمنافع أوقع ، ومن المخازى آنف  
وللقبايح أعيف ؛ وهذا للدواعى الظاهرة ، والحاجات<sup>(٣)</sup> الضرورية ، والملائق  
الحاضرة<sup>(٤)</sup> على الألفة والمودة ، والشدائد المؤذية ، والعوارض اللازمة<sup>(٥)</sup> ؛ ولهذا  
يقال : عيبُ الغنى أنه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة ؛ وهذا  
معنى كريم ، لا يُقرّ به إلا كلُّ نقابٍ عليم .

(٧) وقال الجيهاني أيضا : مما يدل على شرفنا وتقدّمنا وعزّنا وعلوّ مكاننا ،  
أن الله أفاض علينا النعم ، ووسّع لدينا القسّم وبوّأنا الجنان والأرياف ، ونعمنا  
وأثرفنا . ولم يفعل هذا بالعرب ، بل أشقاهم<sup>(٦)</sup> وعذبهم ، وضيق عليهم وحرّمهم ،

(١) « ماته » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « أفرع » .

(٣) في الأصل : « والى الحاجات » وقوله « إلى » زيادة من الناسخ .

(٤) في الأصل : « الحاضرة » والراء زيادة من الناسخ .

(٥) اللازمة ، أى الناجية الشديدة .

(٦) « سقام » .

وجمعهم في جزيرة حَرَجَة ، ورُقْمَة صغيرة ، وسقام<sup>(١)</sup> بأرتق ضاحر ؛ وبهذا يُعمَّ أن المخصوص بالنعمة والمقصود بالكرامة فوق المقصود بالإهانة .

فأطال هذا الباب بما ظنَّ أنه قد ظفَّرَ بشيء لا جواب عنه ، ولا مقابل له ؛ ولو كان الأمر كما قال لما خفى على غيره وتجلَّى له ، بل قد خست العرب بعد هذا بأشياء تطول حَسْرَةُ<sup>(٢)</sup> من فاته عليها ، ولا يفيد ألفتائه بالغيظ إليها ؛ وقد دلَّ كلامه على أنه جاهل بالنعمة ، غافل عما هو سرُّ الحكمة .

وعنده أن الجاهل إذا لبس الثوب الناعم ، وأكل الخبز الحواري<sup>(٣)</sup> ورَكِبَ الجواد ، وتقلَّبَ على الحَشِيَّة ، وشَرِبَ الرحيق ، وبأشَرَ الحسناء ، هو أشرف من العالم إذا لبس الأطمار ، وطعمَ العُشب ، وشَرِبَ الماء القراح ، وتوسَّدَ الأرض ، وقنع باليسير ورخى العيش ، وسلا عن الفضول ؛ هذا خطأ من الرأي ، ومردود من الحكم ، عند الله تعالى أولاً ، ثم عند جميع أهل الفضل والحِجَا ، وأصحابِ التَّقَى والنُّهَى ؛ وعلى طريقته أيضاً أن البصير أشرف من الأعمى ، والغنى أفضل من الفقير .

ألا يعلم أن المدار على العقل الذي من حُرْمِهِ فهو أنقص من كلِّ فقير ، وعلى الدين الذي من عَرِيٍّ منه فهو أسوأ حالاً من كلِّ موسر ؛ ونعمة الله على صريين : أحد الضريين عمَّ به عباده ، وغمر بفضله خليقته ، بدءاً بلا استحقاق وذلك أنه خلق ورزق وكفل وحفظ ونعش وكلاً وحرس وأهل وأفضل ووهب وأجزل ؛ وهذا هو العدل الخلوط بالإحسان ، والتسوية المعمومة بالتفضل

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل ساقطاً منها الحرف الأخير ، وهو القاف ، وأرتق ، أي أكدر من رتق الماء من باب نصر وفرح إذا كدر . وضاح ، أي متعرض للشمس .

(٢) « حره » .

(٣) الحواري : لباب الدقيق وخالصة .



والقدرةُ المشتعلةُ على الحكمة ؛ والضربُ الثاني هو الذي يُستحقُّ بالعمل والأجتهاد والسعي والأرتياد ، والأختبار والأعتقاد ؛ ليكون جزاءً وثواباً ، ولهذا تحرم العاصي الخائف ، وأنال الطائع الموافق ؛ فقد بان الآن أن المدار ليس بالجنان والترفة ، ولا بالذهب والفضة ، ولا الوبر والتدر .

وقد مرَّ<sup>(١)</sup> هذا الكلام كله فليسكن من الجيهاً جأشه ، وليفارق طيشه ؛ وليعلم أن من أنصف أعطى بيده ، وسلم الفضل لأهله ؛ فإن التواضع للحق رفعة والترفع بالباطل ضعة<sup>(٢)</sup> .

(٨) وههنا بقية ينبغي أن يُتبصر فيها ؛ من عرف النقص البحت ، والنقص المشوب بالزيادة ؛ والفضل العُرف ، والفضل المزوج بالنعيم لم يجحد بالهوى الثغوى فضلاً ، ولم يدع للعصبية الرديئة شرفاً ، ولم يُنكر بالحسد منية ؛ والخلق كلُّهم في نعم الله تعالى مشتركون ، وفي أياديه مغسوسون وبمواهبه متفاضلون ، وعلى قدرته متصرفون ؛ وإلى مشيئته صائرون ، وعن حكيمته مخبرون ، ولآلائه ذاكرون ، ولنعمائه شاكرون ، ولأياديه ناشرون ، وعلى اختلاف قضائه صابرون ، ولثوابه بالحسنات مستحقون ، ولعقابه بالسّيئات مستوجبون ، ولعفوه برحمته منتظرون ، والله خيرٌ بما يعملون ، وبصير بما يُسرون وما يُعلنون مع الجماعة ، وأبو سليمان يقول : العَرَبُ<sup>(٣)</sup> أذهبُ مع صفو العقل ؛ ولذلك هم<sup>(٤)</sup> بذكر المحاسن أبده ، وعن أصدادها أنزاه . ولو كانت رويّتهم في وزن بديتهم ، كان الكمال ؛ ولكن لما عزّ الكمالُ فيهم ، عزّ

(١) « وقدم » .

(٢) « ضعة » .

(٣) « كعرب » .

(٤) في الأصل : « لهم » واللام زيادة من الناسخ .

أيضا<sup>(١)</sup> في غيرهم من الأمم ، فالأثم كلها شرعٌ واحد في عدم الكمال إلا أنهم متفاضلون بعد هذا فيما نالوه بالخلق الأولى ، وبالأختيار الثاني ؛ وأختلفت أبصارهم في هذا الموضع ، فأما ما مُنِعَ الإنسان في الأول فلا عتب عليه فيه ، لأنه لا يقال للأعمى : لِمَ لا تكون بصيرا ، ولا يقال للطويل : لِمَ لا تكون قصيرا وقد يقال للقصير : سَدَّدْ طَرَفَكَ ، وَأَكْحِلْ عَيْنَكَ ، ومُدَّ<sup>(٢)</sup> ناظِرَكَ ؛ كما يقال للطويل : تَطَامَنَّ ، في هذا الزُّقَاقِ حتى تدخل ، وتَقَاصِرْ حتى تصل ؛ وأما ما لم يُمنَعه الإنسان في الأول ، بل أُعْطِيَهِ ووُهِبَ له ، فهو فيه مَطْلَبٌ بما عليه وله كما أنه مطالب بما له وعليه .

وقال الجيّهانيُّ أيضا : ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطي ولا الموسيقى<sup>(١)</sup> ولا كتاب الفلاحة ، ولا الطب ولا العلاج ، ولا ما يجري في مصالح الأبدان ، ويدخل في خواص الأنفس .

فلْيَعْلَمْ الجيّهانيُّ أن هذا كله لهم بنوع إلهي لا بنوع بشري ، كما أن هذا كله لغيرهم بنوع بشري لا بنوع إلهي ، وأعني بالإلهي والبشري الطباعي والصناعي ؛ على أن الإلهي<sup>(٣)</sup> هؤلاء قد مازجه بشري هؤلاء ، وبشري هؤلاء قد شابه إلهي هؤلاء ؛ ولو علم هذا الزاري لعلم أن المجسطي وما ذكره ليس للفرس أيضا ، وما عندي أنه مُكَايِرٌ فيدعى هذا لهم . فإن قال : هو لليونان ، ويونان من العجم ، والفرس من العجم ، فأنا أُخْرِجُ<sup>(٤)</sup> هذه الفضيلة من العجم إلى العجم فهذا منه حَيْفٌ على نفسه ، وشهادة على تقصيه ؛ لأنه لو فاخر يونان لم يستطع أن

(١) رسمت هذه العبارة في الأصل هكذا : « عزا يسا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وقد » بالالف ؛ وهو تحريف وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) في الأصل : « للهي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « أخرج » ؛ وهو تصحيف .



يدعى هذا للفرس ، ولا يمكنه أن يقول : نحن أيضا عجم ، وفضيلتكم في هذه الكتب والصناعة متصلة بنا ، وراجعة إلينا . ومتى قال جُبِهَ <sup>(١)</sup> بالمكروه وقوبل بالقذع <sup>(٢)</sup> ، وقيل له : صد ، <sup>(٣)</sup> كما يقال للجاهل — إن لم تقل له : « أخسأ » ، كما يقال — في كل <sup>(٤)</sup> الأحاديث ، وإن أغفلته <sup>(٥)</sup> ظلمتُ نفسي ؛ ومن حابي خصمه غلب .

(١٠) قال القاضي أبو حامد المروزي <sup>(٦)</sup> : لو كانت الفضائل كلها بعقدها وسمطها ، ونظمتها ونثرها ، مجموعة للفرس ، ومصبوبة على رؤوسهم ، ومعلقة بأذانهم ، وظالمة من جباههم ؛ لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها ، وأن يخرسوا عن دقها وجاها ، مع نيكهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كريه بالطباع ، وضعيف بالسماع ، ومردود عند كل ذي فطرة سليمة ، ومستبشع في نفس كل من له جبة <sup>(٧)</sup> معتدلة . قال : ومن تمام طغيانهم ، وشدة بهتانهم ، أنهم زعموا أن هذا بإذن من الله تعالى ، وبشرية أتت من عند الله ، والله تعالى حرّم الخبائث من المطاعم فكيف حلّ <sup>(٨)</sup> الخبائث من المنكوحات ؟

(١) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير الباء والماء والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٢) القذع : الشتم والرمي بالقبح وسوء القول .

(٣) في الأصل : « تأكل » وهي زيادة لا معنى لها .

(٤) في « كل » وهو تحريف لا يستقيم معناه .

(٥) « أغفلته » بالعين والقاف ؛ وهو تصحيف .

(٦) هو القاضي أبو حامد أحمد بن بشر البصري المروزي ، كان عالما بفنون العلوم الدينية والأدبية . قال فيه أبو حيان : « كان بحرا يتدفق حفظا للسير ، وقياما بالأخبار ، واستنباطا للمعاني ، وثباتا على الجدل وصبرا في الخصام » . وكان يقول فيه : « إنه أنبل من رأيته في عمري » . توفي سنة ٣٦٢ .

(٧) « لكيم » ؛ وهو تحريف لا معنى له ، وسياق الكلام يقتضي إثبات ما يفيد معنى لجملة كما أثبتنا وإن كان بعيدا عن الرسم الموجود في الأصل .

(٨) « على » .

قال : وكذب القوم ، لم يكن زرادشت نبيا ، ولو كان نبيا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوه بأسمائهم وردد ذكرهم في كتابه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل على مُبْلَغ عنه . وإنما هو خرافة خدعهم بها زرادشت بقوة الملك الذي قبل ذلك منه وحمل الناس عليه طوعا وكرها ، وترغيبا وترهيبا ؛ وكيف يبعث الله نبيا يدعو إلى الإلّهين اثنين ؟ وهذا مستحيل بالعقل ، وما خلق الله العقل إلا ليشهد بالحق للمُحَقِّق والباطل للمُبْطِل ؛ ولو كان شرعا لكان ذلك شائعا عند أهل الكتابين ، أعنى اليهود والنصارى ؛ وكذلك عند الصابئين ، وهم كانوا أكثر الناس عناية بالأديان والبحث عنها ، والتوصل إلى معرفة حقائقها ، ليكونوا من دينهم على ثقة ؛ فكيف صارت النصارى تعرف عيسى ، واليهود تعرف موسى ؛ ومحمدٌ — صلى الله عليه وسلم — يذكرها ويذكر غيرها ، كداود وسليمان ويحيى وزكريا ، وغير هؤلاء ، ولا يذكر زرادشت بالنبوة وأنه جاء من عند الله تعالى بالصدق والحق كما جاء موسى وعيسى . . . . . (١) لكنني بُعِثْتُ ناسخا لكل شريعة ، ومجددا لشريعة خصني الله بها من بين العرب .

قال : وهذا بيان نافع في كذبهم ؛ وإنما جاءوا إلى وُهمي فرقموه ، وإلى حرام بالقتل فأباحوه ، وإلى خبيث بالطبع فارتكبهوه وإلى قبيح في العادة فاستحسنوه . وقد وجدنا في البهائم ما إذا أُتْزِيَ الفحل منها على أمه لم يطاوع ، وإذا أُكْرِه وخُدِع وعَرِفَ غضب على أهله ونَدَّ عنهم ، وشرَّ رَ عليهم ؛ فما تقول في خُلُق لا ترضاه البهيمة ، ولا تطاوعه (٢) فيه الطبيعة ، بل يأباه حسه مع كُؤُله (٣)

(١) يلاحظ أن موضع هذه النقط كلام ساقط من الأصل فيما يظهر لنا .

(٢) تطاوعه ، أي تطاوع الفحل .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « ككوكه » ؛ وهو تحريف .



وتبرُد شهوته مع اشتغالها ، ويرضاه هؤلاء القوم مع عُجبهم بقولهم ، وكبرهم في أنفسهم .

ولو كان زرادشت أقام لهم على هذه الخصلة اللثيمة والفعلة الذميمة كل آية وكل برهان ، ونثر عليهم نجوم السماء ، وأطلع لهم الشمس من المغرب ، وفقت لهم الجبال ، وغَيَّض لهم البحار ، وأراهم الثريا تمشي على الأرض تخرق السكك وتشهد له بالصدق ، لكان من الواجب بالعقل وبالغيرة وبالحيية وبالأففة وبالتقزز وبالتعزز ألا يجيبوه إلى ذلك ، ويشكروا في كل آية يرون منه ، ويقتلوه ، ويُنكّلوا به .

ولكن يمثّل هذا العقل قبلوا من مزدك ما قبلوه مرّة ، ولو عاملوا زرادشت بما عاملوا به مزدك ما كان الأمر إلا واحدا ، ولا كان الحق إلا منصورا ، ولا كان الباطل إلا مقهورا ، ولكن اتفق على مزدك ملك عاقل فوضع باطله ، واتفق لزرادشت ملك ركيك فرفع باطله ؛ وما نزع الله عنهم الملك إلا بالحق ، كما قال تعالى : ( فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ) . ثم قال : وبعد ، فكل شيء خارج من الحكمة الإلهية والعقلية والطبيعية فهو ساقط بهرج ، ومردود مردول ، إذا فعله جاهل عُذر بالجهل ، وإذا أتاه عالم عُذر للعلم .

قال : وكانت العرب بهذا الخلق الذميم ، وهذا الفعل اللثيم ، لو فعلته أعذر ، لأنهم أشد غلّة من غيرهم وأكثر تهيجا ، وأقوى على البضاع ، وأوثب على النساء يدلك على هذا غزلهم وعشقهم ونظمهم ونثرهم وفراغهم وشهوتهم ، وتراهم مع هذه الدواعي والبواعث لم يستحسنوا هذا ولم يفعلوه ، ولو أكرههم على هذا مكبره ودعاهم إليه داع لما أطاعوه ، ولذلك لم ينبج منهم ناجم بالحيلة

فدعا إلى هذا ؛ ولو كان لكان أولَ مَنْ دُقَّ رأسُه بالصَّعد ، ويُعجج بطنُه بالخنجر ؛ وما منعهم من هذا إلا الأتس الكريمة ، والطباع المعتدلة ، والشكائم الشديدة ، والأرواح العيِّفة ، والعادات الرضيّة ، والضرائب الطيبة ؛ وكان وأد البنات عندهم أنقى للمعابر ، وأطرَدَ للقبائح من هذا أَلَدَى أَسْتَحْسَنِهِ زرادشت وقيل منه الفُرس ، وهم يدعون الحُكم والعلم والعزم والعزم ، ولقرط جهلهم وغلبة شهوتهم غفلوا عما يجوز أن يكون الله سبحانه مبيحا له أو حاضرا ، أو مطلقا أو مانعا ، أو محللا أو محرّما ؛ هيات ما كلف الله أهل العقل القيام بالدين والتّصنّح للحقّ<sup>(١)</sup> من الباطل إلا لما شرفهم به في العاجل ، وعرضهم له في الآجل ؛ والعاقبة للمتقين .

قال أبو الحسن الأنصارى<sup>(٢)</sup> — وكان حاضرا — المند أوضح عذرا في هذا الحديث لأنهم جعلوه من باب القربة في بيوت الأصنام ، وبلغوا مرادهم بهذه الخديعة ، ولم ينسبوا إلى الله شيئا منه ، ولا أستجازوا الكذب عليه ، ولا علّقوه أيضا على نبيّ من عند الله ، بل رأوه صوابا بالوضع<sup>(٣)</sup> ثم طابت أنفسهم من هذا الفعل بالمران والمادة . وبعد ؛ فعقولهم مدخولة ، والبارع منهم قليل ، وهم إلى الإفلت<sup>(٤)</sup> والوهم والسّحر أميل ، وفي أبوابها أدخل ؛ ثم قال أبو الحسن : انظر إلى جهل زرادشت في هذا الحُكم وإلى ضعف عقول الفُرس في قبولهم منه هذا

(١) « بالحق » بالباء ، والسياق يقتضى اللام كما أثبتنا .

(٢) كذا بالأصل ولعله الأنطاكي ، فإننا لم نجد فيما بين أيدينا من الكتب من يلقب بالأنصارى . وأبو الحسن الأنطاكي هو أبو القاسم علي بن أحمد أصله من أنطاكية ونزل بغداد ، وكان مهندسا حاسبا له مشاركة في علوم الأوائل مع فصاحة لسانه وعذوبة بيانه . مات بغداد سنة ٣٧٦ .

(٣) « لوضع » ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) « الفكر » ؛ وهو خطأ من الناسخ .



الفعل ، وخيرٌ بينها وبين عقول العرب ، فإنهم قالوا : « اغتربوا لا تَضُورُوا »<sup>(١)</sup> .  
 وأستفاض هذا منهم حتى سُمِعَ من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، وذلك  
 أن الضوى مكروه ؛ والعرب قالت هذا بالإلهام ، لقرائتهم الصافية ، وأذهانهم  
 الواقدة ، وطينتهم الحرة ، وأعراقهم الكريمة ، وعاداتهم السليمة : وإنما شعروا  
 بهذا لأن الضوى الواصل إلى الأبدان هو سارٍ في العقول ، ولكن الفرس عن  
 هذا السر غافلون ، ولا يفتن لهذا وأمثاله إلا الأملعيون الأحوذيتون<sup>(٢)</sup> ؛ ثم قال :  
 أنشد الأصمعي عن العرب قولاً قائلهم في مدح صاحب له :

ففى لم تلده بنت عم قريب  
 قيسوى وقد يضىو رديد الأقارب  
 قال : وقالت العرب : « أضواء حمه » : إذا تقصه . قال : وقال آخر لولده :  
 والله لقد كفيتك الضؤولة ، وأخترت لك الخؤولة .

وقال أيضا : العرب تقول : « ليس أضوى من القرائب ، ولا أنجب من  
 الغرائب » وقال الشاعر :

أنذرت من كان بعيد المم تزويج أولاد بنات المم  
 ليس بناج من ضوى أوسمهم وأنت إن أطمعته لا ينمي  
 وقال الأسدى يفتخر :

ولست<sup>(٣)</sup> بضوى تموج عظامه ولادته في خالد بعد خالد  
 تردد<sup>(٤)</sup> حتى عمه خال أمه إلى نسب أدنى من السرواحد

(١) اغتربوا لا تَضُورُوا ، أى تزوجوا في بعاد الأنساب لا في الأقارب لثلا تضىو أولادكم  
 أى تنحف وتنصف .

(٢) الأحوذى : الحاذق المشمر للأمر القاهر لها لا يشذ عليه شيء . وفي الأساس :  
 « رجل أحوذى » : يسوق الأمور أحسن مساق لعله بها .

(٣) في الأصل : « وكنت » ، وهو تحريف ؛ ومقام الفخر يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في الأصل : « تردده » والماء زيادة من الناسج .

ثم قال : والعرب لم تُرد بهذا إلا تقصّ الذهن والعقل ، لأنها لو أرادت تقصان الجسم لكانت مخطئة ، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة . ثم قال : وعلى هذا طباع الأرض ، ولذلك يقال : إذا كثرت المؤتفكات <sup>(١)</sup> زكت الأرض ، لأنّ الرياح إذا اختلفت حوّلت تراب أرض إلى أرض ، وإذا كان الأغتراب يؤثر من التراب إلى التراب ، فبالجرى <sup>(٢)</sup> أن يؤثر <sup>(٣)</sup> الإنسان في الإنسان بالأغتراب ، لأن الإنسان أيضا من التراب .

قال أبو حامد : فما ظنك بقوم يجهلون آثار الطبيعة ، وأسرار الشريعة <sup>(٤)</sup> ؟ ما أذلهم الله باطلا ، ولا سلبهم ملكهم ظلما ، ولا ضربهم بالخزي والمهانة إلا جزاء على سيرتهم القبيحة ، وكذبهم على الله بالجرأة والكبارة ، وما الله بظلام للمبيد .

فلما بلغ القول مداه قال <sup>(٥)</sup> : الله <sup>(٦)</sup> [ دَرُّ ] <sup>(٧)</sup> هذا النفس الطويل والنفس <sup>(٨)</sup> ١١) الفزير ! لقد كنت قَرِما إلى هذا النوع من الكلام ، ففرغ نفسك لرسمه في جزء لأنظر فيه ، وأشرب النفس حلاوته ، وأستنتج العقيم منه ؛ فإنّ الكلام إذا مرّ بالسمع خلق ، وإذا شارف البصر بالقراءة من كتاب أسف ؛ والمحلق بعيد المنال ، والمُسِف حاضر العين ، والمسموع إذا لم يملكه الحفظ

(١) المؤتفكات : الرياح التي تقلب الأرض ؛ أو التي تختلف مهابها .

(٢) في الأصل : « فيه لجرى » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في الأصل : « يوحش » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد في الأصل بعد قوله : « الفريضة » قوله « من الفريضة » وهي زيادة من

الناسخ لا تنسق مع الكلام .

(٥) أي الوزير .

(٦) « الله » والألف زيادة من الناسخ .

(٧) موضع هذه الكلمة في الأصل حرفان مطبوسان ؛ وسياق الجملة يقتضي ما أثبتنا .



تذكّر منه الشيء بعد الشيء بالوهم الذي لا أنقاده ، والخيال الذي لا معرّج عليه . فقلت : أفعل سامعا مطيعا — إن شاء الله — .

### الليلة السابعة

(١) ولما عدتُ إليه في مجلس آخر ، قال : سمعتُ صياحك اليوم في الدار مع ابن عبيد ، فقيم كتما ؟ قلتُ : كان يذكر أن كتابة الحساب أُنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه أحوج ، وهوبها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا الكتابة الأولى جدّ ، والأخرى هنل ؛ ألا ترى أن التشادق والتفيهق والكذب والخداع فيها أكثر ؛ وليس كذلك الحساب والتحصيل والاستدراك والتفصيل . قال : وبعد هذا فتلك صناعةٌ معروفة بالمبدأ ، موصولة بالفاية ، حاضرة الجدوى ، سريعة المنفعة ؛ والبلاغة زخرفة وحيلة ، وهى شبيهة بالشراب ، كما أن الأخرى شبيهة بالماء . قال : ومن خسارة البلاغة أن أصحابها يُسرقَعون ويُستَحَقَّقون ؛ وكان الكتاب قديما في دور الخلفاء ومجالس الوزراء يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رَقاعة النشئين ، وحماقة المعلمين ، وركاكة النحويين ، والمنشئ والمعلم والنحوي إخوة وإن كانوا لعلّات ؛ والآفة تشملهم والعادة تجمعهم ، والنقص يعمهم ، وإن اختلفت منازلهم ، وتباينت أخوالهم قال : ولولم يكن من صنعة الإنشاء إلا أن للملكة العريضة الواسعة يُكتفى فيها بمنشئ واحد ، ولا يُكتفى فيها بمائة كاتب حساب .... (١) وإذا كانت الحاجة إلى هذه أَمَس ، كانت الأخرى في نفسها أخس ؛ وبعد ، فصالح أحوال

(١) لم يرد جواب « لو » للعلم به ، أى لكون كتابة الحساب نفرا على كتابة الإنشاء ، أو ما يفيد هذا المعنى .

العامة والخاصة معلقة بالحساب ؛ على هذه الجديلة<sup>(١)</sup> والوتيرة يجري الصغار والكبار والعليّة والسفلة ، وما زال أهل الحزم والتجارب يحثّون أولادهم ومن لهم به عناية على تعلّم الحساب ، ويقولون لهم : هو سلة الخبز . وهذا كلام مستفيض ؛ ومن عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف أو موضوع غير موضعه وأفهم غيره ، وبلغ به إرادته ، وأبلغ غيره ، فقد كفى ؛ والزائد على الكفاية فضل والفضل يُستغنى عنه كثيرا ، والأصل يُفتقر إليه شديدا ، قال : ومن آفات هذه الكتابة أن أصحابها يُقرّفون بالريبة ، ويرمون بالآفة ، كآل الحسن بن<sup>(٢)</sup> وهب وآل ابن ثوبة . قال : هذه ملحمة منكّرة ؛ فما كان من الجواب ؟

قلتُ : ما قام من مجلسه إلا بعد الذلّ والقماءة ، وهكذا يكون حال من عاب<sup>(٣)</sup> القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وأنتحل الباطل ونصر المبطل ، وأبطل الحقّ وزرى على الحقّ . قلت : أيّها الرجل ، قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بائنة من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة<sup>(٤)</sup> . فأما وهي متصلة بها وداخلية في جملتها ومشتمة عليها وحاجوية لها ، فكيف يطرد حُكْمُك وتسلم دعواك ؟ ألا<sup>(٥)</sup> تعلم أنّ أعمال

(١) الجديلة : الشاكلة ؛ يقال : عمل على جديلته ، أى على شاكلته .

(٢) يشير بهذه العبارة إلى ما فعله الواثق بالله مع الحسن بن وهب كاتبه ، فقد حبسه وأغرمه أربعة عشر ألف دينار ، كما حبس كتابا آخرين وقبض منهم أموالا جمة ، وذلك في سنة تسع وعشرين ومائتين . وإلى نكبة أبي الهيثم بن ثوبة سنة ثلاث وثلاثمائة ، فقد حبس حتى مات في حبسه بالكوفة بعد أن أخذ منه إسحاق بن عمران أموالا جزيلة لنفسه والسلطان . ويقال : إنه احتال على قتله خشية أن يقر عليه بما أخذ منه .

(٣) المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع ما يحتاج إليه من استئثار واستدعاء توقيع .

(٤) في الأصل : « إلا أن تعلم » « وأن » زيادة من الناسخ .



الدواوين التي يتفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصفونه ويتعاطونه ؛ بل لا سبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الإفهام البليغ والبيان المكشوف والأحتجاج الواضح ، وذلك يوجد من الكاتب المنشئ الذي عبته وعرضته<sup>(١)</sup> ، وهذه الدواوين معروفة ، والأعمال فيها موصوفة ؛ وأنا أحصيتها لك كي تعلم أنك غلط وعن الصواب فيها منحرف .

فمنها ديوان الجيش ، وديوان بيت المال ، وديوان التوقيع والدار ، وديوان الخاتم ، وديوان القرض<sup>(٢)</sup> ، وديوان النقد والعيار ودور الضرب ، وديوان المظالم وديوان الشرطة والأحداث ؛ هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين<sup>(٣)</sup> والمؤامرات ، وباب النوادر<sup>(٤)</sup> والتواريخ ، وإدارة الكتب ومجالس الديوان وقبل وبعد ، كما<sup>(٥)</sup> يلزم كاتب الحساب أن يعرف وجوه الأموال<sup>(٦)</sup> حتى إذا جباها وحصلها عمل الحساب أعماله فيها ، فلا يمكنه<sup>(٧)</sup> أن يجبي<sup>(٨)</sup> إلا بالكتب البليغة والحجج اللازمة واللطائف المستعملة ، ومن تلك الوجوه النية ، وهو أرض العنوة وأرض الصلح وإحياء الأرض والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع

(١) يقال : عبته بلسانه ، إذا تناوله بمكروه الكلام .

(٢) في الأصل : « القرض » بالصاد المهملة ؛ وهو تصحيف ، والمراد بالقرض : قرض الكتب المختومة .

(٣) يريد بالعين : خراج العين ، وهو ما يقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقاضي ويستخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف . وكان هذا في البلاد الشامية . انظر الجزء الثامن من نهاية الأرب ص ٢٦١ طبع دار الكتب المصرية .

(٤) لعل صوابه : « التقادير » أي تقادير ما تخرجه الأرض من غلة .

(٥) « فا » .

(٦) في الأصل : « الأعمال » وهو خطأ من الناسخ ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله

جد : « حتى إذا جباها » .

(٧) في الأصل : « فيمكنه » . والسياق يقتضي زيادة « لا » النافية .

(٨) « يجبي » .

وجزية رؤوس أهل الذمة وصدقات الإبل والبقر والغنم وأخماسُ الغنائم والمعادن والركاز<sup>(١)</sup> والمسال المدفون ، وما يخرج من البحر وما يؤخذ من التجار إذا مروا بالعاشر<sup>(٢)</sup> واللقطة والضالة وميراث من لا وارث له ومال<sup>(٣)</sup> الصدقة ؛ إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المكاتبات البالغة على الرسوم المعتادة والعادات الجارية ، كعهد يُنشأ في إصلاح البريد وتقسيط الشرب ، وكتاب في العارة وإعادة ما نقص منها ، وفي<sup>(٤)</sup> حَزْرِ القلّة<sup>(٥)</sup> والدياس<sup>(٦)</sup> ، وفي الدوالي والدوايب والفرافات ، وفي القلب والقسمة ، وفي تقدير الخضر<sup>(٧)</sup> المبكرة وفي المساحة وفي الطراز<sup>(٨)</sup> ، وفي الجوال<sup>(٩)</sup> ، وفي قبض فرائض الصدقات ، وفي أفتتاح الخراجات ، إلى غير ذلك من كُتُب<sup>(١٠)</sup> المحاسبين .

فإن قلت : « هذا كله مستغنى عنه » كبرت وبهت ، لأن مدار المال ودُورره ، وزيادته ووهوره على هذه الدواوين التي إما أن يكون حظّ البلاغة فيها أكثر ، وإما أن يكون أثر الحساب فيها أظهر ، وإما أن يتكافأ ؛ فعلى جميع الأحوال لا يكون الكاتب كاملاً ، ولا لأسمه مستحقاً ، إلا بعد أن ينهض

(١) الركاز ، هو دفين الجاهلية من الأموال .

(٢) العاشر ، هو الذي يأخذ منهم عشر ما معهم .

(٣) « وفي مال » .

(٤) في الأصل « في » بغيوط واو العطف ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) في الأصل « حرز العلم » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا يستقيم معناه ؛ والصواب

ما أثبتنا . والحزر : التقدير بالظن .

(٦) دياس الحنطة ؛ دراستها .

(٧) « الحصر » .

(٨) الطراز : مقسم الماء في النهر كما ذكره . صاحب مفاتيح العلوم في الكلام على مصطلح

كتاب ديوان الماء . ثم قال : وتسمى مقاسم المياه في بلاد ما وراء النهر : البرقات والمزرقات .

(٩) يريد بالجوال : مال الجوال ، وهو الجزية المضروبة على أهل الذمة ، والجوال هم الذين

جلوا عن أوطانهم .

(١٠) « كسوة » .



بهذه الأتصال ، ويجمع إليها أصولاً من الفقه مخطوطة <sup>(١)</sup> بفروعها ، وآيات من القرآن مضمومة إلى سخته <sup>(٢)</sup> فيها ، وأخباراً كثيرة مختلفة في فنون شتى لتكون عُدّة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة والآيات النادرة ؛ والفقر البديعة ؛ والتجارب المهودة ، والمجالس للشهود ، مع خط كتبر مسبوك ، ولفظ كوشي محوك ؛ ولهذا عنّا الكامل في هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نظنّ أنّه أجمع هذا كله إلاّ لجمفر بن يحيى فإن كتابته كانت سوادية ، وبلاغته سعبائية ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية <sup>(٣)</sup> ، وشماله عراقية ؛ أفلا ترى كيف غرق الحساب في غمار هذه الأبواب ؟ ثم اعلم أن البليغ مُستلِم بلاغته من العقل ، ومأخذه فيها من التمييز الصحيح ، وليس كذلك الحساب في متناوله [ فلو <sup>(٤)</sup> ] ظنّ ظانّ بأن مدار الملك على الحساب — [ فهو <sup>(٥)</sup> ] صحيح — ولكن بعد بلاغة المنشئ ، لأن السلطان يأمر وينهى ويلطف ويخاطب ويحتج وينصف ويوعد ويعد ويضمن ويمنّي ويملّق الأمل ويؤكّد الرجاء ويحسم المادّة الضارة ويذيق الرعية حلاوة العدل ويجنبهم مرارة الجور ، ثم يجبي ، فإذا جبي احتاج إلى الحساب حتى يكون بالحاصل عالماً ، ثمّ يتقدّم بتوزيع ذلك على الحساب حتى يكون من الغلط آمناً ، فانظر إلى المنزلتين كيف اختلفتا ؟ وكيف حصلت المزية لإحدهما ؟ ولو أنصفت لعلمت أنّ الصناعة جامعة بين الأمرين ، أعنى الحساب والبلاغة ؛ والإنسان لا يأتي إلى صناعة فيشقّها نصفين ويُسرف <sup>(٥)</sup> أحد النصفين على الآخر .

(١) « مخطوطة » .

(٢) إلى سخته فيها ، أي إلى تبعه في فهمها .

(٣) « عقلية » .

(٤) هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم ليستا بالأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتهما أو

إثبات ما يؤدّي معناها .

(٥) « يسرف » .

وأما قولك : « إحدى الصناعتين هزل والأخرى جد » فبئسما سوّلت لك نفسك على البلاغة ، هي الجد ، وهي الجامعة لثمرات العقل ، لأنها تُحقّق الحقّ وتُبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه ؛ ثم تحقيق الباطل وإبطال الحقّ لأغراض تختلف ، وأغراض تأتلف ، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خير وشرّ ، وإباء وإذعان ، وطاعة وعصيان ، وعدل وعدول<sup>(١)</sup> ، وكفر وإيمان ، والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضع الحكمة وصاحب البيان والخطابة ؛ وهذا هو حدّ العقل والآخر حدّ العمل .

وأما قولك : « الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ ، والحساب معروف المبدأ » فقد خرفت<sup>(٢)</sup> ، لأنّ مبدأها من العقل ، وممرّها على اللفظ ، وقرارها في الخطّ ؛ وأنت إذا قلتَ هذا دللتَ من نفسك على أنّه ليس لك [ ما ]<sup>(٣)</sup> تبصر<sup>(٤)</sup> به هذا المبدأ الشريف وهذا الأوّل اللطيف .

وأما قولك : « والبلاغة زخرفة وهي شبيهة بالسراب » فقد أوضحنا لك فيه ما كفى ، فإن لم يكف فانت محتاج إلى بيّنة أخرى .

وأما قولك : « إن أصحابها يُسترقعون » فهذا شنعٌ من القول ، ولو عرفت الصّدق<sup>(٥)</sup> فيه لم تنبس به ولم تنطق بحرف منه ، فإن فيه زريّةً على الساف الصالح والصدور الأوّل ، ولو وجب أن يُسترقع البليغ إذا كان عاقلاً ، لوجب أن يُستعقل العي<sup>(٦)</sup> إذا كان أحمق ؛ وهذا خلف .

(١) يريد بالعدول : الجور ، من عدل عن الطريق عدولا إذا نكب عنه وانحرف .

(٢) صدقت .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٤) تنصر .

(٥) « الصرف » .

(٦) « الفئ » .



وأما قولك : « المنشئ والعلم والنحو إخوة في الركابة » فما يتعلم الناس إلا من المعلم والعالم والنحو وإن ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق .

وأما قولك : « إن الملكة تكتفي بمنشئ واحد » فقد صدقت ، وذلك أن هذا الواحد في قوته يفي بأحاد كثيرة ، وهؤلاء الأحاد ليس في جميعهم وفاء بهذا الواحد ، وهذا عليك لالك . لكن بقي أن تفهم أنك محتاج إلى الأساكفة أكثر مما تحتاج إلى العطارين ، ولا يدل هذا على أن الإسكاف أشرف من العطار ، والعطار دون الإسكاف ؛ والأطباء أقل من الخياطين ، ونحن إليهم أحوج ، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط .

وأما قولك : « ما زال الناس يحثون أولادهم على تعلم الحساب ويقولون : « هو سلة الخبز » فهو كما قلت ، لأن الحاجة إليه عامة للكبار والصغار ؛ وأشرف الصناعات يحتاج إليها أشرف الناس ، وأشرف الناس الملك ، فهو محتاج إلى البليغ والمنشئ والحرر ، لأنه لسانه الذي به ينطق ، وعينه التي بها يبصر ، وعيته التي منها يستخرج الرأي ويستبصر في الأمر ، ولأنه بهذه الخاصة لا يجوز أن يكون له شريك ، لأنه حامل الأسرار ، والمحدث بالمكنونات ، والمفضي إليه بينات الصدور .

وأما قولك : « من عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف وأفهم غيره فقد كفى » فكيف يصح هذا الحكم ويُقبل هذا الرأي ؟ والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب ، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء ، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال ؛ وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف ؛ ولقد قال رجل بالرى كان نبيلاً في حاله جليلاً في مرتبته عظيماً عند نفسه : « أقمد حتى تتغذى بنا » . وهو يريد : « حتى تتغذى معنا » ؛ فأ نظر إلى هذا المحال الذي ركب بلفظه

وإلى المراد الذى جأته بجهله ؛ ولهذا نظائر غير خافية عليك ولا ساقطة دونك وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ؛ فانظر كيف وجدت فى استقلالها بنفسها ما يُقَلِّها ويُقِلُّ غيرَها ؛ وهذا أمر بديع وشأن عجيب .

وأما قولك : « ومن آفاتنا أن أصحابها يُقرِّفون بالريبة ويُنالون بالعيب » فهذا ما لا يستحق الجواب ، وما يضرّ الشَّسَّ نباح الكلاب ؛ وصيانة اللسان عن هذا النوع أحسن ؛ قال الله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ؛ وقال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لو كان المرء أقوم من قِدْحٍ لَوُجِدَ له غامر . وآل ابن وهب وابن ثوبة كانوا أنبل وأفضل وأعقل من أن يُظنَّ بهم ما لا يُظنُّ بخساس العبيد وسفهاء الناس وداصة<sup>(١)</sup> الرعية وسفلة العامة ؛ على أنا ما سمعنا هذا إلا فى مجلس ابن عباد ، منه وممن كان يَحِيطُ<sup>(٢)</sup> فى هواه ، ويتحرى بمثل هذه الأحاديث رضاه ؛ وحسده لم فى صناعتهم يبعثه على هذه الأكاذيب عليهم ؛ فالمعجب أنه يظن أن كذبه على غيره ينفى الصدق عن نفسه ؛ ولو نزه<sup>(٣)</sup> لسانه ومجلسه ومذهبه وأبوتَه لكان أولى به وأزینَ له ، ولكن النعمة والقدرة إذا عَدِمَتَا عقلا سائسا وحزما حارسا مودينا متينا وطريقا قويا أوردتا ولم تُصدرا وَخَذَلَتَا ولم تنصرا ؛ ونعود بالله من نعمة تحوُّر بلاء ، ومرحبا ببلاء يورث يقظة ويكون تمحيصا لما نقص من التبصير ؛ ولكن من هذا الذى يشرب فلا يسكر ولا يثمل ؟ ومن هذا الذى اذا سكر عَقَلَ ؟ ومن هذا الذى إذا صحا لا يعتب من شرابه سُخَّاراً يصدع الراس ويمكِّن الوسواس ؟

(١) الداصة : الخساس الجبناء . والصورس أيضا .

(٢) قى الأصل : « يحيط » ؛ وهو تصحيف .

(٣) كله .



فقال : هذه جملة قائمة لمن ادعى دعواه أو نحا منحاها ؛ وأنت لك هذا ؟  
 لَمْ لَا تُدَاخِلُ صاحبَ ديوانٍ وَلَمْ تَرْضَ لنفسك بهذا اللبوس ؟ قلتُ :  
 « أنا رجلٌ حُبُّ السلامة غَالِبٌ عَلَيَّ ، والقناعةُ بالطيف محبوبَةٌ عِنْدِي » .  
 فقال : كُنيتَ عن الكسل بحبِّ السلامة ، وعن القسوة بالرضا باليسير .  
 قلتُ : إذا كُنتُ لَا أُصِلُّ إِلَى السلامة إِلَّا بالقسوة ، وَلَا أَتَحْتَمُّ الراحة إِلَّا  
 بالكسل ، فمرحبا بهما .

فقال : لكلِّ إنسانٍ رأيٌ وأختيارٌ وعادةٌ ومَنشأٌ ومألوفٌ وقرناء متى زُحِرَ ح  
 ضها قَلِقٌ ، ومتى أَرِيعَ<sup>(١)</sup> على سواها فَرِقٌ ؛ أَظُنُّ أَنَّهُ قد نَصَفَ اللَّيْلَ . قلتُ :  
 لعلَّه . قال : في الدَّعَاةِ ؛ قد خَبأتُ لك مسألة ، وسألتُها عليك بعدها — إن شاء  
 الله تعالى — وانصرفتُ .

### الليلة الثامنة

(١) وقال لي مرة أخرى : أوَصَلَ وهبُ بن يعيش الرقي<sup>(٢)</sup> اليهودي رسالة يقول  
 في عُرْضِهَا بعد التقريظ الطويل العريض : إن هنا طريقا في إدراك الفلسفة  
 مَذَلَّةٌ مَسْلُوكَةٌ مختصرة فسيحة ، ليس على سالكها كدٌّ ولا شَقٌّ في بلوغ ما يريد  
 من الحكمة ونيل ما يطلب من السعادة وتحصيل الفوز في العاقبة ؛ وإن أصحابنا  
 طَوَّلُوا وهَوَّلُوا وطرحوا الشوك في الطريق ، وَمَنَعُوا من الجواز عليه غشامهم وبجلا  
 ولوَّمَ طباع وقلة نصح وإتعاها للطلاب وحسدا للراغب ، وذلك أنهم اتَّخَذُوا  
 المنطق والهندسة وما دخل فيهما معيشة ومكسبة ، وما كلة ومشربة ، فصار ذلك

(١) « أربع » .

(٢) ورد هذا الاسم في المقابسات ؛ وكان أبو حيان يسأله في مسائل فلسفية .

كسور من حديد لطلاب الحكمة والمحبين للحقيقة والمتصفحين لأثناء العالم وكلاما هذا معناه ، وإلى هذا يرجع مغزاه .

فكان من الجواب : قد عرفتُ مذهب ابن يعيش في هذا الباب ، وهو جارى ، وكتب هذه الرسالة على هذا الطراز بالأمس إلى الملك السعيد سنة سبعين<sup>(١)</sup> ، وتقرب بها ، ونفعته بالمسألة والتفقد له ، فإنه شديد الفقر ، ظاهر الخصاصة ، لاصق بالدققاء<sup>(٢)</sup> ؛ وللذى قاله وأدعاه ، وقصده وأنتحاه ، وجه واضح وحجة ظاهرة ؛ وللذى قاله أصحابنا — أعني مخالفه — وجه أيضا وتأويل وللقولين أنصار وحماة ، وحفظة ورعاة .

قال : هات — على بركة الله — فإني أحب أن أسمع في هذا الخطب<sup>(٣)</sup> كل ما فيه وأكثر ما يتصل به ؛ فكان من الجواب أن ابن يعيش يريد بهذه الخطبة أن عمر الإنسان قصير ، وعلم العالم كثير ، وسره<sup>(٤)</sup> مغنور ؛ وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركبة بالوضع<sup>(٥)</sup> المحكم ، وذو نضائد مزينة بالتأليف المعجب المتقن ؛ والإنسان الباحث عنه وعمّا يحتويه ذو قوى متقاصرة ، وموانع معترضة ، ودواعٍ ضعيفة ، وإنه مع هذه الأحوال منتبه بالحس ، حالم بالعقل ، عاشق<sup>(٦)</sup> للشاهد ، ذاهل عن الغائب ، مستأنس بالوطن الذى أُلِه ونشأ فيه ، مستوحش من بلد لم يسافر إليه ولم يُلم به وإن كان صدر عنه<sup>(٧)</sup> ، فليس له بذلك معرفة باقية ولا ثقة تامة ؛ وإن الأولى بهذا الإنسان

(١) يعنى بعد الثلاثمائة .

(٢) الدققاء : الأرض لا نبات بها . والقراب . وهذه العبارة كناية عن الفقر الشديد .

(٣) الخطب : الشأن .

(٤) « سره » .

(٥) « بالوصف » .

(٦) « عاشق » .

(٧) عنه ، أى عن البلد .



المنعوت بهذا الضمف والعجز أف يلتبس مسلكا إلى سعادته ونجاته قريبا ويعتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطوقه ؛ وإن أقرب الطرق وأسهل الأسباب هو في معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف هذه الجملة بالتفصيل ، وأطلع على هذا التفصيل بالجملة ، فقد فاز الفوز الأكبر ونال الملك الأعظم ، وكفى مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات الورق الكثير ، مع العناية المتصلة في الدرس والتصحيح والنصب في المسألة والجواب ، والتنقير عن الحق والصواب ؛ وهذا الذي قاله ابن يعيش ليس بحيف ولا خارج عن حزمة الحق ، وإن كان الأمر فيه أيضا صعبا وشاقا وهائلا وعاملا ، ولكن ليس لكل أحد هذه القوة الفائضة ، وهذه الخصوصية الناهضة ؛ وهذا الاستبصار الحسن ، وهذا الطبع الوقاد ، والذهن المنقاد ، والقرينة الصافية والاستبانة والتأمل ، لأن هذه القوة الإلهية ، فإن لم تكن إلهية فهي ملكية ؛ وإن لم تكن ملكية فهي في أفق البشرية ؛ وليس يوجد صاحب هذا النعم إلا في الشاذ النادر ، وفي دهر مديد بين أمة جمّة العدّاد ؛ والفائق من كلّ شيء والبائن من كلّ صنف عزيز في هذا العالم الوحشي ، كما أن الرديء والفاقد معدوم في هذا العالم الإلهي ، ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من يتكلم بالإعراب والصحة ولا يكتن ولا يخطئ ويجري على السليقة الحميدة والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه ، ويجري على منهاجه ، ويفي بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومحملاتها ؛ ومتى اتفق<sup>(١)</sup> إنسان بهذه الخلية<sup>(٢)</sup> وعلى هذا النجار ، فلعمري إنه غني عن تطويل

(١) اتفق إنسان ، أي وجد بطريق الاتفاق ، أي الصدقة .

(٢) لعله « الجملة »

النحويين كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العروض ، وهكذا يستغنى صاحب تلك القوة التي أشار إليها ابن يعيش عن ذلك ، ولكن أين ذاك الفرد والشاذ والنادر ؟ فإن حضر فما تفعل معه إلا أن تقلده وتأخذ عنه وتتبعه .

وإنما المدار على أن تكون أنت بهذا الكمال حائزاً لهذه الغاية ، ولا سبيل لك إليها من تلقاء نفسك ، وإنما هو شيء يأتي من تلقاء غيرك ، فإذا بالضرورة وبالواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والعناء والتكلف والدؤوب حتى تصير متشبهاً بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبديع النادر ؛ فقد بان من هذا القدر صواب ما أشار إليه ابن يعيش وأنكشف أيضاً وجه ما حث عليه مخالفوه ؛ ولا عيب على المنقوص أن يطلب الزيادة ببذل الجهد ، وإن الكامل مربوط بما مُنح من العطية من غير طلب . وأما قوله في صدر كلامه : « إن القوم صدّوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه ، وأتخذوا نشر الحكمة فتحاً للمثالة<sup>(١)</sup> العاجلة » ، فما أبعد ، بل قارب الحق فإن متى<sup>(٢)</sup> كان يُملَى ورقة بدرهم مقتدرى وهو سكران لا يعقل ، ويتهم ، وعنده أنه في ربح ، وهو من الأخسر بن أعمالاً ، الأسفلين أحوالاً .

ثم إنى أتيا الشيخ — أحياء الله لأهل العلم وأحبي بك طالبيه — ذكرت<sup>(٣)</sup> للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح [ الفضل بن<sup>(٤)</sup> ] جعفر بن القرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر<sup>(٥)</sup> متى وأختصرتها ؛ فقال لي : اكتب هذه

(١) المثالة : حسن الحال ؛ ومنه قولهم : كلما زدت مثالة ، زادك الله رعاة ؛ والرعاة : الحق .

(٢) « متى » .

(٣) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) هاتان الكلمتان لم تردا بالأصل وقد أثبتناهما عن معجم ياقوت . وأبو الفتح هذا كان

وزير المقتدر الخليفة العباسي سنة عشرين وثلاثمائة .

(٥) موضع هذا الاسم حروف مطبوسة في الأصل ؛ وقد أثبتناه هكذا نقلاً عن المقاييس

وأخذنا من الكلام الآتي . وأبو بشر متى ، هو ابن يونس الثنائي من أهل دير قني . كان =



المناظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبوي بين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يُعْتَمَ سماعه ، وتُوعَى فوائده ، ولا يُتْهَوَنَ بشيء منه . فكتبت<sup>(١)</sup> : حدثني أبو سعيد بلُغ من هذه القصة . فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة .

لما أُنْعِدَ المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال الوزير ابن الفرات للجماعة — وفيهم الخالدي وأبن الأخشاد والكتبي وابن أبي بشر وأبن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وأبن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغنج من مصر والبرزباني صاحب آل سامان<sup>(٢)</sup> — ألا<sup>(٣)</sup> يَنْتَدِبَ منكم إنسان . لمناظرة متى في حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حوينا<sup>(٤)</sup> من المنطق وملكناه من القيام به ، وأستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فأحجم القوم وأطرقوا قال ابن الفرات : والله إن فيكم لمن يبق بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه وإني لأعدكم في العلم بحارا ، وللدّين وأهله أنصارا ، وللحق وطلّابه منارا ؛ فما هذا الترامز والتغامز اللذان<sup>(٥)</sup> تَجِلُّونَ عنهما ؟ فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه فقال : أعذر أيها الوزير ، فإن العلم المصون في الصدر غير العلم المعروف في هذا

== نصرانيا عالما بالمنطق ، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمنه ، نزل بغداد بعد سنة عشرين وثلاثمائة ، وكانت وفاته في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

- (١) « وكنت » .
- (٢) « سامان » .
- (٣) « أن ينتدب » .
- (٤) « جربناه » .
- (٥) في الأصل : « اللذين » .

الجلس على الأسماع المصبيغة<sup>(١)</sup> والعيون المحدقة والمقول الحادة<sup>(٢)</sup> والألباب الناقدة ؛ لأن هذا يستصحب الهيبة ، والهيبة مكسرة ، ويحتلب الحياء ، والحياء متقلبة ؛ وليس البراز في معركة خاصة كالصاع<sup>(٣)</sup> في بقعة عامة .

فقال ابن الفرات : أنت لما يا أبا سعيد ، فأعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك ، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك . فقال أبو سعيد : مخالفة الوزير فيما رسمه هجنة ، والأحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التقصير ؛ ونعوذ بالله من زلة القدم ، وإياه نسأل حسن المعونة في الحرب والسلام ؛ ثم واجه متى [ فقال<sup>(٤)</sup> ] : حدثني عن المنطق ما تعني [ به ] ؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على ستن مرضي وطريقة معروفة .

قال متى : أعني به أنه آلة من آلات الكلام يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه ، وفاسد المعنى من صالحه ، كاليزان ، فإنني أعرف به الرُّجحان من النقصان ، والشائل<sup>(٥)</sup> من الجانح .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنّا نتكلم بالعربية ؛ وفاسد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل إذا كنّا نبحث بالعقل ؛ وهبكَ عرفت الراجح من الناقص من

(١) « المطنجة » .

(٢) في الأصل : « الجامة » وهو تحريف . وفي معجم الأدباء ترجمة أبي سعيد السيرافي : الجامة ؛ وهو تحريف أيضا لا يستقيم به المعنى ، ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٣) الصاع : من صاع الشجاع أقرانه : إذا حل عليهم ففرق جمعهم .

(٤) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل .

(٥) في الأصل : « والسائل » بالسين المهملة ؛ وهو تصحيف . والشائل : المرتفع . والجانح : اللائل .



طريق الوزن ، فمن لك<sup>(١)</sup> بمعرفة الموزون أيثما<sup>(٢)</sup> هو حديد أو ذهب أو شبه<sup>(٣)</sup> [أو رصاص]<sup>(٤)</sup> ؟ فأراك بعد معرفة الوزن قتيلا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدّها ؛ فلي هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك ، وفي تحقيقه كان أجهادك ، إلا نقما يسيرا من وجه واحد ، وبقيت عليك وجوه ، فانت<sup>(٥)</sup> كما قال الأول<sup>(٦)</sup> :

\* حفظت شيئا وغابت عنك أشياء \*

وبعد ، فقد ذهب عليك شيء هاهنا ، ليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن ، وفيها ما يُكّال ، وفيها ما يُذرع ، وفيها ما يُمسح و [فيها ما]<sup>(٧)</sup> يُحزّر وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المريئة ، فإنه على ذلك أيضا في العقولات المقررة ؛ والإحساسات<sup>(٨)</sup> ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبديد ، مع الشبه المحفوظ والمائلة الظاهرة . ودع هذا ؛ إذا كان المنطق وضعه<sup>(٩)</sup> رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم ، ما شهد لهم به قبلوه ، وما أنكره رفضوه ؟

(١) « من ذلك » .

(٢) « أيثما » .

(٣) الشبه بالتحريك : النحاس الأصفر .

(٤) الكلمة التي بين مربعين عن ياقوت .

(٥) في الأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) هو أبو نواس ؛ وأول البيت : قل لمن يدعى في العلم فلسفة \* حفظت شيئا الخ .

(٧) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات

لأبي حيان .

(٨) « والاحتباس ظلال العقول تحكيها » .

(٩) « وصفه » .

قال متى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث<sup>(١)</sup> عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السائحة والسوانح الهاجسة؛ والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة [ثمانية] سواء عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة وأنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد موّهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التمويه؛ ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا<sup>(٢)</sup> باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمّت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع: بلى. قال: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا. قال: انت إذا لست تدعونا إلى علم المنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تقي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها، وأنقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريقها؛ على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحوّلة<sup>(٣)</sup> بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟

قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض، وأدت المعاني، وأخلصت الحقائق.

(١) «بحث».

(٢) ورد في الأصل بعد قوله: «إلا» جيم وألف وذال، وهي زيادة ممن النسخ والصواب حذفها.

(٣) «مملوكة».



المخالقة ، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا ، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم ، والحق تكفل بهم ، والخطأ تبرأ منهم ؛ والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم ، والذائل بدت من جواهرهم وعروقهم ؛ وهذا جهل ممن يظنه بهم ، وعناد ممن يدعيه لهم ؛ بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء ، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء ، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ، ويحسنون في أحوال ويسيثون في أحوال ؛ وليس واضح المنطق يونان بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عن قبله كما أخذ عنه من بعده ؛ وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجهم الغفير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم ؛ ومع هذا فالأختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ<sup>(١)</sup> وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه ؟ [هيات<sup>(٢)</sup>] هذا محال ، ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان عليه قبل منطقته ؛ فأمسح وجهك بالسوة عن شيء لا استطاع لأنه منعقد بالفطرة والطباع ؛ وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها ، وتجارينا فيها ، وتدارس أصحابك بمفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها ، لعلت أنك غني عن [معاني<sup>(٣)</sup>] يونان كما أنك غني عن لغة [يونان] .

وهاهنا مسألة ، تقول : إن الناس عقولهم مختلفة ، وأنصباؤهم منها متفاوتة . قال : نعم . قال : وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالأكتساب ؟ قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف

(١) السنخ : الأصل . وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من النقط .

(٢) الكلمة التي بين مربعين عن معجم الأدباء .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل . وقد أئبناها عن المقابلات ص ٣

قال أبو سعيد : إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت وما حرّفت ، ووُزنت<sup>(١)</sup> وما جَزَفت ، وأنها [ ما ]<sup>(٢)</sup> ألتأت ولا حافت ، ولا نقصت ولا زادت ، ولا قَدّمت ولا أخّرت ، ولا أخلت بمعنى الخاصّ والعامّ ولا [ بأخصّ الخاصّ<sup>(٣)</sup> ولا ] بأعمّ العامّ — وإن كان هذا لا يكون ، وليس هو في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني — فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول يونان ، ولا برهان إلا ما وضعوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه .

قال متى : لا ، ولستهم من بين الأمم أصحابُ عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه ، وعن كلّ ما يتصل به وينفصل عنه ، وفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وأنتشر ما أنتشر وفشا ما فشا [ ونشأ ما نشأ ] من أنواع العلم وأصناف الصنائع ؛ ولم نجد هذا لغيرهم .

قال أبو سعيد : أخطأت وتعمّيت ومِلت مع الهوى ، فإنّ عِلْمَ العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم ، ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه الماقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جَدَد<sup>(٤)</sup> الأرض ؛ ولهذا غلب علم في مكان دون علم ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة ؛ وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ؛ ومع هذا فإنما كان يصحّ قولك وتسلم دعواك لو كانت يونانُ معروفةً من بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة ، والقِطْنة الظاهرة ، والبنية

(١) في الأصل : « ووريت وما حرّفت » ، وهو تصحيف في كلتا الكلمتين . يقال جزف فلان الشيء ، أى باعه أو اشتراه جزافاً بلا كيل ولا وزن .  
 (٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل .  
 (٣) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناهما عن المقابسات .  
 (٤) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض . وفي الأصل « جديد » ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق .



الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ؟ قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال أبو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ؟ ودّع هذا ؛ أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميّزة عند أهل العقل ؛ فأستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تُدِلُّ به وتُباهي بتفخيمه ، وهو (الواو) ما أحكامه ؟ وكيف مواقفه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فبيّنت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحويّ حاجة شديدة إلى المنطق ، لأنّ المنطق يبحث عن المعنى <sup>(١)</sup> [ والنحو يبحث <sup>(٢)</sup> عن اللفظ ] ، فإن مر المنطق باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحويّ بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن الكلام <sup>(٣)</sup> والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار <sup>(٤)</sup> والعرض [ والتعني <sup>(٥)</sup> ] والتهى والحضّ والدعاء والنداء والطلب كلّها من واد واحد بالمشاكلة والمائلة ، ألا ترى أنّ رجلا لو قال : « نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق ، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش ، وأعرّب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان المراد ولكن ما أوضح ، أو فاة بمحاجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبا » ، لكان في جميع هذا محرّفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه ، ومستعملا اللفظ على غير

(١) في الأصل : « اللفظ » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا يستقيم به المعنى .

(٢) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ، وقد أثبتناها عن المقابسات ، إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) في المقابسات : « لأن النحو والمنطق » .

(٤) الظاهر أن في قوله « والاستخبار » تبديلا من الناسخ صوابه « والإبنا » بدليل قوله في التمثيل الآتي « أو أخبر ولكن ما أنبا »

(٥) الكلمة التي بين مربعين عن معجم الأدباء .

شهادة [من] عقله<sup>(١)</sup> وعقل غيره ؛ والنحو منطلق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ؛ ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان ، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة [بأثر آخر<sup>(٢)</sup> من الطبيعة] ولهذا كانت المعنى ثابتا على الزمان ، لأن مستمل المعنى عقل ، والعقل إلهي ؛ ومادة اللفظ طينية ، وكل طيني متهايت ؛ وقد بقيت أنت بلا أسم لصناعتك التي تنتحلها ، وآلتك التي تزهي بها ، إلا أن تستعير من العربية لها أسما فتعار ، ويسلم لك ذلك بمقدار ؛ وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة<sup>(٣)</sup> فلا بد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة وأجتلاب الثقة والتوقى من الخلطة اللاحقة .

فقال متى : يكفيني من لغتك هذه الأسم والفعل والحرف ، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها ؛ وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات ، وهذا باب [أنت<sup>(٤)</sup> وأصحابك ورهطك عنه في غفلة ؛ على أن هاهنا سرًا ما علق بك ، ولا أسفر لعقلك ؛ وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق<sup>(٥)</sup> لغة أخرى من جميع جهاتها بمحدود

(١) « وغفلة » .

(٢) العبارة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

(٣) « التجربة » .

(٤) هذا الكلام الذي بين هذين المربعين لم يرد في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن المقابسات .

(٥) « تتاطق » .



صفاتها ، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، وأستعارتها وتحقيقها ، وتشديدتها وتحقيقها ، وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ، ووزنها وميلها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ؛ وما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى مُسْكَةٍ من عقل أو نصيبٍ من إنصاف ، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرجم لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أخرجُ منك إلى تعرف المعاني اليونانية ؛ على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية ، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية ؛ ومع هذا فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر ، فلم يبق إلا أحكام اللغة ، فلم تُزِرْ على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها ، مع جهالك بحقيقتها ؟

وحدثني عن قائل قال لك : حالي في معرفة الحقائق والتصنيف لها [ والبحث عنها <sup>(١)</sup> ] حال قوم كانوا قبل واضح المنطق ، أنظر كما نظروا ، وأتدبر كما تدبروا ، لأن اللغة قد عرقتها بالمنشأ والوراثه ، والمعاني نُقِرَتْ عنها بالنظر والرأى والأعتاب والاجتهاد . ما تقول له ؟ أتقول : إنه لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر ، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التي عرقتها أنت ؟ ولعلك تفرح بتقليده لك — وإن كان على باطل — أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق ؟ وهذا هو الجهل المبين ، والحكم المشين <sup>(٢)</sup> .

ومع هذا ، فحدثني عن الواو ما حكمه ؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئا ، وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعو بها إلى

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن معجم الأدباء لياقوت والمقابسات للمؤلف .

(٢) في رواية أخرى « غير المستبين » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

حكمة يونان ، ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفاً ، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهل اللغة بكاملها ، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها ، فلعله يجهل ما يحتاج إليه ، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه . وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير ؛ فلم يتأبى على هذا ويتكبر ، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وخفى القياس وصحيح البرهان ؟

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد ، فكيف لو ثرت عليك الحروف كلها ، ومطالبك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق ، والتي لها بالتجوز ؛ سمعتم تقولون : إن « في » لا يعرف النحويون مواقعها ، وإنما يقولون : هي « للواء » كما [ يقولون ] : « إِبْ الباء للإصاق » ؛ وإن « في » تقال على وجوه : يقال « الشيء في الإناء » « والإناء في المكان » « والسائس [ في السياسة ] » « والسياسة في السائس » .

أترى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ؟ ولا يجوز أن يُعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب ؟ فهذا جهلٌ من كل من يدعيه ، وخطأٌ من القول الذي أفاض فيه ؛ النحوي إذا قال « في » للواء<sup>(١)</sup> فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح ، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ؛ ومثل هذا كثير ، وهو كافٍ في موضع التكنية<sup>(٢)</sup> .

فقال ابن الفرات : أيها الشيخ الموفق ، أجهه بالبيان عن مواقع « الواو »

(١) في الأصل : « للوما » وما أثبتناه عن المقاييسات ص ٧٧ إذ به يستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « التبيكيت » وفي المصادر الأخرى « السكت » ؛ وفي كلا القطين تعريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .



حتى تكون أشدَّ في إخمائه ، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ، ومع هذا فهو مشنَّع<sup>(١)</sup> به .

قال أبو سعيد : للواو وجوه ومواقع : منها معنى العطف في قولك : « أكرمت زيدا وعمرا » ومنها القسم في قولك : « والله لقد كان كذا وكذا » ومنها الاستئناف في قولك : « خرجتُ وزيد قائم » لأن الكلام بعده ابتداء وخبر ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قولهم<sup>(٢)</sup> : \* وقائم الأعماق خاوي المحترق \* ومنها أن تكون أصلية في الأسم ، كقولك : واصلٌ واقِدٌ واقِدٌ ، وفي الفعل كذلك ، كقولك : وجِلَ يوجِلُ ؛ ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل . ( فَلَبَّأْ سَلَامًا وَسَلَامًا لِلَّهِ لَلْحَبِيبِينَ وَنَادَيْنَاهُ ) ، أي ناديناه ؛ ومثله قول الشاعر<sup>(٣)</sup> :

\* فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى \* المعنى : انتحى بنا ؛ ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : ( وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ) أي يكلم الناس في حال كهولته ؛ ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر ، كقولك : استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة .

قال ابن الفرات : [ لمثى ] : يا أبا بشر : أكان هذا في نحوك<sup>(٤)</sup> .

ثم قال أبو سعيد : دع هذا ، هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ، ما تقول في قول القائل : « زيد أفضل الإخوة » ؟

(١) في الأصل والمقابسات « متشيع » . وفي معجم ياقوت « متشيع » . وفي كلا اللغتين تصحيف .

(٢) هذا الشطر من شعر رؤية بن العجاج .

(٣) هذا الشطر صدر بيت لامرئ القيس ، ومجزه :  
بنا بطن خبت بئى حفاف عقتل .

(٤) في المقابسات « في منطقك » ؛ وهي ألص .

قال : صحيح . قال : فما [ تقول <sup>(١)</sup> ] إن قال « زيد أفضل إخوته » ؟ قال : صحيح .  
قال : فما [ الفرق بينهما [ مع الصَّحَّة <sup>(٢)</sup> ] ففكَّح <sup>(٣)</sup> وجَنَحَ وغصَّ بريقه .

فقال أبو سعيد : أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة ؛ المسألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلا عن وجه محنتها ؛ والمسألة الثانية -جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضا ذاهلا عن وجه بطلانها .

قال متى . يبين لي ما هذا التهجين ؟

قال أبو سعيد : إذا حضرت الحلقة <sup>(٤)</sup> استفتدت ، ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس ، مع من عادته التويه والتشبيه ؛ والجماعة تعلم أنك أخطأت ، فلم تدعى أن النحوى إنما ينظر في اللفظ دون المعنى ، والمنطقى ينظر في المعنى لا في اللفظ ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقى كان يسكت ويجهل <sup>(٥)</sup> فكره في المعانى ، ويرتب ما يريد بالوهم السامع والخاطر العارض والحدس الطارى ؛ فأما وهو يريد أن يبرر <sup>(٦)</sup> ما صبح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر ، فلا بد له من اللفظ الذى يشتمل على مراده ، ويكون طباقا لقرضه ، وموافقا لقصده <sup>(٧)</sup> .

قال ابن الفرات لأبى سعيد : تم لنا كلامك فى شرح المسألة حتى تكون القائدة ظاهرة لأهل المجلس ، والتبكييت عاملا فى نفس أبى بشر .

(١) هذه العبارة الموضوعية بين مربعين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات وبها يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة التى بين مربعين لم ترد فى الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٣) بلح : أعى وعجز . وجنح ، أى مال .

(٤) « المختلفة » .

(٥) « ويجهل » .

(٦) « يزن » .

(٧) « لقصده » .



فقال : ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا مَلَلَ الوزير ؛  
فإن الكلام إذا طال مُلٌّ .

فقال ابن القرات : ما رغبتُ في سماع كلامك ويني وبين المَلَلِ علاقة ؛  
فأما الجماعة فحرصُها على ذلك ظاهر .

فقال أبو سعيد : إذا قلت : « زيد أفضل إخوته » لم يجوز ، وإذا قلت :  
« زيد أفضل الإخوة » جاز ؛ والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد ، وزيدٌ خارج  
عن جملتهم . والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال : « من إخوة زيد » .  
لم يجوز أن تقول : زيد وعمرو وبكر وخالد [ وإنما <sup>(١)</sup> تقول : بكر وعمرو وخالد ]  
ولا يدخل زيد في جملتهم ، فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم ، فلم يجوز  
أن تقول : أفضل إخوته ، كما لم يجوز أن تقول : « إن حمارك أفره <sup>(٢)</sup> البغال »  
لأن الحمر غير البغال ، كما أن زيدا غيرُ إخوته ، فإذا قلت : « زيد خير الإخوة »  
جاز ، لأنه أحد الإخوة ، والأسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ، ألا  
ترى أنه لو قيل : « من الإخوة » ؟ عدته فيهم ، فقلت : « زيد وعمرو وبكر  
وخالد » فيكون بمنزلة قولك : « حمارك أفره الحمر » لأنه داخل تحت الأسم  
الواقع على الحمر . فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل  
على الجنس ، فتقول : « زيد أفضل رجل » و « حمارك أفره حمار » فيدل « رجل »  
على الجنس كما دل الرجال ؛ وكما في « عشرين درهما ومائة درهم » .

فقال ابن القرات : ما بعد هذا البيان مزيد ، ولقد جلّ علم النحو عندي  
بهذا الاعتبار وهذا الإسفار .

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات إذ بها  
يستقيم الكلام .

(٢) في المقابسات « أفضل » ؛ والمعنى عليها يستقيم أيضا .

فقال أبو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائفاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد ، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم . فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم وما أخذ عنهم ، وكل ذلك محصور بالتبع والرواية والسمع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تُعرف ولا تُستوضح إلا بطريقهم ونظرم وتكلفهم ، فترجموا لغةً هم فيها <sup>(١)</sup> ضعفاء ناقصون . وجعلوا تلك الترجمة صناعة ، وأدعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى .

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال : أما تعرف <sup>(٢)</sup> يا أبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد أُنْتُلفِتْ بمراتب ، وتقول <sup>(٣)</sup> بالمثل : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوباً ، لأنه نُسِجَ بعد أن غزل ، فسَدَاتُهُ لا تكفي دون لُحْمَتِهِ ولُحْمَتُهُ لا تكفي دون سَدَاتِهِ ، ثم تأليفه <sup>(٤)</sup> كنسجه ، وبلاغته كقصارته <sup>(٥)</sup> ورقة سِلْكِهِ كَرِقَّة لفظه ، وغِلْظُ غزله ككثافة حروفه ، ومجموع هذا كله ثوب ، ولكن بعد مقدمة كل ما يحتاج إليه فيه .

قال ابن القرات : سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى ، فإن هذا كلما توالى

(١) عبارة الأصل : « فترجموا لفتحهم فهما » ؛ وهو تحريف .

(٢) رواية المقابسات : « ألا تعلم » والمعنى عليه يستقيم أيضا .

(٣) عبارة المقابسات : « مثال ذلك أن تقول » والمعنى عليه يستقيم أيضا .

(٤) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « بالنقل » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لنضارته » ؛ وهو تحريف .



عليه بأن أُنْقَطِعَ ، وأنْخَمَضَ أرتقاعه ، في المنطق الذي ينصره ، والحق الذي [لا<sup>(١)</sup>] يُبصره .

قال أبو سعيد : ما تقول في رجل يقول : « لهذا على درهم غير قيراط ؛ ولهذا الآخر على درهم غير قيراط » . قال : مالي علم بهذا التَّمَط . قال : لست نازعا عنك حتى يصحَّ عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرّق<sup>(٢)</sup> ، هاهنا ما هو أخفّ من هذا ، قال رجل لصاحبه : « بكم الثوبان المصبوغان » ، وقال آخر : « بكم ثوبان مصبوغان » وقلل آخر : « بكم ثوبان مصبوغين » بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ .

قال متى : لو ثرت أنا أيضا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه ، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحَّ لفظه على العادة الجارية أجبت ، ثم لا أبالي أن يكون موافقا أو مخالفا ، وإن كان غير متعلّق بالمعنى رددته عليك ، وإن كان متصلا باللفظ ولكن على وضع لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضا لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة مقرّرة بين أهلها .

ما وجدنا لكم إلّا ما أستعرت من لغة العرب [كالسبب والآلة<sup>(٣)</sup>] والسلب والإيجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمّل والمحصور وأمثلة لا تنفع ولا تُجدي ، وهي إلى العيِّ أقرب ، وفي النهاية أذهب .

(١) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) يريد بالزرّق : الخداع كما يستفاد من كتب اللغة فقد ورد في اللسان ومستدرک التاج « رجل زراق » ، أي خداع . ولم يذكر في هذين الكتابين فعله ولا مصدره .

(٣) الزيادة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

ثم أتم هؤلاء في منطقكم على تقصير ظاهر ، لأنكم لا تقولون<sup>(١)</sup> بالكتب ولا هي مشروحة ، فتدعون الشعر ولا تعرفونه<sup>(٢)</sup> وتذكرون<sup>(٣)</sup> الخطابة وأتم عنها في منقطع التراب ؛ وقد سمعت قائلكم يقول : الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان . فإن كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب ، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان ، فهي أيضا ماسة إلى ما بعد البرهان ، وإلا فلم صنّف مالا يحتاج إليه ويستغنى عنه . هذا كله تخطيط وزرق وتهويل ورعد وبرق .

وإنما بودّكم<sup>(٤)</sup> أن تشغلوا جاهلا ، وتستذلوا عزيزا ؟ وغايتكم أن تهوّلوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهليّة<sup>(٥)</sup> والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأينية<sup>(٦)</sup> والليسية<sup>(٧)</sup> والنفسية ؟ ثم تتناولون<sup>(٨)</sup> فتقولون : « جئنا بالسعر » في قولنا : « لا » في شيء من « ب » و « ج » في بعض « ب » ، ف « لا » في بعض « ج » و « لا » في كل « ب » و « ج » في كل « ب » فإذا « لا » في كل « ج »<sup>(٩)</sup> ؛ هذا بطريق الخلف ، وهذا بطريق الاختصاص .

(١) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « تقولون » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تذكرونه » ؛ وما أثبتناه عن المقابسات .

(٣) في المقابسات « وتدعون » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) في الأصل : « قولكم » ؛ وهو تحريف .

(٥) الهلية والأينية : نسبة إلى « هل » و « أين » الاستفهاميتين ؛ والنسبة في الألفاظ التي بعدها معروفة .

(٦) الأيسية والليسية : الإثبات والنفي .

(٧) في المقابسات : « يتمطون » أي بتشديد الطاء .

(٨) كذا في الأصل ، ولعل صحة العبارة : لا « أ » في شيء من « ب » و « ج » في

بعض « ب » ف « أ » إذن لا في « ج » و « أ » لا في كل « ب » و « ج » في بعض « ب » ف « أ » إذن ليس في « ج » كما يقتضيه علم المنطق .



وهذه كلها خرافات وتُرَّهات ، ومغالق وشبكات ؛ ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقُب رأيه وأنارت نفسه أستغنى عن هذا كله — بعون الله وفضله — وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأى وإنارة النفس من منائح الله الهنيئة ، ومواهبه السنية ، يختص بها من يشاء من عباده وما أعرف لأستطالتكم بالمنطق وجها ، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقكم ، وبين خطأكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه [ كلمة واحدة <sup>(١)</sup> ] مما قال ، وما زدتم <sup>(٢)</sup> على قولكم : لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم . وهذا منكم تحاجز ونكول ورضى بالعجز وكلول ، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه <sup>(٣)</sup> اعتراض هذا قولكم في « يفعل وينفعل » لم تستوضحوا فيها مراتبهما ومواقعهما ، ولم تقفوا على مقاسمهما ، لأنكم قنتم فيها بوقوع الفعل من « يفعل » وقبول الفعل من « ينفعل » ، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ، ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالكم في الإضافة .

فأما البذل ووجوهه ، والمعرفة وأقسامها ، والنكرة ومراتبها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، فليس لكم فيه مقال و [ لا ] مجال .  
وأنت إذا قلت لإنسان . « كن منطقيا » ، فإنما تريد : كن عقليا أو عاقلا أو أعقل ما تقول <sup>(٤)</sup> لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل ؛ وهذا قول مدخول ، لأن النطق على وجوه أتم عنها في سهو .

(١) البارة التي بين مربعين عن المقابسات .

(٢) في الأصل : « زدتم » والكاف زيادة من الناسخ .

(٣) « عليه » .

(٤) « ما يكون » .

وإذا قال لك آخر : « كن محوياً لغوياً فصيحاً » فإنما يريد : افهم عن نفسك ما تقول ، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك .

وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه ، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه ؛ هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به . فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد فاجلّ اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقربة ، والاستعارات الممتعة ، وبين<sup>(١)</sup> المعاني بالبلاغة ، أعني لوّح منها شيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها ، لأن المطلوب إذا ظفّر به على هذا الوجه عزّ وحلا ، وكرم وعلا ؛ وشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمتري [فيه] أو يتعب في فهمه أو يُعرج عنه لأغماضه ؛ فهذا المذهب يكون جامعاً للحقائق الأشباه ولأشياء الحقائق ؛ وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس ؛ على أني لا أدري أيؤثر فيك ما أقول أو لا ؟

ثم قال : حدثنا هل فصلتم [قط] بالمنطق بين مختلفين ، أوقفتم الخلاف بين اثنين ؛ أثراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة ، وأن الواحد أكثر من واحد ، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد ، وأن الشرع ما تذهب إليه ، والحق ما تقوله<sup>(٢)</sup> ؟ هيات ، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم ، وتديق عن عقولهم وأذهانهم .

ودع هذا ، هاهنا مسألة قد أوقعت خلافاً ، فارفع ذلك الخلاف بمنطقتك . قال قائل : « لفلان من الخاطئ إلى الخاطئ » ما الحكم فيه ؟ وما قدر المشهود به لفلان ؟ فقد قال ناس : له الخاطئان معا وما بينهما . وقال آخرون :

(١) في معجم الأدباء : « وسدد » .

(٢) « ما هو له » .



له [ النصف من كلٍ منهما . وقال آخرون<sup>(١)</sup> : له ] أحدهما . هات الآن آيتك الباهرة ، ومعجزتك القاهرة ، وأنتى لك بهما ، وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك .

ودع هذا أيضا ؛ قال قائل : « من الكلام ما هو مستقيم حسن ، ومنه ما هو مستقيم محال ، ومنه ما هو مستقيم قبيح ، ومنه ما هو محال كذب ، ومنه ما هو خطأ » . فسر هذه الجملة . وأعرض عليه عالم آخر ، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعارض وأرنا قوة صناعتك التى تميز [ بها ] بين الخطأ والصواب ، وبين الحق والباطل ؟ فإن قلت : كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعتُ مقالته ، والآخر لم أحصلُ اعتراضه ؟ قيل لك : استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملا له ، ثم أوضح الحق منهما ، لأن الأصل مسموع لك ، حاصلٌ عندك وما يصح به أو يرد عليه يجب أن يظهر منك ، فلا تتعاسر<sup>(٢)</sup> علينا ، فإن هذا لا يخفى على [ أحد<sup>(٣)</sup> من ] الجماعة .

فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل ؛ والمعانى معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة ؛ وليس فى قوة اللفظ من أى لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به ، وينصب عليه سورا ، ولا يدع شيئا من داخله أن يخرج ، ولا شيئا من خارجه أن يدخل ، خوفا من الاختلاط الجالب للفساد ، أعنى أن ذلك يخلط الحق بالباطل ، ويشبه الباطل بالحق ؛ وهذا الذى وقع الصحيح منه فى الأول قبل وضع المنطق ، وقد عاد ذلك الصحيح فى الثانى بعد<sup>(٤)</sup> المنطق ؛

(١) الكلمة التى بين مربعين لم ترد فى الأصل ؛ وقد أبتناها عن المقابسات .

(٢) « تتعاسر » .

(٣) كذا فى المقابسات . والذى فى الأصل : « على من حضرته » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به معنى الجملة .

(٤) فى المقابسات « بهذا » .

وأنت لو عرفتَ تصرف العلماء والفقهاء في مسائلهم ، ووقفتَ على غورهم في نظريهم وغورِهم في استنباطهم ، وحُسنِ تأويلهم لِمَا يَرِدُ عليهم ، وسَعَفِ تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنيات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة ، لحقَّتْ نفسُك ، وأزدريت أصحابك ، وَلَكانَ ما ذهبوا إليه وتابَعوا عليه أَقلَّ في عينك من الشَّها عند القمر ، ومن الحِصا عند الجبل . أليس الكِنْدِيُّ وهو عَلمٌ في أصحابك يقول <sup>(١)</sup> في جواب مسألة « هذا » <sup>(٢)</sup> من باب عدَّة . فعدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الهم بلا ترتيب ، حتَّى وضعوا له مسائلَ من هذا الشكل وغالطوه بها وأزوَّه أنها من الفلسفة الداخلة ، فذهب عليه ذلك الوضع ، فاعتقد فيه أَنَّهُ [ صحيح وهو <sup>(٣)</sup> ] مريض العقل فاسد المزاج حائلُ الغريزة مشوَّشُ اللَّب .

قالوا له : أخبرنا عن أَصْطِكَالِكِ <sup>(٤)</sup> الأجرام ، وتَضاعُطِ الأركان ؟ هل يدخل في باب وجوب الإمكان ؟ أو يخرج من باب الفُقْدان إلى ما يَخْفَى عن الأذهان ؟ وقالوا له أيضا : ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصُّور الهَيُولائية ؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان ، أو مزايلةٌ له مزايلة على غاية الإحكام ؟ وقالوا له : ما تأثير فُقْدان الوجودان في عدم الإمكان عند أمتناع الواجب من وجوبه في ظاهرٍ مالا وجوب له لاستخالته في إمكان أصله ؟ وعلى هذا فقد حُفِظَ جوابُه عن جميع هذا على غاية الرَّكاكة والضعف [ والفساد ] والفسالة

(١) في الأصل : « يقولون » ، والواو والتون زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « عدم » ، وفي بعض المصادر الأخرى « عدة » وهي غير واضحة للمعنى في كلتا الروايتين ؛ ولعلَّ الصواب ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٤) في الأصل : « استقصائك » ؛ وهو تحريف .



والسُّخف . ولولا التوقُّ من التطويل لسردتُ ذلك كله ، ولقد مرَّ بي في خطِّه :  
التفاوت في تلاشي الأشياء غيرُ مُحاطٍ به ، لأنَّه يلاقى الاختلاف في الأصول  
والإتفاق في الفروع ؛ وكلُّ ما يكون على هذا التَّهَج فالنِّكِرَة تُزاحم عليه  
المعرفة ، والمعرفة تُناقض النِّكِرَة ، على أنَّ النِّكِرَة والمعرفة من باب الألبسةِ  
العاريةِ من ملابس الأسرار الإلهية ، لا من باب الإلهية العارضةِ في  
أحوال البشرية .

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يُضحك الشكلى ويُشمت العدو  
ويُنه الصديق ، وما وُثِرَ هذا كله إلَّا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق  
ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدى بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل ، والفعل  
الجارى على التعديل ، إنَّه سميع مجيب .

هذا آخرُ ما كتبتُ عن علي بن عيسى الرَّمَّانِي الشيخ الصالح بِإِمْلَانِهِ .  
وكان أبو سعيد قد رَوَى لَمَّا من هذه القصة .

وكان يقول : لم أحفظ عن نفسي كلَّ ما قلتُ ، ولكن كتب ذلك أقوامٌ  
حَضَرُوا في ألواح كانت معهم ومحابرُ أيضا ؛ وقد اُخْتَلَّ علي كثير منه .  
قال علي بن عيسى : وتقوَّض المجلس وأهله يتعجَّبون من جأش أبي سعيد  
الثابت ولسانه المتصرف ووجهه المتهلِّل وفوائده المتتابعة .  
وقال الوزير ابن الفرات : عين الله عليك أيها الشيخ ، فقد نَدَّيتُ أكبادا  
وأقررتُ عيوننا ، وبيَّضتُ وجوها ، وحُكَّتْ طِرازا لا يبلية الزمان ، ولا يتطرَّق  
إليه الحدَّثان .

قلت لعلي بن عيسى : وكم كانت سِنَّ أبي سعيد<sup>(١)</sup> في ذلك الوقت ؟

(١) في الأصل : « علي بن عيسى » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

قال : مولده سنة ثمانين ومائتين ، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة ، وقد عَهِثَ الشَّيْبُ بِلَهَازِمِهِ <sup>(١)</sup> مع السَّمْتِ والوَقَارِ والدِّينِ والجِدِّ ، وهذا شعار أهل الفضل والتقدم ، وقلَّ من تظاهر به أو تحلَّى بحليته إلا جَلَّ في العيون وعظم في النفوس ، وأحَبَّتْهُ القلوب ، وجرت بمدحه الألسنة .

وقلت لعلي بن عيسى : أما كان أبو علي <sup>(٢)</sup> الفسوي النحوي حاضراً المجلس ؟ قال : لا ، كان غائياً ، وحُدِّثَ بما كان ، فكان يكتُم الحسد لأبي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور ، والثناء للذكور .

فقال لي الوزير <sup>(٣)</sup> عند منقطع هذا الحديث : ذكرتني شيئاً قد دار في نفسي مراراً ، وأحببت أن أقف على واضحته ؛ أين أبو سعيد من أبي علي ، وأين علي بن عيسى منهما ، وأين ابنُ المِراغِيّ أيضاً من الجماعة ؟ وكذلك المرزباني وأبن شاذان وأبن الوراق وأبن حيويه ؟

فكان من الجواب ، أبو سعيد أجمعُ لشمل العلم ، وأنظمُ لمذاهب العرب وأدخلُ في كلِّ باب ، وأخرجُ من كلِّ طريق ، وألزمُ للجادة الوسطى في الدين والخلق ، وأروى في الحديث ، وأقضي في الأحكام ، وأفقه في الفتوى ، وأحضرُ بركة على المختلفة ، وأظهرُ أثراً في المقتبسة . ولقد كتب إليه نوح بن نصر — وكان من أدباء ملوك آل سامان — سنة أربعين <sup>(٤)</sup> كتاباً خاطبه فيه بالإمام

(١) الهازم : جمع لهزمة بكسر اللام ، وهي مجتمعة اللحم بين الماضغ والأذن ؛ أو هي العظم الثاني في اللحية تحت الأذن ، وهما لهزمتان ؛ ويريد هنا الشعر النابت عليهما .

(٢) أبو علي الفسوي ، هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ، ولد بمدينة فسا سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وكان إماماً وفقيهاً في علم النحو وله فيه كثير من المؤلفات الوافية النافعة ، وتوفي في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

(٣) يريد الوزير أبا عبد الله الطبري .

(٤) أي وثلاثمائة .



وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة ، الغالب عليها الحروف ، وباقي ذلك أمثال مصنوعة على العرب شك فيها فسأل عنها ؛ وكان هذا الكتاب مقرونا بكتاب الوزير البلعميّ خاطبه فيه بإمام المسلمين ، ضمنه مسائل في القرآن وأمثالا للعرب مشكلة .

وكتب إليه الموزبان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتابا خاطبه فيه بشيخ الإسلام ، سأله عن مائة وعشرين مسألة ، أكثرها في القرآن ، وباقي ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضوان الله عليهم .

وكتب إليه ابن حنّابة من مصر كتابا خاطبه فيه بالشيخ الجليل ، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف .

وقال لي الدارقطني سنة سبعين : أنا جمعت ذلك لأبن حنّابة على طريق المعونة .

وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتابا يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألة في القرآن ، ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر ، هكذا حدثني به أبو سليمان ؛ وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق التكلمين .

قال لي الوزير : وهذه المسائل والجواب عنها عندك ؟ قلت : نعم . قال : في كم تقع ؟ قلت : لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة ، لأن أكثرها في الظهور . قال : ما أحوجنا إلى النظر فيها والاستمتاع بها والاستفادة منها ! وأين الفراغ وأين السكون ؟ ونحن كل يوم ندفع إلى طائفة تنسى ما سلف ، وتوعد بالهامية

اللهم هذه ناصيتي بيدك ، فتولني بالعصمة ، وأخصني بالسلامة ، وأجعل عقباي إلى الحسنى .

ثم قال : صل حديثك .

قلت : وأما أبو علي<sup>(١)</sup> فأشد تفرّدا بالكتاب<sup>(٢)</sup> وأشد إكبابا عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين ، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد ، وأطرافا مما لغيره ؛ وهو متقد بالفيظ على أبي سعيد ، وبالحسد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لأبن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم .

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل ، ولكنه قد على الكتاب<sup>(٣)</sup> على النظم المعروف .

وحدثني أصحابنا أن أبا علي أشتري شرح أبي سعيد في الاهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين — لاحقا بالخدمة المرسومة به ، والندامة<sup>(٤)</sup> الموقوفة عليه — بألفي درهم ؛ وهذا حديث مشهور ، وإن كان أصحابه يابون الإقرار به إلا من زعم أنه أراد النقض عليه ، وإظهار الخطأ فيه .

وقد كان الملك السعيد — رضى الله عنه — هم بالجمع بينهما فلم يقض له ذلك ، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(١) يريد أبا علي الفسوي السابق ذكره .

(٢) يريد بالكتاب كتاب سيبويه .

(٣) يريد بالكتاب كتاب سيبويه . يقول : إنه انتصر على دراسته على الطريقة المروقة .

(٤) الندامة ، أي المنامة على الفراغ ، بدليل ما يأتي بعد في سطر (١) من صفحة ١٣٢ .



وأبو علي يشرب ويتخالَع ويفارق هَذَى أهل العلم وطريقة الرباتيين<sup>(١)</sup>  
وعادة المتنسِّكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلي إلا في الجماعة ، ويتم على مذهب  
أبي حنيفة ، ويلى القضاء سنين ، ويتأله<sup>(٢)</sup> ويتحرَّج ، وغيره بمنزل عن هذا ؛  
ولولا الإبقاء على حرمة العلم ، لكان القلم يجري بما هو خافٍ ويخبر بما هو مجتَمِع<sup>(٣)</sup>  
ولكنَّ الأخذ بحكم المروءة أولى ، والإعراض عما يجلب اللأئمة أحرى .

وكان أبو سعيد حسن الخط ، ولقد أراد الصَّيْمَرِيُّ أبو جعفر على الإنشاء  
والتهجير فاستعفى وقال : هذا أمر يحتاج فيه إلى دُرْبة وأنا عارٍ منها ، وإلى  
سياسة وأنا غريب فيها \* ومن القناء رياضة الهرم \*

وحدَّثنا النَّصْرِيُّ<sup>(٤)</sup> أبو عبد الله — وكان يكتب النوبة للهلبى — بحديث  
مفد<sup>(٥)</sup> لأبي سعيد هذا موضعه ، قال : كنتُ أخط بين يدي الصَّيْمَرِيِّ أبي جعفر  
محمد بن أحمد بن محمد ، فالتسنى يوما لأن أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب  
فلم يجدنى ، وكان أبو سعيد السيرافى بحضرته ؛ فظنَّ<sup>(٦)</sup> أنه بفضل علمه أقوم  
بالجواب من غيره ، فتقدَّم إليه أن يكتب ويحجب ، فأطال في عمل نسخة كثُر  
فيها الضرب والإصلاح ، ثم أخذ يحرِّر ، والصَّيْمَرِيُّ يقرأ ما يكتبه ، فوجده مخالفا

(١) الرباني : المتأله العارف بالله . وفي الأصل : « الديانين » ولم نجده في كتب اللغة  
بهذا المعنى .

(٢) يتأله ، أى يتعبد ويتنسك .

(٣) مجتم : من ججم الكلام في نفسه إذا لم يبينه يريد به المستتر الخافى .

(٤) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذي في الأصل :

البقرى ؛ وهو تحريف .

(٥) « معد » .

(٦) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذي في الأصل : « فبان » .

لجاري العادة لفظا ، مباينا لما يريد<sup>(١)</sup> ترتيبا .

قال : ودخلت في تلك الحال ، فتمثل الصيّريُّ بقول الشاعر :

يا باري القومِ برّيا ليس يُصلِّحه لا تظلم القومَ ، أعطِ القومَ باريها

ثم قال لأبي سعيد : خفف عليك أيها الشيخ وأدفع الكتاب إلى أبي عبد الله تليذك ليحبب عنه ، فحجل من هذا القول ، فلما أبتدأتُ الجواب من غير نسخة تحيّر منّي أبو سعيد ، ثم قال : أيها الأستاذ ، ليس بمستنكر ما كان منّي ، ولا بمستنكر ما كان منك ، إن مال النّبي لا يصحّ في بيت المال إلا بين مستخرج<sup>(٢)</sup> وجهبذ ، والكتاب جهابذة الكلام ، والعلماء مستخرجوه . فتبسّم الصيّريُّ وأعجبه ما سمع ، وقال : على كلّ حال ما أخلينا من فائدة .

وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يُقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والقرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والهندسة والحديث والأخبار وهو في كل هذا إماما في الغاية وإماما في الوسط .

وأما علي بن عيسى<sup>(٣)</sup> فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، وعيب به ، إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق ، بل أفرّد صناعة ، وأظهر براعة ، وقد عمل في القرآن كتابا نفيسا ، هذا مع الدّين الثخين ، والعقل الرزين .

وأما ابن الراغبي<sup>(٤)</sup> فلا يلحق بهؤلاء ، مع براعة اللفظ ، وسعة الحفظ ، وعزّة

(١) في معجم الأدباء : « لأثورة » .

(٢) مستخرج الأموال ، أي جايها ومحصلها . والجهبذ : الناقد العارف بالجميل والردى .

(٣) يريد بطي بن عيسى أبا الحسن الرماني وهو إمام في العربية ، كان علامة في الأدب ،

إماما في النحو ، بصيرا بالمقالات ، معتزليا ، مات سنة ٣٨٤ .

(٤) ابن الراغبي هو أبو الفتح محمد بن جعفر الهمداني وكان معلما في دولة أبي منصور ،

وكان حافظا نحويا بليغا إخباريا في نهاية الشرف والحرية ؛ وله من الكتب كتاب البهجة على مثال كتاب الكامل .



النفس ، وبلل<sup>(١)</sup> الريق ، وغزارة النَّفْث ، وكثرة الرواية ؛ ومن نظر في كتاب  
البهجة له عرف ما أقول ، واعتقد فوق ما أصف ، ونحل<sup>(٢)</sup> أكثر مما أبذل .  
وأما المرزباني<sup>(٣)</sup> وابن شاذان وابن القريمسيني وابن حيوية<sup>(٤)</sup> فهم رواة  
وسحلة ليس لهم في ذلك تقطُّ ولا إعجام ، ولا إسراج ولا إجمام .

(٤) فقال : فصل حديثك [ عن<sup>(٥)</sup> ] هؤلاء . بحديث أصحابنا الشعراء ، صف لي  
جماعتهم ، وأذكر لي بضاعتهم ، وما خصَّ كل واحد منهم . قلت : لست من  
الشعر والشعراء في شيء ، وأكره أن أخطو على دَحْض<sup>(٦)</sup> ، وأحتسى غير  
محض . قال : دع هذا القول ، فما خُضنا في شيء إلى هذا الوقت إلا على غاية  
ما كان في النفس ، ونهاية ما أفاد من الأنس ، فكان من الوصف :

أما السَّلاَمِيُّ<sup>(٧)</sup> فهو حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يتيسم عن ثغر النعام  
خفيُّ السرقة ، لطيفُ الأخذ ، واسع المذهب ، لطيف التماس ، جميل الملابس ؛  
لكلامه لَيَظَّةٌ<sup>(٨)</sup> بالقلب ، وعبثٌ بالروح ، وبرْدٌ على الكبد .

- (١) بلل الريق : كناية عن الاتساع في الكلام .  
(٢) « نحل » الخ أي أضاف إليه من الفضائل أكثر مما أبذل في وصفه .  
(٣) المرزباني ، هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، أصله من خراسان ، كان  
من الأدباء الاخباريين المصنفين ، وله كتب كثيرة في الأدب والتاريخ عدتها صاحب الفهرست  
وقال : إنه كان صادق المهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع ، ومات سنة ٣٧٨ .  
(٤) ابن حيوية ، هو محمد بن حيوية بن المؤمل ، عالم نحوي من أهل همدان مات سنة ٣٧٣ .  
(٥) لم ترد هذه الكلمة في أصل .  
(٦) على دَحْض ، أي على مزلة ومزلة للأقدام .  
(٧) السلاَمي : من أشهر أهل العراق ، عربي الأصل من بني مخزوم ، ولد بكرخ بفنداد  
سنة ٣٣٦ واتصل بالصاحب بن عباد وعضد القولة البويهى ومدحهما ، وقد روى له صاحب  
اليقظة كثيرا من شعره ، مات سنة ٣٩٤ .  
(٨) لَيَظَّة بالقلب ، أي التماس به وتعلق .

وأما الحاتمي<sup>(١)</sup> فغليظ اللفظ ، كثير المقد ، يحب أن يكون بدويا قحّا ،  
وهو لم يعمّ حَضَرِيًّا ؛ غزيرُ المحفوظ ، جامعٌ بين النظم والنثر ، على تشابه بينهما في  
الجودة<sup>(٢)</sup> وقلة السلاسة ، والبعد من المسلوك ، بادی العورة فيما يقول ، لكأنما  
يبرز ما يُخفى ، ويكدر ما يُصفى ، له سكرة في القول إذا أفاق منها خَيْر<sup>(٣)</sup> وإذا  
خُير سَدِر<sup>(٤)</sup> ؛ يتناول شاخصا ، فيتضامل متقاعسا ؛ إذا صدق فهو متهين ، وإذا  
كذب فهو مشين .

وأما ابن جَلَبَات<sup>(٥)</sup> فمجنون الشعر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع  
الحيلة ، كثير الزُوق<sup>(٦)</sup> ، قصير الرشاء<sup>(٧)</sup> ، كثير الغشاء<sup>(٨)</sup> ؛ غَرَّةُ نفاقه<sup>(٩)</sup>  
ونفقه نفاقه .

(١) هو محمد بن الحسين الحاتمي ، مدح الخليفة القادر بالله ؛ وله الرسالة الحاتمية التي  
شرح فيها ما جرى بينه وبين اللثمي ، مات سنة ٣٨٨ .

(٢) عبارة الأصل : « على تشابه بينهما في الجودة وقلة السياسة والبعد من الشكوك » ؛ وفي  
هذا الكلام تحريف لا يستقيم به المعنى في ثلاثة ألقاظ ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٣) خمر ، أي أصيب بالخمر ، وهو ألم في الرأس وصداع يعقبان السكر . والكلام هنا  
على طريق الاستعارة .

(٤) سدر : تحير . أو لم يبال ما صنع ولم يهتم . وكلا التفسيرين يستقيم به المعنى .

(٥) في الأصل : « ابن الحليات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا . وهو أبو القاسم علي بن  
جلبات ، ذكره صاحب التقيّة في الجزء الثاني ص ٢٧٠ وروى شيئا من شعره .

(٦) في الأصل : « الرزق » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا ، فانه  
بصدد الكلام في الشعر لا في الرزق . والزوق بالتحريك : جمع زاووق ، وهو ما يحسن به  
المعنى ويرزق ، والمراد هنا ما يحسن به الشعر تحسينا ظاهريا . والزاووق في الأصل :  
الزئبق ، وكان يدخل في التصاوير ، ولذلك قالوا لكل مزين : مزوق .

(٧) الرشاء : الحبل الذي يستقي به ، والمراد هنا قصر بابه في الشعر وقصوره عن الإطالة .

(٨) الغشاء في الأصل : البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل . ويريد به هنا

ما لا فائدة فيه ، ولا يعتد به .

(٩) النفاق بفتح النون : الرواج . ونفقه بتشديد الفاء : رواجه . والمراد رواج شعره

وانتشاره بين الناس ، وعبرة الأصل : « عزّه بفاقة ونفقه بفاقة » وفي كلتا الجملتين تصحيف .

حنا لى أنها على هذا الوضع لا يستقيم بهما السجع القوي يريد المؤلف كما يظهر .



وأما الخالق <sup>(١)</sup> فأديب الشعر ، صحيح النّحت ، كثير البديع ، مستو <sup>(٢)</sup> الطريقة ، متشابه الصّناعة ، بعيد من طفرة التعيير ، قريب من فرصة المتخير ؛ كان ذو الكفايتين يقدمه بالرّمي ، ويقبله على النّشر والعلّي .

وأما مسكويه <sup>(٣)</sup> فلطيف اللفظ ، رطب الأطراف ، رقيق الحواشي ، سهل للأخذ ، قليل السّكب ، بلي السّبك ؛ مشهور المعاني ، كثير التّواني ؛ شديد التّوقّي ، ضعيف التّرقّي ؛ يرد أكثر مما يصدر ، ويتناول جهده ثم يقصر ؛ يعطّر بعيدا ويقع قريبا ، ويسقي من قبل أن يغرس ، ويمتخ <sup>(٤)</sup> من قبل أن يُيميه ؛ وله بعد ذلك مأخذ كشدو <sup>(٥)</sup> من الفلسفة ، وتأت <sup>(٦)</sup> في الخدمة ، وقيام برسوم النّدامة <sup>(٧)</sup> ؛ وسنة <sup>(٨)</sup> في البخل ، وغرائب من الكذب ؛ وهو حائل <sup>(٩)</sup> العقل لشغفه بالكيباء .

وأما ابن نباتة <sup>(١٠)</sup> فشاعر الوقت ، لا يدفع ما أقول إلّا حاسدا أو جاهلا

(١) هو أبو علي الحسن بن علي الخالق شاعر من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وهو من شعراء البنية .

(٢) في الأصل : « مستوسق » ، وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : « متشابه » الخ .

(٣) انظر التعريف به في ص ٣٢ رقم ٥ .

(٤) متخ الدلو ومنح بها : استخرجها من البئر عند الاستقاء ، وأما الحافر إمالة : بلغ للماء واستخرجه من الأرض . والكلام كله جار على طريق الاستعارة ، يشير بهذه العبارة والتي قبلها إلى أنه يقدم ما حقه التأخير والعكس .

(٥) شدا شدوا ، أخذ طرقة من العلم والأدب .

(٦) التأتية التلطف .

(٧) النّدامة بكسر النون : حرفة النّدامة على الضراب .

(٨) « وثيقة » .

(٩) حائل العقل ، أي متغير متحول من الاستواء إلى العوج .

(١٠) ابن نباتة السعدي ، هو عبد العزيز بن محمد بن نباتة من شعراء سيف الدولة بن حمدان ، واتصل كذلك بابن العميد ومدحه ؛ وقد سنة ٣٢٧ ومات ببغداد سنة ٤٠٥ .

أو معانِد ، قد لَحِقَ عَصَابَةٌ (سيف البولة) وعدَا معهم ووراءهم ، حَسَنُ الحَذَرِ على مثال سَكَّانِ البادية ، لطيفُ الأتِّامِ بهم ، خَفِيَ المَقَاصُ في وادِيهم ، ظاهرُ الإِطْلَالِ على نَادِيهم ؛ هذا مع شُعْبَةٍ من الجنون وطَائِفٍ من الوَسْوَاسِ .

وأَمَّا ابنُ حَجَّاجٍ <sup>(١)</sup> فليس من هذه الزُّمَرَةِ بشيء ، لأنَّه سَخِيفُ الطَّرِيقَةِ بَعِيدٌ مِنَ الجِدِّ ، قَرِيعٌ فِي المَزَلِ ؛ ليس للعقل من شِعْرِهِ مِثَالٌ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا لَهُ فِي قَرَضِهِ <sup>(٣)</sup> مِثَالٌ ؛ على أَنَّهُ قَوِيمُ اللَّفْظِ ، سَهْلُ الكَلَامِ ، وَشِمَائِلُهُ نَائِيَةٌ بِالوَقَارِ عن عَادَتِهِ الجَارِيَةِ فِي الخَسَارِ ؛ وَهُوَ شَرِيكَ ابْنِ سُكْرَةَ فِي هذه القَرَامَةِ <sup>(٤)</sup> ؛ وَإِذَا جَدَّ أَقْمَى ، وَإِذَا هَزَلَ حَكَّى الأَفْصَى .

وله مع ذِي الكَفَايَتَيْنِ مَنَاقِرَةٌ مَلِيَّةٌ . قَالَ : مَا هِيَ ؟ قُلْتُ : لَمَّا وَرَدَ ذَوَا الكَفَايَتَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَتِينَ وَهَزَمَ الأَتْرَاكُ مَعَ أَفْتَكِينَ <sup>(٥)</sup> ، وَكَانَ مِنَ الحَدِيثِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ ، سَأَلَ عَنْ ابْنِ حَجَّاجٍ — وَكَانَ مَتَشَوِّقًا لَهُ لِمَا كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ قَوَافِيهِ <sup>(٦)</sup> ، فَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَاهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ الخَبِيرُ كَالْمَعَايِنَةِ ، وَالسَّمُوعُ وَالْبَصَرُ كَالْأَثَى وَالذِّكْرُ ؛ يَنْزِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَمَامِهِ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْتَبَسَهُ لِلطَّعَامِ ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَشَاهَدَ سَمْتَهُ ، وَاسْتَحْلَى شِمَائِلَهُ ، فَقَامَ

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج ، شاعر ماجن في شعره مشهور ، اتصل بالوزير المهلب وسابور بن أزدشير وعُضِدَ البولة وابن عباد وابن العبيد ، لشعره متخيلات في اليتيمة وفي المتحف البريطاني وفي مكتبة باريس ؛ وقد مات سنة ٣٩١ .

(٢) « مثال » .

(٣) « عرصته » .

(٤) القرامة : الخسران .

(٥) في الأصل : « الوركين » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ههنا عن الكامل لابن الأثير وغيره .

(٦) في الأصل : « من فيه » بسقوط القاف والواو والألف ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .



من مجلسه ؛ فلما خلا به قال : يا أبا عبد الله ، لقد والله تَهَتُّ<sup>(١)</sup> عَجَباً منك ، فأما عَجَبِي بك فقد تقدّم ؛ لقد كنت أفلي ديوانك ، فأتمنى لقاءك ، وأقول : مَنْ صاحب هذا الكلام ، أطيّش طائش ، وأخفّ خفيف ، وأغرّم غارم ؛ وكيف يجالس من يكون في هذا الإهاب ؟ وكيف يقارب من ينسلخ من ملابس الكتاب وأصحاب الآداب ؛ حتى شاهدتُك الآن ، فتهاكتُ على وقارك وسكون أطرافك ، وسكوت لفظك ، وتناسب حركاتك ، وفرط حيائك وناضر ماء وجهك ، وتعاذل كُلك<sup>(٢)</sup> وبعضك ؛ وإنك لمن عجائب خلق الله وطُرفِ عباده<sup>(٣)</sup> ؛ والله ما يصدّق واحد أنّك صاحب ديوانك ، وأنّ ذلك الديوان لك ، مع هذا التنافي الذي بين شعرك وبينك في جدّك . فقال أبو عبد الله : أيها الأستاذ ، وكان عجبى منك دون عجبك مني ، لو تقارعنا على هذا لفلجت عليك بالتعجب منك . قال : لأنّي قلت : إذا ورد الأستاذ فسألني منه خلطاً جافياً وفظلاً<sup>(٤)</sup> غليظاً وصاحب رواسير<sup>(٥)</sup> وآكل كوامخ<sup>(٦)</sup> وجبلياً ديلماً متكائباً متعاطلاً ، حتى رأيتك الآن وأنت أطف من الهواء ، وأرق من الماء ، وأغزل من جميل<sup>(٧)</sup> بن معمر ، وأعذب من الحياة ، وأرزن من الطود ، وأغزّر من

(١) تهت ، أي تحيرت .

(٢) في الأصل : « نجلك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل من هذه الكلمة العين والباء ، ورسمت اماء بيبة عنها .

(٤) « وعظما » .

(٥) في الأصل : « رواصير » .

(٦) الكوامخ : جنح كامخ بفتح الميم ، وهو لنام يؤتم به يقال له : المرى ، ويقال : هو الردى منه ؛ وقيل : هو خبز بخل معرب « كامه » بالفارسية ؛ وخصه بعضهم بالخللات التي تستعمل لتشهي الطعام .

(٧) جميل بن معمر ، هو المعروف بجميل بثينة العنري .

البحر ، وأبهى من القمر ، وأندى من الغيث ، وأشجع من الليث ، وأنطق من سخبان ، وأندى من الغمام ، وأشد من السهام ، وأكبر من جميع الأنام .  
فقال أبو الفتح وتبسم : هذا أيضا من ودائع<sup>(١)</sup> فضلك ، وبواعث تفضلك .  
ووصله وصرّفه .

قال<sup>(٢)</sup> : لم يكن هذا الحديث عندي .

وأما بشر بن هارون فليس من هذه الطبقة في شيء ، لكنه يقرّص فيخز<sup>(٣)</sup> ويشم فيهز ، ويجرح فيجهز ، والمدهوون<sup>(٤)</sup> منه كثير ؛ « وأصحابنا<sup>(٥)</sup> يستحسنون قول ابن الحجاج في الوزير حين يقول :

لله درّ الحسين من قر ردت إليه وزارة الشمس

فقال : إن قبلت هذا منهم خفت أن يقال : ماحق نفسه يقرئك السلام ؛  
وما أصنع بهذا البيت وهو مضموم إلى كل بيت سخيف في القصيدة » .

ثم قال : وجب أن نصف قبل هذا عصابة العلماء ، فلم تركنا ذكرهم ونحن لا نخلو في حديثهم من غرّة لأئمة ، وفائدة نافعة ، وصواب زائد في العقل وفضيلة على الأدب ، وحلم يزدان به في وقت الحاجة ، وحكمة يستعان بها في داهية ؛ ورأى يكون مقيلا للتمييز عند تهجيرنا به .

(١) من ودائع فضلك ، أي من فضلك الذي تودعه لدينا فنحفظه لك ونؤديه إليك جزاء وفاقا .

(٢) قال ، أي الوزير أبو عبد الله العارض .

(٣) في الأصل : « يقرض فيخر » ، وهو تصحيف في كلتا الكلمتين . ويريد بهذه العبارة والبارتين اللتين بعدها أن أثره بالغ غايته في الهجاء .

(٤) المدهوون ، أي المبتلون بالدواهي منه .

(٥) الظاهر أن هذا الكلام الذي بين هاتين العلامتين مؤخر عن موضعه وموضعه الكلام في ابن حجاج السابق ذكره إذ لا مناسبة بينه وبين ما هنا .



قلتُ: أما أبو عبد الله الجعَل (١) فقد شاهدته . قال : صدقتَ ، ولكن لم أقف على مذهبه ودُخَلتِه وسيرته في اعتقاده .

قلتُ: كان الرجل ملتهب الخاطر ، واسع أطراف الكلام ، مع غثاثة اللفظ ، وكان يرجع إلى قوَّة عجيبة في التدريس ، وطول نفس في الإملاء ، مع ضيق صدر عند لقاء الخصم ومُعارَ كثر القرن ، بعيد العهد بالمصاع والدفاع والوقاع ؛ وكان سببُ هذا الجبن والخَوَر قِلَّة الضراوة على هذه الأحوال ؛ ولقد خَزِيَّ في مشاهد عظيمة .

وأما يقينه فكان ضعيفا ؛ وأما سيرته فكانت واقفة على حبِّ الرياسة وبذل المال والجاء إذا حضرا ، مع تعصب شديد لمن قدَّمه وأحبَّه ، وإنهاء مفرط على من عاداه ، وكان خَوْضُه في الدَّوَل والولايات — ولهذا رغب عنه (٢) الواسطي وكان أخا ورع ودين — وقال (٣) : هذا منقر (٤) عن الدين والمذهب ، ودافع (٥) للناس عن القول بالحق ، وطارح للشبهة في القلوب .

وكان يجهز بهذا وأشباهه ، ولكن كان جاء الرجل لا يُنتَقَص بهذا القدر وركنُه لا يتخلخل على هذا الهدى ، لأسباب انعقدت له ، وأصحاب ذبُّوا عنه .

وأما ابن الملاح فشيخ حسن المعرفة بالمذهب ، شديد التوقى ، محمود القناعة .

(١) في الأصل « جعل » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . والجعل ، هو أبو عبد الله الحسين بن علي ، أصله من البصرة وبها ولد سنة ٣٠٨ وانتهت إليه الرياسة في علم الكلام في عصره ، وكان كذلك فقيها ، وله كتب في الكلام وكتب في الفقه ، من أشهر كتبه في الكلام كتاب نقض كلام الراوندى ونقض كلام الرازى . مات ببغداد سنة ٣٩٩ .

(٢) « فيه » .

(٣) وقال ، أى الواسطي .

(٤) « منقر » .

(٥) « وتافع » .

ظاهر الرضا ؛ تَدُلُّ<sup>(١)</sup> سيرته الجميلة على أنه حَسَنُ العقيدة .

وأما ابن المعلم<sup>(٢)</sup> فَحَسَنُ اللِّسَانِ والجَدَلِ ، صبور على الخصم ، كثيرُ الحيلة ظنين<sup>(٣)</sup> السرِّ ، جميل العَلاتِيَّةِ .

وأما أبو إسحق النصيبي فدقيق الكلام ، يشكُّ في النبوات كلها ، وقد سمعتُ منه فيها شُبُهًا ، ولُغَتَهُ<sup>(٤)</sup> معقَّدة ، وله أدب واسع ؛ ولقد أضلَّ بهمذان كاتبُ نحر الدولة ابنُ المرزبان . وحمله على قلة الأكتراث بظلم الرعيَّة ، وأراه أنه لا حرج عليه في غيبتهم لأنهم بهائم ، وما خرج من الجبل حتى أفتضح .  
وأما ابن خيران<sup>(٥)</sup> فشيخ لا يعدو الفقه ، وفيه سلامة .

وأما الدَّارَكِي<sup>(٦)</sup> فقد اتخذ الشهادة مكسبة ، وهو يأكل الدنيا بالدين ، ويغلب عليه اللواط ، ولا يرجع إلى ثقة وأمانة ؛ ولقد تهتكت بنيسابور قديما ، وبيغداد حديثا ؛ هذا مع القدامة والوخامة ؛ ولقد ندَّ بجُعَلٍ<sup>(٧)</sup> غلام ، وهو اليوم قاضى الرى . وابن عباد يَكْنُفُهُ ويقربه ليكون داعية له ونائبا عنه ، وليس له أصل وهو من سواد همذان ، وأبوه كان فلاحا ، ولقد رأيتُه ، إلا أنه يأتي لابن عباد في مَمَتِّهِ ولزوم ناموسه حتى خفَّ عليه ، وهو اليوم قارون ؛ وقد علت رتبته في

(١) « يدل » .

(٢) ابن المعلم ، هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ولد سنة ٣٣٨ .

(٣) ظنين ، أى متهم .

(٤) « ولغته » .

(٥) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، أحد فقهاء عصره ، ألف في الفقه كتاب « اللطيف » وكتاب « المقدمات » .

(٦) لعله يريد أبا القاسم الداركي ، نسبة إلى دارك ، قرية في أصفهان ، أحد فقهاء الشافعية وهو بيغدادى ، أقام بنيسابور مدة ، وانتهى التدريس إليه بيغداد ، وأخذ عنه عامة شيوخها ؛ مات سنة ٣٧٥ .

(٧) في الأصل : « ندر » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . ويد : هرب .



الكلام حتى لا مزيد عليها ، إلا أنه مع ذلك تَعَلُّ<sup>(١)</sup> الباطن ، خبيث الخبيث ، قليل اليقين ؛ وذلك أن الطريقة التي قد لزموها وملكوها لا تَقْضِي بهم إلا إلى . الشك والأرتياب ، لأن الدين لم يأت بكمْ وكَيْفٍ في كلِّ باب ، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر ، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر ؛ والقلب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة ، ولم يأت الجدال بخير قط . وقد قيل : من طلب الدين بالكلام أَلْعَد ، ومن تتبع غرائب الحديث كَذِب ، ومن طلب المال بالكيمياء أفتقر . وما شاعت هذه الوصية جُرَافاً ، بل بعد تجربة كررها الزمان ، وتطاوت عليها الأيام ؛ يتكلم أحدهم في مائة مسألة ويورد مائة حجة ثم لا ترى عنده خشوعاً ولا رقة ، ولا تقوى ولا دَمعة ؛ وإن كثيراً من الذين لا يكتبون ولا يقرءون ولا يحتجّون ولا يناظرون ولا يُكرِّمون<sup>(٢)</sup> ولا يفضلون خيراً من هذه الطائفة وألینُ جانباً ، وأخشع قلباً ، وأتقى لله عزَّ وجلَّ ، وأذكرُ للمعاد ، وأيقن بالثواب والعقاب ، وأقلق من الهفوة ، وألَوِّذُ<sup>(٣)</sup> بالله من صغير الذنب ، وأرجع إلى الله بالتوبة ؛ ولم أر متكلماً في مدة عمره بكى خشية ، أو دمت عينه خوفاً ، أو أقلق عن كبيرة رغبة ؛ يتناظرون مستهزئين ويتحاسدون متعصبين ، ويتلاقون متخادعين ، ويصنّفون متحاملين ؛ جذَّ الله عروقهم ، وأستأصل شأفتهم ، وأراح العباد والبلاد منهم ؛ فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آفتهم على صغار الناس وكبارهم ؛ ودَبَّ دأؤهم ، وعسر دواؤهم ؛ وأرجو ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعفاً ، وساكنه متجمجعا<sup>(٤)</sup> .

(١) « تَعَلُّ » . والنفل : الفاسد السيئ .

(٢) « يلزمون ولا يفضلون » .

(٣) هذه الكلمة مطبوعة بالأصل .

(٤) متجمجعا ، أى ضارباً بنفسه الأرض من وجع .

قال : فما تقول في ابن الباقلاني ؟ <sup>(١)</sup> . قلت :

فما شرَّ <sup>(٢)</sup> الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبَحِينا

يزعم أنه ينصر السنَّة ويُفحِّم المعتزلة وينشر الرواية ؛ وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخُرَّمِيَّة ، وطرائق المِلْحِدة . قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار والمِحَن الغلاظ ، والأمراض التي ليس لها علاج .

ثم قال : إنَّ الليل قد ولى ، والنعماس قد طرق العين عابثا ؛ والرأى أن نستجم لننشط ، ونستريح لنتعب ؛ وإذا حضرت في الليلة القابلة أخذنا في حديث الخلق والخلق — إن شاء الله — وأنا أزودك هذا الإعلام ليكون باعثاً لك على أخذ المتاد بعد أختماره في صدرك ، وتَجِيل الحال به عندخوضك وفيضك ولا تَجِبْنَ جِبَن الضعفاء ، ولكن قُلْ وأتسع مجاهرا بما عندك ، منفقا بما معك . وانصرفت .

### الليلة التاسعة

وعدتُ ليلة أخرى فقال : فأتحمُّ الحديث معك ، فمات ما عندك . فكان <sup>(١)</sup> من الجواب : أن أخلاق أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفةٌ في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صنفُ الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوان كَدَر النوع الذي هو الإنسان والإنسان صنفُ الشخص الذي هو واحد من النوع ، وما كان صفوا ومُصاصاً <sup>(٢)</sup> بهذا النظر انتظم فيه من كلِّ ضرب من الحيوان خُلُق وخُلُقَان وأَكْثَر ،

(١) ابن الباقلاني ، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني أحد أعلام المتكلمين ، ومن أكبر أنصار مذهب الأشعرى ، ومؤلف كتاب « إيجاز القرآن » مات سنة ٤٠٣ .

(٢) البيت لعمر بن كلثوم ؛ وهو هنا على طريق التل .

(٣) المصاص : المصارة .



وظهر ذلك عليه وبطن<sup>(١)</sup> أيضا بالأقل والأكثر والأغلب والأضعف ، كالسكُمون الذى فى طباع السبع والقارة ، والثبات الذى فى طباع الذئب ، والتحرّز الذى فى طباع الجاموس من بنات الليل ، والحذر الذى فى طباع الخنزير ، والتقدم الذى فى طباع الفيل أمام قطيعه تمثّلا بصاحب المقدّمة .

وكذلك ضد ذلك فى الخنزير تمثّلا بصاحب الساقة ، والحراسة التى فى طباع الكلب ، وكاؤب الطير إلى أوكارها التى تراها كالمعاقل وغيرها بالدّغل<sup>(٢)</sup> والأشّب والغياض .

ولهذا قال بعض الحكماء : خذ من الخنزير بُكورَه فى الحوائج ، ومن الكلب نُصحَه لأهله ، ومن الهرّة لطفَ نفسها عند المسألة .

وقالت الترك : ينبغى للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من ضروب لحيوان : سخاء الديك ، وتحنّ الدجاجة ، ونجدة الأسد ، وسحمة الخنزير وروغان الثعلب ، وصبر الكلب ، وحراسة الكركى ، وحذر الغراب ، وغارة الذئب ، وسمن بعروا<sup>(٣)</sup> ، وهى دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء .

ولما وُهب الإنسان الفطرة<sup>(٤)</sup> ، وأُعِين بالفكرة ؛ ورُفِد بالعقل ، جمع هذه الخصال وما هو أكثر منها لنفسه وفى نفسه ، وبسبب هذه المزية الظاهرة فضّل جميع الحيوان حتى صار يبلغ منها مراده بالتسخير<sup>(٥)</sup> والإعمال واستخراج المنافع منها وإدراك الحاجات بها ؛ وهذه المزية التى له مستفادة بالعقل ، لأن العقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما مستعمل منهما ومؤدّى بعضهما

(١) « ويطن » .

(٢) الدغل والأشّب : الشجر الكثير اللثف بعضه يعض .

(٣) كذا ورد اسم هذه الدابة فى الأصل . ولم نجد فيها بين أيدينا من الكتب .

(٤) « الفكرة » .

(٥) « بالتنجير والاقال » .

إلى بعض بالفيض الإمكانى والتوزيع الإنسانى ؛ فصوابُ بديهيةِ الفكرة من سلامة العقل ، وصوابُ رويةِ الفكرة من صحة الطباع ، وصحة الطباع من موافقة المزاج ، وموافقة المزاج بالمدد<sup>(١)</sup> الاتفاقى والاتفاق الغيبى ؛ أعنى بهذا أن وجه الحادث المجهول عندنا اتفاق ، ووجه الحادث المعلوم عند الله عز وجل غيب ؛ فلو ظهر هذا الغيب لبطل الاتفاق ، ولو بطل الاتفاق لارتفع الغيب .

فانقسمت الأحداث [ بين ما هو ]<sup>(٢)</sup> على جديلة<sup>(٣)</sup> واحدة معروفة ، وبين نادر لا يدوم العهد به ، فدلّ ما ظهر وأستمرّ على ما جاد به ووَهَب ، ودلّ ما غاب وأستتر على ما تفرّد به وغَلَب .

ولما كان الحيوان كله يعمل صنائعه بالإلهام على وتيرة قائمة ، وكان الإنسان يتصرف فيها بالاختيار ، صحّ<sup>(٤)</sup> له من الإلهام نصيب حتى يكون رفداً له فى اختياره ، وكذلك يكون النحل أيضاً ، صحّ له من الاختيار قسط فى إلهامه حتى يكون ذلك مُعيناً له فى اضطراره ، إلا أن نصيب الإنسان من الإلهام أقلّ كما أن قسط سائر الحيوان من الاختيار أنزر<sup>(٥)</sup> ؛ وثمرة اختيار الإنسان إذا كان مُعاناً بالإلهام أشرف وأدوم وأجدى<sup>(٦)</sup> وأنفع وأبقى وأرفع من ثمرة غيره من الحيوان إذا كان صرفوداً بالاختيار ، لأن قوة الاختيار فى الحيوان كالعلم كما أن قوة الإلهام فى الإنسان كالظلم .

ومراتب الإنسان فى العلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أنفس ، فأحدهم مُلهم

(١) « الندد » .

(٢) هذه التكملة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٣) الجديلة : الشاكلة يقال : هم على جديلة واحدة ، أى على شاكلة واحدة .

(٤) « وصح » .

(٥) « أكثر » .

(٦) « وأحد » .



فَيَتَعَلَّمُ<sup>(١)</sup> وَيَعْمَلُ ، وَيَصِيرُ مَبْدَأً لِّلْمُقْتَبِسِينَ مِنْهُ ، الْمُتَعَدِّينَ بِهِ ، الْآخِذِينَ عَنْهُ ، الْحَازِينَ عَلَى مِثَالِهِ ، الْمَارِّينَ عَلَى غِرَارِهِ ، الْقَافِينَ عَلَى آثَارِهِ ؛ وَوَاحِدٌ يَتَعَلَّمُ وَلَا يُكَلِّمُ فَهُوَ يَمِثِّلُ الْأَوَّلَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ ، أَعْنَى التَّعَلُّمِ ؛ وَوَاحِدٌ يَتَعَلَّمُ وَيُكَلِّمُ ، فَتَجْتَمِعُ لَهُ هَاتَانِ الْخَلَّتَانِ ، فَيَصِيرُ بَقِيلٍ مَا يَتَعَلَّمُ مُكَثَّرًا لِلْعَمَلِ وَالْعِلْمِ بِقُوَّةِ مَا يُكَلِّمُ وَيَعُودُ بِكَثْرَةِ مَا يُلْهَمُ مَصْفِيًّا لِكُلِّ مَا يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ .

وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ رَبَّمَا جَمَّحَ فَلَمْ يُمْكِنَ كَفُّهُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَضَحَّ الْعَذْرُ إِذَا عَرِضَ تَفَاوُتٌ فِي التَّرْتِيبِ ، وَدَخَلَ الْخَلَلُ مِنْ نَاحِيَةِ التَّقْرِيبِ .

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ : [ الْإِنْسَانُ<sup>(٢)</sup> ] بَيْنَ طَبِيعَتِهِ وَهِيَ عَلَيْهِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَهِيَ لَهُ ، كَالْمُنْتَهَبِ الْمَتَوَزِّعِ ، فَإِنْ اسْتَمَدَ مِنَ الْعَقْلِ نُورَهُ وَشِعَاعَهُ قُوَّةً مَا هُوَ لَهُ مِنَ النَّفْسِ ، وَضَعُفَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبِيعَةِ [ وَإِلَّا فَقَدْ قُوَّةً مَا هُوَ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> ] مِنَ الطَّبِيعَةِ [ وَضَعُفَ مَا هُوَ لَهُ مِنَ النَّفْسِ .

وَحَكَى لَنَا قُتَالُ : كَانَ لِلْحَكَمَاءِ الْأَوَّلِينَ مَثَلٌ يَضْرِبُونَهُ وَيَكْتُبُونَهُ فِي هَيَاكِلِهِمْ وَمَتَعَبِدَاتِهِمْ وَهُوَ : « الْمَلِكُ لِلْوَكْلِ بِالدُّنْيَا يَقُولُ : إِنَّ هُنَا خَيْرًا وَهُنَا شَرًّا ، وَهُنَا مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ ، فَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ حَقًّا مَعْرِفَتَهَا تَخْلُصَ مَتًى ، وَنَجَا سُلَيْمًا ، وَبَقِيَ كَرِيمًا ، وَمَلَكَ نَعِيمًا عَظِيمًا » .

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا قَتَلَتْهُ شَرٌّ قَسَلَةٌ ، وَذَلِكَ أَنِّي لَا أَقْتُلُهُ قَتْلًا وَحَيًّا<sup>(٤)</sup> يَسْتَرِيحُ بِهِ مَتًى ، وَلَسَكُنْ أَقْتُلُهُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ ، بِحَسَرَاتٍ عَلَى قُوَّةٍ مَأْمُولٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَيُلْهَمُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا بِدَلِيلٍ قَوْلُهُ بَعْدَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي « فَهُوَ يَمِثِّلُ الْأَوَّلَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ أَعْنَى التَّعَلُّمِ » .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهَا سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَفْتَضِيهَا .

(٣) « لَهُ » .

(٤) وَحَيًّا ، أَيْ سَرِيحًا .

بعد مأمول ، وبلايا يكون بها كالمغلول المكبول .

قال<sup>(١)</sup> : هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة ، لكنك خلّيت يدك من طُرْف الحديث في الخلق . قلتُ : إذا طاب الحديث بأسرّسال السجّية ووقوع الطمأنينة لها الإنسان عن مبادئه ، وسال مع الخاطر الذي يستهويه ، ولتحفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطأ والزلل حدّ إذا بلغه كل الخاطر وأختل .

ثم نعود فنقول : أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث : أعنى النفس الناطقة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ، وسمات هذه الأخلاق مختلفة بعرض واسع .

ويمكن أن يقال في نعتها على مذهب التقريب : إنها بين الحمودة وبين المذمومة ، وبين المشوبة بالحد والذم ، وبين الخارجة منها . فمن أخلاق النفس الناطقة — إذا صفت —<sup>(٢)</sup> البحث عن الإنسان ثم عن العالم ، لأنه إذا عرف الإنسان قد عرف العالم الصغير ، وإذا عرف العالم قد عرف الإنسان الكبير ، وإذا عرف العالمين عرف الإله الذي بجوده وجد ما وجد ، وبقدرته ثبت ما ثبت ، وبحكمته ترتب ما ترتب ؛ وبمجموع هذا كله دام ما دام .

بهذا البحث يتبين له ما تشتمل عليه القوة الغضبية والقوة الشهوية فإن توابع هاتين القوتين أكثر ، لأنهما بالتركيب أظهر ، وفي<sup>(٣)</sup> الكثرة أدخل وعن الوحدة أخرج ؛ فإذا ساستهما الناطقة حذفت زوائدهما ، ونفت فواضلهما

(١) قال ، أى الوزير .

(٢) « صفت » .

(٣) « وعن » .



وَوَفَّتْ نَوَاقِصَهُمَا ، وَذِيلَتْ قَوَالِصُهُمَا<sup>(١)</sup> أَعْنَى إِذَا رَأَتْ غُلَّةً فِي الشَّهْوِيَّةِ أَخَذَتْ نَارَهَا ، وَإِذَا وَجَدَتْ السَّرْفَ<sup>(٢)</sup> فِي الغَضْبِيَّةِ قَصَرَتْ عِنَانَهَا<sup>(٣)</sup> ؛ فحينئذ يقومان على الصراط المستقيم ، فيعود السَّفَهَ حِلْمًا أَوْ تَحَالُمًا ، وَالْحَسَدَ غِبْطَةً أَوْ تَغَابُطًا وَالغَضَبُ كَفْلًا أَوْ تَكَافُلًا ، وَالنَّغْيُ رُشْدًا أَوْ تَرَاشُدًا ، وَالطَّيْشُ أَنَاةٌ أَوْ تَأْنِيَا<sup>(٤)</sup> وَصَرَّفَتْ هَذِهِ الْكَوَامِنَ فِي الْمَكَامِينَ — إِذَا سَارَتْ سَوَرَتُهَا ، وَثَارَتْ ثَوَرَتُهَا — عَلَى مَنَاجِجِ الصَّوَابِ ، تَارَةً بِالْعِظَةِ وَاللُّطْفِ ، وَتَارَةً بِالزَّجْرِ وَالنُّصْفِ وَتَارَةً بِالْأَتَقَةِ وَكِبَرِ النَّفْسِ ، وَتَارَةً بِإِشْعَارِ<sup>(٥)</sup> الْحَذَرِ ، وَتَارَةً بَعْلَوِ الْهَمَةِ ؛ وَهَنَاكَ يَصِيرُ الْعَفْوُ عِنْدَ الْقَادِرِ الَّذِي مِنَ الْأَنْتِقَامِ ، وَالْعَفَافُ عِنْدَ الْمُسَائِجِ الَّذِي مِنَ قَضَاءِ الْوَطْرِ ، وَالْقَنَاعَةُ عِنْدَ الْمَحْتَاجِ أَشْرَفَ مِنَ الْإِسْنَافِ ، وَالصَّدَاقَةُ عِنْدَ الْمُتَوَرِّعِ آثَرٌ مِنَ الْعِدَاوَةِ ، وَالْمَذَارَاةُ عِنْدَ الْمُحْفَظِ<sup>(٦)</sup> أَطْيَبَ مِنَ الْمَارَاةِ .

وَفِي الْجُمْلَةِ ، الْخُلُقُ الْجَسَنُ<sup>(٧)</sup> مُشْتَقٌّ مِنَ الْخَلْقِ ، فَكَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ الْخَلْقِ كَذَلِكَ لَا قُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ الْخُلُقِ ، لَكِنَّ الْحِفْظَ<sup>(٨)</sup> عَلَى إِصْلَاحِ الْخُلُقِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْحُكَمَاءِ بِالْعَبَثِ وَالتَّجْزِيفِ ، بَلْ لِمَنْفَعَةِ عَظِيمَةٍ مُوجُودَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَمِثَالُهُ أَنَّ الْحَبَشِيَّ يَتَدَلَّكَ بِالمَاءِ وَالْفُسُولِ لَا لِيَسْتَفِيدَ<sup>(٩)</sup> بِيَاضًا ، وَلَكِنْ

(١) ذيلت قوالصهما ، أى طولت ما قصر وتقبض منهما .

(٢) « السرف » .

(٣) « عنلاتها » .

(٤) « تأنيا » .

(٥) « باشعا والحذر » .

(٦) « التحفظ » .

(٧) الظاهر أن قوله « الحسن » زيادة من الناسخ . فسياق الجملة يقتضى أنه يريد

الخلق الحسن وغيره .

(٨) « لكرانحص » .

(٩) « يستفيد » .

ليستفيد ققاء شبيهاً<sup>(١)</sup> بالبياض ؛ ويقال للمهذار : « أُكُفْ » لا ايكف<sup>(٢)</sup> عن  
النطق ، ولكن ليؤثر الصمت .

ويقال للموتور : « لا تحقد » لا يزول عنه ما حنق<sup>(٣)</sup> عليه ، ولكن  
ليتكلف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا أبداً .

وقد تقرّر بالحكمة الباحثة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله  
مختلفة ، أعنى أن كل ما يدور عليه ويمحور إليه<sup>(٤)</sup> مقابل بالصد<sup>(٥)</sup> أو شبيه بالصد<sup>(٥)</sup>  
كالحياة والموت ، والنوم واليقظة ، والحسن والقبيح ، والصواب والخطأ ، والخير  
والشر ، والرجاء والخوف ، والعدل والجور ، والشجاعة والجبن ، والسخاء  
والبخل ، والحلم والسفه ، والطيش والوقار ، والعلم والجهل ، والمعرفة والنكرة  
والعقل والحمق ، والصحة والمرض ، والأعتدال والانحراف ، والعفة والفجور  
والتنبّه والغفلة ، والذكر والنسيان ، والذكاء والبلاهة ، والغبطة والحسادة  
والدمائة والكزازة<sup>(٦)</sup> ، والحق والباطل ، والنجى والرشد ، والبيان والحصر  
والثقة والأرتياب ، والطمانينة والتهمة ، والحركة والسكون ، والشك واليقين  
والخلاعة والوقار ، والتوقى والتهوّر ، والإلف والمَلَل ، والصدق والكذب  
والإخلاص والنفاق ، والإحسان والإساءة ، والنصح والغش ، والمدح والذم  
وعلى هذا الجرّ والسحب<sup>(٧)</sup> ؛ ولعل هذه الصفات بلا آخر ولا انقطاع .

(١) « تشبيها » .

(٢) « لتكتفى عنه » .

(٣) « طبق » .

(٤) « ويمحور عليه » .

(٥) « بالصدأ » .

(٦) « الكرامة » بالمهملة .

(٧) « الجراء والسحب » .



فما ينبغي أن يُعنى الإنسانُ المحبُّ للتبصرة ، المؤثرُ للتذكرة ، الجامع للنافع له ، النافى <sup>(١)</sup> للضارِّ به في هذه الأحوال التي وصفناها بأسمائها معرفةً — ما استطاع — باجتلاب <sup>(٢)</sup> محمودها واجتناب مذمومها ، وتمييزه مما يمكن <sup>(٣)</sup> فيه أو تقليله ، أو إطفاء جمرته ، أو أجتناء ثمرته ، والطريق إلى هذا التمييز واضح قريب ، كأن <sup>(٤)</sup> تنظر إلى الحياة والموت فتعلم أن هذين ليسا من الأخلاق ولا مما يعالج بالاجتهاد ، وإلى النوم واليقظة فتعلم أنهما ضروريان للبدن من وجه ، وغير ضروريين من وجه ، فتتنبى <sup>(٥)</sup> منهما ما خرج عن حدِّ الضرورة وتُسَلِّم البدن ما دخل في حدِّ الضرورة ؛ ولا يكثر <sup>(٦)</sup> الإنسانُ نومه ولا سهره ، ولكن يطلب العدل بينهما بقدر جهده .

فأما الحسن والقبيح فلا بدَّ له من البحث اللطيف عنهما حتى لا يجور <sup>(٧)</sup> فيرى القبيحَ حسناً والحسنَ قبيحاً ، فيأتى القبيحَ على أنه حسن ، ويرفض الحسنَ على أنه قبيح ؛ ومناشئُ الحسن والقبيح كثيرة : منها طبيعي ، ومنها بالعادة ، ومنها بالشرع ، ومنها بالعقل ، ومنها بالشهوة ، فإذا أُعتبر هذه المناشئُ صدق الصادق منها وكذب الكاذب ، وكان أסתحسانه على قدر ذلك ومثال ذلك الكبير فإنه معيب بالنظر الأول ، لكنه حسن في موضعه بالعلّة <sup>(٨)</sup> الداعية إليه ، والحال الموجبة له .

(١) « الثاني » .

(٢) « باجتلاب » متعلق بـ « يعني » .

(٣) « يمكن » .

(٤) « كأنك » .

(٥) « فيستعمل » .

(٦) « يكون » .

(٧) « يجوز » .

(٨) « بالعلية » .

وأما الصواب والخطأ فأمران عارضان للأقوال والأفعال والآراء ، وليساً  
بمُخْلِقِينَ مُحْضِينَ ، ولكتهما موكولان إلى نور العقل ، فما أشرق<sup>(١)</sup> عليه العقل  
بنوره فهو صواب ، وما أفل<sup>(٢)</sup> عنه العقل بنوره فهو خطأ .

وأما الخير والشرّ فهما في العموم والشُّمول ليسا بدون الصواب والخطأ  
لهما مناط بكلّ شيء ، ويُغَلِّبان على الأفعال ، وإن كان أحدهما عدماً للآخر .  
وأما الرجاء والخوف فهما عَرَضَانِ للقلب بأسباب بادية وخافية ، ولا يدخلان  
في باب الخلق من كل وجه [ولا يخرجان أيضاً بكل وجه] وهما كالعبادين  
للإنسان قد أُستُصْلِحَ لهما ، ورُبِّطَ قِوَامُهُ بغيرتهما وضعفهما .

وأما العدل والجور فقد يكونان خُلُقَيْنِ بالفطرة ، ويكونان فِعْلَيْنِ بالفكرة  
وجانباهما بالفعل<sup>(٣)</sup> ألصق ، وإلى الأكتساب أقرب .

وأما الشجاعة واللين فهما خُلُقَانِ متصلان بالخلق ، ولهذا يعزّ على الشجاع  
أن يتحوّل جباناً ، ويتعذّر على اللين أن يصير شجاعاً ، وكذلك طرفاهما  
داخلان في الخلق أعنى التهور والتوق<sup>(٤)</sup> .

وأما السخاء والبخل فهما خُلُقَانِ محضان أو قريبان من المحض ، ولهذا  
تعلّق الحمد والذم بهما وبأصحابيهما ، والمدح والهجو سرياً<sup>(٥)</sup> إليهما واتصلا بهما ؛

(١) « أشرف » .

(٢) « أفل » .

(٣) « بالفعل » .

(٤) في الأصل : « واللين » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله : « وكذلك طرفاهما إذ  
اللين لا يكون طرفاً لللين ، ويدل على صحة ما أثبتنا ذكره التوق بجانب التهور فيما سبق  
في ص ١٤٩ س ١٤ .

(٥) « ريا » .



وقد يندم السخى على بذله كثيرا خوفا من الإملاق ، فلا يستطيع ذلك إذا أخذته الأريحية ، وحركته اللوذعية ؛ وقد يلوم البخيل نفسه كثيرا إذا سلقته الألسنة الحداد ، وجبه<sup>(١)</sup> بالتوبيخ ، وشمخ<sup>(٢)</sup> عند رؤيته الأنف ، وغض<sup>(٣)</sup> الجبين وأولم<sup>(٤)</sup> بالعدل وقوبل ؛ ومع ذلك فلا يرشح إلا على بطاء وكلفة وتضجر ؛ والكلام فى هذين الخلقين طويل ، لأنهما أدخل فى تلاقى الناس وتعاطيهم فى عشرتهم ومعاملتهم .

وأما الحلم والسفه فهما أيضا خلقان ، والأخلاق تابعة للمزاج فى الأصل ، ولذلك قلنا : إن الخلق ابن الخلق ، والولد شبيه بوالده ؛ وفى الجملة ، كل ما يمكن أن يقال فيه للإنسان « لا تفعل هذا » ، « وأقلل من هذا وكف عنه » فإنه فى باب الأفعال أدخل ، وكل ما لم يجوز أن يقال ذلك فيه فهو فى باب الأخلاق أدخل ، ثم لبعض هذا نسبة إلى الخلق أو الخلق ، إما ظاهرة غالبية وإما خفية ضعيفة .

وأما الطيش والوقار فهما يختلطان بالحلم والسفه ويجريان معهما ؛ فليس ينبى أن ينشر الكلام ويطول الشرح .

وأما الجهل والعلم فليسا<sup>(٥)</sup> من الأخلاق ولا من الخلق وإنما<sup>(٦)</sup> يُبرزان من صاحب الأخلاق والخلق للمزاج أثرين قويين<sup>(٧)</sup> واحدهما عدم

(١) « وجه » .

(٢) « وسبح » .

(٣) « وعض » .

(٤) فى الأصل « واكيل بالعدل وقوتل » .

(٥) « فليا » .

(٦) فى الأصل : « وإنما كانا يبرزان » .

(٧) « أثر قوى » .

والآخر وجدان ، والعدم<sup>(١)</sup> لا يكون أعدم من عدم ، والوجدان يكون أين من وجدان .

وأما المعرفة والنكرة فهما في جوار العلم وضده ، ولكنهما أعلق بالحس وألصق بالنفسين ، أى الشهوية والغضبية .

وأما العقل والحُـمق فليسا من الخلق ، والكلام في تفسير العقل مشهور<sup>(٢)</sup> ، وعدمه الحق .

وأما الصحة والمرض فليسا أيضا من الأخلاق ، ولكنهما يوجدان في الإنسان بواسطة النفس ، إما في البدن ، وإما في العقل ، ولذلك يقال : أمراض البدن ، وأمراض النفس ، [وصحة البدن]<sup>(٣)</sup> وصحة النفس .

وأما الاعتدال والانحراف فهما يدخلان في الخلق بوجه ، ويخلصان منه بوجه ، ويعتدنان أعراض البدن وأعراض النفس ، ويوصف بهما الإنسان ، على أن الانحراف المطلق لا يوجد ، والاعتدال المطلق لا يوجد ، ولكن كلاهما بالإضافة . وأما العفة والفجور فخلقان لها جَمرة<sup>(٤)</sup> وهُمُود ، والحاجة تمس إلى العدل في استعمال العفة ونقي<sup>(٥)</sup> الفجور ، وإذا قويت العفة حالت عصمة ، وإذا غلب الفجور صار عدوانا .

وأما التنبيه والغفلة فقريبان من الخلق ويغلبان على الإنسان ، إلا أن فرط التنبيه موصول بالوَحْي ، وفرط الغفلة موصول بالبهيمية .

(١) « والعدو » .

(٢) « يستمر به » .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) « حمرة » بالمهمل .

(٥) « وتقي » .



وأما الذكر والنسيان فليسا بخلقين محضين ، ومنشؤهما بالمزاج ، وأحدهما من علائق النفس العالة ، والآخر من علائق النفس البهيمية .  
[وأما الذكاء والبلادة<sup>(١)</sup>] فهما خلقان ، ونعتها كعت الذكور والنسيان ، إلا أن هذين<sup>(٢)</sup> يعرضان في الحين<sup>(٣)</sup> بعد الحين ، والآخران<sup>(٤)</sup> كالراسخين في الطينة .

وأما الغيبة والحسد فخلقان رُسم الأول منهما بأن تتمنى لنفسك ما أوتيه صاحبك [ورُسم الثاني بأن تتمنى زوال ما أوتيه صاحبك]<sup>(٥)</sup> وإن لم يصل إليك . ورسوم هذه الأخلاق أسهل من تحديدها ، لكننا تركنا ذلك ، لأن الكلام الذي كان يجري هو على مذهب الخدمة .

على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة ، فيبعد أن يعتمدا حد واحد ، وإنما اختلفت منازلها لأنها<sup>(٦)</sup> تارة تصفو بقوة النفس الناطقة ، وتارة تكدر بالقوتين الآخرين ؛ ول بعضها حدة بالزيادة ، ول بعضها كلة بالنقص ، فلم يكن التحديد يُفصل<sup>(٧)</sup> كل ذلك ، فلم نخرج<sup>(٨)</sup> على شيء عجزنا عنه قبل أخذنا فيه . وتتم بقية ما علق بهذه الجملة ، فنقول :

وأما الدماعة والكزازة فخلقان محضان تابعان للمزاج ، ثم المران يزيدهما قوة وضعفا ؛ وهما للنعت أقرب ، كالسهولة والعسر ؛ ولذلك يقال : « ما أذمت

(١) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٢) هذين ، أي الذكر والنسيان .

(٣) « الجين بعد الجين » .

(٤) الآخران ، أي الذكاء والبلادة . وفي الأصل « الأوليان » .

(٥) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٦) « لأن » .

(٧) « بنقص » .

(٨) « يخرج » .

هذه الأرض » ، أى ما أُرْخَاها وأَلْيَنَها ؛ وفى المَثَل : « دَمْتُ لَجَنِّيك قبل النوم <sup>(١)</sup> مضطجعاً » .

وأما الحق والباطل فليسا من الخُلُق ولا الخُلُق فى شىء ، وهما من نتائج المعرفة والنكرة ، لأنك تعرف الحق وتنكر الباطل ، وذلك لأغراض تتبعهما ، ولواحق تلتبس بهما .

وأما النقى والرُّشد فليسا من الخُلُق ، لكنهما من علائق الأفعال الحميدة والنسيمة ؛ وللرأى والعقل <sup>(٢)</sup> فيهما مدخل قوى وحظ تام .

وأما البيان والحصَر فليس بينهما وبين الخُلُق علاقة ، وإنما يتبعان الزاج ريزيد فيهما وينقص الجهد والتوانى والطلب والقصور .

وأما الثقة والأرتياب فخلقان يغلبان يتبعان ويضران ويُحمدان ويُذمَّان ألا ترى <sup>(٣)</sup> أنه يقال : لا تثق بكل أحد ، « ولا ترتب بكل إنسان » وهكذا العلمَانينة والثَّمة ، لأنهما فى طيها .

وأما الحركة والسكون فليسا <sup>(٤)</sup> من حديث الخُلُق فى شىء ، لأنهما عامَّان <sup>(٥)</sup> لجميع الأحوال سواء كان العمل مباشراً أم كان معتقداً ؛ وفى الحركة والسكون كلامٌ واسع ، وذلك أن ههنا حركة إلهية ، وحركة عقلية ، وحركة نفسية ، وحركة طبيعية ، وحركة بدنية ، وحركة فلكية ، وحركة كوكبية ، وحركة

(١) فى الأصل « الترب » . وهذا صدر بيت ، وعجزه :

\* لا تسلكن طريقاً غير مأمون \*

(٢) « والمقد » .

(٣) « إلا أن ترى » .

(٤) « فلياً » .

(٥) « علان » .



كانها سكون . فأما السكون فهو ضرب واحد ، لأنه في مقابلة كل حركة ذكرناها . فإذا اعتبرت هذه المقابلة في كل مقابل لحظ الانقسام في السكون ، كما وجد الانقسام في الحركة .

والحركة أوضح برهان على كل موجود حسي ، والسكون أقوى دليل على كل موجود عقلي ؛ وهذا القدر كاف في هذا الموضع .  
وأما الشك واليقين ، فمن علائق النفس الناطقة ، ولهذا لا يقال في الحيوان الذي لا ينطق : له يقين وشك .

وأما الخلاعة والوقار ، فقد تقدم البحث عنهما <sup>(١)</sup> .  
وأما التوقى والتهور ، فهما خلقان في جميع الحيوان ، ويغلبان على نوع الإنسان ، لأن العقل يبطل <sup>(٢)</sup> أحدهما <sup>(٣)</sup> ، والحسن <sup>(٤)</sup> يغلب الآخر <sup>(٥)</sup> .  
وأما الإلف والملل فخلقان محضان ، يذمّان ويحمدان على قدر المألوف والمملول ، وإن كان جريان العادة قد وفر الحمد على الإلف ، والذم على الملل .  
وقد مدح زيد فقيل : هو ألوف . وذم عمر و فقيل : هو ملول .  
وأما الصدق والكذب ، فمن علائق النفس الناقصة والكاملة ؛ وقد يكونان <sup>(٦)</sup> [ راسخين <sup>(٧)</sup> ] فيلحقان بالخلق ، إلا أن الصدق بمدوح ، والكذب

(١) يلاحظ أنه لم يرد فيا سبق ذكر للخلاعة والوقار ، ولا ما يفيد معناها .

(٢) « تظل » .

(٣) يريد بقوله « أحدهما » : التهور .

(٤) « والحسن » .

(٥) يريد بقوله : « الآخر » التوقى .

(٦) « يكرّان » .

(٧) هذه الكلمة التي بين مربعين أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد إليه ما يأتي بعد في صفحة ١٥٧ في الكلام على الإحسان والإساءة : « فإذا رسخ اعتيادهما استعمالاً مختلفين » .

مذموم ، هذا فى النظر الأول ، وقد يعرض ما يوجب المصير إلى الكذب لينجى به ؛ فهما إذن بعد الحقيقة الأولى وقف على الإضافة ؛ وقد وجدنا من كذب لينتفع ، ولم نجد من صدق ليكتسب الضرر .

وأما الإخلاص والنفاق ، فهما يلحقان بالخلق ، ولكنهما يصدوران عن عقيدة القلب وضمير النفس .

وأما الإحسان والإساءة ، فهما يعبران الأفعال والأقوال ، فإذا رسخ اعتيادهما أستحالا خلقين .

وأما النصح والغش ، فهما خلقان ، وطرفاهما يتعلقان بالخلق . وكذلك الطمع واليأس ، والحب والبغض ، واللهج والسؤ ، وما شاكل هذا الباب .

ولم يجر هذا كله فى المذاكرة بالحضرة ، ولكن رأيت من تمام الرسالة أن أضف هذا كله إلى حرمته<sup>(١)</sup> ، وأبلغ الممكن من مقتضاه فى تتمته .

وقال<sup>(٢)</sup> لى : هاتِ الوداع ، فإن الليل قد هم بالإقلاع .

قلت : قال أبو سعيد الذهبى الطيب : لو علم الذى يحمل الباذنجان أن على ظهره باذنجاناً لصال على الثيران<sup>(٣)</sup> .

فضحك — أضحك الله سنه ، وحقق فى كل خير ظنه — وقال : إن كنت تحفظ فى غرائب أخلاق الحيوان شيئاً فأذكره إذا حضرت ، فقد مر فى أخلاق الإنسان ما يكفى مجلس الإمتاع والمؤانسة ، فإذا ضم هذا إلى ذاك كان للإنسان فيه تبصر كافٍ ، وتذكرٌ شافٍ . وصدق — صدق الله قوله —

(١) « حرمة » .

(٢) وقال ، أى الوزير .

(٣) « الثيران » .



لأن الإنسان أشرفُ الحيوان ، وإنما كان هكذا لأنه حاز جميعَ قوى الحيوان  
ثم زاد عليه بما ليس لشيء منه ، فصار رباً له سائساً ، ومصرفاً له حارساً ، ونظراً  
إلى ما سُخِّرَ له منه فاعتبر ، وقاد<sup>(١)</sup> نفسه إلى حسن ما رأى ، وعزفها عن<sup>(٢)</sup>  
قبيح ما وجد ، ولم يَجُزْ في الحكمة أن يُحرِّم الإنسان هذا مع ما فيه من المواهب  
السنية ؛ والمناخِ الهنية ، فإن قال قائل : فالملائكة إذن قد حُرِّمت هذه الفضيلة ،  
فليعلم هذا القائل أن المَلَك لما خُلِقَ كاملاً لم يكلف أن يكمل ويتكامل  
ويستكمل ، فصار كل شيء يطلبه ويتوقاه سبباً إلى كماله المُعدَّ له وغايته المقصودة .  
فإن زاد فقال : فهلا خُلِقَ<sup>(٣)</sup> كاملاً ؟ فليعلم أن كلامه على طريق الجدال ، لا على  
طريق البحث عن العِلل ، لأنه قد جهل أنه بالحكمة وجب أن يكون الأمر مقسوماً  
بين ما يحوز الكمال بالجِبلة<sup>(٤)</sup> ، وبين ما يَكسِب الكمال بالقصد .

ولما وجب هذا بالحكمة سَرَتْ إليه القدرة ، وسابح به الجود ، وأُشتملت  
عليه المشيئة ، وأحاطت به الحكمة ، وشاعت فيه الربوبية .

ولهنا زيادةٌ في شرح الخُلُق يتم بها الكلام ؛ فليس من الرأي أن يقع  
الإخلال بذكرها ، لأنها مكشوفة ظاهرة ، وهي أن الإنسان إذا غلبت الحرارة  
عليه في مزاج القلب يكون شجاعاً بذلاً<sup>(٥)</sup> متنبهاً ، سريع الحركة والغضب  
قليل الحقد ، زكياً الخاطر ، حسن الإدراك .

وإذا غلبت عليه البرودة يكون بليداً ، غليظ الطباع ، ثقیل الروح .

(١) « وعاد » .

(٢) « من » .

(٣) خلق ، أى الإنسان .

(٤) « بالهيئة » .

(٥) « دالا » .

وإذا غلبت عليه الرطوبة يكون لين الجانب ، سمح النفس ، سهل القبول كثير النسيان .

وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابرا ، ثابت الرأي ، صعب القبول يضبط ويحتد<sup>(١)</sup> ، ويمسك ويبخل ؛ وهذا النعت على هذا التنزيل — وإن كان مفهوما — فأسرار الإنسان في أخلاقه كثيرة وخفية<sup>(٢)</sup> ، وفيها بدائع لا تكاد تنتهي ، وعجائب لا تنقضي ؛ وقد قال الأول :

كلُّ أمرٍ راجعٌ يوما لشيئِهِ وإن تخلقَ أخلاقا إلى حينٍ  
وقال آخر :

إرجع إلى خيمِكَ المعروفِ ديدَنُهُ إنَّ التخلقَ يأتي دونه الخُلُقُ  
ولولا أن النزوع عن الخلق شاقٌّ لما قالوا : تخلق فلان .

وقد قيل أيضا : « وخالقِ الناسَ بخلقِ حسنٍ » ، وعلى هذا يجري أمرُ الفريسة والطبيعة والنحيتة والغريزة والنعيضة والسجية والشيمة ، وربما قيل : الطبيعة أيضا ، ثم المادة تاليةٌ لهذه كلها ، أو زائدةٌ فيما نقص فيها ، وموقدةٌ لما نَحَد منها .

### الليلة العاشرة

ولما عُدْتُ في الليلة الأخرى ونعمتُ بهذه الفضيلة ، تفضل وقال : ما في العلم شيء إلا إذا بُدئ بالكلام فيه أتصل وتسلسل حتى لا يوجد له مَقْطَع ولا منفذ ثم قرأتُ عليه نوادر الحيوان ، وغرائب ما كنتُ سمعته ووجدته ، فزاد عجبًا

(١) « ويحتد » .

(٢) « وخفية » .



وأنا أدويه في هذا المكان حتى يكون تذكرة وفائدة — إن شاء الله تعالى .  
يقال : إن أسنان الرجل اثنتان وثلاثون سنا .  
وأسنان المرأة ثلاثون سنا .  
وأسنان الخصى ثمان وعشرون سنا .  
وأسنان البقر أربع وعشرون سنا .  
وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنا .  
وأسنان الثيس ثلاث وعشرون .  
وأسنان الغنز تسع عشرة سنا .  
الذي ذكر من أصناف الحيوان أنه يكتسب معاشه ليلا : البومة والوطواط .  
ومن الحيوان الوحشي ما يستأنس سريعا : الفيل  
ويحكى أن الحيوان الذي أسنانه قليلة عمره قصير ، والذي أسنانه كثيرة  
عمره طويل .  
الفيل إذا ولد نبتت أسنانه في الحال ، فأما أسنانه الكبار وأنيابه الكبار  
فتظهر إذا شب وكبر .  
قلب جميع الحيوان موضوع في الوسط من الصدر ما خلا الإنسان ، فإن  
قلبه مائل إلى الجانب الأيسر .  
الأفعى تبيض في رحمها ، ثم يصير هناك حيوانا .  
الشعر المولود مع الإنسان شعر الرأس والأشعار والحاجبين .  
وأول ما ينبت بعد ذلك شعر العانة وشعر الإبطين وشعر اللحية :  
( إن خصى الإنسان قبل احتلامه لم ينبت في جسده الشعر الذي يتأخر نباته ،  
وإن خصى بعد احتلامه فإن ذلك الشعر يزول ، ما خلا شعر العانة فإنه يبقى .

شعر الحاجبين ربما طال عند الكبر .  
 وشعر الأشفار لا يطول .  
 للأرناب في داخل أشداقها شعر ، وكذلك تحت أرجلها .  
 القنفذ في فيه خمس أسنان في عمقه .  
 والبرية منها تسفد قاعمة وظهر الأثني لاصق بظهر الذكر .  
 الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء ، والنساء في الصيف .  
 الخنزير إذا تمت له من ولادته ثمانية أشهر ينزو على الأثني .  
 الكلبة تحمل وتبقى ستين يوما ويوما ، وهذا أطول ما يكون ، ولا تضع  
 قبل أن يتم حملها ستين يوما ، فإن وضعت قبل ذلك فإنها لا ترى ولا يبقى  
 لها ولد .  
 الفيل الذكر ينزو إذا تمت له خمس سنين ، وزمان هياجه ونزوه أيام الربيع  
 والأثني تحمل سنتين ، ولا تضع إلا واحدا .  
 إذا باض الطائر وما كان من أصنافه يخرج من البيضة الطرف العريض  
 ثم يرق بعد ذلك .  
 كل ما كان من البيض مستطيلا محدّد الطرف فهو يفرخ الإناث  
 وما كان مستديرا عريض الأطراف يفرخ الذكور .  
 وجرب من إناث الطير أنها إذا لم تجلس على البيض<sup>(١)</sup> تمرض .  
 القبج<sup>(٢)</sup> إذا هاج ووقفت الأثني قبالة الذكر ، وهبت الريح من ناحية  
 الذكر مقبلة إلى ناحيتها حملت من ساعتها .

(١) « الطير » .

(٢) القبج : الكروان .



الحمامة إذا نُتِفَت ريشة من ريشها احتبس بيضها أكثر مما لها بالطبع .  
مبدأ خلق الفرخ من بياض البيضة ، وغداؤه من الصُّفرة ، فإذا خرج  
فرغان كان أحدهما أكبر جثّة من الآخر ، والدكر منهما من البيضة الأولى  
ومن الثانية الأُنثى .

الفاخنة<sup>(١)</sup> تعيش أربعين عاما .

والحَجَل<sup>(٢)</sup> يعيش عشرين عاما .

الرخمة تُفرخ على صخور مشرفة عالية لا ينالها أحد ، ولا توجد رَحمة  
وفراخها إلا في الفرط<sup>(٣)</sup> .

العقاب يجلس على البيض ثلاثين يوما ، وكذلك كل طائر عظيم الجثّة  
مثل الإوز وما أشبهه ، والمتوسط الجثّة يجلس على البيض عشرين يوما ، كالحدأة  
والبُزاة وما أشبه ذلك .

إناث الغربان تجلس على البيض جلوسا دائما ، والدكر يأتيها بالطعم حينئذ .  
الحَجَل تسَل عُشّين يجلس الذكر على واحد ، والأنثى على واحد .

الطاوس يعيش خمسا وعشرين سنة ، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه .  
ويحضن بيضه ثلاثين يوما . قيل : وربما أكثر قليلا ، ويبض في كل سنة  
مرة واحدة ، وعدد بيضه اثنتى عشرة بيضة ، ويُلقى ريشه في زمن الخريف  
وبعد قليل ، وذلك حين يُلقى الشجر ورقه ، فإذا بدا أول الشجر وظهرت  
فروعه ، ونبت ورقه بدأ ريشه ينبت .

(١) الفاخنة : ضرب من الحمام الطوق .

(٢) الحجل : طائر على قدر الحمام كالتقا أحمر المتقار والرجلين ، ويسمى دجاج البر ؛ وهو

صنفان : نجدى ونهامى ؛ فالنجدى أخضر اللون أحمر الرجلين ؛ والنهامى فيه بياض وخضرة .

(٣) الفرط : الجبل الصغير أو رأس الأكمة .

الدُّلْفَيْن <sup>(١)</sup> له لبن ، ويُرضع ، ويحمل عشرة أشهر ، وتلد في الصيف ولا تلد في زمان آخر البتة ، وربما غاب تحت الموج في الماء ثلاثين يوما لا يظهر ؛ وهو محب لخبرته يأكله .

الجمل الذكركر يكره قرب الفرس ويقاتله إذا تمكن منه .  
الشاة إن مطرت بعد نزوها أنتقض حملها .

الغنم إذا أنزيت والريح جنوب توضع أولادها إناثا ؛ وإن كانت العروق التي تحت السن الكباش الفحول بيضا فإن إناث الغنم تضع حملانا بيضا ، وإن كانت العروق سودا فإنها تضع حملانا سودا . وإن كانت لونين تكون مختلفة ؛ وإن كانت شقرا خرجت شقرا .

الغنم إذا هاجت الميسنة منها أولا فالسنة ذات خصب ، وإن هاجت الفتية أولا فالسنة رديئة على الغنم .

الكلب السلوقي [ يذو <sup>(٢)</sup> ] إذا تم له ثمانية أشهر ، والأثني منها تحمل ستين يوما ، وربما زادت يوما أو يومين ، وجراؤها غمي <sup>(٣)</sup> اثنين وعشرين يوما . ومنها ما تحمل ثلاثة أشهر وتكون جراؤها عميا سبعة عشر يوما .

إناث الكلاب تعلمت في كل سبعة أيام وتبول جالسة ، ومنها ما ترفع رجلها عند البول .

ذكور الكلاب ترفع أرجلها للبول إذا تمت لها من ولادتها ثمانية أشهر . وبعضها في ستة أشهر .

(١) الدلفين من دواب البحر ، اشتهر بأنه ينجي الغريق ؛ وصفته كالزق للنفوخ وله رأس صغير جدا ، ولا يؤذى أحدا ، وهو كثير بأواخر نيل مصر .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٣) « على » .



ذكور الكلاب السلوقيّة تعيش عشر سنين ، وإناثها اثنتى عشرة سنة ، ومن  
أجناسها ما تعيش عشرين سنة ، وإناثها كلّها أطول أعمارًا من الذكور .

قال أوميروس الشاعر : إن كلب إديوس هلك وهو ابن عشرين سنة .  
وليس تُلقى الكلابُ شيئًا من أسنانها سوى النابين ، فإذا تمّ للكلب  
أربعة أشهر أبقاها .

البقر تُلقى أسنانها لسنتين ، وإذا كثر نزوُّ الذكور منها وحملُ الإناث  
يكون ذلك علامةً شتاء وجُودِ أمطار وخصب ، وإناثها تطمّث .

إناث الخيل تضع أولادها في أحد عشر شهرًا ، أوفى الثانى عشر .  
الحيات رَغَبَةٌ نَهْمَةٌ ، قليلة شرب الماء ، لأنها لا تضبط أنفسها ، وإذا شمت  
الشراب فإنها تشتاق إليه جدًّا .

الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب .  
البقر تشتهى شرب الماء الصافى النقى ، والخيل على الضد فإنها تشرب مثل  
الجمال الماء الكدر الغليظ .

الغنم فى الحريف تشرب الماء الذى تصيبه ريح الشمال ، وذلك الوقت  
أوفق لها .

الدُّرَّاج إذا هبَّت الرِّيح شمالًا تتزَّوج <sup>(١)</sup> وتُخصِب ، وإن كانت جنوبًا  
ساعت حالها ومرضت .

السّمك الذى يأوى إلى الشطوط من ناحية البرّ الذى يأوى إلى اللّجج  
وما كان منها مستطيل الجثّة فهو يُخصب فى الصّيف وهبوب الشمال ؛ والعريض

(١) « تزَّوج » .

الجملة على ضد ذلك ، وأكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكلبه على الرعى ، وطلب الطعم .

والسمك الجاسى الجلد ينصب في السنة المطيرة ، لأن ماء البحر يحلو فيها .  
الكلب له ثلاثة أمراض : الكلب ، والدُّبْحَةُ<sup>(١)</sup> — وهو القاتل لها —  
والنَّقرس .

والداء الذى يقال له الكلب يعرض للجمال أيضا ، فإذا كلب الجمل بخر ولم يؤكل لحمه .

الخيل إذا ألت حوافرها وقت تنصل<sup>(٢)</sup> نبت لها حافر آخر عاجلا ، لأن نباته يطلع مع نصول الحافر .

وعلاوة ذلك اختلاج الحصية اليمنى .

ويعرض للخيل داء شبيه بالكلب ، وعلامته استرخاء آذانها إلى ناحية أعرافها ، وامتناعها من العلف ، وليس لهذا الداء علاج إلا التسكين .

لا يكون في بلد الهند خنزير . لا أنيس<sup>(٣)</sup> ولا برى ، وفي أرض تُعرف بكذا يجرّ البقر كما يجرّ الغنم ، وفي أرض الثوبة تولّد الكباش نابثة<sup>(٤)</sup> القرون .

وإنّ الكلاب السلوقيّة أسرع إلى الأدب من الذكور .

جميع أجناس الحيوان إنثاها أقل جرأة وأجزع ، ما خلا الذئبة ، فإنها أصعب خلقا وأجراً من الذكور .

العقاب والتّنين يتقاتلان ، والعقاب تأكل الحيات حيثما وجدت .

(١) « والدجة » .

(٢) نصول الحوافر : خروجها من مواضعها .

(٣) « إلا أنس ولا يرى » .

(٤) « ناشئة » .



الغُذاف<sup>(١)</sup> يخطف بيض البومة نصف النهار فيأكله ، لأن البومة لا تبصر بصراً حاداً في ذلك الوقت . فإذا كان الليل شدت البومة على بيض الغُذاف فأكلته . بين العنكبوت وبين الحرذون<sup>(٢)</sup> شرٌّ ، لأن الحرذون يأكل العنكبوت . عصفور الشوك يقاتل الحمار ، لأن الحمار إذا مرّ بالشوك أفسد عشه ، فإذا نهق بالقرب منه وقع بيضه ، وإن كان فيه فراخ خرجت منه ، فلهذه العلة يطير هذا المصفور حول الحمار وينقره .

الغراب يعادى الثور والحمار وينقرهما . والحية تعادى الخنزير وأبن عرس ، لأنها يأكلان الحية حيث وجداهما . الغُذاف مصادق للشعلب ، والشعلب مصادق للحية ، « والسبب<sup>(٣)</sup> في عداوة العصفور للحمار أن معاش العصفور من بزر الشوك وفيه يبيض ، وهو وكره ، والحمار يرعى ذلك الشوك إذا كان رطباً » .

البقر يكون في الجبال إذا ضلت بقرة تبعثها الأخرى ، ولذلك الرعاة إذا لم يجدوا بقرة واحدة وعدموها طلبوا سائر البقر وفقدوها من ساعتهم .

الخليل إذا ضلت الأثني منها أو هلكت ولها ولد فإن إناث الخليل ترضعه وتربيه ، وذلك أن جنس الخليل في طباعها حُب أولادها .

الأيائل تُلقي قرونها في أماكن عسرة صعبة ، لا تُرتقى لثلاث توخذ ؛ ولذلك قيل في المثل : حيث تُلقي الأيائل قرونها ، فإذا ألقها توقّت أن تظهر إلى أن تنبت ، كأنها قد ألقّت سلاحها . وقيل : إنه لم يعاين أحد القرن الأيسر من قرنها ، لأن فيه منفعة عظيمة .

(١) الغُذاف : غراب كبير يكون منغم الجناحين .

(٢) الحرذون : دويبة شبيهة بالضب ؛ وقيل : ذكر الضب .

(٣) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين .

وإذا وضعت أولادها أكلت مشأئها من ساعتها ، ولا يمكن أخذها لأنها تأكلها من قبل أن تقع على الأرض .

والأيلة تصاد بالصَّفير والغناء ، ويفعل ذلك رجلان أحدهما يغنى ويصفر ، والآخر يرشقها بالسهم ، فلا يصغأها<sup>(١)</sup> إلى الصفير والغناء لا تحذر السهام .

ويقال إن الأيل إذا كانت أذناه قائمتين فهو يسمع كل شيء ولا يخفى عليه ما يراد به ، وإن كانتا مسترخيتين خفي ذلك [ عليه ] .

الفهد إذا أكل العشببة التي تسمى خاتقة<sup>(٢)</sup> الفهود يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به .

ابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب مخالفة للحية .

اللقالقي إذا خرجت من قتال بعضها بعضا تضع على الجرح صمغاً برياً .

يقال إن ذكور المصافير تبقى سنة فقط ، والدليل على ذلك — أنها من قبل أطواقها التي في أعناقها — لا تظهر في الربيع ، بل بعد ذلك بأيام ، لأنها لا تبقى شيئاً من الذكور التي كانت من العام الماضي ، فأما إناثها فهي أطول أعماراً .

إذا دنا الصياد من عش القبج تخرج الأنثى من بين يديه وتطمعه في صيدها حتى تهرب فراخها ، ثم تطير وتدعو فراخها إليها .

وإناث القبج تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر منها يطلب موضع يبيض أنثاه فيدخرجه — مخافة أن تقعد عليه وتشتغل عنه — فيفسده ، وهي تحتال أبداً في الهرب منه وتخفي موضع عشها ، فتبيض في أماكن خفية ، ومتى<sup>(٣)</sup> قصدها

(١) « ملاصقاً لها » .

(٢) « خاتقة » .

(٣) « ومن » .



قامت عنه وأطعمت في نفسها حتى تبعد عن أماكن بيضها ، فإذا بعد طارت  
ثم أحتالت في الرجوع إليه .

المدهد يعمل عشه من زبل الإنسان ، فلذلك رائحته كريهة .

العقاب تصيد منذ حين الغداة إلى وقت الرواح ، فأما من أوان الرواح<sup>(١)</sup>  
إلى أن يترحل النهار فهي قاعدة في مكانها لا تتحرك .

ومنقار العقاب الأعلى ينشأ ويعظم ويتعطف حتى يكون ذلك سبب هلاكها  
لأنها لا تنال به الطعم ، فإذا فضلت للعقاب فضلة من طعمه وضعها في عشه  
لحاجة فراخه إليها .

أصناف الطير المقتة الخالب لا تجلس على الصخر إلا في القرمط ، لأن خشونة  
الصخر مخالفة لتعطف مغالبها .

النحل تعمل عشاها في زمانين : في الربيع والخريف . والعسل الذي عمله  
في الربيع أشد بياضا وأجود من الذي عمله في الخريف

وأضعف العسل يكون أبدا في أعلى الإثاء ، والنقي الطيب في أسفله .

الأسد عظامه جاسية جدا ، وإن دلكت بعض عظامه ببعض خرجت منها  
نار كما يخرج من الحجارة .

الحيوان الذي له شعر [ في أشعار<sup>(٢)</sup> عينيه ] ليس في أشعار عينيه شعر إلا  
الشعر الأعلى .

والنعامة لها أشعار في الجفنين الأعلى والأسفل .

(١) « الصبح » وهو تبديل وقع من النسخ ينافى ما قبله .

(٢) هذه التهمة التي بين مربين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

القفذ تبيض خمس ميضات، وليس هو بيضا بالحقيقة، بل هو على صورة البيض، يُشبه الشحم.

قلب كل حيوان طرفه حاد، وهو أصلب من سائر جسده، وهو موضوع في وسط الصدر سوى الإنسان، فإنه مائل فيه إلى الناحية اليسرى، لأنه يكون بإزاء<sup>(١)</sup> الجانب<sup>(٢)</sup> الأيسر فيعادل الناحية اليمنى، فإن اليسرى من الإنسان أكثر بردا.

وليس في قلوب جميع الحيوان عظم إلا في الخيل، وفي جنس من البقر، فإن في قلب هذين عظاما دون غيرها من الحيوان.

وكل حيوان له قلب كبير يكون جزوعا.

الكلاب الهندية تتولد من كلب وسبع شبيه بالكلب.

والحمار حيوان بارد، ولذلك لا يكون الوحشي منها [إلا<sup>(٣)</sup>] في المكان البارد.

ذكر البغال لا تشم أبوال إناثها كسائر ذوات الحافر.

بيض الطير فيه لوانان : بياض وصفرة.

وبيض السمك فيه لون واحد.

إذا كانت الريح جنوبا كان المولود أنثى، لأن الجنوب إذا هبت رطبت وإذا أشملت كان المولود ذكرا.

عيون جميع الصبيان ساعة ولادتهم شهل<sup>(٤)</sup>، ثم تنتقل إلى الطباع الغالبة عليها.

(١) « بإزاء ».

(٢) « الجانب ».

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٤) شهل : من القملة بضم الشين، وهو أن يشوب سواد العين زرقة؛ وقيل أن تشوب الحدقة حمرة وليست خطوطا.



وعيون جميع الحيوان لون واحد ، كالبقر فإن عيونها سود . وعيون البشر<sup>(١)</sup>  
ألوان كثيرة .

صاحب العين الناتئة<sup>(٢)</sup> لا يُبصر ما بعد عنه بصرا جيّدا ، والفائرة تُبصر  
ما بعد عنها ، لأن حركتها لا تتفرّق ولا تتبدّد .

الفهد ربما نكح الذبّ فيتولد بينهما سبع مختلف المنظر ، لا يتناول الناس  
ويعيد الكلاب ويأكلها ويستخفي في البحر ، فإذا مرّ به أيل مفاجأة وثب  
عليه وأنشب<sup>(٣)</sup> مخالبه في أكتافه ومصّ دمه حتى يضعف الأيل<sup>(٤)</sup> ويسقط  
فيجتمع عليه هذا الصنف من السباع فيأكله ، فإن أجتاز بها أسد نهضت عنه  
وتركت الفريسة له تقربا إليه .

بأرض يونان معزى جمدة الصوف ، يقال لها : المعزى البرية ، فإذا  
أصابت قرونها شيئا من قضبان الكرم لم يثبت ورقه ولا ثمره ، بل يحفّ مكانه  
ويسقط ما عليه من الورق والثمر .

السُّلَحْفَاء تخرج من البحر إلى الرمل فتبيض فيه ، حتى إذا بلغ أوانه  
وخرج أولادها ، فما كان ناظرا إلى ناحية البحر كان بحريا ، وما كان وجهه  
إلى ناحية البر كان برّيا .

والسُّلَحْف تمتنع من الذُّكران ، فيأتيها بعود يحمله في فمه ، ويدنو منها ،  
فإذا رأت ذلك العود سكنت له .

وما كان من السُّلَحْف بحريا فخرج إلى البر وأصابه حرّ الشمس لم يستطع

(١) « السر » .

(٢) « الثانية » .

(٣) « وأنبت » .

(٤) الإيل .

الرجوع إلى البحر وبقى حتى هلك . وما كان برتيا فوقع إلى ناحية البحر تَلَف ولم يستطع الرجوع إلى البرِّ وهلك .

الثعلب يهَيُّ عُشَّهُ وَوَكْرَهُ ذَا سَبْعَةِ أَجْحَرَةٍ ، فَإِذَا <sup>(١)</sup> طَرَقَتْهُ الْكَلَابُ وَغَيْرُهَا مِمَّا يَتَخَوَّفُ [ فِي جَحْرِ <sup>(٢)</sup> ] خَرَجَ مِنْ غَيْرِهِ .

وإذا قارب الزرع أن يُسْبِلَ <sup>(٣)</sup> دخل الثعلب فيه وتممك فرحابه ، فيفسد ذلك الزرع ، ولذلك سَمِيَ أُحْتَرَقُ <sup>(٤)</sup> الشعر : داء الثعلب ، لأنه <sup>(٥)</sup> يُسْقِطُهُ كَمَا يُذْهَبُ وَرَقُ السَّنْبِلَةِ وَالشُّوكَةِ .

القنفذ يعمد إلى الكرمه فيحررها فيقع منها العنب ، فيتمرغ فيه حتى يعلأ شوكة ويعود إلى عُشِّهِ ، فإذا بصرت به جراؤه أطافت به تلتقط ذلك الحب من شوكة وتأكله .

الذئب إذا هَيَّئَ مِنْ مِعَاةٍ وَتَرَّ وَهَيَّئَ مِنْ مِغْيِ الشاةِ وَتَرَّ ، ثُمَّ عَلَّقَا بَالَاتِ الْمَلَامَى ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِمَا ، صَوْتَ الْمَعْمُولِ مِنَ الذئبِ ، وَخَرَسَ الْوَتْرَ الْمَعْمُولُ مِنَ الشاةِ . وَكُلُّ شاةٍ يَتَنَاوَلُ الذئبُ مِنْ لَحْمِهَا يَكُونُ لَهَا حُلَاوًا لَذِيذًا ، وَكُلُّ جِزَّةٍ صَوْفٍ تَهَيَّأُ مِنَ الشاةِ الَّتِي قَدْ تَنَاوَلَ الذئبُ مِنْهَا قَلِيلَ الثوبِ الْمَعْمُولِ مِنْهَا مِنْ قِلِّ سُمِّ <sup>(٦)</sup> أَسْنَانِهِ .

الكلب إذا مَرَضَ أَكَلَ حَلْفَاءَ رَطْبَةً .

(١) « كما إذا » .

(٢) هذه التكلة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « يسيل » .

(٤) « اختراق » .

(٥) « لأنه » أي داء الثعلب ؛ « يسقطه » ، أي يسقط الشعر .

(٦) « سم » .



والأيل إذا مرض أكل حية .  
والضبع إذا مرض أكل كلبا .  
الأسد إذا أكل كلبا فإنه يكون قد ضرس فيزول ذلك .  
الرخة إذا ضعف بصرها بقرت مرارة إنسان  
الأعنز البرية [ تألف <sup>(١)</sup> ] حيتانا بحرية ، وتدع الجبال وتسلك طريقا بعيدا  
حتى تأتي البحر لمكان تلك الحيتان ، فلما عرفت ذلك الملاحون سلكوا جلود تلك  
الأعنز ، ودنوا <sup>(٢)</sup> بها من شاطئ البحر على ظهورهم ، فإذا نظرت <sup>(٣)</sup> تلك  
الحيتان إليها خرجت مسرعة إليها فيصيدها الملاحون .  
ليس من السباع شيء صلبه عظم واحد بلا خرز إلا الأسد والضبع .  
من ربط على بدنه سينا <sup>(٤)</sup> من أسنان الذئب ولبسه لم يخف الذئب .  
والفرس الذي يعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجري .  
المعزى البرية تكون صلبة القرون ، تأوى أطراف الجبال وما كان مشرفا  
من الصخور على أودية ، فإن بصرت بالصياد ألقت أنفسها من تلك الصخور  
لتقيا بقرونها ، فإن سقطت على غيرها هلكت ، وفي قرونها خرزات مستديرات  
على قدر ما يكون عدد سننها <sup>(٥)</sup> .  
والعجب أنها تحفظ إناثها عند الكبر وتتعهدها بالمطعم والمشراب تحمله  
على أفواها .

(١) في الأصل : « الأعنز البرية حيتانا » بسقوط كلمة « تألف » أو ما يفيد معناها ..

(٢) « وذبوا » .

(٣) [ظهرت] .

(٤) « شيتا » .

(٥) « سنوها » .

المعزى البرية إذا صيد شيء من سخالها تبعته ورضيت بالعبودية مع ولدها  
وفي أطراف قرونها جحرة تنفّس منها ، فإن سُدَّتْ هلكت مكانها .

الورشان<sup>(١)</sup> يتحرّز بأن يضع ورق الغار في عُشه .

والجدأة تضع في عُشها ورق العليق تتحرّز به .

الخطاف يضع في عُشه قضيب كرفس .

التدرج<sup>(٢)</sup> يضع في عُشه سرطانا نهريّا .

جميع السباع والدواب عند المشى تقدّم اليد اليمنى والرجل اليسرى .

لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء .

إذا هم أصحاب الخيل أن يُنزّو<sup>(٣)</sup> حمارا على فرس جرّوا عُرفها فتقرّ<sup>(٤)</sup> حينئذ  
وتدلّ لكدم<sup>(٥)</sup> الحمار لها .

يونان ثيران لها أربعة قرون لا ترضى بمجامعة البقر ، بل تجماع إناث  
الخيول ، ويتولد بينهما خيول عجيبة المنظر .

الجاموس لا ينام أصلا وإن أرخى عينيه إرخاء يسيرا ، لكنّه ساهر  
الليل والنهار .

الجل إذا وقع على الناقة وقع الضراب ستر عن الرجال ، فإن نظر إليه  
رجل غضب .

قالت الروم : إن السنور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع .

(١) الورشان : طائر شبه الحمام ، وهو نوبى وحجازى ، والنوبى أشجاها صوتا .

(٢) التدرج : طائر كالقراج حسن الصوت يفرد في البساتين .

(٣) « يشترى » .

(٤) « فيفر » وهو عريف .

(٥) « لكدم » . والكدم : العض .



[لَا يَنَامُ<sup>(١)</sup>] البوم إلا إغفاءة<sup>(٢)</sup> .  
ومن العجب أن السَّتَّورَ يكون صافى العين كثيرَ البريق عند أمتلاء الهلال  
وينقص ذلك الصفاء<sup>(٣)</sup> والبريق عند نقصان الهلال .  
الأفعى إذا جامعها الذكر وأسمه الأفعوان تحولت إليه ، فإن ظفرت به  
أكلت رأسه من شدة عشقها له .  
ذكر المقرب اسمه عُقْرُبَان ، أسود صغير ، سريع المشى ، جاد<sup>(٤)</sup> الذهب  
الحِرْدُون<sup>(٥)</sup> تفسيره بالعربية اللبى يخرج من الزعفران .  
التمساح لا يكون إلا فى النيل ونهر بأرض الهند يقال له : الرِّسِيس  
ويبيض كبيض الإوز ، وربما يؤلّد منه حراذين صغار ، ثم يكبر حتى يبلغ  
طوله عشر أذرع ، ويزداد طولاً كلما ازدادت سنو حياته .  
وسنّه اليسرى نافعة لحمى النافس .  
وذكر أنه يجامع ستين مرة فى حركة واحدة ومحل واحد .  
الحمار الوحشى يتولد بين الفرس والفيل ، وله قرن ينبت من أنفه كأنه  
سيف ، وإن ضرب شجرة قطعها وبه يقاتل الفيل ويبعج<sup>(٦)</sup> بطنه بقرنه ، ولم  
يُعاين من هذا الجنس أنثى قط .  
فى البحر حوت يقال له : البوس ، يتولد من الصاعقة إذا كانت فى البحر

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٢) « إغطاء » .

(٣) « الصفا » .

(٤) « جاد » .

(٥) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ما يفيد أن لفظ الحردون غير عربى ولا أن

تفسيره بالعربية ما ذكره المؤلف ، كما أننا لم نجد ذلك فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة فى الحيوان .

(٦) « ويبعج » .

وإن وُضع ذلك الحوت بين اثنين فأكل منه تمأباً ولا يمتد أحد على صاحبه ، ويتآخيان أحسن الإخاء .

كلب الماء أبداً ذنبه على ظهره واقع مع انطباق والتواء ، يرعى نبات الأرض ، وهو شديد الجزع من النار ، فإذا كان الليل خرج الصيادون بأيديهم شعل النار ، فيأثون بحمّتها ، وتلك لا تتحرك لجزعها من النار حتى تؤخذ ، وإن كانت منها ذكر لم يجمع أثى قط ، وإذا أرادت الجامعة فإنها تجتمع وتجلد<sup>(١)</sup> فتفرخ .

وإن أخذ منها صياد بشبكة واحداً وثبت كلاًها حتى تدخل الشبكة آية فراق بعضها بعضاً .

ومن لبس جورباً من جلودها وبه نقرس انتفع به جداً .  
وإذا ابتلي إنسان برُعاف ثم أخذ قطعة من جلدها ، ثم أنمق في ابن وأشتهه أنقطع ذلك الرُعاف .

اليرابيع إذا اجتمعت في موضع ارتفع رئيس لها حتى يكون في موضع مشرف أو على صخرة أو تلّ ينظر منه إلى الطريق من كل ناحية ، فإن رأى أحداً مقبلاً أو سبها صرّ<sup>(٢)</sup> بأسنانه وصوت ، فإذا سمعته انصرفت عن الموضع إلى جحرتها فإذا أغفل ذلك وعابنت البقية سبها أو راجلاً قبل أن يراه ذلك الرئيس انصرفت إليه وقتلته لتضييعه أو غفلته .

وإذا كان حسن الرصد مضت اليرابيع ققطعت أطراً ما يكون من الخضرة وأطيب العشب فحملته بأفواهها حتى تأتيه تحية وتكرمة .

(١) في الأصل « وتجلد وتفرخ » والمراد بالجلد هنا جلد مميّة .

(٢) « صر » .



وإذا كانت في جِجَرَتِها خرج الرئيس أولاً فيبصر الطريق ، فإن لم ير أحدا صرَّ بأسنانه وصوت لها لتخرج فترعى .

في البحر حوت يقال له : موفى ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، إذا جاع خرج إلى الشاطئ فاستلقى على الرمل فأقام شوكة في رأسه ، فإذا نظر إليه حوت آخر جاء مسرعاً لياً كله يظن <sup>(١)</sup> أنه ميت ، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

وإذا ألقى الملاح صِنَارَته ولقيت ذلك الحوت رمى مكانه بتلك الشوكة الحادة يد الملاح فتخدر ويطرَح أداة صيده .  
فإذا رأى الحوت أن الصنارة داخلته أضلعه غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته .

وفي جلد هذا الحوت عجب ، وهو أن الصاعقة لا تدنو من جلده ، والملاحون يغطون سُفُنَهُم به عندما يتبينون <sup>(٢)</sup> الصواعق ووقوع المطر ، ويدنو هذا الحوت إلى طرف مقدم السفينة فيمسك بطرفه <sup>(٣)</sup> اللطيف ، فلو اجتمعت الرياح كلها بأشد هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة ، فمن أخذ من جلدها وستر به شراع السفينة لم يخف على سفينته <sup>(٤)</sup> غرقاً .

السريع الحُضْر أربعة : النمر والحريش <sup>(٥)</sup> وعنز الجبل وكباشها .  
عدو الحيات أربعة : القنفذ والقيل والأيل والعقّاق .

(١) « فظن » .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « سنون » .

(٣) بطرفه ، أى طرف مقدم السفينة . واللطيف : اللين .

(٤) « لسفينتها » .

(٥) الحريش : دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جداً ، غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يسجز القناس ؛ ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به .

الجبان اثنان : الأرنب والأيل .

ذو الزهو ثلاثة : الفرس والديك والطاوس .

ذو حدة السمع ثلاثة : الذئب والحمار والغُلْدُ<sup>(١)</sup> .

القادر في التزاوج ثلاثة : العصفور والحمام والمَقَمَقُ<sup>(٢)</sup> .

ذو الشهوة ثلاثة : العصفور والثور والباشق<sup>(٣)</sup> .

لمتحارس بالليل اثنان : الكركي والبط .

نافى فراخه ثلاثة : النعام والغداف والعقاب .

محب الظلمة ثلاثة : البوم والخفاش والغُلْدُ .

ذو حدة البصر ثلاثة : العقاب والظبي والباشق .

من أخذ لسان ضبع وصر به بين الكلاب لم تكلم عليه .

من مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلاً من أصول عنب الحية هربت

منه . وعنب الحية هو الحنظل .

وذكر الحُبَارَى يقال له : الخَرَبُ .

إذا أراد إنسان أن يتزوج امرأة فليَنظر إلى أبيها وأخيها فإنها بعيانه<sup>(٤)</sup>

وبين يديه أحدهما .

(١) الخلد : دوية تحت الأرض ؛ وهي ضرب من الجرذان .

(٢) المقق : طائر على قدر الحمامة وعلى شكل القراب ، وجناحه أكبر من جناحي الحمامة ، ذلونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب .

(٣) الباشق : ضرب من بزة الصيد ، وهو طائر خفيف الحمل شديد الملح ، يأفك ميناً ويستوحش حيناً .

(٤) الواو في قوله « وبين يديه » واو الحال ، أى كأنه يعاينها حال كون أحدهما مائلاً ن يديه يعاينه . وفي الأصل « يعاينه وبين يديه بأحدهما » .



من الحيوان ما لا يشبه الولدُ الوالدَ كالديبة والنحل والدَّبْرُ<sup>(١)</sup> .  
 أما الديبة فتضع أولادها توأمَ لا صور لها حين تولد ، غير أن أمها تهبي<sup>(٢)</sup>  
 ، وتسويها بلحسها إياها بالسثها...<sup>(٣)</sup>  
 وأما الدَّبْرُ فإنها تلد دودا يتصور بعد ذلك .  
 الضفادع والفيالم<sup>(٤)</sup> والسرطانات لا ضرر عليها في ماء ولا ييس ، لكنهما  
 عندها ستيان لا تهلك في بر ولا تُخنق في بحر .  
 كلُّ ما أكل اللحم فهو ذو أسنان قواطع صلاب ، وأعناقٍ قصارٍ شداد ،  
 ومخالبٍ وأظفارٍ حداد ، ومناقيرٍ معقنة جذابة .  
 للأسد ثلاث طبائع : الأولى منها أنه إذا مشى فشم ريح الصيادين عني<sup>(٥)</sup>  
 على آثاره بذنبه لكيلا يتبعه الصيادون ويقفوا عليه في عرينه فيتصيدوه .  
 والثانية أن اللبوة تلد شبلها ميتا ، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه في اليوم  
 الثالث فينفخ في منخره فيبعثه .  
 والثالثة أنه يفتح عينيه إذا نام وهما يغطتان .  
 ومن تمسح بشحم كلى الأسد ومشى بين السباع لم يخفها ولم تقربه ؛ وإن  
 افترس<sup>(٥)</sup> الأسد الفريسة ولم يأكلها ميز أن ريحها منقنة جدا .  
 وأصناف الحيوان التي تلغ الدم بالسثها : الكلابُ والسنانير .

(١) . « الدين » . والدبر : الزناير .

(٢) « سورها » .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ ، إذ كان مقتضى السياق أن يتحدث عن النحل بعد الديبة .

(٤) الفيالم : ذكر السلاحف ، الواحد غيلم بفتح أوله .

(٥) « وإن لم يفترس » .

الأسد : تضع أولادها غيرَ منفتحة العيون ، وإنما تنفتح بعد ذلك .  
وأما الأسد<sup>(١)</sup> خاصة فليس له من جنسه قرين ، ولا يرى شيئا من السباع  
كفؤا له فيصحبه ، ولا يقرب شيئا من بقايا فريسته بالأمس ولو جهده الجوع  
ويهر<sup>(٢)</sup> زثيره كثيرا من الحيوان الذي هو أعظم منه جسما وقوة .  
وإنما تلد اللبؤة واحدا ويحرق<sup>(٣)</sup> بطن أمه بأظفاره ويخرج منه .  
الثعلب إذا جاع فلم يقدر على صيد عمّد إلى أرض شديدة الحرّ وإلى  
موضع الطير<sup>(٤)</sup> إذا حمى ، فاستلقى على ظهره ونظر إلى فوق ، ثم اختلس نفسه  
وأخذ به داخلا حتى ينتفخ انتفاخا شديدا فيحسبه الطير قد مات ، فيقع عليه  
ليأكل منه كما يأكل الجيفة ، فإذا اجتمع الطير انتفض سريعا وقبض على  
ما وجد فأكله ، لأنه ذو خب<sup>(٥)</sup> ومكر ، كذلك طبيعته إن أصابه ضرر فأثر  
فيه آثارا وكلم فيه كلوما أخذ من صمغ شجرة تدعى قنطوريا<sup>(٦)</sup> فأبرأها به .  
القرود أهيأ الحيوان لقبول التعليم ، وهو لعوب غضوب سريع الحس ،  
لا يكون في بلد كثير السباع ، عدوّ لجميع الحيوان ، مليح الإهاب ، نهوش<sup>(٧)</sup>  
خطوف ، إلا أنه إذا شبع نام في غاره ثلاثة أيام ، فإذا خرج صاح بصوت

(١) يفيد قوله : « وأما الأسد خاصة » الخ أن هنا كلاما قبل ذلك في أصناف الحيوان  
الذى له قرين من جنسه ، وسقط هذا الكلام من النسخ .

(٢) يهر ، أى يجعلها تصوت من الفزع والخوف .

(٣) « ويحرق » .

(٤) « البير » .

(٥) الحب بكسر الحاء وتشديد الباء : الخداع والمكر .

(٦) كذا في الأصل . والذى في ابن البيطار : قنطوريون ؟ وهو صنفان : كبير وصغير ،  
فالكبير له ورق شبيه بورق الجوز أخضر مثل ورق الكرنب ؛ وله ساق شبيهة بساق الحمّاض  
طولها ذراعان أو ثلاث . وله شعب كثيرة من أصل واحد ، عليها رءوس شبيهة بالخشخاش الخ  
وهذا هو المراد هنا .



عالٍ تخرج منه رائحة طيبة ، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته .  
ومن أراد ختله<sup>(١)</sup> فليتهسح بشحم الضبع ويدخل عليه في غاره ، فإنه لا يمتنع ؛  
خفيف الجرم ، حديد الشد<sup>(٢)</sup> يقظان .  
دابة يقال لها بالفارسية ( درباست ) إذا طلبه القانص<sup>(٣)</sup> أستلقى لظهره  
وأراه أنه لا خصية له ، كأنه قد علم ما يطلب منه .  
خلق الجبان من الحيوان الخائف سريع الحضر سريع الحركة ، وجعل  
الصنف الجري العادي بطيء الحضر<sup>(٤)</sup> مبلدا .  
الضبع مخالفة<sup>(٥)</sup> لجميع أجناس الحيوان ، وذلك أنها تصير مرة ضبعا ذكرا  
ومرة أنثى ، تلحق أحيانا كالذكر ، وتقبل اللقاح أحيانا كالأنثى .  
وطبيعتها أنها إذا رأت الكلب في ليلة مقمرة مشت على الآثار ووطئت  
ظله<sup>(٦)</sup> فوق .  
« ومن قتل ضبعا وأخذ لسانها ومر بين الكلاب لم تكلب<sup>(٧)</sup> عليه ، ولم  
تعرض له .  
ومن مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلا من حنظل ، أسكتها عنه  
وهربت منه » .

(١) « قتله » .

(٢) « السر » .

(٣) « القابض » .

(٤) « الحذر » .

(٥) مخالف .

(٦) عبارة حياة الحيوان : الضبع إذا وطئت ظل الكلب في القمر وهو على سطح وقع الكلب فأكلته .

(٧) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذا الكلام الذي بين هاتين العلامتين في ص

التنفذ عدو الحيات ، إذا قبض على حية تركها تضطرب على شوكة حتى تموت ، فإذا ماتت قطعها قطعاً .

الدب يقتل <sup>(١)</sup> الثور ، والغالب عليه الانبحار في مغارته <sup>(٢)</sup>

الفيل ليس له شهوة السَّفاد <sup>(٣)</sup> ، فإذا أراد الولد أنى رياضاً وجناتاً <sup>(٤)</sup> فيها اللِّفاح <sup>(٥)</sup> هو وإناته فهيج له اللِّفاح برائحته وقوة حرارته شهوته فتسافدت ، فإذا ولدت ولدت قائمة ، لأن أوصالها ليست مواتية كأوصال التي تلد باركة ورابعة غير أنها تلد في الماء حذراً على دَغْلِهَا أن يموت إذا وقع على الأرض ، فلذلك تدخل ساحل البحر حتى يبلغ الماء بطنها فتضع ولدها على الماء كالقراش الوثير والدَّكر في ذلك يحرسها وولدها من الحية .

ما أشدَّ عداوة الفيل للحية ؛ حيثما أصاب الفيل الحية وطئها وقتلها . وإن هو سقط على جنبه لم يستطع القيام ، إنما نومُه إذا أتكا على شجرة . ومن هناك — لما عَزَفَ أهلُ تلك البلاد <sup>(٦)</sup> كيف نومُه — يأتون الشجرة فينشرونها بالمدشار ، فإذا أتاها الفيل واتكا عليها وقعا على الأرض معا ، وحينئذ يشتدَّ صياحه بصوت رفيع ، ويجمع إليه لذلك قبيلة كثيرة تحاول معاونته على النهوض والأنبعاث ، فلا تقدر على ذلك ، فتصيح جماعتها بصوت واحد جزعاً من ضعف حيلتها وعجزها حتى يأتي الفيل الذي هو في الجسم أصغر ، وفي

(١) في الأصل : « يصل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما يأتي في

س ١٨٥ سطر ١٢ و ١٣ .

(٢) « مغارته » .

(٣) « الفساد » .

(٤) « وحصاناً » .

(٥) « اللِّفاح » بالفاء .

(٦) تلك البلاد ، أى التي تكون فيها القبيلة .



الحيلة أكبر منها ، فيدخل مشفره<sup>(١)</sup> تحت القيل الساقط ، وتفعل كقطه جميعا في إدخال مشايرها<sup>(٢)</sup> تحته حتى تدغمه فينبعث ، وإنما كَوْنُ رأس القيل في عنق قصير ، وكَوْنُ له بدل العنق الطويل المشفر الطويل ليكتفى به من الضيق ؛ وبه يتناول طعامه وشرابه .

وخلقت قوائمها غير منفصلة ، لكنّها كالأساطين المصمتة والسواري الوثيقة لتحمل الكثير الثقيل ؛ وربطت بمراقيب صغار غير منحنية ولا منثنية على الأوصال ، لكن عظامه مفرغة إفراغا .

تطول أعمارها إلى ثلاثمائة سنة ؛ غير أن الجرذان والبق تعلق بالفيلة فتؤذيها . السمندل<sup>(٣)</sup> : دابة لا تخاف النار ، لأنها لا تحرقها ، وإن دخلت أخذوداً متأججا مضطربا بالنار لم تحفل بذلك ، وصارت النار التي تُبيد الأجسام مبعثا لهذه الدابة المهيمنة الحظيرة ، تستلذّ التقلب فيها أستلذاذ القلب بالهواء البسيط وهبوب أرواحه<sup>(٤)</sup> الطيبة ؛ ونضارة جلدها وتنقيته بالنار ، فيزداد بالنار حسن لون .

الأرنب من طباعها الجبن والخوف ، وهي كثيرة الولادة .

الكلب ذو فخص وأقتناء للأثر ، وبشمه يسترشد<sup>(٥)</sup> ويهتدى ويستدل إذا شم الموتى عرفه إن كان له أو لغيره .

ومن طباعه الترضى والبصبصة والمشاشة<sup>(٦)</sup> لمن عرفه .

(١) « مشفره » .

(٢) « مناقيرها » .

(٣) السمندل : دابة دون الثعلب خلجية اللون ، حمراء العين ، ذات ذنب طويل .

وقيل : طائر .

(٤) « وأرواح هبوبة » .

(٥) « يستريد » .

(٦) « والمشاشة » .

ليس في الحيوان أشدّ حبا لصاحبه منه ، فإن أشار له <sup>(١)</sup> على صيد وثب ناصبا رأسه واقفا ذنبه مستعدّا كالفرس ، البطل والشجاع النجد ، مع نشاطه في الطلب وهو يعلم أن الصيد ليس بمحاضر ، لكن ذلك منه حسن طاعة .  
فأما حب بعض جراء الكلاب لبعض إذا كان أخاه لأم ولأب فما قد عهد وشوهد ، وذلك أنه حيث كان يُطرح لها الطعام في الوسط ، فلا يخطف واحد منها ذلك ، لكنها تتعاطاه بينها يسكون وتمكين بعضها لبعض ، غير مستأثرة به ولا محاربة عليه .

الفرس من طباعه الزهو والحرارة وشهوة الإناث للسفاد . وإن وطئ الفرس أثر وطء الذئب ارتعد وخرج الدخان من جسده كله .  
الذئب إذا رأى الإنسان مبطئا خبطوه وهو ساكن سكت عنه ، فإن رآه خاف وجبن اجتراً <sup>(٢)</sup> وحمل عليه وكبسه .

وليس كل ذئب يعدو ، وليسكن هو الذي يكون ضاريا ؛ وفيه خلطان : أحدهما أن يكون منفردا يمشى وحده ، والأخرى حدة متمع ، إن خفي عليه مكان الغنم أتى مكانا وعوى صوتين <sup>(٣)</sup> أو ثلاثة ، ثم سكت منصتا لأصوات الكلاب التي مع الغنم ونباحها حين سمعت عواءه <sup>(٤)</sup> ، فإذا سمع نباح الكلاب شد <sup>(٥)</sup> مسرعا نحوها ، قاصدا إليها ؛ فإذا قرب من الغنم مال إلى ناحية أخرى خالية من محرس <sup>(٦)</sup> الكلاب فاختطف ما أمكنه خطفه من الغنم .

(١) عبارة الأصل ؛ « وضع أشلاءه » والكلمة الأولى زيادة من الناسخ ، وفي الثانية تحريف .

(٢) « واجتراً » .

(٣) « توتين » .

(٤) « عداه » .

(٥) « مد » .

(٦) « محرس » .



حمار الوحش إذا ولدت الأثني الأولاد الذكور جاء الفحل فانتزع خصى  
تلك الذكور وقطعها بأسنانه لسكيلا<sup>(١)</sup> تُصَاد أو تُشَارِك في طَرُوقَةٍ<sup>(٢)</sup> ، إلا  
أن الأثني ربما وضعت ولدها في مكان غامض حتى يشتد جسده وتصلب  
خوافره ، ويقوى بالشدة على النجاة من الفحل ، ولهذا السبب يقل منها الفحول .  
الحريش<sup>(٣)</sup> دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جدا ، غير أن لها من  
قوة الجسم وسرعة الحضر ما يعجز القناص<sup>(٤)</sup> عنها ، ثم لها في وسط رأسها قرن  
واحد منتصب مستقيم ، به تُناطح جميع الحيوان فلا يفلها شيء .

احتل لصيدها بأن تعرض لها فتاة عذراء وضيئة ، فإذا زاتها وثبتت إلى  
حجرها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة ، فإذا هي صارت  
في حجر الفتاة أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان  
من الخمر والوسنان من النوم ، فيأتيها القناص<sup>(٥)</sup> على تلك الحال فيشد من  
وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة .

الايئل عدو الحيات إن قربت منه حية فأنجحرت في صدع صفا ملاً  
الايئل فاه من الغدير أو من حيث وجد فدفعه في ذلك الصدع ، ثم اجتذب  
الحية إليه بالقوة حتى يقتلها ، وإن كانت فوق أنزلها ، وكذلك إن كانت  
أسفل ، فإن كان جائعا أكل ما أصاب منها ، وإن لم يكن به جوع قتلها وتركها  
فصارت الحيات ذوات السم الزعاف المميت لكل من أصابه أو خالط بدنه

(١) يريد بقوله « لسكيلا تصاد » أنها إذا خصيت قويت على الجري فلا يقوى الصيادون  
على اصطيادها .

(٢) يريد بالطروقة : الأتان التي يطرقتها الفحل .

(٣) « الحرس » .

(٤) « القياس » .

(٥) « الناس » .

غذاء هذه الأيائل ، ويكون ملائماً لها لذيقها .  
وإن دخن البيت الذي فيه الحيات بدخان حريق قرن الأيائل فرّت  
منه كلها خوفاً .

على أن الأيائل تقسه جبان شديد الرعب ، إذا أكل الحية بدأ بذنبها حتى  
ينتهي إلى رأسها ، ثم يقطعه بأسنانه ، وأكبر<sup>(١)</sup> من ذلك [ أنه ] يتعلق  
برءوسها وتبقى في الهواء . وتكثر فيه الميرة<sup>(٢)</sup> ويعطش عطشا شديدا فيعوج  
إلى غدير الماء .

الغزال ، يقال : ليس في الحيوان أبصر من الغلباء ؛ ويقال لها باليونانية  
النظارة والمبصرة .

الثور دابة عمول كدود مقدر جسمه بقدر قوته . من طبيعته كثرة المني  
وتوقد شهوة السفاد ، إن لم يخص لم يذلّ للعمل ولم يسكن ولم يصحّ جسمه  
لأن الغلّة تحمل<sup>(٣)</sup> جسمه تنحله ، والخصاء يقطع ذلك كله . وبينه وبين  
الذئب<sup>(٤)</sup> عداوة شديدة .

أعز<sup>(٥)</sup> الجبل وكباشه وهي الأزواء والثيراتل هذا جنس متمرّد في الجبال  
سريع الحضر في الشواحق والتوقل<sup>(٦)</sup> فيها<sup>(٧)</sup> وطبيعتها أن تلد توائم .

(١) أي وأكبر مما مرّ من دلائل جبنه أنه لا يقطع رءوسها بأسنانه كما سبق ، بل  
يتعلق بها فلا يأكلها خوفاً ولا يلتقيها من فيه فتبقى رءوسها معلقة في الهواء . هذا ما يلوح لنا  
من معنى هذه العبارة .

(٢) الميرة : خلط من أخلاط البدن ، وهي الصفراء .

(٣) « تدخل » .

(٤) « الذئب » .

(٥) « أعز » . ولم نجد هذا الجمع في كتب اللغة .

(٦) التوقل : الصعود .

(٧) « في الماء » .



قد يوجد من البهائم ما لا يحمل ، فأما أتى الخيل إذا كانت حاملا فوطئت  
أثر الذئب بحافرها أجهضت حملها .

الحمار في طبيعته معرفة صوت الإنسان الذي اعتاد استماعه وإيناسه ، لا يضل عن  
طريق مَلَكه مرة ولا يخطئه ، إذا ضلَّ رَاكِبُه الطريقَ هداه وحمله على الصحبة .  
وأما حِدَّة السمع ، فليس في البهائم فيما يُذكر أحدٌ سمعا منه .

اليامورة <sup>(١)</sup> دابة وحشية نافرة ، لها قرنان طويلان ، كأنهما منشاران  
تنشربهما الشجر ؛ إذا عطِشتُ وردت الفرات وعليه غياطل <sup>(٢)</sup> وغياض ملتفة  
أشجارها تفرعت من أغصانها غصونٌ طوال دقاق مشبكة ، فإذا شربت ريها  
وأرادت الصِّدْرَ أشتت الاستتار <sup>(٣)</sup> والعدو بين تلك الأشجار « ولجَّت <sup>(٤)</sup> هناك »  
فعلق قرنانها بتلك الغصون اللدنة المتينة ، وكلما عالجتها لتفليت أزدادت ارتباطا  
فإذا ضجرت مما وقع فيه عجت جزعا ، وسمع القناص صوتها فأتوها فقتلوها .  
الجمال : حقود ، يرتصد من ضاربه الفرسة والخولة لينتقم منه ؛ فإذا أصاب  
ذلك لم يستبق صاحبه ، فأما ظهره فذو سنام مقبب يكون لكثرة الحمل  
وأحتمال الثقل ، وأوصال ركبته وعراقيبه كبار صلاب ، وأوتارها وعروقها  
متينة شديدة ، وعصبه وثيق لم يشتد <sup>(٥)</sup> بضغط التحام مفاصله وأتصالها ولم  
يسترخ مطويا <sup>(٦)</sup> ، لكنها هيئت على الاعتدال <sup>(٧)</sup> ليهون عليه بذلك البروك

(١) « التامورة » .

(٢) الغياطل : الكثير الملتف من الشجر والنبات .

(٣) « الانتيار » .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضى وضعها هنا .

(٥) « لم يشتد » .

(٦) « مطريا » .

(٧) في الأصل « الاعتدار » ؛ وهو تحريف ؛ والمراد بالاعتدال هنا أن أعصابه ليست

شديدة ولا مسترخية ، بل هي بين ذلك .

والتهوضُ بِعمله ، مع تسهيل الأرتقاء عليه في ذلك .  
البغال : نوعٌ هَجِينٌ قد أنبئنا أنه لا يلد ، إلا أنه أهدى للطريق <sup>(١)</sup> للناس  
وأثبت حفظا .

الثيران وكلٌ ذى قرن لا يأخذه الفؤاق .  
وأما سباع الطير وآكلات اللحم منها فصِلاب الأظفار ، حُجْنٌ <sup>(٢)</sup> المناقير  
ذات حدة وقوة ، قوية الأجنحة .

والنواهض <sup>(٣)</sup> التى فيها القوادم أكثر طيرا .  
الديكُ صِلَفٌ في طبيعته ، غير أن له مع ذلك إيقاظا للنائم بصياحه في آناء  
الليل ، والتبشيرَ بإقبال الصبح وطلوعِ الشمس ، يؤنس السيارات في السفر <sup>(٤)</sup>  
بصياحه في الليل ، ويحرضهم على السير ، مع إيقاظه الفلاحين لعملهم ، والصناعَ  
لصناعتهم ، وإذا سمع المرضى صوته داخلهم من <sup>(٥)</sup> ذلك رَوْحٌ وخفةٌ من مرضهم .  
الطاوس يحب الزينة ، غيرُ عفيف الطبيعة ، يدعوه زهوه وحرصه على  
التزيّن إلى نشر ذنبه وعقده كالطاق لتراه الأتني بحسن زينته .

الكراكي تتحارس <sup>(٦)</sup> بالليل ؛ ويجعل الحارس منها يتردد في المحلة  
ويهتف بصوت يسمع محذرا <sup>(٧)</sup> ، فإذا قضى نوبته أستراح وأعقبه الذى كان  
مستريحا نائبا عنه حتى تقضى كلها ما يلزمها من الحراسة ، فإذا طارت لم تطر

(١) أهدى الطريق للناس ، أى أكثر هداية — لراكبه من الناس — إلى طريقه .

(٢) حجن المناقير ، أى معوجتها ، الواحد أحجن ، والأثنى حجناء .

(٣) النواهض : فراخ العقبان التى وفرت أجنحتها وقويت على الطيران ، الواحد ناهض .

وفي الأصل : « والنواهض » ولم نجد فيها راجعنا من كتب اللغة .

(٤) « يؤنس في السفر والسيارات لمصاحبه » .

(٥) « مع » .

(٦) « تتحاربن » .

(٧) « محذرا » .



متقطعة ، لكنها تطير نسقا غير مشتتة ، يقدّمها واحد منها كالرأس والمهادى لها حتى تتلوه كلها لازمة صفها ، ثم يعقبه بعده آخر متقدّم حتى يصير المتقدم الأول متأخرا في آخرها ، وتقتسم كرامة المتقدم كلها بالسوية ؛ وفيها ما يبعد سفره وينتقل عن مصيفه إذا هجم الشتاء .

البطل له بقظة حارسة تدل على حدة حسّه .

الجراد معروف الحال .

العقاب تطلب عين<sup>(١)</sup> الماء ، فإذا أصابتها تحلق طائرة إلى حر الشمس وهو موضع دورانها فيحترق ريشها وما كان من جناح ، ثم تفوس في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة<sup>(٢)</sup> « وتذهب ظلمة عينيها »<sup>(٣)</sup> .

وأما الطريق<sup>(٤)</sup> فيقتض الله له طائرا يقال له : قاس<sup>(٥)</sup> فيضته إليه ولا يدعه يهلك ، ولكنه يقويا ويربيه مع أفراخه .

وأجنحة العقبان مفصلة شبه ريشها .

وبصرها قوى بعيد تحت الشعاع المستنير .

ويقال : إنها أبصر الطير .

الحجّـل يأتي أعشاش نظرائه فيسرق بيضها ثم يحضنها ، فإذا تحرّكت الفرائخ وطارت لحقت بأمهاتها .

البوم مأواه ومحلّه الخراب ، يوافقه الليل ، لأنه بالليل بصير وبالنهـار كليل ، مع حبه التوحّد والخلوة بنفسه ، وبينه وبين الغربان عداوة ما تنقضى .

(١) « من » .

(٢) « مثابة » .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل قبل هذا الموضع .

(٤) يريد بالطريق : الملقى الذي لا يغير على الطيران لضعفه من المرض ونحوه .

(٥) لم نجد اسم هذا الطائر فيما راجعناه من الكتب .

النَّسْرُ يَتَّخِذُ وَكْرَهُ فِي الْمَكَاتِ لِعَالِي الْمَرْتَفِعِ ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ وَفِيهِ يَنَامُ  
كَالرَّاصِدِ ، إِمَّا فِي ذِرْوَةِ الْجَبَلِ أَوْ فِي وَسْطِهِ مِنْ شَطَايَاهُ<sup>(١)</sup> وَثَنَايَاهُ وَمَوْضِعِ الْمَنَعَةِ .  
وَإِذَا حَمَلَتْ زَوْجَتَهُ مَضَى إِلَى الْهِنْدِ فَأَخَذَ مِنْ هُنَاكَ حَجْرًا كَهَيْئَةِ الْجَوْزَةِ  
إِذَا حُرِّكَ سُمِعَ بِهِ صَوْتُ حَجَرٍ آخَرَ — يَتَحَرَّكُ فِي وَسْطِهِ<sup>(٢)</sup> — كَصَوْتِ  
الْجَرَسِ ، فَإِنْ عَسَرَتْ عَلَى زَوْجَتِهِ الْوَلَادَةُ جَعَلَتْ ذَلِكَ الْحَجَرَ تَحْتَهَا وَعَلَتْ عَلَيْهِ  
فَيَذْهَبُ عَنْهَا الْعُسْرُ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ مَرَّةً أَتَى مِنْ جَنْسِ الطَّيْرِ مَاتَ زَوْجُهَا فَامْتَنَمَتْ مِنَ الطَّعَامِ  
وَالنَّوْمِ لِيَالِي<sup>(٣)</sup> كَثِيرَةً صَارَتْ فِيهَا كَالنَّائِمَةِ الْبَاكِيةِ عَلَى زَوْجِهَا بِتَنْفُسِ الصَّعْدَاءِ  
وَزَقَرَاتِ الْحُزْنِ لَا تَلْقُطُ أَيَّامًا مُتَتَابِعَةً شَيْئًا .

الْبُرَاةُ مِنْ طَبِيعَتِهَا أَنْ تَدَاوِيَ أَنْفُسَهَا وَفِرَاحَهَا فَلَا تَمُوتُ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ فِي  
بَعْضِ الْمَرَضِ وَالْدَاءِ<sup>(٤)</sup> نَبِئَةً تَعْرِفُهَا وَتَعْرِفُ طَبْعَهَا ... « وَمِنْهُ مَا يَنْقُصُ وَيَزِيدُ<sup>(٥)</sup> » .  
النَّعَامُ : لَا يَعْوَلُ أَفْرَاحَهُ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، ثُمَّ يُدْحِضُهَا<sup>(٦)</sup> وَيَطْرُدُهَا مِنْ  
عِنْدِهِ إِنْكَارًا لَهَا .

الْغُدَافُ لَا يَبْيِضُ وَلَا يُفْرِخُ مِنْ سَفَادٍ ، فَإِذَا أَفْرَخَتْ أَتَتْهُ فِرَاحًا لَمْ يَزُقْهَا<sup>(٧)</sup>  
وَلَمْ يُطْعَمْهَا ، إِلَّا [ أَنْ<sup>(٨)</sup> ] الْبَقَّ وَالْبَعُوضُ يَقَعُ عَلَيْهَا لِزَهْوَمَتِهَا وَتَنْجُسُ لِحْمَهَا ، فَتَفْتَحُ

(١) شَطَايَا الْجَبَلِ : قَطْعُ ضَخَامٍ تَنْقَلِعُ مِنْ عَرْضِهِ وَلَمْ تَتَفَصَّلْ انْفِصَالًا تَامًا ، تَشْبِيهَا لَهَا  
بِالشَّطَايَا الْعُرُوفَةِ . وَثَنَايَاهُ : الْعُقَبَاتُ فِيهِ .

(٢) « صَوْتُهُ » .

(٣) « لِيَالٍ » .

(٤) « وَالْدَانِيَّةُ » .

(٥) لَمْ يَتَضَحَّ لَنَا وَجْهُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَمَا قَبْلَهَا ؛ فَلَعَلَّ هُنَا كَلَامًا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) يُدْحِضُهَا : يَدْفَعُهَا .

(٧) « يَذُقُهَا » .

(٨) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَحْتَضِرُ إِثْبَاتَهَا .



أفواها وتبلغ ما دخل فيها من ذلك البق ، فهو يمسكها ويقويها .  
أنحاء طيران الطير مختلفة كاختلاف الطير ، بعضها يطير قريبا من الأرض  
كالبط وما أشبهه ، وبعضها يرتفع ، غير أنه لا يُبعد ، كالحمام والغرابان ، وبعضها  
يخلق تحليقا ، كالمقاب والصقور<sup>(١)</sup> والأجادل والبزاة .

وما كان من الطير بدنه أعظم من جناحه فهو قريب الطيران من الأرض ،  
لسرعة إحناء أجنحته واضطراره إلى الوقوع على الأرض .

البيضاني<sup>(٢)</sup> والأبنت<sup>(٣)</sup> : هذا طائر يحب ولده ، فإذا تحرّكت فراخه  
ودرجت ضربت وجهه بأجنحتها فيدعوه المصك والغضب المطبوعان فيه إلى  
قتلها ، فإذا ماتت اكتب عليها الأبوان وأقاما عليها شبه المائم ثلاثة أيام ، ثم  
إن الأم في اليوم الثالث تشق جنبها حتى يقطر دمها على تلك الفراخ ، فيصير  
ذلك نشورا لما بعد موتها .

مالك الحزين<sup>(٤)</sup> ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهي طعامه ؛ لا يحسن  
السباحة ، فإن أخطأه أنتشال فجاء طرح نفسه على شاطئ النهر في بعض  
ضمضاحه ، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع [لأكل<sup>(٥)</sup>] ما يؤكل منه .

من الطير ما يفتح من هبوب الريح ، لا يحتاج إلى تراوُّج ولا إلى سِفاد .

(١) « والسنور » .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم نجد في مراجعنا من كتب اللغة والكتب  
المؤلفة في الحيوان .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل مبهمة الحروف من التقط ؛ والصواب إثباتها على هذا  
الوجه . والأبنت : طائر من طير الماء كلون الرماد ، طويل العنق ؛ وسمى أبنت لبنته ،  
وهي بياض إلى الخضرة ، وهو من شرار الطير .

(٤) مالك الحزين : من طير الماء ، وهو البلشون ، طويل العنق والرجلين .

(٥) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في الأصل .

والخفاش له خصيتان كخصى الحيوان ، وله أربع قوائم وأسنان حداد  
 كأَسنان ذوات الأربع ، يُرَضِّع ولده من اللبن إرضاعا ، وجلده أملس .  
 العتق لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به ، ولكنه يهتئ وكره في المواضع  
 المشرفة العالية والعراء الكاشف وجه الهواء الفسيح ؛ وطبيعته الزنا وخيانة  
 الزوج ، فإذا باضت الأثني بيضا حصنته بورق الدُّلب وغطته كيلا يقربه  
 الخفاش ، فإن مسه مرق<sup>(١)</sup> البيض من ساعته وفسد .

النحل يلد من غير لقاح الذكور .

الحية إذا هَرِمَتْ وكلَّ بصرها واسترخى جلدُها دخلت في صدع صفاة  
 ضيق أو جُحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدُها فتأتى  
 عين الماء فتتنفس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب ، فإذا هي فعلت ذلك عادت  
 شابة كما كانت . فإذا أرادت أن تضي<sup>(٢)</sup> عينها أكلت الرازيانج الرطب  
 فاشتفت عينها واحتد بصرها ، وإن ضُربت ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع  
 الفرار ، فإن ثنيتها وثبتت وسعت هاربة .  
 إن أنقِعَ الحسك<sup>(٣)</sup> في الماء ثم نُضح ذلك الماء بين يدي جُحر الحية فرت  
 من هناك .

وإن وُضِعَ في جُحرها أصل جَمَّصٍ رطب فرت أيضا .  
 وإن رأت الحية إنسانا غريانا استحيت منه ولم تقربه .  
 وإن رآته كاسيا<sup>(٤)</sup> حملت عليه بجرة شديدة ؛ وما أشدَّ طلبها لثأرها ؛  
 وإن شُدخ رأسها ماتت من ساعتها .

(١) مرق البيض : صار ماء وفسد . وفي الأصل : مرت .

(٢) « تضي » .

(٣) الحسك محركا : نبات له ثمرة شائكة مدحرجة تعلق بأصواف الغم .

(٤) « كاسيا » .



السَّمْسِيَّةُ ، وهي حَيَّةٌ حمرَاءُ بَرَّاقَةٌ ، إذا كَبُرَتْ وأَصَابَهَا وَجَعُ الْعَيْنِ وَكَبِدَتْ<sup>(١)</sup> التَّمَسَّتْ حَائِطًا مُقَابِلَ الْمَشْرِقِ ، فإذا تَبَدَّتْ الشَّمْسُ أَحَدَتْ إِلَيْهَا بَصَرَهَا قَدْرَ سَاعَةٍ فإذا دَخَلَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَيْنَهَا كَشَطَ عَنْهَا الْعَمَى وَالْإِظْلَامَ ، ولا تَزَالُ تَعْمَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَتَجَدَّدَ بَصَرُهَا تَامًا .

الْأَفْعَى تُزَاجُ دَابَّةً بَحْرِيَّةً ، تَأْتِي الْأَفْعَى شَفِيرَ الْبَحْرِ فَتَصَوِّتُ ، وَصَوْتُهَا مُهِيجٌ لِذَلِكَ الدَّابَّةِ الْبَحْرِيَّةِ .

مَنْ أَحْرَقَ عَقْرَبًا طَرَدَ بِرَائِحَةٍ حَرِيْقٍهَا عَقَارِبَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .  
فَأَمَّا مُحَمَّةُ الْعَقْرَبِ فَهِيَ جَوْفَاءُ كَهَيْئَةِ الْزِمَارِ مَعْقِفَةُ الرَّأْسِ مَكُونَةٌ لِلدَّغِ ، فإذا ضَرَبَتْ شَيْئًا تَحْرَكَتْ نَفْرَجَ سَمِّهَا وَجَرَى فِي مُحْتِهَا وَسَرَى فِي الْمَلْدُوغِ .  
الْإِنَاثُ مِنْ بَنَاتِ عَرَسٍ إِنَّمَا تَلْتَقِحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَتَلِدُ مِنْ آذَانِهَا .  
مِنْ عَادَةِ هَذَا الْجِنْسِ أَنْ يَسْرِقَ مَا وَجَدَ مِنْ حِلْيِ الْذَهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَيَخْبِئُوهُ فِي جِحْرَتِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَيْضًا فِي الْبَيْتِ حُبُوبًا<sup>(٢)</sup> خَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، كَأَنَّ عَمَلَهُ غَمْلُ الطَّبَاخِينَ فِي خَلْطِ التَّوَابِلِ .

الْفَارُ الْقَارِصِيُّ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ كُلِّ طَيْبٍ .  
وَإِنْ أَخَذَ إِنْسَانٌ جُرْذَا فَرَبَطَهُ فِي بَيْتٍ فَرَّتْ مِنْهُ الْجُرْذَانُ كُلُّهَا .  
وَإِنْ وُضِعَ فِي جُحْرِ الْجُرْذِ الْبَرِيِّ وَرَقُ الدَّفْلِيِّ<sup>(٣)</sup> مَاتَتِ الْجُرْذَانُ .

(١) كَبِدَتْ هُنَا ، أَيِ ذَهَبَ صَفَاؤُهَا ، مِنْ الْكِدَّةِ ، وَهِيَ تَغْيِيرُ اللَّوْنِ وَذَهَابُ صِفَاتِهِ .  
(٢) « جُنُوبًا » .

(٣) الدَّفْلِيُّ ، نَبْتٌ مِنَ الْعُطْمِ جَدَا ، وَهُوَ بَرِّيٌّ وَنَهْرِيٌّ ، فَوَرَقُ الْبَرِيِّ كَوَرَقِ الْحَقَاءِ بَلْ أَرْقَ ، وَقَضْبَانُهُ طَوَالٌ مُنْبَسِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَ الْوَرَقِ شَوْكٌ ، وَالنَّهْرِيُّ يَنْبَتُ فِي شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَشَوْكُهُ خَفِيٌّ ، وَوَرَقُهُ كَوَرَقِ الْخَلَّافِ وَوَرَقُ اللَّوْزِ ، عَرِيضٌ ، وَزَهْرُهُ كَلَّةٌ كَالْوَرْدِ الْأَحْمَرِ ، وَحَمَلُهُ يَشْبَهُ الْحَرْنُوبِ .

الدودة الهندية هي دودة القز ، لها في رأسها قرنان ، ثم تتحول بيضة  
ثم تتصور في هيئة أخرى ، ذات جناحين عريضين منتصبين ، وصناعتها  
دمقس الحرير .

النمل عمول مواظب ، فإذا جمع الحب قطعته كيلا ينبت إذا أصابه الندى  
والبلية ، ويخرجُه ويسطه عند فم الجحر ، فإذا يبس أدخله .  
ومن جرب طبائع النمل أدرك علم أزمان المطر والصحو .  
ومن أراد أن يقتل النمل فليدق الكبريت والحبق<sup>(١)</sup> ويذرهما في جحرته  
ولا يولد من تزأوج<sup>(٢)</sup> ، ولكنه يخرج منه شيء قليل صغير فيقع في الأرض  
فيصير بيضا ، ثم يتصور من البيض بالهيئة التي ترى ، وإذا شمت الورد موتت  
وأجنحتها مدبجة لا صقة بها .

البق والبعوض لا نتاج لهما ، وإنما تنجل<sup>(٣)</sup> من عفن الماء ووسخه ونثنه .  
ومن وضع غصن العنب في موضع تحت سريره لم يقربه بق ولا بعوض .  
ومن أراد ألا يتأذى بالبراغيث فليحفر في وسط البيت حفرة ويملاها  
دم تيس فإن البراغيث تجتمع هناك .

وإن وضع في الحفرة ورق دفل ماتت البراغيث .  
الخلد غير ذي عيين ، دائم الحفر في غير نفع ؛ وطعامه من أصول النبات  
وعروقه الذاهبة في الأرض ، فهو يصيب ذلك في خلال حفره .  
يقال : إن في بلد كذا نهرا ماؤه في البحر منحدرًا إليه على حال طبيعته

(١) الحبق محرقة : نبات طيب الرائحة ، حديد الطعم ، ورقه كورق الخلاف ، منه سهل  
ومنه جبلي ، وهو الذي يقال له : الفوتنج . وقال أبو حنيفة : إنه يشبه الريحانة التي تسمى  
النمام ، ويكثر نباته على الماء ، وهو أنواع كثيرة .

(٢) « يراوح » .

(٣) تنجل ، أي تولد .



ولذلك يصحب السفن مثل هذا بأصوات الناس ، فإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ، فلا يزال زامرا فيها حتى يفر الحوت إلى الساحل يطلب خزفا أو صخرة ، فإذا أصاب ذلك لا يزال يضرب به رأسه حتى يموت .

وركّاب السفينة يحبونه ويطلعونه . ويتفقدونه ، ليدوم إلههم وصحبته لسفيتهم ، ويسألوا به من ضرر السمك العادي .  
وإذا ألقوا شبكة ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور خلوه حيا وأخذوه<sup>(١)</sup> وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء .



وإني [قرأت<sup>(٢)</sup>] هذا الفصل على الوزير — كبت الله كل شأني له — في ليلتين ، فتعجب وقال : ما أوسع رحمة الله ؛ وما أكثر جند الله ؛ وما أغرب صنع الله . قلت : نعم ؛ وما أغفل الإنسان عن حق الله الذي له هذا الملك المبسوط<sup>(٣)</sup> ، وهذا الفلك المربوط ؛ وهذه العجائب التي تصعد<sup>(٤)</sup> فوق العقول التامة بالاعتبار والاختبار بعد الاختبار ؛ وإنما بث الله تعالى هذا الخلق في عالمه على هذه الأخلاق المختلفة والخلق المتباينة ، ليكون للإنسان المشرف<sup>(٥)</sup> بالعقل طريق إلى تعرف خالقها ، وبيان لصحة توحيده له بما يشهد من أعاجيبها ،

(١) عبارة الأصل « وأخذوا أصناف السمك » ، وقوله : « وأخذوا » واقعة في غير موقعها ، وقد أثبتناها في الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك .

(٢) عبارة الأصل « وأن هذا الفصل على الوزير كتب الله » ، وفيها نقص وتعريف كما هو ظاهر .

(٣) المبسوط .

(٤) « تصعد » .

(٥) المشرف .

ست ساعات ، وفي الست الثانية يحتبس ماؤه في ينبوعه ويرى جوفه ناضبا<sup>(١)</sup>  
قد يبس .

ونهر آخر يجري في كل سبع سنين نهر كبريت ، ولا يكون فيه سمك ، لأن  
مائه يتغير في كل يوم ثلاث مرات ، وينبعث<sup>(٢)</sup> منه شبه نور ليس له رأس .  
وأهل الشام إذا أرادوا أخذه ألغوه في سفينة ، ولا يستطيعون قطعه  
بفأس ولا كسره بحجر ، إنما يؤتى بالماء المُنْتِن ودم الحيض فيخلطان جميعا  
ثم يَنْضَحَان عليه ، فإذا وقعا عليه تحلل وتكثل كُتْلًا<sup>(٣)</sup> صغارا ، وتُسْعَلُ في  
أشياء يُنْتَفَعُ بها .

عين النار تنبع منها نارٌ تغىء بالليل للسيارات فلا تطفأ<sup>(٤)</sup> ولا تحتاج إلى  
شئ يمسكها ، لكنها محفوظة بالحجارة ؛ إن سَمَلَ إنسانٌ منها شُعْلَةً قَبَسَ إلى  
موضع لم تُوقد .

البحر الميت يقال له ذلك لأنه يموت فيه كلٌ حي .

السّرطان ينسلخ جلده في السنة سبع مرات ، ويتخذ بجُحره بايين ؛  
أحدهما شارعٌ إلى الماء ، والآخر إلى اليبس ؛ وإذا سلخ جلده سدَّ عليه الشارع  
إلى الماء لكيلا يدخل السمكُ فياكله ؛ إلا أنه يدع الذي إلى اليبس مفتوحا  
فتصيبه الريح وما يَنْفَعُ لَحْمَهُ وَيَقْصِمُهُ ، فإذا اشتدَّ لَحْمُهُ وعاد إلى حاله فَتَحَّ  
ذلك المسدود وسلك في الماء وطلب طعمه وما يقيم حياته .

الزّامور حوت صغير الجسم إلفٌ لأصوات الناس ، مستأنسٌ بأسماعها

(١) « ناضبا » .

(٢) « ينبعث » .

(٣) « وتكثل كيلا » .

(٤) « يطفئها » .



ونيل لرضوانه بما يتزود من عبّره التي يجد فيها ، وليكون له موقظٌ منها ، وداعٌ حادٌ<sup>(١)</sup> إلى طاعة من أبدأها وأبرزها ، وخطأها وأفردَها .

فقال : قد كنت قلت : إنه يجري كلامٌ في النفس منذ ليالٍ ، فهل لك في ذلك ؟ .

قلت : أشدّ الميل<sup>(٢)</sup> وأوحاه ، لكن بشرط أن أحكي ما عندي ، وأروى ما حصلتُ من هذه العصابة بسماعي وسؤالي . فقال : نستأنف<sup>(٣)</sup> الخوض في ذلك — إن شاء الله — فإن النعسة<sup>(٤)</sup> قد حدثت العين ، فأنا كما قال :

قد جمل النعاسُ يغرنديني<sup>(٥)</sup> أدفقه عني ويسرنديني

أنشدني أبياتا ودّعني بها ، ولتكن من سرارة<sup>(٦)</sup> نجد ، ليشتّم منها ريحُ الشّيح والقيصوم .

فأنشدته لأعرابي قديم :

مُطِرْنَا فلما أن رَوينا تهادرت شقاشقُ منها رائبٌ وحليبٌ<sup>(٧)</sup>  
ورامت<sup>(٨)</sup> رجالٌ من رجالِ ظُلامةٍ وعادت دُحولٌ بيننا وذُنوبٌ<sup>(٩)</sup>

(١) « صام » .

(٢) « المثل » .

(٣) « نستأنف » .

(٤) « النفس » .

(٥) يغرنديني ويسرنديني ، يريد أن النعاس يغلبه ويملؤه . وفي الأصل : « يغرنديني » بالعين المهملة . ولم يرد في اللسان فائق هذا الشعر .

(٦) « سرارة » .

(٧) تهادرت أي تساقطت . والشقاشق : جمع شقشقة ، وهي جرة البعير معروفة ، وكفى بتهادر الشقاشق عن الحصومة بين القوم وتتمر بعضهم لبعض . يقول : لما أخصبت أرضنا تتمر بعضنا لبعض وتها كل فريق منا لمحاربة فريق ، كما يدل على ذلك البيت الذي يليه .

(٨) « رابت » .

(٩) الدحول : جمع ذحل بفتح الدال ، وهو النار .

وَنَصَّتُ رِكَابٌ لِلصَّبَا فترَوَّحتَ<sup>(١)</sup> لمن بما هاج الحبيبَ حبيبُ<sup>(١)</sup>  
 وَطِئْتُ<sup>(٢)</sup> فِئَاءَ الْحَيِّ حَتَّى كَانَهُ رَجَا<sup>(٣)</sup> مَنَهِلٍ مِنْ كَرَّهِنِ نَخِيبِ  
 بَنَى عَمَّنَا لَا تَعْبَلُوا يَنْضَبُ الثَّرَى غَلِيلًا وَيَشْفِي الْمُسْرِفِينَ طَيْبُ<sup>(٤)</sup>  
 فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتَ وَامْتَرَتْ الْقُرَى وَحُثَّتْ رِكَابُ الْحَيِّ حِينَ تَوُوبُ<sup>(٥)</sup>  
 وَصَارَ<sup>(٦)</sup> عَيْوَفَ الْخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا — ذُو جِدَّتَيْنِ قَشِيبُ<sup>(٧)</sup>  
 وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خَنْزُورَانَةٌ<sup>(٨)</sup> يُنَادِي إِلَى دَاعِي الرَّدَى فَيَجِيبُ  
 أَوْلَشَكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا الْفَتَى أَلَا<sup>(٩)</sup> سَكَيْتُ<sup>(١٠)</sup> أَمَ أَشْمُ نَجِيبُ  
 فَعَجِبَ وَقَالَ : هَذَا جَنَى غَرَمٍ قَدْ جُذَّ أَصْلُهُ ، وَتَزِيحُ قَلْبٍ قَدْ غَارَ مَدُّهُ  
 وَجَزَرُهُ ، وَانصرفت .

- ( ١ ) وَنَصَّتُ رِكَابٌ لِلصَّبَا ، أَيْ رَفَعْتُ أَعْنَاقَهَا لِرِيحِ الْعَصَا تَسْتَرْوِحُهَا . وَفِي الْأَصْلِ :  
 « وَفَضَّتْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
 ( ٢ ) « وَطِئْتُ » .  
 ( ٣ ) رَجَا الْبُتْرُ : نَاحِيَتُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالنَّخِيبُ :  
 الْمَنْخُوبُ ، أَيْ الْمَنْزُوعُ الْجُوفُ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَجِيبُ » . شَبَّهَ فِئَاءَ الْحَيِّ وَقَدْ وَطِئَتْهُ هَذِهِ  
 الرِّكَابُ بِجَانِبِ مَنْهَلٍ مَنْخُوبٍ الْجُوفُ مَهْدَمٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَطَوَّاهُ أَقْدَامُ الْوَرَادِ .  
 ( ٤ ) نَضُوبُ الثَّرَى : كُنَايَةٌ عَنِ التَّقَاطُعِ بَيْنَ الْقَوْمِ ، قَالَ جَرِيرٌ :  
 فَلَا تَوْبَسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الثَّرَى فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَثَرَى  
 ( ٥ ) امْتَرَتْ الْقُرَى : امْتَجَعَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهَا الْمِيرَةَ .  
 ( ٦ ) صَارَ يَصُورُهُ ، أَيْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَمَالَهُ نَحْوَهُ . يُشِيرُ إِلَى حُلُولِ الْجَدْبِ وَإِرْخَاصِ الْفَقْرِ  
 أَقْدَارَ الْعَلِيَّةِ ، فَيَسْتَطِيعُ مِنْ لَهُ ثَوْبِينَ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ أَيْ كَرَمُ الْعَقَائِلِ الْكَرِيمَةِ عَلَى قَوْمِهَا بِمَا لَهُ  
 مِنْ يَسِيرٍ غَنَى وَإِنْ اتَّضَعُ لِسَبِّهِ .  
 ( ٧ ) « مَشِيبُ » .  
 ( ٨ ) الْخَنْزَوَانَةُ : الْكَبَرُ .  
 ( ٩ ) « أَلَا كَانَ » .  
 ( ١٠ ) السَّكَيْتُ : الَّذِي يَحْمِيهِ آخِرُ خَيْلِ الْحَلْبَةِ .



### الليلة الثالثة عشرة<sup>(١)</sup>

(٢) فلما حضرت ليلةً أخرى قال : هات . قلتُ : إني الكلام في النفس صعب ، والباحثون عن غيبها وشهادتها وأثرها وتأثيرها في أطراف متناوذة<sup>(٣)</sup> وللنظر فيهم تبحال ، وللوهم عليهم سلطان ، وكلُّ قد قال ما عنده بقدر قوته ولحظه ، وأنا آتي بما أحفظه وأرويه<sup>(٤)</sup> ، والرأي بعد ذلك إلى العقل الناصح والبرهان الواضح .

قال بعض الفلاسفة : إذا تصفّحنا أمر النفس لحفظناها<sup>(٥)</sup> تفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن ، لأن الإنسان إذا تصوّر بالعقل شيئاً فإنه لا يتصوره بآلة كما يتصور الألوان بالعين والروائح بالأنف ، فإن الجزء الذي فيه النفس من البدن لا يسخن ولا يبرد ولا يستحيل من جهة [ إلى<sup>(٦)</sup> ] أخرى عند تصوّره بالعقل ، فيظنّ الظانّ منّا أن النفس لا<sup>(٧)</sup> تفعل بالبدن ، لأن هذه الأمور ليست بجسم ولا أعراض جسميّة .

وقد تعرف النفس أيضاً الآن من الزمان والوحدة واليقظة ، وليس لأحد أن يقول : إن النفس تعرف هذه الأشياء بحسّ من الإحساس ، ففعل النفس

(١) يلاحظ أننا ذكرنا في الليلة السابقة أنها الليلة الحادية عشرة ، والصواب أنها ليلتان الحادية عشرة والثانية عشرة ، كما يتبين ذلك من قوله : « في ص ١٩٥ س ١٠ : « ولاني قرأت هذا الفصل على الوزير كبت الله كل شأني له في ليلتين » ولهذا جعلنا هذه الليلة الثالثة عشرة .

(٢) متناوذة ، أي متقابلة .

(٣) « وأرومه » .

(٤) « لحفظناها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٦) في الأصل : « إنما » والتعليل الآتي بعد يقتضي أداة النفي كما أثبتنا .

إذن يفارق البدن ، وتأليف البرهان أن يكون على أن يقال : للنفس أفعال تخصها خلوة من البدن ، مثل التصور بالعقل ، وكل ما له فعل يخصه دون البدن فإنه لا يفسد بفساد البدن عند المفارقة .

وقال أيضا : وجدنا الناس متفقين على أن النفس لا تموت ، وذلك أنهم يتصدقون عن موتهم ، فلو أنهم يتصورون أن النفس لا تموت ، ولكنها تنتقل من حال إلى أخرى إما إلى خير وإما إلى شر ؛ ما كانوا يستغفرون لهم ، وما كانوا يتصدقون على موتهم ويوزرون قبورهم .

وقال أيضا : النفس لا تموت ، لأنها أشبه بالأمر الإلهي من البدن ، إذ كان يدبر البدن ويرأسه .

والله جل وعز المدبر لجميع الأشياء ، والرئيس لها . والبدن أشبه شيء بالشيء الميت من النفس إذ كان البدن إنما يحيا بالنفس .

وقال أيضا : النفس قابلة للأضداد ، فهي جوهر ، فالفائدة أن النفس جوهر .

وقال : النفس ليست بهيولى ، فلو كانت هيولى لكانت قابلة للعظم ، فليست النفس إذاً بهيولى .

وقال : ليست النفس بجسم ، لأن النفس نافذة في جميع أجزاء الجسم الذي له نفس ، والجسم لا ينفذ في جميع أجزاء الجسم <sup>(١)</sup> ؛ ولا هيولى ، لأن النفس لو كانت هيولى لكانت قابلة للمقادير والعظم <sup>(٢)</sup> ، وفائدة هذا أن النفس جوهر على طريق الضرورة .

(١) « النفس » .

(٢) يلاحظ أن هذا الكلام مكرر مع ما سبق من قوله : النفس ليست بهولى الخ .



وقال آخر : حركة كل متحرك تنقسم قسمين : أحدهما من داخل ، وهو  
قسمان : قسم كالطبيعة التي لا تسكن البتة ، كحركة النار مادامت نارا ، وقسم هو  
حركة<sup>(١)</sup> النفس تهيج أحيانا وتسكن أحيانا ، وكحركة جسد الإنسان التي تسكن  
إذا خرجت نفسه وصار جيفة .

والقسم الآخر من خارج ، وهو قسمان : أحدهما يدفع دفعا كما يدفع السهم  
ويُطلق عن القوس ، والآخر يُجَرُّ جرًّا كما تُجَرُّ العجلة والجيفة .

وقال : فنقول : ليس يخفى أن جسدنا ليس مدفوعا دفعا ولا مجرورا جرًّا  
و[لما]<sup>(٢)</sup> كان كل مدفوع أو مجرور متحرك من خارج متحرك كما لا محالة  
من داخل ، فالجسد إذن متحرك من داخل أضرارا .

وقال : إن كان جسدنا متحركا من داخل ، وكان كل متحرك من داخل  
إما متحركا كحركة طبيعية لا تسكن ، وإما نفسية تسكن .

فليس<sup>(٣)</sup> يخفى أن حركة جسد الإنسان ليست بدائمة لا تسكن ،  
بل ساكنة [لا]<sup>(٤)</sup> تدوم ، وكانت حركة كل ما سكنت حركته فلم تدم ليست  
حركة طبيعية لا تسكن ، بل نفسية من قبل نفس تحركه وتحسسه .

وقال : إن كانت النفس هي التي تحيي الإنسان وتحركه ، وكان كل  
محرك يحرك غيره حيا قائما موجودا ، فالنفس إذا حية قائمة موجودة .

وقال أيضا : النفس جوهر لا عرض ، وحدّ الجوهر أنه قابل للأضداد  
من غير تغير ، وهذا لازم للنفس ، لأنها تقبل العلم والجهل ، والبز والفجور

(١) « حركة » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٣) في الأصل : « وقال ليس » . والظاهر أن قوله : « وقال » زيادة من الناسخ .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل .

والشجاعة والجلين ، والعفة وضدّها ، وهذه أشياء أضدادٌ ، من غير أن تتغير في ذاتها ، فإذا كانت النفس قابلةً لحدّ الجهر ، وكان كلُّ قابلٍ لحدّ الجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : قد استبان أن النفس هي المحيية المحركة للجسد الذي هو الجوهر و [لما] كان كلُّ مُحيٍّ محرّكٍ للجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : لا سبيل أن يكون المُحيي المحركُ جوهرًا ويكون المحيى المحركُ غيرَ جوهر ، فإذا كانت هي المحيية المحركة للجسد ، وكان لا يمكن أن يكون المحيى المحركُ للموجود غير موجود ، فالنفس إذا لا يمكن [أن تكون<sup>(١)</sup>] غير موجودة .  
وقال : إن كانت النفس بها قوَى وحياةُ الجسد ، فيمتنع أن يكون قوامها بالجسد ، بل بذاتها التي قامت بها حياة الجسد .

وقال : إن كانت النفس قائمة بذاتها التي قامت بها حياة الجسد ، فما كان قائمًا بذاته فهو جوهر ، فالنفس إذا جوهر .

وقد أملى علينا أبو سليمان كلامًا في حديث النفس هذا موضعه ، ولا عذر في الإمساك عن ذكره ليكون مضمومًا إلى غيره ، وإن كان كلُّ هذا لم يجز على وجهه بحضرة الوزير — أبقاه الله ومد في عمره — لكن الخوض في الشيء بالقلم مخالفٌ للإفاضة باللسان ، لأنَّ القلم أطولُ عِنانًا من اللسان ، وإفضاء<sup>(٢)</sup> اللسان أخرجُ من إفضاء القلم ، والغرض كله الإفادة ، فليس يكثُر الطويل .

قال : ينبغي أن نعرف باليقظة التامة أن فينا شيئًا ليس بجسم له مدّات ثلاث : أعنى الطول والعرض والسّمك ، ولا يجزأ من جسم ولا عرض من

(١) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) « وقضا » .



الأعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسميّة ، لكنّه جوهر مبسوط غير مُدرك بحسّ<sup>(١)</sup> من الإحساس . ولما وجدنا فينا شيئاً غير الجسم وضدّ أجزائه بحدّته وخاصّته ، ورأينا له أحوالاً تُباين أحوال الجسم حتّى لا تُشارك في شيء منها وكذلك وجدنا مباينته للأعراض ، ثم رأينا منه هذه المباينة للأجسام والأعراض إنّما هي من حيث كانت الأجسام أجساماً والأعراض أعراضاً ؛ قضينا أنّها هنا شيئاً ليس بجسم ولا جزء من الجسم ، ولا هو عرض ، ولذلك لا يقبل التغيّر ولا الحيلولة ، ووجدنا هذا الشيء أيضاً<sup>(٢)</sup> يطلع على جميع الأشياء بالسواء ولا يناله فتور ولا ملال ، ويتضح هذا بشيء أقوله : كلّ جسم له صورة فإنّه لا يقبل صورة أخرى من جنس صورته الأولى البتّة إلّا بعد مفارقتها الصورة الأولى ، مثال ذلك أنّ الجسم إذا قبل صورة أو شكلاً كالتثليث ، فليس يقبل شكلاً آخر من التربييع والتدوير إلّا بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا قبل نقشا أو مثالا فهذا حاله ، وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء لا يقبل الصورة الأخرى<sup>(٣)</sup> على النظم الصحيح ، بل تُنقش فيه صورتان ، ولا تتمّ واحدة منهما ، وهذا يطرد في السمع<sup>(٤)</sup> وفي الفضة وغيرها إذا قبل صورة تُنقش في الخاتم ؛ ونحن نجد النفس تقبل الصور كلّها على التمام والنظام من غير نقص ولا عجز ، وهذه الخاصّة ضدّ الخاصّة الجسم ، ولهذا<sup>(٥)</sup> يزداد الإنسان بصيرة كلّما نظر وبحث وأرتأى وكشّف .

(١) « يحسّ » .

(٢) هذه الكلمة وردت في الأصل في غير موضعها اللاتق بها من العبارة ؛ والسياق يقتضى وضعها في هذا الموضع .

(٣) « الأول » .

(٤) « السمع » .

(٥) « ولها » .

ويتضح أيضا عن كُتَب<sup>(١)</sup> أن نفس ليست بعَرَض ، لأنَّ العَرَض لا يوجد إلَّا في غيره ، فهو محمول لا حامل وليس هو قِوَامًا ، وهذا الجوهر الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لما لها أن تتَحَمَّلَ ، وليس له شبه من الجسم ولا من العَرَض .

وكان يقول : إذا صدق النظر ، وكان الناظر عازيا من الهوى ، وصحَّ طلبه للحق بالعشق الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرق بين النفس المحرَّكة للبدن ، وبين البدن المتحرك بالنفس .

قال : ولما عرضت الشبهة لقوم قصر نظرهم ، ولم يكن لهم لحظ ولا اطلاع فظنوا أنَّ الرباط الذي بين النفس والبدن إذا انحَلَّ فقد بَطَلَ جميعا .

وهذا ظنٌّ فيه عَسْف ، لأنَّهما لم يكونا في حال الارتباط على شكل واحد وصورة واحدة ، أعني أنَّهما تَبَايَنَا<sup>(٢)</sup> في تصاحُبهما وتَصاحُبًا في تَبَايُنهما<sup>(٣)</sup> . ألا ترى أنَّ البدن كان قِوَامُهُ ونظامُهُ وتَمَامُهُ بالنفس ؟ هذا ظاهر .

وليس هذا حُكْمُ النَّفْسِ في شأنها مع البدن ، لأنَّها واصلتُهُ في الأول عند مسقط النطفة ، فما زالت ترَبِّيهِ وتغذِّيهِ وتُحْيِيهِ وتُسَوِّيهِ حتَّى بلغ البدنُ إلى ما تَرَى ، ووُجِدَ الإنسانُ بها ، لأنَّ النفس وحدها ليست بإنسان ، والبدن وحده ليس بإنسان ، بل الإنسان بهما إنسان ، فإذا الإنسان نصيبُهُ من النفس أكثرُ من نصيبه من البدن .

وهذه السكثرة توجَدُ في الأول من ناحية شرفِ النفس في جوهرها ، وتوجَدُ في الثاني من جهة صاحب النفس الذي هو الإنسان بما يستفيذه من المعارف

(١) « ونصح أيضا عن كسب » .

(٢) « تباينا » .

(٣) « تباينهما » .



الصحيحة ، ويضّمه إلى الأفعال الواجبة الصالحة ، فأمر المعارف الصحيحة معرفة الله الواحد الحق باليقين الخالص ، وأمر الأفعال الواجبة الصالحة العبادة له والرضوان عنه .

وغاية المعرفة الاتصال بالمعروف ، وغاية الأفعال الواجبة الفوز بالنعيم والخلود في جوار الله ، وهذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إلى الجواز عليه كل من رجع إلى بصيرة وآوى إلى حُسن سيرة .

فأما من هو عن هذا كله عم<sup>(١)</sup> وعمّا يجب عليه ساء ، فهو في قطع النعم ، وإن كان متقلّباً في أصناف النعم .

(٢) وكان يقول كثيراً : الناس أصناف في عقولهم : فصنّف عقولهم مغمورة بشهواتهم ، فهم لا يبصرون بها إلا حظوظهم المعجلة ، فلذلك يكذّون<sup>(٢)</sup> في طلبها وتثليها ، ويستعينون بكلّ وسع وطاقة على الظفر .

وصنّف عقولهم منتهبة<sup>(٣)</sup> ، لكنها مخلوطة بسبات<sup>(٤)</sup> الجهل ، فهم يحرّضون على الخير واكتسابه ، ويخطئون كثيراً ، وذلك أنهم لم يكملوا في جيلتهم الأولى وهذا نعت موجود في المباد الجهلة والعلماء الفجرة ، كما أن النعت الأول موجود في طالبي الدنيا بكل حيلة ومحالة .

وصنّف عقولهم ذكية منتهبة ، لكنها عميّة عن الآجلة ، فهي تدأب في تئيل الحُظوظ بالعلم والمعرفة والوصايا اللطيفة والشّمة الربّانية ، وهذا نعت موجود في العلماء الذين لم تثلج صدورهم بالعلم ، ولا حقّ عندهم الحق اليقين ؛ وقصّروا

(١) « عميم » .

(٢) « يكسبون » .

(٣) « منته » .

(٤) « بسبات » .

بن حال أبناء الدنيا الذين يشهرون في طلبها السيوف الحداد ، ويطيلون إلى نيلها سواعد الشَّداد<sup>(١)</sup> فهم بالكيد والحيلة يسعون في طلب اللذة وفي طلب الراحة<sup>(٢)</sup> .  
وصنف عقولهم مضيئة بما فاء عليها من عند الله تعالى باللفظ الخفي ،  
الأصطفاء السني ، والأجتهاء الزكي ، فهم يحملون بالدنيا ويستيقظون بالآخرة ؛  
تراهم حضورا وهم غيب ، وأشياء وهم متباينون .

وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة ، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ .  
وهذا كما تقول : « الملوك ساسة » ، ولكل واحد منهم خاصة ؛ وكما يقولون :  
« هؤلاء شعراء ولكل واحد منهم بحر » ؛ « هؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم  
أسلوب » وكما تقول : « علماء ، ولكل واحد منهم مذهب » .

وعلى هذا أبو سليمان — حفظه الله — إذا أخذ في هذا الطريق أطرب ،  
لسعة صدره بالحكمة ، وفيص صوبه من المعرفة ، وصحة طبيعته بالفطرة .

وقال : إننا بعد هذا المجلس تركنا صنفا لم نرسمه بالذكر ، ولم نعرض له<sup>(٣)</sup>  
بالاستيفاء ، وهم الهمج الرعاع الذين إن قلت : « لا عقول لهم » كنت صادقا ، وإن  
قلت : « لهم أشياء شبيهة بالعقول » كنت صادقا ؛ إلا أنهم في العدد ، من جهة  
النسبة العنصرية والجليلة الطينية والفطرة الإنسية ، وفي كونهم في هذه الدار عمارة  
لها ومصالح لأهلها ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : « لا تسبوا الفوغاء فإنهم يُخرجون  
الغريق ويُطفئون الحريق ويُؤنسون الطريق ويشهدون الشوق » .

فضحك — أضحك الله ثغره ، وأطال عمره ، وأصلح شأنه وأمره — فقال :

(١) « السداء » .

(٢) « البرحة » .

(٣) « عليه » .



وكالإشارة في العُلم ، وليست حلما ولا أتباها في الحقيقة ، لأن هذين نعتان محمودان في عالم السيلان والتبدل ، جاريان على التخيل والتجوز بزوائد لا ثبات لها ونواقص لا مبالاة بها ، رُوحانية في رُوحانية ، كما يقال : « هذا صفو هذا » ؛ و « هذا صفو الصفو » ومن لحظ هذه الكيفية<sup>(١)</sup> وبُشير صدره بهذه الحقيقة أستغنى عن رسوم محدودة بألف ولام ، وحقائق مكنونة في عرض الكلام ؛ وإذا جهلنا أشياء هي لأهل الأنس<sup>(٢)</sup> بلغات قد فُطروا عليها ، وعبارات أنسوا بها ، كيف نجد السبيل إلى الإفصاح والإشارة إليها .

فهذا باب واضح ، والطمع في نيله نازح ؛ وإذا كانت التمثال صمبا<sup>(٣)</sup> في الموضع الذي عمدنا إليه ، فكيف يكون حالنا في البحث عما في حيز الألوهية وبمحبوحة الربوبية ، ولا كون هناك ولا ما نسبته لكون ؛ وأقوى ما في أيدينا أن نتعلل بالوجود ، فالموجود والوجدان والوجود ، وهذه كلها غليظة بالإضافة إلينا وفوق الدقيقة بالإضافة إلى أعيانها .

فقل هذا ، الصمت أوجد للراد من النطق ، والتسليم أظفر بالبغيه من البحث .

قال البخاري<sup>(٤)</sup> : فشيء كهذا<sup>(٥)</sup> بدقيقه وإشكاله ، وغوضه وخفائه ، كيف يظهر على جيلة بشرية وبنية طينية وكمية مادية وكيفية عنصرية ؟ .

فقال : يا هذا ، إنما يشع من هدم السكينة على قدر ما أستودع صاحبها من

(١) « الكفة » .

(٢) يريد الأنس بمعرفة الله . وفي الأصل « أندلس » .

(٣) « صدقا » .

(٤) البخاري ، هو أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان النطق وصديقه ، كثير السؤال والمجادلة له ، كما يتبين مما حكاه أبو حيان عنه في المقابسات .

(٥) « فشا هذا » .

قد جرى في حديث النفس أكثر مما كان في النفس ، وفيه بلاغ إلى وقت ، وأظن الليل قد تغطى<sup>(١)</sup> بعصبيه ، وناء بكلكله ؛ وانصرفت .

### الليلة الرابعة عشرة

(١) ومَرَّ بعد ذلك في عرض السَّمر : ما تَقَلَّدَ أمرؤ قِلَادَةً أَفْضَلَ من سَكِينَةٍ .  
 فقال : ذَكَرْتُ شَيْئاً كُنْتُ مَهْتَمّاً بِهِ قَدِيمًا ، وَالْآنَ قَرَعْتَ إِلَيَّ بَابَهُ ؛ مَا السَّكِينَةُ ؟  
 فَإِنِّي أَرَى أَصْحَابَنَا يَرَدُّونَ هَذَا الْأَسْمَ وَلَا يَبْسُطُونَ الْقَوْلَ فِيهِ . فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ :  
 سَأَلْتُ أَبَا سَلِيمَانَ عَنِ السَّكِينَةِ مَا هِيَ ؟ فَقَالَ : السَّكِينُ كَثِيرَةٌ : طَبِيعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ  
 وَعَقْلِيَّةٌ ، وَإِلَهِيَّةٌ . وَمَجْمُوعَةٌ مِنْ هَذِهِ بِأَنْصِبَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمَقَادِيرٍ مُتَفَاوِتَةٍ وَمَتَبَاعِدَةٍ .  
 وَالسَّكِينَةُ الطَّبِيعِيَّةُ اعْتِدَالُ الْمَزَاجِ بِتَصَالِحِ الْأُسْطَقْسَاتِ ، تَحَدُّثُ بِهِ لِصَاحِبِهِ  
 شَارَةً تُسَمَّى الرِّقَارَ ، وَيَكُونُ لِلْعَقْلِ فِيهَا أَثَرٌ بَادٍ ، وَهُوَ زِينَةُ الرُّثْوَاءِ الْمَقْبُولِ .  
 وَالسَّكِينَةُ النَّفْسِيَّةُ مِمَّا ثَلَّةَ الرُّوِيَّةُ لِلْبَدِيَّةِ ، وَمَوَاطَاةُ الْبَدِيَّةِ لِلرُّوِيَّةِ ، وَقَصْدُ  
 الْغَايَةِ بِالْمُهَيْثَةِ الْمُتَنَاسِبَةِ ، يَحْدُثُ بِهَا لِصَاحِبِهَا سَمْتٌ ظَاهِرٌ وَرُتُونٌ دَائِمٌ وَإِطْرَاقٌ  
 لَا أُجُومَ<sup>(٢)</sup> مَعَهُ ، وَغَيْبَةٌ لَا غَفْلَةَ مَعَهَا ، وَشَهَادَةٌ<sup>(٣)</sup> لَا طِيْشَ فِيهَا .  
 وَالسَّكِينَةُ الْعَقْلِيَّةُ حُسْنُ قَبُولِ الْأَسْتَفَاضَةِ بِنَسْبَةٍ تَامَةٍ إِلَى الْإِفَاضَةِ ؛ وَمَعْنَى  
 هَذَا أَنَّ الْقَابِلَ مُسْتَغْرِقٌ بِقُوَّةِ الْمَقْبُولِ مِنْهُ ، وَبِهَذِهِ الْحَالِ يَحْدُثُ لِصَاحِبِهَا هَدًى  
 يَشْتَمِلُ عَلَى وَزْنِ الْفِكْرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ مَعَ سُكُونِ الْأَطْرَافِ فِي أَنْوَاعِ الْحَرَكَاتِ .  
 وَالسَّكِينَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَا عِبَارَةَ عَنْهَا عَلَى التَّحْدِيدِ ، لِأَنَّهَا كَالْحُلْمِ فِي الْإِتْبَاهِ

(١) يشير إلى قول امرئ القيس يخاطب الليل :

فقلت له لما تغطى بعصبيه وأردف أبحازاً وناء بكلكل  
 كنى بذلك عن طول الليل .

(٢) « وجوه » .

(٣) « وشهادة » .



نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار  
وأعتدال الأفعال ، وصلاح العادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة  
السِّرِّ ومساواته للعلائية ، وغلبته بالتوحد ، وانتظام كلِّ صادر منه ووارد عليه .  
وهاهنا تتمحى الجِبِلَّةُ البَشَرِيَّةُ ، وتبَدَّدُ الجِبِلَّةُ الطَّيْنِيَّةُ ، وتَبِيدُ الكَمِّيَّةُ المَادِّيَّةُ  
وتعفو الكَيْفِيَّةُ<sup>(١)</sup> العنصرية ، ويكون السلطان والولاية والتصريف والسياسة  
كلُّها لتلك السكينة التي قدَّمنا وصفنا لها ، واشتدَّ وجدُّنا بها ، وطال شوقنا إليها  
ودام تحديقنا نحوها ، وأتصل رُتُونًا إليها ، وتناهت نَجْوَانًا بذِكْرِها .

وهذا هو الخَلْعُ الَّذِي سمعتَ بذكره ، واللِّبَاسُ الَّذِي سألتَ عنه ، أعنى خَلْعَ  
ما أنت منه إنسان ، وليسَ ما أنت به مَلَكٌ . [ اللهُ ] المُسْتَعَاثُ مِنْكُمْ ، ما أشدَّ  
بلواي بكم ، لِمَ تتحرَّكون إلا إلى ما لا سكون لكم فيه ؟ ولِمَ تسألون عمَّا لا أطلع  
لكم عليه ؟ سلوا ربَّكم أعينًا بصيرة ، وآذانًا واعية ، وصدورًا طاهرة ، وقوَّة  
متتابعة ، فإنكم إذا مُنِحْتُمُوهَا هُدًى لها ، وإذا حُرِّمْتُمُوهَا قُطِعَتْ دونها ، ولا  
حول ولا قوَّة إلا بالله .

قال البخارى : وقد تركنا يا سيِّدنا حديث السكينة المجموعة من هذه الجملة  
بأنصباء مختلفة .

فقال : لا عجب أن يُنشأ العالمُ بكلِّ ما فيه في هذه الحومة<sup>(٢)</sup> التي لُذْنَا  
بها وحاولنا الوصولَ إليها ؛ وأى شيء أعجَبَ<sup>(٣)</sup> في هذا المقام ، رسم أوقوام ،  
أو ثبات أو دوام ، إلا<sup>(٤)</sup> له نصيب من عناية الله تعالى الكريم .

(١) « الكمية » .

(٢) « الحومة » .

(٣) عبارة الأصل : « أعجب له » ، ويلوح أن قوله « له » زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : « إلا ما له » وقوله : « ما » زيادة من الناسخ .

نعم ، والسكينة المجموعة من كل ما سلف القول فيه تقاسمها نوع الإنسان بالزيادة والنقصان ، والغموض والبيان ، والقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، وهذا يتبين بأن تقسيم الطيش والحدة والعجلة والخفة على أصحابها ، فتجد التفاوت ظاهراً .

وكذلك إذا قسمت الهدوء والقرار والسكون والوقار على أهلها ، فإنك تجد التباين مكشوفاً والأختلاف ظاهراً .

ثم قال : أما السكينة التي هي في أعلى المراتب فهي لأشخاص هم فوق البشر ، وليس لهم نسبة من الخلق إلا الخلقة الحسية والعشرة البشرية ، وإلا فهم في ذروة عالية ، ومحللة إلهية .

قال : وأما السكينة التي تلي هذه فهي للأنبياء على أختلاف حفظهم منها لأنها مراتب تنقسم بين المنام واليقظة انقساماً متفاوتاً بالعرض الحامل للصدق والتشبيه بالصدق ، وللحق والقرب من الحق ، وللصحيح والتالي للصحيح ، ثم يختلف بيانهم عن<sup>(١)</sup> ذلك بالتمريض والإيضاح ، والكناية والإفصاح ، والتشبيه والاستعارة .

قال : فأما السكينة التي تتلو هذه فهي التي تظهر على طائفة تخلف الأنبياء ، وذلك أن بقايا قوام يرثها الذين محبوبهم ، واستضاءوا بنورهم ، وفهموا عنهم ، ولقنوا منهم ، ودخلوا في زمرة ، وحاكوا في الشئائل والأخلاق ، وسلكوا منهاجهم في القياد والسياق ، وصلحوا سفراء بين الأبعدين ، كما كانوا سُبُجَاء<sup>(٢)</sup> للأقربين ، وهم الذين يفسرون الغامض ، ويوضحون المشكل ، ويبسطون المطوى ، ويشرحون المكنى ، ويبرزون المراد والمعنى ، ويوطدون الأساس ،

(١) « ما بهم طي » .

(٢) « سبجاً » . والسبجاء : الأصدقاء الأصفياء .



ويرفعون الالتباس ، وينفون الوحشة ويحدثون الإيناس .  
 وأما السكينة الباقية فهي منفضة على أتباع هؤلاء بالسَّهام العلوية ، والمقادير  
 العدلية ، والمناسيب العقلية ، من غير جَوْر ولا حَيْف ، ولا انحراف ولا ميل .  
 فقال البخاري : أهي — أعنى السكينة — في معنى فاعلة أو مفعولة ؟ فقال :  
 الفضاء أعرض <sup>(١)</sup> مما تظن ، وإن كان في غاية العرض ؛ والذروة أعلى من أن  
 ترام وإن كان الإنسان يطلبها بالبسط والقبض .  
 هي بوجه في معنى فاعلة إذا شعرت بتأثيرها ، وبوجه آخر في معنى مفعولة إذا  
 شعرت بتأثيرها .

وبوجه آخر ، ليست من هذين القبيلين في شيء إذا لحظتها في معانيها قبل  
 تأثيرها وتأثيرها ، وأنت تعتبر حد الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ووزن الترتيب ،  
 بشائع العادة وقائم العرف ، والسكينة وراء هذا كله بالحق والواجب والصحة والتمام  
 فإنها صراط الله للمخصوصين بالاستقامة عليه ، فإذا شهدت المخصوص بها كانت  
 عبارتك عن الملحوظ منها مشاكلةً لعبارتك عن أخلاق رضىة وأحوال مرضية ،  
 وإذا شهدت ذلك المعنى من معاني الحق كانت عبارتك متلجلجة لا نظام لها  
 ولا تعادل ولا اتساق على العادة الجارية والحال الطارئة ؛ فأحق ما ينبغي لطالب  
 الحكمة واللائذ بهذه الحومة أن يبحث وينظر ، ويكشف وينقر ، ويستقصي ويستبصر <sup>(٢)</sup>  
 ويسأل ويستبصر ؛ حتى إذا بلغ هذه الآفاق ، وشهد هذه الأعلام ، ووجد الصواب  
 الذي لا شوب فيه ، وصادف اليقين الذي لا ريب معه ، وعرف الاستبانة التي تغني  
 عن البيان ، وذاق المعنى الذي هو فوق العيان ، أمسك واتمى ، ووقف واستغنى

(١) « الفضاء أغض » .

(٢) « ويصبر » .

لا لِعَرَضِ ظلام غَشِيَةٍ ، ولكن لسلطانِ شعاعٍ مَلَكَةٍ ؛ لأن ذلك النور محيط بكل شيءٍ دونه ، ومستَوِلٍ على كلِّ شيءٍ تحته .

وكان يقول في هذا الفن إذا جدد به الكلام وبدأ منه المكتوم وشرده عنه الخاطر ما لا يُوعَى بحفظ ، ولا يُروى بلفظ .

وإنما كان أصحابنا ينتظرون منشوره بهذه الحروف لفظاً لينظموا منه شذراً وعقداً ، وكانوا إذا تلاقوا اشتركوا في تقويم ذلك كله ، وتعاونوا على تحبيره ، وتصادقوا [ على ] مفهومهم منه ، وتجنبوا المنازعة والشغب عليه ، وأخذوا بالعفو والممكن منه ، لئلا يفوتهم المعنى ، ولا يتحيرون في المنتهى .

(٢) وسأله الأندلسي في هذا المجلس عن الأمم وأحوالها ، ونقصها<sup>(١)</sup> وكملها ؛ فقال :  
اشتركت الأمم في جميع الخيرات والشرور ، وفي جميع المعاني والأمور : اشتركا أتى على أول التفاوت ووسطه وآخره ، ثم استبدت كل أمة بقوالب ليست لأختها ، واشتراكهم فيها كالأصول واستبدادهم كالفروع ، وفيما اشتركوا فيه المحمود والذموم .

ولم يَجْزُ في الحكمة الإلهية غير هذه القسمة ، لأن الاشتراك لو سبق بلا تفاوت لم يكن اشتراكاً ، والتقسام لو عَرِيَ من الاتفاق لم يكن تقاسماً ، فصار ما من أجله يفترون ، به يجتمعون ، وما من أجله ينتظمون ، به ينتثرون .

فعلى هذا اشتركوا في الأخلاق واللغات ، والعقائد والصناعات ، وجرّ المنافع ودفع المضار ، مع اختلافهم فيها بنوع ونوع .

ألا ترى أن لغة الهند غير لغة الروم ، وكذلك الصناعة والعقيدة وما يجري مجراها ، إلا أنهم مع هذه الأصول والقواعد تقاسموا أشياء بين الفطرة والتبني ،

(١) « ونقصها » .



وبين الاختيار والتقدمة ، فصار الاستنباط والغوص والتنقيب والبحث  
والاستكشاف والاستقصاء والفكر [ليونان<sup>(١)</sup>] والوهم والحدس والظن والحيلة  
والتحيل والشعبذة [للهند<sup>(٢)</sup>] والحصافة<sup>(٣)</sup> واللفظ والاستعارة والإيجاز والاتساع  
والتصريف والسحر باللسان للعرب ؛ والروية والأدب والسياسة والأمن والترتيب  
والرسوم والعبودية والرجوعية للفرس .

فأما الترك فلها الشجاعة . والعرب تشاركها إما بالزيادة وإما بالمساواة ؛  
وليس للترك بعد هذا حظ ولا دراية إلا بقسط من الظل من الشخص .

والعرب مع منطقها البارع لها المزية المعروفة على الترك بعد [في<sup>(٤)</sup>] السياسة  
وإن كانت قاصرة ؛ وأما الزنج والسودان فغلبت عليها الفسولة وشاكلت البهائم  
الضعيفة ، كما شاكلت الترك السباع القوية .

قيل له : إن أبا زيد قد عمل كتابا في أخلاق الأمم . قال : قد رأيت وقرأته  
وقد أفاد ، وكل من تكلم على<sup>(٥)</sup> طريقة الحكماء الذين يتوخون من الأمور  
لُبائها ، ويصرفون عنها قشورها ، فله السابقة والتقدم على من يخطئ كفلان وفلان .  
ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة وجولانها كل مجال وتبيزها باللسان  
فقد كابر ، ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني من أما كنها وإقامة الصناعات  
بأسرها ، وبحثها عن العالم الأعلى والأوسط والأسفل فقد بهت .

ومن دفع مزية الفرس في سياستها وتديراتها وترتيب الخاصة والعامة بحق  
مالها وعليها فقد عاند .

(١) يلوح لنا أن هاتين الكلمتين اللتين بين مربعين ساقطتان من الأصل كما يدل على ذلك  
ما يأتي بعد من قوله : « ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني » إلخ كما يدل عليه أيضاً كلام  
سبق في المفاضلة بين العرب وغيرهم من الأمم في أوائل هذا الجزء .

(٢) « والحصلة » .

(٣) كلمة « في » زيادة منا يدل عليها المعنى .

(٤) في الأصل « غير طريقة » .

وهكذا مَنْ دفع ما للهند ، فليس من شخص وإن كان زريًا قميثًا إلا وفيه ميراثٌ كامنٌ لا يشرّكه فيه أحد ، وإذا كان هذا في شخص على ما قلنا ، فكيف إذا نظرت إلى ما يحويه النوع . وهكذا إذا أرتقيت إلى الجنس ، وهذا لأن عَرَضَ الجنس أوسع من عَرَضِ النوع ، كما أن عَرَضَ النوع أوسع من عَرَضِ الشخص ، وليس دون الشخص تحت ، كما أنه ليس فوق الجنس فوق<sup>(١)</sup> . وأما (٣) انقسام هذه الثلاثة على هذا فليكون فضاء العالم غاصًا بالطرف والوسط والأفق وليكون سَجًّا بالغًا من المصدر إلى المورد .

وعلى هذا لولا الجنس لم يوجد نوعٌ ، ولولا النوع لم يوجد شخص . وكذلك العكس .

قال أبو سعيد الطيب : ألعالم العلويّ أجناس وأنواع وأشخاص ؟ قال : كيف يخلو العالم العلويّ من هذا التقسيم ، وإنما هذا الذي لحقنا في العالم السفلي حكاية ذلك العالم العلويّ حَذَوِ النعل بالنعل والقُدّة بالقُدّة . فقال له مستزيدا : فهل في البسائط الإلهية أجناس وأنواع وأشخاص ؟ فقال : لا ، إلا أن يتخذ شيء من هنالك قراره في معارض العالم السفليّ بقوة العالم العلويّ ، وذلك كالبرق إذا خَطَفَ ، والتسيم إذا لطف .

قال : فهل ينال البسائط نقصٌ بالإخبار بالأجزاء المركبة عنها كما ينال المركبات كمالٌ بالأجزاء البسيطة عنها ؟

فقال ، لا ، لأنّ ماعلا يؤثر ولا يقبل التأثير ؛ وما سفلي يتأثر . ألا ترى أن ماعلا من الكواكب لا يتصل بشيء دونه ، وما سفلي منها يتصل بما علا عنه .

وقال له أيضا : إذا قلنا : الروحانيات ، فماذا ينبى أن يلاحظ منها ؟ فقال : (٤)

(١) « تحت » .



الروحانيات على أقسام ؛ فقسم منها متبدّد في المركّبات من الحيوان والجمّاد ، وقسم منها مكتنّف للحيوان والجمّاد ، وبحسب هذا الأكتناف هو أبسط وألطف من القسم الأوّل المتبدّد ؛ وقسم منها فوق القسم المكتنّف ، وهو الذي منه مادّة المحيط ؛ وقسم آخر فوق هذا الممتدّ ، ثم فوق هذا ما لا يملكه وهم ، ولا يُدرّكه فهم ؛ وذلك أنه في جناب القدس وحيث لا مرّام لشيء من قوَى الجنّ والإنس .

(٥) وسألت أبا سليمان فقلت : إنّ عليّ بن عيسى الرّمانيّ ذكر أن التمكين من القبيح قبيح ، لأن التمكين من الحسّن حَسَن . فلو كان التمكين من القبيح قبيحا مع كونه من الحسّن حَسَنًا كان حَسَنًا قبيحا ؛ وهذا تناقض ؛ كيف صحّة هذا الذي أومأ إليه ؟

فقال : أخطأت<sup>(١)</sup> ، لأن التمكين وحده اسمٌ مجرد لشيء محدّد ، والأسماء المحدّدة دلالتها على الأعيان لا على صفات الأعيان أو ما يكون من الأعيان أو ما يكون في الأعيان .

والتمكين معتبر بما يضاف إليه ويناط به ، فإن كان من القبيح فهو قبيح لأنّه علّة القبيح ، وإن كان من الحسّن فهو حَسَن لأنّه سبب الحسّن .

وهذا كما تقول : هذا الدرهم نافع أو ضار ؟ فيقال : إن صرفته فيما ينبغي فهو نافع ، وإن اتقته فيما لا ينبغي فهو ضار ، وكذلك السيف في الآلات ، وكذلك اللفظ في الكلمات ، والإضافة قوّة إلهيّة سرت في الأشياء سريانا غريزيا قاهرا متملكا قاسرا ، فلا جرم لا ترى حسيا أو عقليا أو وهميا أو ظنيا أو علميا أو عرقيا أو عمليا أو حليا أو يقظيا إلا والتصاريح سارية فيها ، والإضافة حكمة عليها . وهذا لأن الأشياء بأسرها مصيرها إلى الله الحق ، لأن مصدرها من الله

(١) « أخطأ » .

الحق ، فالإضافة لازمة ، والنسبة قائمة ، والمشابهة موجودة . ولولا إضافة بعضنا إلى بعض ما اجتمعنا ولا افترقنا ، ولولا الإضافة بيننا الغالبة علينا ما تقاهمنا ولا تعاوننا .

قال : إذا كنّا بالتضايّف نتوالى ، فبأيّ شيء بعده نتعادى <sup>(١)</sup> ؟ قال : هذا أيضا بالإضافة ، لأن الإضافة ظلّ ، والشخص بالظلّ يأتاف ، وبالظلّ يختلف . وقال : ويزيدك بيانا أنّ العدم والوجود شاملان لنا ، سائران فينا فبالوجود نتصادق ، وبالعدم نتفارق .

وسأل <sup>(٢)</sup> مرة عن الطّرب على الغناء والضرب وما أشبههما .  
(٦)  
فكان من الجواب : قيل لسقراط فيما ترجمه أبو عثمان الدمشقي . لم طرب الإنسان على الغناء والضرب ؟ فقال : لأنّ نفسه مشغولة بتدبير الزمان من داخل ومن خارج ، وبهذا الشغل هي محجوبة عن خاصّ مالها فإذا سمعت الغناء أنكشف عنها بعض ذلك الحجاب ، فحنت إلى خاصّ مالها من المثلّات الشريفة والسعادات الروحانية من بعد ذلك العالم ، لأن ذلك وطنها بالحق .

فأما هذا العالم فإنّها غريبة فيه ، والإنسان تابع لنفسه ، وليست النفس تابعة للإنسان ، لأنّ الإنسان بالنفس إنسان ، وليست النفس تقسا بالإنسان ، فإذا طربت النفس — أعني حنت ولحظت الروح الذي لها — تحرّكت وخفت فأرتاحت واهتزّت .

ولهذا يطرح الإنسان ثوبه عنه ، وربما مزقه كأنّه يريد أن ينسلّ من إهابه

(١) « تنقاد » .

(٢) سأل ، أي الوزير .



أنه لا بدن له ، فيكون له عَرَضٌ ، والعَرَضُ كله للممكن بالنعمة الذي سلف من الكثرة والقلة والمساواة .

ولهذا تعلقت التكاليف به في ظاهر الحال وبادى الأمر وعارض الشأن ، وأستولى الوجودُ عليه بباطن الحال وخفى الأمر وراتب<sup>(١)</sup> الشأن . لكن هذا الفصل الذي اشتمل على الظاهر والباطن ليس ينكشف للحسن كما ينكشف للعقل .

ولما كنّا بالحسن أكثر — وإن كنّا لا نخلو في هذه الكثرة من آثار العقل — لزِمنا الاعترافُ بعوائد الممكن وعلاقته ، والعمل عليه ، والرجوع إليه إذا أمرنا أو نهيننا أو ائتمرنا [أو اتهمنا]<sup>(٢)</sup> .

ولما ظهر لنا بإزاء هذا الذي كنّا به أكثر أن لنا شعباً آخر يحسن به أقل وهو العقل يشهد لنا بأن صورة الوجوب أستولت من مبدأ الأمر إلى منقطعه الذي هو في عَرَضِ الواجب إلى آخر المتنوع .

وكما لزِمنا الاعتراف الأول لنكون به عاملين ومستعملين ، ورافعين وواضعين ، ولأئمن ومَلُومين ، ونادمين ومُنْذِمين ؛ كذلك لزِمنا الاعترافُ بسلطان الواجب الذي لا سبيل إلى عزله ، ولا محيص عن الإقرار به ، ولا فكاك من أطرادِه بغير دافع أو مانع .

واتصل كلامُ ابن يعيش على تقطُّع في عبارته التي ما كانت أداته تواتيه فيها ، مع تدفق خواطره عليها ؛ فقال : الرُّوْيا ظِلُّ اليَقَظة ، وهي واسطةٌ بين (٢)

(١) « ورأيت » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

الذي لصق به ، أو يُقِلَّت من حصاره الذي حُبِس فيه ، ويهرول إلى حبيبه الذي قد تمجّل له وبرز إليه .

إلا أن هذا المعنى على هذا التنضيد إنما هو للفلاسفة الذين لهم عناية بالنفس والإنسان وأحوالهما .

وأما غيرهم فطربهم شبيه بما يعتري الطيرَ وغيرها ، وأنصرفت .

### الليلة الخامسة عشرة

(١) وجرى مرّة كلام في الممكن ، فحكيتُ عن ابن يعيش الرّقيّ فصلا سمعته يقوله ، لا بأس برسمه في هذا الموضع ، فإنّ التشاور في هذا الحرف دائم متّصل وينبغي لنا أن نبحث عنه بكلّ زحف وحبو<sup>(١)</sup> ، وبكلّ كدّ وعقو .

قال : الممكن شبيه بالرّؤيا لا بدّن له يستقلّ به ، ولا طبيعة يتحرّز فيها . ألا ترى أن الرّؤيا تنقسم على الأكثر والأقلّ والتساوي ، وكما أن الرّؤيا ظلّ من ظلال اليقظة ، والظلّ ينقص ويزيد إذا قيس إلى الشخص ؛ كذلك الممكن ظلّ من ظلال الواجب ، فطوّرا يزيد تشابها للواجب ، وطورا ينقص تشاكها للممتنع ، وطورا يتساوى بالوسط .

قال : والواجب لا عرض له ، لأنّه حدّ واحد ، وله نصيب من الوحدة بدليل أنّه لا تغير له ولا حيلولة لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل ، بل العقل ينقاد له ، والطبيعة تسلم إليه ، والوهم يفرّق منه وصورة الواجب لا يحدّسها الظنّ ، ولا يتحكّم فيها تجويز ، ولا يتسلط عليها دامغ ولا ناسخ ، وهذا الحكم يطرد على الممتنع ، لأنّه في مقابلته على الضدّ ، أعنى

(١) « حبو وزحف » .



اليَقَظَة والنوم ، أعنى بين ظهور الحِسِّ<sup>(١)</sup> بالحركة ، وبين خفائه بالسكون .  
قال : والنوم واسطة بين الحياة والموت ، والموت واسطة بين البقاء الذى  
يتصل بالشهود<sup>(٢)</sup> وبين البقاء الذى يتصل بالخلود .

قال : وهذا نعت على تسهيل اللفظ وتقريب المراد والتصوير ؛ والثقة شوك  
القتاد ، وأزدراد العَلَم والصاب ، للحواجز القائمة والموانع المعترضة من الإلف  
والمنشأ وغير ذلك مما يطول تعديده ويشق استقصاؤه .

فقال<sup>(٣)</sup> : هذا كلامٌ ظريف ، وما خلت أن ابن يعيش مع فدامته<sup>(٤)</sup> ،  
ووخامته يسحب ذيله في هذا المكان ، ويجرى جواده بهذا العنان .

قلت له : إن له مع هذه الحال مرامي بعيدة ، ومقاصد عالية ، وأطرافاً  
من المعاني إذا اعتلقت دَلَّ عليها ، إما بالبيان الشافى ، وإما بما يكون طريقاً إلى  
الوهم الصافى .

وقلت : لقد مرَّ له اليومَ شيء جرى بينه وبين أبى الخير اليهودى<sup>(٥)</sup>  
أستفيد منه .

قال : وما ذاك ؟ أنثر علينا دُرَر هذه الطائفة التى نميل إليها بالأعتقاد  
وإن كنا نقع دونها بالأجتهاد ؛ ونسأل الله أن يرحم ضعفنا الذى منه بدُّنا<sup>(٦)</sup>  
ويبدلنا قوة بها نوجد قُربنا فى آخرنا .

(١) « والحركة » .

(٢) « بالبُهود » .

(٣) فقال ، أى الوزير .

(٤) « فدامته » بالثقاف .

(٥) فى الأصل « ما استفيد » و « ما » زيادة من الناسخ .

(٦) « وورينا » . وبدُّنا ، أى خلقنا .

قلت : ذكر أن العقل لا غناء <sup>(١)</sup> له في الأشياء التي تغلب عليها الحيلولة والسَّيْلان والتطوُّل ، كما أن الحسَّ لا ينفذُ في الأمور التي لا تطوُّر لها بالحيلولة والتطوُّل ، ولذلك عُرِفَت الحِكْمَةُ في الكائنات الفاشيات <sup>(٢)</sup> ، وخفيت العِللُ والأسباب في بدوِّها وخفيتها وتبدُّدها وتآلفها ، لكنَّ هذا الفرق والخفاء مسلَّمان للقُدرة المستعلية والمشيتة النافذة .

قال : ولهذا الترتيب سرٌّ <sup>(٣)</sup> به حَسُنَ هذا النعت ، وإليه أتتهى هذا البحث وذلك أن خفاء ما خفي بحقِّ الأوَّل الحَقِّ ، وبدوُّ ما بدا من نصيبٍ أُطلقَ للَّذي <sup>(٤)</sup> لا يحتمل غير هذا الثقل ، ولو خُفِّفَ عنه هذا لَلَحِقَ الإنسانُ البهائمَ ، ولو ثَقُلَ عليه هذا لَلَحِقَ الملائكةَ ، فكان حينئذ لا يكون إنسانا ، وقد وجب في الأصل أن يكون إنسانا كاملا بالنَّصَبِ والدَّأبِ ، ويمتعض من أن تكون صورة الإنسان عنده مُعَارَةً ، لأنه في الحقيقة حيوان غيرُ ناطق ، بل يجتهد بسمعيه وكده أن يصير إنسانا فاضلاً ، ويكون في فضله وكَماله ملكاً ، أعنى بالمشاكهة الإرادية لا بالمشاكهة النوعية .

قال : وغاية الحكمة منها للعباشرين لها أن المعرفة تَقِفُ على حَيولتها ولسيالاتها فقط ، لا على تصفُّح أجزائها ، لأنَّ الترتيب فيها يستحيل مع الزمان . ألا ترى أن الرقم على الماء لا صورة له ، لأنَّ صفحة الماء لا ثبات لها ، وكذلك الخطُّ في الهواء ، وكذلك الكائنات البائِذات <sup>(٥)</sup> لا صورة لها ، لأنها لا ثبات

(١) « غناء » .

(٢) « الفاسدات » .

(٣) « سرية » .

(٤) « الذي » .

(٥) « البائِذات » .



لها ، وأنت إذا وجدت شيئا لا ثبات له لم تضم إليه شيئا آخر لا ثبات له طمعا في وقوع الثبات بينهما ، هذا ما لا يدين به وهم ، ولا ينتقاد له ظن ؛ ولو ساغ هذا لساغ أن يُجمع بين ماله ثبات ، وبين ماله أيضا ثبات ، فيحدث هناك سَيِّلانٌ وأستحالة .

(٤) وقال : وَصَفُ العقل بشهادة الحس ، كما يكون وصف الحس بشهادة العقل إلا أن شهادة الحس للعقل شهادة العبد للمولى ، وشهادة العقل للحس شهادة المولى للعبد ؛ على أن هاتين الشهادتين لا يطردان ولا يستمران ، لأن لكل واحد من الحس والعقل تفرّدا بخاصّ ماله ، ولذلك ما وُجد حيوانٌ لأعقل له البتة ، ووُجد في مقابلته شيء لا حس له .

ثم قال : بل العقل يحكم في الأشياء الروحانية البسيطة الشريفة من جهة الصوَر الرقيقة ، والعلائق التي بين المعقولات والمحسوسات مانعت العقل ، والعاقل من خُصٍّ<sup>(١)</sup> الباقيات الخالديات الدائمات القائمة الثابتات من حومة الكائنات الفاسدات البائئات<sup>(٢)</sup> الذاهبات الحائلات الزائلات المائلات البائئات .

ودخل في هذا التلخيص ضربٌ من الشك والتمازى والخصومة والتعاضد والتعنّت إلى اختلاف عظيم ، ووقفتُ عن الحكم بعد اليقين .

(٥) وقال — أدام الله سعادته — ما السَّجِيَّةُ<sup>(٣)</sup> ؟ قلت : سمعتُ الأندلسي يقول : فلان يمشي على سَجِيَّتِهِ<sup>(٣)</sup> ، أي طبعه<sup>(٣)</sup> .

(٦) قال : هل يقال : ظفرتُ عليه ؟ قلتُ : قد قال شاعرهم .

وكانت قريش لو ظفّرنا عليهم شفاء لما في الصدر والنقص ظاهرٌ

(١) « في تخليص » .

(٢) « البائئات » .

(٣) وردت هذه الكلمات الثلاث التي تحت هذا الرقم في الأصل هكذا « اليه » « حسه » . « لحفظه » . والتعريف فيها ظاهر .

قال : هذا حسن . قلت : الحروف التي تتعدى إلى الأفعال ، والأفعال التي تتعدى بالحروف ؛ يراعى فيها السماعُ فقط لا القياس .

هذا كان مذهب إمامنا أبي سعيد ؛ وقد جاء أيضا « ظفيرة » ؛ وجاء « سخرتُ به ومنه » .

ومن لا أتساع له في مذهب العرب يظن أن « سخرتُ به » لا يجوز وهو صحيح . حكاه أبو زيد .

قال : كيف يقال في جمل به غدة ؟ فكان من الجواب : جمل مُغَدَّ . قال : فكيف يُجمع ؟ فكان الجواب بأنه في القياس ظاهر ، ولكن السماع قد كفى . قال الشاعر — وهو خراش بن زهير :

فَقَدْ تَكْمُو<sup>(١)</sup> وَلَحْظُكُمْ إِلَيْنَا      بِيْطُنٍ عُكَاظَ كَالْإِبِلِ الْغِدَادِ<sup>(٢)</sup>  
ضَرَبْنَاَهُمْ بِيْطُنٍ عُكَاظَ حَتَّى      تَوَلَّوْا طَالِعِينَ مِنَ النَّجَادِ  
وقال — حرس الله نفسه — من لقبه<sup>(٣)</sup> الخُرَيْمِيُّ إلى أى شيء يُنسب ؟  
فكان من الجواب : يقال : رجل خُرَاسَانِيٌّ وخُرَيْمِيٌّ وخُرَاسِيٌّ، فنُسبت<sup>(٤)</sup>  
إلى رجل نزلها<sup>(٥)</sup> فاشتهرت به .

فقال : القَذال كيف يجمع ؟ فكان من الجواب أن فعلاً وفِعْلاً وفُعْلاً وفُعَيْلاً وفُعُولاً أخوات تُجمع في الأقل على أفعلة ، يقال : حمار وأحمرة ، وغُرَاب وأغربة ، وقَذال وأقذلة ، وعمود وأعمدة .

(١) في اللسان مادة (غدد) : « عدتم ونظرتكم »

(٢) في كتب اللغة مادة (غدد) أن غداداً جمع (غاد) لا جمع سماعي (المُسَيْد) كما تفيدُه عبارة المؤلف .

(٣) « له » .

(٤) أي نسبت كورة خراسان إلى رجل اسمه خراسان ، كما في كتب اللغة .

(٥) ورد في الأصل بعد قوله « نزلها » هذه الكلمة : « سه » مهلة الحروف من النقط ؛ ولم تنبئ الصواب فيها .



قال : نسيت <sup>(١)</sup> أسألك عن المسألة الأولى — أعني الخُرسى — من أين لك تلك الثُنيا ؟

فكان من الجواب : قرأته على أبي سعيد الإمام في شرحه كتاب سيبويه .  
قال : برّدت غليلي ، فإنّ الحجّة في مثل هذا متى لم تكن بأهلها كانت متلجّجة .

قال : أنشدني شيئاً نختم به المجلس ، فقد مرّت طرائف .  
فأنشدته لهُمارة بن عَقيّل في بنت <sup>(٢)</sup> له :

حُبِّكَ يَأْذَاتُ الْأَنْيْفِ الْأَكْشَمَ <sup>(٣)</sup> حُبُّ تَسَاقَاهُ مُشَاسٌ <sup>(٤)</sup> أَعْظَمِي  
وَدَبٌّ بَيْنَ كَيْدِي وَتَحْزِمِي وَسَاطَةٌ <sup>(٥)</sup> اللَّهُ بَلَحْمِي وَدَمِي  
فَلَيْسَ بِالْمَذْقِ وَلَا الْمَكْتَمِ وَلَا الَّذِي إِنْ يَتَقَادَمَ يُسْأَمِ  
لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْ فَوَادِي — فَأَعْلَى — مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْمُحَبِّ الْمُكَرَمِ  
وَانصرفتُ .

### الليلة السادسة عشرة

(١) ثم عُدْتُ وقتاً آخر فقال : كنتَ حكيت لي أنّ العامريّ صنّف كتاباً  
عنوانه (بِإِثْقَادِ الْبَشَرِ مِنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ) ، فكيف هذا الكتاب ؟  
فقلتُ : هذا الكتاب رأيته بخطّه عند صديقنا وتلميذه أبي القاسم الكاتب  
ولم أقرأه على العامريّ ، ولكن سمعتُ أبا حاتم الرازي يقرؤه عليه ، وهو كتاب

(١) « لست » .

(٢) هذه الكلمة في الأصل بهمة الحروف من التقط .

(٣) الأكشم : المقطوع ، يريد وصفها بصغر الأنف حتى كأنه قد قطع منه جزء .

(٤) المشاس : كل عظم لا يخ فيه .

(٥) ساطة : خلطه .

تقيس ، وطريقة الرجل قوية ، ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر ، لأن الجبر والقدر اقتسما جميع الباحثين عنهما والناظرين فيهما .

قال : لم قيل الجبر والقدر ولم يُقَلَّ الإجبار .

فكان الجواب : أن الإجبار<sup>(١)</sup> لغة قوم ، والجبر لغة تميم ، يقال : جبر الله الخلق وأجبر الخلق ، وجبر بمعنى جبل ؛ واللام تعاقب الراء كثيراً .

قال : فتكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري ، واتق له إن كان الحق فيما ذهب إليه ودل عليه .

فكان من الجواب : أن من لحظ الحوادث والكوائن والصوادر والأوتار من معدن الإلهيات أقر بالجبر وعزى نفسه من العقل والأختيار والتصرف والتصرف ، لأن هذه وإن كانت ناشئة من ناحية البشر ، فإن منشأها الأول إنما هو من الدواعي والبواعث والصوارف والموانع التي تنسب إلى الله الحق ؛ فهذا هذا .

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والأختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسبين الفاعلين المحدثين اللامين الملوين المكافئين ، فإنه يعلقها بهم ويُلصِقها برِقابهم ، ويرى أن أحداً ما أتى إلا من قبل نفسه وبسوء اختياره وبشدة تقصيره وإيثار شقائه ؛ والملاحوظان صحيحان واللاحظان مصبيان ، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف ، لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الغاية ، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية .

فلما وقعت البيئونة<sup>(٢)</sup> بين الناظرين بالطبع والنسبة لم يرتفع القول والقييل

(١) « من الإجبار » ، « ومن » زيادة من الناسخ .

(٢) « السوية » .



من ناحية القول والصفة ، فهذا هذا .

قال — أطل الله بقاءه — فما الفرق بين القضاء والقدر ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال : إن القضاء مصدره من العلم السابق ، والقدر مَوْرَدُه بالأجزاء الحادثة .

فقال : لم وَرَدَ في الأثر ؟ : « لا تخوضوا في القدر فإنه سرُّ الله الأكبر » .

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال لنا في هذه الأيام . إن الناموس ينطق بما هو أستصلاح عام ، ليكون النفع به شائعاً في سكون النفس وطيب القلب وَرَوْح الصدور .

فإن كان هذا هكذا فقد وَضَحَ أن حكمة هذا السرِّ طيبة ، لأنَّ عجز الناظرين يُفْضِي بِهِمْ إلى الحيرة ، والحيرة مَضَلَّة ، والمضلة هَلَكَة . وإذا كانت الراحة في الجهل بالشئ ، كان التعب في العلم بالشئ ، وكَمِ علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكَمِ جهل لو ارتفع مِنَّا لكان فيه هلاكنا ؛ [ والعلم ] <sup>(١)</sup> والجهل مقسومان بيننا ومفوضان علينا على قدر احتمال كل واحد مِنَّا للذي سبق إليه وعَلِقَ به ، ألا ترى أن علمنا لو أحاط بموتنا متى يكون ؟ وعلى أيِّ حال تحدث العلة <sup>(٢)</sup> أو المحنة أو البلاء ؟ لكان ذلك مفسدة لنا ، ومحنة شديدة علينا .

فأنظر كيف زوى الله الحكيمُ هذا العلمَ عنا ، وجعل الخيرة فيه لنا . ألا ترى أيضاً أن جهلنا لو غلب علينا في جميع أمورنا لكان فساد ذلك في عظم الفساد الأول ، والبلاء منه في معرض البلاء المُتَقَدِّم ، فمن هذا الذي أشرف على هذا الغيب المكنون والسرِّ المخزون فيغفل عن الشكر الخالص ، والأستسلام الحسن ، والبراءة من كلِّ حَوْل وقوة .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « أو العلة » ، « وأو » زيادة من الناسخ .

فالأستعداد ممن له الخلق والأمر ، أعنى الإبداء والتكليف ، والإظهار والتشريف ، والتقدير والتصريف .

قال : هذا فنٌ حسنٌ ، وأظنك لو تصديت للقصص والكلام على الجميع <sup>(١)</sup> لكان لك حظٌ وافرٌ من السامعين العاملين ، والخاضعين والمحافظين .

فكان من الجواب : أن التصدي للعامة خلوة <sup>(٢)</sup> ، وطلب الرفعة بينهم ضعة ، والتشبه بهم نقيصة ؛ وما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولوثته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم .

وليس يقف على ألقاصٍ إلا أحد ثلاثة .

إما رجل أبله ، فهو لا يدري ما يخرج من أمِّ دماغه .

وإما رجل عاقلٌ فهو يزدرية <sup>(٣)</sup> لتعرضه لجهل الجهال ، وإما له نسبة <sup>(٤)</sup>

إلى الخاصة من وجه ، وإلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب عليه من الإنكار الجانب للهجر ، والأعتراف الجالب للوصل ، فالقاص <sup>(٥)</sup> حينئذ ينظر إلى تفرغ الزمان لمدارة هذه الطوائف ، وحينئذ ينسلخ من مهماته النفسية ، ولذاته العقلية ، وينقطع عن الأزدیاد من الحكمة بمجالسة أهل الحكمة ، إما مقتبساً منهم ، وإما قابساً لهم ؛ وعلى ذلك فما رايت من انتصب للناس قد ملك إلا درهماً وإلا ديناراً أو ثوباً ؛ ومناصباً شديدةً لمائليه وعُداته .

قال : إن الليل قد دنا من فجره ، هاتِ ملحّةً الوداع .

(١) يريد بالجميع ، العامة .

(٢) يريد بالخلوة هنا معنى التبذل والامتهان . يقال : خلق الثوب بتثليث اللام خلوة وخلقة : إذا بلى .

(٣) يزدان به .

(٤) ورد في الأصل بعد هذه الكلمة قوله : « له » وهي زيادة من الناسخ .

(٥) « قالعاص » .



قلت : قال يعقوب صاحب (إصلاح المنطق) :  
 دخل أعرابي الحتام فزلق فأنشج ، فأنشأ يقول :  
 وقالوا تظَهَّرَ إِنَّهُ يَوْمٌ مُّجْمَعَةٌ      فرُحْتُ من الحتام غيرَ مُظَهَّرِ  
 تَرَدَّيْتُ مِنْهُ [شاربياً] <sup>(١)</sup> شَجَّ مَقَرِّقِي      بفَلْسَيْنِ إِنِّي بئْسَ ما كانَ مَتَجَرِّقِي  
 وما يُحْسِنُ الأعرابُ في الشوقِ مِشْيَةً      فكيف ببيتٍ من رَخامٍ ومَرَمَرِ  
 يقول لي الأنباطُ إذ أنا نازل <sup>(٢)</sup>      « به لا بَطِّي بالصَّريمةِ أَعْفَرِ » <sup>(٣)</sup>  
 وقال — حرس الله نفسه — كنتُ أُرَوِّى قافية هذا البيت « أَعْفَرَا » ،  
 وهذه فائدة كنتُ عنها في ناحية ؛ وأنصرفت .

(٧) قد رأيتُ أيها الشيخ — حاطك الله — عند بلوغى هذا الفصل أن أختم  
 الجزء الأول بما انتهى إليه ، وأشفعه بالجزء الثاني على سياج ما سلف نطقه  
 ونثره ، غيرَ عائمٍ على ترتيبٍ يحفظ صورة التصنيف على المادة الجارية لأهله ،  
 وعذرى في هذا واضح لمن طلبه ، لأن الحديث كان يجرى على عواهنه بحسب  
 السامع والداعي .

وهذا الفن لا ينتظم أبداً ، لأن الإنسان لا يملك ما هو به وفيه ، وإنما يملك  
 ما هو له وإليه .

وهذا فصل يحتاج إلى نفسٍ مديد ، ورأى يصدر عن تأييد وتسديد <sup>(٤)</sup> ؛  
 والسلام ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ،  
 وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ وبقية البيت تمتضى ما أمبنا .

(٢) « تارك » .

(٣) هذا مثل يضرب في القمأة بالرجل . يريدون أن المكروه ينزل به ولا ينزل بظي  
 أعر ؛ كأنه من الحسة والهوان بحيث يفضل عليه الظي الأعر .

(٤) في نسخة ميلانو بعد قوله : « وتسديد » ما نصه : أنشئت هذه الرسالة في رجب  
 سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

## فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

( ١ )

ابن الجمل — ٣ : ٦٦  
 ابن الحجاج = أبو عبد الله الحسين بن أحمد  
 ابن الحجاج  
 ابن حسوة = أبو القاسم بن حسوة  
 ابن حنابلة — ٨ : ١٣٠  
 ابن حيوة = محمد بن حيوة بن المؤمل  
 ابن خللكان — ٢١ : ٦٧  
 ابن الحارث = أبو الخير الحسن بن سوار  
 ابن خيران = أبو علي الحسين بن صالح بن  
 خيران  
 ابن دارة — ١٤ : ٤٦  
 ابن درستويه — ٩ : ١٣١  
 ابن رباح — ٦ : ١٠٨  
 ابن ربن = علي بن ربن  
 ابن رشيد — ٨ : ١٠٨  
 ابن الرومي = أبو الحسن علي بن العباس  
 ابن جريج  
 ابن زرعة = أبو علي عيسى بن إسحاق  
 ابن زرعة  
 ابن السراج = أبو بكر محمد بن السري  
 ابن سهل  
 ابن سعدان — ١٣ : ٤٣ ، ١٩ : ٤٢ ،  
 ١٧ : ٦٦  
 ابن سكرة — ٧ : ١٣٧  
 ابن المنك = أبو العباس محمد بن صبيح  
 الكوفي

إبراهيم بن العباس الصولي — ٧ : ٥٨  
 إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الصابي —  
 ١٣ : ٦١ ، ١٧ : ٦٧ و ١٧ \*  
 ابن أبي نصر — ٦ : ١٠٨  
 ابن أبي خالد — ١٣ : ٥٨  
 ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب  
 ابن أبي طالب الجراحى الكاتب صوابه  
 أبو طالب = أبو طالب  
 ابن الأثير — ٢١ : ١٣٧ ، ٢٤ : ٥٠  
 ابن الأخشاد — ٦ : ١٠٨  
 ابن الباقلاوى = أبو بكر محمد بن الطيب القاضى  
 ابن برئ — ٦ : ٧١  
 ابن برمويه = الحسن بن برمويه  
 ابن بقية الوزير — ١ : ٤٢  
 ابن بكش — ٤ : ٣٨  
 ابن البيطار — ٢١ : ١٧٩  
 ابن ثابت — ١٥ : ٥٦  
 ابن ثوبة أبو الهيثم — ٦ : ٦٦ ، ٦ : ٥٨  
 ١ : ١٠٣ ، ٨ : ٩٧ و ١٨ \*  
 ابن جبلة الكاتب — ١٣ : ٤٧ ، ٨ : ٤٢  
 ٨ : ٤٨  
 ابن جرير — ١١ : ٥٨  
 ابن جليات = أبو القاسم علي بن جليات



ابن مسكويه — ١٨ : ٣٥  
 ابن العلم = أبو عداة محمد بن محمد بن النعمان  
 ابن القفع — ١٧ : ٧٠ ، ٩ : ٦٥ ، ١٧ : ٧٠ ، ١٧ : ٧٠  
 ٣ : ٧٣ ، ٤ : ٧١  
 ابن مكينا = أبو علي بن مكينا  
 ابن الملاح — ١٥ : ١٤٠  
 ابن موسى — ١٠ : ٥٢  
 ابن الناظر أبو منصور — ٨ : ٤٢ و ٩  
 ابن نباتة السدي = عبد العزيز بن محمد الشاعر  
 ابن النديم — ٢٣ : ٢٠ ، ٢١ : ٦٧ ، ٢١ : ٦٧  
 ١١ : ٧٩  
 ابن نوبخت — ١٠ : ٥٨  
 ابن هارون — ٧ : ٤٨  
 ابن هندو — ٥ : ٦٣  
 ابن الوراق — ١١ : ١٢٩  
 ابن وهب — ٩ : ١٠٣  
 ابن يحيى العلوي — ٨ : ١٠٨  
 ابن يعقوب — ٤ : ٣٨  
 ابن يعيش الرقي — ٣ : ١٠٥ ، ١٢ : ١٠٤ ، ٣ : ١٠٥ ، ١٢ : ١٠٤  
 ٧ : ٢١٦ ، ٢ : ١٠٧ ، ٧ : ١٠٦  
 ٧ : ٢١٨ ، ١٧ : ٢١٧  
 ابن يونس القناني = أبو بشر متى بن يونس  
 أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن هلال الكاتب  
 أبو إسحاق مزبذ المدني — ١٧ : ٥٨  
 و ٢٣ \*  
 أبو إسحاق النخعي — ٤ : ١٤١  
 أبو بشر متى بن يونس القناني — ١٠ : ٧  
 ١٣ و ١٧ و ٢٤ \* ١٠ : ١٠٨  
 ١١٢ ، ١ : ١١١ ، ٨ : ١٠٩  
 ٧ ، ١١٤ ، ١ : ١١٥ ، ١٠ : ١١٥  
 ١١٨ ، ١٤ : ١١٩ ، ٦ : ١١٩ و ١٥  
 ٩ : ١٢٢ ، ١١ : ١٢١  
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث —  
 ٥ : ١٥

ابن السمع = أبو علي بن السمع  
 ابن سيرين — ١٣ : ٥٨  
 ابن سيف الكاتب الراوية — ٨ : ٢٨  
 ابن شاذان — ٣ : ١٣٤ ، ١١ : ١٢٩  
 ابن شاهويه عامل صمصام الدولة — ٤٣ :  
 ١١ و ٥ ، ٤٨ : ٤٤ ، ٥٣ : ٣  
 ابن شاهويه الفقيه = أبو بكر محمد بن أحمد  
 ابن علي  
 ابن طنج — ٨ : ١٠٨ ، ١٩ : ٧٩  
 ابن عباد = أبو القاسم إسحاق الصاحب  
 ابن عباد  
 ابن ببدان — ٧ : ٤٣ ، ٤ : ٣٨  
 ابن عبد العزيز الهاشمي — ٨ : ١٠٨  
 ابن عبد كان = محمد بن عبد كان  
 ابن عبيد الكاتب — ٦١ : ٤٨ ، ١٣ : ٦١  
 ٥ : ٩٦ ، ١٥  
 ابن العميد = أبو الفضل بن العميد  
 ابن الفرات الوزير أبو الفتح الفضل بن  
 جعفر — ٥ : ١٠٨ ، ١٦ : ١٠٧  
 ١٠٩ : ٤ ، ١١٨ : ١١٧ ، ١٨ : ١١٨  
 ١٤ ، ١١٩ : ١٤ ، ١٢٠ : ٣  
 ١٧ : ١٢٨ ، ١٧ : ١٢١  
 ابن فراس — ٧ : ١٠٨  
 ابن القاسم = علي بن القاسم  
 ابن القرميني — ٣ : ١٣٤  
 ابن قوسين — ١٩ : ٢٨ و ١٩ \*  
 ابن كعب — ٧ : ١٠٨  
 ابن لالا — ٤ : ٣٨  
 ابن دق = بشر بن متى  
 ابن مجاهد — ١١ : ٥٨  
 ابن الحيا = خالد بن سنان العبسي  
 ابن المديني — ٢٥ : ٢٦  
 ابن المرائي = أبو الفتح محمد بن جعفر  
 ابن المرزبان كاتب غفر الدولة — ١ : ٦٢ ،  
 ٦ : ١٤١

٢٠ ، ١١٠ : ٢٢ : ٢٠٧ : ٢٢  
 أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن  
 الحمار — ١ : ٣٢ و ١١ \* ٣٣ :  
 ١٤ ، ٣٥ : ٦  
 أبو الخير اليهودي — ١٢ : ٢١٨  
 أبو دعلج — ٦ : ٧٠  
 أبو زكرياء — ١١ : ٣٥  
 أبو زكرياء = يحيى بن عدي  
 أبو زيد اللغوي — ١٣١ : ٥ : ٢٢١ : ٦  
 أبو زيد أحمد بن سهل البلخي — ٢ : ٢٦  
 و ١٥ \* ١١ : ٢١٢  
 أبو سعيد بهرام بن أزديشير — ٦ : ٤٣  
 و ١٥ \* ٤٤ : ٨ : ٤٨ : ٥  
 أبو سعيد الذهبي الطيب — ١٤ : ١٥٧  
 ١٠ : ٢١٣  
 أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن  
 الرزبان — ٢ : ٢٥ و ١٧ \* ٢٧ :  
 ٢ ، ٢٨ : ٥ : ٧٩ : ١٨ : ١٠٧ :  
 ١٧ ، ١٠٨ : ٣ : ١٠٩ : ٤ :  
 ١١١ : ٤ : ١١٢ : ١ : ١١٤ :  
 ٢ ، ١١٥ : ١٢ : ١١٨ : ٣ :  
 ١١٩ : ٣ : ١٢٠ : ٥ : ١٢١ : ١ :  
 ١٢٢ : ٣ : ١٢٨ : ١٢ : ١٢٩ :  
 ٦ ، ١٣١ : ٦ : ١٣٢ : ٣ :  
 ١٣٣ : ٤ : ٢٢١ : ٣ : ٢٢٢ :  
 أبو سليمان النطقي محمد بن طاهر — ٢٩ :  
 ٢ و ١٣ \* ٣١ : ١٠ : ٣٣ :  
 ٤ ، ٣٥ : ٦ : ٣٩ : ٧ : ٤٠ :  
 ١٦ ، ٤٢ : ٦ : ٨٨ : ١٦ :  
 ١٣٠ : ١٣ : ١٤٦ : ٨ : ٢٠١ :  
 ١٣ ، ٢٠٥ : ١٠ : ٢٠٦ : ٧ :  
 ٢٠٧ : ٢١ : ٢١٤ : ٧ : ٢٢٤ :  
 أبو شريح أوس بن حجر التيمي الشاعر —  
 ٣ : ٥٩

أبو بكر القومسي — ١٤ و ١ : ٣٢ \*  
 ١١ : ٣٤  
 أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه  
 الفقيه — ٩ : ٤ و ٢١ \*  
 أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف  
 بابن السراج النحوي — ٢٧ : ٢ و ١٤ \*  
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي —  
 ١٤٣ : ١ و ١٨ \*  
 أبو جعفر الصيمري — ١٣٢ : ٧ :  
 ١٣٣ : ٢  
 أبو جعفر ملك سجستان — ١٣٠ : ١٣  
 أبو حاتم الرازي — ١٤٠ : ١٩ : ٢٢٢ : ١٧  
 أبو حامد أحمد بن بشر المروزي — ٩٠ :  
 ١٩ و ٦ \* ٩٥ : ٧  
 أبو الحسن أحمد بن جعفر جعظة القاصر —  
 ٢٨ : ٨ و ١٩ \*  
 أبو الحسن الأنصاري صوابه الأنطاكي وهو  
 أبو القاسم علي بن أحمد — ٩٣ : ١٠ : ١٩  
 أبو الحسن العروضي — ٥٩ : ١  
 أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ابن  
 الرومي) — ٢٧ : ٣ و ١٧ \*  
 أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى — ١٠٨ :  
 ٣ ، ١٢٨ : ١١ : ١٢٩ : ٥ :  
 ١٣٣ : ١٣ و ٢٠ \* ٢١٤ : ٧  
 أبو الحسن الفلكي — ٦٨ : ١٧  
 أبو الحسن محمد بن يوسف العامري — ٣٥ :  
 ٣٦ ، ١ : ١٥ و ٢٢٢ \* ١٤ :  
 ٢٢٣ : ٦  
 أبو حنيفة (الإمام) — ٥٥ : ٣ : ١٣٢ : ٤  
 أبو حنيفة القوي — ١٩٣ : ٢٠  
 أبو حيان التوحيدى — ١ : ٢ : ٢ : ١٩  
 ٣ : ١١ : ٧ : ٦ : ٢٦ : ١٧ :  
 ٢٩ : ١٤ : ٣٢ : ١٤ : ٣٦ : ١٧ :  
 ٥٠ : ٢٥ : ٩٠ : ٢٠ : ١٠٤ :

أبو عثمان الجاحظ — ٥ : ٣٠٨ ، ١٤ : ١٤  
٤ : ٦٦

أبو عثمان النمشق — ١٠ : ٢١٥  
أبو علي أحمد بن محمد مسكويه — ١ : ٣٢  
و ١٦ : ٣٥ ، ٣ : ٣٦ ، ٢ : ٤٨  
١٤ : ١٣٦ ، ٤

أبو علي الحسن بن علي الخالغ — ١٣٦ :  
١ و ١٢ \*

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران —  
١٤١ : ٨ و ٢٠ \*

أبو علي بن السمع — ١٣٢ : ١ و ١٣ \*  
أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة —  
١٣ : ٤٨ ، ٨ : ٣٣ ، ٩ : ١٣  
أبو علي القسوي النحوي الحسن بن أحمد —  
١٢٩ : ٥ و ١٩ ، ١٣١ : ٤ ،  
١٣٢ : ١

أبو علي بن مكينا — ٤٣ : ٦ و ٢١ \*  
٤٤ : ١١ ، ٤٨ : ٦

أبو عمرو بن الملاء — ٥٨ : ٩  
أبو عمرو قدامة بن جعفر — ١٠٨ : ٧  
أبو عيسى بن المنجم : ٥٦ : ٤  
أبو العيلاء — ٥٨ : ١٣ ، ٧٠ : ٦

أبو الفتح بن العميد = ذو الكفارين  
أبو الفتح علي بن أبي الفضل محمد بن  
العميد

أبو الفتح الفضل بن جعفر = ابن الفرات  
الوزير

أبو الفتح محمد بن جعفر الهنداني بن المراهي —  
١٢٩ : ١٠ ، ١٣٣ : ١٧ و ٢٢ \*

أبو الفضل بن العميد الكاتب — ١٦ :  
١٤ ، ١٧ : ١٥ ، ٣٢ : ١٧ ، ٣٥ :  
٨ ، ٣٦ : ١٨ ، ٦١ : ١٢ ، ٦٦ :  
٣ ، ٦٧ : ٩ ، ٦٨ : ١٥ ، ١٣٢ :  
١٢ ، ١٣٦ : ٢٩

أبو شعيب دوست بن رباط النقيمي —  
٧٠ : ٩

أبو طالب الجراسي — ٦٨ : ١٤ و ١٦  
أبو العباس — ١٢٤ : ٥  
أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان المنطقي  
— ٢٠٧ : ١٥ و ٢١ ، ٢٠٨ :  
١٤ ، ٢١٠ : ٤

أبو العباس المبرد — ٢٧ : ١٥ ، ١٣١ : ٨  
أبو العباس محمد بن صبيح الكوفي المعروف  
بأبي السهاك — ١٤ : ٥ و ١٥ \*  
١٥ : ٤ ، ٢٢ : ٣

أبو عبد الله تلميذ أبي سعيد السيرافي —  
١٣٣ : ٤ و ٥

أبو عبد الله الجيهاني أحمد بن محمد بن نصر —  
٧٨ : ١١ و ٢٥ ، ٨٥ : ١٥ ،  
٨٦ : ١٤ ، ٨٨ : ٥ ، ٨٩ : ٩

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج  
القاهر — ٤٨ : ٧ ، ١٣٧ : ٤  
و ١٤ و ١٥ : ١٣٨ ، ١٣٩ : ٨  
أبو عبد الله الحسين بن علي الجعل — ١٤٠ :  
١ و ١٦ \*

أبو عبد الله الحسين بن محمد النجار — ٥٨ :  
١٦ و ٢١ \*

أبو عبد الله بن طاهر — ٤٣ : ٦ و ٢٢ \*  
٤٥ : ٣ ، ٤٨ : ٦

أبو عبد الله العارض الحسين بن أحمد بن  
سعدان الوزير — ٢ : ١٩ ، ٤ :  
١١ و ٢٣ ، ١٢٩ : ٢٢ ، ١٣٩ :  
٩ و ١٨

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم —  
١٤١ : ٢ و ١٦ \*

أبو عبد الله النصري — ١٣٢ : ١٠  
أبو سعيد الله المرزباني محمد بن عمران —  
٤١ : ٥ ، ١٢٩ : ١٠ ، ١٣٤ :  
٣ و ١٥ \*



٥ : ٥٠ ، ١٣ : ٤٨ ، ٤ : ٤٢  
 و ٢٢ : ٥١ ، ٧ : ٥٢ ، ٢ : ٢٢٦  
 ٢٣ : ٢٢٦  
 أبو يوسف الفقيه — ١٠ : ٥٨  
 أحمد بن بصر للروروذي = أبو حامد  
 أحمد بن بصر  
 أحمد بن جعفر جعظة = أبو الحسن أحمد  
 ابن جعفر  
 أحمد بن سهل البلخي = أبو زيد أحمد  
 ابن سهل  
 أحمد بن محمد — ٢ : ٦٤  
 أحمد بن محمد مسكويه = أبو علي أحمد بن محمد  
 أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني = أبو عبد الله  
 الجيهاني أحمد بن محمد  
 أخشاد — ١٠ : ٧٩  
 إديوس — ٣ : ١٦٤  
 أرسطوطاليس — ١٨ : ٣٦ ، ٥٨ : ١٢  
 ١٢ : ١١٤ ، ٤ : ١١٦ ، ١ : ١١٦  
 استاينجاس — ٢٠ : ٦١  
 إسحاق بن إبراهيم التوماني — ٦ : ٧٦  
 إسحاق بن عمران — ١٩ : ٩٧  
 الأسدي — ١٥ : ٩٤  
 الإسكافي — ١٠ : ٥٨  
 الإسكندر — ٥ : ٧٥  
 إسماعيل بن عباد = أبو القاسم إسماعيل  
 صاحب بن عباد  
 أشنج السلي — ٨ : ٥٨  
 الأصمى — ٧ : ٩٤  
 أنشكين — ١٠ : ١٣٧  
 الأقرع بن حابس — ٥ : ٨٥  
 اقليدس — ٩ : ٨٩  
 امرؤ القيس — ١٨ : ٢٠٦ ، ٢٠ : ١١٨  
 الأندلسي — ١٦ : ٢٤٠ ، ٩ : ٢١١  
 أنوشروان — ٣ : ٨٠ ، ٧ : ٧٥

أبو القاسم إسماعيل صاحب بن عباد —  
 ٣ : ١٣ و ٢٣ : ٢٤ ، ٢٣ : ٢٣  
 ١٣ : ٦٣ ، ١٥ : ٦١ ، ٢ : ٥٣  
 ٦٩ : ٦٤ ، ٢ : ٦٦ ، ٨ : ٦٧ ، ١١ : ١٠٣ ، ٢٢ : ١٣٤  
 ١٢ : ١٤١ ، ١٦ : ١٣٧  
 أبو القاسم بن حنولة — ١٥ : ٢٤  
 و ٢١ : ٢٢  
 أبو القاسم الباري — ٩ : ١٤١ و ٢٢ : ٢٢  
 أبو القاسم عبيد العزيز بن يوسف —  
 ١٢ : ٦١ ، ٤ : ٤٨ ، ١٩ : ٤٢  
 ١ : ٦٦ و ١٥ : ٦٦  
 أبو القاسم عبيد الله بن الحسن غلام زحل —  
 ٣ : ١٧ و ٣٨ : ١٧  
 أبو القاسم علي بن جليات — ٧ : ١٣٥  
 و ١٧ : ١٧  
 أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الجراح —  
 ٢ : ٣٢ و ٢٣ : ٣٦ ، ١١ : ٣٦  
 أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن  
 المصري — ١٥ : ٥٦ ، ٥ : ٣٥ ، ١٦ : ٥٧  
 ١٢ : ٢٢٢ ، ١٦ : ٢٢٢  
 أبو محمد الحجاج بن يوسف — ٢ : ٤٧  
 أبو مسلم الخراساني صاحب الدولة —  
 ٩ : ٧٥  
 أبو منصور = ابن الناظر  
 أبو نصر خواشاذ — ١٦ : ٥١  
 أبو نصر سابور — ٢٢ : ٤٣  
 أبو نصر الفارابي — ٢١ : ٣٢  
 أبو نواس — ٢٠ : ١١٠  
 ٩ : ١٠٣ ، ٨ : ٩٧ و ١٨ : ١٠٣  
 أبو الوفاء علي بن يحيى السامري —  
 ٢ : ٣٨  
 أبو الوفاء المهندس محمود بن محمد بن يحيى —  
 ١٢ : ٤١ ، ٧ : ١٩ ، ١٩ : ٢

الأهوازي — ١٤ : ٤٨  
أوميدوس الشاعر — ٣ : ١٦٤

(ب)

باقل — ١٧ : ٦١  
البخاري المحدث — ٢٤ : ٢٦  
البخاري = أبو العباس البخاري تلميذ  
أبي سليمان  
البديهي — ٩ : ٣١  
بشر بن متى — ٢٢ : ٣٢  
بشر بن هارون — ٦ : ١٣٩  
البلعمي الوزير — ٣ : ١٣٠  
بلهور — ٩ : ٧٩  
بندار المغني — ٩ : ٤٢  
بهاء الدولة البويهبي — ١٨ : ٣٢  
بهرام بن أزدشير = أبو سعيد بهرام  
ابن أزدشير

(ث)

ثابت — ١٢ : ٥٧

(ج)

جابر بن حيان — ١١ : ٣٥  
الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ  
جعظة = أبو الحسن أحمد بن جعفر  
الجراح = أبو القاسم عيسى بن علي  
الجراحي = أبو طالب الجراحي  
جرير — ١٦ : ١٩٧، ٢٤ : ٧٩  
جعفر بن يحيى — ٦ : ١٠٠  
جميل بن معمر صاحب بئينة — ١٤ : ١٣٨  
الجيهازي = أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر  
الجيهازي = محمد بن أحمد

(ح)

الحجاج بن يوسف = أبو محمد الحجاج  
ابن يوسف  
الحرائي — ٥ : ٣٨  
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو علي  
الفسوي  
الحسن بن برمويه — ٨ : ٤٢ و ١٨ \*  
٣ : ٤٣  
الحسن بن سوار = أبو الخير الحسن بن سوار  
الحسن بن عبد الله المرزبان = أبو سعيد  
السيرافي  
الحسن بن علي الخالع = أبو علي الحسن بن  
علي الخالع  
الحسن بن وهب — ٧ : ٩٧  
الحسين — ٩ : ١٣٩  
الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر = أبو  
عبد الله الحسين بن أحمد  
الحسين بن أحمد بن سعدان الوزير =  
أبو عبد الله العارض  
الحسين بن صالح بن خيران = أبو علي الحسين  
ابن صالح  
الحسين بن علي الجعل = أبو عبد الله الحسين  
ابن علي  
الحسين بن محمد التجار = أبو عبد الله الحسين  
ابن محمد

(خ)

خاقان — ٩ : ٧٩  
خالد بن سنان العبسي — ٣ : ٥٩ و ١٥ \*  
خالد بن صفوان — ٢ : ٢٣  
الخالدي — ٦ : ١٠٨  
خراسان — ٢٢ : ٢٢١ \*

زكرياء (عليه السلام) — ١٢ : ٩١  
 الزهري — ٧ : ١٠٨  
 : هير بن أبي سلمى الشاعر — ٢٥ : ٤٥  
 ٢١ : ٧٧  
 الزهري — ٨ : ٦٣

(س)

سابور بن أزدشير — ١٦ : ١٣٧  
 سابور = أبو نصر سابور  
 سبحان — ٢ : ١٣٩  
 السري السقطي — ١٧ : ٥٨  
 سطيج — ٢ : ٥٩  
 سقراط — ٩ : ٢١٥  
 سكان شاه — ٤ : ٧٩  
 السلامي — ١٠ : ١٣٤  
 سليمان (عليه السلام) — ١٢ : ٩١  
 سليمان بن عبد الملك — ٦ : ٢٧  
 سهل بن هارون — ١٤ : ٥٨  
 سيبويه — ٧ : ١٣١ ، ١٨ : ٧٩ ، ٣ : ٢٢٢  
 السيرافي = أبو سعيد السيرافي  
 سيف الدولة بن حمدان — ٢٥ : ١٣٦ ، ١ : ١٣٧

(ش)

شبيب بن شبة — ٢ : ٧١  
 شرف الدولة البويهى — ١٦ : ٥١  
 شهرزاد — ٢٢ : ٢٣ \*

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن حلال

خراس بن زهير — ٩ : ٢٢١  
 الخليل بن أحمد — ٩ : ٥٨  
 خواشاذه = أبو نصر خواشاذه

(د)

الدارقطني — ١١ : ١٣٠  
 داود (عليه السلام) — ١١ : ٩١  
 دوست بن رباط الفقيهي = أبو شعيب  
 دوست بن رباط

(ذ)

ذو الرمة الشاعر — ١٠ : ٢٢ و ١٨  
 ذو الرياستين (ابن سينا) — ٢ : ٥٩  
 ذو الكفائين أبو الفتح علي بن أبي الفضل  
 محمد بن العميد — ١٢ : ٣ و ٢٠ \* ،  
 ١٠ : ٦٦ ، ١٣٦ : ٣ ، ١٣٧ :  
 ١٠ و ٩ ، ١٣٩ : ٣

(ر)

الرازي = أبو حاتم الرازي  
 الراوندي — ١٩ : ١٤٠  
 ردينة — ٢٢ : ٧٦  
 الرشيد = هارون الرشيد  
 الرضى بالله العباسي — ١٩ : ٧٩  
 الرماني = أبو الحسن علي بن عيسى  
 ركن الدولة البويهى — ٢١ : ٣  
 رؤية بن المعراج — ١٩ : ١١٨

(ز)

الزجاج — ٨ : ١٣١  
 زرادشت — ٩١ : ٩٢ ، ٣ : ٩٣ ، ٥ :



علم الجارية — ٩ : ٤٢  
 على بن أبي طالب — ٩ : ٧٠ ، ٢١ : ١٠  
 على بن أبي الفضل محمد أبو الفتح بن العبد =  
 ذو الكفائين أبو الفتح على  
 على بن أحمد الأنطاكي = أبو الحسن  
 الأنصاري

على بن جعفر — ٦ : ٦٢  
 على بن جليات = أبو القاسم على بن  
 جليات

على بن ربن — ١٥ : ٥٨ ، ١٩ و \*  
 على بن العباس بن جريج = أبو الحسن على  
 ابن العباس

على بن عيسى الجراح الوزير — ٣٢ :  
 ١٤ : ٦٨ ، ٢٣

على بن القاسم — ١٦ : ٦١  
 على بن يحيى السامري = أبو الوفاء على  
 ابن يحيى

عمارة بن عقيل — ٧ : ٢٢٢  
 عمر بن الخطاب — ٨ : ٢١ ، ٨ : ١٠٣  
 عمر بن عبد العزيز — ٩ : ٢٦  
 عمرو بن كلثوم — ٢٠ : ١٤٣ \*  
 عمير بن شبيب التغلبي الملقب بالقطامي — ٢٢ :  
 ١٤ و ٢٢ \*

عترة العبيسي — ٢٠ : ١١ \*  
 عيسى بن إسحاق = أبو على عيسى  
 ابن إسحاق

عيسى بن دأب الأخباري — ١٥ : ٥٨  
 عيسى بن علي بن عيسى الجراح = أبو  
 القاسم عيسى

عيسى (عليه السلام) — ١٥ : ٥٩

(غ)

غزال الرافض — ٩ : ٤٢

الصاحب بن عباد = أبو القاسم إسماعيل

الصاحب بن عباد

الصافاني — ٣ : ٣٨

صبيد — ١٠ : ٧٩

صريع الفوائ — ٧ : ٥٨

صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه —

١٢ : ٤٣ ، ١٨ : ٤٢ ، ٢٤ : ٤

١٧ : ٦٦ ، ١٧ : ٥١

(ط)

طرفة — ٢٠ : ٨١ \*

(ع)

عباد أبو الصاحب — ٨ : ٦٣

العباس بن مرداس — ٦ : ٧٦

عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي —

١١ : ١٣٦ و ٢٥ \*

عبد العزيز بن يوسف = أبو القاسم

عبد العزيز بن يوسف

عبد الله بن دارم — ٦ : ٨٤

عبد الله بن مصعب — ٥ : ٤١

عبد الله بن مروان — ٧ : ٢٦

عبيد الله بن الحسن = أبو القاسم غلام زحل

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود —

١٠ : ٢٦

هروية بن الورد — ١ : ٦١

عن الدولة البويهية — ١٨ : ٦٧

المسجدي — ١٤ : ٤٨

عضد الدولة بن بويه — ٢٢ : ٣ ، ١٩ : ٣٠ ،

٢١ : ٤٣ ، ٢ : ٤٢ ، ١٨ : ٣٢

٢٢ : ١٣٤ ، ١٨ : ٦٧ ، ١٦ : ٦٦

١٦ : ١٣٧

هلام زحل = أبو القاسم عبيد الله بن الحسن  
هيلان بن عقبة بن نهيس = ذو الرمة

### (ف)

غفر البولة أبو الحسن علي بن بويه — ٤ : ١٢  
فضالة بن كعدة — ٤ : ٥٩  
الفضل بن جعفر = ابن القرات

### (ق)

قايوس — ٩ : ٥١  
القادر بالله الخليفة — ١٠ : ١٣٥  
قارون — ١٤ : ١٤١  
قدامة بن جعفر = أبو عمرو قدامة بن جعفر  
قس بن ساعدة — ١٧ : ٦١  
القس نظيف النفس الرومي — ٢ : ٣٢  
و ١٩ \* ٣ : ٣٧  
القنطاري = عمير بن شبيب التخلي  
القنطاري — ١٨ : ٣٨ ، ١٠ : ٣٢  
القناني = أبو بشر متى  
القوي — ٣ : ٣٨  
قيصر — ٨ : ٧٩

### (ك)

الكنتي — ٦ : ١٠٨  
كريز أبو سيار المسعي — ٧ : ٧٠  
كسري — ٨ و ٣ : ٧٩  
كسري أنوشروان = أنوشروان  
الكندي — ٥ : ١٢٧ ، ١٢ : ٥٨

### (م)

المعني — ١١ : ١٣٥

مقي = أبو بشر متى بن يونس القناني  
محمد (صلى الله عليه وسلم) — ١٥ : ٥٩  
٢ : ٩١

محمد بن إبراهيم — ٥ : ٦٩  
محمد بن أحمد الجيهاني — ٢٥ : ٧٨  
محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفقيه =  
أبو بكر محمد بن أحمد بن علي  
محمد بن جعفر الهمداني = أبو الفتح محمد  
ابن جعفر

محمد بن الحسين الحائمي — ١ : ١٣٥  
و ١٠ \*

محمد بن حيويه بن المؤمل — ١١ : ١٢٩  
١٣٤ : ٣ و ١٨ \*

محمد بن السري بن سهل = أبو بكر محمد  
ابن السري

محمد بن صبح الكوفي = أبو العباس محمد  
ابن صبح

محمد بن طاهر = أبو سليمان النطقي محمد  
ابن طاهر

محمد بن طنج = ابن طنج  
محمد بن الطيب الباقلائي القاضي = أبو بكر  
محمد بن الطيب

محمد بن عبدكان — ١٢ : ٦٧ ، ٦ : ٥٨  
و ٢٥ \*

محمد بن عمران = أبو عبيد الله المرزباني  
الأديب

محمد بن محمد بن النعمان = أبو عبد الله محمد  
ابن محمد بن النعمان

محمد بن يوسف العامري = أبو الحسن  
محمد بن يوسف

محمود بن محمد بن يحيى = أبو الوفاء المهندس  
المرزباني بن محمد ملك الديلم — ١٤ : ٦٨ ،  
٥ : ١٣٠

المرزباني صاحب آل سامان — ٩ : ١٠٨

(هـ)

هارون الرشيد — ١٤ : ١٦ ، ٢٢ : ٢٣  
المروى — ٦٩ : ١٢

(و)

الواتق بالله الخليفة — ٩٧ : ١٦  
الواسطى — ١٤٠ : ١١  
الواندى — ٥٨ : ١٦  
وهب بن يعيش الرقى = ابن يعيش

(ى)

ياقوت — ٥٥ : ٢٠ ، ٧٩ : ١١ ، ٨٤ : ٨٤  
١٤ ، ١٠٧ : ٢١ ، ١١٠ : ١٨ ،  
١١٦ : ٢٠ ، ١١٨ : ١٧ ،  
١٣٢ : ٢٠  
يعي (عليه السلام) — ٩١ : ١٢  
يعي بن عدى أبو زكريا — ٣٢ : ٢  
و ٢١ \* ، ٣٧ : ٦  
يعقوب بن السكيت — ٢٢٦ : ١  
يقفور صوابه فُخْفُور — ٧٩ : ٩  
يوحنا — ٥٨ : ١٥

مزدك — ٩٢ : ٩

مكويه = أبو علي أحمد بن محمد

المسيح (عليه السلام) — ١٥٠ : ١٢

مماوية بن أبي سفيان — ١٠ : ٢١ \*

١٥ : ٥٠ ، ٧٠ : ٩

المنعم الخليفة — ٥٨ : ٢٠ \*

المعري صوابه المكييمرى — ٣٨ : ٣

المقتدر الخليفة العباسى — ١٠٧ : ٢٢ \*

النذر بن ساوى — ٨٤ : ٥

الهدى الخليفة — ٧٠ : ٦

المهلبى الوزير — ١٣٢ : ١٠ ، ١٣٧ : ١٦

موسى (عليه السلام) — ٩١ : ١١

مؤيد الدولة أبو منصور بويه — ٣ : ٢٤ \*

٤ : ١٣ ، ٦٠ : ١٧

(ن)

النبي = محمد صلى الله عليه وسلم

النجار = أبو عبد الله الحسين بن محمد

نصر الدولة — ٣٢ : ١٤

نصر غلام خواشاده — ٥١ : ٢

النصرى = أبو عبد الله النصرى

النصيبى = أبو إسحاق النصيبى

نظيف = النفس نظيف النفس الرومى



# فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١٣ ، ١٣٦ : ٢٦ ، ١٤٠ : ١٩ ،

١٤١ : ١٠ و ٢٣

بلاد الجبال — ٣ : ١٧ ، ٤ : ١٠

بوزجان — ٥٠ : ٢٣

البيت العتيق — ٢٤ : ٩

البيارستان — ٥١ : ٧

(ت)

تركستان — ٧٩ : ٢١

تفليس — ٥٥ : ١٣

(ج)

جبل طي — ٨٣ : ٢٢

جزجان — ٥١ : ٩

جزيرة العرب — ٨٤ : ٢٤

جيهان — ٧٨ : ٢٤

(ح)

حضر موت — ٨٤ : ١٠

(خ)

خراسان — ٢٦ : ١٦ ، ٤١ : ١٥ ،

(١)

أرجان — ٤ : ٩ و ١٩

إرم — ٨٤ : ٧ و ٢٤

أردوال = أردوان

أردوان — ٧٩ : ٢٨

أسكنان : ٧٩ : ١٠

أصبهان — ٦٣ : ٨ ، ٧٩ : ٢٧ ،

١٤١ : ٢٢

أندلس — ٧٧ : ٩

أنطاكية — ٩٣ : ١٩

الأهواز — ٤ : ١٩ ، ١٣١ : ١٢

(ب)

باب الجسر — ٥١ : ٦

بابهان = أرجان

باريس — ١٣٧ : ١٧

بحر الهند — ٨٤ : ٢٥

البحرين — ٨٤ : ١٤ و ١٦

بخارى — ٧٨ : ٢٥

البصرة — ١٤٠ : ١٧

بغداد — ٣ : ١١ ، ١٤ : ١٦ ، ٢٥ :

١٨ ، ٢٨ : ٢١ ، ٢٩ : ١٣ و ٥٠ ،

٣٢ : ١٣ و ٩ ، ٢٠ ، ٤١ : ١٨ ،

٩٣ : ١٩ و ٢٠ ، ٨٠ : ١٨ ، ١٣١ :

(ش)

الشام — ٧٩ : ٢١ ، ٧٩ : ٢٠  
٨٣ : ٢٢ ، ٨٤ : ١ ، ١٩٤ : ١  
الشعر — ٨٠ : ٦٣ ، ٨٤ : ٧ و ٢٥

(ص)

صحرار — ٨٤ : ٧ و ٢٣  
الصفا — ٨٤ : ١٦  
صفين — ٧٠ : ٧  
صنماء — ٨٠ : ١٤ ، ٨٥ : ١  
الصين — ٧١ : ١٦

(ط)

طهران — ٣ : ١٨  
طيبة — ٨٠ : ٤ و ١٥

(ع)

عدن — ٨٤ : ٨ و ٢٤ و ٢٥  
العراق — ١٠ : ٢١ ، ٢٢ : ١٣ ، ٥٠ : ٥٠  
٢٣ ، ٨٤ : ١ ، ١٣٤ : ٢١  
مرفة — ٨٥ : ٦  
عكاظ — ٨٥ : ٣ ، ٢٢١ : ١٠ و ١٠  
همان — ٤٣ : ١٢ ، ٨٤ : ٦ و ١٩ و ١  
٢٢ و ٢٣ و ٢٥

(ف)

فارس — ٤ : ١٩  
فرغانة — ٥٥ : ١٣ و ٢٢ ، ٧٩ : ١٠ و ١٩ و ٢٠

٧٨ : ٢٤ ، ٧٩ : ٩ ، ١٣٤ : ١٥ ،

١٤٤ : ١٣ ، ٢٢١ : ٢٢

خوارزم — ٧٧ : ٩  
خوزستان — ٤ : ١٩ ، ٧٩ : ٢٨

(د)

دار الكتب المصرية — ٩٨ : ١٩  
دارك — ١٤١ : ٢٢  
دبا — ٨٤ : ٧ و ٢٠  
دمشق — ٨٣ : ٢٣  
دومة الجندل — ٨٣ : ١٤ و ٢٢ ، ٨٤ : ٨٤  
١٢ و ٣

(ذ)

ذو المجاز — ٨٥ : ٣

(ر)

راغة = الرى  
الراية — ٨٤ : ١٠  
الرى — ٣ : ١١ و ١٢ و ٢٤ ، ٣٥ : ٥٠  
٣٦ : ١ ، ٥١ : ٨ ، ١٣٦ : ٣ ،  
١٤١ : ١٢

(ز)

زرود — ٨٠ : ١٥

(س)

سجستان — ٤٢ : ٦ ، ١٣٠ : ١٣  
سُرَّ مَنْ رَأَى — ٦٩ : ٦  
سَنَجَان — ٤١ : ١٥ و ٢١

نيسابور — ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٥٠ ،  
١٤١ : ١٠ و ٢٢

( هـ )

هجر — ٨٤ : ٤ و ١٤ و ١٧  
مندان — ١٢ : ٥٣ ، ١٣٤ : ١٨ ،  
١٤١ : ٥ و ١٣  
المير — ٨٠ : ١٦  
الهند — ٧٩ : ٩ ، ١٦٥ : ١٣ ،  
٨ : ١٧٤

( و )

واسط — ٢٨ : ٢١ ، ٧٩ : ٢٨  
وبار — ٨٠ : ٣

( ي )

بيرين — ٨٠ : ٤  
الين — ٨٠ : ١٣ ، ٨٤ : ٢٥  
يونان — ١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١

( ك )

كرخ بغداد — ١٣٤ : ٢١  
الكوفة — ١٤ : ١٧ ، ٩٧ : ١٩

( م )

ماوراء النهر — ٩٩ : ٢٣  
للتحف البريطاني — ١٣٧ : ١٧  
للدينة — ٨٣ : ٢٢  
مدينة السلام = بغداد  
مرو — ٤١ : ٢١  
الشعر — ٨٤ : ٥ و ١٦  
مصر — ٥٥ : ١٣ ، ٧٩ : ٢٠ ،  
١٠٨ : ٩  
مكة — ٨٠ : ١٦  
مكتبة باريس — ١٣٧ : ١٧

( ن )

نجد — ١٩٦ : ٩  
النوبة — ١٦٥ : ١٤



**فهرست القبائل والأمم والفرق**  
**الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة**  
**لأبي حيان التوحيدي**

١١٧ : ١٤ : ١٣٧ ، ١٠ : ١٤٤ :  
 ١٠ : ٢١٢ : ٧ و ٨

(ج)

الجاهلية — ١٤ : ٩٩  
 الجبرية — ٢٤ : ٥٧

(ح)

الحكاء — ١٤٦ : ١٢ : ١٤٨ ، ١٣

(خ)

الحرثية — ٤ : ١٤٣

(ر)

الروم — ٧١ : ١٤ : ٧٤ ، ١ : ١٧٣ :  
 ١٧ : ٢١١ ، ١٩

(ز)

الزبدية — ٣ : ٥٥  
 الزنج — ٧١ : ١٨ : ٧٤ ، ٢ : ٧٧ :  
 ٩ : ٢١٢ ، ٩

(١)

آل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) =  
 ٥ : ١

آل ابن ثوبة — ٩٧ : ٨ : ١٠٣ ، ٩

آل ابن وهب — ١٠٣ : ٩

آل سامان — ١٠٨ : ٩ : ١٢٩ ، ١٦

الأتراك = الترك

أهل الذمة — ٩٩ : ٢٤

(ب)

البصريون — ٢٥ : ١٩

البغداديون — ١٩ : ١٣ و ١٨

بنو أسد — ٨٠ : ٣

بنو تميم — ٨٥ : ٥

بنو عبد الله بن دارم — ٨٤ : ٦

بنو عبد المطلب — ٧٦ : ٨

بنو تغزوم — ١٣٤ : ٢١

(ت)

التابعون — ٢٥ : ٢

الترك — ٧١ : ١٧ ، ٧٤ : ٢ : ٧٧ :

٩ : ٧٩ ، ٩ : ١١٠ ، ١٣ ، ٩

٩١ : ٩٤ ، ٩٢ : ٩٦ ، ٩٤ : ٩١  
 ٣ و ٧ و ٩ و ١١ ، ٩٥ : ١٠٦ ،  
 ١٩ ، ١١٠ : ١٣ ، ١١٤ :  
 ٣ ، ١١٧ : ١٤ ، ١٢٢ : ١٦ ،  
 ١٢٩ : ١٢ ، ١٣٠ : ٤ و ٤ ،  
 ٢١٢ : ٤ و ٦ و ٨ و ١٤ و ٢١ ،  
 ٢٢١ : ٥

المراقبيون — ٦٤ : ٢

(ف)

الفرس — ٧١ : ١١ ، ٧٤ : ١ و ٧ و ١٠ ،  
 ٨٩ : ١٥ و ١٧ ، ٩٠ : ٩٣ ،  
 ٥ و ١٦ ، ٩٤ : ٥ ، ١١٠ : ١٣ ،  
 الفلاسفة — ٢٦ : ١٥ ، ١٩٨ : ٧

(ق)

القرامطة — ٤٤ : ٣ ، ٤٨ : ٥

(ك)

كلب — ٨٣ : ٢٣ ، ٨٤ : ١ و ٣ و ٤  
 كنانة — ٨٣ : ٢٣  
 الكوفيون — ١٣١ : ٥

(م)

المتكلمون — ١٤٣ : ١٨  
 المعتزلة — ٥٤ : ١٤ ، ١٤٣ : ٣  
 الملحدة — ١٤٣ : ٤  
 المنطقيون — ١٠٨ : ١٨ ، ١٢١ : ٨  
 المهندسون — ١٠٧ : ٦

(س)

السامانيون — ٧٨ : ٢٦  
 السودان — ٢١٢ : ٩

(ش)

الشافعية — ١٤١ : ٢١  
 الشيعة الإمامية — ١٤١ : ١٦

(ص)

الصابثون — ٦٧ : ٢١ ، ٩١ : ٨ ،  
 ١٢٨ : ٧  
 الصبابة — ٢٥ : ٢  
 صقلاب — ٧٧ : ٩  
 الصوفية — ٧ : ٨ ، ٥١ : ١٩

(ط)

الطبيعيون — ١٠٧ : ٦

(ع)

عبس — ٥٩ : ١٦  
 العجم — ٤٧ : ٢ ، ٧٠ : ١٢ و ١٧ ،  
 ٧٧ : ٨ ، ٨٣ : ١٢ ، ٩٠ : ١  
 العرب — ٢٤ : ٩ ، ٢٥ : ٣ ، ٤٧ :  
 ٢ ، ٥٠ : ١٧ ، ٧٠ : ١٢ و ١٣  
 ١٤ و ١٥ ، ٧١ : ١٨ ، ٧٢ :  
 ٥ ، ٧٤ : ٣ و ٨ ، ٧٦ : ١٤ و ٢٢ ،  
 ٨٠ : ٢٣ ، ٨٢ : ٨ ، ٨٣ : ٣ و ١٠ ،  
 ٨٤ : ٢٠ و ٢١ ، ٨٥ : ٧ ،  
 ٨٦ : ١٦ ، ٨٨ : ١٦ ، ٨٩ : ٩

١١٧ : ١٤ : ١٧٤ : ٨ : ٢١١ :  
٢ : ٢١٢ : ١٩

(٢)

اليهود — ١٠ : ٨ : ١٠  
يونان — ١٨ : ١٦ : ٨٩ : ٥ : ٧٥ :  
١٧٠ : ١٠ : ١٧٣ : ١١ :  
٢ : ٢١٢

(٣)

التحويون — ١٠٧ : ١ : ١١٧ : ٩ :  
١٠ : ١٢١  
النصارى — ١٠ : ٨ : ٩١

(٤)

الهنود — ٧٤ : ١٨ : ٧٧ : ٩ :  
١٣ : ١١٠ : ٩٣ : ٩ : ٧٩



## فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

تهذيب الأخلاق — ١٧ : ٣٢

(ح)

حياة الحيوان — ٢١ : ١٨٠  
الحيوان للجاحظ — ١٤ : ٥٨ ، ٢ : ٥

(ذ)

ذيل تجارب الأمم — ١٧ : ٤٢ ، ٤٣ : ٢٠

(ر)

الرسالة الخاتمة — ١٠ : ١٣٥

(ع)

عيون الأخبار — ٢٤ : ٢٧  
عيون الأنباء — ١٨ : ٤١

(ف)

فردوس الحكمة — ١٩ : ٥٨  
فضيلة علم الأخبار — ١٦ : ٢٦  
الفلاحة — ١٠ : ٨٩  
الفهرست — ١٦ : ١٣٤

(١)

آيين نامه — ٢٥ : ٧٨  
الأجوبة — ١٦ : ٣٦  
أخبار بني بويه — ٢٠ : ٦٧  
أخبار الحكماء — ٢٤ : ٥٠ ، ١٨ : ٣٨  
إصلاح المنطق — ١ : ٢٢٦  
إعجاز القرآن — ١٩ : ١٤٣  
الألفاظ الفارسية العربية — ٢٤ : ٧٩  
ألف ليلة وليلة — ٢١ : ٢٣  
إنقاذ البصر من الجبر والقدر — ١٥ : ٢٢٢  
إساغوجي — ٤ : ٣٥

(ب)

البدل — ٢١ و ١٦ : ٥٨  
بلوغ الأرب — ١٨ : ٨٤  
البهجة — ٢ : ١٣٤ ، ٢٣ : ١٣٣

(ت)

التاجي في أخبار بني بويه — ١٩ : ٦٧  
تاريخ ابن الأثير = الكامل لابن الأثير  
تاريخ الحكماء — أخبار الحكماء  
تجارب الأمم — ١٧ : ٣٢

معجم البلدان — ٧٩ : ٢٧ ، ٨٤ : ٤  
 المعجم الفارسي الإنجليزي — ٦١ : ١٩  
 مفاتيح العلوم — ٩٩ : ٢٢  
 مفردات ابن البيطار — ١٧٩ : ٢١  
 المقابسات — ١١٤ : ١٨ و ٢٠ ، ١١٥  
 ١٩ و ٢١ ، ١١٦ : ٢٠  
 المقدمات — ١٤١ : ٢١  
 الموسيقى — ٨٩ : ٩

(ن)

نقض كلام الراوندي — ١٤٠ : ١٩  
 نقض كلام الرازي — ١٤٠ : ١٩  
 نهاية الأرب — ٩٨ : ١٩  
 النوادر — ٢٦ : ١٧

(هـ)

هزار أفسان — ٢٣ : ٨ و ١٩

(ي)

يقيمة الدهر — ١٣٤ : ٢٣ ، ١٣٥  
 ١٨ ، ١٣٦ : ١٣ ، ١٣٧ : ١٧

(ق)

قاميغورياس — ٣٥ : ٤

(ك)

الكامل لابن الأثير — ٥٠ : ٢٤ ، ١٣٣ :  
 ٢٤ ، ١٣٧ : ٢١  
 كتاب إقليدس ٨٩ : ٩  
 كتاب للجيهاني في الطعن على العرب —  
 ٧٨ : ١١  
 كتاب سيويه — ٧٩ : ١٨ ، ١٣١ :  
 ٧ و ١٩ و ٢٠ ، ٢٢٢ : ٣

(ل)

لسان العرب — ١٢٢ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٨  
 اللطيف — ١٤١ : ٢١

(م)

المجسطى — ٨٩ : ٩ و ١٥  
 مستدرک التاج — ١٢٢ : ٢٠  
 معجم الأدباء — ٢٤ : ٢١ ، ٣٥ : ١٧ ،  
 ٥٤ : ٢١ ، ٥٥ : ١٨ و ٢٠

## استدراك

اطلع صديقنا السيد محمد كرد علي عَلَى تجارب الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة بعد أن مثلت للطبع ، فكتب عليها الملاحظات الآتية ، ونحن نسجلها لحضرته مع شكرنا الجزيل له على هذه المعاونة العلمية القيمة .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٨	أَبْعَدُ	أَبْعَدَ
٣	١٣	عَابِسَا	عَاتِبَا
١٠	٦	يُفْتَقَرُ	يُفْتَقَرُ
١٠	٨	بِفَكَاهَتِكَ	بِفَهَاهَتِكَ
١٢	٢	زَهْرَاتِهَا	زَهْرَتِهَا
١٢	٩	وَعَيُوب	وَعُيُوب
١٣	٩	طَلَب	طِيب
١٦	٩	يَحْرَصُونَ	وَيَحْرَصُونَ
٢١	١	مَحَاوِبَةٍ	مَحَابَاةٍ
٢٦	١٠ و ٩	وَاللّٰهُ إِنِّي لَأَشْتَرِي الْمَحَادَثَةَ مِنْ عَبِيدِ اللّٰهِ شَاذٌ	وَاللّٰهُ إِنِّي لَأَشْتَرِي لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي عَبِيدِ اللّٰهِ شَاذٌ
٣٥	٣	السَّامِرِيُّ وَالْمَعْرَى	السَّامِرِيُّ وَالصَّيْمَرِيُّ ، ( وقد ذكرنا هذا التصويب في فهرست الأعلام أيضاً ) .
٣٨	٣	مَخَارِقُ النُّجُومِ	مَخَارِفُ النُّجُومِ



صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣٩	١٥	عنده الصناعة	هذه الصناعة
٤٠	١٣	يمرّ	يقتبر
٤٠	١٩	النفس الملكية	النفس الكلية
٤١	١	» »	» »
٤١	١٣	قال	قلت
٤٤	٦	تأجيل	تهجين
٥١	٩ و ٨	إلى قابوس وجرجان	إلى قابوس بجرجان
٥٧	١٤	أنه من فعلاته	أنها من فعلاته
٥٨	٤	يقال	يقال [له]
٦٨	١٦	ابن أبي طالب	أبو طالب
٧٠	١	في دار	في دار [لِتَان] . (والثاني :
			الدهقان ؛ أوزعيم الإقليم)
٧٢	١٣	ويتجنّون به على الدناءة	ويتجنبون به الدناءة
٧٩	٩	يقفور	فُقُفُور
٨٣	١٠	ويكفيني	ويدفني
٨٦	١١	المؤذية	المؤدبة
٨٦	١٣	نقاب	نقات
٨٨	٢	والاختبار	والاختيار
٨٨	١٦	مع الجماعة وأبو سليمان يقول	وأبو سليمان يقول مع الجماعة
١٠٠	١١	وينصف	وينصف

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠١	٩	خَرَفْتُ	خَرَفْتُ
١٠٢	٢٠ و ٢١	تَتَغَذَى	تَتَغَذَى
١١٣	١٥	بِإِدَاءِ	بِعِبَارَةِ
١٣٦	١١	يَذْفَعُ	[ لا ] يَذْفَعُ
١٥٨	١٥	بِذَا لَا	بِذَا لَا
١٩٦	٧	حَدَّثْتُ الْعَيْنَ	جَذَبْتُ الْعَيْنَ
١٩٧	٢٠ ح	ثَوِينُ	ثَوِيَانُ
٢٠٨	١٠	لَمْ تَتَحَرَّكُونَ	لَمْ [ لا ] تَتَحَرَّكُونَ
٢١٨	٤	وَالثِّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ	و [ دون ] الثِّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ
٢٢٠	٧	لَا يَطْرِدَانِ وَلَا يَسْتَمِرَانِ	لَا تَطْرِدَانِ وَلَا تَسْتَمِرَانِ
٢٢٣	١	قَوِيَّةٌ	قَوِيَّةٌ

وقد تفضل نختم هذه الملاحظات بالجملة الآتية :

« هذا ما أردت تقييده ، ومن هذه الملاحظات ما يرد عليه بأيسر سبيل ، ومنه ما هو من هنات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، ومن رأى النسخة الوحيدة التي جرى عليها الطبع من كتاب الإمتاع والمؤانسة يهني الأستاذين ناشريه على ما وُفِّقَ له من تقويم غلطاته وسقطاته وتحريفاته ، والعصمة لله وحده . »





كتاب  
الامتاع والموائسة

تأليف  
أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى  
حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة

الجزء الثاني

صححه وضبطه وشرح غريبه  
أحمد أمين و أحمد الزين

دار مكتبة الحياة  
للطباعة والنشر والتوزيع

## تنبيهات

١ - لم ننشر فهارس الموضوعات في هذا الجزء وسابقه اعتماداً على أننا سننشر فهرساً عاماً للموضوعات كلها في آخر الكتاب .

٢ - كان اعتمادنا في الطبع على النسخة الكاملة الوحيدة للشار إليها في الحواشي بحرف ا . وهناك قطع قليلة غير مرتبة الصفحات ولا كاملة الأجزاء ، تبلغ خمسي الكتاب تقريباً ، ومن ثم جعلناها نسخة إضافية ، وقد نجد فيها بعض الزيادات فنضمه بين مربعين من غير تنبيه عليه . فليلاحظ ذلك .

أحمد أمين

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أيها الشيخ — أطالَ اللهُ يدَكَ في الخيرات ، وزادَ في هِمَّتِكَ رَغْبَةً في (١)  
أصطناعِ المَكْرُمات ، وأجراكَ على أحسنِ العادات في تقديمِ طُلَّابِ العِلْمِ وأَهْلِ  
الْبُيُوتات — قد فرغتُ في الجزء الأول على مَا رَسَمْتُ في القيامِ به ، وشرفتني  
بالخوض فيه ، وسرَدْتُ في حواشيه أعيانَ الأحاديث التي خَدَمْتُ بها مجلسَ  
الوزير ، ولم آلُ جُهْدًا في روايتها وتقويمها (١) ولم (٢) أحتجْ إلى تَعْمِيةِ شيء منها ،  
بل زَبَرَجْتُ كثيرًا منها بناصِعِ اللفظ ، مع شرحِ الغامِضِ وصِلَةِ المَحذُوفِ  
وإتمامِ المنقوص ، وتَحَمَّلْتُه إليك على يد (فائقٍ) الغلام ، وأنا حريصٌ على أن  
أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصلُ إليك في الأسبوع إن شاء الله تعالى .

(٢) وأنا أسألكَ ثانيةً على طريقِ التوكيد ، كما سألتك أولاً على طريقِ الاقتراح ،  
أن تكونَ هذه الرسالةُ مَصُونَةً عن عُيُونِ الحاسدين العيَّابين ، بعيدةً عن تناوُلِ  
أَيْدِي المفسدين المنافسين ؛ فليس كلُّ قائلٍ يَسْلَمَ ، ولا كلُّ سامعٍ يُنصِفُ ،  
ولا كلُّ مُتَوَسِّطٍ يُصلِحُ ، ولا كلُّ قادمٍ يُفسَحُ له في المجلس عند القدوم .

والبَلِيَّةُ مضاعفةٌ من جهةِ النَّظَرِ في الصناعة ، وللحسدِ ثَوْرَانٌ في نفوسِ  
هذه الجماعة ؛ وقَلَّ من يَجْهَدُ جُهْدَهُ في التقربِ إلى رئيسٍ أو وزيرٍ ، إلا جَدَّ في  
إبعاده من مَرَامِهِ كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ ؛ وهذا لأنَّ الزمانَ قد استحالَ عن المعهود ،

---

(١) هذه الكلمة مطموسة في (١) .

(٢) في (١) ولو لم أحتج ، وقوله : « لو » زيادة من الناسخ .



وجفا عن القيام بوظائف الديانات وعادات أهل المروءات ؛ لأُمورٍ شرَّحها يطول ؛  
وقد كان الناس يتقلبون في بسيط<sup>(١)</sup> الشمس ؛ (أغنى الدين) فغُرِبَتْ عَنْهُمْ ،  
فعاشوا بنور القمر ، (أغنى المروءة) فأفل دُونَهُمْ ، فَبَقُوا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ،  
(أغنى الجهل وقلة الحياء) فلا جَرَمَ أَغْضَلَ الدَّاءُ ، وَأَشْكَلَ الدَّوَاءُ ، وَغَلَبَتْ  
الْحَيَرَةُ ، وَفُقِدَ التَّرْشِيدُ ، وَقَلَّ الْمُسْتَرْشِدُ ؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .  
وَأَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ نَسْخِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ .

### الليلة السابعة عشرة

(١) فلما عُدْتُ إِلَى الْمَجْلِسِ قَالَ : مَا تَحْفَظُ فِي تَفْعَالٍ وَتِفْعَالٍ ، فَقَدْ اشْتَبَهَا ؟ وَفَرَعْتُ  
إِلَى ابْنِ عُبَيْدِ الْكَاتِبِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقْنَعٌ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَى مِسْكَوِيهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
فِيهَا مَطْلَعٌ ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى دُثُورِ الْأَدَبِ وَبَوَارِ الْعِلْمِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْكَذْحِ  
فِي طَلَبِهِ . فَقُلْتُ :

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَافِيُّ الْإِمَامُ — نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ — : الْمَصَادِرُ  
كُلُّهَا عَلَى تَفْعَالٍ بَفَتْحِ التَّاءِ ، وَإِنَّمَا تَجِبُ تِفْعَالٌ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَلَيْسَ بِالْكَثِيرِ .  
قَالَ : وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ اسْمًا لَا يُوْجَدُ غَيْرُهَا . قَالَ : هَاتِيهَا .  
قُلْتُ : مِنْهَا التَّبْيَانُ وَالتَّلْقَاءُ ، وَصَرَ تِهْوَالًا مِنَ اللَّيْلِ ؛ وَتَبْرَاكُ<sup>(٢)</sup> ، وَتِعْشَارُ<sup>(٣)</sup>  
وَتِرْبَاعٌ ، وَهِيَ مَوَاضِعٌ ؛ وَتِمْسَاحٌ لِلدَّابَّةِ الْمَعْرُوفَةِ ؛ وَالتَّمْسَاحُ الرَّجُلُ الْكَذَّابُ أَيْضًا .

(١) كذا ورد هذا اللفظ في كلا الأصلين ولعل المراد ببسيط الشمس ضوءها المنبسط .

(٢) في كلتا النسختين « وتزال » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا عن ياقوت .  
وتبراك : ماء لبني العبر وقيل موضع بمخاء تعشار .

(٣) في كلتا النسختين « وتعشاء » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن ياقوت . وتعشار  
موضع بالدهناء .

وتجفاف وتمثال وتمراد<sup>(١)</sup> بيت الحمام ، يتلفاق ، وهو ثوبان يُلَفَقان . وتلقام : سريعُ اللِّقْم .

ويقال : أنت الناقةُ على تَضْرَابِها ، أى على الوقت الذى ضَرَبَها الفحلُ فيه ، وتضراب كثيرُ الضَّرْب [وتَقْصَارُ]<sup>(٢)</sup> ، وهى المِخْنَقَةُ ؛ وتنبال ، وهو القصير .

قال : هذا حَسَنٌ ، فما تقولُ فى تذكار ؟ فإنَّ الخوض فى هذا المثال إنما كان من أجلِ هذا الحَرْفِ ، فإنَّ أصحابنا كانوا فى مجلس الشَّراب ، فأختَلَفُوا فيه ؟ قلتُ : هذا مَصْدَرٌ ، وهو مفتوح .

ثم قال : اِجْمَعْ لى حُرُوفًا نظائرَ لهذا من اللغة ، واشْرَحْ<sup>(٣)</sup> ما نَدَّرَ منها ، وعَرِّضْ الشَّكَّ لكثير من الناس فيها .

قلتُ : السَّمْعَ والطَّاعَةَ مع الشَّرَفِ بالخِذْمَةِ .

وقال أيضاً : حدَّثنى عن شىء هو أُمُّمٌ من هذا لى وأخطَرُ على بالى ، إني (٢) لا أزال أسمع من زيد بن رِفاعَةَ قولاً ومذهباً لا عهد لى [به]<sup>(٤)</sup> وكناية عما لا أحُقُّه ، وإشارة إلى ما لا يتوضَّح شىء منه ، يذكُرُ الحروف ويذكُرُ النُّقْطَ ، ويَزْعُمُ أن الباء لم تُنْقَطْ من تحت واحدة إلا بسبب ، والتاء لم تُنْقَطْ من فوق اثنتين إلا لعلَّة ، والألف لم تُعَرَّ إلا لغرض . وأشبه هذا ؛ وأشهد<sup>(٥)</sup> منه فى عَرَضِ ذلك دَعْوَى يتعاضم بها ويتنفَّجُ<sup>(٦)</sup> بذكرها ؛ فما حديثه ؟ وما شأنه ؟

(١) فى كتب اللغة أن التمراد هو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى كلتا النسخين ، وقد أثبتناها عن كتب اللغة .

(٣) فى « ب » : « وتوخ » .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى ( ١ ) .

(٥) « وأشهر » فى كلتا النسخين .

(٦) يتنفج : يفتخر بما ليس فيه . وفى كلتا النسخين « يتنفج » .

وما دُخِلَتْهُ؟ وما خَبَرُهُ؟ قد بلغني أنك تغشاه وتجلس إليه، وتُكثِرُ عنده، وتورِّقُ له، ولك معه نوادرٌ مضحكة، وبَوادرٌ معجبة. ومن طالت عِشْرَتُهُ<sup>١</sup> لإنسانٍ صدَّقَتْ خِبرَتُهُ به، وأنكشَفَ أمرُهُ له، وأمكنَ اطلاعُهُ على مستكنٍ رأيهِ وخافِي مَذْهَبِهِ وعويصِ طريقتِهِ.

قلتُ: أيُّها الوزير، هو الذي تعرِّفه قَبْلِي قديماً وحديثاً بالتربية والأختبار والاستخدام، وله منك الأُخُوَّةُ<sup>(١)</sup> القديمة والنسبة المعروفة.

قال: دَعِ هذا وصفه لي. قلتُ: هناك ذِلاءُ غالبٌ، وذِهنٌ وقَّادٌ، وَيَقْظَةُ<sup>٢</sup> حاضرة، وسَوَاحُجٌ متناصرة<sup>(٢)</sup>، ومتَّسِعٌ<sup>٣</sup> في فُنُونِ النَّظْمِ والنثر، مع الكتابة البارة في الحساب والبلاغة، وحفظ أيام الناس، وسماع المقالات، وتبصُّر في الآراء والديانات، وتصرُّف في كلِّ فنٍّ: إمَّا بالشَّدْوِ<sup>(٣)</sup> الموهِم، وإمَّا بالتَّبَصُّرِ المُفهِم، وإمَّا بالتَّنَاهِي المُفْهِم. فقال: فعَلَى هذا ما مذهبُهُ؟ قلتُ: لا يُنسب إلى شيء، ولا يُعرَف برَهْطٍ، لجَيْشَانِهِ بكلِّ شيء، وغَلِيَانِهِ<sup>(٤)</sup> في كلِّ باب. ولاُخْتِلَافٍ ما يبدو من بَسْطَةِ تَبْيَانِهِ، وسطوته بلسانه<sup>(٥)</sup>، وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادَفَ بها جماعةً جامعةً لأصناف العلم وأنواع الصَّنَاعَةِ؛ منهم أبو سليمان محمد بنُ مَعْشَرِ الْبَيْسَتِيِّ<sup>(٦)</sup>، ويُعرَف بالمَقْدِسِيِّ، وأبو الحسن علي بن-

(١) في «ب» الآصرة. والآصرة ما عطفك على لسان من ود أو رحم أو نحوهما.

(٢) متناصرة، أي ينصر بعضها بعضاً.

(٣) بالشدو، أي أخذ العلم وتلقيه.

(٤) في كلتا النسختين «وعليائه».

(٥) في (١) «بسلطانه».

(٦) في كلتا النسختين «ابن مسعر البستي»، وهو تحريف والبيستي نسبة إلى بستي

من قرى الري.



هارون الزنجاني<sup>(١)</sup>، وأبو أحمد المهرجاني<sup>(٢)</sup> والعوفي وغيرهم، فصحبهم وخدمهم؛ وكانت هذه العصابة قد تآلفت<sup>(٣)</sup> بال عشرة، وتصافت بال صداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرَّبوا به [الطريق] إلى الفوز برضوان الله والمصير<sup>(٤)</sup> إلى جنَّته، وذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دُنِّست بالجهالات، وأختلطت بالضلالات؛ ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، [وذلك] لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية. وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال؛ وصنّفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة: علميها وعمليها، وأوردوا لها فهرستاً وسمّوها رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وكتبوا أسماءهم، وبثّوها في الوراقين، ولقَّنها للناس، وأدَّعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عز وجلّ وطلب رضوانه ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضرّ النفوس، والعقائد الخبيثة التي تضرّ أصحابها، والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها؛ وحشّوا هذه الرسائل بالكلم الدينيّة والأمثال الشرعيّة والحروف<sup>(٥)</sup> المختملة والطُرُق الموهمة.

فقال: هل رأيت هذه الرسائل؟ قلت: قد رأيت جملةً منها، وهي مبثوثة من كل فنّ نتفاً بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنيات وتلفيقات

(١) في (١) الريحاني.

(٢) المهرجاني: لسبة إلى مهرجان من قرى أسفرايين أو مهرجان قنق، وهو كورة، وفي كلتا النسختين «المهرجوني».

(٣) في (١): «بالت».

(٤) كذا في «ب»، والذي في (١) «والفوز» مكان قوله: «والمصير». وهو خطأ من الناسخ.

(٥) الحروف: الكلمات.

وتلزيقات ؛ وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها ؛

(٣٧) وحملت عدة منها إلى شيخنا أبى سليمان المنطقى السجستانى (محمد بن بهرام) <sup>(١)</sup> وعرضتها عليه ونظر فيها أياما واختبرها طويلا ؛ ثم ردّها على وقال :  
تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ،  
ونسجوا فلهلّوا ، ومشطوا ففلقوا <sup>(٢)</sup> ؛ ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا  
يُستطاع ؛ ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة — التى هى علم النجوم والأفلاك  
والمجسطى والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التى هى معرفة النغم والإيقاعات  
والنقرات والأوزان ، والمنطق الذى هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات  
والكيفيات — فى الشريعة ، وأن يضموا <sup>(٣)</sup> الشريعة للفلسفة .

وهذا مرامٌ دونه حدّد <sup>(٤)</sup> ؛ وقد توفّر على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحدّ  
أنبياء ، وأحضر أسبابا ، وأعظم أقدارا ، وأرفع أخطارا ، وأوسع قوًى ، وأوثق  
عمرًا ، فلم يتيّم لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا منه ما أمّلوه ؛ وحصلوا على لوثات قبيحة ،  
ولطخات فاضحة ، وألقاب موحشة ، وعواقب مخزية ، وأوزارٍ مُثقلة .

فقال له البخارى أبو العباس : ولم ذلك أيها الشيخ ؟

قال : إن الشريعة مأخوذة عن الله — عز وجل — بوساطة السّفير بينه وبين  
الخلق من طريق الوحي ، وباب المناجاة ، وشهادة الآيات ، وظهور المعجزات ،  
على ما يوجبُه العقل تارة ، ويجوّزه تارة ، لمصالح عامّة متقنة ، ومراشد تامّة

(١) فى كلتا النسختين : « ابن إبراهيم » .

(٢) فى (أ) : « تفلّقا » وفى (ب) : « فملّقا » ؛ وهوتصحيف . وفلّقا ، أى جعلوا  
الشعر شديد الجمودة . يقال : شعر مقلل ، إذا كان كذلك .

(٣) فى (ب) : « يطبقوا » .

(٤) دونه حدّد ، أى دفع ومنع .



مُبَيَّنَةٌ ؛ وفي أثنائها ما لا سبيلَ إلى البحثِ عنه ، والفَوْصِ فيه ؛ ولا بدَّ من التَّسليمِ للداعى إليه ، والمنبِّه عليه ؛ وهناك يَسْقُطُ ( لِمَ ) وَيَبْطُلُ ( كَيْفَ ) ، وَيَزُولُ ( هَلَّا ) وَيَذْهَبُ ( لَوْ ) و( لَيْتَ ) في الرِّيحِ ، لأنَّ هذه الموادَّ عنها مَحْسُومَةٌ ، وأَعْتَرَضَاتِ الْمُعْتَرِضِينَ عليها مردودةٌ ، وأُرْتِيَابِ المُرْتَابِينَ فيها ضارٌّ ، وسكونُ الساكنين إليها نافع ؛ وَجُمَلَتُهَا مُشْتَمِلَةٌ على الخير ، وتفصيلُها موصولٌ بها على حُسْنِ التَّقْبُلِ ، وهى متداولةٌ بين متعلِّقٍ بظاهرٍ مكشوفٍ ، ومُخْتَجِرٍ بتأويلٍ معروفٍ ؛ وناصرٍ باللغة الشائعة ، وحامٍ بالجدلِ المبين ، وذابٍ بالعمل الصالح ، وضاربٍ للمثل السائر ، وراجعٍ إلى البرهان الواضح ، ومتفكِّهٍ في الحلال والحرام ، ومُسْتَنِدٍ إلى الأثر والخبرِ المشهورين بين أهلِ المِلَّةِ ، وراجعٍ إلى اتفاقِ الأُمَّةِ .  
وَأَسَاسُهَا على الوَرَعِ والتَّقْوَى ، ومُنْتَهَاها إلى العبادةِ وطلبِ الرُّزْقِ .  
ليس فيها حديثُ المُنَجِّمِ في تأثيراتِ الكواكبِ وحركاتِ الأفلاكِ ومقاديرِ الأجرامِ ومطالعِ الطَّوَالِغِ ومغاربِ الغواربِ .

ولا حديثُ تَشَاوُهِهَا وتِيَامُنِهَا ، وَهَبُوطِهَا وَصُعودِهَا ، وَنَحْسِهَا وَسَعْدِهَا ، وَظُهُورِهَا وَاسْتِشْرَارِهَا ، وَرُجُوعِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا ، وَتَرْبِيعِهَا وَتَثْلِيثِهَا ، وَتَسْدِيسِهَا وَمُقَارَتِهَا .  
ولا حديثُ صاحبِ الطبيعةِ الناظرِ في آثارِها ، وأشكالِ الأُسْطَقْسَاتِ ، بثبوتِها وافتراقِها ، وتصريفِها في الأقاليمِ والمعادنِ والأبدانِ ، وما يتعلقُ بالحرارةِ والبرودةِ والرطوبةِ واليبوسةِ ؛ وما الفاعلُ وما المُنْفَعِلُ منها ؛ وكيف تَمَازُجُهَا وتَزَاوُجُهَا ، وكيف تَنَافَرُهَا وتَسَايَرُهَا ؛ وإلى أين تَسْرِي قُوَاهَا ، وعلى أى شىء يَتَقَفُ مُنْتَهَاها .  
ولا فيها حديثُ المهندِسِ الباحثِ عن مقاديرِ الأشياءِ ونُقْطِهَا وَخُطُوطِهَا وَسُطُوحِهَا وَأَجْسَامِهَا وَأَضْلَاعِهَا وَزَوَايَاهَا وَمَقَاطِعِهَا ، وما الكُرَّةُ ؟ وما الدَّائِرَةُ ؟ وما المُسْتَقِيمُ ؟ وما المُنْحَنَى ؟



ويقولون : مُطَرْنَا بنوء المِجْدَح ، فهذا كما ترى ، والمِجْدَحُ : الدَّبران .  
ثم قال : ولقد اختلفت الأُمةُ ضروباً من الأُختلاف في الأصول والفروع ،  
وتنازَعوا فيها فُنوناً من التنازع في الواضح والمُشكَل من الأحكام ، والحلال  
والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعِيان والخبر ، والعادة والأُصطلاح ؛ فما فزعوا  
في شيء من ذلك إلى منجَمٍ ولا طيبٍ ولا منطقيٍّ ولا مُهندِسٍ ولا مُوسِقيٍّ  
ولا صاحب غزِيةٍ وشُعْبَذَةٍ وسِجَرٍ وكِيمياء ، لأن الله تعالى تَمَّ الدين بنبيه  
صَلَّى الله عليه وسلم ، ولم يُخَوِّجْهُ بعد البَيان الوارد بِالوَحْيِ إلى بيانِ  
موضوعٍ بالرأى .

قال : وكما لم نجد في هذه الأُمة من يَفْزَعُ إلى أصحاب الفلسفة في شيء من  
دينها ، فكذلك أمة عيسى عليه السلام وهي النصارى ، وكذلك المجوس .  
قال : ومما يَزِيدُكَ وُضوحاً وَيُرِيكَ عَجَباً أَنَّ الأُمة اختلفت في آرائها  
ومذاهبها ومقالاتها فصارت أَصنافاً فيها وَفَرَقاً ؛ كالمُرجئة والمعتزلة والشَّيعية  
والسُّنَّية والخواارج ، فما فزعت طائفةٌ من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا  
حَقَّقَتْ مَقَالَتها بِشواهدهم وشهادتهم ، ولا أَشْتَغَلَتْ بِطريقهم ، ولا وَجَدَتْ عندهم  
ما لم يكن عندها بكتاب ربِّها وأثر نبيِّها .

وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام منذ أَيَّامِ  
الصِّدْرِ الأوَّل إلى يومنا هذا لم نجدْهم تَظاهروا بالفلاسفة فَأَسْتَنْصَرُوهم ، ولا قالوا  
لهم : أَعِينونا بما عندهم ؛ واشهدوا لنا أو علينا بما قَبَلَكم .

قال : فأين الدِّينُ من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ بِالوَحْيِ النَّازل ، من  
الشيء المأخوذ بِالرَّأْيِ الزَّائِل ؟

فإِذْ أَدَلُّوا بِالْعَقْلِ فَالْعَقْلُ مَوْهَبَةٌ من الله جلَّ وعزَّ لكلِّ عبد ، ولكن بقَدْرِ

ولا فيها حديثُ المنطقيِّ الباحثِ عن مراتب الأقوال ، ومناسِبِ الأسماء والحروف والأفعال ؛ وكيف أرتباطُ بعضها ببعض على موضوع رجل من يونان حتى يصحَّ بزعمه الصدق ، ويُنبَذَ الكذب .

وصاحبُ المنطق يرى أنَّ الطيبَ والمنجمَّ والمهندسَ وكلَّ من فاهَ بلفظٍ وأمَّ غرضاً فقراء إليه ، محتاجون إلى ما في يديه .

قال : فعلى هذا كيف يسوغ لإخوان الصفاء أن ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوةً تجمع حقائقَ الفلسفة في طريق الشريعة ؟

على أن وراء هذه الطوائف جماعة أيضاً لهم مأخذٌ من هذه الأغراض ، كصاحب العزيمة وصاحب الطلسم وعابر الرؤيا ومدعي السحر وصاحب الكيمياء ومستعمل الوهم . قال : ولو كانت هذه جائزةً وممكنةً لكان الله تعالى ثبَّه عليها ، وكان صاحبُ الشريعة يُقومُ شريعته بها ، ويكملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التي يجدها في غيرها ، أو يحضُّ المتفلسفين على إيضاحها [بها] ويتقدم إليهم بإتمامها ، ويفرض عليهم القيام بكل ما يُدبِّ به عنها حسب طاقتهم فيها ، ولم يفعل ذلك بنفسه ، ولا وَكَّله إلى غيره من خلفائه والقائمين بدينه ؛ بل نهى عن الخوض في هذه الأشياء ، وكرَّه إلى الناس ذِكْرَها ، وتوعَّدَهم عليها ، وقال : من أتى عراًفاً أو طارقاً <sup>(١)</sup> أو حازياً <sup>(٢)</sup> أو كاهناً أو منجماً يطلب غيب الله منه فقد حارب الله ، ومن حارب الله حُرِبَ ، ومن غلبه غلب ، حتى قال :

« لو أنَّ الله حبَسَ عن الناس القطرَ سبعَ سنينَ ثم أرسله لأصبحت طائفةً به كافرين » .

(١) الطارق : الذي يطرق الحصى مستخبياً لياه عن الغيب .

(٢) الحازي : الذي ينظر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهن . ومنه قولهم : على

الحازي وقعت ، أى على الحبير ؛ والحازي أيضاً : الذي يزجر الطير .

ما يُدرك به ما يعلوه ، كما لا يخفى به عليه ما يتلوه ، وليس كذلك الوحي ، فإنه على نوره المنتشر ، وبيانه الميسر .

قال : وبالجمله ، النبي فوق الفيلسوف ، والفيلسوف دون النبي ؛ وعلى الفيلسوف أن يتبع النبي ، وليس على النبي أن يتبع الفيلسوف ، لأن النبي مبعوث ، والفيلسوف مبعوث إليه .

قال : ولو كان العقل يُكتفى به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء ، على أن منازل الناس متفاوتة في العقل ، وأنصباؤهم مختلفة فيه ؛ فلو كنا نستغنى عن الوحي بالعقل كيف كنا نصنع ، وليس العقل بأشبه لواحد منا ، وإنما هو لجميع الناس ، فإن قال قائل بالعبث والجهل : كل عاقل موكول إلى قدر عقله ، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره ، لأنه مكفي به ، وغير مطالب بما زاد عليه .

قيل له : كفاك تماديا في هذا الرأي أنه ليس لك فيه موافق ، ولا عليه مطابق ؛ ولو استقل إنسان واحد بعقله في جميع حالاته في دينه ودنياه لاستقل أيضا بقوته في جميع أحواله في دينه ودنياه ، ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحد من نوعه وجنسه ؛ وهذا قول مرذول ورأي مخذول .

قال البخاري : وقد اختلفت أيضا درجات النبوة بالوحي ، وإذا ساع هذا الاختلاف في الوحي ولم يكن ذلك ثلما له ، ساع أيضا في العقل ولم يكن مؤثرا فيه .

فقال : يا هذا ، اختلاف درجات أصحاب الوحي لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن أصطفاهم بالوحي ، وخصهم بالمناجاة ، وأجتباهم للرسالة ، وأكملهم بما ألبسهم من شعار النبوة ؛ وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان في الناظرين بالعقول المختلفة ،



لأنهم على بُعدٍ من الثقة والطمأنينة إلا في الشيء القليل والنزول اليسير؛ وعوارُ هذا الكلام ظاهر، وخطلُ هذا المتكلم بين .

قال الوزير : أفما سمع شيئاً من هذا المقدسي ؟ قلتُ : بلى قد ألقيتُ إليه هذا وما أشبهه بالزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير ، في أوقات كثيرة بحضرة حمزة الوراق في الوراقين ، فسكت ، وما رآني أهلاً للجواب ؛ لكن الحريري غلام ابن (٤) طرارة هيجّه يوما في الوراقين بمثل هذا الكلام ، فاندفع فقال : الشريعة طبُّ المَرَضَى ، والفلسفة طبُّ الأصحاء ، والأنبياء يُطَبِّونَ للمَرَضَى حتى لا يتزايد مَرَضُهُمْ ، وحتى يزولَ المرضُ بالعافية فقط . فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصِّحَّةَ على أصحابها حتى لا يَغْتَرِيَهُمْ مَرَضٌ أصلاً ، فبين مدبِّرِ المريض ومدبِّرِ الصحيح فرقٌ ظاهر وأمرٌ مكشوف ، لأن غاية مدبِّرِ المريض أن يَنْتَقِلَ به إلى الصحة ، هذا إذا كان الدواء ناجحاً ، والطَّبْعُ قابلاً ، والطبيب ناصحاً . وغاية مدبِّرِ الصحيح أن يحفظ الصحة ، وإذا حَفِظَ الصحة فقد أفادَهُ كَسَبَ الفضائل ، وفرَّغَهُ لها ، وعَرَّضَهُ لاقتنائها ؛ وصاحبُ هذه الحال فائزٌ بالسعادة العظمى ، ومتبَوِّئُ الدرجة العليا ؛ وقد صار مستحقاً للحياة الإلهية ؛ والحياة الإلهية من الخلود والديمومة والسَّرمَدية .

فإن كَسَبَ من يَبْرَأ من المرضِ بطبِّ صاحبه الفضائل أيضاً ؛ فليست (١) تلك الفضائلُ من جنسِ هذه الفضائل ، لأن إحداها تقليدية ، والأخرى برهانية ؛ وهذه مظنونة ، وهذه مستيقنة (٢) ، وهذه رُوحانية ، وهذه جسمية ، وهذه دَهْرِيَّة ، وهذه زَمَانِيَّة .

(١) في ب « قلت » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « مستقيمة » ؛ وهو تحريف .

وقال أيضاً : إنما جَمَعْنَا بين الفلسفة والشرِعة لأن الفلسفة مَعْتَرِفَةٌ بالشرِعة ، وإن كانت الشرِعة جاحدةً لها ؛ وإنما جَمَعْنَا أيضاً بينهما لأن الشرِعة عامة ، والفلسفة خاصّة ، والعامة قوامُها بالخاصّة ، كما أن الخاصّة تمامُها بالعامة ؛ وهما متطابقتان إحداها على الأخرى ، لأنها كالظّهارة التي لا بدّ لها من البِطانة ، وكالبِطانة التي لا بدّ لها من الظّهارة .

فقال له الحريري : أمّا قولك طِبُّ المَرَضَى وطِبُّ الأصحاء وما نَسَقْتَ عليه كلامك فَمَثَلٌ لا يعبرُ به غيرُك<sup>(١)</sup> ومن كان في مُشْكل ، لأن الطيب عندنا الحاذق في طِبِّه هو الذي يجمع بين الأمرين ، أعنى أنه يُرى المريض من مَرَضِهِ ، ويَحْفَظُ الصَّحِيحَ على صحته ؛ فأما أن يكون ها هنا طبيبان يعالج أحدهما الصحيح ، والآخر يعالج المريض ، هذا ما لم نَعْهَدْهُ نحن ولا أنت ؛ وهو شئٌ خارجٌ عن العادة ، فَمَثَلُكَ مردودٌ عليك ، وتشنيعُك فاضحٌ لك ، وكلُّ أحدٍ يَعْلَمُ أن التدبير في حفظ الصحة ودفع المرض — وإن كان بينهما فَرَقٌ — واحد ، فالطَّبُّ يجمعهما ، والطيب الواحد يقوم بهما وبشرائطهما .

وأما قولك في الفصل الثاني : إن إحدى الفضيلتين تقليدية ، والأخرى برهانية ، فكلامٌ مدخول ، لأنك غلطت على نفسك ؛ ألا تعلم أن البرهانية هي الواردة بالوحي ، النازمة للرُّشد ، الداعية إلى الخير ، الواعدة بحسن المآب ؛ وأن التقليدية هي المأخوذة من المقدمة والنتيجة ، والدعوى التي يُرْجَعُ فيها إلى من ليس بحجة ، وإنما هو رجلٌ قال شيئاً فواقفه آخرٌ وخالفه آخرٌ ، فلا الموافق له يَرْجَعُ إلى الوحي ، ولا المخالف له يَسْتَنِدُ إلى حقٍّ ؛ والعجب أنك جعلت الشرِعة من باب الظن ، وهي بالوحي ، وجعلت الفلسفة من باب اليقين ، وهي من الرأي .

(١) في (١) « عليه » .

وأما قولك : هذه رُوحانيّة — تعني الفلسفة — وهذه جسميّة — تعني الشريعة — فزخرفة لا تستحقّ الجواب ، ولمثل هذا فليعمل المزخرفون ؛ على أنا لو قلنا : بل الشريعة هي الرُوحانية ، لأنها صوّت الوحي ، والوحي من الله عزّ وجل ، والفلسفة هي الجسميّة ، لأنها برزت من جهة رجل باعتبار الأجسام والأعراض ، وما هذا شأنه فهو بالجسم أشبه ، وعن لطف الروح أبعد [لما أبعدنا] .

وأما قولك : الفلسفة خاصّة والشريعة عامّة ، فكلام ساقط لا نور عليه ، لأنك تشير به إلى أن الشريعة يعتقدها قوم — وهم العامة — والفلسفة ينتحلها قوم — وهم الخاصة — فلم جمعتم رسائل إخوان الصفاء ودعوتهم الناس إلى الشريعة وهي لا تلزم إلا للعامة ، ولم تقولوا للناس : من أحب أن يكون من العامة فليتحل بالشريعة ، فقد ناقضتم ، لأنكم حشوتم مقالكم بآيات من كتاب الله تزعمون بها أن الفلسفة مدلول عليها بالشريعة ، ثم الشريعة مدلول عليها بالمعرفة ، ثم هانت تذكر أن هذه للخاصّة ؛ وتلك للعامة ؛ فلم جمعتم بين مفترقين ، وصرّتم بين مجتمعين ؛ هذا والله الجهل المبين ، والخرق المشين .

وأما قولك : إنا<sup>(١)</sup> جمعنا بين الفلسفة والشريعة<sup>(٢)</sup> لأنّ الفلسفة معترفة بالشريعة ، وإن كانت الشريعة جاحدة للفلسفة ، فهذه مناقضة أخرى<sup>(٣)</sup> ، وإني أظن أن حسك كليل ، وعقلك غليل ، لأنك قد أوضحت عذر أصحاب الشريعة ، إذ جحدوا الفلسفة ، وذلك أن الشريعة لا تدكرها ، ولا تحض على الذنونة<sup>(٤)</sup> .

(١) في ( ١ ) « إذا » وهو تحريف .

(٢) ورد بعد قوله : الشريعة في ( ١ ) « وما » وهي زيادة من الناسخ لا معنى لها .

(٣) في ( ١ ) « للأخرى » وهذان اللامان زيادة من الناسخ .

(٤) « النوبة » .



بها ؛ ومع ذلك فليس لهم علمٌ بأنّ الفلسفة قد حثّت على قبول الشريعة ، ونهت عن مخالفتها ، ومتمتها بالناموس الحافظ لصلاح العالم<sup>(١)</sup>

ثم قال الحريري : حدثني أيها الشيخ : على أيّ شريعة دلت الفلسفة ؟  
أعلى اليهودية ، أم على النصرانية ، أم على المجوسية ، أم على الإسلام ، أم ماعليه الصائبون ؟ فإنّ ها هنا من يتفلسف وهو نصرانيّ كابن زُرعة وابن الخمار وأمثالهما ، وها هنا من يتفلسف وهو يهودي ، كأبي الخير بن يعيش ، وها هنا من يتفلسف وهو مسلم ، كأبي سليمان والنوشجاني وغيرهما ، أفقول إن الفلسفة أباحت لكل طائفة من هذه الطوائف أن<sup>(٢)</sup> تدين بذلك الدين الذي نشأت عليه ؟  
ودع هذا ليُخاطَبَ غيرُك ، فإنك من أهل الإسلام بالهدى والجبلّة والمنشأ والوراثّة ؛ فما بالنا لا نرى واحداً منكم يقوم بأركان الدّين ، ويتقيّد بالكتاب والسنة يُراعى معالي الفريضة ووظائف النافلة ؟ وأين كان الصّدْر الأوّل من الفلسفة ؟ أعني الصّحابة ، وأين كان التابعون منها ؟ ولم خفيّ هذا الأمر العظيم — مع<sup>(٣)</sup> ما فيه من الفوز والنعيم — على الجماعة الأولى والثانية والثالثة إلى يومنا هذا وفيهم الفقهاء والزهاد والعباد وأصحاب الورع والتقى ، والناظرون في الدقيق ودقيق الدقيق وكلّ ما عاد بخير عاجل وثواب آجل ، هيهات<sup>(٤)</sup> لقد أشررتم الحسوف في الارتقاء<sup>(٥)</sup> وأستقيتم بلا دلو ولا رشاء ، ودلّتم على فسولتكم وضعف منّتكم

(١) ورد في (١) بعد قوله : « العالم » قوله : « قبله » ولا معنى لها هنا .

(٢) في (١) « لمن تدين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « على مع ما فيه » ؛ وقوله : « على » زيادة من الناسخ .

(٤) في (١) « ها هنا هيهات » ؛ وقوله : « ها هنا زيادة من الناسخ .

(٥) الارتقاء : أخذ الرّغوة ، وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد خلافه ،

أو لمن يظهر طلب القليل وهو يريد الكثير ، وقد سئل النبي في رجل قبل أم امرأته فقال : « يسرّ حسواً في ارتقاء » ، وقد حرمت عليه امرأته .

وأردتم أن تقيموا ما وَضَعَهُ اللهُ ، وتضعوا ما رَفَعَهُ اللهُ ، والله لا يُغَالِبُ ؛ بل هو غَالِبٌ على أمره ، فعَالٌ لما يُريد .

قد حاول هذا الكَيدُ خَلْقُ في القديم والحديث ، فنكصوا على أعقابهم خائبين ، وكتبوا لوجوههم خاسرين ؛ منهم أبو زيد البلخي ؛ فإنه ادَّعى أنَّ الفلسفة مُقاوِدَةٌ<sup>(١)</sup> للشريعة ، والشريعة مشاكلة للفلسفة ، وأن إحداها أمُّ والأخرى ظُلْمٌ ، وأظهرَ مَذْهَبَ الزَيْدِيَّةِ ، وأنقادَ لأمير خراسان الذي كتب له أن يعمل في نشر الفلسفة بشفاعة الشريعة ، ويدعو الناس إليها باللطف والشفقة والرغبة ، فشئت اللهُ كلمته ، وقوض دِعامته ، وحال بينه وبين إرادته ، ووَكَلَهُ إلى حَوَلِهِ وقُوَّتِهِ ، فلم يَتَمَّ له من ذلك شيء .

وكذلك رَأَى<sup>(٢)</sup> أبو تمام النيسابوري ، وخدم الطائفة المعروفة بالشيعية ولجأ إلى مطرّف بن محمد وزير مرداويج<sup>(٣)</sup> الجبلي ليكون له به قوة ، وينطق بما في نفسه من هذه الجملة ، فما زادت إلا صِغْراً في قَدْرِهِ ، ومَهَانَةً في نفسه ، وتَوَارِيّاً في بيته ؛ وهذا بعينه قَصْدُ العامريِّ فما زال مطروداً من صُتْعٍ إلى صُتْعٍ يُنْذِرُ دَمَهُ وَيُرْتَصِدُّ قَتْلَهُ ، فمرةً يتحصن بفناء ابن العميد ، ومرةً يلجأ إلى صاحب الجيش بنيسابور ، ومرةً يتقربُ إلى العامة بكتبٍ يصنّفها في نُصْرَةِ الإسلام ، وهو على ذلك يُتَمِّمُ ويُقَرِّفُ بالإلحاد ؛ ويقدم العالم والكلام في الهيولى والصورة والزمان والمكان ، وما أشبه هذا من ضروب الهديان التي

(١) مقاوِدَةٌ للشريعة ، أي مساوقة لها ؛ يريد أنها تسير معها في قود واحد . وفي ب : « مقارنة » .

(٢) في (١) « أم »

(٣) في كلتا النسختين : « ابن أحمرو وزير مرداويج » ؛ وهو تحريف .

ما أنزل الله بها كتابه ، ولا دعا إليها رسوله ، ولا أفاضت فيها أُمَّتُهُ .  
 ومع ذلك يُبَاغِي صاحبَ كُلِّ بدعة ؛ ويَجْلِسُ إليه كُلُّ منهم ؛ ويلقي  
 كلامه إلى كُلِّ من أدعى باطناً للظاهر وظاهراً للباطن .  
 وما عندي أَنَّ الأئمة الذين <sup>(١)</sup> يأخذُ عنهم ويقتبس منهم ، كَارِسطوطاليس  
 وسُقراط وأفلاطون ، رَهْطُ الكُفْر ذَكَرُوا فِي كُتُبِهِم حَدِيثَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ،  
 وإنما هذا من نَسَجِ القَدَّاحِينَ فِي الإسلام ، السَّاتِرِينَ عَلَى أَنفُسِهِم مَا هُمْ فِيهِ مِنَ  
 التُّهْمِ ؛ وهذا بَعِيْنُهُ دَبْرُهُ الهَجْرِيُّونَ <sup>(٢)</sup> بِالْأَمْسِ ، وبهذا دَنَدَنَ <sup>(٣)</sup> النَّاجُونَ  
 بِقَرْوِينَ وَبَثُّوا الدُّعَاةَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ ، وَبَذَلُوا الرِّغَابَ وَفَتَنُوا <sup>(٤)</sup> النَّفُوسَ .  
 وقد سَمِعْنَا تَأْوِيلَاتَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ لآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :  
 (إِنظِلُّوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ  
 وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ) وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) وَفِي قَوْلِهِ  
 تَعَالَى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) إِلَى  
 غَيْرِ ذَلِكَ نَمَا يَطُولُ وَيُعَوَّلُ <sup>(٥)</sup> فَدَعُونَا <sup>(٦)</sup> مِنَ التَّوْرَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِيهَامِ وَالْكُنَايَةِ عَنْ  
 شَيْءٍ لَا يَتَّصِلُ [بِالْإِرَادَةِ ، وَالْإِرَادَةِ لَشَيْءٍ لَا يَتَّصِلُ] بِالتَّصْرِيحِ ، فَالنَّاسُ أُنْقَدُوا  
 لِأَدْيَانِهِمْ وَأُخْرِصُوا عَلَى الظَّنِّ بِبَغْيَتِهِمْ <sup>(٧)</sup> مِنَ الصِّيَارِفَةِ لَدَنَّا نِيرِهِمْ وَدَرَاهِمِهِمْ .  
 فَلَمَّا أُنْبَهَرَ الْمُقَدَّسِيُّ بِمَا سَمِعَ وَكَادَ يَتَفَرَّى إِهَابَهُ مِنَ الْغَيْظِ وَالْعَجْزِ وَقَلَّةِ الْحَيَاةِ

- (١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الدِّين » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
 (٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « الهَجُونَ » .  
 (٣) يُقَالُ : دَنَدَنَ الذَّبَابُ : إِذَا صَوَّتَ وَطَنًا . وَدَنَدَنَ الرَّجُلُ إِذَا نَعِمَ وَلَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ كَلَامٌ .  
 (٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَقْتَلُوا » .  
 (٥) يَعُولُ : مَنْ عَالَ الشَّيْءَ فَلَانًا إِذَا ثَقُلَ عَلَيْهِ وَغَلَبَهُ وَأَهْمَهُ .  
 (٦) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « قَدْ عَنُونَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
 (٧) فِي ( ١ ) « بِنَصِيْبِهِمْ » .



قال : الناس أعداء ما جهلوا ، ونشر الحكمة في غير أهلها يورث العداوة ويطرح<sup>(١)</sup> الشحاء ويقدح زند الفتنة .

ثم كرر الحريري كره المدلل وعطف عطفة الواثق بالظفر ، فقال : يا أبا سليمان ، من هذا الذي يُقر منكم أن عصا موسى انقلبت حية ، وأن البحر أنفلق ، وأن يداً خرجت بيضاء من غير سوء ، وأن بشراً خلق من تراب ، وأن آخر ولدته أمي من غير ذكر ، وأن ناراً موهجة طرح فيها إنسان فصارت له برداً وسلاماً ، وأن رجلاً مات مائة عام ثم بعث فنظر إلى طعامه وشرابه على حالهما لم يتغيرا ، وأن قبراً تقفاً عن ميت حي ، وأن طيناً دبر<sup>(٢)</sup> فنفع فيه فطار ، وأن قرا انشق ، وأن جذعاً حن ، وأن ذئباً تكلم ، وأن ماء نبع من أصابع فروى منه جيش عظيم ، وأن جماعة شبعت من ثريدة في قدر جسم قطاة ؟

وعلى هذا ، إن كنتم تدعون إلى شريعة من الشرائع التي فيها هذه الخوارق والبدائع فاعترفوا بأن هذه كلها صحيحة ثابتة كائنة لا ريب فيها ولا مرية ، من غير تأويل ولا تدليس ، ولا تعليل ولا تلبيس ، وأعطونا خطكم بأن الطبائع تفعل هذا كله ، والمواد تواتي له ، والله تعالى يقدر عليه ؛ ودعوا التورية والحيلة والغيلة<sup>(٣)</sup> والظاهر والباطن ، فإن الفلسفة ليست من جنس الشريعة ، ولا الشريعة من فن الفلسفة ، وبينهما يرمى الرامي ويهمل الهامي ؛ على أننا ما وجدنا الديانين من المتألهين من جميع الأديان يذكرون

(١) يطرح الشحاء ، أي يلقيها في القلوب .

(٢) دبر ، أي صنع كهيئة الطير .

(٣) الغيلة : الخديعة .

ويتحلّى بهما مُفْتَرِقَيْنِ في مكانين على حالين مُخْتَلَفَيْنِ ، ويكون بالدين مُتَقَرِّبًا إلى الله تعالى ، على ما أَوْضَحَهُ له صاحبُ الشريعة عن الله تعالى ، ويكون بالحكمة مُتَصَفِّحًا لقُدْرَةِ الله تعالى في هذا العالم الجامع للزينة الباهرة لكل عين ، المُحَيِّرة لكل عقل ، ولا يَهْدِم أحدهما بالآخر . أعني لا يَجْحَد ما ألقى إليه صاحبُ الشريعة مُجَمَّلًا ومُفَصَّلًا ، ولا يَغْفُل عما استخزن الله تعالى هذا الخلق العظيم على ما ظهر بقُدْرته ، وأُشْتَمِل بحكمته ، واستقام بمشيئته ، وانتظم بإرادته واستتم بعلمه ؛ ولا يعترض على ما يتبع في عقله ورأيه من الشريعة ، وبدائع آيات النبوة بأحكام الفلسفة ، فإنَّ الفلسفة مأخوذة من العقل المقصور على الغاية ، والديانة مأخوذة من الوحي الوارد من العلم <sup>(١)</sup> بالقُدْرَةِ .

قال : ولعمري إنَّ هذا صعب ، ولكنه جماعُ الكلام ، وأخذُ المستطاع ، وغايةُ ما عرَّض له الإنسانُ المؤيَّد بالأطائف ، المُزاح بالعلل وبِضُرُوب التكاليف . قال : ومن فضل ثمة الله تعالى على هذا الخلق أنه نهج لهم سبيلين ونصب لهم علمين ، وأبان لهم تَجْدِينَ <sup>(٢)</sup> ليصلوا إلى دارِ رضوانه إما بسلوكهما وإما بسلوك أحدهما .

فقال له البخاري : فمِلَّا ذلك الله على الطريقين اللذين رسمتهما في هذا المكان ؟ قال : دَلَّ وَبَيَّن ، ولكنك عم ، أما قال : ( وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) ؟ وفي فَحْوَى هذا وما يعلمها إِلَّا الْعَالِمُونَ ؟ فقد وصل العقل بالعلم ، كما وصل العلم بالعقل ، لأنَّ كمال الإنسان بهما ، ألا ترى أن العاقل متى عُرِّي من العلم قل انتفاعه بعقله ؟ كذلك العالم متى خُلِّي من العقل بطل انتفاعه بعلمه ، أما قال : ( وَمَا يَتَذَكَّرُ

(١) في كلتا النسختين : « العقل » .

(٢) السبيلين والعلمين والتجدين إلى العقل والعلم .



أَنَّ أَصْحَابَ شَرَائِعِهِمْ قَدْ دَعَوْا إِلَى الْفَلَسَفَةِ وَأَمَرُوا بِطَلْبِهَا وَاقْتِبَاسِهَا مِنَ الْيُونَانِيِّينَ  
هَذَا مُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى إِلَى مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ — لَمْ نَحْضَرْ مَنْ يَعْرِضُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَدِيثَ .  
قَالَ الْوَزِيرُ : مَا عَجِبِي مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ أَبِي سُلَيْمَانَ فِي هَذَا  
الاسْتِحْقَارِ وَالتَّغَضُّبِ ، وَالْإِحْتِشَادِ وَالتَّعَصُّبِ ؛ وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِالْمَنْطِقِ ،  
وَهُوَ مِنْ غُلَمَانِ يَحْيَى بْنِ عَدِيٍّ النَّضْرَانِيِّ ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ كُتُبَ يُونَانَ ، وَتَفْسِيرَ  
دَقَائِقِ كُتُبِهِمْ بِغَايَةِ الْبَيَانِ .

(٥) قُلْتُ : إِنَّ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ : إِنَّ الْفَلَسَفَةَ حَقٌّ لَكِنَّا لَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ  
فِي شَيْءٍ ، وَالشَّرِيعَةُ حَقٌّ لَكِنَّا لَيْسَتْ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فِي شَيْءٍ ، وَصَاحِبُ الشَّرِيعَةِ  
مَبْعُوثٌ ، وَصَاحِبُ الْفَلَسَفَةِ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِ ، وَأَحَدُهُمَا مَخْصُوصٌ بِالْوَحْيِ ، وَالْآخَرُ  
مَخْصُوصٌ بِبَحْثِهِ ، وَالْأَوَّلُ مَكْنَفٍ ، وَالثَّانِي كَادِحٌ ، وَهَذَا يَقُولُ : أَمَرْتُ وَعُلِّمْتُ ،  
وَقِيلَ لِي ، وَمَا أَقُولُ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ؛ وَهَذَا يَقُولُ : رَأَيْتُ وَنَظَرْتُ وَاسْتَحْسَنْتُ  
وَاسْتَقْبَحْتُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : نَوَّرَ الْعَقْلَ أَهْتَدَى بِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : مَعِيَ نَوْرُ خَالِقِ  
الْخَلْقِ أُنْشِئَ بِضِيَّائِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَ الْمَلَكُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ :  
قَالَ أَفْلَاطُونُ وَسُقْرَاطُ ؛ وَيُسْمَعُ مِنْ هَذَا ظَاهِرٌ تَنْزِيلٌ ، وَسَائِعٌ تَأْوِيلٌ ، وَتَحْقِيقٌ  
سُنَّةٌ ، وَاتِّفَاقٌ أُمَّةٌ ؛ وَيُسْمَعُ مِنَ الْآخِرِ الْهَيُولَى وَالصُّورَةُ وَالطَّبِيعَةُ وَالْأُسْطَقْسُ  
وَالذَّاتِيَّ وَالْعَرَضِيَّ وَالْأَيْسِيَّ وَاللَّيْسِيَّ ، وَمَا شَاكَلَ هَذَا مِمَّا لَا يُسْمَعُ مِنْ مُسْلِمٍ  
وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا مَجُوسِيٍّ وَلَا مَانَوِيٍّ .

وَيَقُولُ أَيْضًا : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَفَلَسَفَ فَيَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْرِضَ بِنَظَرِهِ عَنِ  
الدِّيَّانَاتِ ، وَمَنْ اخْتَارَ التَّدْيِينَ فَيَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَرِّدَ <sup>(١)</sup> بَعْنَايَتِهِ عَنِ الْفَلَسَفَةِ

(١) يَرُدُّ : يَنْكَبُ وَيَعْبُدُ .



إلا أولوا الألباب) ؟ أما قال : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) ؟ أما قال :  
 (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ) ؟ أما ذمَّ قوما حين قال : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) ؟ أما قال : (أَوَمَن كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ  
 وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) !  
 أما قال : (وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا  
 مُعْرِضُونَ) ؟ أما قال : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى  
 السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ؟ وكتاب الله عز وجل مُحِيطٌ بهذا كله ، وإنما تناد إلى  
 طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا فيما لا يناله عقلك ، ولا يبلغه ذهنك ،  
 ولا يغلو إليه فكرك ، فأمرك باتباعه والتسليم له ، وإنما دخلت الآفة من قوم  
 دهرئين ملحين ركبوا مطية الجدل والجهل ، ومالوا إلى الشغب بالتعصب ،  
 وقابلوا الأمور بتحسينهم وتقييحهم وتهجينهم ، وجهلوا أن وراء ذلك ما يفوت  
 ذرعهم ، ويتخلف عن لحاقه رأيهم ونظرهم ، ويعمى دون كنه ذلك بصرهم ؛  
 وهذه الطائفة معروفة ، منهم صالح بن عبد القدوس ، وابن أبي العوجاء ، ومطر بن  
 أبي الغيث ، وابن الراوندي ، والحصري ، فإن هؤلاء طاحوا في أودية الضلالة ،  
 واستجروا إلى جهلهم أصحاب الخلاعة والمجانة .

فقال البخاري : فما النى تركت بهذا الوصف للذين جمعوا بين الفلسفة  
 والديانة ؛ ووصلوا هذه بهذه على طريق الظاهر والباطن ، والحقى والجلي ، والبادى  
 والمكتوم ؟ قال : تركت لهم الطويل العريض ، القوم زعموا أن الفلسفة موافقة  
 للشرعية ، والشرعية موافقة للفلسفة ؛ ولا فرق بين قول القائل : قال النبي ، وقال  
 الحكيم ، وأن أفلاطن ما وضع كتاب التواميس إلا لنعلم كيف نقول ؟ وبأى

شيء نبحت ، وما الذى نُقدِّم وتؤخر ، وأن النبوة فرعٌ من مروع الفلسفة ، وأن الفلسفة أصلُ علم العالم ، وأن النبىَّ محتاجٌ إلى تشعيم ما يأتى به من جهة الحكيم ، والحكيم غنى عنه ؛ هذا وما أشبهه ؛ وأنَّ صاحبَ الدين له أن يُعيِّن ويورِّى ويُشير ويُكنِّى حتى تتمَّ المصلحة ، وتنظم الكلمة ، وتتفق الجماعة ، وتثبت السُّنة ، وتحلوا المعيشة ، وحتى قال قائل منهم : « أوائل الشريعة أمورٌ مُبتدعة ، ووسائلها سننٌ مُتَّبعة ، وأواخرها حقوقٌ منتزعة » وإنَّ هذا النَّعت من قولى : « إنَّ الشريعة إلهية ، والفلسفة بشرية » ، أعنى أنَّ تلك بالوحى ، وهذه بالعقل ، وأنَّ تلك موقوفةٌ بها ومطمَّنةٌ إليها ، وهذه مشكوكٌ فيها مضطربةٌ عليها .

قال له البخارى : فلمَ لمَ ينهج صاحبُ الشريعة هذه الطريق ، وكان يزول هذا الخصام ، وينتفى هذا الظن ، وتكسدُ هذه السُّوق ؟ فقال : إنَّ صاحبَ الشريعة مستغرقٌ بالنور الإلهى ، فهو مخبوس على ما يراه ويُبصره ، ويجده وينظره ، لأنَّه مأخوذ بما شهده بالعيان وأذركه بالحسِّ وناله بوديعة الصدر عن كل ما عداه ، فلهذا يدعو إلى اقتباس كماله الذى حصل له ، ولا يسعد بدعوته إلا من وفق لإجابته ، وأذعن لطاعته ، واهتدى بكلمته ، والفلسفة كمال بشرى ، والدين كمال إلهى ، والكمال الإلهى غنى عن الكمال البشرى ، والكمال البشرى فقيرٌ إلى الكمال الإلهى ، فهذا هذا ، وما أمر الله عزَّ وجلَّ بالأعتبار ، ولا حثَّ على التدبُّر ، ولا حرَّك القلوب إلى الاستنباط ، ولا حبَّب إلى القلوب البحث فى طلب المكنونات ، إلا ليكونَ عبادُه حُكَّاءَ ألباءٍ أُنقياءَ أذكِياءَ ، ولا أمرَ بالتَّسليم ولا حظرَ الغلوِّ والإفراط فى التَّعمُّق إلا ليكونَ عبادُه لاجئين إليه متوكِّلين عليه ، مُعتَصِمِينَ به ، خائفين منه ، راجينَ له ، يدعونه خوفاً وطمعاً ،



وَيَعْبُدُونَهُ رَغْبًا وَرَهْبًا ، فَبَيْنَ مَا بَيْنَ حِرْصًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَأَخْفَى مَا أَخْفَى لَتَدُومَ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَا يَقَعُ الْغِنَى عَنْهُ ، وَبِالْحَاجَةِ يَقَعُ الْخُضُوعُ وَالتَّجَرُّدُ ، وَبِالْإِسْتِغْنَاءِ يَغْرِضُ التَّجَبُّرَ وَالتَّمَرُّدَ ؛ وَهَذِهِ أُمُورٌ جَارِيَةٌ بِالْعَادَةِ ، وَثَابِتَةٌ بِالسَّيْرِ الْجَائِزَةِ وَالْعَادِلَةِ ؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهَا وَرَفْعِهَا وَإِنْكَارِهَا وَجَحْدِهَا ، فَلِهَذَا لَزِمَ كُلٌّ مَنْ أَدْرَكَ بِعَقْلِهِ شَيْئًا أَنْ يَتَمَّ نَقْصَهُ بِمَا يَجِدُهُ عِنْدَ مَنْ أَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ بِوَحْيٍ مِنْ رَبِّهِ .

وقال أيضاً : مما يُؤَكِّدُ هذه الجملة أَنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ أَتَتْ عَلَى مَقُولٍ كَثِيرٍ ، بِنُورِ الْوَحْيِ الْمُنِيرِ ، وَلَمْ تَأْتِ الْفَلَسَفَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ لَا كَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ :

قال : وَلَيْسَ لِيُونَانَ نَبِيٌّ يُعْرِفُ ، وَلَا رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ صَادِقٌ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْرَعُونَ إِلَى خُكَّائِهِمْ فِي وَضْعِ نَامُوسٍ يَجْمَعُ مَصَالِحَ حَيَاتِهِمْ وَنِظَامَ عَيْشِهِمْ وَمَنَافِعَ أَسْوَائِهِمْ فِي عَاجِلَتِهِمْ ، وَكَانَتْ مَلُوكُهُمْ تُحِبُّ الْحِكْمَةَ وَتُؤَثِّرُ أَهْلَهَا ، وَتَقْدِّمُ مَنْ تَحَلَّى بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ النَّامُوسُ يُعْمَلُ بِهِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَبْلَاهُ الزَّمَانُ ، وَأَخْلَقَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، عَادُوا فَوَضَعُوا نَامُوسًا آخَرَ جَدِيدًا بِزِيَادَةِ شَيْءٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوْ نَقْصَانٍ ، عَلَى حَسَبِ الْأَحْوَالِ الْغَالِبَةِ عَلَى النَّاسِ ، وَالْمَغْلُوبَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِهَذَا لَا يُقَالُ : إِنَّ الْإِسْكَانْدَرَ فِي أَيَّامِ مُلْكِهِ حِينَ سَارَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَ يَذْكُرُ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ : فُلَانٌ ، أَوْ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ، وَلَقَدْ وَاقَعَ دَارًا وَغَيْرَهُ مِنَ الْمُلُوكِ عَلَى طَرِيقِ الْغَلَبَةِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ ، وَحِيَازَةِ النِّيَّارِ وَجَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَالسَّيِّ وَالْفَارَةِ ، وَلَوْ كَانَ لِلنَّبِوَةِ ذِكْرٌ وَلِلنَّبِيِّ حَدِيثٌ لَكَانَ ذَلِكَ مَشْهُورًا مَذْكُورًا ، وَمُؤَرَّخًا مَعْرُوفًا .

(٦) قال الوزير : هذا كلامٌ عجيبٌ ما سمعتُ مثله على هذا الشرح والتفصيل ، قلتُ :



إِنَّ شَيْخَنَا أَبَا سُلَيْمَانَ غَزِيرُ الْبَحْرِ ، وَاسِعُ الصَّدْرِ ، لَا يُغْلَقُ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالْأَنْبَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَسْرَارِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَهُوَ طَوِيلُ الْفِكْرَةِ ، كَثِيرُ الْوَحْدَةِ ، وَقَدْ أَوْقَى مَزَاجًا حَسَنَ الْاعْتِدَالِ ، وَخَاطِرًا بَعِيدَ الْمَنَالِ ، وَلِسَانًا فَسِيحَ الْمَجَالِ ، وَطَرِيقَةً هَذِهِ الَّتِي أَجْتَبَاهَا مَكْتَنَفَةً بِمَعَارِضَاتٍ وَاسِعَةٍ ، وَعَلَيْهَا مَدَاخِلُ لَحْصَانِهِ ، وَلَيْسَ يَنْفِي كُلُّ أَحَدٍ بِتَلْخِيصِهِ لَهَا ، لِأَنَّهُ قَدْ أَفْرَزَ الشَّرِيعَةَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ، ثُمَّ حَثَّ عَلَى انْتِحَالِهَا مَعًا ، وَهَذَا شَبِيهٌ بِالْمُنَاقَضَةِ . وَقَدْ رَأَيْتُ صَاحِبًا لِمُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَاءَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَرَدَ مِنَ الرَّأْيِ يُقَالُ لَهُ : أَبُو غَانِمٍ الطَّيِّبُ يُشَادُّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَيُضَاقِقُهُ ، وَيُلْزِمُهُ الْقَوْلَ بِمَا يُنْكِرُهُ عَلَى الْخَصْمِ ، وَإِذَا أُذِنَتْ رَسَمْتُ كَلَامَهُمَا فِي وَرَقَاتٍ . فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ بَانَ الْغَرَضُ الَّذِي رَمَى إِلَيْهِ ، وَتَقَلَّبَ بِالْجِدْلِ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِغْلَاقًا ، وَالْقَصْدُ مَعْرُوفٌ ، وَالْوُقُوفُ عَلَيْهِ كَافٍ ، وَمَعَ هَذَا فَلَيْتَ حَظَّنَا مِنْهُ كَانَ يَتَوَفَّرُ بِالتَّلَاقِ وَالْاجْتِمَاعِ ، لَا بِالرَّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ ، هَاتِ فَائِدَةَ الْوَدَاعِ ، فَقَدْ بَلَغْتَ فِي الْمُوَاسَسَةِ غَايَةَ الْإِمْتَاعِ .

قلت : أكره أن أختتم مثل هذه الفقر الشريفة بما يشبه الهزل وينافي الجِدَّ ، (٧) فَإِنْ أُذِنَتْ رَوَيْتُ مَا يَكُونُ أَسَاسًا وَدِعَامَةً لِمَا تَقْدَمُ . قَالَ : هَاتِ مَا أَحْبَبْتَ ، فَمَا عَهْدُنَا مِنْ رَوَايَتِكَ إِلَّا مَا يَشَوِّقُنَا إِلَى رَوَايَتِكَ .

قلت : قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : عَمَلُ الرَّجُلِ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ هَوًى ، وَالْهَوَى آفَةٌ الْعَفَافِ ، وَتَرْكُهُ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ تَهَاوُنٌ ، وَالتَّهَافُوتُ آفَةُ الدِّينِ ، وَإِقْدَامُهُ عَلَى مَا لَا يَعْلَمُ أَصَوَابٌ هُوَ أَمُّ خَطَأٍ لَجَاجٍ ، وَاللَّجَاجُ آفَةُ الرَّأْيِ .

فَقَالَ — حَرَسَ اللَّهُ نَفْسَهُ — : مَا أَكْثَرَ رَوْنَقَ هَذَا الْكَلَامِ ! وَمَا أَعْلَى رُبْنَتِهِ فِي كُنْهِ الْعَقْلِ ! أَكْتُبُهُ لَنَا ، بَلْ أَتَجَمَّعُ لِي جُزْءًا لَطِيفًا مِنْ هَذِهِ الْفَقْرِ ، فَإِنَّهَا تُرَوِّحُ الْعَقْلَ فِي الْقَيْنَةِ بَعْدَ الْقَيْنَةِ ، فَإِنَّ نَوْرَ الْعَقْلِ لَيْسَ يَشِيعُ فِي كُلِّ

وقت ؛ بل يَشِعُّ مِرَّةً وَيَبْرِقُ مِرَّةً ، فَإِذَا شَعَّ عَمَّ نَفْعُهُ ، وَإِذَا بَرَقَ خَصَّ نَفْعُهُ  
وإِذَا خَفِيَ بَطَلَ نَفْعُهُ . قلت : أفعل . فقال : إن كان معك شيء آخر فاذكره ،  
(٨) فَإِنَّ الْحَدِيثَ الْحَسَنَ لَا يُمَلُّ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ ، فَإِنَّهُ قِيلَ  
لَهُ : أَتَمَلُّ الْحَدِيثَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يُمَلُّ الْعَتِيقُ . قَالَ : صدق خالد : إِنَّ الْحَدِيثَ  
لَا يُمَلُّ مِنَ الزَّمَانِ <sup>(١)</sup> إِلَّا فِيمَا يَلِيهِ <sup>(٢)</sup> ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يُمَلُّ فِي أَوَّلِ زَمَانِهِ وَفَاتِحِهِ  
أَوَانِهِ ، وَإِنَّمَا الْمَلَلُ يَعْزِضُ بِتَكَرُّرِ الزَّمَانِ وَضَجَرِ الْحِسِّ وَزِزَاعِ الطَّبَعِ إِلَى  
الْجَدِيدِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ .

(٩) فَحَكَيْتُ أَنَّهُ لَمَّا تَقَلَّدَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مَمْلَكَتَهُ عَكَفَ عَلَى الصُّبُوحِ  
وَالْعَبُوقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَزِيرُهُ رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا : إِنَّ فِي إِدْمَانِ الْمَلِكِ ضَرراً عَلَى  
الرُّعْيَةِ ، وَالْوَجْهَ تَخْفِيفُ ذَلِكَ وَالنَّظَرُ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْعَةِ  
بِالْفَارْسِيَّةِ بِمَا تَرْجُمُهُ : يَا هَذَا ، إِذَا كَانَتْ سُبُلُنَا آمِنَةً ، وَسِيرَتُنَا عَادِلَةً ، وَالذُّنُوبُ  
بِاسْتِقَامَتِنَا عَامِرَةً ، وَعُمَلَانُنَا بِالْحَقِّ عَامِلَةً ، فَلِمَ نَمْنَعُ فَرَحَةً عَاجِلَةً ؟ .

قَالَ : مِنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا ؟ قُلْتُ : أَبُو سُلَيْمَانَ شَيْخُنَا ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ  
رِضَاهُ عَنْ هَذَا الْمَلِكِ فِي هَذَا الْقَوْلِ ؟ قُلْتُ : أَعْتَرَضُ فَقَالَ : أَخْطَأُ مِنْ وَجْهِهِ ،  
أَحَدُهَا أَنَّ الْإِدْمَانَ إِفْرَاطٌ ، وَالْإِفْرَاطُ مَذْمُومٌ ؛ وَالْآخَرُ أَنَّهُ جَهْلٌ أَنْ أَمَّنَ السَّبِيلَ  
وَعَدَلَ الشَّيْرَةَ وَعَمَّارَةَ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ بِالْحَقِّ مَتَى لَمْ يُوَكَّلْ بِهَا الطَّرْفُ السَّاهِرُ وَلَمْ  
يُحَاطَ بِالْعَنَايَةِ التَّامَّةِ ، وَلَمْ يُحَفَظْ بِالْأَهْتَامِ الْجَالِبِ لِدَوَامِ النِّظَامِ ، دَبَّ إِلَيْهَا النِّقْصُ  
وَالنِّقْصُ بَابٌ لِلانْتِقَاضِ ، مُنْزَعِزٌ لِلدَّعَاةِ ، وَالْآخَرُ أَنَّ الزَّمَانَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ

(١) مِنَ الزَّمَانِ ، أَيْ فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ .

(٢) فِي نَسْخَةٍ فَاتِحَتِهِ . وَفِي نَسْخَةٍ مَا تَحْتَهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَيْهِمَا ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ

الْآتِي بَعْدَ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .



يُبْذَلُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالتَّلَذُّذِ وَالتَّمَتُّعِ ، فَإِنْ فِي تَكْمِيلِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ  
بِاِكْتِسَابِ الرُّشْدِ لَهَا وَإِبْعَادِ الْغَيِّ عَنْهَا مَا يَسْتَوْعِبُ أَضْعَافَ الْعَمْرِ ، فَكَيْفَ إِذَا  
كَانَ الْعُمْرُ قَصِيراً ، وَكَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ أَهْوَى كَبِيراً ؟ وَالْآخِرُ أَنَّهُ ذَهَبَ عَلَيْهِ أَنَّ  
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ إِذَا وَقَفَتْ عَلَى اسْتِهْتَارِ الْمَلِكِ بِاللَّذَاتِ ، وَأُنْهَمَا كَهْ فِي طَلَبِ  
الشَّهَوَاتِ ، أَزْدَرَتْهُ وَأَسْتَهَانَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْ عَنْهُ بِأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ وَعَادَاتِ الْحَمِيرِ  
وَاسْتِهَانَةُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِالنَّاظِرِ فِي أَمْرِهَا وَالْقِيَمِ بِشَأْنِهَا مَتَى تَكَرَّرَتْ عَلَى  
الْقُلُوبِ تَطَرَّقَتْ إِلَى اللِّسَانِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْحَافِلِ ، وَالتَّفَتَّ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ  
وَهَذِهِ مَكْسَرَةٌ لِلْهَيْبَةِ ، وَقَلَّةٌ أَلْهِيَّةٌ رَافِعَةٌ لِلْحَشْمَةِ ، وَارْتِفَاعُ الْحَشْمَةِ بَاعَثَتْ عَلَى  
الْوُسْبَةِ ، وَالْوُسْبَةُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ مِنَ الْمَلَكَةِ ؛ وَمَا خَلَا الْمَلِكُ مِنْ طَامِعٍ رَاصِدٍ قَطُّ  
وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ الْحَازِمِ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا مُنَازِعَ ، وَقَدْ يَنْجُمُ الضَّدُّ  
وَالْمُنَازِعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَا أَكْثَرَ خَجَلِ الْوَائِقِ ! وَمَا أَقَلَّ حَزَمِ الْوَائِقِ !  
وَمَا أَقَلَّ يَقْظَةَ الْمَائِقِ <sup>(١)</sup> !

ثُمَّ قَالَ : وَعَلَى الضَّدِّ مَتَى كَانَ السَّائِسُ ذَا تَحْفُظٍ وَبَحْثٍ ، وَتَتَبُّعٍ وَحَزَمٍ  
وَإِكْبَابٍ عَلَى لَمْ أَلْشَعْتُ وَتَقْوِيمِ الْأَوْدِ وَسَدِّ الْأَخْلَالِ وَتَعَرُّفِ الْجُيُوهِ وَتَحَقُّقِ  
الْمَعْلُومِ وَرَفْعِ الْمُنْكَرِ وَبَثِّ الْمَعْرُوفِ ، احْتَرَسَتْ مِنْهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ ، وَأَسْتَشْعَرَتْ  
الْهَيْبَةَ ، وَالتَّزَمَتْ بَيْنَهَا النَّصْفَةَ ، وَكُفِّتْ كَثِيراً مِنْ مُعَانَاتِهَا وَمِرَاعَاتِهَا ، وَإِنْ كَانَ  
لِلدَّوْلَةِ رَاصِدٌ لِلْغَرَةِ يَتَسَّ مِنْ نَفُوزِ الْحِيلَةِ فِيهَا ، لِأَنَّ اللَّصَّ إِذَا رَأَى مَكَاناً حَصِيناً  
وَعَهْدَ عَلَيْهِ حُرَّاساً لَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِالْتَّعَرُّضِ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ قَصْرًا فِيهِ ثُلَّةٌ ،  
وَبَاباً إِلَيْهِ طَرِيقٌ ، وَالْأَعْرَاضُ بِالْأَسْبَابِ ، وَإِذَا ضَعُفَ السَّبَبُ ضَعُفَ الْعَرَضُ ،  
وَإِذَا انْقَطَعَ السَّبَبُ انْقَطَعَ الْعَرَضُ .

(١) المائق : الأحمق الغرّ . وفي كلتا النسختين « الفائق » ؛ وهو تحريف .



فقال — أدام الله أيامه — : هذا كلامٌ كافٍ شافٍ . وقال بعد ذلك :  
حدّثني عما تسمعُ من العامة في حديثنا .

(١٠) قلتُ : سمعتُ (بباب الطّاق) قوما يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشّطّ ،  
فلما نزل الوزير ليركب المركب صاحوا وضجوا وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام  
وتعذّر الكسب وغلبة الفقر وتهتّك صاحب العيال ، وأنّه أجابهم بجوابٍ  
سرّ مع قطوب الوجه وإظهار التبرّم بالاستغانة : بعدُ لم تأكلوا النخالة .  
فقال : والله ما قلتُ هذا ، ولا خطرَ لي على بال ، ولم أقابل عامّة جاهلة  
ضعيفة جائرة بمثل هذه الكلمة الخشّاء ، وهذا يقوله من طرح <sup>(١)</sup> الشرّ وأحبّ  
الفساد وقصد التّشنيع على والإيحاء متى ، وهو هذا العدو الكلب ، « يعني  
ابن يوسف » كفاني الله شرّه ، وشغله بنفسه ، ونكس كيدَه على رأسه ؛ والله  
لأنظرنّ لها وللفقراء بمالٍ أطلقه من الخزانة ، وأرسمُ ببيع الخبز ثمانية بدرهم ،  
ويصلُ ذلك إلى الفقراء في كل محلّة على ما يذكرُ شيخُها ، ويبيع الباقون على  
السّعر الذي يقرّون لهم ، ويشتريه الغنيّ الواجد ؛ ففعل ذلك — أحسن الله جزاءه —  
على ما عرفتُ وشاهدتُ ، وأبلغته بنشر اللّقاء له في الجوامع والجامع بطول  
البقاء ودوام القلاء وكبت الأعداء ونصر الأولياء . ثم كتبتُ جزءاً من الفِقر  
على ما رسم من قبل ، فلما أوصلته إليه قال لي : اقرأ ، قرأته عليه ، فقال :  
صلّ هذا الجزء بجزء آخر من حديث النّبيّ — صلى الله عليه وسلم — والصّحابة  
وبجزء من الشّعير ، وبشيء من معاني القرآن ، فإنه مقدّم على كل شيء بحسب  
ما رفع الله من خطره ، وأحوج إلى فهمه ، وندب إلى العمل به ، وأثاب على  
التشكّر فيه والتعجّب منه .

(١) « طرح الشر » أي ألغاه في القلوب ، وهذا تعبير قد سبق للمؤلف مثله في صفحة ١٧  
سطر ٢ ، مریداً به هذا المعنى .

وَعَظَّ<sup>(١)</sup> رَجُلٌ مِنْ (جُهَيْنَةَ) (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) فِي قِصَّةِ الْحُكُومَةِ ، فَقَالَ عَمْرُو (١١)  
 لَهُ : مَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَا تَيْسَ جُهَيْنَةَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكَ الْحَقُّ ، وَلَا يَضُرُّكَ الْبَاطِلُ ،  
 فَاسْكُتْ فَإِنَّ الظِّلْفَ لَا يَجْرِي مَعَ الْخَفِّ .  
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ الْمَدُنَ تُبْنَى عَلَى الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَالْمُحْتَطَبِ  
 وَالْحَصَانَةِ .

وقال الشاعر :

لَا حُ سُهَيْلٌ فِي الظَّلَامِ الدَّامِسِ      كَأَنَّهُ نَارٌ بِكِفِّ الْقَابِسِ  
 قَالَ رَبِيعَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ مَالِكٍ فِي عَمْرُو بْنِ الْإِطْنَابَةِ — حِينَ دَفَعَ أُخْتَهُ وَأَخَذَ  
 أَخَاهُ وَكَانَ أَسِيرًا فِي قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ دَفَعَ أَخِيهِ إِلَيْهِ صَدَاقَ أُخْتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي  
 تَسْمِيهِ الْعَرَبُ الْمَسَاهَاةَ<sup>(٢)</sup> — : فَقَدْ حَزَمِي الَّذِي هُدَيْتُ لَهُ ، وَعَزَمِي الَّذِي أُرْشِدْتُ  
 إِلَيْهِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَسَاهَى بِهَا عَمْرُو وَرَاعَى إِفَالَهُ<sup>(٣)</sup>      فَرُبُّهُ وَتَمَرُّهُ بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرُ  
 وَكَانَتْ دِيَّةُ الْعَرَبِيِّ مِائَةَ وَسُقٍ ، وَدِيَّةُ الْهَجِينِ خَمْسِينَ وَسُقًا ، وَدِيَّةُ الْمَوْلَى  
 عَشْرَةَ أَوْسُقٍ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَجْعَلُ دِيَّةَ الْمُعِمِّ الْمُخُولِ مِائَةَ بَعِيرٍ ، وَدِيَّةَ الْمَوْلَى  
 خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ بَعِيرًا .

(١) يلوح لنا أن هذه الفقر الآتية قد قرأها المؤلف على الوزير في ليلة أخرى غير  
 الليلة السابعة عشرة السابقة وإن لم يرد في الأصول ما يدل على ذلك ؛ وإذن فتكون هذه هي  
 الليلة الثامنة عشرة ، واللييلة الآتية بعد هي الليلة التاسعة عشرة ، إذ لا يقل أن يطلب الوزير إلى  
 المؤلف كتابة هذه الفقر في ليلة فيكتبها ثم يقرؤها في نفس الليلة أو لعله كتبها واكتفى بإرسالها  
 إلى الوزير .

(٢) لعلهم سموا هذا النكاح بالمساهاة لما فيه من معنى المساهاة وهي المسامحة وترك  
 الاستقصاء في المعاشرة .

(٣) « الإفال » : صغار الإبل ، الواحد أفيل .

وقال جرير :

رَأَيْتُ بَنِي نَبْهَانَ أَذْنَابَ طَيِّءٍ      وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تُرَى وَصُدُورُ  
تَرَى شَرْطَ<sup>(١)</sup> الْمِعْزَى مُهَوَّرَ نَسَائِهِمْ      وَفِي شَرْطِ الْمِعْزَى لَهُنَّ مُهَوَّرُ  
وقال خالد بن جعفر بن كلاب<sup>(٢)</sup> :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرُنِي (هُوَ زَنْ) بَعْدَمَا      أَعْتَقْتُهُمْ فَتَوَالَدُوا أَحْرَارًا  
وَقَتَلْتُ رَبَّهُمْ زُهَيْرًا بَعْدَمَا      جَدَعَ الْأَنْوَفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارَا  
وَجَعَلْتُ مَهْرَ نَسَائِهِمْ وَدِيَاتِهِمْ      عُقْلَ<sup>(٣)</sup> الْمُلُوكِ هَجَائِنًا وَبِكَارَا  
وقال جندل بن صخر ، وكان عبدا :

وَمَا فَكَّ رِقِّي ذَاتُ دَلٍّ خَدَلَجٍ      وَلَا سَاقَ مَالِي صُدُقَةٌ وَعُقُولُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَكِنْ نَمَانِي كُلُّ أَبِيضٍ خَضِرِمٍ<sup>(٥)</sup>      فَأَصْبَحْتُ أَذْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ  
وَقَتَلَ الْكَلْبِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْجَوْشَنِ الْغَطَفَانِيَّ بِقَتْلِهِ ابْنَهُ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ  
(رَوَّاد) ، وكانوا عرضوا عليه الدِّيةَ ، فقال :

شَفَيْتُ بَرَوَّادٍ غَلِيلاً وَجَدْتُهُ      عَلَى الْقَلْبِ مِنْهُ مُسْتَسْرٌّ وَظَاهِرٌ

(١) « شرط المعزى » : صفارها .

(٢) كان من حديث هذا الشعر أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جذيمة إلا ربا ، وكان يعثرهم فإذا كانت سوق عكاظ أتاها زهير بن جذيمة وأتته هوازن بالإتاوة ، فأثته عجوز مرة بنحى فيه ممين ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدفنها بقوس كانت في يده ، فسقطت على الأرض ، فأنكشفت ، فغضب قومها ، وآلى خالد بن جعفر أن يقتله ، فلم يزل يعد لذلك عدته حتى أمكنته الفرصة فقتله . في حديث طويل ليس هنا موضع ذكره (انظره في بلوغ الأرب ج ١) .

(٣) العقل : جمع عقال ، وهى الناقة الفتيحة الحسنة . والمجان من الابل : البيض الكرائم .

(٤) الخدلج : المرأة المثلثة الذراعين والساقين . والصدقة : المهر . والعقول : الديات ، واحده عقل .

(٥) « الخضرم » : السيد .



أَلَا لَيْتَ قَبْرًا بَيْنَ أَدَمَ<sup>(١)</sup> وَمُطَرِّقٍ يُحَدِّثُهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ خَابِرُ  
وَقَالُوا تَدِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَتَفْتَدِي فَقُلْتُ : كَرِيمٌ مَا تَدِيهِ الْأَبَاعُ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ دَثْرُهُ<sup>(٢)</sup> وَتَغْبِرُ أَقْوَالُ وَتَبْقَى الْمَعَايِرُ  
أَدَمَى وَمُطَرِّقٌ غَدِيرَانِ<sup>(٣)</sup> بَيْنَ فَدَكٍ وَبِلَادِ طَلِيٍّ .

سئلت أبنَةَ الْخُسِّ هَلْ يَلْقَحُ الْبَازِلُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ وَهُوَ رَازِمٌ ، أَى وَإِنْ كَانَ  
لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْهَزَالِ . يُقَالُ : جَلَّ بَازِلٌ<sup>(٤)</sup> وَنَاقَةٌ بَازِلَةٌ ،  
وَيُقَالُ : ضَرَبَهُ فَبَرَكَعَهُ إِذَا أَبْرَكَهُ ، وَتَبَزَّكَعَ ، وَيُقَالُ : شِمَّ لِي هَذِهِ الْإِبِلَ ،  
أَى أَنْظِرْ لِي خَبَرَهَا .

وَيُقَالُ لَوْلَدٍ كُلُّ بَهِيمَةٍ إِذَا سَاءَ غِذَاؤُهُ : جَجِنَ وَنَحْثَلُ وَجَذَعُ ، وَكُلُّ  
مَا غُذِيَ بغيرِ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ : عَجِيٌّ ، وَكَذَلِكَ الْجَجِنُ<sup>(٥)</sup> وَالْوَعِلُ وَالسَّغْلُ كُلُّهُ  
السَّيِّءُ الْغِذَاءِ .

سئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ ، فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهَا ؟ مَعَهَا  
حِذَاؤُهَا<sup>(٦)</sup> وَسِقَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ حَتَّى يَأْتِيَهَا «رَبُّهَا» .  
سئِلَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَنْ ضَالَّةِ الْغَنَمِ ، فَقَالَ : هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذُّبِّ .  
قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَالْقَطْطَةُ ؟ قَالَ : «تَعْرِفُهَا سَنَةً وَتُحْصِي وَكَاءَهَا وَوِعَاءَهَا

(١) أَدَمَى « بضم الهيمزة وفتح الدال ، وسكنت للشعر » .

(٢) « المال الدثر » : الكثير الوافر و « تغبر أقوال » ، أى تبقى .

(٣) فى اللسان أن أَدَمَى : أرض بظاهر اليمامة . وذكر ياقوت أقوالاً كثيرة فى تعيين هذا  
الموضع منها ما يوافق ماورد فى اللسان . ومطرق : باليمامة أيضاً .

(٤) البازل : الذى فطر نابيه ، أى انشق بدخوله فى السنة التاسعة .

(٥) يلاحظ أن هذه الكلمة قد ذكرت فيما سبق .

(٦) يشير بقوله « معها حذاؤها » إلى أنها بعيدة المذهب قوية على المشى وقطع الأرض .  
تشبيهاً لها بالمسافر الذى معه حذاؤه وسقاؤه .

وعِفَاصُهَا<sup>(١)</sup> وَعَدَدَهَا ؛ فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ .  
 وَقَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ : أَصَبْتُ مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
 فَقَالَ : « اِحْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا وَعَدَدَهَا فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَخْبِرْكَ بِعَدَدِهَا وَعِفَاصِهَا  
 وَوِكَائِهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ وَإِلَّا فَعَرَّفْهَا سَنَةً ، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا » .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ  
 بِقُفِّ النَّخْلَتَيْنِ<sup>(٢)</sup> قَالَ لَهُ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي السَّبَاقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ  
 وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى النَّوَاضِحِ<sup>(٣)</sup> — وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي  
 أُخْرِيَّاتِ النَّاسِ ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الْعِضْبَاءِ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ — فَقَالَ : أَيْنَ أُسَامَةُ ؟ فَتَنَادَى النَّاسُ حَتَّى بَلَغَ أُسَامَةُ  
 الصَّوْتُ ، فَوَضَعَ السَّوْطَ فِي النَّاقَةِ فَأَقْبَلَتْ ، فَلَمَّا دَنَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَرَادُوا السَّبَاقَ فَأَنْخِ نَاقَتَكَ حَتَّى تَرَعُو ،  
 ثُمَّ عَلَّقْ الْخِطَامَ ثُمَّ سَابِقْهُمْ ؛ ففَعَلَ وَاسْتَبَقُوا ، فَسَبَقَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ أُسَامَةُ يَكْبُرُ وَيَقُولُ : سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَسُولُ  
 اللَّهِ يَقُولُ : سَبَقَ أُسَامَةُ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : أَقْصِرْ يَا أُسَامَةُ ، فَإِنَّ  
 إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حَيَاءٌ وَحَفِيزَةٌ .

(١٢) قَالَ : وَلَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ سَنَامٌ إِلَّا الْبَعِيرُ ، وَلِبَعْضِ الْبَخَاتِيِّ سَنَامَانِ ،  
 وَلِبَعْضِ الْبَقَرِ شَيْءٌ صَغِيرٌ عَلَى مَوْضِعِ الْكَاهِلِ . وَالْجَمْلُ يَبُولُ إِلَى خَلْفٍ ،

(١) العِفَاصُ : وَغَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يَضَعُ فِيهِ الْمَسَافِرُ تَفْقَهُ .

(٢) الْقُفُّ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . وَلَمْ نَجِدْهُ مَضَافًا إِلَى النَّخْلَتَيْنِ فَيَأْرَاجُ عَنْهُ مِنَ الْكُتُبِ  
 فَلَعَلَّ فِي هَذَا الْأَسْمِ تَحْرِيقًا .

(٣) النَّوَاضِحُ : الْإِبِلُ الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا .

وكذلك الأسد . وقضيبُ الجمل من عَصَبٍ ، وقضيبُ الإنسان من لحمٍ وغُضروفٍ ،  
 وقضيبُ الذئبِ والثعلبِ من عظمٍ ، وقضيبُ ذَكَرِ الأرنابِ من عظمٍ على  
 صورة الثقبِ كأنه نصفُ أنبوبةٍ مشقوقة . وفي قلبِ الثورِ عَظْمٌ ، وربما وُجدَ  
 في قلبِ الجملِ . والمرأةُ تَلِدُ من قُبُلٍ ، والناقةُ من خَلْفٍ . وزمانُ نزولِ الجملِ في  
 (شباط) . والإناثُ من الإبلِ تَحْمِلُ اثني عشر شهراً وتَضَعُ واحداً وتَلْقَحُ إذا  
 بلغت ثلاثَ سنين ، وكذلك الذكورُ ، ثم تُقيمُ الأثني سَنَةً ثم يُنَزَى عليها .  
 وزعمَ صاحبُ المنطقِ أن الجملَ لا يَنزُو على أُمِّه ، وإن اضطرَّ كَرِهه .

قال : وقد كان رجلٌ في الدَّهْرِ السَّالِفِ سَتَرَ أُمَّهُ بِشُوبٍ ثم أَرْسَلَ بَكْرًا  
 عليها ، فلما عَرَفَ ذلك لم يُتِمِّمْ وقطع ، وَحَقَّدَ على الجَمَالِ فقتله .

قال : وقد كان لملكٍ فَرَسٌ أَثْنِي ، وكان لها أَفْلَاءٌ<sup>(١)</sup> ، فأراد أن تَحْمِلَ  
 من أكرمها ، فَصَدَّ عنها وكرهها ، فلما سَتَرَتْ وَثَبَ فركبها ، فلما رُفِعَ الثَّوبُ  
 ورآها هَرَبَ وَهَرَّ حُضْرًا<sup>(٢)</sup> حتى ألقى نفسه في بعض الأوديةِ فهلك ...<sup>(٣)</sup>

هذا كلامُ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهه .

قال حُذَيْفَةُ : كُنْ في الفتنَةِ كَابِنِ اللَّيُوتِ ، لا ظَهَرَ فُيُزَكَبُ ، ولا  
 لَبَنَ فَيُحَلَبُ .

قال ديوجانس : إِنَّ الْمَرْأَةَ تَلْقَنُ الشَّرَّ مِنَ الْمَرْأَةِ ، كما أَنَّ الْأَفْعَى تَأْخُذُ السَّمَّ<sup>(١٣)</sup>  
 مِنَ الْأَصِلَةِ .

(١) الأفلاء : جمع فاء بكسر الفاء ، وهو المهر الذي لم يبلغ الفطام .

(٢) الحضر بالضم : سرعة العدو .

(٣) ورد في « ب » مكتوباً على هامشها عند موضع هذه النقطة ما يفيد أنه قد سقط  
 من النسخة ثلاث ورقات .



وقال فيثاغورس : إن كثيراً من الناس يرون العى الذى يعرض لعين  
البدن فتأباه أنفسهم ، فأما عى عين النفس فإنهم لا يرونه ولا تأباه أنفسهم ،  
فلذلك لا يستحيون .

وقال أيضاً : كما أن الذى يسلك طريقاً لا يعرفه لا يدري إلى أى موضع  
يؤديه ، كذلك الذى يسمع كلاماً لا يعرف الغرض فيه لا يربح منه  
إلا التعب .

قيل لديوجانس : أيهما أولى ، طلب الغنى ، أم طلب الحكمة ؟ فقال :  
للدنيا الغنى ، وللآخرة الحكمة .

وقيل له : متى تطيب الدنيا ؟ قال : إذا تفلسف ملوكها ومالك فلاسفتها .

(١٤) فقال الوزير — اسعده الله — عندى أن هذا الكلام مدخول ، لأن  
الفلسفة لا تصح إلا لمن رَفَضَ الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون  
الملك رافضاً للدنيا وقالياً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها والقيام عليها باجتلاب  
مصلحتها ونفى مفسداتها ، وله أولياء يحتاج إلى تديبرهم وإقامة أبنيتهم والتوسعة  
عليهم ومواكبتهم ومشاربتهم ومُداراتهم والإشراف على سرهم وعلايتهم ،  
والملك أتعب من الطبيب الذى يجمع معالجة كثيرة بضروب الأدوية المختلفة  
والأغذية المتباينة ؛ هذا والطبيب فقير إلى تقديم النظر في نفسه وبدنه ، ونفى  
الأمراض والأغراض عن ظاهره وباطنه ، ومن كان هكذا ومن هو أكثر  
منه وأشد حاجة وعلاقة كيف يستطيع أن يكون ملكاً وحكماً ؟ ولعل قائلًا  
يظن هذا ممكناً ، ويكون الملك واعياً في الحكمة بالدعوى ، وقائماً بالملك على  
طريق الأولى ، وهذا إلى التيات الأمر واختلاله واختلاطه في الملك والفلسفة

[ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى إِحْكَامِ الْأَصْلِ وَإِثْبَاتِ الْفَرَعِ . قَالَ : وَلِهَذَا ] لَمْ نَجِدْ نَحْنُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ نَظَرٍ فِي أَمْرِ الْأُمَّةِ عَلَى الزَّهْدِ وَالْتِقَى وَإِثَارِ الْبِرِّ وَالْهَدَى إِلَّا عِدَدًا قَلِيلًا ، وَالْمَجُوسُ تَزْعُمُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ مُعَرَّجَةٌ عَنْ الْمَلِكِ ، أَيْ الَّذِي يَأْتِي بِهَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يُعَرِّجَ عَلَى الْمَلِكِ ، بَلْ لَهُ أَنْ يَكِلَ الْمَلِكَ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ ، وَلِهَذَا قَالَ مَلِكُنَا الْفَاضِلُ : الدِّينُ وَالْمَلِكُ أَخَوَانِ ، فَالدِّينُ أَسْنَى ، وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ، فَمَا لَا أَسْنَى لَهُ فَهُوَ مَهْدُومٌ ، وَمَا لَا حَارِسَ لَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ .

فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا بَابٌ إِنْ تَوَزَّعَ <sup>(١)</sup> الْقَوْلُ فِيهِ طَالَ ، وَإِنْ رُمِيَ بِالتَّصْدِيقِ جَازَ ، وَالْأُمَّةُ كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى النِّيَابَةِ عَنْ صَاحِبِ الدِّيَانَةِ عَلَى فَنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَجُلَّ مُتَعَدِّدَةٍ ، إِلَّا أَنَّ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، حَامِلًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، عَلَى طَرَائِقِهَا الْمَعْرُوفَةِ ، لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ سِيَاسَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ ، وَالْمَلِكُ سِيَاسَةُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ مَتَى خَلَّتْ مِنَ السِّيَاسَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالسِّيَاسَةُ مَتَى عَرِيتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالْمَلِكُ مَبْعُوثٌ ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَ الدِّينِ مَبْعُوثٌ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ الْبَعِثَيْنِ أَخْفَى مِنَ الْآخَرِ ، وَالثَّانِي أَشْهُرُ مِنَ الْأَوَّلِ <sup>(٢)</sup> . قَالَ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ قُلْتُ : إِنْ الْمَلِكُ مَبْعُوثٌ أَيْضًا ؟ فَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَا ثَبَتَتْ فِي أُذُنِي قَطُّ ، وَلَا خَطَرْتُ لِي عَلَى بَالٍ ؛ قُلْتُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ : ( إِنْ اللَّهُ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ) . فَعَجِبَ وَقَالَ : كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا قَطُّ .

ذَكَرَ لِلْإِسْكَانْدَرِ سُوهُ أَحْوَالِ رُؤَسَاءِ مَذْهَبِهِ لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَحْتَازَ أَمْوَالَهُمْ (١٥) وَسَلَبَ أَحْوَالَهُمْ . فَقَالَ : يَجِبُ لِلْأَبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ إِزَالَةُ أَلَذَمِّ عَنْهُمْ ، [ وَمَحْوُ الْإِلَهِمْ ،

(١) فِي (١) «تَوَزَّعَ» .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : «وَالأَوَّلُ أَشْهُرُ مِنَ الثَّانِي» .



ستعطافُ القلوبِ عليهم ، ونشرُ المحامدِ عنهم ؛ وأمرَ بردَ أموالهم عليهم ، وزاد في الإحسان إليهم . وقال : قد بلغ من فرطِ شفقةِ الآباءِ على الأبناء أن يُسيثوا إلى أنفسهم لتكونُ الإساءةُ سببًا للإحسان إلى أولادهم ، لأنهم يرون أولادهم كأنفسهم لأنهم من أنفسهم .

فقلت : أيها الوزير ، إني لأعجبُ من الإسكندر في الفعلِ الرَّشيدِ والقولِ السديدِ ، فهذا المنصورُ أبو جعفر صاحبُ الشهامةِ والصَّرامةِ أخذَ من وجوهِ العراقِ أموالَ ابخواتهم أصحابها وأقرَّمهم ، وجعلها في خزائنه بعد أن كتبَ على تلك الخرائطِ والظروفِ أسماءَ أهلها ، ثم وصى المهديَّ بردَّها على أصحابها بعد موته ، وبرَّك ذلك عليه ، وقال : يا بُنيَّ ، إنما أريدُ بهذا أن أُحبِّبك إلى الناس ، ففعل المهديُّ ذلك ؛ فانتشرَ له الصَّيتُ وكثرَ اللُطاءُ وعَجَّت الأصوات ، وقال الناس : هذا هو المهديُّ الذي ورد في الأثر . فقال : هذا عجب .

وقال سُقْرَاطُ : ينبغي لمن علم أنَّ البدنَ هو شيءٌ جعلَ نافعاً للنفسِ مثلَ الآلةِ للصانعِ أن يطلبَ كلَّ ما يصيرُ البدنُ به أُنفعَ وأَوْفَقَ لأفعالِ النفسِ التي هي فيه ، وأن يَهْرُبَ من كلِّ ما يُصَيِّرُ البدنَ غيرَ نافعٍ ولا موافقٍ لاستعمالِ النفسِ له . قال أوميرُوس : لا ينبغي لك أن تؤثرَ علمَ شيءٍ إذا عَيَّرَتْ به غَضِبَتْ ، فانك إذا فعلتَ هذا كنتَ أنتَ القاذِفُ لنفسِكَ .

وقال ديوجانس : من القبيحِ أن تتحرى في أغذيةِ البدنِ ما يصلحُ له ولا يكون ضاراً ، ولا تتحرى في غذاءِ النفسِ الذي هو العلمُ لئلا يكون ضاراً . وقال أيضاً : من القبيحِ أن يكونَ الملاحُ لا يُطلقُ سفينتهُ في كلِّ ريحٍ ، ونحن نطلقُ أنفسنا في غيرِ بحثٍ ولا اختبارٍ .



ذكر لنا أبو سليمان أن فيلسوفاً وَرَدَ مَدِينَةً فِيهَا فِيلَسُوفٌ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَدَنِيُّ  
كَأْسًا مَلَأَى ، يُشِيرُ بِهَا إِلَى أَنَّ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُ وَاقِعٌ عِنْدَهُ ، فَطَرَحَ الْقَادِمُ فِي الْكَأْسِ  
إِبْرَةً ، يُعَلِّمُهُ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ تَنْفُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ .

وقال فيلسوفٌ يونانيٌّ : التَّقَلُّبُ فِي الْأُمُصَارِ ، وَالتَّوَسُّطُ فِي الْجَمَاعِ (١) ،  
والتَّصَرُّفُ فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَأُسْتِمَاعُ فَنُونِ الْأَقْوَالِ ، مِمَّا يَزِيدُ الْإِنْسَانَ بَصِيرَةً  
وَحِكْمَةً وَتَجَرِبَةً وَيَقْظَةً وَمَعْرِفَةً وَعِلْمًا .

قال الوزير : مَا الْبَصِيرَةُ ؟ قُلْتُ : لَحْظُ النَّفْسِ الْأُمُورَ . قَالَ : فَمَا الْحِكْمَةُ ؟  
قُلْتُ : مُبْلُغُ الْقَاصِيَةِ مِنْ ذَلِكَ اللَّحْظِ . قَالَ : فَمَا التَّجَرِبَةُ ؟ قُلْتُ : كَمَالُ النَّفْسِ بِلِحَظِ  
مَا لَهَا . قَالَ : هَذَا حَسَنٌ .

قال أنكساغورس : كَمَا أَنَّ الْإِنَاءَ إِذَا أُمْتَلَأَ بِمَا يَسَعُهُ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ تُجْعَلُ فِيهِ  
زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ فَاضٍ وَانْصَبَ ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ شَيْءٌ آخَرُ ؛ كَذَلِكَ  
الذَّهْنُ مَا أَمَكْنَهُ أَنْ يَضْبِطَهُ فَإِنَّهُ يَضْبِطُهُ ، وَإِنْ طُلِبَ [ مِنْهُ ] ضَبْطُ شَيْءٍ آخَرَ  
أَكْثَرَ مِنْ وَسْعِهِ تَحَيَّرَ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُضَيِّعُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا كَانَ الذَّهْنُ ضَابِطًا لَهُ ،  
وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ ، وَإِنِّي لَا تَعْجَبُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِذْ ظَنُّوا وَقَالُوا : إِنَّ الْإِنْسَانَ  
يَسْتَطِيعُ حِفْظَ جَمِيعِ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْقِيَامَ بِهَا وَالْإِبْقَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مَقْدُورًا  
عَلَيْهِ [ لَوْ جَدَّ ، وَ ] لَوْ وَجِدَ لَعُرِفَ ، وَلَوْ عُرِفَ لَذُكِرَ ، وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا وَقَلْبُ  
الْإِنْسَانِ مُضَيِّعٌ ، وَقُوَّتُهُ مَقْصُورَةٌ ، وَابْتِسَاطُهُ مُتَنَاهٍ ، وَاقْتِبَاسُهُ وَحْفَظُهُ وَتَصَوُّرُهُ  
وَذِكْرُهُ مَحْدُودٌ ؟ وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُهَدَّى الطَّبْرِيُّ قَالَ : قُلْتُ بِيخْدَادِ لِأَبِي  
بِشْرٍ : لَوْ نَظَرْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفَقْهِ مَعَ هَذِهِ الْبَرَاعَةِ الَّتِي لَكَ فِي الْكَلَامِ ، وَمَعَ هَذَا

•• (٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : «وَالْتَّوَسُّطُ الْجَمَاعِ» .

اللسان الذي تحيّر فيه كلُّ خصم . قال : أفعلُ ، قال . فكنتُ أقرأ عليه بالنهار مع المختلفة الكلام ، وكان يقرأ على بالليل شيئاً من ألفقه ، فلما كان بعد قليل أقصرَ عن ذلك ، فقلت له : ما السبب ؟ قال : والله ما أحفظُ مسألةً جليلةً في ألفقه إلاّ وأنسى مسألةً دقيقةً في الكلام ، ولا حاجة لي في زيادة شيء يكون سبباً لنقصان شيء آخر مني .

وسأل رجلٌ آخر أن يُقرضه مالا ، فوعده ثم غدر به ، فلامه الناس ، فقال : لأنّ يحمرّ وجهي مرةً أحبُّ إليّ من أن يصفرّ سراراً كثيرة .

ووليّ أريوس ولايةً فقال له أصدقاؤه : الآن يظهر فضلك . فقال : ليست الولاية تُظهر الرجل ، بل الرجلُ يظهر الولاية .

وقال ديوجانس . الدنيا سوقُ المسافر ، فليس ينبغي للعاقل أن يشتري منها شيئاً فوق الكفاف .

وقيل لاسطفانس : من صديقتك ؟ قال : الذي إذا صيرتُ إليه في حاجة وجدته أشدَّ مُسارعةً إلى قضائها مني إلى طلبها .

وقال أفلاطون : إن للنفس لذتين : لذّة لها مُجرّدة عن الجسد ، ولذّة مشاركة للجسد ، فأما التي تنفرد بها النفس فهي العلم والحكمة ، وأما التي تُشارك فيها البدن فالطعام والشراب وغير ذلك .

وقيل لسقراط : كيف ينبغي أن تكون الدنيا عندنا ؟ قال : لا تستقبلوها بتمنٍّ لها ، ولا تتبّعوها بتأسّف عليها ؛ فلا ذلك مُجدٍ عليكم ، ولا هذا راجعٌ إليكم . وقال سقراط : القنينة<sup>(١)</sup> مخدمّة ، ومن خدم غير نفسه فليس [ بحر ] .

(١) في كلتا النسختين : « القينة » ؛ وهو تحريف ؛ والقينة : ما يقتنى

وقال بعض ندماء الإسكندر له : إن فلاناً يسىء الثناء عليك ، فقال : أنا أعلم أن فلاناً ليس بشير ، فينبغى أن يُنظر هل ناله من ناحيتنا أمرٌ دعاه إلى ذلك ، فَبَحَثَ عن حاله فوجدَهَا رَتْنةً ، فأمر له بصلّة سنّية ، فبلغه بعد ذلك أنه يبسط لسانه بالثناء عليه في المحافل ؛ فقال : أماترون أن الأمر إلينا أن يقال فينا خيرٌ أو شرٌ . قيل لطيطاؤوس : لم صيرتَ تسيء القول في الناس ؟ قال : لأنه ليس يمكنني أن أسىء إليهم بالفعل . وكان مرّة في صحراء ، فقال له إنسان : ما أحسن هذه الصحراء ! قال : لو لم تحضُرْها أنت .

وقال غالوس : ما وجه الأهتمام بما إن لم يكن <sup>(١)</sup> أجرى فوّته ، وإن كان فالمنفعة به وبحضوره قليلة منقطعة .

وقال سُقراط : ينبغى إذا وَعَظْتَ ألا تتشكّل بشكل منتقمٍ من عدوّ ، ولكن بشكل من يُسْعِطُ أو يَكْوِي بعلاجه داء بصدق له ، وإذا وُعِظْتَ أيضاً بشيء فيه صلاحك ، فينبغى أن تتشكّل بشكل المريض للطبيب .

ركب مقاريوس في حاجة ، فمرّ بزيْمُوس وقد تعلق به رجل يطالبه بمال اختدعه عنه وعليهما جماعةٌ من الناس ، وهو يسأله تنجيم ذلك المال عليه نجومًا ليؤديه ، ويتضرّعُ أشدَّ التضرّع . فقال منقاروس : ما طَلَبْتُكَ عند هذا الرجل ؟ فقال : أتاني فخدعني بالزهد والنسك عن مالي ، ووعدني أن يملأ بيتي ذهباً من صنعته ، فلم أزل في الأسترسال إلى ظاهره السليم حتى أقرني باطنه السقيم . فقال له مقاريوس : إن كلَّ مَنْ بَدَّلَ شيئاً إنما يَبْذُلُهُ على قَدَرٍ وَسِعِهِ ؛ وكان زِيْمُوس أَتاك على حاله التي هو عليها ، ولم يكن ليتسع لأكثر من ذلك القول ؛ وأمّا عملُ الذّهب فبَيِّن ظاهر ، لأنَّ فقرَهُ يَدُلُّ على عجزِهِ وضعْفِهِ عنه ، ومن أمثل الغني عند الفقير

(١) يلاحظ أن قوله : « يكن » هنا تامة ، أي إن لم يوجد ؛ وكذلك قوله : « كان » الآتي .



فغاية ما يُمكن أن يبلغه أن يصير مثله ؛ وآخر ما يؤمل عند الفقير نيل الفقر .  
 فقد أصبت ما كنت تحب أن تجده عند زيموس ؛ وهو حظ إن تمسكت  
 به لم يغل بما تلف من مالك ، ولئن كان وعدك أن يفيدك مالا باطلاً فلقد  
 أفادك معدناً حقا ، من غير قصد إلى تفعلك . ثم أقبل على زيموس وقال له :  
 ما أبعد شبه معدنك من المعادن الطبيعية ! إن المعدن تلفظ الذهب ، ومعدنك  
 هذا يتلغ الذهب ؛ ومن جاور معدناً منها أغناه ، ومن جاور معدنك أفقره ؛  
 والمعادن الطبيعية تُثمر من غير قول ، ومعدنك يقول من غير إثمار . فقال  
 زيموس : أيها الفاضل ، لئن عبتني فلست بأول حكيم لقي من الناس الأذى .  
 فقال له : أجل ، ولا آخرهم ولا أوسطهم ، لكنك من الجهال الذين لقي الناس  
 منهم الأذى .

(١٦) فقال — أعلى الله قوله — : فهل لهذا الأمر — أغني الكيمياء — مرجوع ؟  
 وهل له حقيقة ؟ وما تحفظ عن هذه الطاقة ؟

فكان الجواب ، أما يحيى بن عدي — وهو أستاذ هذه الجماعة — فكان  
 في إصبعه خاتم من فضة يزعم أن فضته عملت بين يديه ، وأنه شاهد عملها  
 عياناً ، وأنه لا يشك في ذلك .

وأما أصحابه كأبن زُرعة وابن الخمار ، فذكروا أن ذلك تم عليه من  
 فعل لم يفطن له من بعض من أغتره من هؤلاء المحتالين الخداعين .

وأما شيخنا أبو سليمان فحصلت من جوابه على أنه ممكن ، ولم يذكر سبب  
 إمكانه ولا دليل حقيقته .

وأما أبو زيد البلخي — وهو سيد أهل المشرق في أنواع الحكمة —

فذكر أنه مُحَالٌ ولا أَصْلَ له ، وأنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تعالى لا توجبُ صحةَ هذا الأمر ، وأنَّ صحتهُ مَفْسَدَةٌ عامَّةٌ ، (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) .

وأما مِسْكُونِيهِ — وما هو بين يديك — فيزعمُ أن الأمر حقٌّ وصحيح ، والطبيعة لا تمنع من إعطائه ، ولكنَّ الصناعةَ شاقةً ، والطريقَ إلى إصابة المقدار عسيرة ، وجمع الأسرار صعبٌ وبعيد ، ولكنه غير مُمتنع ؛ فقد مضى عمره في الإكباب على هذا بالرى أيام كان بناحية أبي الفضل <sup>(١)</sup> وأبى الفتح ابنه مع رجل يُعرفُ بأبى الطَّيِّب ، شاهدته ولم أجد عقله ، فإنه كان صاحبَ وسواسٍ وكذبٍ وسَقَطٍ ، وكان مخدوعاً في أوَّل أمره ، خادعاً في آخر عمره .

وأبينُ ما سمعته في هذا الحديث أنَّ الطبيعة فوق الصناعة ، وأنَّ الصناعة دون الطبيعة ، وأنَّ الصناعة تتشبه بالطبيعة ولا تكمل ، والطبيعة لا تتشبه بالصناعة وتكمل ، وأنَّ الطبيعة قوَّةٌ إلهية سارية في الأشياء واصله إليها ، عاملة فيها بقدر ما للأشياء من القبول والاستحالة والأفعال والمواتاة ، إما على التَّام ، وإما على النقصان . وقيل : إنَّ الطبيعة لا تسلك إلى إبراز ما في المادَّة أبعدَ الطرق ، ولا تتركُ أَقْرَبَ الطرق ، فلما كانت المعادنُ هي التي تُعطى هذه الجواهر على قَدْرِ المُقابلات العلوية والأشكال السماوية والموادِّ الشفلية والكائنات الأرضية ، لم يجوز أن تكون الصناعة مُساويةً لها ، كما لم يجوز أن تكون مُستعليةً عليها ، لأنَّ الصناعة بشريةٌ مستخرجةٌ من الطبيعة التي هي إلهية ، ولا سبيلَ لقوَّةٍ بشريةٍ أن تنالَ قوَّةَ إلهيةٍ بالمساواة ؛ فأما بالتشبيه والتقريب والتلبيس ، فيمكن أن يكون بالصَّناعة شيءٌ كأنَّهُ ذهبٌ أو فضةٌ ، وليس هُوَ في

(١) يريد أبا الفضل بن العميد .



الحقيقة ، لا ذهب ولا فضة ؛ وإذا كان ظهور القطن بالطبيعة وظهور الثوب بالصناعة فليس لهذه أن تعرض لهذه ، [ ولا لهذه أن تعرض لهذه ] ؛ والأمور موزونة<sup>(١)</sup> ، والصناعات متناهية ؛ فإن ادعى في شيء من الصناعة ما يزيد عليها حتى تكون كأنها الطبيعة ، احتيج إلى برهان واضح ، وإلى عيان مصرح ، لأننا نعلم أنه ما من صناعة ولا علم ولا سياسة ولا نحلة ولا حال إلا وقد حمل عليها ، وزيد فيها وكذب من أجلها بما إذا طلبت صحته بالبرهان لم تجد ، أو بالعيان لم تقدر .

(١٧) فأما أصحاب النُّسك ومن عُرف بالعبادة والصَّلاح ؛ فقد ادعى لهم أن الصُّفر يُصيرُ لم ذهباً ، وشيثاً آخر يصيرُ فضةً ، وأن الله عزَّ وجلَّ يُزَلِّزُ لهم الجبل ويُنْزِلُ لهم القطر ، ويُنبئ لهم الأرض ، وغير ذلك مما هو كآيات للأنبياء الذين يأتون من قِبَلِ الله بالكتب والوصايا والأحكام والوعاظ والنصائح ، وربما يسمَّى كثيرٌ من الناس ما يظهر للزُّهاد والعُباد من هذا الضرب كرامات ولا يسميها معجزات ، والحقائق لا تنقلب بالأسماء ، فإن المسمى بالكرامة هو المسمى بالمعجزة والآية .

والخوضُ في هذا الطَّرَفِ قديم ، وفصله في الحقِّ شاقٌّ ، والتنازعُ فيه قائمٌ ، والظنُّ يعملُ عمله ، واليقين غيرُ مظهر به ، ولا موصول إليه ؛ والطبيعة قد أولعت الناسَ بادِّعاء الغرائب ، وبَعَثَتْهُمْ على نُصْرَتِهَا بالوَقْفِ والخرقِ ، والتسهيلِ واللَّجاجِ ، والمواتاةِ والمعكِ ، والله في طيِّ هذا العالمِ العلويِّ أسرارٌ وخفايا وغيوبٌ ومكانٌ لا قوَّةَ لأحد من البشر بالحسِّ ولا بالعقل أن يحوم حولها ، أو يبلغ عُنفها ، أو يدرك كُنْهها ، ومن تصرَّفَ عَرَفَ ، ومن عَرَفَ سَلِمَ ، والسلام .

(١) كذا وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين .



وحكى لنا أبو سليمان أنَّ أرسطوطاليس كتب إلى رجل لم يُشَفِّه<sup>(١)</sup> في رَجُلٍ  
سأله الكلامَ له في حاجة : إن كنت أَرَدْتَ ولم تَقْدِرْ فمعدور ، وإن كنت  
قَدَرْتَ ولم تُرِدْ فسوف يجيئ وقتٌ تريد ولا تَقْدِرُ .

وقال بعض الحكماء : لا تُرَفِّهوا السُّقْلة فيعتادوا الكسلَ والراحة ، ولا  
تَجِرُّوهم فيطلبوا السَّرَفَ والشَّغَبَ ، ولا تأذنوا لأولادهم في تعلُّمِ الأدب فيكونوا  
لرداءة أصولهم أذهن<sup>(٢)</sup> وأغوص ، وعلى التعلُّمِ أصبر ؛ ولا جرم فإنهم إذا سادوا<sup>(٣)</sup>  
في آخر الأمر خربوا بُيُوتَ العِلْيَةِ أهل الفضائل .

وقال فيلسوف : للنفس خمسُ قُوَى : الحسن والوهم والذهن والاختبار (١٩)  
والفكر .

فأما الحسنُ فلحاقُ الأشياء بلا فحص ، ولا يُحتاج في ذلك اللِّحاق إلى شيء  
آخر ، إلا أن يكون ممنوعاً بمانع ، وذلك إذا وجد شيئاً أبيض حَكَمَ بأنه أبيض  
بلا فِكر ولا قياس .

وأما الوهم ، فإنه يقع على الأشياء بتوسط الحسن .  
وأما الاختبار فيوافق الفكر ، كقولك : النفسُ لا تموت ، فهذا قولٌ اختباريٌّ  
بعد الفكر ، فإن كان هذا هكذا فالاختبار ليس بقياس ، ولكنه أُنْقُ القياس .  
وأما الذهن فإنه لا يهجم على أوائل الأشياء .

وقال آخر شيئاً بهذا الكلام ، ولا بأس أن يكون مضموماً إليه ، ليكون  
شمل القاعدة أكثر نظاماً وأقرب مَرَاماً .

(١) يشفهه : يقبل شفاعته

(٢) أذهن ، أى أجود ذهنًا ، وفي (١) « أذهى » ، وفي ب « أذهب » ، وهو  
تصغير في كليهما .

(٣) في كلتا النسخين : « ماروا » .

قال : ليس للحواس والحركات عقلٌ دون أن تبعثها القوة المميّزة ، فلذلك لا يحسُّ السكران ولا النائم ، وكذلك أيضاً البهائم فإنها لا تصيح إلا بعد أن يفرض في فكرها شيء ، ولا تتحرك إلا بأنبعاث القوة المميّزة .

ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواح في ثلاثة أعضاء رئيسة : نفسية في الدماغ ، وحيوانية في القلب ، وطبيعية في الكبد .

وفي كل واحد منها قوةٌ مميّزةٌ بها يتم عمله ، فالتى في الدماغ هي العقل المميّز الحارس للبدن ، ومنه ينبعث الحسُّ والحركة ، [ والتى ] في القلب تنبعث منها الحرارة الغريزية في جميع البدن ؛ وزعموا أن تلك الحرارة هي الروح ؛ والتى في الكبد هي موضع الهضم والنضج ، وهي التى تنضج الطعام وتغيره وتحيله دماً وتوزّع في كلِّ عضو ما هو ملائمٌ له ، وبالجاذبة تجذب ، وبالحابسة تحبس ، وبالهاضمة تهضم ، وبالدافعة تدفع .

فأما الدماغ فينقسم ثلاثة أقسام يحجز بينها أغشية ، أحدها في مقدّم الرأس موضع التخيل ، والثانى في وسط الرأس موضع العقل والفكر والتمييز ، والثالث في مؤخر الرأس موضع الحفظ والذكر والقبول ؛ فكلُّ واحد مما ذكرنا يخدم الآخر ، وإن ضعف أحدها ضعف لضعفه الآخر ، وباعتدالهنّ وسلامتهنّ قوام البدن والنفس .

ولكلِّ واحدٍ منها آلة بها يستعين على خدمة الآخر .

قال : فكما أن الرّحى إذا نقصت شيئاً منها أو زدت أفسد الطحن ؛ إمّا بزيادة أو نقصان ، كذلك سائرُ خدمه وآلاته .

وقال : الدماغ مسكن العقل ، وخدمته الحسُّ والحركة ؛ والقلب مسكن

الحرارة الغريزية ، وخدمته العروق الضواري ؛ والكبد مسكن النضج والهضم ، وخدمتها العروق غير الضواري .

وقال : النار تحرق ، فإذا كانت موجودة فالدخان والرماد موجودان ، والدخان رماد لطيف ، والرماد دخان كثيف .

وقال أبو سليمان : ذكر بعض الباحثين عن الإنسان أنه جامع لكل ما تفرق في جميع الحيوان ، ثم زاد عليها وفضل بثلاث خصال : بالعقل والنظر في الأمور النافعة والضارة ، وبالمنطق لإبراز ما استفاد من العقل بوساطة النظر ، وبالأيدى لإقامة الصناعات وإبراز الصور فيها مماثلة لما في الطبيعة بقوة النفس . ولما انتظم له هذا كله جمع الحيل والطلب والهرب والمكايد والحذر ، وهذا بذل الشريعة والخفة التي في الحيوان ، واتخذ بيده السلاح مكان الناب والمخلب والقرن ، وأتخذ الجن لتكون وقاية من الآفات ، والعقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما قابل منهما ، مؤد من بعض إلى بعض ، فصواب بديهية الفكر من صحة العقل ، وصواب روية الفكر من صحة الطباع .

(٧٠) وقال أبو العباس : الناس في العلم على ثلاث درجات ، فواحد يلهم فيعلم فيصير مبدأ ، والآخر يتعلم ولا يلهم فهو يؤدى ما قد حفظ ، والآخر يجمع له بين أن يلهم وأن يتعلم . فيكون بقليل ما يتعلم كثيراً بقوة ما يلهم .

وقال : الإنسان بين طبيعته — وهي عليه — ونفسه — وهي له — منقسم ؛ فإن اقتبس من العقل قوى نوره ما هو له من النفس ، وأضعف ما هو عليه من الطبيعة ، فإن لم يكن يقتبس بقى حيران أو مهوراً .



أَلْقَحْتَهَا ؛ فَمِنْكُمْ مَنْ وَلَدَ يَنْمُو بَيْنَهُمَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ .

وقال فيلسوف : إِنَّ الْبَعُوضَةَ تَحْيَا مَا جَاءَتْ وَإِذَا شَبِعَتْ مَاتَتْ .

وقال ديوجانس : إِنْ تَكُنْ مِلْحًا يُضْلِحْ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ .

وقيل لـديوجانس : مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ فَقَالَ : مِنْ حَيْثُ يَأْكُلُ عَبْدٌ لَهُ رَبٌّ .

وقال ديوجانس : كُنْ كَالْعُرْسِ تُرِيدُ الْبَيْتَ خَالِيًا .

قيل لـأرسطوطاليس : إِنْ فَلَانًا عَاقِلٌ . قَالَ : إِذَا لَا يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا .

وقيل لـفيثاغورس : مَا أَمْلَكَ فَلَانًا لِنَفْسِهِ ؟ قَالَ : إِذَا لَا تَعْرِعُهُ شَهْوَتُهُ ،

وَلَا تَخْدَعُهُ لَذَّتُهُ .

وقيل لـأسقليبيوس : فَلَانٌ لَهُ هِمَّةٌ . قَالَ إِذَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِدُونِ الْقَدْرِ .

ومدح رجل ثيودوروس على زُهدِهِ فِي الْمَالِ قَالَ : وَمَا حَاجَتِي إِلَى شَيْءٍ

الْبَخْتُ يَأْتِي بِهِ ، وَاللَّوْمُ يَحْفَظُهُ ، وَالنَّفَقَةُ تَبَدُّدُهُ ، إِنْ قَلَّ غَلَبَكَ الْهَمُّ بِتَكْثِيرِهِ ،

وَإِنْ كَثُرَ تَقَسَّسَكَ فِي حِفْظِهِ ، يَحْسُدُكَ مَنْ فَاتَهُ مَا عِنْدَكَ ، وَيَخْدَعُكَ عَنْهُ مَنْ

يَطْمَعُ فِيهِ مِنْكَ .

وقال سُقْرَاطُ : مَا أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ عَالِمَةً بِكُلِّ مَا أَعِدَّ لَهَا ؛ قِيلَ :

وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ طَارَتْ فَرَحًا وَلَمْ يُفْتَنَعْ بِهَا .

وقال ديوجانس : الْقَلْبُ ذُو لَطَافَةٍ ، وَالْجِسْمُ ذُو كَثَافَةٍ ، وَالْكَثِيفُ

يَحْفَظُ اللَّطِيفَ كَضَوْءِ الْمَصْبَاحِ فِي الْقِنْدِيلِ .

وقال افلاطون : الْعِلْمُ مِصْبَاحُ النَّفْسِ ، يَنْقِي عَنْهَا ظُلْمَةَ الْجَهْلِ ، فَمَا أَمَكَّنَكَ

أَنْ تُضِيفَ إِلَى مِصْبَاحِكَ مِصْبَاحَ غَيْرِكَ فَأَفْعَلْ .

قال أبو سليمان : مَا أَحْسَنَ الْمِصْبَاحِ إِذَا كَانَ زَجَاجُهُ نَقِيًّا ، وَضَوْؤُهُ ذَكِيًّا ،

وَزَيْتُهُ قَوِيًّا ، وَذُبَالُهُ سَوِيًّا .

وقال سُقراط : الكلام اللطيفُ ، ينبؤ عن الفهم الكثيف .  
وحَكى لنا أبو سليمان قال : قيل لفيلسوف : ما بال المريض إذا داواه الطبيبُ  
ودخل عليه فرح به وقبل منه وكافاه على ذلك ، والجاهل لا يفعل ذلك بالعالم  
إذا علمه ويئن له ؟ فقال : لأن المريض عالم بما عند الطبيب ، وليس الجاهل  
كذلك ، لأنه لا يعلم ما عند العالم .

وقال ديوجانس لصاحبه : أما [ تعلم ] أن الحمام إذا كان سمائياً كان أغلى  
ثمناً ، وإذا كان أرضياً كان أقل ثمناً<sup>(١)</sup> .

قال — أبقاه الله — هذا مثلٌ في غاية الحُسن والوضوح .  
[ وقال ديوجانس<sup>(٢)</sup> : المأكول للبدن ، والمؤهوب للمعاد ، والمحفوظ للعدو .  
وقال فيلسوف : التهاون باليسير أساس للوقوع في الكثير .  
وقال أفلاطون : مثل الحكيم كمثل النملة تجتمع في الصيف للشتاء ، وهو  
يجمع في الدنيا للآخرة .

وقال فيلسوف : من يصف الحكمة بلسانه ولم يتحل بها في سره وجهه فهو  
في المثل كرجل رزق ثوباً فأخذ بطرفه فلم يلبسه .  
وقال السيد المسيح : إن أستطعت أن تجعل كنزك حيث لا يأكله الشوس ،  
ولا تدركه اللصوص ، فأفعل . ]

قال فيلسوف : إذا نازعك إنسان فلا تجبه ، فإن الكلمة الأولى أثنى  
وإجابتها فحلها ، وإن تركت إجابتها بترتها وقطعت . نسلها ، وإن أجبتها

(١) يلوح لنا أن في هذه الفقرة نقصاً سقط من النسخ في كلتا النسختين .

(٢) آخر هذه الزيادة التي نقلناها عن ب بعض كلمات مطموسة لم نستطع تمييزها ، فلم  
نثبتها ، فانظرها في هامش الورقة رقم ٢٠٤ من هذه النسخة .

قيل لسقراط : ما أَحْسَنُ بالمرء أن يتعلَّمه في صِغَرِه ؟ قال : ما لا يَسَعُه أن يَجْهَلَه في كِبَرِه .

قال أبو سليمان : ومن هاهنا أَخَذَ مَنْ قال : يَحْسُنُ بالمرء التعلُّمُ ما حَسُنَتْ به الحياة .

قيل لهوميروس : ما أَصْبَرَكَ على غَيْبِ الناسِ لك ! قال : لأنَّا أُسْتَوِينَا في الغَيْبِ ، فأنا عندهم مِثْلُهُمْ عِنْدِي .

وقيل للإسكندر : أيُّ شَيْءٍ أنتَ به أَسْرُءُ ؟ قال : قُوَّتِي على مكافأة من أَحْسَنَ إِلَيَّ بأَحْسَنَ مِنْ إحسانه .

[ وقال ديوجانس : إن إقبالَكَ بالحديث على من لا يَفْهَمُ عنكَ بمنزلة من وَضَعَ المائدةَ على مَقْبَرَةٍ ] .

ورأى ديوجانس رجلاً يأكل ويتذرّع<sup>(١)</sup> ويُكثِرُ ، فقال له : يا هذا ، ليست زيادة القوة بكثرة الأكل ، وربما وَرَدَ على بدنك من ذلك الضررُ العظيم ، ولكنَّ الزيادة في القوة بجودة ما يقبل بدنك منه على الملاءمة .

وقال ديوجانس : الذهبُ والفضةُ في الدار بمنزلة الشمس والقمر في العالَمِ . قال أبو سليمان : هذا مليح ، ولكن ينبغي أن تَبْقَى الشمس والقمر فإنيهما يُكْسِفَانِ فيكونان سبباً لفسادٍ كثير ، ويذوبان<sup>(٢)</sup> ويُحْمِيَانِ فيكونان ضارَّينِ . وقال أفلاطون : موت الرؤساء أصلحُ من رأسه السُّفلة .

وقال : إذا مَخَلَ إِلَيْكَ بالمالِ كثير الإرجاف به

وقال سنلون : العلمُ صغير في الكَمِّيَّةِ ، كبير في الكِيفِيَّةِ

(١) يتذرّع ، يكثر ويفرط . (٢) يذوبان ، أي ، يهبط والفضة .



وقال أبو سليمان : يعنى أن القليل منه إذا استعملته على وجهه كان له إثم ،  
 ونفع فائض ودَّرٌّ سائحٌ ، وغايةٌ محمودةٌ ، وأثرٌ باقٍ . وهذه كلها كيفيات من  
 تلك الكمّية .

وقال أفلاطون : لا يَسُوسُ النفوسَ الكثيرةَ على الحقِّ والواجبِ من  
 لا يُمْكِنُهُ أن يَسُوسَ نفسه الواحدة .

وقال سُقْرَاطُ : النَّفْسُ الْفَاضِلَةُ لَا تَطْفَى بِالْفَرَحِ ، وَلَا تَجْزَعُ مِنَ التَّرَحِّ ، لأنها  
 تنظر في كلِّ شيءٍ كما هو ، لا تسلبه ما هو له ولا تُضيفُ إليه ما ليس منه ؛  
 والفرحُ بالشَّيءِ إنما يكون بالنَّظَرِ في محاسِنِ الشَّيءِ دون مساوئه ، والتَّرحُّ إنما  
 يكون بالنَّظَرِ في مساوئِ الشَّيءِ دون محاسِنه ؛ فإذا خَلَصَ النَّظَرُ مِنْ شَوْبِ الْفَلَطِ  
 فيما يُنْظَرُ فيه انتفى الطُّغْيَانُ والجَزَعُ ، وَحَصَلَ النِّظَامُ وَرَبْعٌ <sup>(١)</sup> .

قال ديوجانس : ينبغي للإنسان أن ينظر في المرأة ، فإن كان كجبهه حسناً  
 أُسْتَقْبِحَ أن يُضِيفَ إليه فعلاً قبيحاً ، وإن كان وجهه قبيحاً وذلك أن  
 يضيف قبيحاً إلى قبيح حتى يتضاعف القبح .

وقال إبقراط : منزلة لطافة القلب في الأبدان بمنزلة لطافة الناظر في الأجفان .  
 وقال : للقلب آفتان : وهما الغمُّ والهمُّ ، فالغمُّ يعرض منه النومُ ، والهمُّ  
 يعرض منه السَّهرُ ، وذلك أن الهمَّ فيه فكرٌ في الخوفِ مما سيكون ، فنه  
 يغلبُ السَّهرُ ؛ والغمُّ لا فكرَ فيه ، لأنه إنما يحدث لما قد مضى وكان .

وقال أفلاطون : من يصحب السلطان فلا يجزع من قسوته ، كما لا يجزع  
 الغواصُّ من ملوحة البحر .

قال أبو سليمان : هذا كلامٌ ضرُّه أكثرُ من نفعه ، وإنما نفعه صاحبه

(١) ربيع ، أى ثبت ودام .

بالمثال ، والمثالُ يستجيب للحقِّ كما يستجيب للباطل ، والمعوّل على ما ثبت بالدليل ، لا على ما يُدّعى بالتّمثيل ، وقد يجبُ أن يُجتنَب جانبُ السُّلطان بغاية لأستطاعة والإمكان ، إلا إذا كان الدهرُ سليماً من الآفات الغالبة . فقال له الأندلسي : وما صورةُ الزمان الخالي من الآفات ؟ فقال : أن يكون الدينُ طريّاً<sup>(١)</sup> ، الدولة مقبلة ، والخصبُ عامّاً ، والعلمُ مطلوباً ، والحكمة مرغوباً فيها ، والأخلاق طاهرة ، والدعوة شاملة ، والقلوبُ سليمة ، والمعاملات متكافئة ، والسياسة مغروسة ، والبصائر متقاربة . فقال : هذا لو صحَّ لأرتفع الكونُ والفساد اللذان وهما سوسُ هذا المكان ، فقال : غلّطت يا أبا عبد الله ، فإن الكونَ والفسادَ يكونان على حالهما ، ولكنهما يقعان على معلومين للصورة الثابتة ، والسياسة العامة الغالبة ، كأنك لا تحس بالفرق بين زمان خصب الأرض وجديها ؛ وكما أن للأرض خصباً وجدياً ؛ كذلك للأحوال والأديان والدُّول صلاحٌ وفساد ، وإقبالٌ وإدبار ، وزيادةٌ ونقصان ؛ ولو كان ما خيلته لازماً ، لكننا لا نتمنّى ملكاً عادلاً ، ولا سائساً فاضلاً ، ولا ناظراً ناظماً ، ولا مدبراً عالماً ؛ وكان هذا لا يُعرف ولا يُعهد ، ويكون في عرضِ المحال كونه ووجدانه ؛ وليس الأمر هكذا فقد عهدنا مثل أبي جعفر بسجستان ، وكان والله بصيراً خبيراً ، عالماً حكماً ، يقظاً حذراً ، يخلق ويغري ، ويريش ويبري ، ويكسو ويغري ، ويغري ويبري ، وهكذا مثل أبي جعفر بالأمس مذكّ العراق ، في خزامته وصرامته وقيامه في جميع أموره ، بنظره وتديره ؛ وكذلك قد عهد الناس قبلنا مثل هذا ، فلم يقع التعجبُ من شيء عليه مدارُ الليل والنهار .

وقال ديوجانس لصاحب له : اطلب في حياتك هذه العلم والمال تملك بهما

(١) طرياً : يريد غصناً ناضراً .

الناس ، لأنك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفضلك ، والعامة تعظمك لمالك<sup>(١)</sup> .

وقال أفلاطون : إن الله تعالى بقدر ما يُعطى من الحكمة يمتنع الرزق ؛ قال أبو سليمان : لأن العلم والمال كضربين قلما يجتمعان ويضطلحان ، ولأن حظ الإنسان من المال إنما هو من قبيل النفس الشهوية والسبعية ، وحظه من العلم إنما هو من قبيل النفس العاقلة ، وهذان الحظان كالمجاندين والضدين . قال : فيجب على الحصيف والمميز أن يعلم بأن العالم أشرف في سنخه وعنصره ، وأوله وآخره ، وسفوره وحضوره ، وشهادته [ ومغيبه<sup>(٢)</sup> ] من ذى المال ؛ فإذا وهب له العلم فلا يأس على [ المال الذى يُجزئ منه اليسير ، ولا يُلهب نفسه على ] فوته خسارة وأسفا ؛ فالعلم مُدبرٌ ، والمال مُدبرٌ ؛ والعلم نفسى ، والمال جسدى ، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال ، وآفات صاحب المال كثيرة وسريعة ، لأنك لا ترى عالما سرق علمه وترك فقيرا منه ؛ وقد رأيت جماعة سُرقت أموالهم ونُهبت وأخذت ، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم ؛ والعلم يزكو على الإنفاق ، ويضعب صاحبه على الإملاق ؛ ويهْدِي إلى القناعة ، ويُسبِلُ السُّرَّ على الفاقة ؛ وما هكذا المال .

(١) عبارة « ب » فالخاصة تفضلك بما تعلم ، والعامة تعظمك بما تملك .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلا الأصلين .



الليلة الثامنة عشرة<sup>(١)</sup>

وقال مرة : تعالَ حَتَّى نَجْعَلَ لَيْلَتَنَا هَذِهِ مُجَوِّتَةً ، وَنَأْخُذَ مِنَ الْهَزْلِ بِنَصِيبٍ  
وَافِرٍ ، فَإِنَّ الْجِدَّ قَدْ كَدَّنا ، وَنَالَ مِنْ قُوَانَا ، وَمَلَأْنَا قَبْضًا وَكَرْبًا ، هَاتِ مَا عِنْدَكَ ،  
(١) قُلْتُ : قَالَ حَسَنُونَ الْمَجْنُونُ بِالسُّكُوفَةِ يَوْمًا — وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُجَّانُ يَصِفُ كُلُّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَذَاتِ الدُّنْيَا — فَقَالَ : أَمَّا أَنَا فَأَصِفُ مَا جَرَّبْتُهُ ؛ فَقَالُوا : هَاتِ ؛ فَقَالَ :  
الْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ ، وَصَبْعُ الصَّلَعِ الزُّرْقِ ، وَحَكُّ الْجَرَبِ ، وَأَكْلُ الرُّمَانِ فِي الصَّيْفِ ،  
وَالطَّلَاةُ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ ، وَإِتْيَانُ النِّسَاءِ الرُّغْنِ وَالصَّبِيَانِ الزُّعْرِ<sup>(٢)</sup> ، وَالْمَشْيُ  
بِلا سَرَاوِيلَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ لَا تَحْتَشُمُهُ ، وَالْعَرَبْدَةُ عَلَى الثَّقِيلِ ، وَقَلَّةُ خِلَافٍ  
مِنْ تَحْبُئِهِ [وَالْتَمَرُ<sup>(٣)</sup> بِالْحَقِيقِ] وَمُواخَاةُ ذَوِي الْوَفَاءِ ، وَتَرْكُ مَعَاشِرَةِ السُّفَلَةِ  
وقال الشاعر :

أَصْبَحْتُ مِنْ سُقْلِ الْأَنَامِ . إِذْ بَغْتُ عِرْضِي بِالطَّعَامِ  
أَصْبَحْتُ صَفْعَانًا<sup>(٤)</sup> لَيْتِي . مِ الْنَفْسِ مِنْ قَوْمٍ لَثَامِ  
فِي أَسْتِ أُمِّ رَبَّاتِ الْحَيَا . مِ وَمَنْ يَحْنُ إِلَى الْحِيَامِ

(١) هذا العدد حسبما هو وارد في (١) وقد سبق لنا استظهار غير ذلك في الحاشية رقم ١  
من صفحة ٢٧ فانظرها . ويلاحظ أن المؤلف قد أتى في هذه الليلة ببعض من المجون الساقط  
والنواذر المتذلة ، ولولا الأمانة العلمية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لطف  
ورق ولم ينب عنه النوق . على أن المؤلف قد اعتذر عن ذلك في آخر الليلة ص ٦٠ مستندا  
إلى أقوال بعض الصحابة

(٢) الزعر : جمع أزعمر ، وهو الذي لا شعر له .

(٣) في الأصل « والترى » ؛ وهو تحريف إذ لا يناسب معناه سياق ما يأتي بعد .  
والتمرس بالحق الاحتكاك بهم لإظهار ما عندهم من الحماة تفكها بهم .

(٤) صفعاناً ، أى يصفع من الناس لذته وخسته .

نفسى تحنّ إلى الهلا م<sup>(١)</sup> الموت من دون الهلام  
 من لحم جذى راضع رخص<sup>(٢)</sup> المفاصيل والعظام  
 هذا لأولاد الخطا يا والبغايا والحرام  
 حتى القُدور الراسيا ت وإن صمّنت عن الكلام  
 وقصاعهن<sup>(٣)</sup> إذا أتت نك طالحات بالسلام  
 لهنّ على سكباجة<sup>(٤)</sup> تشفى القلوب من السقام  
 يا عاذلى أشرقت فى عدل الخليع المستهام  
 رَجُلٌ يَعْصُ إِذَا نَصَحَ ت له على فأس اللجام<sup>(٥)</sup>  
 دَعِ عَذْلَ من يَعْصَى الْعَذُو لَ ولا يُصِيخُ إِلَى الْعَلَامِ  
 خَلَعَ الْغِذَارَ وَرَاحَ فِي ثوب المعاصي والأثام  
 شَيْخٌ يُصَلِّي قَاعِدًا وَيَنِيكَ عَشْرًا مِنْ قِيَامِ  
 وَيَعَافُ نَيْكَ الْغَانِيَا ت وَيَشْتَهِي نَيْكَ الْعَلَامِ  
 وَتَرَاهُ يُرْعَدُ حِينَ يُذْ كُرُ عِنْدَهُ شَهْرُ الصَّيَامِ  
 خَوْفًا مِنْ الشَّهْرِ الْمَعْدُ بِ نَفْسِهِ فِي كُلِّ عَامِ  
 سَلِسُ الْقِيَادِ إِلَى التَّصَا بِي وَالْمَلَاهِي وَالْحَرَامِ  
 مَنَ لِلرُّوءَةِ وَالْقُتُوَّةِ بَعْدَ مَوْتِي وَالنَّدَامِ  
 مَنَ لِلسَّحَابِ وَلِلزُّمَانِ ح لَدَى الْهَزَاهِزِ وَالْحُسَامِ

(١) الهلام : مرق السكباج يبرد ويصق من الدهن .

(٢) رخص المفاصيل : لينها .

(٣) جعل ما فى القصاع من التريد واللحم كأنه تحية وتسليم على من تقبل عليه .

(٤) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والحل ؛ وهو فارسى معرب .

(٥) فأس اللجام : الحديدة القائمة فى حنك الدابة .

مَنْ لِلْوَاطِ وَالْحُلَا قِي<sup>(١)</sup> وَلِلْمَلِكِ الْعِظَامِ  
 كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْجُرْجَانِيَّ مُتَقَرِّا فِي كَلَامِهِ ، فَدَخَلَ الْحَمَامَ يَوْمًا ،  
 فَقَالَ لِلْقَيْمِ : أَيْنَ الْجُلَيْدَةِ الَّتِي تَسْلُخُ بِهَا الضَّوِيطة<sup>(٢)</sup> مِنْ الْإِخْتِيقِ ؟ قَالَ : فَصْنَعُ  
 الْقَيْمِ قَعَاهُ بِجِلْدَةِ التَّوْرَةِ وَخَرَجَ هَارِبًا ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَامِ وَجَّهَ إِلَى صَاحِبِ  
 الشَّرْطَةِ ، فَأَخَذَ الْقَيْمِ وَحَبَسَهُ ، فَلَمَّا كَانَ عِشَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمِ كَتَبَ إِلَيْهِ الْقَيْمِ  
 رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا : قَدْ أَبْرَمَنِي الْمَحْبُوسُونَ بِالسُّئَالَةِ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي حُبِسْتُ لَهُ ،  
 فَأَمَّا خَلِّيتَنِي وَإِمَا عَرَّفْتَهُمْ . فَوَجَّهَ مَنْ أَظْلَقَهُ ، وَأَتَصَلَ الْخَبِيرُ بِالْفَتْحِ ، فَخَدَّثَ  
 الْمُتَوَكِّلَ ، فَقَالَ : يَنْبَغِي أَنْ يُغْنَى هَذَا الْقَيْمُ عَنِ الْخِدْمَةِ فِي الْحَمَامِ . وَأَمَرَ لَهُ  
 بِمِائَتِي دِينَارٍ .

قَالَ<sup>(٣)</sup> : وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ مَخْنَثٌ يَجْمَعُ وَيَنْشَقُّ بَعْضَ الْمَهَالِبَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ الْخَنْثُ بِهِ  
 حَتَّى أَوْقَعَهُ ، قَالَ : فَلَقِيئُهُ مِنْ غَدٍ قَلَّتْ لَهُ : كَيْفَ [ كَانَتْ وَقْعَةُ الْجُفْرَةِ<sup>(٥)</sup> عِنْدَكُمْ  
 الْبَارِحَةَ ؟ ] فَقَالَ : لَمَّا تَدَانَتْ [ الْأَشْخَاصُ ، وَرَقَّ الْكَلَامُ ، وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ،

(١) الحلاق : قلة شبيح الأتقان والمرأة من إتيانها .

(٢) الضويطة : الحذاء في أصل الحوض . والإختيق : الشق في الأرض . قلطه أراد الجليدة  
 التي يزال بها الوسخ من الجسد ( مجازاً ) . وفي كلتا النسختين « الطويلة من الإختيق » ؛ وهو  
 تصحيف ؛ إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ قلعل الصواب ما أثبتنا .

(٣) يلاحظ أنه قد سقط من النسخ اسم القائل هنا إذ لم يسبق له ذكر .

(٤) أي يجمع بين المتعاشفين .

(٥) الجفرة : موضع بالبصرة كانت به وقعة سنة سبعين بين عبد الملك بن مروان ومصعب  
 ابن الزبير ، وكان على جيش عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وخليفة مصعب بن  
 الزبير على البصرة عبد الله بن عبيد الله بن معمر التميمي ، ودامت هذه الوقعة أربعين يوماً ،  
 وكان النصر فيها لأهل البصرة . وفي كلتا النسختين « الحفرانة » ؛ وهو تحريف . وفي الكلام  
 تورية كما لا يخفى .



وَلَطَّنَ بَاطِنُهَا بِالْبُزَاقِ ، وَفُرِعَ الْبَيْضُ<sup>(١)</sup> بِالذُّكُورِ ، وَجَعَلَتِ الرِّمَاحُ تَمُورَ<sup>(٢)</sup> ؛  
صَبَرَ الْكَرِيمُ فَلَمْ يَجْزَعْ ، وَسَلَّمْ طَائِعًا فَلَمْ يُخَدَعْ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ الْقَوْمُ عَلَى سِلْمٍ ، بِأَفْضَلِ  
غُنْمٍ ؛ وَشُفِيَّتِ الصُّدُورُ ، وَسَكَتَ حَرَارَةُ النُّفُوسِ ، وَمَاتَ كُلُّ وَجْدٍ ، وَأُصِيبَ  
مَقْتَلُ كُلِّ هَجْرٍ ، وَأَتَّصَلَ الْحَبْلُ ، وَانْتَقَدَ الْوَصْلُ . قَالَ : فَلَوْ كَانَ أَعَدَّ هَذَا  
الْكَلَامَ لِمَسْتَلَّتِي قَبْلَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ لَكَانَ قَدْ أَجَادَ .

وَقَالَ أَبُو فِرْعَوْنَ الشَّاشِيُّ :

أَنَا أَبُو فِرْعَوْنَ فَأَعْرِفُ كُنِّيَّتِي      حَلَّ أَبُو عَمْرٍة وَسَطَ حُجْرَتِي  
وَحَلَّ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ بُرْمَتِي      أَغْشَبَ تَنْوِيرِي وَقَلَّتْ حِنْطَتِي  
وَحَالَفَ الْقَتْلُ زَمَانًا لِحَيَّتِي      وَضَعَّتْ مِنْ الْهَزَالِ ضَرْطَتِي  
وَصَارَ تُبَّانِي<sup>(٣)</sup> كَغَافِ خُصْيَتِي      أَيْرُ حِمَارٍ فِي حِرٍّ أَمْ عِيشَتِي

[أَبُو عَمْرٍة : صَاحِبُ شُرْطَةِ الْمُخْتَارِ بْنِ عُبَيْدٍ ، كَانَ لَا يَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا  
اجْتَا حُهُمَ ، فَصَارَ مَثَلًا لِكُلِّ شُؤْمٍ وَشَرٍّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : إِنَّ أَبَا عَمْرٍة أَسْمُ  
الْجُوعِ ، هَكَذَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ] .

وَأَنشَدَ بِشْرُ بْنُ هَارُونَ فِي أَبِي طَاهِرٍ :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَأَنْتَ حُرٌّ      مِنَ الْأَحْرَارِ مَنزُوعُ الْقِلَادَةِ

(١) يشير إلى قول مهمل بن ربيعة :

فلولا الريح أسمع من بحجر      صليل البيض تفرع بالذكور

يريد الشاعر بالذكور : السيوف ، وبالبيض : التي تلبس على الرأس في الحرب . وفي الكلام هنا  
تورية لا تمنحني على ذي فهم .

(٢) تمور ، أي تضطرب .

(٣) التُّبَّان : سراويل صغير يستر العورة المفلتة . وكفاف الصبي : مثله . يقول :

لأن سراويله بمقدار خصيتيه ، يشير إلى فقره وقلة قدرته على توسيع سراويله .

أعزَّ الله القاضي ؛ قل له : ما رأيت ؟ يُعرِّفه <sup>(١)</sup> ؛ فكفَّ الرَّجُلُ ، وأخذَ يبيدُ  
وليه وانصرف <sup>(٢)</sup> .

قال : وسمعتُ آخرَ يقول لشاطر <sup>(٣)</sup> : أُسْكُتُ ، فإنَّ نهرًا جرى فيه الماء  
لا بدَّ أن يعودَ إليه . فقال له الآخر : حتى يعودَ إليه الماء [تكون] قد  
ماتت ضفادعُه .

ومن كلام الشُّطَّار : أنا البغلُ الحرُّون ، والجملُ الهاج ، أنا القيل المغتلم  
لو كلَّني عدوِّي لعقدتُ شغراً نَفِهَ إلى شغْرِ أَسْتِه حتى يَشْمَ فُساءه ، كأنَّه القُنْفُذَةُ .  
وقال بعضُ القصَّاص : في النَّبيذِ شيءٌ من الجنة ( الحمدُ لله الَّذي أَذْهَبَ  
عَنَّا الحَزْنَ ) والنَّبيذُ يذهبُ الحزن .

قال <sup>(٤)</sup> وسمعتُ ماجنةً تقول : ضُرَّ وسُرَّ ، وقُدَّ وازقُدَّ ، واطرَّخ واطترَّخ .  
قال ابن أبي طاهر : دعا مُرَّةٌ قوماً وأمرَ جاريتَه أن تبخرَّهم ، فأدخلتُ يدها في  
ثوب بعضهم فوجدتُ أَيْرَه قائماً ، فجعلتُ تمرُّسُه وتلعبُ به وأطالت ؛ فقال  
مولايها : أيشٍ آخرُ هذا العود ؟ أما أحترق ؟ قالت : يا مولاي ، هو عُقْدَةٌ .

قال مزَّيد : كان الرجلُ فيما مضى إذا عَشِقَ الجارية راسَلها سنةً ، ثم رَضِيَ  
أن يَنْضَعَ العِلَّكَ الَّذِي تَمَضُّعُه ، ثم إذا تلاقيا تحدَّثا وتناشدا الأشعار ، فصار  
الرجلُ اليومَ إذا عَشِقَ الجارية لم يكن له همٌّ إلا أن يرفعَ رِجلها كأنَّه أشهدُ  
على نِكَاحها أبا هريرة .

(١) يعرفه ، أى يعرف ما رأى ، أى يذكر العلامات التي رآها في هذا الموضع .

(٢) يلاحظ أن آخر هذه القصة وكثيراً من ألفاظها مطبوس الحروف في نسخة (ب) ؛  
وهي التي وردت فيها وحدها ، فلتراجع في هامش ورقة ٢١٠ من هذه النسخة .

(٣) الشاطر ، هو من أعبأ أهله خبثاً .

(٤) يلاحظ أنه لم يذكر هنا اسم القائل ؛ فلعله سقط من النسخ لإذ لم يسبق له ذكر .

سَأَلْتُكَ بِالْإِلَهِ لِتُخَبِّرَنِي أَجْهَلَكَ مُسْتَفَادٌ أَمْ وِلَادَةٌ ؟  
فَإِنْ يَكُ فَيْكَ مَوْلُودًا فَعُذْرٌ وَإِنْ يَكُ حَادِثًا لَكَ بِأُسْتِفَادَةٍ  
فَوَاعِجِبَا يَزِيدُ النَّاسُ فَضْلًا وَأَنْتَ تَزِيدُ نَقْصًا بِالزِّيَادَةِ !

حَكَى الصُّوْلَى : حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ : كَانَ مَعَنَا مَخْنُثٌ يَلْقَبُ  
مِشْمِشَةً — وَكَانَ أُمِّيًّا — فَكَتَبَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ كِتَابًا ، فَقَالَ  
الْمَخْنُثُ : أَكْتُبْ إِلَيْهِ : مِشْمِشَةُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ؛ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ — وَمَا  
كَانَ فَعَلٌ — فَقَالَ : أَرْنِي ؛ فَقَالَ : هَذَا أَسْمُكَ ؛ فَقَالَ : هِيَاتِ ، اسْمِي فِي  
السَّكَنَةِ شِبْهُ دَاخِلِ الْأُذُنِ ، فَعَجِبْنَا مِنْ جَوْدَةِ تَشْبِيهِهِ .

قَالَ نَضْلَةُ : مَرَرْتُ بِكَتَّاسَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي الْبَيْتِ وَالْآخَرُ عَلَى رَأْسِ الْبَيْتِ ، وَإِذَا  
ضَبْجَةٌ ، فَقَالَ الَّذِي فِي الْبَيْتِ : مَا الْخَبْرُ ؟ فَقَالَ : قُبِضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى ؟ فَقَالَ :  
مَنْ أَقْعَدُوا بِدَلِّهِ ؟ قَالَ : ابْنُ الْفُرَاتِ ؛ قَالَ : قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ، أَخَذُوا الْمُضْحَفَ وَوَضَعُوا  
بِدَلَّهُ الطَّنْبُورَ .

[ كَتَبَ أَبُو الْعَيْنَاءِ إِلَى ابْنِ مَكْرَمٍ : قَدْ أَصَبْتُ لَكَ غُلَامًا مِنْ بَنِي نَاعِظٍ ،  
ثُمَّ مِنْ بَنِي نَاشِرَةٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي نَهْدٍ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَثْنَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ .

وَقَدَّمَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ إِلَى الْقَاضِي وَمَعَهَا طِفْلٌ ، فَقَالَتْ : هَذَا أَبْنَى ، فَقَالَ  
الرَّجُلُ : أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِيَّ مَا أَعْرِفُهُ ؛ فَقَالَ الْقَاضِي : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ، فَهَذَا وَأُمُّهُ عَلَى فِرَاشِكَ ؛  
قَالَ الرَّجُلُ : مَا تَنَافَيْتُمَا إِلَّا فِي الْأُسْتِ ، فَمِنْ أَيْنَ لِي وَلَدٌ ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ :



قال ابن سيرين : كانوا يَعشَقون من غير رِيبَةٍ ، فكان لا يُسْتَنَكِرُ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَحْيَى ، فيحْدِثُ أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَذْهَبُ . قال هشام : ولكنهم لا يَرْضَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالْمَوَاقِعَةِ .

قال الأصمعي : قلتُ لأعرابي : هل تعرفون العشقَ بالبادية ؟ قال : نعم ، أَيْكُونُ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُهُ . قلتُ : فما هو عندهم ؟ قال : الْقُبْلَةُ وَالضَّمَّةُ وَالشَّمَّةُ ، قلتُ : ليس هو هكذا عندنا . قال : وكيف هو ؟ قلتُ : أن يتغخَّذَ الرَّجُلُ الرَّأَةَ فَيُبَاضِيَهَا . فقال : قد خَرَجَ إِلَى طَلَبِ الْوَلَدِ .

قال بشر بن هارون :

إِنْ أَبَا مُوسَى لَهُ لِحْيَةٌ      تَدْخُلُ فِي الْجُحْرِ بِلَا إِذْنِ  
وَصُورَةٌ فِي الْعَيْنِ مِثْلُ الْقَذَى      وَنَعْمَةٌ كَالْوَقْرِ فِي الْأُذُنِ  
كَمْ صَفْعَةٍ صَاحَتْ إِلَى صَافِعٍ      بِالنَّعْلِ مِنْ أَخْدَعِهِ : خُذْنِي  
وقال لنا أبو يوسف : قال جحظة : حضرتُ مجلساً فيه جماعةٌ من وُجُوهِ الْكِتَابِ ، وَعِنْدَنَا قَيْنَةٌ مُحْسِنَةٌ حَاضِرَةٌ النَّادِرَةُ ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُهُمْ : بِحَيَاتِي عَلَيْكَ غَفَى لِي :

لَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْكَ فَدَعْنِي      وَأَمْضِ عَنِّي مُصَاحِبًا بِسَلَامٍ  
فَقَالَتْ : أَهْكَذَا كَانَ أَبُوكَ يَغْنِيكَ ؟ فَأَخْجَلَتْهُ .

اشْتَرَى مَدِينِي رُطْبًا ، فَأَخْرَجَ صَاحِبُ الرُّطْبِ كَيْلَجَةً صَغِيرَةً لَيْسَ كَيْلُهَا بِهَا ، فَقَالَ الْمَدِينِي : وَاللَّهِ لَوْ كَلْتُ بِهَا حَسَنَاتٍ مَا قَبِلْتُهَا .

سئل أبو عمار قاضي الكوفة : أَيُّ بَنِيكَ أَثْقَلُ ؟ قال : مَا فِيهِمْ بَعْدَ الْكَبِيرِ أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَّا الْأَوْسَطُ .

اجتمع جماعة عند جامع الصيّد تاني ، فقال أحدهم : ليس للمخمور أنفع من سلّحه ، فقال جامع : أخذتها والله من قمّي .

قال رجل لرؤبة : أتهمز الخُرأ ؟ قال : يا صبيّك يا ابن الخبيثة .

وقف أعرابيٌّ على قوم يُسائلُهُمْ ، فقال لأحدهم : ما أسْمُكَ ؟ قال : مانع ؛ وقال للآخر : ما أسْمُكَ ؟ قال : مُحَرِّز ؛ وقال للآخر : ما أسْمُكَ ؟ قال : حافظ ؛ قال : قبّحكم الله ، ما أظن الأتقال إلا من أسمائكم .

[ من كلام العامة : « منارة الإسكندرية عندك خشخاشة فارغة » ..... (١) ]

قال جَحْظَة : قرأتُ على فصٍّ ماجنَةٍ : ليلة عُرْمِي ؛ ثَقَبُوا بِالْأَيْرِ كُتِي .  
وعلى فصٍّ ماجنَةٍ أخرى ؛ السَّحَقُ أَخْنَى وَالنَّيْكَ أَشْنَى .

وقال جُحَا لأبي مسلم صاحب الدعوة : إني نذرتُ إن رأيتُك أن آخذَ منك ألفَ درهم . فقال : رأيتُ أصحاب النذور يُعطون لا يأخذون ، وأمرَ له بها (٢) .

قال السَّريّ : رأيتُ المُخَنَّثَ الَّذِي يَعْرِفُ بِالْغَرِيبِ (٣) ، وإنسانٌ من العامة قد آذاه وطال ذلك ، فالتفتَ إليه وقال له : يا مشقوق ؛ ثَعْلُكَ زَائِفَةٌ ، وَقِصُّكَ مَقْرُونُ الْحَاجِبِينَ ، وَإِزَارُكَ صَدَفٌ أَزْرَقُ ، وَأَنْتَ تَتَلَاهَى بِأَوْلَادِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ . قال السَّريّ : نخجلُ العاتقَ ومَرَّةً ، فقلتُ له : فسِّرْ لي هذا الغريب . فقال : إمضِ إلى ثَعْلَب . فقلتُ : ليس هذا من عمله ؛ فسَّرَهُ لي . قال : الثعل الزائفة (٤) [ للتي

(١) موضع هذه النقط في «ب» كلام مطموس لم نستطع قراءته . فليراجع في هامش ورقة ٢١١ من النسخة المذكورة .

(٢) في «ب» بألف درهم .

(٣) بالغريب ، أي بالغريب من الألفاظ . هذا ما يظهر لنا من سياق القصة ، أو لعله لقبه .

(٤) لعل ذلك مأخوذ من زافت الحمامة تزوف إذا سحبت ذنبها على الأرض ونفرت جناحيها . والذي في كلتا النسختين : الثعل الزائفة ؛ ولم نجد له معنى فيما راجعناه من الكتب ؛ فقل الصواب ما أثبتنا .

تَجْرُفُ التَّرَابَ جَرْفًا ، والقَمِيصُ المَقْرُونُ ، هو الخَلْقُ [ الذي في كَتِفَيْهِ رَقْعَتَانِ أَجْوَدُ مِنْهُ ، فَمَا تُقْصِحَانِ بَيَانًا ، وَالْإِزَارُ صَدْفٌ أَزْرَقُ ، أَيْ مَخْرَقٌ مُفْتَتٌ .  
فَقُلْتُ : قَوْلُكَ : يَامَشْتَوْقُ ؟ قَالَ : قَطِيعُ الظَّهْرِ .

قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : أَيْجُوزُ أَنْ يَصِلَ فِي الْبَيْعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يُخْرَأَ فِيهَا .  
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : الْقُبْلَةُ رَسُولُ الْجَمَاعِ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِلجَمَّازِ : كَيْفَ مَائِدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، يَعْنِي الْبَرَامِكِيَّ . قَالَ : شِبْرٌ فِي شِبْرٍ ؛ وَصَحْفَتُهُ مِنْ قِشْرِ الْخَشْخَاشِ ، وَبَيْنَ الرَّغِيفِ وَالرَّغِيفِ مَضْرِبُ كُرَّةٍ ؛ وَبَيْنَ اللَّوْنِ وَاللَّوْنِ فَتْرَةٌ نَبِيَّةٌ . قَالَ : فَمَنْ يَحْفَرُهَا ؟ قَالَ : الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ؛ فَضَحَكَ وَقَالَ : لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ .

قَالَ نَضْلَةُ : دَخَلْتُ سَاقِيَةً فِي الْكَرْنِخِ فَتَوَضَّأْتُ ؛ فَلَمَّا خَرَجْتُ تَعَلَّقَ السَّقَاءُ بِي وَقَالَ : هَاتِ قِطْعَةً ؛ فَضَرَطْتُ ضَرْطَةً وَقُلْتُ : خَلَّ الْآنَ سَبِيلِي فَقَدْ نَقَضْتُ وَضْعِي ؛ فَضَحَكَ وَخَلَّانِي .

وَعَدَ رَجُلٌ بَعْضَ إِخْوَانِهِ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيْهِ بَغْلًا ؛ فَطَالَ مَطْلُهُ ، فَأَخَذَ قَارُورَةً وَبَالَ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى الطَّيِّبِ وَقَالَ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الْمَاءِ ، هَلْ يُهْدِي إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي بَغْلًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْخَلَّالِ الْبَصْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْيَعْقُوبِيِّ يَقُولُ : رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْمَرْبَدِ خَالِدًا الْكَاتِبَ وَهُوَ يَنَادِي : يَا مَعْشَرَ الظُّرَفَاءِ ، وَالْمُتَخَلِّقِينَ بِالْوَفَاءِ ؛ أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ ، وَالنَّادِرِ الْغَرِيبِ ، أَنْ شِعْرِي يُرْتَنَى بِهِ وَيُلَاطُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَنَا أَطْلُبُ دَرَاهِمًا فَلَا أُعْطَى ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَتَوَلُّ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا  
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ



وسمعتُ الماَجِنَ المعروفَ بالغرَابِ يقولُ : ويلَكَ أَيَشَ في ذَا ؟ لَا تَخْتَلِطِ الحِنْطَةُ  
بالشَّعِيرِ ، أَوْ يُصْنَعُ البَاذِنِجَانُ قرْعاً ، أَوْ يَتَحَوَّلُ الفُجْلُ إِلَى البَاقِلَاءِ ، وَيَصِيرُ  
الْحَرَنُوبُ إِلَى الْأَرَنْدَجِ (١) .

وسمعتُ دَجَاجَةَ الحَنَثِ يقولُ لآخرَ : إِنَّمَا أَنْتَ بَيْتٌ بِلَا بَابٍ ، وَقَدَمٌ بِلَا سَاقٍ ،  
وَأُغْمَى بِلَا عَصَا ، وَنَارٌ بِلَا حَطَبٍ ، وَنَهْرٌ بِلَا مَغْبَرٍ ، وَحَائِطٌ بِلَا سَقْفٍ .

وَشَتَمَ آخَرَ فَقَالَ : يَا رَأْسَ الْأَفْعَى ، وَيَا عَصَا الْمُكَارِي ، وَيَا بُرُتْسَ الْجَائِلِيْقِ (٢) ،  
يَا كَوْدَنَ (٣) الْقَصَّارِ ، يَا يَيْرَمَ (٤) النُّجَّارِ ؛ يَا نَاقُوسَ النَّصَارَى ؛ يَا ذَرُورَ الْعَيْنِ ،  
يَا تَخْتَ (٥) الثِّيَابِ ، يَا طَفْنَ الرُّمَحِ فِي الثُّرْسِ ؛ يَا مَغْرَقَةَ الْقُدُورِ ، وَمِكَنْسَةَ  
الثُّورِ ؛ لَا تُبَالِي أَيْنَ وَضِيعَتُ ؟ وَلَا أَيَّ جُحْرِ دَخَلْتُ ؟ وَلَا فِي أَيِّ خَانٍ نَزَلْتُ ،  
وَلَا فِي أَيِّ حِمَامٍ عَمِلْتُ ؛ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْكُوَّةِ مِتْرَسًا فَتَتَحِ اللُّصُوصُ الْبَابَ ؛  
يَا رَحَى عَلَى رَحَى ؛ وَوِعَاءٌ فِي وَِعَاءٍ ، وَغِطَاءٌ عَلَى غِطَاءٍ ، وَدَاءٌ بِلَا دَوَاءٍ ؛ وَعَمَى  
عَلَى عَمَى ؛ وَيَا جُهْدَ الْبَلَاءِ ؛ وَيَا سَطْحًا بِلَا مِيزَابٍ ، وَيَا عُودًا بِلَا مِضْرَابٍ ، وَيَا فَمَا  
بِلَا نَابٍ ، وَيَا سَكِينًا بِلَا نِصَابٍ ، وَيَا رَعْدًا بِلَا سَحَابٍ ، وَيَا كُوَّةً بِلَا بَابٍ ؛  
وَيَا قَيْصًا بِلَا مِئْزَرٍ ، وَيَا جِسْرًا بِلَا نَهْرٍ ، وَيَا قُرْءًا عَلَى قُرٍّ ؛ وَيَا شَطَّ الصَّرَاةِ (٦)

(١) هذه الكلمة مهملة الحروف من النقط في الأصل ؛ وقد أثبتناها على هذا الوجه لاتفاق  
الحرنوب والأرنديج في اللون . والأرنديج : الجلد الأسود ؛ وهو معرب .

(٢) الجائليق : من رؤساء النصارى ، معروف .

(٣) الكودن : البغل .

(٤) ييرم النجار : عتله .

(٥) تخت الثياب : ما تصان فيه .

(٦) الصراة : نهر بالعراق .

ويا قَصْرًا بلا مِسْنَاهُ<sup>(١)</sup> ويا وَرَقَ الكَمَاهِ<sup>(٢)</sup> ، يا مَطْبِخًا<sup>(٣)</sup> بلا أَفْوَاهِ<sup>(٤)</sup> ؛ يا ذَنْبَ  
الْفَارِ ، يا قِدْرًا بلا أَبْزَارِ ، يا رَأْسَ الطُّومَارِ ، يا رَسُولًا بلا أَخْبَارِ ؛ يا خَيْطَ  
البَوَارِي<sup>(٥)</sup> ، يا رَحَى في صَحَارِي ، يا طَاقَاتٍ بلا سَوَارِي .

دخل أبو نواس على عِنَانٍ جَارِيَةٍ النَاطِقِيَّ فقال لها :

لو رَأَى في البَيْتِ جُجْرًا      لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا<sup>(٦)</sup>  
أو رَأَى في البَيْتِ ثَقْبًا      لَتَحَوَّلَ<sup>(٧)</sup> عَنْكَبُوتَا

فأجابته :

زَوَّجُوا هَذَا بِأَلْفٍ      وَأُظْنُ الْأَلْفَ ثُوتًا  
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ      فَلَا يَأْتِي وَيُوتِي

قال — أدام الله دولته ، وبَسَطَ لَدَيْهِ نِعْمَتَهُ — قَدَّمَ هَذَا الْفَنَّ عَلَى غَيْرِهِ ،  
وما ظَنَنْتُ أَنْ هَذَا يَطْرُدُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، وَرَبَّمَا عِيبَ هَذَا النَّمْطِ كُلُّ الْعَيْبِ ،  
وَذَلِكَ ظُلْمٌ ، لِأَنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إِلَى بَشَرٍ . وقد بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ  
فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْخَوْضِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْفَقْهِ وَالْمَسَائِلِ : أَحْصُوا ، وَمَا أَرَاهُ  
أَرَادَ بِذَلِكَ إِلَّا لَتَعْدِيلِ النَّفْسِ لثَلَاثًا يُلْحَقُهَا كَلَالُ الْحِدِّ ، وَلِتَقْتَبِسَ نَشَاطًا فِي  
الْمُسْتَأْنَفِ ، وَلِتُسْتَعِدَّ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا فَتَسْمَعَ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) المسناة : المرقاة ، من السناء بالمد ، وهو العلو والرفعة .

(٢) الكماه مخففة : الكماء بالهجر .

(٣) في الأصل . « مصرجا » ؛ وهو تحريف .

(٤) الأفواه : التوابل .

(٥) البواري بتشديد الياء : ضرب من الحصر تعمل من البردى معروفة بمصر إلى اليوم .

(٦) في كتاب أخبار أبي نواس لابن منظور : اجتمع أبو نواس مع عِنَانٍ فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا وَقَالَ :

لو رَأَى في السَّقْفِ صِدْمًا      لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا

(٧) كُنَّا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَسْكِينَ الْفِعْلِ لِمَعْنَى الشَّرِّ .

## الليلة التاسعة عشرة

- (١) وَرَسَمَ بِجَمْعِ كَلِمَاتٍ بَوَارِعَ ، قِصَارِ جَوَامِعَ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ كُنْتُ  
أَسْمَعُهَا مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَفِيهَا قَرَعٌ  
لِلْحَسَنِ ، وَتَنْبِيهٌُ لِلْعَقْلِ ، وَإِمْتَاعٌ لِلرُّوحِ ، وَمَعُونَةٌ عَلَى اسْتِفَادَةِ الْيَقَظَةِ ، وَانْتِفَاعٌ  
فِي الْمَقَامَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَتَمَثُّلٌ لِلتَّجَارِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَامْتِثَالٌ لِلْأَحْوَالِ الْمُسْتَأَنَفَةِ .

من ذلك :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ » مِفْتَاحُ الْمَذَاهِبِ . الْبِرُّ يَسْتَعْبِدُ الْحُرَّ . الْقَنَاعَةُ عِزُّ الْمُعْسِرِ .  
الصَّدَقَةُ كَنْزُ الْمُوسِرِ . مَا انْقَضَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إِلَّا بِيَضْعَةٍ مِنْ نَفْسِكَ .  
دِرْهَمٌ يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنْ دِينَارٍ يَضُرُّ . مَنْ سَرَّهُ الْفَسَادُ ، سَاءَ الْبَعَادُ . الشَّقِيُّ مَنْ  
جَمَعَ لَعْنَهُ فَضَنَّ عَلَى نَفْسِهِ بِخَيْرِهِ . زِدْ مِنْ طَوْلِ أَمَلِكَ فِي قِصَرِ عَمَلِكَ . لَا يَغُرُّكَ  
صِحَّةُ نَفْسِكَ ، وَسَلَامَةُ أَمْسِكَ ، فَمُدَّةُ الْعُمُرِ قَلِيلَةٌ ، وَصِحَّةُ النَّفْسِ مُسْتَحِيلَةٌ . مَنْ  
لَمْ يَغْتَبِرْ بِالْأَيَّامِ ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْعَلَامِ . مَنْ أَسْتَفْنَى بِاللَّهِ عَنِ النَّاسِ ، أَمِنَ مِنْ  
عَوَارِضِ الْإِفْلَاسِ . مَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ ، نَسِيَ الْأُمْنِيَّةَ . الْبَخِيلُ حَارِسُ نِعْمَتِهِ ،  
وَخَازِنُ وَرَثَتِهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دُنْيَاهُ ، مَا يُعِينُهُ عَلَى عِمَارَةِ آخِرَاهُ . مَنْ  
أَرْتَدَّى بِالْكَفَافِ ، اكَتَسَى بِالْعَفَافِ . لَا تَخْدَعَنَّكَ الدُّنْيَا بِخَدَائِعِهَا ، وَلَا  
تَفْتِنَنَّكَ بَوْدَائِعُهَا . رَبُّ حُجَّةٍ ، تَأْتِي عَلَى مُهْجَةٍ ؛ وَرُبُّ فُرْصَةٍ ، تُؤَدِّي إِلَى  
غُصَّةٍ . كَمْ مِنْ دَمٍ ، سَفَكَهُ فَمَ . كَمْ إِنْسَانٍ ، أَهْلَكَهُ لِسَانٌ . رَبُّ حَرْفٍ ،  
أَدَّى إِلَى حَتْفٍ . لَا تُفْرِطْ ، فَتَسْقُطَ . الزَّمِ الصَّمْتَ ، وَأَخْفِ الصَّوْتَ .  
مَنْ حَسُنَتْ مَسَاعِيهِ ، طَابَتْ مَرَاغِيهِ . مَنْ أَعَزَّ فَلَاسُهُ ، أَذَلَّ نَفْسُهُ . مَنْ طَالَ



عُدُوَانُهُ ، زَال سُلْطَانُهُ . مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْيَقَظَةِ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَقَظَةِ . مَنْ  
 اسْتَهْدَى الْأَعْمَى عَمَى عَنِ الْهُدَى . مَنْ اغْتَرَّ بِمِحَالِهِ ، قَصَرَ فِي أُحْثِيَالِهِ .  
 زَوَالَ الدُّوَل ، بِاصْطِنَاعِ السُّقَل . مَنْ تَرَكَ مَا يَعْنِيهِ ، دُفِعَ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِ .  
 ظُلْمُ الْعَمَالِ ، مِنْ ظُلْمَةِ الْأَعْمَالِ . مَنْ اسْتَشَارَ الْجَاهِلَ ضَلَّ ، وَمَنْ جَهِلَ مَوْضِعَ  
 قَدَمِهِ زَلَّ . لَا يَغُرُّكَ طُولُ الْقَامَةِ ، مَعَ قِصَرِ الْأَسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ الذَّرَّةَ مَعَ  
 صِغَرِهَا ، أَنْفَعُ مِنَ الصَّخْرَةِ عَلَى كِبَرِهَا . تَجَرَّعُ مِنْ عَدُوِّكَ الْغُصَّةَ ، إِنْ لَمْ  
 تَنْلُ مِنْهُ الْفُرْصَةَ ، فَإِذَا وَجَدْتَهَا فَاتَّهَزْهَا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ الدَّرَكُ ، أَوْ يَصِيبَكَ  
 الْفَلَكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دُولٌ تَبْنِيهَا الْأَقْدَارُ ، وَيَهْدِمُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . مَنْ زَرَعَ  
 الْإِحْسَنَ ، حَصَدَ الْمِحْنَ . مَنْ بَعُدَ مَطْمَعُهُ ، قُرِبَ مَضْرَعُهُ . الثَّغْلَبُ فِي إِقْبَالِ  
 جَدِّهِ ، يَغْلِبُ الْأَسَدَ فِي اسْتِقْبَالِ شَدِّهِ . رُبَّ عَطَبٍ ، تَحْتَ طَلَبِ . اللِّسَانُ ،  
 رِقُّ الْإِنْسَانِ . مِنْ ثَمَرَةِ الْإِحْسَانِ ، كَثْرَةُ الْإِخْوَانِ ، مَنْ سَأَلَ مَا لَا يَجِبُ ،  
 أُجِيبَ بِمَا لَا يُحِبُّ ، وَأَنْشَدْتُ :

وَلَيْسَ لَنَا عَيْبٌ سِوَى أَنْ جُودَنَا      أَضَرَّ بِنَا وَالْبَاسَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 فَأَنْفَى النَّدَى أُمُورَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ      وَأَنْفَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ عَائِبٍ  
 أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ      أَبٌ مِثْلُهُ أَغْنَاهُمْ بِالْمَنَاقِبِ

(٢) قَالَ حَمِيدُ بْنُ الصَّيْمَرِيِّ لِابْنِهِ : أَحَبَّ السُّلْطَانَ بِشِدَّةِ التَّوَقُّيِّ كَمَا تَصَحَّبَ  
 السَّبْعَ الضَّارِيَ وَالْفِيلَ الْمُفْتَلِمَ وَالْأَفْعَى الْقَاتِلَةَ ؛ وَأَحَبَّ الصَّدِيقَ بِلِينِ الْجَانِبِ  
 وَالتَّوَاضُعِ ؛ وَأَحَبَّ الْعَدُوَّ بِالْإِعْذَارِ إِلَيْهِ وَالْحِجَّةِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؛ وَأَحَبَّ الْعَامَّةَ  
 بِالْبِرِّ وَالْبِشْرِ وَاللَّطْفِ بِاللِّسَانِ .

وَقَعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ : يَا هَذَا ، لَوْ جَعَلْتَ مَا تَحْمَلُهُ الْقِرَاطِيسُ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَأَحْوَيْتَ جَمَالًا وَحُزْنَ كَمَالًا .

وَوَقَعَ السَّقَّاحُ مَرَّةً : مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا لَنَا وَحَاشَيْتُنَا خَارِجُونَ مِنْهَا ، فَجَبَّلَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَزِدَ فِيهَا عَلَى قَدَرٍ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : عُنْوَانُ الشَّرَفِ ، حُسْنُ الْخَلْفِ .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ — عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — : إِنْ لَمْ تَجْفُ ، فَكَلِّمَا تَصْنُفُ .  
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : النَّخْلَةُ جِذْعُهَا نَمَاءٌ <sup>(١)</sup> ، وَلِيفُهَا رِشَاءٌ ، وَكَرْبُهَا <sup>(٢)</sup> صِلَاءٌ ، وَسَعْفُهَا ضِيَاءٌ <sup>(٣)</sup> ، وَحَمْلُهَا غِذَاءٌ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ كَسَّاحًا <sup>(٤)</sup> يَقُولُ لِفُتًى لَهُ : أَلَمْ أَضَعْ إِزَارَكَ ، أَلَمْ أَصْنَعْ عُودَ مِجْرَفَتِكَ ؟ أَلَمْ أَجْعَلْكَ كَسَّاحًا عَلَى حِمَارَيْنِ ؟

وَجِدَ كِتَابًا بِالْيَمَنِ فِيهِ : أَنَا فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانِ التُّبَعِيِّ ، كُنْتُ آكُلُ الْبَقْلَ الرَّطْبَ مِنَ الْهِنْدِ وَأَنَا بِالْيَمَنِ ، ثُمَّ جُعْنَا حَتَّى اشْتَرَيْنَا مَكُوكَ <sup>(٥)</sup> بِرٍّ بِمَكُوكِ دُرٍّ ، مِنْ يَوْسَفَ بْنِ يَعْقُوبَ بِمِصْرَ ، فَمِنْ رَأَى أَنَا فَلَا يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ — كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ — لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ يَوْمَ صِفِّينَ : أَلَا تَرَى تُمْ مُعَاوِيَةَ ؟ فَقَالَ : مَا آثَرْتَنَاهُ ، وَلَكِنَّا آثَرْنَا الْقَسْبَ <sup>(٦)</sup> الْأَصْفَرَ ، وَالْبُرَّ الْأَحْمَرَ ، وَالزَّيْتَ الْأَخْضَرَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «مَاء» ؛ وَالتَّوْنُ سَائِقَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) الْكَرْبُ : أَصُولُ السَّعْفِ الْفَلَاطِ الْعَرَاضِ .

(٣) يُرِيدُ أَنْ نَارَ السَّعْفِ يَطْلُو لَهَا وَيَسْطَعُ ، فَهِيَ صَالِحَةٌ لِلِاسْتِضَاءَةِ دُونَ الْأَصْطِلَاءِ .

(٤) الْكَسَّاحُ : الْكَنْتَّاسُ ؛ وَمَنْ يَنْظِفُ الْبُتْرَ وَالتَّهْرَ وَيَنْحُوهُمَا .

(٥) الْمَكُوكُ : مَكْيَالٌ يَسَعُ صَاعًا وَنَعْمَانًا أَوْ نَصْفَ رطلٍ إِلَى ثَمَانِ أَوْاقٍ .

(٦) الْقَسْبُ : التَّمَرُ الْيَابِسُ .

قيل للحسن بن علي — رضى الله عنه — لما صالح معاوية : يا ظار المؤمنين .  
فقال : العار خير من النار .

نظر الحجاج يوماً على المائدة إلى رجل وجأ عنق رجل آخر ، فدعا بهما ،  
فقال للواحي : علام صنعت ؟ فقال : غص بعظم فخفت أن يقتله ، فوجأت عنقه  
فألقاه ؛ فسأل الآخر فقال : صدق ؛ فدعا بالطباخ فقال له : أتدع العظام في طعامك  
حتى يغص بها ؟ فقال : إن الطعام كثير ، وربما وقع العظم في المرق فلا يزال .  
قال : تصب المرق على المناخل . فكان يفعل <sup>(١)</sup> .

قال سلمة بن المحبق <sup>(٢)</sup> : شهدت فتح الأبله ؛ فوقع في سهمي قدر نحاس ،  
فنظرت فإذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتبت في ذلك إلى عمر ،  
فأجاب بأن يحلف سداً بأنه أخذها يوم أخذها وهي عنده ، فإن حلف سللت إليه ،  
وإلا قُسمت بين المسلمين ، قال : فحلفت فسُللت إلي ، فأصول أموالنا اليوم منها .  
قال بعض الحكماء : لا يصبر على المروءة إلا ذو طبيعة كريمة .

(٣) . . . . .

أصاب عبد الرحمن بن مدين — وكان رجلاً صدق بخراسان — مالا عظيما  
فجهز سبعين مملوكا بدوابهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك ، ثم أصبحوا معه

(١) عبارة الأصل : « نصيب الرق على المتأخر فكان تفعلك » . وفيها تحريف ظاهر .  
والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « سلمة بن المحبي » . وهو تحريف . والتصويب عن الإصابة والقاموس .  
وضبط في القاموس بكسر الباء المشددة ، وفي الإصابة بفتحها .

(٣) موضع هذه النقط عبارة لابن السكك مهمة أكثر حروفها من النقط ، فلم  
نستطع تحقيق ألفاظها ، ونحن ثبتها هنا كما وردت في النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة  
بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١١٢١٥ ز) في ص ٣٨٧ ونصها : « وقال ابن السكك لو خرج  
رجل في طلب السنان إلى الكوفة لدهه والدار في لعدوه بقايا كان خفيفا على إخوانه لمره »



يوم الرّحيل ، فلما أَسْتَوَى بهم الطريقُ نظرَ إليهم فقال : ما ينبغي لرجل أن يتقرّب بهؤلاء إلى غير الله . ثم قال : أذهبوا أتمّ أحراراً ، وما معكم لكم .

وقال أعرابي : مَنْ قَبِلَ صِلَتَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مُرُوَّتَهُ ، وَأَذَلَّ لِقَدْرِكَ عِزَّهُ .

كتبَ زيادُ بنُ عبدِ الله الحارثي إلى المهدي :

أنا ناديتُ عَفْوَكَ من قريبٍ كما ناديتُ سُخْطَكَ من بعيدٍ

وإنْ عاقبتَنِي فليسوءِ فِعْلِي وما ظَلَمْتُ عُقُوبَةً مُسْتَقِيدِ

وإنْ تَصَفَّحْ فَأَحْسَنُ جَدِيدِ عَطَفْتَ بِهِ عَلَى شُكْرِ جَدِيدِ

وقال رجل لمحمد بن نحرير : أوصني ؛ فقال : اسمع ولا تتكلم ، وأعرف ولا تعرّف ، وأجلسن إلى غيرك ولا تجلسنه إليك .

وقال رجل لابن أسيد<sup>(١)</sup> القاضي : إن أُمّي تريد أن توصي فتحضروا تكتب ؛ (٢)

فقال : وهل بلغت مَبْلَغَ النِّسَاء ؟

ودخل صاحب المظالم بالبصرة على رجلٍ مُبْرَسَمٍ<sup>(٢)</sup> وعنده طيبٌ يداويه ، فأقبلَ على الطبيب وأهلِ المريض ، وقال : ليس دواء المبرسم إلا الموت حتى تَقِلَّ حرارةُ صدره ، ثم حينئذ يعالج بالأدوية الباردة حتى يَسْتَبِيلَ .

وأجتازَ به بائعُ دُرّاجٍ فقال : بكم تبيعُ الدُّرّاجَةَ ؟ فقال : بدرهم ؛ فقال له : أحسن . قال : كذا بعتُ . قال : نأخذُ منك اثنتين بثلاثة . قال : هالك . قال : يا غلامُ خذْ منه ، فإنه يُسَهِّلُ البَيْعَ .

ودخل حجاجُ بنُ هارون على نجاح الكاتب ، فذهب ليقبل رأسه ؛ فقال

(١) يلاحظ أن هذه الطرفة والست التي بعدها كان ألقى بها جميعاً باب المجون السابق .

(٢) مبرسم ، أي به برسام ، وهو علّة يهذى فيها .

له : لا تفعل ، فإن رأسي مملوء بالدُّهْن ، فقال : والله لو أن عليه ألفَ رطلٍ خَرَاءَ لَقَبَّلْتُهُ .

قُدِّمَ لَأَبْنِ الْحَسْحَاسِ سَكْبَاجَةٌ<sup>(١)</sup> فقال لصديق له : كلْ فإنها أمُّ القِرَى .  
وعَزَّى ابْنُ الْحَسْحَاسِ صَدِيقًا لَهُ مَاتَ أُبْنَتْهُ ، فقال : من أنتَ حتى لا تموتَ أُبْنَتْكَ البَطْرَاءُ ! قد ماتتْ عائشةُ بنتُ<sup>(٢)</sup> النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَخَذَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِيِّ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ رَجُلًا فَأَسْتَصْفَاهُ ، ثُمَّ رَأَاهُ بَعْدَ زَمَانٍ ،  
فَقَالَ لَهُ : أَبَا فَلَانٍ ، كَيْفَ أَنْتَ السَّاعَةَ ؟ قَالَ لَهُ : كَمَا كُنْتَ أَنْتَ قَدِيمًا . قَالَ  
وَكَيْفَ كُنْتُ أَنَا ؟ قَالَ : كَمَا أَنَا السَّاعَةَ ؛ فَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

(٤) قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ فَقَدْ أُذِنَ لِلْأَكْلِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَصْلُحُ بِبِلَادٍ  
لَا تَصْلُحُ بِهَا الْإِبِلُ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السُّنْدِيِّ : نَظَرَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ قَدْ نَامَ فِي  
غَدَاةٍ مِنْ غَدَوَاتِ الصَّيْفِ طَيِّبَةِ النَّسِيمِ ، فَكَضَّ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : مَا لَكَ تَنَامُ  
عَنِ الدُّنْيَا فِي أَطْيَبِ وَقْتِهَا ، نَمَ عَنْهَا فِي أَخْبَثِ حَالَاتِهَا ، نَمَ فِي نِصْفِ النَّهَارِ لِبُعْدِكَ  
عَنِ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ ، وَلَأنَّهَا رَاحَةٌ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ التَّعَبِ ، وَجِهَامٌ لِمَا بَعْدَهَا مِنَ  
الْعَمَلِ ، نَمْتَ فِي وَقْتِ الْحَوَائِجِ ، وَتَنَبَّهْتَ فِي وَقْتِ رُجُوعِ النَّاسِ ؛ وَقَدْ جَاءَ : ” قِيلُوا  
فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ “ .

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والحل .

(٢) يلاحظ أن قوله : « بنت النبي صلى الله عليه وسلم » هو موضع التفكهة بجهل هذا

القائل وغفلته .

وقال إبراهيم بن السُّنْدِي أَيْقَظَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَوْلَادًا لَهَا صِغَارًا قَبْلَ الْفَجْرِ  
فِي غَدَوَاتِ الرَّبِيعِ وَقَالَتْ : تَنْسَمُوا هَذِهِ الْأَزْوَاحَ ، وَأَسْتَنْشِقُوا هَذَا النَّسِيمَ ،  
وَتَهْتَمُّوا هَذَا النَّعِيمَ ، فَإِنَّهُ يَشُدُّ مِنْ مُنْتِكِمِكُمْ .

ويقال في الوَصْفِ : كَأَنَّهُ مِخْرَاكُ نَارٍ ، وَكَأَنَّهُ الْجَأْمُ <sup>(١)</sup> صَدَى .

وَإِذَا وَصَفُوهُ بِالْقِصْرِ قَالُوا : كَأَنَّهُ عُقْدَةُ رِشَاءٍ ، وَأُبْنَةُ عَصَا . وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا  
قَالُوا : كَأَنَّهُ قِطْعَةُ زُبْدٍ ، وَالْمَوْلَدُونَ يَقُولُونَ : كَأَنَّهُ أُسْكُرُجَةٌ <sup>(٢)</sup>

قال بعض السَّلَفِ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا أَحِيطُ بِنِعْمَتِكَ عَلَى فَاعِدِّهَا ، وَلَا  
أَبْلُغُ كُنْهَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَأُحَدِّثُهَا .

دَعَا عَطَاءُ السُّنْدِي فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِكَ الْوَاقِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ،  
وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِكَ الْوَاسِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ .

ودعا بعض السلف : اللَّهُمَّ إِنَّ قَلْبِي وَنَاصِيَّتِي بِيَدِكَ لَمْ تُمَلِّكْنِي مِنْهُمَا شَيْئًا ،  
وَإِذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ وَلِيَّهُمَا ، فَأَهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ .

ودعا بعضُ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ مَا كَانَ لِي مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ قَضَيْتَهُ وَيَسَّرْتَهُ  
وَهَدَيْتَهُ ، فَلَا حَمْدَ لِي عَلَيْهِ ؛ وَمَا كَانَ مِنِّي مِنْ سُوءٍ فَإِنَّكَ وَعَظْتَ وَزَجَرْتَ  
وَنَهَيْتَ فَلَا عُذْرَ لِي فِيهِ وَلَا حِجَّةَ .

ودعا آخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ، وَنَدِيمٍ فَاجِرٍ ، وَصَدِيقٍ  
غَادِرٍ ، وَغَرِيمٍ مَآكِرٍ ، وَقَرِيبٍ مُنَاكِرٍ <sup>(٣)</sup> ، وَشَرِيكِ خَائِنٍ ، وَحَلِيفٍ

(١) الجأَم : لُئَاءٌ مِنْ فُضَّةٍ .

(٢) اسْكُرْجَةٌ : صَفْةٌ صَغِيرَةٌ يُوَضَعُ فِيهَا السَّكَمُخُ ، وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ .

(٣) مُنَاكِرٌ ، أَيْ مُحَارِبٌ .



مأين ، وولد جاف ، وخدام هاف ، وحاسد مُلافيظ ، وجارٍ مُلاحِظ ، ورفيق  
كسلان ، وخليل وسنان ، و <sup>(١)</sup> ضيف ، ومرّ كُوبٍ قَطُوف <sup>(٢)</sup> ، وزوجة  
مبذرة ، ودار ضيقة .

قال المدائني : قال بعض السلف لابنه : اشْحَذْ طَبْعَكَ بِالْعُيُونِ وَالْفِقْرِ <sup>(٣)</sup>  
وإن قلت ، فإن الشجرة لا يشينها قلة الحمل إذا كانت ثمرها نافعاً ،  
وأكلها ناجعاً .

(٦) وقيل للأوزاعي : ما كرامة الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه .

قال مجاهد في قول الله تعالى : (ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) قال : قيامه  
عليهم بنفسه .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس من المروءة أن تستخدم الضيف .  
وقال إبراهيم بن الجُنَيْد : كان يقال : أَرْبَعٌ لِلشَّرِيفِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتَفَ  
مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وخدمته للعالم  
يتعلم منه ، وإن سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم .

حاتم كان يقول : العجلة من الشيطان إلا في خمسة أشياء ، فإنها من السنة :  
إطعام الضيف إذا حلّ ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر <sup>(٤)</sup> ، وقضاء الدين ،  
والتوبة من الذنب .

(١) هنا يباخر بالأصل .

(٢) المركوب القطوف : الضيق الخطو .

(٣) أي جيون الكلام البليغ وفقره .

(٤) في رواية : « الكف » .

وقال : من أطمع الضيفَ لحماً وخُبْزَ حِنْطَةٍ وماءً بارداً فقد تمَّ الضيافة .  
وقال حاتم : المَزُورُ المرأى إذا ضاف إنساناً حدثه بِسَخَاوَةِ إبراهيم الخليل ،  
وإذا ضافه إنسانٌ حدثه بزُهد عيسى بن مريم .

وقال ميمون بن ميمون : من ضاف البخيلَ صامت دابته ، واستغنى عن  
الكنيف ، وأمين الثخمة .

وقال بعض السلف الصالح : لأن أجمع إخواني على صاعٍ من طعامٍ أحبُّ  
إليَّ من عتقِ رقبة .

قال الأعمش : كان الربيعُ بنُ خثيم يصنع لنا الخبيص<sup>(١)</sup> ويقدمه ويقول :  
اللهم اغفر لأطبيهم نفساً ، وأحسنهم خلقاً ، وأرحمهم جميعاً .

وقال أنسُ بنُ مالك : كل بيت لا يدخله الضيفُ لا تدخله الملائكة .

ولما قرأته على الوزير — بلغه الله آماله ، وزكى أعماله ، وخففَ عن قلبه  
أثقاله — قال : ما علمتُ أن مثلَ هذا الحبحمِ يحوى هذه الوصايا والملاح ؛  
وهذه الكلماتُ الغرر ما فيها ما لا يجبُ أن يُحفظ ، والله لكانها بستان في زمان  
الحريف ، لكلِّ عينٍ فيه منظرٌ ، ولكلِّ يدٍ منه مقطفٌ ، ولكلِّ فمٍ منه مذاقٌ .  
إذا فرغتَ فأضيفْ لي جزءاً أو جزءين أو ما ساعدك عليه النشاط ، فإن موقعها  
يُحسن ، وذكراها يَجْمَل ، وأثرها يَبْقَى ، وفائدتها تُروى ، وعاقبتها تُحمد .  
فقلتُ : السمع والطاعة .

(٢) الخبيص : طعام كان يصنع من التمر والسن .

الليلة العشرون<sup>(١)</sup>

وقال لي مرة [أخرى] : أكتب لي جزءاً من الأحاديث الفصيحة  
 (١) المفيدة . فكتبت : قال مالك بن عمار اللخمي . كنت أجالس في ظل  
 الكعبة أيام الموسم عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن  
 الزبير ، وكنا نخوض في الفقه مرة ، وفي الذكر مرة ؛ وفي أشعار العرب  
 وآثار الناس مرة ؛ فكنت لا أجِدُ عند أحدٍ منهم ما أجده عند عبد الملك بن  
 مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم والفصاحة والبلاغة ،  
 وحسن استماعه إذا حدث ، وحلاوة لفظه إذا حدث ؛ فخلوتُ معه ذات ليلة فقلت :  
 والله إني لمسرورٌ بك لما أشاهدُه من كثرة تصرفك وحسن حديثك ،  
 وإقبالك على جليسك ؛ فقال : إنك إن تعيش قليلاً فسترى العيون طامحة إلى  
 والأعناق قاصدة نحوي ، فلا عليك أن تعمل إلى ركبائك . فلما أفضت إليه  
 الخلافة شخصتُ أريده ، فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، فتصدت له ،  
 فلما وقعت عينه عليَّ بَسَرَ<sup>(٢)</sup> في وجهي ، وأعرض عني ، فقلت : لم يُبَيِّنْني معرفة  
 ولو<sup>(٣)</sup> عرفني ما أظهر نكرة . لكنني لم أبرح مكاني حتى قضيت الصلاة  
 ودخل ، فلم ألبث أن خرج الحاجبُ إليَّ فقال : مالك بن عمار ، فقلت ، فأخذ  
 بيدي وأدخلني عليه ، فلما رآني مَدَّ يده إليَّ وقال : إنك تراءيت لي في موضع  
 لم يجز فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانتقاض ؛ فرحباً وأهلاً [وسهلاً] ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٧ من هذا الجزء .

(٢) في (١) « كسر » .

(٣) عبارة (ب) « أو عرفني وأظهر » الخ .



كيف كنت بعدنا؟ وكيف كان مسيرك؟ قلت: بخير، وظل ما يحببه أمير المؤمنين. قال: أتذكر ما كنت قلت لك؟ قلت: نعم، وهو الذي أعملني إليك؛ فقال: والله ما هو بميراث أدعينا، [ولا أثر وعينا]، ولكني أخبرك عن نفس خصالا سميت بها نفسى إلى الموضع الذى ترى، ما لاحت ذؤود ولا ذؤابة قط، ولا شمت بمصيبة عدو قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهى، ولا قصدت كبيرة من محارم الله متلذذا بها وواثبا عليها، وكنت من قریش فى بيتها، ومن بيتها فى وسطه، فكنت آمل أن يرفع الله منى، وقد فسل؛ يا غلام، بؤته منزلا فى الدار. فأخذ الغلام بيدي وقال: أنطلق إلى رحلك؛ فكنت فى أخفض حال، وأنم بال؛ وكان يسمع كلامى وأسمع كلامه، فإذا حضر عشاؤه أو غداؤه أتانى الغلام وقال: إن شئت صرت إلى أمير المؤمنين فإنه جالس، فأمشى بلا حذاء ولا رداء فيرفع مجلسى، ويقبل على محادثتي، ويسألنى عن العراق مرة، وعن الحجاز مرة، حتى مضت لى عشرون ليلة. فتغديت عنده يوما، فلما تفرق الناس نهضت للقيام، فقال: على رسلك أيها الرجل، أى الأمرين أحب إليك: المقام عندنا، ولك النصفة فى المعاشرة والمجالسة مع المؤانسة، أم الشخصوس ولك الجباء والكرامة؟ قلت: فارقت أهلى وولدى على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرنى اخترت فناءه على الأهل والولد، قال: بل أرى لك الرجوع إليهم، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك، فتجدد بهم عهدا ويجددون بك مثله، والخيار فى زيارتنا وللقام فيهم إليك، وقد أمرنا [لك] بعشرين ألف دينار، وكسوتناك وحملناك، أترانى ملأت يدك أبا نصر؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أراك ذا كرا لما رويت<sup>(١)</sup> عن نفسك.

(١) فى الأصل: «ورث».

قال : أجل ، ولا خيرَ فيمن ينسى إذا وعد ؛ ودّع إذا شئتَ صحبتك السلامة .  
 قال الوزير : ما أحلى هذا الحديث ! هات ما بعده ، قلت : قال يحيى بن  
 أبي يعلى : لما قدّم المالُ من ناحيةِ عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — على (٢)  
 أبي بكر بن حزم ، قسّمه بين الناس في المدينة ، فأصاب كلُّ إنسانٍ خمسين  
 ديناراً ، فدعّنتي فاطمة بنت الحسين — عليه السلام — فقالت : أكتب ،  
 فكتبت : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من فاطمة بنت  
 الحسين سلام [ الله ] عليك ، فإنّي أحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، أمّا  
 بعد ، فأصلحَ اللهُ أمير المؤمنين وأعانه على ما تولاّه ، وعصمَ به دينه ، فإنَّ  
 أمير المؤمنين كتبَ إلى أبي بكر بن حزم أن يقسمَ فينا مالاً من الكتيبة ،  
 ويتحرّى بذلك ما كان يصنع من قبله من الأئمة الراشدين المهديين ، وقد  
 بلغنا ذلك ، وقسمَ فينا ، فوصل اللهُ أمير المؤمنين ، وجزاه من والٍ خيرَ  
 ما جرى أحداً من الولاة ، فقد كانت أصابتنا جفوةً ، واحتجنا إلى أن يُعْمَلَ  
 فينا بالحق ؛ فأقسمُ بالله يا أمير المؤمنين لقد أخذتم من آلِ رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم من لا خادمَ له ، وأكنسى من كان عارياً ، وأستقرّ من كان لا يجدُ  
 ما يستقرُّ [ به ] . وبعثت [ إليه ] رسولا .

قال يحيى : فحدثني الرسولُ قال : قدِمْتُ الشامَ (١) عليه ، فقرأ كتابها وإنه  
 ليحمدُ الله ويشكره ، فأمر لي بعشرةِ دنانير ، وبعث إلى فاطمة خمسمائة  
 دينار ، وقال : أستعيني بها على ما يُعوزك ، وكتب إليها كتاباً يذكُرُ فيه  
 فضلها وفضلَ أهل بيتها ، ويذكُرُ ما فرض اللهُ لهم من الحق .

(١) في (١) « العراق » ؛ وهو تبديل من النسخ .



فرق الوزير عند هذا الحديث وقال : أذكرتني أمر القلوية ، وأخذ القلم ، وأستمد من اللواة ، وكتب في التذكرة شيئاً ، ثم أرسل إلى نقيب القلوية العمري في اليوم الثاني بألف دينار ، حتى تُفرَّق في آل أبي طالب ، وقال لي : هذا من بركة الحديث .

(٣) ثم قال : كيف تطاول هؤلاء القوم إلى هذا الأمر مع بُعدهم من رَجْمِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرب بني هاشم منه ؟ وكيف حدثتهم أنفسهم بذلك ؟ إن عَجَبِي من هذا لا يَنْقُضِي ، أين بنو أمية وبنو مروان من هذا الحديث مع أحوالهم المشهورة في الدين والدنيا ؟

قلت : أيها الوزير ، إذا حُقق النظر واستُشِفَّ الأصل<sup>(١)</sup> لم يكن هذا<sup>(٢)</sup> عجيباً ، فإن أعجاز الأمور تالية لصدورها ، والأسافل تالية لأعالها ، ولا يزال الأمر خافياً حتى يَنْكَشِفَ سببه<sup>(٣)</sup> فيزول التعجب [منه] ، وإنما بعد هذا على كثير من الناس ، لأنهم لم يُعنوا به وبتعرُّف أوائله والبحث عن غوامضه ، ووضعوه في مواضعه ، وذهبوا مذهب التعصب .

قال : فما الذي خفي حتى إذا عُرف سَقَطَ التعجب ولَزِمَ التسليم ؟ فكان من الجواب : لا خلاف بين الرواة وأصحاب التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم تُوِّقِي وَعْتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى صَنْعَاءَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى نَجْرَانَ ، وَأَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى الْعَاصِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَسَعِيدُ ابْنِ الْقِسْبِ الْأَزْدِيُّ حَلِيفُ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى جُرَشٍ وَنَحْوِهَا ، وَالْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ

(١) في (١) « الأمر » .

(٢) في (١) « لم يكن بعيداً عجيباً » .

(٣) في (١) « حتى تنكشف قسه » ؛ وهو تحريف .



المخزومي على كندة والصديف ؛ وعمر بن العاص على عمان ، وعمان بن أبي العاص على الطائف . فإذا كان النبي — صلى الله عليه وسلم — أسس هذا الأساس ، وأظهر أمرهم لجميع الناس ؛ كيف لا يقوى ظنهم ، ولا ينبسط رجائهم ، ولا يمتد<sup>(١)</sup> في الولاية أملمهم ؟ وفي مقابلة هذا ، كيف لا يضعف طمع<sup>(٢)</sup> بني هاشم ، ولا ينقبض رجائهم ، ولا يقصر أملمهم ؟ وهي الدنيا ، والدين عارض فيها ، والعاجلة محبوبة ، وهذا وما أشبهه حدّد أنبيائهم ، وفتح أبوابهم ؛ وأترع كآسهم ، وقتل أمراسهم ، ودلائل الأمور تسبق ، وتبشير الخبر تعرف .

قال ابن الكلبي : حدثني الحكم بن هشام الثقفي قال : مات عبيد الله ابن جحش عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت معه بأرض الحبشة ، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فدعا بالقرشيين فقال : من أولاكم بأمر هذه المرأة ؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص : أنا وأولاهم بها . قال : فزوج نبيكم . قال : فزوجه ومهر عنه أربع مائة دينار ؛ فكانت أول امرأة مهرت أربع مائة دينار ؛ ثم حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعها الحكم بن أبي العاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النظر إليه ، فقيل له : يا رسول الله ، إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب . قال : أليس ابن المخزومية ؟ قالوا : بلى ؛ قال : إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً كان الأمر فيهم ، وكان مروان إذا جرى بينه وبين معاوية كلام قال لمعاوية : والله إني لأبوعشرة ، وأخوعشرة ، وعم عشرة ، وما بقي إلا عشرة حتى يكون الأمر في ؛ فيقول معاوية بن أبي سفيان : أخذها والله من عين صافية .

(١) في (١) : « يحذوا » ، وفي (ب) : « يحيد » ؛ وهو تصحيف في كليهما .

(٢) في (ب) : « أمل » .

فهذا — كما تَسْمَعُ — إن كان حقاً فلا سبيل إلى رَدِّه ، وإن كان مُفْتَعَلًا  
فقد صارَ داعيةً إلى الأمر الذي وَقَعَ النزاعُ فيه ، وجمال الخِصَامِ عليه .  
وما ههنا شيء آخر .

قال القَعْقَاعُ بنُ عمرو : قلتُ لعلِّي بنُ أبي طالب — عليه السلام — .  
ما حَمَلَكَمُ على خلافِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ وَتَرْكِ رَأْيِهِ ؟ وهذا يَعْنِي به أنَّ  
العباسَ كان قال لعلِّي — عليه السلام — في مرضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
قم بنا إليه لنَسْأَلَهُ عن هذا الأمرِ ، فإن كان لنا أَشَاعُهُ في الناسِ ، وإن كان في  
غيرنا وَصَّيَ فِينَا ، وكان عليٌّ عليه السلام أباي على عمِّه العباسِ ولم يُطَاوِعْهُ —  
قال القَعْقَاعُ : قال أمير المؤمنين عليٌّ بنُ أبي طالب — عليه السلام — في جوابه  
لي : لو فَعَلْنَا ذلك فَجَعَلَهَا في غيرنا بعد كلامنا لم نَدْخُلْ فيها أبداً ، فأُحْبِبْتُ  
أن أ كُفَّ ، فإن جَعَلَهَا فِينَا فهو الذي نريد ، وإن جَعَلَهَا في غيرنا  
كان رَجَاءُ مَنْ طَلَبَ ذلك مِنَّا مَمْدوداً ، ولم يَنْقَطِعْ مِنَّا ولا من الناسِ . قال  
القَعْقَاعُ : فكان الناسُ في ذلك فرقتين : فرقةٌ تَحْزُبُ للعباسِ وتَدِينُ له ، وفرقةٌ  
تَحْزُبُ لِعَلِيِّ وتَدِينُ له . فهذا وما أَشْبَهَهُ يُضْعِفُ نفوساً ، ويرْفَعُ رُؤوساً ؛ وبعد فهذا  
البيتُ خُصَّ بالأمر الأوَّل ، أعني الدَّعْوَةَ والنَّبُوَّةَ والكِتَابَ العزيزَ ، فأما الدنيا  
فإنها تَزُولُ من قوم إلى قوم ، وقد رُوِيَ <sup>(١)</sup> أبو سفيانَ صَخْرُ بنَ حَرْبٍ وقد وقف  
على قبر حمزة بن عبد المطلب وهو يقول : رحمتك الله يا أبا عُمارة ، لقد قَاتَلْتَنَا على  
أمرٍ صار إلينا .

(١) كذا في ب وعبارة ١ وقد روى أنه وقف أبو سفيان صخر بن حرب على قبر

حمزة بن عبد المطلب وهو يقول .



فإن قال قائل : فقد وصل<sup>(١)</sup> هذا الأمر بعد مدّة إلى [آل] النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فالجواب : [صَدَقْتَ] ، ولكن لما ضَعُفَ الدِّينُ وتَحَلَّلَ<sup>(٢)</sup> رُكْنُهُ وتداوله الناسُ بالغلبة والقهر ، فتطاوَلَ له ناسٌ من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعجم وبِقُوَّتِهِمْ ونَهَضَتِهِمْ وعَادَتِهِمْ في مساوَرَةِ الملوك ، وإزالة الدُّوَل ، وتناولِ العِزِّ كيف كان ، وما وَصَلَ إلى أَهْلِ العَدَالَةِ والطَّهَارَةِ والزُّهْدِ والعِبَادَةِ والوَرَعِ والأَمَانَةِ ، ألا ترى أن الحالَ أَسْتَحَالَتَ كَـجَمَّا : كِـسْرَوِيَّةٌ وقِيَصْرِيَّةٌ ، فأين هذا من حديثِ النبوةِ الناطقة ، والإمامةِ الصادقة ؛ هذا الربيعُ — وهو حاجب المنصور — يَضْرِبُ مَنْ شَمَّتَ الخليفةَ عند العطسة ، فيُشْكِي ذلك إلى أبي جعفر المنصور ، فيقول : أصابَ الرجلُ السُّنَّةَ وأخطأَ الأدبَ . وهذا هو الجهل ، كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ السُّنَّةَ أَشْرَفُ مِنَ الأدبِ ، بل الأدبُ كُلُّهُ في السُّنَّةِ ، وهي الجامعةُ للأدبِ النبويِّ والأمرِ الإلهي ، ولكن لما غلبت عليهم العِزَّةُ<sup>(٣)</sup> ، ودَخَلَتِ التُّعَرَّةُ في آثَانِهِمْ ، وظَهَرَتِ الخُزْوَانَةُ<sup>(٤)</sup> بَيْنَهُمْ ، سَمَّوْا آيِينَ<sup>(٥)</sup> العَجَمِ أدبًا ، وقَدَّمُوهُ على السُّنَّةِ التي هي ثَمَرَةُ النبوةِ ، هذا إلى غير ذلك من الأمور المعروفة ، والأحوال المتعلِّمة المتداولَة التي لا وَجْهَ لِدِكْرِهَا ، ولا فائدةَ لتشرها ، لأنها مقرَّرةٌ في التاريخ ، ودائرةٌ في عُرضِ الحديث .

ولما كانت أوائلُ الأمور على ما شَرَحْتُ ، وأواسِطُهَا على ما وَصَفْتُ ، كان من نتائجها هذه الفِتنُ والمذاهبُ ، والتعصُّبُ والإفراطُ ، وما تَقَامَمَ منها وزاد

(١) في (ب) : « صار » .

(٢) تحلل ركنه ، أي تعرض وزال عن موضعه .

(٣) في كلتا النسختين « الحية » ؛ وهو تحريف .

(٤) الخنزوانة : الكبير .

(٥) آيين السجم : عرفهم وعاداتهم ؛ وهي كلمة فارسية .



ونما وعلا وترأى ، وضائق الحيل عن تداركه وإصلاحه ، وصارت العامة مع جهلها ، تجدد قوة من خاصتها مع علمها ، فسكت الدماء ، واستبيح الحرم ، وشقت الفارات ، وخربت الديارات ، وكثر الجدال ، وطال القيل والقال ، وفشا الكذب والحال ، وأصبح طالب الحق حيران ، ومحبة السلامة مقصوداً بكل لسان وسنان ، وصار الناس أحزاباً في النحل والأديان ، فهذا نصيري<sup>(١)</sup> ، وهذا أشجعي<sup>(٢)</sup> ، وهذا جازودي<sup>(٣)</sup> ، وهذا قطعي<sup>(٤)</sup> ، وهذا جبائي<sup>(٥)</sup> ، وهذا أشعري<sup>(٦)</sup> ، وهذا خارجي<sup>(٧)</sup> ، وهذا قرمطي<sup>(٨)</sup> ، وهذا

(١) النصيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، كانوا يؤمنون علياً ، وكان منهم ناس في زمن علي ابن أبي طالب فخذلهم . وينسبون إلى رجل اسمه نصير .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في (١) وحدها ؛ ولم نجد الأشجعية فيما راجعناه من الكتب للمؤلفة في الفرق .

(٣) الجارودية : فرقة من الزيدية نسبت إلى أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نس على إمامة علي بالوصف دون الاسم ، وكفروا بالصحابة وتركهم بيعة علي .

(٤) القطعية ، ويقال لهم : الاثنا عشرية أيضاً ، وذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر ، وهؤلاء يسوقون الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، ويقطعون بعوت موسى ، يزعمون أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا .

(٥) الجبائية والأشعرية : فرقتان من التكلميين ، أولاهما تنسب إلى أبي علي الجبائي وكانت المعتزلة البصرية على مذهبه ، ثم انتقلوا بعده إلى مذهب أبي هاشم ابنه ، وسموا بعد اليهشية ، وثانيتهما تنسب إلى أبي الحسن الأشعري من أهل السنة .

(٦) الفعبيية : فرقة من الخوارج ينسبون إلى رجل منهم اسمه شعيب ، ويقولون في القدر والاستطاعة والمشيئة قول الخازمية ، وهو موافق لقول أهل السنة في ذلك .

(٧) القرامط والقرامطة : طائفة مشهورة من الزنادقة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وماني ، وكانوا يبيعون المحرمات ، وكان ابتداء أمرهم في سنة مائتين وثمان وسبعين . راجع عقد الجمان للعين في حوادث هذه السنة . ومن هذه الطائفة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، وهو الذي أظهر مذهبهم ، وكان دقاتاً ، فني عن بلده جتابة ، فخرج إلى البحرين وأقام بها تاجراً ، وجعل يستميل العرب بها ويدعوهم إلى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها ، وقتل سنة إحدى وثلاثمائة ، ثم ولي الأمر بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فكان من قتله حجاج بيت الله الحرام ، وانقطاع طريق مكة في أيامه =

راوندي<sup>(١)</sup> ، وهذا نجاري<sup>(٢)</sup> ، وهذا زعفراني<sup>(٣)</sup> ، وهذا قدري<sup>(٤)</sup> ، وهذا جبري<sup>(٥)</sup> ، وهذا لفظي<sup>(٦)</sup> ، وهذا مستدركي<sup>(٧)</sup> ، وهذا حارثي<sup>(٨)</sup> ، وهذا رافضي<sup>(٩)</sup> ، ومن لا يحصي عددها إلا الله الذي لا يُعجزه شيء ؛ لا جرم شمت اليهود والنصارى والمجوس بالمسلمين ، وعابوا وتكلموا ، ووجدوا أجراً وجصاصاً فبنوا ، وسمعوا فوق ما تمنوا [فرووا]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزداد الأمر إلا صعوبة ، ولا الناس إلا اتباع هوى ، حتى تقوم الساعة على شرار الناس » . وقال أيضاً : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء من أمّتي » .

== بسببه ، والتعدى في الحرم وانتهاك الكعبة ونقله الحجر الأسود إلى القطيف والأحساء من أرض البحرين ، ما قد اشتهر ذكره ، وقد بقي الحجر الأسود عندهم إحدى وعشرين سنة ، ثم رد بيدول بذلت لهم ، وقد استوفى الطبري وابن الأثير وغيرهما أخبار هذه الطائفة في كتبهم فارجع إليها ، وانظر مجمل البلدان في الكلام على « جنابة » بتشديد النون وتاج العروس « مادة جنب » .

(١) الراوندية هم أتباع الراوندي أبي الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق من أهل مرو سكن بخنداد وكان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم وترنق وألف في الرد عليهم ؛ ومات سنة ٢٩٨ .  
(٢) النجارية : أتباع الحسين بن محمد النجار ، وقد وافقوا أهل السنة في أصول ، والقدرية في أصول ، وانفردوا بأصول .

(٣) الزعفرانية : أتباع الزعفراني الذي كان بالري ، وهم فرقة من النجارية .  
(٤) القدرية : فرقة تنفي القدر عن الله عز وجل وتقول إن العبد مخير في أفعاله ، وليس للقدر دخل فيها .

(٥) الجبرية : فرقة تثبت القدر لله عز وجل وتقول : إن العبد مجبر على أفعاله ، وليس له اختيار فيها ، وإن أفعاله بمثابة الرعدة والرعدة .

(٦) كذا ورد هذا اللفظ في كلتا النسختين ؛ ولم نجد فرقة بهذا الاسم ؛ فلعله يريد بها الظاهرية الذين يأخذون بظاهر اللفظ .

(٧) المستدركة : فرقة من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ما خفي على أسلافهم .

(٨) الحارثية : فرقة من الإباضية ، ينسبون إلى حارث بن مزيد الإباضي ، وهم الذين قالوا في باب القدر يمثل قول المعتزلة . وزعموا أيضاً أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وكفّرهم سائر الإباضية في ذلك .



وقلتُ لأبن الجَلَاءِ الزاهدِ بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة : ما صفةُ هذا الغريب ؟ فقال لي : يا بُنَيَّ هو الذي يَفِرُّ من مدينةٍ إلى مدينةٍ ، ومن قَلَّةٍ إلى قَلَّةٍ ؛ [ومن بلدٍ إلى بلدٍ] ومن بَرٍّ إلى بحرٍ ، ومن بحرٍ إلى بَرٍّ ، حتى يَسْلَمَ ، وأنى له بالسلامة مع هذه النيران التي قد طافَتْ بالشرق والغرب ، وأتت على الحرث والنَّسل ، فَنَدِمَتْ<sup>(١)</sup> كُلُّ أُنْفُوهِ ، وَأَسْكَنْتْ كُلَّ نَاطِقٍ ، وَحَيَّرَتْ كُلَّ لَيْبٍ ، وَأَشْرَقَتْ كُلَّ شَارِبٍ ، وَأَمَرَّتْ عَلَى كُلِّ طَاعِمٍ ؛ وَإِنَّ الْفِكَرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَمُخْتَلِسٌ لِلْعَقْلِ<sup>(٢)</sup> وَكَارِثٌ<sup>(٣)</sup> لِلنَّفْسِ ، وَمُحْرِقٌ لِلْكَبِدِ .

فقال الوزير : والله إنه لكذلك ، وقد نالَ مِنِّي هذا الكلام ، وكَبُرَ عَلَيَّ هذا الخطبُ ، والله المستعان .

ونظرتُ إليه وقد دَعَتْ عَيْنُهُ وَرَقَّ فَوَادُهُ وهو — كما تعلم — كثيرُ التَّأَلُّهِ ، شديدُ التَّوَقُّي ، يصومُ الاثنين والخميس ، فإذا كان أولُ رجب أصبحَ صائماً إلى أولِ يومٍ مِنْ شوالٍ ، وما رأينا وزيراً على هذا الدَّأْبِ وبهذه العادة ، لا مناقفاً ولا مُخْلِصاً<sup>(٤)</sup> ، وقد قال الله تعالى : ( إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ) تَوَلَّاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْوِلَايَةِ ، وكفاه أَكْمَلَ الْكِفَايَةِ ، إنه قريبٌ مجيب .

فلَمَّا رَأَيْتُ دَمْعَتَهُ قُلْتُ : أيها الوزير ، رُوِيَ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، [ وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ] وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ » ،

(١) نَدِمَتْ ، من الندامة ، وهي العي .

(٢) في (١) : « الأمر » .

(٣) كَارِثٌ لِلنَّفْسِ : من كَرِثَ الغم إذا اشتد عليه .

(٤) في ١ : « ولا خاصاً » ؛ وهو تحريف .



فقال — أحسن الله توفيقه — : هو الهلاك إن لم يُنقذ الله بفضله ، ولم يتغمّد بعفوه ؛ لو غرقت في البحر كان<sup>(١)</sup> رجائي في الخلاص منه أقوى من رجائي في السلامة مما أنا فيه . قلت : إذا علم الله من ضميرك هذه العقيدة ألبسك ثوب عفوهِ ، وحلّك بشعار عافيتهِ وولائتِهِ ، وكفاك كيد أعدائك ، وعصب برءوسهم ما يريدونه بك (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

فقال : اجمع لي جزءاً من رقائق العباد وكلامهم اللطيف الحلو ، فإن مراميتهم شريفة ، وسرائرهم خالصة ، ومواعظهم رادعة ، وذاك — أظن — للدين الغالب عليهم ، والنال المؤثر فيهم ؛ فالصدق مقرون بمنطقهم ، والحق موصول بقصدهم ، ولست أجد هذا المعنى في كلام الفلاسفة ، وذاك — أظن أيضاً — لخوضهم في حديث الطبائع والأفلاك والآثار وأحداث الزمان . قلت : أفعل ، فكتبت تمام ما تقدّم به ، ثم كتبت بعد ورقات في حديث النساك .

(٤) قال عتبة بن المنذر السلمي : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى — عليه السلام — ؟ فقال : أكثرهما وأوفاهما ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن موسى — عليه السلام — لما أراد فراق شعيب أحرأمرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من نتاج غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما وضعت غنمه من قالب<sup>(٢)</sup> لون ذلك العام ، فلما وردت الخوض وقف موسى بإزاء الخوض فلم تصدّر منها شاة إلا ضرب جنبها بعصاه ، فوضعت قالب ألوان كلها ووضعت اثنتين أو ثلاثة كل شاة ، ليس فيهن فشوش<sup>(٣)</sup> »

(١) في (١) : « كاف » ؛ وهو تحريف .

(٢) شاة قالب لون : إذا كانت على غير لون أمها .

(٣) الفشوش : الشاة التي ينش لبنها من غير حب .

ولا ضُبوبٌ<sup>(١)</sup> ولا ثَعُولٌ<sup>(٢)</sup> ولا كَيْشَةٌ<sup>(٣)</sup> تَقُوتُ الكَفَّ<sup>(٤)</sup> فَإِنْ أَفْتَحْتُمْ الشَّامَ  
وَجَدْتُمْ بِهَا بَقَايَا مِنْهَا ، فَاتَّخِذُوهَا ، وَهِيَ السَّامِرِيَّةُ .

قال جعفرُ بنُ أبي طالبٍ للنَّجَاشِيِّ في حديثٍ : بعث الله [ تعالى ] رسولاً  
فينا نعرفُ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فدعانا إلى الله [ لنوحِّدَهُ ] موعِبِدَهُ ونُخْلَعُ مَا كُنَّا  
نَعْبُدُهُ ، وأمرنا بِصِدْقِ الحديثِ ، وأداء الأمانة ، وصلة الرَّحِمِ ، وحُسنِ الجوارِ ،  
والكفِّ عن المحارِمِ والدِّماءِ ، ونهانا عن الفواحشِ وقولِ الزُّورِ ، وأكلِ مالِ  
اليتيمِ ، وقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ .

وقال صاحبُ التاريخِ : وَلِدَتْ لعمر بن الخطَّابِ — رضوان الله عليه —  
أُمُّ كُلثُومُ بنتُ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ — عليه السلام — زَيْدًا ورُقِيَّةً ؛ وأُمُّ  
أُمِّ كُلثُومٍ فاطمة بنتُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

قال أنسُ بنُ مالكٍ : صَلَّى النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا  
تُوُفِّيَ أَفْرَادًا لَمْ يُؤْمَرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

ولَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ ، هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ،  
وهو شَيْبَةُ أَبُو الْحَارِثِ ، وذلك بعدَ القيلِ ثَمَانِ سِنِينَ ، وتُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ  
ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، كَانَتْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخُوهِ مِنْ بَنِي  
عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ تُزَيْرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى مَكَّةَ .

(١) في القاموس : الضُّبُوبُ : الدابة تبول وتعدو ؛ والشاة الضيقة الإحليل .

(٢) الثَعُولُ : الزائدة الأطباء ، وهي حلمات الضرع .

(٣) الكَيْشَةُ من الشياه : الصغيرة الضرع التي انكش ضرعها وتقلص .

(٤) في (١) : « بلون الكف » ؛ وهو تحريف . ووردت هذه الكلمة في

(ب) مطبوعة الحروف تنعذر قراءتها . وتقوت الكف ، أى لا يمكن القبضُ على ضرعها  
بالكف لصغره .

## الليلة الحادية والعشرون

(١) وسأل مرة عن المغنى إذا راسله<sup>(١)</sup> آخر لم يجب أن يكون الله وأطيب ، وأحلى وأعذب ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال في جواب هذه المطالب ما يمنع من اقتضاب قول وتكلف جواب ، ذكر أن السموع الواحد إنما هو بالحس الواحد ، وربما كان الحس الواحد أيضا غليظا أو كدرا ، فلا يكون لنيله<sup>(٢)</sup> اللذة به<sup>(٣)</sup> بسط ونشوة ولذادة<sup>(٤)</sup> ، وكذلك [السموع] ربما لم يكن في غاية الصفاء على تمام الأداء بالتقطيع [الذى هو نفس في الهواء ، فلا تكون أيضا إنالته للذة على التمام والوفاء ، فإذا نُتِيَ<sup>(٥)</sup> السموع — أعني توحد<sup>(٦)</sup> النعم بالنعم — قوى الحس المدرك ، فنال مسموعين بالصناعة ، ومسموعا واحدا بالطبيعة ؛ والحس لا يعشق المواحدة<sup>(٧)</sup> والمناسبة والاتفاق إلا بعد أن يجدها في المركب ، كما أن العقل لا يعشق إلا بعد أن ينالها في فضاء البسيط<sup>(٨)</sup> ؛ فكلما قوى الحس باستعماله ، ألبذ صاحبه بقوته حتى كأنه يسمع ما لم يسمع بحس أو أكثر ، وكما أن الحس إذا كان كليل [كان الذى يناله كليل] ، كذلك الحس إذا كان قويا كان ما يناله قويا .

(١) راسله آخر ، أى تابعه في غناؤه مساندة له .

(٢) في كلتا النسختين : « فلا يكون نيله للذة » ؛ وهو تحريف .

(٣) به أى بالسموع .

(٤) في كلتا النسختين : « وتسرو ولاية » ولا معنى لهاتين اللفظتين هنا ؛ فعمل صوابهما

ما أثبتناه أو ما يفيد معنيهما .

(٥) في كلتا النسختين : « فأذن الأنس السموع » ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ ولعل

صوابه ما أثبتناه أو ما يفيد معناه .

(٦) في كلتا النسختين : « توجد » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في (ب) « المواحدة » وفي (أ) « الواحدة » ؛ وهو خطأ في كليهما .

(٨) في (أ) « بقاء النشيط » ؛ وهو تحريف .



قال : هذا كله موهوبٌ للحسّ ، فما للعقل في ذلك ؟ فإنّا نرى العاقلَ (٢) تعتريه دهشةٌ وأزْيحيةٌ وأهتزاز .

قلت : قد أتى على مجموع هذا ومعرفته أبو سليمان في مذاكرته لأبن الحمار ، وذكر أن من شأن العقل الشكّون ، ومن شأن الحسّ التهيّج ، ولهذا يوصف العاقل بالوقار والسكينة ، ومن دونه يوصف بالطيش والعجرفة ، والإنسان ليس يجد العقل وجداناً فيلتذّ به ، وإنما يعرفه إمّا جملةً وإمّا تفصيلاً ؛ أغني جملةً بالرسم وتفصيلاً بالجدّ ، ومع ذلك يشتاق إلى العقل ، ويتمنى أن يناله ضرباً من النّيل ويجمّده نوعاً من الوجدان ، فلما أبرزت الطبيعة الموسيقى في عرض الصّناعة بالآلات المهيّأة ، وتحركت بالمناسبات التامة والأشكال المتفقة أيضاً ، حدث الاعتدال الذي يشعر بالعقل وطلوعه وأنكشافه وأنجلاؤه ، فبهر<sup>(١)</sup> الإحساس ، وبثّ الأيناس ، وشوّق إلى عالم الرّوح والنعم ، وإلى محلّ الشرف العميم ، وبعث على كسب الفضائل الحسّية والعقلية ، أعنى الشجاعة والجود والحلم والحكمة والصبر ، وهذه كلّها جماع الأسباب المكملّة للإنسان في عاجلته وآجلته ؛ وبالواجب ما كان ذلك كذلك ، لأن الفضائل لا تُقتنى إلا بالشّوق إليها ، والحرص عليها ، والطلب لها ؛ والشّوق والطلب والحرص لا تكون إلا بمشوّق وباعثٍ وداعٍ ، فلهذا برزت الأريحية والهزّة ، والشّوق والعزّة ؛ فالأريحية للرّوح ، والهزّة للنفس ، والشّوق للعقل ، والعزّة للإنسان . ومما يجب أن يُعلم أن السّمع والبصر أخصّ بالنفس من الإحساسات الباقية ، لأنهما خادما للنفس في السرّ والعلانية ، ومؤنساها في الخلوة ، وممدّاها في النّوم واليقظة ؛ وليست هذه الرتبة لشيء من الباقيات ، بل الباقيات آثارها في الجسد<sup>(٢)</sup> الذي هو مطيّة الإنسان ،

(١) في كلتا النسختين « فقهر » وهو تحريف .

(٢) في (١) « في الحد » ؛ وهو تحريف .

لكن الفرق بين السمع والبصر في أبواب كثيرة : أظنُّها أنَّ أشكال السموع مركَّبة في بسيط ، وأشكال البصر مبسوبة في مركَّب .

قلت : وقد حكيتُ هذا لأبي زكرياء الصَّيِّمِيَّ فَطَرِبَ وأرتاح وقال :  
ما أبعدَ نظرَ هذا الرجل ! وما أرقى لحظه ! وما أعزَّ جانبَه !

### الليلة الثانية والعشرون

(١) وقال لي مرَّة أخرى : إزوي لي شيئاً من كلام أبي الحسن العامريِّ ، فإني أرى أصحابنا يردُّونه ويذيلونه ، فلا يروُن له في هذه العُصبة قدَّما ، ولا يرفعون له في هذه الطائفة علماً .

قلت : كان الرجل لكزَّازته وغِلَظِ طباعه وجفاء خُلُقِه يُنفِّر من نفسه ، ويُغري الناس بعرضه ، فإذا طُلِبَ منه الفنُّ الذي قد خُصَّ به وطُوِّبَ بتحقيقه وُجِدَ على غاية الفضل .

فمن كلامه قوله : الطبيعة تتدرَّج في فِعلِها من الكلِّيات البسيطة ، إلى الجزئيات المركَّبة ، والعقل يتدرَّج من الجزئيات المركَّبة ، إلى البسائط الكلِّية ، والإحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني المركَّبة ، لِيَتَوَصَّلَ بتوسُّطِها إلى أُسْتِثْبَاتِها<sup>(١)</sup> ، والإحاطة بالمعاني المركَّبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني البسيطة لِيَتَوَصَّلَ بتوسُّطِها إلى تحقيق إثباتِها<sup>(٢)</sup> . وكما أنَّ القوَّة الحِسِّيَّة عاجزة بطباعها عن استخلاص البسائط الأوائل ، بل تحتاج معها إلى القوَّة العاقلة ،

(١) في (ب) « أسباب إثباتها » وفي (أ) « إثبات اثباتها » . وكلتا العبارتين غير ظاهرة المعنى ؛ فلعل الصواب ما أثبتنا .

(٢) في ب « ما يَنالها » وفي (أ) « مسابقتها » وهو تحريف في كليهما .

وإن قَوِيَتْ لصار العقلُ فضلاً — كذلك أيضاً القوةُ العاقلة لا تَقْوَى بذاتها على استثبات المركبات إلا من جهة القوة الحسّاسة ، ولو قَوِيَتْ عليه لصار الحسُّ فضلاً [ للعاقلة ] .

قال : هذا كلامٌ بارِعٌ من صَدْرٍ واسع ، وأحبُّ أن تزيدني من نَمَطِهِ . قلت : وقال أيضاً : الكلُّ مُفْتَقِرٌ إلى الجزئي لا لأن يصير بدَيُّومته محفوظاً [ بل لأن يصير بتوسطه موجوداً ، والجزئي مُفْتَقِرٌ إلى الكلِّ لا لأن يصير بتوسطه موجوداً ، بل لأن يصير بدَيُّومته محفوظاً ] .

وقال : الحالُ في جميع السُّبُل — أعني مَسالك الأشياء في تَكَوُّنِها <sup>(١)</sup> صناعيةٌ كانت أوتدبيريةٌ أوطبيعيةٌ أو اتفاقيةٌ — واحدة ، مثاله أن الإنسان وإن أَلْتَذَّ بالاسْتِنْبَانِ <sup>(٢)</sup> فلن يُعَدَّ موسيقاراً إلا إذا تحقّق بمبادئه الأولى التي هي الطّينيات وأنصاف الطّينيات ، وكذلك الإنسان وإن أُسْتَطَابَ الحُلُو فلن يسمّى حُلُوَانِيّاً إلا إذا عَرَفَ بسائطه وأسطُقُساته .

وقال : أَلَعَلَّ لا يحيط بالشئ إلا إذا عَرَفَ مبادئه القريبة والبعيدة والمتوسطة . وقال : نتوصّل إلى كُرِّيَّة القمر بما نراه من أختلاف أشكاله ، أعني أننا نراه في الدّورة الواحدة هلالياً مرّتين ومنصفاً مرّتين وبدراً مرّة واحدة ، وهذه الأشكال وإن كانت متقدّمة عندنا فإن كونه كُرِّيّاً هو المتقدّم بالذات . وقال : ما هو أكثر تركيباً للحسِّ أقوى على إثباته ، وما هو أقلُّ تركيباً

(١) في كلتا النسخين « بالتكون » ، بالباء ؛ والصواب ما أثبتنا كما يظهر لنا .

(٢) في كلتا النسخين « الاستنبان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلاً عن كتاب الألفاظ الفارسية المربّبة ، والدستنبان كلمة فارسية مركبة من كلمتين : دستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى . وأصل معناه النّفمة . وبان ، أي الذي يضرب به ؛ ويقال أيضاً دستانوان ، وهو مربّب الأول .



فالعقل أخلص إلى ذاته .

وقال : الأحداث — هي النوات الإبداعية — الوقوف على إثباتها يغني عن البحث عن ماهياتها .

وقال : كل معنى يوجد بوجوده غيره لا يرتفع بارتفاع ذلك الذي هو غيره ، بل يرتفع غيره بارتفاعه ، فإنه أقدم ذاتا من غيره ، مثاله الجنس لا يرتفع بارتفاع واحد من أنواعه ، والأنواع ترتفع بارتفاع الجنس ، وكذلك حال النوع مع الشخص ، فالجنس أقدم من النوع ، والنوع أقدم من الشخص ، وأعني بالجنس والنوع الطبيعيين لا المنطقيين .

وقال : معرفتنا أولا تتعلق بالأشخاص الجزئية ثم بتوسطها ثبتت الأجناس فإذا المتقدم بالذات غير المتقدم إلينا .

وقال : مسلك العقل في تعرف المعاني الطبيعية مقابل لمسلك الطبيعة في إيجادها ، لأن الطبيعة<sup>(١)</sup> تتدرج من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى البساطة الكلية .

قال أبو النضر نيس : إنما كان هذا هكذا لأن الطبيعة متناولة من العقل والعقل مُناول للطبيعة ، فوجب أن يختلف الأمران ، فإن قال قائل : فهلا تم الأمران معاً بواحدٍ منهما ، أعني الطبيعة أو العقل ؟ فالجواب أن أحدهما في العلو ، والآخر في السفلى ، فليس للعالى أن يهبط ، ولا للسافل أن يعلو ؛ فلما كان هذا محالاً توسط بينهما — أعني العالى والسافل — المتناول والتناول حتى اتصل الأول بالثاني ، وغصن الفضاء بينهما بضروب الأفراد والأزواج ، وانتظم

(١) قد سبق ما يفيد هذا المعنى في أول كلام أبي الحسن العامري فانظره .

الكل فلم يكن فيه خلل ، ولا دونه مأتى ، ولا وراءه متوهم .  
 وقال : الإنسان مركب من الأعضاء الآلية بمنزلة<sup>(١)</sup> الرأس واليدين  
 والرجلين وغيرها ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركب من الأعضاء المتشابهة  
 الأنواع بمنزلة<sup>(٢)</sup> اللحم والعظم والعصب والشريان ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء  
 مركب من الأخلاط الأربعة التي هي الدم والبلغم والمريتان ، ثم كل واحد من  
 هذه الأخلاط مركب من الأسطقسات الأربع التي هي النار والهواء ، والأرض  
 والماء ؛ ثم كل واحد من هذه الأسطقسات مركب من الهيولى والصورة .  
 وقال : كما أن لكل عضو قوة تخصه بتدبيرها ، كذلك لجميع البدن قوة  
 أخرى ضامنة لتدبيره .

قال : وقال الحكيم في كتاب « السماء »<sup>(٣)</sup> : علة الأنواع والأجناس ودوامها  
 هي الفلك المستقيم ، وعلة كون الأشخاص وتجدد حدوثها هي الفلك المائل ، فأما  
 الكلبيات المنطقية فإن طبيعتها هي القوة [ القياسية المستتبّة لها ] عند تكون<sup>(٤)</sup> الحس  
 على واحد منها . قال أبو النضر فليس : هذا حكم بالوهم ، ورأى خرج من الظن ؛  
 الفلك المستقيم والفلك المائل هما بنوع الوحدة ونسبة الاتفاق<sup>(٥)</sup> ، فليس لأحدهما  
 اختصاص بالأنواع والأجناس ، ولا بتجدد الأشخاص ، والدليل على هذا أن قائل<sup>(٦)</sup>  
 لو قلب قلبه ذلك لم يكن له عنه انفصال . والرأي زلات ، كما أن للسان فلتات ،

(١) يلاحظ أن تعبيره هنا بقوله « بمنزلة » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم غير مناسب كما لا يخفى . والصواب أن يقول في كلا الموضعين : « التي هي » الخ .

(٢) يعني كتاب « السماء والعالم » لأرسطو .

(٣) كذا في « ب » . والثنى في (١) « عند تكرار الحس » .

(٤) في (ب) : « الاختيار » .

(٥) في (١) : « أن فلانا ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين « لو قلت عليه ذلك » وهو تصحيف لا معنى له . وسياق الكلام

يقضى ما أبتناه .



والحكيم<sup>(١)</sup> هَفَوَات ، كما أَنَّ الجِوَادَ عَثَرَات ؛ وما أَكْثَرَ من يَسْكُرُ فيقول في سُكْرِه ما لا يَعْرِف ، وما أَكْثَرَ من يَفْرَقُ<sup>(٢)</sup> في النوم فيَهْذِي بما لا يَدْرِي ، ومن الذي حَقَّقَ عنده أَنَّ الفَلَكَ المستقيم هذا نَعْتُهُ ، والفَلَكَ المائلَ تلكَ صِفَتُهُ ؛ هذا توهُمٌ وتلفيقٌ ، لا يَرْجِعُ مُدَّعِيهِ إلى تحقيقٍ ، وقولُ أبي الحسن هذا عن الحكيم تقليدٌ ، كما أَنَّ دَعْوَى ذاكَ الحكيم توهُمٌ ، وَحَبَّةُ الرُّجَالِ للرُّجَالِ فتنةٌ حَامِلَةٌ على قبولِ الباطلِ ، وَبُغْضُ الرُّجَالِ للرُّجَالِ فتنةٌ حَامِلَةٌ على رَدِّ الحقِّ ؟ وهذا أمرٌ قد طَالَ منه الضَّجيجُ ، وفُزِعَ إلى الله منه بالتضرُّع .

قال أبو الحسن : الموجود له حقيقةٌ واحدةٌ لا تُدْرِكُ إِلَّا عَقْلاً ، وليس له مَبْدَأٌ ، ولو كان له مَبْدَأٌ لَشَارَكَهُ المَبْدَأُ في طبيعةِ الوجودِ ، وليس بمتحرِّكٍ لَأَنَّهُ لا مُقَابِلَ له فيتحرَّكُ إليه .

وقال أبو النضر نفيس : عَنَى بهذا الموجود الحقُّ الأوَّلُ الَّذِي هو عِلَّةُ العِلَلِ ، وهو الباريُّ الإلهُ ، وما أنصَفَ ، لَأَنَّهُ يجبُ أن يُقَسِّمَ الموجودَ بأقسامه ، ويَصِفَ مرتبةَ كلِّ موجودٍ على ما هي عليه وعلى ما هو به حتى ينتهي [ مِنْ ] هذا الموجود<sup>(٣)</sup> الأعلى إلى آخر الموجود الأسفل ، أو يَصِفَ الموجودَ الأسفلَ حتى يرتقي إلى هذا الموجود الأعلى ، فَإِنَّهُ لا شَيْءَ مِمَّا يَعْقِلُ وَيُحِسُّ إِلَّا وَلَهُ مِنْ هذا الوجودِ نصيبٌ به أَسْتَحَقُّ أن يكون موجوداً ، وإن كان ذلك النصيبُ قليلاً .

وقال : قد يوصفُ الشَّيْءُ بِأَنَّهُ واحدٌ بالمعنى وهو كثيرٌ بالأسماء ، ويوصفُ بِأَنَّهُ واحدٌ بالاسم وهو كثيرٌ بالمعنى ، ويوصفُ بِأَنَّهُ واحدٌ بالجنس وهو كثيرٌ بالأنواع ،

(١) كذا في ب والذي في (١) « وكما أن للحكيم » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « يعرف » ؛ وهو تصحيف .

(٣) عبارة (ب) : « حتى ينتهي من هذا الموجود إلى آخر الموجود الأعلى » ؛ وهي غير مستقيمة .



ويوصف بأنه واحد بالنوع وهو كثير بالشخص ، ويوصف بأنه واحد بالأتصال وهو كثير بالأجزاء ، وقد نقول في شيء : إنه واحد بالموضوع وهو كثير بالحدود ، كالنفّاحة الواحدة التي يوجد فيها اللون والطعم والرائحة ، وقد يكون واحداً في الحدّ وكثيراً في الموضوع ، كالبياض الذي يوجد في الثلج والقطن والإسفيداج ، وقد يكون كثيراً بالحدّ والموضوع كالعلم والحركة ، فإن موضوع هذا الجسم ، وموضوع ذلك النفس ، وحدّ أحدهما غير حدّ الآخر ، وقد يكون واحداً بالموضوع والحدّ بمنزلة السيف والصنم ؛ وقد نقول أشياء تكون واحدة بالفعل ، وهي بالقوة كثيرة ، كالسراج الواحد ؛ فأما أن يكون واحداً بالقوة وكثيراً بالفعل من وجه واحد ، فلا يكون ، بل من جهات مختلفة .

قال أبو النضر نفيس : الواحد الذي ينقسم فتشأ منه الكثرة غير الواحد الذي لا ينقسم ، والكثير الذي يتوحد حتى يكون واحداً غير الكثير الذي لا يتوحد ، فالواحد الذي لا ينقسم علة الواحد المنقسم ، والكثير الذي يتوحد هو علة الكثير الذي [ لا ] يتوحد ، وبالحكمة الإلهية ما كان هكذا حتى يكون الكثير الذي يتوحد في مقابلة الكثير الذي لا يتوحد ، والواحد الذي ينقسم في مقابلة الواحد الذي لا ينقسم ، وهذه المقابلة هي عبارة عن صورة التمام الحاصل للكل ، وليست هي عبارة عن صورة مزاجية لصورة ، أو كثرة غالبية لكثرة ، المستغاث بالله من قصور العبارة عن الغاية ، وتقاعس اللفظ عن المراد .

وقال (١) : يعجبني من جملة الحكم الأمثال التي يضربونها ، والعيون (٢) التي يستخرجونها ، والمعاني التي يقرّبونها . قلت : صدقت ، مثل قول فيلسوف :

(١) وقال ، أي الوزير .

البدن للنفس بمنزلة الدُّ كان للصانع ، والأعضاء بمنزلة الآلات ، فإذا أنكسرت آلات الصانع وخرب الدُّ كان وانهدم ، فإن الصانع لا يقدر على عمله الذي كان يعملهُ إلا أن يتخذ دُّ كانا آخر ، وآلاتٍ جُددًا آخر .

قال : أحب أن أسمع شيئاً من منشور كلامهم في فنون مختلفة .

قلت : قال فيلسوف : العاقل يضلُّ عقله عند محاوراة الأحمق . قال أبو سليمان : هذا صحيح ، ومثاله <sup>(١)</sup> أن العاقل إذا خاطب العاقل فهم وإن اختلفت مرتبتاهما في العقل ، فإنهما يرجعان إلى سنخ <sup>(٢)</sup> العقل ، وليس كذلك العاقل إذا خاطب الأحمق ، فإنهما ضدان ، والضد يهرب من الضد ؛ وقد قيل لأبي الهذيل العلاف — وكان متكلم زمانه — : إنك لتناظر النظام وتدور بينكما نوبات ، وأحسن <sup>(٣)</sup> أحوالنا إذا حضرنا أن ننصرف شاكين في القاطع منكما والمنقطع ، ونراك مع هذا يناظرُك زنجويه الحمال فيقطعك في ساعة . فقال : يا قوم إن النظام معي على جادة واحدة لا ينحرف أحدنا عنها إلا بقدر ما يراه صاحبه فيذكره أنحرافه ، ويحمّله على سننه فأمرنا يقرب ، وليس هكذا زنجويه الحمال فإنه يبتدىء معي بشيء ، ثم يطفر إلى شيء بلا واسطة ولا فاصلة ، وأبقى ، فيحكم على بالأقطاع ، وذلك لعجزى عن رده إلى سنن الطريق الذي فارقتني آنفاً فيه .

وقال فيلسوف آخر : العادات قاهرات ، فمن اعتاد شيئاً في السرّ فضحه

في العلانية .

(١) كان صواب العبارة أن يقول : « وذلك لأن العاقل » الخ ، إذ لا يخفى أن الكلام الآن تعليل لما سبق لا مثال .

(٢) سنخ العقل : أصله .

(٣) في كلتا النسختين « قال أحسن » الخ وقوله « قال » زيادة من الناسخ .



قال أبو سليمان : وهذا صحيح ، لأن حقيقة العادة في <sup>(١)</sup> الشيء المعهود عَوْدُهُ بعد عَوْدِهِ ، فهي — أعنى العادة — بالاستمرار الذي يتكرر من اعتاده ، والخلوة حال ، والعلانية حال ، والعادة بمجرياتها تهجم في الحالين ولا تفرق ؛ ولهذا ما قيل : العادة هي الطبيعة الثانية ؛ كأن الطبيعة عادة ، ولكنها الأولى بالجيلة <sup>(٢)</sup> ؛ والعادة طبيعة ولكنها الأخرى بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار .

وقال فيلسوف : ما أكثر من ظن أن الفقير هو الذي لا يملك شيئاً كثيراً وهذا فقير من جهة العرض ، فأما الفقير الطبيعي فالذي شهواته كثيرة وإن كان كثير المال ؛ كما أن الغني الطبيعي لا يحتاج إلى شيء وإن كان قليل المال ، أي الذي ملك نفسه وقمع شهواته وأخذ لهب إرادته ؛ وقد ظن قوم أن الذين منعوا من الشهوات ، ورَضُوا بالزهد في الذات ، خانوا الناس وحالوا بينهم وبين حظوظهم ، وحرَموهم ما هو لهم ، وصدَّوهم عن محبوباتهم ؛ وهذا ظن خطأ ، وأى مُراد في هذا للواعظين والزهادين ، والذين وصَّوْا وأشفقوا ، وردَّعوا عن الخوض في لذات النفوس الغضبية والبهيمية ؟ والله ما كان ذلك منهم إلا على طريق النصيحة والشفقة والإعذار والإنذار ، إلا أن يكون الذين ظنوا هذا إنما ظنوه لأنهم رأوا بعض الزهادين راغباً ، وبعض الناصحين غاشياً ، وبعض الآمرين مخالفًا ، وليس العمل على المحتال ، وعلى من آثر الغش في المقال ؛ ولكن المرجع إلى ما يدل عليه الحق ، ويشهد له العقل ، ويصح فيه البرهان ؛ أترى الفيلسوف غش في قوله لأصحابه : اقنعوا بالقوت ، وأنفوا عن أنفسكم الحاجة ، ليكون لكم قربة إلى الله ، لأن الله غير محتاج ، فكلما احتجتم أكثر كنتم

(١) في كلتا النسختين : « عن الشيء » .

(٢) في كلتا النسختين : « بالجملة » ؛ وهو تحريف .



منه أبعد ، وأهربوا من الشرِّ والإثم ، وأطلبوا من الخير أعمه وأعظمه ، وأبقاه وأدومه ؛ وأعرفوا الأبد ، وأطلبوا السَّرمَد ، فإنَّ مَنْ طَلَبَ الأَبَدَ ثُمَّ وَجَدَ بَقِيَ على الأبد ، وَمَنْ طَلَبَ الأَمَدَ ثُمَّ وَجَدَ فَنِيَ على الأمد .

الحاجةُ ذُلٌّ ، والغنى عِزٌّ ، والعِزُّ ضدُّ الذِّلَّةِ ؛ فمن طلب العِزَّ في العاجلة فقد طَلَبَ الذِّلَّةَ وهو لا يدري ، ومن طلب العِزَّ في الآجلة فقد وَجَدَ العِزَّ وهو يدري .

في الحكمة <sup>(١)</sup> أن يقال : اصبر على الذِّلَّةِ لِتَنالَ العِزَّ ، وليس في الحكمة أثبت على العِزِّ لِتَنالَ الذِّلَّةَ ، هذا معكوس .

### الليلة الثالثة والعشرون

(١) وكان الوزيرُ رَسَمَ بكتابة لَمَعَ من كلامِ الرُّسولِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَفَرَدَتْ ذَلِكَ في هذه الورقات ، وهي :

قال صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ الأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمُوَاسَاةُ الْآخَرِ مِنْ مَالِكَ ، وَشُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ » .

وقال الواقدي : لما غالَطَ خالدُ بنُ الوليد عبد الرحمن بن عوف قال النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — يا خالد : ذَرُوا لِي أَصْحَابِي ، لو كان لك أُحُدٌ ذهباً تنفقه قراريط في سبيل الله لم تُدْرِكَ غَدْوَةَ أَوْ رَوْحَةَ من عبد الرحمن .

وقال عليه السلام : « إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَبَشَّشَ <sup>(٢)</sup> اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ أَخْرَاهَا أَعْرَضَ عَنْهُ » .

(١) عبارة (ب) : « ويان الجملة أن يقال » .

(٢) التبشيش من الله تعالى : الرضا والإكرام .

وقال عليه السلام : « إنما فذك<sup>(١)</sup> طُعْمَةٌ أَطْعَمْنِيهَا اللهُ حَيَاتِي ، ثُمَّ هِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقال عليه السلام : « الْمُتَقَوِّمُ قَدْ يَأْتِمُّ وَلَا يَفْرَمُ » .

وقال عليه السلام في دعائه : « اللَّهُمَّ أَتَجَمَّعْ عَلَى الْهُدَى أَمْرَنَا ، وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا كَقُلُوبِ خِيَارِنَا ، وَأَهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ وَأُخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَمَعَاشِنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

وقيل له صلى الله عليه وسلم : إِنْ فَلَانَا أُسْتُشْهَدَ ، فَقَالَ : « كَلَّا ، إِنْ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ اشْتَعَلَتْ عَلَيْهِ نَارًا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطْلَعَ مِنْ صُبْرٍ<sup>(٢)</sup> بَابٍ فَقُقِشَتْ عَيْنُهُ فَهِيَ هَدَرٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يذبحُ شاةً : « أَرْهِفْ شَفْرَتَكَ ، فَإِذَا فَرَيْتَ فَأَرِخْ<sup>(٣)</sup> ذَبِيحَتَكَ ، وَدَعَهَا تَحْبُ وَتَشْخُبُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لِلدَّمِ وَأَحْلَى لِلْحِمِّ » .

وقال عليه السلام : « خَيْرُ النَّاسِ الْغَنِيُّ الْخَفِيُّ التَّقِيُّ » .

وقال : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ إِنْ مَاتَ فِي سَفَرِهِ كَانَ شَهِيدًا ، أَوْ فِي حَضَرِهِ كَانَ صَدِيقًا » .

(١) فذك : بلهجة بختيار .

(٢) صبر الباب وغيره بكسر الصاد وضمة : ناحيته وحرفته ؛ والذي في كلتا النسختين

« صبير » ولم نجد له معنى يناسب السياق .

(٣) في كلتا النسختين « فأرخ » ؛ وهو تحريف ؛ وما أثبتناه عن كتب الحديث .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ظهر المؤمن مشجبته ، وبطنه خزانته ، ورجله مطيئته ، وذخيرته ربه » .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ما نقص مال من صدقة ، فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله عزاً وجل عزاً وعفواً ، فاعفوا ؛ ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ، فاستعفوا » .  
وقال عليه السلام : « أجود الأعمال الجود في العسر ، والقصد في الغضب ، والعفو عند المقدرة » .

وقال عليه السلام : « إن بين مضرأعنى باب الجنة مسيرة مائة عام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » .

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول قوم من بني عامر يستأذنه في المرعى حول المدينة ؛ فقال عليه السلام : إنها ديار لا تضيق عن جارنا ، وإن تجارنا لا يظلم في ديارنا ، وقد ألبأتكم الآزمة<sup>(١)</sup> ، فنحن نأذن لكم في المرعى ونشرككم في المأوى ، على أن مترحنا<sup>(٢)</sup> كسرحكم ، وعانينا كعانيكم<sup>(٣)</sup> ، ولا تعينوا علينا بعد اليوم ؛ فقال : لنعين عدوا ما أقمنا في جوارك ، فإذا رحلنا فإنما هي العرب تطلب أثارها ، وتشفي ذحولها ؛ فقال عليه السلام : يا بني عامر ، أما علمتم أن اللؤم كل اللؤم أن تنحاشوا عند الفاقة ، وتثبوا عند العزة ، فقال : وأبيك إن ذلك للؤم ، ولن نبغيك غائلة بعد اليوم ، فقال : اللهم أشهد ، وأذن لهم .

وسئل صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيه الوحي ؟ فقال : « في مثل صلصلة الجرس ، ثم ينفصم » .

(١) الآزمة : الشدة . (٢) السرح : المال السائم .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين .



وقد روى ابن الكلبي عن أبيه عن ابن صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر، قال عليّ — عليه السلام — للمقداد : أعطني فرسك أركبه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت تقاتل راجلا خير منك فارسا . قال : فر كبه ووثر قوسه ورعى فأصاب أذن الفرس فصدمته ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسك على فيه ، فلما رأى عليّ ضحكك غضب فسل سيفه ، ثم شدّ على المشركين ، فقتل ثمانية قبل أن يرجع ، فقال عليّ — صلوات الله عليه — : لو أصابني شرٌّ من هذا كنت أهله حين يقول : «أنت تقاتل راجلا خير منك فارسا» ، فعصيته .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أمراً عرف الله وعبداه وطلب رضاه وخالف هواه لحقيق بأن يفوز بالرحمة » .

لما ورد محمد بن مسلمة على عمرو بن العاص من جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، صنع عمرو له طعاماً ودعاه إليه ، فأبى محمد ، فقال عمرو : أتحرم طعامي ؟ قال : لا ، ولكني لم أؤمر به . فقال عمرو : لعن الله زمانا عملنا فيه لابن الخطاب ، لقد رأيت وأباه وإنيهما لفي شملة ما توارى أرساغهما ، وإن العاصي بن وائل لفي مقطعات الديباج مززرة<sup>(١)</sup> بالذهب . فقال محمد : أمّا أبوك وأبو عمر ففي النار ، وأمّا أنت فلولا ما وليت لعمر لألفيتك معتقلاً<sup>(٢)</sup> عنزاً يسرك غزوها<sup>(٣)</sup> ويسوءك بكوها<sup>(٤)</sup> ، فقال عمرو : المجالس<sup>(٥)</sup> أمانة ، فقال محمد : أمّا ما دام عمر حياً فنعم .

(١) في بعض الروايات « مزورة » بالواو قبل الراء ، أي مزينة .

(٢) في العقد الفريد « معتقداً » .

(٣) كذا في العقد الفريد ج ١ يريد غزارة لبها . والذي في الأصل « غروها » ، وهو تحريف .

(٤) البكاء : قلة اللبن .

(٥) عبارة العقد الفريد « هي عندك بأمانة الله » .

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة — عليها السلام — يعودها من هلة ، فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكِ ؟ فقالت : قلةُ الطَّعم ، وشِدَّةُ السَّقم ، وكثرةُ الهم .

قال عبد الله بن مسعود : شرُّ الأمور محدثاتها ، وشرُّ الغنى غنى الإثم ، وخيرُ الغنى غنى النفس ، والخرُّ جماعُ الإثم ، والدنيا حباله الشيطان ، والشبابُ شُعبةٌ من الجنون .

قيل له : أتقول هذا من تلقائك ؟ قال : لا ، بل من تلقاء مَنْ فرضَ الله على طاعته .

وقال أبو ذرٍّ [ رحمه الله عليه ] : قال [ لى ] رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يا أبا ذرٍّ : إني أراك ضعيفا ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي ، لا تأمرنَّ على اثنين ، ولا تولين مالَ يتيم .

وقال أبو هريرة : عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ستحرصون على الإمارة ، وستكون حشرةٌ وندامةٌ يومَ القيامة ، فنعمت المُرْضعة ، وبئست الفاطمة .  
أبو أمامة يرفعه ، قال : ما من رجلٍ بلى أمر عشرة إلا يؤتى به يومَ القيامة مغلولاً أطلقه العدل ، أو أوثقه الجور .

قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : أمرتني يا رسول الله فأصيب<sup>(١)</sup> .  
قال عبد الله بن عمرو بن العاص : إن رجلاً جاء إلى النجاشي فقال له :

(١) كذا وردت هذه العبارة في كلتا النسختين ؛ ولا معنى لقوله هنا « فأصيب » كما أن في العبارة نكبا سقط من النسخ ؛ وقد رواها صاحب المقد الفريد كاملة في الجزء الأول ص ٢٤ طبع لجنة التأليف ، فذكر أن العباس رضى الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاية ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بعم ، نفس تحيها خير من ولاية لا تحصيها .

أَقْرَضَنِي أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ ، فَقَالَ : مَنْ الْكَفِيلُ بِكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ . فَأَعْطَاهُ  
الْأَلْفَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَجَلَ أَرَادَ الرَّدَّ ، فَخَبَسَتْهُ الرِّيحُ ، فَعَمِلَ تَابُوتًا وَجَعَلَ فِيهِ  
الْأَلْفَ وَغَلَّقَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَذْهَمْتَكَ ؛ فَخَرَجَ النَّجَاشِيُّ إِلَى  
الْبَحْرِ فَرَأَى سَوَادًا ؛ فَقَالَ : ائْتُونِي بِهِ . فَأَتَوْهُ بِالتَّابُوتِ ، فَفَتَحَهُ ، فَإِذَا فِيهِ  
الْأَلْفُ ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ جَمَعَ أَلْفًا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَطَابَتِ الرِّيحُ ، وَجَاءَ إِلَى النَّجَاشِيِّ  
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : لَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ فِيهَا .  
فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ ؛ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : فَقَدْ أَدَّى اللَّهُ عَنْكَ ، وَقَدْ بَلَغَتْ الْأَلْفُ  
فِي التَّابُوتِ ، فَأَمْسِكَ عَلَيْكَ أَلْفَكَ <sup>(١)</sup> .

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَجُلًا مَعَ آخَرٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ قَالَ : أَبِي .  
قَالَ : فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ ، وَلَا تَجْلِسَ قَبْلَهُ ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَسْتَسِيبَ <sup>(٢)</sup> لَهُ .  
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَأَتَتْ أُمُّهُ فَقَالَتْ :  
يَا جُرَيْجُ ، أَنَا أُمُّكَ ، كَلِّمْنِي ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي ؛ فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ،  
فَرَجَعَتْ ثُمَّ أَتَتْهُ ثَانِيَةً فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، كَلِّمْنِي ، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي فَقَالَ : اللَّهُمَّ  
أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْهُ فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنَّ  
هَذَا ابْنِي قَدْ عَنَّنِي فَلَمْ يَكَلِّمْنِي فَلَا تُعِثَّهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمَوِصَّاتِ ، وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ  
أَنْ يُفْتَنَ لُفِتَنَ ؛ قَالَ : وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دِيرِهِ ، فَخَرَجَتْ أَمْرَأَةٌ  
مِنَ الْقَرْيَةِ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي ، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقِيلَ لَهَا : تَمَنِّ هَذَا ؟  
فَقَالَتْ : مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِقُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ

(١) يلاحظ أن هذه القصة لا تدخل في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي  
عنون به المؤلف هذا الباب وكذلك بعض القصص الآتية بعد .

(٢) أي لا تعرّضه للسب بأن تسبّ أحداً بأية فيسبّ الآخر أباك .



فَبَسَرُوا بِهِ ، فَصَادَفُوهُ يَصَلِّي ، فَلَمْ يَكَلِّهِمْ ، فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دِيرَهُ ، فَذَكَرَ وَتَبَسَّمَ  
وَمَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ وَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ ؟ فَقَالَ : أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ . فَلَمَّا سَمِعَ  
الْقَوْمُ ذَلِكَ رَاعَهُمْ ، وَعَجِبُوا ، وَقَالُوا : نَحْنُ نَبْنِي لَكَ مَا هَدَمْنَا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .  
قَالَ : لَا ، أُعِيدُوهَا كَمَا كَانَتْ تُرَابًا ؛ ثُمَّ عَادَ .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : لَا يُحَافِظُ عَلَى سُبْحَةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ .

وَقَالَ أَيْضًا : لَيْسَ عَلَى سَارِقِ الْحَمَامِ قَطْعٌ .

وَقَالَ : إِذَا اخْتَرْتُمْ أَرْضًا فَلَا تَخْتَارُوا أَرْمِينِيَّةً ، فَإِنَّ فِيهَا قِطْعَةً مِنْ عَذَابِ  
اللَّهِ ، يَعْنِي الْبَرْذَ .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : وَيِلُّ لِلْعُرَفَاءِ ، وَيِلُّ لِلْأَمْنَاءِ ، لِيَتَمَنَّيْنَ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَلِّقِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَتَذَبَذَبُونَ مِنَ الثَّرَيَّا ، وَأَنَّهُمْ  
لَمْ يَلَوْا عَمَلًا .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ : « لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ،  
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْئَلَةٍ وَكِلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ  
أُعِنْتَ عَلَيْهَا » .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ  
رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَ ؛ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِهَا  
وَمَا وَلِيَتْ مِنْ زَوْجِهَا ، وَمَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ أَقَامَتْ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَتْ ؛ وَالْخَادِمُ  
مَسْئُولٌ عَنْ مَالِ سَيِّدِهِ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ أَمْ ضَيَّعَ » . هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عُثْبَةَ عَنْ  
نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ .

قَالَ عِيَاضُ الْأَشْعَرِيُّ : قَدِمَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمرَ وَمَعَهُ كَاتِبٌ لَهُ ، فَرَفَعَ

حِسَابَهُ ، فَأَعْجَبَ عَمْرُ . وجاء إلى عمر كتابٌ ، فقال لأبي موسى : أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس ؟ قال : إنه لا يَدْخُلُ المسجد . قال : لم ؟ أَجُنُبٌ هو ؟ قال : إنه نصراني . قال : فَأَتَهَرَّه ، وقال : لا تُدْنِهِمْ وقد أَقْصَاهُمُ اللهُ ، ولا تُكْرِمْهُمْ وقد أَهَانَهُمُ اللهُ ، ولا تَأْتُمْنَهُمْ وقد خَوَّنَهُمُ اللهُ .

قال عبدُ اللهِ بنُ نافع : جاء رجُلان من الأنصار إلى النبي — صلى اللهُ عليه وسلم — يختصمان في مَوَارِيثَ بينهما قد دَرَسَتْ ليس بينهما بَيِّنَةٌ ، فقال صلى اللهُ عليه وسلم : إنكم لتختصمون إلي وإِنَّمَا [أنا بشرٌ ، ولعلَّ بعضكم أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ من بعض ، وإِنَّمَا] أَقْضِي بينكم على مَحْوٍ ما أَسْمَعُ منكم ، فمن قَضَيْتُ له من حَقِّ أَخِيهِ شيئاً فلا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ له قِطْعَةً من نار ، يَأْتِي بها إِسْطَاطاً<sup>(١)</sup> في عُنُقِهِ يومَ القيامة . قال : فبكى الرَّجُلانِ ، وقال كلُّ واحدٍ منهما : حَقِّي لِأَخِي ؛ فقال صلى اللهُ عليه وسلم : أَمَّا إِذْ قُلْتُمَا هَذَا فَأَذْهَبَا فَاسْتَهِمَا ، وَتَوَخَّيَا الْحَقَّ ، وَلِيَحْلُلْ كُلُّ واحدٍ منكما صاحِبَهُ . وفي رواية أخرى : اذْهَبَا فَاصْطَلِحَا .

وروى أنُ عباس أن رسولَ اللهِ — صلى اللهُ عليه وسلم — كتب إلى النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ : سلامٌ عليكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيِّمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَكَتَبَ النَّجَاشِيُّ : إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشي أصحمة بن أبجر : سلامٌ عليك يا نبيَّ اللهِ مِنَ اللهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ .

وقال النبي صلى اللهُ عليه وسلم : «الْكَافِرُ خَبٌّ<sup>(٢)</sup> ضَبٌّ<sup>(٢)</sup> ، وَالْمُؤْمِنُ دَعِيبٌ لَعِيبٌ» . وقال رَجُلٌ للنبي — صلى اللهُ عليه وسلم — : اَعْدِلْ فَإِنَّكَ إِلَى الْآنَ

(١) الإسطاط : مسمار النار ، وهي الحديدية التي تسعر بها .

(٢) الخب : الخداع . والضب : الحقد ؛ يريد ذا حقد ؛ ووصفه بالمصدر .

لم تعدل . قال : وَيَلَاك ! إذا لم أعدل أنا فمن يعدل ؟ .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الْوَاجِدَ <sup>(١)</sup> يُبِيحُ ظَهْرَهُ وَعِرْضَهُ » .  
 وقال عمر : رَدِّدِ الْخُصُومَ كَيْ يَضْطَلِحُوا .  
 وقال عليه السلام : لَا تَخْلِفُوا بِأَيْمَانِكُمْ ، وَمَنْ خَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ  
 خَلَفَ لَهُ فَلْيَقْبَلْ .  
 وقال : مَنْ خَلَفَ يَمِينًا كَاذِبَةً يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ أَمْرِي مُسْلِمٍ لِقَى اللَّهَ  
 وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان .  
 وقال : مَنْ خَلَفَ يَمِينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ،  
 وَلْيُكْفَرْ عَنْ يَمِينِهِ .  
 وقال — عليه السلام — لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي تَحَرَّمَ .  
 حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِبِ الْقَاضِي عُثْبَةُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الرَّزْبَانِ  
 قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمِنْقَرِيُّ قَالَ : كَانَ شَرِيكُ  
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْكُوفَةِ ، فَقَضَى عَلَى وَكِيلٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ بِقَضَاءٍ  
 لَمْ يُوَافِقْ عَبْدَ اللَّهِ ، فَلَقِيَ شَرِيكًَا بِبَغْدَادَ ، فَقَالَ لَهُ : قَضَيْتَ عَلَى وَكِيلِي قَضَاءً  
 لَا يُوَافِقُ الْحَقَّ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ لَا تَنْكِرُ . قَالَ : قَدْ نَكِرْتُكَ أَشَدَّ  
 النَّكِيرِ . قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ . قَالَ : فَلَا كِبِيرَ وَلَا طَيْبَ . قَالَ : كَيْفَ  
 لَا تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ تَشْتُمُ الشَّيْخَيْنِ . قَالَ : مَنْ الشَّيْخَانِ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ .  
 قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَشْتُمُ [أَبَاكَ] وَهُوَ دُونَهُمَا ، فَكَيْفَ أَشْتُمُهُمَا وَهُمَا فَوْقِي وَأَنَا دُونَهُمَا ؟ .

(١) الواجد : ذو الوجد ، وهو الغضب . يريد أن الغضب ينسبه حفظ ما يجب عليه حفظه .



وقال عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُؤْتَى الدُّنْيَا وَيُوسَّعَ لَهُ فِيهَا وَهُوَ لِلَّهِ عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَأْتُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) . قَالَ ابْنُ الْأَنْبَرِيِّ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، مَعْنَاهُ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْعٍ هَلَكْتَهُ ، مَاخُذٌ مِنَ الدَّارِجِ ، وَهُوَ الْهَالِكُ ، يَقَالُ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ ، وَيُرَادُ بِدَرَجَ : هَلَكَ ؛ وَبَدَبَ : مَشَى .

وقال سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَزْنَمٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ أَمْنَاءٌ عَلَى خَلْقِهِ يَضُنُّ بِهِمْ عَلَى الْقَتْلِ يُعِيشُهُمْ فِي عَافِيَةٍ ، وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ » .

قال نَاشِرَةُ بْنُ سُمَيٍّ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ يَوْمَ الْجَابِيَةِ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ خَالَدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَمَرْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا أَسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْعَمْتَ سَيْفًا سَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَضَعْتَ لِيَاءَ شَدَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَشَابٌّ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ ، وَهَذَا الْقَائِلُ هُوَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ابْنِ عَمٍّ خَالِدٍ .

قال قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ الطَّرْقِ <sup>(١)</sup> وَالْعِيَانَةِ وَالْخَطِّ .

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ : صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ » .

قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو قَالَا : لَمَّا نَزَلَتْ : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) يريد بالطرق طرق الحصى وبالخط الخط في الرمل لاستطلاع الغيب كما هو معروف .

الأقربين) ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رَضْمَةِ<sup>(١)</sup> من جبل فعلاً أعلاها حجراً ، وقال : يا بني عبد مناف ، يا بني فهر ، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله ، وخشى أن يسبقوه إلى أهله ، فجعل يهتف و صبا حاه .

الثَّمان بنُ بَشِير وقبيصة قالا : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته ، ولكن الله إذا تجلَّى لشيءٍ من خلقه خَشَع » .

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امرأةً فماتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، ولم يُسَمِّ لها صداقاً ، فسُئِلَ ابنُ مَسْعُودٍ فقال : لها صداقٌ إحدَى نساءه ، لا وَكْسَ ولا شَطَطَ ، وعليها العِدَّةُ ، ولها الميراث . فقام أبو سِنان في رَهْطٍ مِنْ أَشْجَع ، فقالوا : لقد قضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بزوع بنتِ واشِقِ الأَشْجَعِيَّةِ .

عُقْبَةُ السُّلَمِيُّ قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إذا تباطأتِ المغازی وكثرتِ الغرائم وأستوثِرَ بالغنائمُ فخيرُ جهادِكُم الرِّباطُ » .

حَبِيبُ الْأَنْصَارِيِّ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبَ الناسَ يومَ حُنَيْنٍ فأحلَّ لهم ثلاثةَ أشياءَ [ كانَ نَهَاهُمْ عنها ، وَحَرَّمَ عليهم ثلاثةَ أشياءَ ] كانَ الناسُ يحلُّونها ، [ أَحَلَّ لهم<sup>(٢)</sup> ] أَكَلَ لحومِ الْأَضاحِي ، وَزِيَارَةَ القبورِ والأَوْعِيَةِ<sup>(٣)</sup> ، ونهَاهم عن بِياعِ الغَنَمِ حتَّى يُقْسَمَ ، ونهَاهم عن النِّسَاءِ مِنَ السَّبَايَا

(١) الرضمة : الصخرة العظيمة .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصول .

(٣) في الأصل : « والأدعية » ؛ وهو تحريف . ويريد بالأوعية أسقية النبيذ ، وذلك أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ، ولا تقربوا مسكراً » رواه مسلم .

أَلَا يُوطَّأَنَّ حَتَّى يَضَعَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ، وَنَهَاهُمْ أَلَّا تَبَاعَ ثَمَرَةٌ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا ، وَيُؤْمَنَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَاهَةِ .

وَهَبُ بْنُ حُذَيْفَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ .  
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ .  
قَالَ مَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ الْعَافِي : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ مَا يُقَدَّرُ يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ .

خَالِدُ بْنُ عَدِيٍّ الْجُهَنِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مِنْ بَلَّغَهُ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ سَاقِهِ اللَّهِ إِلَيْهِ .

رَافِعُ بْنُ مَكِيثٍ — أَخُو جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ — شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ قَالَ :  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « حُسْنُ الْمَلَكََةِ <sup>(١)</sup> نَمَاءٌ ، وَسُوءُ الْخَلْقِ شُوْمٌ ، وَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِئْتَةَ السُّوءِ ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ .  
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمُ زِينَةٍ كَيَوْمِ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ .

خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ <sup>(٢)</sup> — وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —  
قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى يَوْمًا إِلَى جِدَارٍ كَثِيرِ الْجِجَرَةِ إِنَّمَا ظَهَرَ  
أَوْ عَصْرًا ، فَلَمَّا صَلَّى خَرَجَتْ إِلَيْهِ عَقْرَبٌ فَلَدَغَتْهُ ؛ فَنَشِيَ عَلَيْهِ ، فَرَقَاهُ النَّاسُ  
فَأُفَاقَ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ شَفَانِي وَلَيْسَ بِرُفْقَتِكُمْ » .

قَالَ الْوَزِيرُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْمَجْلِسَ .

(١) حَسْنُ الْمَلَكََةِ ، أَيْ حَسَنُ صَحْبَةِ الْمَرْءِ لِمَنْ يَمْلِكُهُمْ مِنْ مَمَالِكِهِ وَمَوَالِيهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « ابْنُ الْأَزْرَقِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



## الليلة الرابعة والعشرون

(١)

وجرى حديث القيل ليلةً فأكثر من حضر وصفه بما لم يكن فيه فأنشد  
تُعَاد ، ولا غريبةٌ تُسْتَفَاد ؛ فحكيتُ : إن العلماء بطباع الحيوان ذكروا أن  
القيلة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية ، وتحت مدارِ بُرج الحمل ؛  
والزراعة لا تكون إلا في بلاد الحبشة ، والسمور وغزال السنك لا يكونان إلا  
في الصحاري الشرقية الشمالية ؛ وأما الصقور والنسور والبزاة وما شاكلها من الطير  
[فإنها] لا تُفْرِخ إلا في رموس الجبال الشاخنة [والعقاب<sup>(١)</sup>]. والنعام لا تُفْرِخ  
إلا في البراري والقنار والفوات] . والوطواط والطيطوي<sup>(٢)</sup> وأمثالهما من الطير  
لا تُفْرِخ إلا على سواحل البحار وشطوط الأنهار والبطائح والآجام ؛ والمصافير  
والقواخيت وما شاكلها من الطير لا تُفْرِخ إلا بين الأشجار والدحال<sup>(٣)</sup>  
والقرى والبساتين .

وحدث ابن الأعرابي عن هشام بن سالم — وكان مُسنِّناً من رَهْطِ ذِي  
الرَّثْمَةِ — قال : أَكَلْتُ حَيَّةً بَيْضَ مَكَاءَ<sup>(٤)</sup> فَجَعَلَ الْمَكَاءُ يُشْرِشِرُ<sup>(٥)</sup> عَلَى

(١) في ب التي قلت عنها هذه الزيادة وحدها : « والعطاف » . ولعل صوابه  
ما أثبتنا ، إذ لم نجد العطاف نياراجناه من كتب الحيوان . وفي « كتاب حياة الحيوان » أن  
من أنواع العقاب ما يأوي إلى الصحاري .

(٢) الطيطوي : طائر لا يفارق الآجام وكثرة المياه ، لأن هذا الطائر لا يأكل شيئاً  
من النبات ولا من اللحوم ، وإنما قوته مما يتولد في شاطئ النياض والآجام من دود التين .  
والقدي في (ب) : « والوطوي » ؛ والوطوي هي البيضاء ، وهو غير مراد هنا .

(٣) الدحال : جمع دحل ، وهو ثقب ضيق القم متسع الأسفل حتى يعفى فيه ؛ وربما  
نبت فيه السم .

(٤) المكاء : طائر أبيض يصفر ويصيح في الرياض .

(٥) يشرشر ، أي يرفرف ، كما ذكره النهرى في حياة الحيوان في الكلام على المكاء .

رأسها ويدنو منها ، حتى إذا فتحت فاهما تريده وهمت به ألقى في فيها حَسَكَةً ؛  
فأخذت بحلقها حتى ماتت .

وأنشد أبو عمرو الشَّيْبَانِي قولَ الأسدِي :

إن كنت أبصرتني قَلًّا<sup>(١)</sup> ومُضْطَلًّا فربما قتل المَكَّاهُ ثُعْبَانَا

فقال — حرسَ الله نفسه — من أين للحيوان غير الإنسان هذه القطة  
[ وهذه الفضيلة ] وهذه الجرأة وهذه الحيلة ؟ قلتُ : شيخنا أبو سليمان يقول  
في هذه الأيام — وقد جرى حديثُ الحيوان وعجائب أفاعيله — إن الإحساسات  
التي للحيوان على أصنافه لها غرضٌ عظيم ، وبذلك الغرض لها تفاوتٌ [ عظيم ]  
ظاهرٌ وخافٍ ، وأفعالٌ معهودة ونادرة ، ولها أخلاقٌ معروفة ، ومعارفٌ موصوفة ؛  
ولولا ذلك ما كان يقال : أصولٌ من جمل ، وأغدرٌ من ذئب ، وأروغٌ من  
ثعلب ، وأجبنٌ من صقر ، وأجمعٌ من ذرة<sup>(٢)</sup> ، وآلفٌ من كلب ، وأهدى من قطاة ،  
وأحذرٌ<sup>(٣)</sup> من عقق ، وأزهى من غراب ، وأظلم<sup>(٤)</sup> من حية . وأشدُّ عداوةً من  
عقرب . وأخبثٌ من قِرْد ، وأحقُّ من حُبَارَى ، وأكذبٌ من فاختة<sup>(٥)</sup> ،

(١) في (١) : « مذ أومضت ظلمًا » ، وهو تحريف . وفي (ب) : « قدا » ، وهو  
تحريف أيضًا ، إذ لم نجد من معاني القدا ما يناسب السياق . والقل من الناس : بضم القاف  
الفرد الذي لا أحده . والمضطلم : من الاضطلام ، وهو الاستئصال . فلمله يريد الذي استؤصلت  
أهله ونصراؤه وبقى فردا . (٢) الثر : النمل الأحمر الصغير .

(٣) الذي وجدناه في كتاب حياة الحيوان في الأمثال التي قبلت في العقق : ألص من  
عقق ، وأحق من عقق ؛ ولم نجد أنه قيل : أحذر من عقق كما هنا ؛ فلمل قوله  
« أحذر » بحرف عن أحق . والعقق : طائر على قدر الحمامة ، وهو على شكل الغراب ،  
وجناحه أكبر من جناحي الحمامة ، وهو طويل القنب .

(٤) يقال ذلك للحية لأنها تأتي الجحر الذي لم تحتفره بل حفره غيرها فتسكنه .

(٥) الفاختة : من الحمام ذوات الأطواق ، وتوصف بحسن الصوت ، ويصفونها بالكذب  
لأنهم يزعمون أنها تقول في صباحها : « هذا أوان الرطب » (بضم الراء) والنخل لم يطلع بعد . قال الشاعر :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب  
والطلع لم يبد لها : هنا أوان الرطب



والأم من كلب على جيفة ، وأعق<sup>(١)</sup> من ضب ، وأبر<sup>(٢)</sup> من هرة ، وأنقر من ظليم<sup>(٣)</sup> ، وأجراً من ليث ، وأحقد من فيل ؛ وعلى هذا .

قال : وكما أن بين آحاد نوع الإنسان تفاوتاً في الأخلاق ، كذلك بين آحاد نوع الحيوان تفاوت ؛ وكما أنه يزل بعض العقلاء فيركب ما لا يُظن بمثله لعقله ، كذلك يزل ويغلط بعض الحمقى فيأتي بما لا يحسب أن مثله يهتدى إليه ، فليس العقل بمحاذير على صاحبه أن يندر منه ما يكون من الحيوان ، وأصناف الحيوان من الناس وغير الناس تتقاسم هذه الأخلاق بضروب المزاج المختلفة في الأزمان المتباعدة ، والأماكن المتنازحة ، تقاسما محفوظ النسب بالطبيعة المستولية ، وإن كان ذلك التقاسم مجهول النسب للغموض الذي يغلب عليه ، وإذا عُرف هذا الشرح وما أشبهه مما يزيد وضوحاً ، زال التعجب الناشئ من جهل العلة وحقاء الأمر .

قال : ومن العجب أنا إذا قلنا : أروغ من ثعلب ، وأجبن من صقر ، وأحقد من فيل ، أن هذا الرّوغ وهذا الجبن وهذا الحقد في هذه الأصناف ليست لتكون<sup>(٤)</sup> عُدّة لها مع نوع الإنسان ، ولكن لتعاطى أيضاً بينها ، وتستعملها عند الحاجة إليها ؛ وكما يشبه إنساناً لأنه<sup>(٥)</sup> لصاً بالفأرة ، أو بالفيل لأنه حقود ، أو بالجمال لأنه صوّول ، كذلك يشبه كل ضرب من الحيوان في فعله وخلقه وما يظهر من سِنخه بأنه إنسان .

(١) يقال : أعق من ضب ، لما يقال من أن أثناء تأكل أولادها .

(٢) يقال هذا المثل لأنهم يزعمون أن المرة تأكل أولادها لشدة حبها لأم .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) في كلتا النسختين ليست تكون والسياق يقتضى زيادة اللام كما أثبتنا .

(٥) في الأصول « بأنه » ؛ وهو تحريف .



ويقال للبليد من الناس : كأنه حمار ؛ ويقال للذكي من الخيل : كأنه إنسان ؛ ولولا هذا التمازج في الأصل والجوهر ، والسِّنخ والعُنصر ، ما كان هذا التشابه في الفرع الظاهر ، والعادة الجارية بالخبر والنظر .

فقال<sup>(١)</sup> : هذا كلام لا مزيد عليه .

وقالت العلماء : إن هذا الاعتبار واصل في الحقيقة إلى جنس النبات ، فإن (٢) النخل والموز لا ينبتان إلا في البلدان الدفئة والأرض اللينة التربة ، والجوز والفستق وأمثالهما لا ينبتان إلا في البلدان الباردة [ والأرض ] الجبلية . والدُّلب وأم غيلان في الصحاري والقفار ؛ والقصب والصِّصاف على شطوط الأنهار . قالوا : وهكذا أيضاً وصف الجواهر المعدنية ، كالذهب ، فإنه لا يكون إلا في الأرض الرملية والجبال والاحجار الرخوة . والفضة والنحاس والحديد لا تكون إلا في الأرض الندية والتراب اللين والرطوبات الدهنية ، والأملاح لا تنعقد إلا في الأراضي [ والبقاع ] السبخة ، والجص والاسفيداج لا يكونان إلا في الأرض الرملية المختلطة ترابها بالحصى ، والزاج لا يكون إلا في التراب العفص ؛ وقد أحصى بعض من عني بهذا الشأن هذه الأنواع المعدنية فوجدها سبعة أنواع .

وقالوا : من الجواهر المعدنية ما هو صلب لا يذوب إلا بالنار الشديدة ، ولا يكسر إلا بالفأس كالياقوت والعقيق ؛ ومنها ترابي رخو لا يذوب ولكن ينفر ، كالمِلح والزاج ، والطلق<sup>(٣)</sup> ؛ ومنها مائي رطب ينفر<sup>(٤)</sup> من النار

(١) فقال ، أي الوزير .

(٢) الطلق : حجر براق يتشظى إذا دق يتخذ منه مضاي للجمامات بدلا من الزجاج ، ويحل بأن يجعل في خرقة مع حصوات ويدخل في الماء الفاتر ثم يحرك برفق حتى ينحل ويخرج من الخرقة في الماء ؛ ثم يعنى عنه الماء ، ويشمس ليجف .

(٣) في (١) يفر من النار .

كالزئبق، ومنها هوائى دُهْنى تأْكُلُه النار، كالْكَبْرِيت والزَّرْنِيخ؛ ومنها نباتى كالترجان، ومنها حيوانى كالذَّرَّ، ومنها طَلٌّ مُنْعَقِدٌ، كالعنبر والبادزهر، وذلك أَنَّ العنبر إِنَّمَا هُوَ طَلٌّ يَقَعُ عَلَى سَطْحِ مَاءِ الْبَحْرِ، ثُمَّ يَنْعَقِدُ فِي مَوَاضِعٍ مَخْصُوصَةٍ فِي زَمَانٍ مُقَدَّرٍ؛ وكذلك البادزهر<sup>(١)</sup>، فَإِنَّهُ طَلٌّ يَقَعُ عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ، ثُمَّ يَرَسَخُ فِي خَلَلِهَا، وَيَغِيبُ فِيهَا، وَيَنْعَقِدُ فِي بَقَاعٍ مَخْصُوصَةٍ، فِي زَمَانٍ مَعْلُومٍ، وَكَالْتَرَنْجِبِينَ الَّذِي هُوَ طَلٌّ يَقَعُ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ الشَّوْكِ؛ وكذلك اللَّكُّ فَإِنَّهُ يَقَعُ عَلَى نَبَاتٍ مَخْصُوصٍ يَنْعَقِدُ عَلَيْهِ؛ وكذلك الذَّرُّ فَإِنَّهُ طَلٌّ يَرَسَخُ فِي أَصْدَافِ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَانِ الْبَحْرِيِّ، ثُمَّ يَغْلُظُ وَيَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ فِيهِ؛ وكذلك الموميا، وهى طَلٌّ يَرَسَخُ فِي صَخُورٍ هُنَاكَ وَيَصِيرُ مَاءٌ ثُمَّ يَبْرُءُ مِنْ مَسَامٍ ضَيِّقَةٍ وَيَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ<sup>(٢)</sup>.

وَالطَّلُّ هُوَ رُطُوبَةٌ هَوَائِيَّةٌ تَجْمَدُ مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ، وَتَقَعُ عَلَى النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْحَجَرِ وَالصَّخْرِ؛ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ جَمِيعُ الْجَوَاهِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ، فَإِنْ مَادَتْهَا إِنَّمَا هِيَ رُطُوبَاتٌ مَائِيَّةٌ، وَأُنْدَاءٌ وَبُخَارَاتٌ تَنْعَقِدُ بِطُولِ الْوُقُوعِ وَمَرَّ الزَّمَانِ. وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ الْأَوَّلُونَ: هَاهُنَا طَبِيعَةٌ تَأْلَفُ طَبِيعَةً أُخْرَى، وَطَبِيعَةٌ تَلْزَقُ بِطَبِيعَةٍ أُخْرَى، وَطَبِيعَةٌ تَأْنَسُ بِطَبِيعَةٍ، وَطَبِيعَةٌ تَتَشَبَّهُ بِطَبِيعَةٍ، وَطَبِيعَةٌ

(١) الذى وجدناه في مفردات ابن اليطار أن البادزهر حجر ينفع من السموم، ومنه الأصفر والأغبر والمنكت والمغرب بخرصة وغير ذلك، ومعادنه ببلاد الصين والهند، ولم نجد أنه طل منعقد في بعض الأشجار كما ذكره المؤلف هنا.

(٢) ذكر ابن اليطار من أنواع الموميا هذا النوع الذى ذكره المؤلف، فذكر أن هذا الاسم يقال على حجارة تكون بعنماء اليمن سود، وفيها أدنى تجويف، وهى إلى الحفة تكسر فيوجد في ذلك التجويف شيء سيال أسود، وتقل هذه الحجارة إذا كسرت في الزيت فتذوب جميع ما فيها من تلك الرطوبة السوداء السيالة، كما ذكر أنواعا أخرى من الموميا فانظرها ثم.



تَقَهَّرُ طَبِيعَةٌ ، وَطَبِيعَةٌ تُتَخَبُّثُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تَطْيِبُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُفْسِدُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُعَصِّرُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُبَيِّضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تَهْرُبُ مِنْ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُبْفِضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُمَارِجُ طَبِيعَةً .

فَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَأْلَفُ طَبِيعَةً فَمِثْلُ الْمَاسِ فَإِنَّهُ إِذَا قَرُبَ مِنَ الذَّهَبِ لَزِقَ بِهِ وَأَمْسَكَهُ ، وَيُقَالُ : لَا يَوْجَدُ الْمَاسُ إِلَّا فِي مَعْدِنِ الذَّهَبِ فِي بَلَدٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الْمَغْنَاطِيسِ فِي الْحَدِيدِ ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ يَابِسَانِ صُلْبَانِ ، وَبَيْنَ طَبِيعَتَيْهِمَا أُلْفَةٌ ، فَإِذَا قَرُبَ الْحَدِيدُ مِنْ هَذَا الْحَجَرِ حَتَّى يَشْمَّ رَأْتَحَتَهُ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَالتَّصَقَّ بِهِ وَجَذَبَ الْحَدِيدَ إِلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَهُ كَمَا يَقَعُ الْعَاشِقُ بِالْمَعشُوقِ . وَكَذَلِكَ يَقَعُ الْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلْخَزَرِ<sup>(١)</sup> وَالْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلشَّعْرِ ، وَالْجَاذِبُ لِلثَّبَنِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ مَا مِنْ حَجَرٍ مِنْ أَحْجَارِ الْمَعْدِنِ إِلَّا وَبَيْنَ طَبِيعَتِهِ وَبَيْنَ طَبِيعَةٍ شَيْءٌ آخَرَ إِلَّا أَشْتِيَاقٌ ، عُرِفَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يُعْرَفْ ؛ وَمِثْلُ هَذَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الدَّوَاءِ وَالْعُضْوِ الْعَلِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ خَاصَّةِ كُلِّ عَضْوٍ عِلِيلٍ أَشْتِيَاقُهُ إِلَى طَبِيعَةِ الدَّوَاءِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ طَبِيعَةِ الْعِلَّةِ الَّتِي بِهِ ، فَإِذَا حَصَلَ الدَّوَاءُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ وَأَحْسَنَ بِهِ جَذَبَتْهُ الْقُوَّةُ الْجَاذِبَةُ إِلَى ذَلِكَ الْعُضْوِ وَأَمْسَكَتْ الْمَمْسِكَةُ وَأَسْتَعَانَتْ بِالْقُوَّةِ الْمُدَبِّرَةِ لَطَبِيعَةِ الدَّوَاءِ عَلَى دَفْعِ الطَّبِيعَةِ الْمُؤَلِّفَةِ لِلْعِلَّةِ وَقَوِيَّتِ عَلَيْهَا وَدَفَعَتْهَا عَنِ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ كَمَا يَسْتَعِينُ وَيُدْفَعُ الْمُحَارِبُ وَالْخَاصِمُ بِقُوَّةٍ مِنْ يُعِينُهُ عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ وَيُدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ؛ وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَقَهَّرُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ طَبِيعَةِ السَّنْبَادِجِ<sup>(٢)</sup> الَّتِي يَأْكُلُ الْأَحْجَارَ عِنْدَ الْحَكِّ

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلِينَ « لَعْمَر » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) السَّنْبَادِجُ حَجَرٌ يَجْلُو بِهِ الصِّبْغُ السِّبْغُ ، وَتَجْلِي بِهِ الْأَسْنَانُ ، هُوَ حَجَرٌ كَأَنَّهُ مَجْتَمِعٌ

مِنْ رَمْلِ خَشْنٍ .



أَكْثَلًا وَيُلِينُهَا وَيَجْعَلُهَا مَلْسَاءَ . ومثل طبيعة الأَسْرُبِ الوَسَخِ في الماسِ القَاهِرِ  
لسائر الأحجار الصُّلْبَةِ ، وذلك أَنَّ الماسَ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ مِنَ الأحجار ، وهو  
قَاهِرٌ لَهَا كُلِّهَا ، ولو تُرِكَ عَلَى السُّنْدَانِ وطُرِقَ بِالْمِطْرَقَةِ لَدَخَلَ فِي أَحَدِهَا وَلَمْ  
يَنْكَسِرْ ، وإنْ جَعَلَ بَيْنَ صَفِيحَتَيْنِ مِنْ أَسْرُبٍ <sup>(١)</sup> وَضُمَّتَا عَلَيْهِ تَفَقَّتْ ؛ وَمِثْلُ  
طبيعة الزُّبُقِ الطَّيَارِ الرُّطْبِ القَلِيلِ الصَّبْرِ عَلَى حَرَارَةِ النَّارِ ، إِذَا طُلِيَ بِهِ الأحجار  
المعدنية الصلبة مِثْلُ الذهبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ أَوْ هَنَأَ وَأَرْخَاها حَتَّى  
يُمْكِنُ أَنْ تُكْسَرَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ ؛ وَتَتَفَقَّتْ قِطْعًا .

وَمِثْلُ الكِبْرِيتِ الْمُتَيْنِ الرَّائِحَةِ الْمَسْوُودِ للأحجار النِّيْرَةِ الْبَرَّاقَةِ ، الْمَذْهِبِ  
لألوانها وَأَصْبَاغُهَا ، يُمْكِنُ النَّارَ مِنْهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ . وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ  
أَنَّ الكِبْرِيتَ رُطُوبَةٌ دُهْنِيَّةٌ لَزِجَةٌ جَامِدَةٌ ، فَإِذَا أَصَابَتْهُ حَرَارَةُ النَّارِ ذَابَ  
والتَزَقَ بِأَجْسَادِ الأحجار وَمَازَجَهَا ، فَإِذَا تَمَكَّنَتِ النَّارُ مِنْهَا احْتَرَقَ وَأُحْرِقَ مَعَهُ  
تِلْكَ الْأَجْسَادَ يَأْتُونَ كَانَتْ أَوْ ذَهَبًا أَوْ غَيْرَهَا .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَرَسُبُ <sup>(٢)</sup> فِي طَبِيعَةٍ أُخْرَى وَتُنِيرُهَا <sup>(٣)</sup> ، فَمِثْلُ النُّوْشَاذِرِ  
الَّذِي يَغُوصُ فِي قَعْرِ الْأَشْيَاءِ وَيَغْسِلُهَا مِنَ الْوَسَخِ .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تُعِينُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ الْبُورَقِ الَّذِي يُعِينُ النَّارَ عَلَى  
سَبْكِ هَذِهِ الْأَحْجَارِ الْمَعْدِنِيَّةِ الدَّائِبَةِ ، وَمِثْلُ الزَّاجَاتِ وَالشُّبُوبِ الَّتِي تَجَلُّوْهَا  
وَتُنِيرُهَا وَتَصْبُغُهَا ، وَمِثْلُ الْمَغْنِيسِيَا وَالْقَلِيِّ <sup>(٤)</sup> الْمُعِينَيْنِ عَلَى سَبْكِ الرَّمْلِ وَتَحْفِيفِيَّتِهِ

(١) الأَسْرُبُ : الرصاص الأسود .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « تَرَبُّ بِطَبِيعَةٍ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ  
الْكَلَامِ الْآتِي .

(٣) فِي ب « وَتُنِيرُهَا » . وَفِي (أ) « وَتُدِيرُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْقَلِيُّ وَيُقَالُ فِيهِ قَلِي كَالِي ، هُوَ شَبُّ الْعَصْفَرِ ، وَيَتَّخِذُ مِنْ حَرِيقِ الْحَمِضِ ، وَأَجُودُهُ  
الْمُتَّخِذُ مِنَ الْحَمِضِ ، وَهُوَ قَلِي الصَّبَاغَيْنِ وَبَقِيَّةُ أَنْوَاعِهِ تَسْتَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الزَّجَاجِ (ابن البيطار) .

حتى يكون منه زجاج ؛ وعلى هذا المثال جميع الأحجار المعدنية .  
النار هي الحاكمة بين الجواهر المعدنية بالحق .

ويقال : من أذمن الأكل والشرب في أواني النحاس أفسدت مزاجه ،  
وعرض له أمراض صعبة ، وإن أذنيته<sup>(١)</sup> أواني النحاس من السمك  
شمنت لها رائحة كريهة وإن كتبت آنية النحاس على سمك مشوي أو  
مطبوخ بحرارته حدث منه سم قاتل .

القلمى<sup>(٢)</sup> قريب من الفضة في لونه ، ولكن يخالفها في ثلاث صفات :  
الرائحة والرخاوة والصرير ، وهذه الآفات دخلت عليه وهو في معدنه كما تدخل  
الآفات على المغلوج وهو في بطن أمه ؛ فرخاوته لكثرة زيتيقه ، وصريره<sup>(٣)</sup>  
لغلظ كبريته .

ويقال : إن لون الياقوت الأصفر والذهب الإبريز ، ولون الزعفران وما  
شاكلها من الألوان المشرقة منسوبة إلى نور الشمس وبريق شعاعها ، وكذلك  
بياض الفضة والملح والبلور والقطن وما شاكله من ألوان النبات منسوبة إلى  
نور القمر وبريق شعاعه ؛ وعلى هذا المثال سائر الألوان .

وقال أصحاب النجوم : السواد لزحل ، والحُمْرة للمريخ ، والخضرة للمشتري ،  
والزُرْقَةُ للزُّهرة ، والصفرة للشمس ، والبياض للقمر ، والتلون لعطارد .  
ويقال : إن العلة الفاعلة للجواهر المعدنية هي الطبيعة ، والعلة الطينية

(١) في كلتا النسختين : « أدهنت » ؛ وهو تحريف .

(٢) القلمى ، هو الرصاص الجيد . وفي نسخة « القلى » ؛ وهو تحريف إذا أوصاف  
التي ذكرها المؤلف هنا لا تنطبق على القلى الذي سبق التعريف به في الحاشية رقم ٤ من صفحة  
١١٠ من هذا الجزء ، فانظرها ثم .

(٣) لعله : « ورائحته » إذ المعروف أن الكبريت سبب في الرائحة لافى الصرير .  
ويلاحظ أنه قد قص التعليل لواحد من الثلاثة المذكورة قبل .

الزُّبُقُ والكِبَرِيَّت ؛ والعِلَّةُ الصُّورِيَّةُ دَوْرَانُ الْأَفلاكِ وحركاتُ الكواكب  
حَوْلَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ ؛ والعِلَّةُ التَّامِّيَّةُ  
لِلنَّافِعِ الَّتِي يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ .

ويقال : إن الجواهر المعدنيَّة ثلاثة أنواع : منها ما يكون في التُّراب والطِّين  
وَالْأَرْضِ [ السَّيْخَةُ ، وَيَتِمُّ نَضْجُهُ فِي السَّنَةِ وَأَقْلَى كَالْكِبَارِيَّتِ وَالْأَمْلَاحِ  
وَالشُّبُوبِ وَالزَّاجَاتِ وَمَا شَابِهَهَا ] ؛ ومنها ما يكون في قَعْرِ الْبَحَارِ وَقَرَارِ الْمِيَاهِ ،  
وَلَا يَتِمُّ نَضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنَةِ [ أَوْ أَكْثَرَ ] كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ ، فَإِنَّ أَحَدَهُمَا نَبَاتٌ  
وَهُوَ الْمَرْجَانُ ، وَالْآخَرُ حَيَوَانٌ ، وَهُوَ الدَّرُّ .

ومنها ما يكون في وَسْطِ الْحَجَرِ وَكُهُوفِ الْجِبَالِ وَخَلَلِ الرَّمَالِ فَلَا يَتِمُّ  
نَضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنِينَ ، كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ وَمَا  
شَاكَلَهَا ؛ وَمِنْهَا مَا لَا يَتِمُّ نَضْجُهُ إِلَّا فِي عَشْرَاتِ السَّنِينَ ، كَالْيَاقُوتِ وَالزُّبُرْجَدِ  
وَالْعَقِيقِ وَمَا شَاكَلَهَا .

(٣) وَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ — وَهُوَ الرَّجُلُ الْقَدِيمُ الثَّقِيلُ — : إِنَّ الزَّارِعَ  
لَا يَزْرَعُ طَالِبًا لِلْعُشْبِ ، بَلْ قَصْدُهُ لِلْحَبِّ ، وَلَا بَدَّ لِلْعُشْبِ مِنْ أَنْ يَنْبُتَ إِنْ  
أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ ، فَلِمَ ذَلِكَ ؟ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ يَصْغَبُ الْمَقْصُودُ مَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، مِنْ  
حَيْثُ لَا يَتِمُّ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِمَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، وَالْعُشْبُ هُوَ فَضْلَاتُ الْحَبِّ ، وَبِهِ  
صِفَاءُ الْحَبِّ وَتَمَامُهُ ، وَلَوْلَا<sup>(١)</sup> الْقُوَّةُ الَّتِي تَصِفِّي الْحَبَّ وَتُصَوِّرُهُ بِصُورَتِهِ الْخَاصَّةِ  
بِهِ ، وَتَنْفِي كَدَرَهُ وَتُحْصِلُ<sup>(٢)</sup> صَفْوَهُ لَكَانَ الْعُشْبُ فِي بَدَنِ الْحَبِّ ، وَحِينَئِذٍ  
لَا يَكُونُ الْحَبُّ الْمُنتَفِعَ بِهِ الْخُصُوصُ بِأَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ بَعَيْنِهِ ، بَلْ يَكُونُ شَيْءٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَلَوْلَا أَنَّ الْقُوَّةَ » ، وَقَوْلُهُ : « أَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَحْضُرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



آخَرَ ؛ فَلَمَّا تَمَيَّزَتْ تِلْكَ الشَّوَابِبُ الَّتِي كَانَتْ مَلَابِسَةً لَهُ مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ  
وَأَثَارِ الْهَوَاءِ وَالنَّارِ ، خَلَصَ مُنْتَفِعًا بِهِ ، مَقْصُودًا بِعَيْنِهِ ، فَوَجَبَ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ أَنْ  
يَكُونَ الْحَبُّ بِالذَّاتِ ، وَالْعُشْبُ بِالْعَرَضِ .

فَقَالَ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ — هَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ الْفَرْقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ (١)  
فِي كَلَامِهَا ؟ وَهَلْ فِي لَفْظِهَا مِنْ نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى مَا بَيْنَهُمَا ، أَوْ هَا كَشَىءٍ  
وَاحِدٍ لِحِقَّةِ أُسْمَانِ ؟

فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْأَسْتِعْمَالَ يَخْلُطُ هَذَا بِهَذَا وَهَذِهِ بِهَذِهِ فِي مَوَاضِعَ  
كَثِيرَةٍ ، وَإِذَا جَاءَ الْاِعْتِبَارُ اِفْتَرَدَ (٢) أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ بِالْحَدِّ وَالْأَسْمِ ؛ وَعَلَى هَذَا  
اتَّفَقَ رَأْيُ الْحُكَمَاءِ ، لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا بِأَنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ لَطِيفٌ مُنْبَثٌّ فِي الْجَسَدِ  
عَلَى خَاصٍّ مَالِهِ فِيهِ (٣) فَأَمَّا النَّفْسُ النَّاطِقَةُ فَإِنَّهَا جَوْهَرٌ إِلَهِيٌّ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَسَدِ  
[ عَلَى خَاصٍّ مَالِهِ فِيهِ ] وَلَكِنَّهَا مَدْبُورَةٌ لِلْجَسَدِ ؛ وَلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا بِالرُّوحِ ،  
بَلْ بِالنَّفْسِ ، وَلَوْ كَانَ إِنْسَانًا بِالرُّوحِ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِمَارِ فَرْقٌ ، بِأَنَّ كَانَ  
لَهُ رُوحٌ وَلَكِنْ لَا نَفْسَ لَهُ . فَأَمَّا النَّفْسَانِ الْاُخْرَيَانِ اللَّتَانِ هُمَا الشَّهْوِيَّةُ وَالْغَضَبِيَّةُ  
فَإِنَّهُمَا أَشَدُّ اتِّصَالًا بِالرُّوحِ مِنْهُمَا بِالنَّفْسِ ، وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ تَدْبِرُهَا  
وَتَمُدُّهَا وَتَأْمُرُهَا وَتَنْهَاهَا ؛ فَهَذَا أَيْضًا يُوضِّحُ الْفَرْقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ، فَلَيْسَ  
كُلُّ ذِي رُوحٍ ذَا نَفْسٍ ، وَلَكِنْ كُلُّ ذِي نَفْسٍ ذُو رُوحٍ ؛ وَقَدْ وَجَدْنَا فِي  
كَلَامِ الْعَرَبِ مَعَ هَذَا الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ [ النَّابِغَةُ ] قَدْ قَالَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ :

وَأَسْكَنْتَ نَفْسِي بَعْدَ مَا طَارَ رُوحُهَا      وَأَلْبَسْتَنِي نَعْمَى وَلَسْتُ بِشَاهِدٍ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « قَرَّبَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ السِّيَاقُ .

(٢) فِي « ب » « مِنْهُ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « فِيهِ » .

وقال أبو الأسود :

لَعَمْرُكَ مَا حَشَاكَ اللَّهُ رُوحًا      بِهِ جَشَعٌ وَلَا نَفْسًا شَرِيرَةً

قال : هذا من الفوائد التي كنت أحن إليها ، وأستبعد الظفر بها ، وما أنفع المطارحة والمفاحة وبث الشك وأستراحة النفس ، فإن التغافل عما تمس إليه الحاجة سوء اختيار ، بل سوء توفيق .

وما أحسن ما قال بعض الجلة : تَوَانَيْتُ فِي أَوَانِ التَّعَلُّمِ عَنْ الْمَسْئَلَةِ عَنْ أَشْيَاءَ كَانَتْ الْحَاجَةُ تَحْفِزُ إِلَيْهَا وَالْكُسْلُ يَصُدُّ عَنْهَا ، فَلَمَّا كَبُرْتُ أُنِفْتُ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرَضْتُهَا عَلَى مَنْ عَلَّمَهَا عِنْدَهُ ، فَبَقِيَتْ الْجَهَالَةُ فِي نَفْسِي ، وَرَكَدَتْ الْوَحْشَةُ بَيْنَ قَلْبِي وَفِكْرِي .

ثم جرى في حديث النفس ذكر بعض العلماء فإنه قال : إِنَّ نَفْسَكَ هِيَ إِحْدَى الْأَنْفُسِ الْجُزْئِيَّةِ مِنَ النَّفْسِ الْكَلِّيَّةِ ، لَا هِيَ بَعِينُهَا ، وَلَا مُفَصَّلَةٌ عَنْهَا ، كَمَا أَنَّ جَسَدَكَ جُزْءٌ مِنْ جَسَدِ الْعَالَمِ لَا هُوَ كُلُّهُ وَلَا مُفَصَّلٌ عَنْهُ ؛ وَقَدْ مَرَّ مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ مَا فِيهِ إِضْاحٌ تَامٌّ وَأُسْتَبْصَارٌ وَاسِعٌ ، وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ فِي نَعْتِ النَّفْسِ لَا آخِرَ لَهُ ، وَلَا وَقُوفَ عَنْهُ .

ولو قال قائل : إِنَّ جَسَدَكَ هُوَ كُلُّ الْعَالَمِ لَمْ يَكُنْ مُبْطَلًا ، لِأَنَّهُ شَبِيهُ بِهِ ، وَمَسْلُوكٌ مِنْهُ ، وَبِحَقِّ الشَّبهِ يَحْكِيهِ ، وَبِحَقِّ الْأَنْسِلَالِ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ ؛ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ الْجُزْئِيَّةُ هِيَ النَّفْسُ الْكَلِّيَّةُ ، لِأَنَّهَا أَيْضًا مُشَاكِةٌ لَهَا ، وَمَوْجُودَةٌ بِهَا ، فَبِحَقِّ الشَّبهِ أَيْضًا نَحْكِي حَالَهَا <sup>(١)</sup> ، وَبِحَقِّ الْوُجُودِ تَبْقَى بَقَاءُهَا ، فَلَيْسَ بَيْنَ الْجَسَدِ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الْعَالَمِ ، وَالنَّفْسِ إِذَا قِيسَتْ بِالْأُخْرَى فَرَقٌ ، إِلَّا أَنَّ الْجَسَدَ مُعْجُونٌ

(١) في الأصل « تجد مالها » ولا معنى له ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

من الطينة، والنفس مدبرة بالقوة الإلهية؛ ولهذا أحتيج إلى الإحساس والمواد، وإلى الاقتباس<sup>(١)</sup> والألتباس حتى تكون مدة الحياة الحسية بالغة إلى آخرها من ناحية الجسد، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولاً بالأبد بعد الأبد.

نقال — أدام الله سعادته — لو كان ما يمر من هذه الفوائد الغرر والعرامى اللطاف مرسوماً بسوادٍ على بياض، ومقيّداً بنفطٍ وعبارة، لكان له ربع وإتاء، وزيادة ونماء.

فكان الجواب إن هذا غير متعذر ولا صعب إن نفس الله في البقاء، وصرف هذه المموم التي تُقسم الفكر بالعوارض التي لا تُحتسب، والأسباب التي لا تُعرف؛ فأما والأشغال على تكاثفها، والزمان على تلوثه فكيف يمكن ذلك؛ والعجب أنه يجري حرف من هذه الأمور الشريفة في هذه الأوقات الضيقة.

- ولقد قال أبو سليمان أمس: كيف نشاط الوزير — أدام الله سعادته — (٥) في شأنه، وكيف كان تقبله لرسالتي إليه، وتلطفني له، وخدمني لدولته؟ قلت: ما ثم شيء يحتاج إلى الزيادة من فهمٍ ودراية، وبيانٍ وأستبانه، وهشاشة ورفق، وإطلاعٍ وتأنٍ؛ ولكن الوقت مستوعبٌ بالتدبير والنظر، وكف العدو بالمداورة مرة، وبالإحسان مرة. فقال: الله يُبقي، ويرينا ما نُحبّه فيه.
- وقال أيضاً أبو سليمان: كيف لا يكون ما تقلده ثقيلاً، وما تصدّي له عظيماً، وما يباشره بلسانه وقلبه صعباً، والأولياء أعداء، والأعداء جهال، والحض عليه من ورائه شديد، ونصيحه غاشٍ، وثقته<sup>(٢)</sup> مُريب<sup>(٣)</sup>، والشغبُ

(١) في ب « وإلى القياس ». (٢) في (١) ونفيه؛ وهو تحريف.

(٣) في كلتا النسختين « قريب »؛ وهو تحريف.



مَتَّصِلٌ ، وَطَلَبُ الْمَالِ <sup>(١)</sup> لَا آخِرَ لَهُ ، وَالْمُصْطَنَعُ مُسْتَزِيدٌ ، وَالْمَحْرُومُ سَاخِطٌ ، وَالْمَالُ مَمْرُوقٌ ، وَالتَّجْدِيفُ <sup>(٢)</sup> مِنَ الطَّالِبِ وَاقِعٌ ، وَالتَّحَكُّمُ بِالْإِذْلَالِ دَائِمٌ ، وَالْأَسْتِقَالَةُ مِنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ زَائِدَةٌ ، وَالْكَلَامُ لَيْسَ يَنْفَعُ ، وَالتَّدْبِيرُ لَيْسَ يَقْمَعُ ؛ وَالْوَعْدُ هَبَاءٌ مَنثورٌ ، وَالْأَصْلُ مَقْطُوعٌ مَبْتُورٌ ؛ وَالسِّرُّ مَكْشُوفٌ ، وَالْعِلَانِيَةُ فَاضِحَةٌ ؛ وَقَدْ رَكِبَ كُلُّ هَوَاهُ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِكْرٌ فِي عُقْبَاهُ ؛ وَأَخْتَلَطَ الْمُبْرَمُ <sup>(٣)</sup> بِالسَّحِيلِ ، وَضَاقَ عَلَى السَّالِكِ كُلُّ سَبِيلٍ ؛ وَمَنَابِعُ الْفَسَادِ وَمَنَابِتُ التَّخْلِيطِ كُلُّهَا مِنَ الْحَاشِيَةِ [ الَّتِي ] لَا تَعْرِفُ نِظَامَ الدَّوْلَةِ وَلَا أَسْتِقَامَةَ الْمَمْلَكَةِ ؟ وَإِنَّمَا سُؤْلُهُ <sup>(٤)</sup> تَعَجُّيلُ حَظٍّ وَإِنْ كَانَ نَزْرًا ، وَأَسْتِلَابُ دِرْهَمٍ وَإِنْ كَانَ زَيْفًا ، وَلَعَمْرِي لَيْسَ يَكُونُ الْكَدَرُ إِلَّا بَعْدَ الصَّفْوِ ، كَمَا لَا يَكُونُ الصَّفْوُ إِلَّا بَعْدَ الْكَدَرِ ، هَكَذَا اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ ، وَالنُّورُ وَالظُّلَامُ ، هَذَا يَخْلُفُ هَذَا ، وَهَذَا يَتْلُو هَذَا .

قال : أغنى بهذا أنه لما فَقِدَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — بِالْأَمْسِ حَدَثَ هَذَا كُلُّهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ زَمَّ وَخَطَمَ ، وَجَبَّرَ وَخَطَمَ ، وَأَسَا وَجَرَحَ ، وَمَنَعَ وَمَنَحَ ؛ وَأَوْرَدَ وَأَصْدَرَ ، وَأَظْهَرَ وَسَتَرَ ، وَمَسَّهَلَ وَوَعَّرَ ، وَوَعَدَ وَتَوَعَّدَ ، وَأَنْحَسَ وَأَسْعَدَ ، وَوَهَبَ زَمَانَهُ وَحَيَاتَهُ لِهَذَا ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لِدَنَتِهِ فِيهِ ، وَغَايَتَهُ إِلَيْهِ ، وَأَشْتَهَى أَنْ يَطِيرَ صَيْتُهُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيَسْمَعَ مَلُوكُهَا بِفِطْنَتِهِ وَحَزْمِهِ ، وَتَصْمِيمِهِ وَعَزْمِهِ ، وَجِدَّةِ وَتَشْمِيرِهِ ، وَرِضَاهُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا ، وَسُخْطِهِ فِي وَقْتِ السُّخْطِ ، وَرَفْعِهِ لِمَنْ يَرْفَعُهُ بِالْحَقِّ ، وَوَضْعِهِ لِمَنْ يَضَعُهُ بِالْوَاجِبِ ؛ يُجْرَى الْأُمُورُ بِسُنَنِ الدِّينِ مَا أَسْتَجَابَتْ ، فَإِنْ عَصَتْ أَخَذَ بِأَحْكَامِ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ الدُّنْيَا ، وَلَمَّا كَانَتْ

(١) في كلتا النسختين : « المجال » .

(٢) في كلتا النسختين : « والتحرير » ؛ وهو تحريف . والتجديف : الكفران بالنعمة .

(٣) البرم : الذي أحكم قتله . والسحيل : ضده .

(٤) في كلتا النسختين : « نولها » ، وهو تحريف .

الأمر متلبسة بالدين والدنيا لم يَجُزْ للعاقل الحَصيف ، والمُدبِّر اللطيف أن يُفعل التدبير فيها من ناحية الدين فحسب ، ولا من ناحية الدنيا فقط ، لأن دائرة الدين إلهية ، ودائرة الدنيا حسية ، وفي الإحساس أحقاد لا بد من إطفاء نائرتها ، وصنائع لا بد من تربيتها ، وموضوعات لا بد من إشالتها<sup>(١)</sup> ومرفوعات لا بد من إزالتها ؛ وتدبيرات لا بد من إخفائها<sup>(٢)</sup> ، وأحوال لا بد من إبدائها ، ومقامات لا بد من الصبر على عوارض ما فيها ، وأمر هي مسطورة في كتب السياسات للحُكماء لا بد من عرفانها والعمل بها والمصير إليها ، والزيادة عليها ؛ فليس الخبر كالعيان ، ولا الشاهد كالفأب ، ولا المظنون كالمستيقن .

ثم قال : — أعني أبا سليمان — وهذا كله منوط بالتوفيق والتأييد اللذين إذا نزلا من السماء وأتصلا بتمفرق السائس تضامنت أحواله على الصلاح ، وانتشرت على النجاح ؛ وكُفي كثيراً من مهمومه ؛ ثم دعا للوزير بالبقاء المديد ، والعيش الرغيد والجَد السعيد ؛ وأمن الحاضرون على ذلك ، وكانوا جماعاً غفيراً ، لا فائدة في ذكر أسمائهم والإشارة إلى أعيانهم ؛ وكلهم لما سمعوا هذا الكلام الشريف عجبوا منه ، وعوذوه وسألوه أن ينظم لهم رسالة في السياسة ؛ فقال : قد رسمت شيئاً منذ زمان ، وقد شاع وفشا ، وكتب وحمل في جملة الهدية إلى قابوس بجر جان ، فهذا — أيها الشيخ — نطأ أبي سليمان وأنت عنه مشغول ، قد رَضيت بترك النظر في أمره ، وبذل الجاه له فيما عاد بشأنه ، والله ما هذا لسوء عهدك فيه ، ولا لحيلولة نيتك [ عنه ] ؛ ولكن لقلّة حظّ منك وإنحاء الزمان على كل من يجرى مجراه ، مع عوز مثله في عصره ؛ وكيف تُتهم بسوء اعتقاد

(١) في كلتا النسختين : « أساليها » ؛ وهو تحريف ، وإشالة المعنى : رفعه .

(٢) في كلتا النسختين : « من اجفائها » ؛ وهو تصحيف .



وَقِلَّةَ حِفَاظٍ ، وَتَوَانٍ عَنِ رِعَايَةِ عَهْدٍ ، وَقِيَامٍ بِحَقِّ ، وَأَنْتَ مِنْ فَرَقِكَ إِلَى قَدَمِكَ  
فَضْلٌ وَخَيْرٌ وَجُودٌ وَتَجَدُّ وَإِحْسَانٌ وَكَرَمٌ وَمَعُونَةٌ وَرَفْدٌ وَإِنْعَامٌ وَتَقَفُّدٌ وَتَعَهُدٌ  
وَبَذَلٌ وَعُرْفٌ ؛ وَلَوْ كَانَ أَمْرُؤٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْنُوعِ لَكُنْتَهُ [ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ  
الرُّوحِ الصَّوْفِ لَكُنْتَهُ ] ؛ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الضِّيَاءِ الْحَيْطِ لَكُنْتَهُ ؛ فَسُبْحَانَ  
مَنْ خَلَقَكَ صِرْفًا بِلا مَزَاجٍ ، وَصَفَوًا بِلا كَدَرٍ ، وَوَاحِدًا بِلا ثَنٍ ، لَقَدْ نَفَرَ<sup>(١)</sup>  
بِكَ الشَّرْقُ عَلَى الْغَرْبِ ، وَسَلَّمَتْ لَكَ بِلا خُصُومَةٍ وَلا شَنْبٍ ، فَأَدَامَ اللَّهُ لَكَ مَا آتَاكَ  
وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ لَدُنْهِ مَا يُنَوِّرُ مَسْعَاكَ ؛ وَبَلَّغَكَ السَّعَادَةَ الْعَظْمَى فِي عُقْبَاكَ ،  
كَمَا بَلَّغَكَ السَّعَادَةَ الصَّغْرَى فِي دُنْيَاكَ .

(٦) أَعْرِضْ أَيُّهَا الشَّيْخُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَا تَرَى ، وَالْكَلَامُ ذُو جَيْشَانٍ ،  
وَالصَّدْرُ ذُو غَلْيَانٍ ، وَالْقَلَمُ ذُو نَفْيَانٍ<sup>(٢)</sup> وَمَتَدَفَّقُهُ لَا يُسْتَطَاعُ رَدُّهُ ؛ وَمُنْبَعِثُهُ  
لَا يُقَدَّرُ [ عَلَى ] تَسْهِيلِهِ ، وَخَطْبُهُ غَرِيبٌ ، وَشَأْنُهُ عَجِيبٌ ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ دِقَّةَ  
وَجِلَّةٍ مَنْ يَذُوقُ حُلُوهَ وَمُرَّهَ ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ ، فَإِنِّي أَذْكُرُكَ أَمْرِي لَتَلَحَّظَهُ بَعِينَ  
الرَّعَايَةِ ، وَأَعْرِضْ عَلَيْكَ حَدِيثِي لَتَحَفَظَهُ فِي صَحِيفَةِ الْعَنَاءِ ؛ فَلَقَدْ أَمْسَيْتُ بَيْنَ  
صَدِيقٍ يَشُقُّ عَلَيَّ حُزْنُهُ لِي ، وَبَيْنَ عَدُوٍّ تَسْوِيْنِي شِمَاتُهُ بِي ؛ وَقَدْ صَحَّحْتُ عِنْدِي أَنَّ  
إِقْبَالَكَ عَلَيَّ يُسْرُ ، كَمَا أَنَّ إِعْرَاضَكَ عَنِّي عُسْرٌ ، وَأَرْجِعُ إِلَى تَمَامِ هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ  
وَإِنَّهُ أُخْرَى<sup>(٣)</sup> .

(٧) وَأَمَّا حَدِيثُ الزُّهَادِ وَأَصْحَابِ النُّسْكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ بِأَفْرَادٍ جُزْءٍ فِيهِ ،

(١) فِي (ب) «تَحْرِيكَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَوَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ فِي (أ) مَطْمُوسِ الْحُرُوفِ ؛  
وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ .

(٢) النَّفْيَانُ : مَنْ نَفَتِ السَّحَابَةُ الْمَاءَ إِذَا نَعَتَهُ . أَوْ مَنْ نَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ إِذَا أَطَارَتْهُ .  
وَفِي (أ) «نَفْيَانٌ» ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَفِي (ب) «رَمْيَانٌ» .

(٣) فِي «ب» وَابْتِدَاءُ آخَرٍ .



وقد أثبتته في هذا الموضع ، ولم أحب أن أعزله عن مجلته ، فإن فيه تنبيها حسنا ، وإرشادا مقبولا ، وكما قصدنا بالهزل الذي أفردنا فيه جزءا جامعا للنفس قصدنا بهذا الجزء الذي عطفنا عليه إصلاحا للنفس وتهذيبا للخلق ، واقتداء بمن سبق إلى الخير واتباعا لمن قصد النصح ؛ وشرف الإنسان موقوف على أن يكون فاتحا لباب من أبواب الخير على نفسه وعلى غيره ، فإن لم يكن ذلك فلا أقل [ من أن يكون ] مقتفيا لأثر من كان فاتحا قبله ؛ ومن تقاعس عن هذين الأمرين فهو الخاسر الذي جهل قيمة نفسه ، وضل عن غاية حياته ، وحرم التوفيق في إصابته رشده ؛ والله المستعان .

قال ابن مسعود : لو عرفت البهائم ما عرقت<sup>(١)</sup> ما أكلتم سمينا .  
وقال أبو هريرة : اللهم إني أسألك قلبا قارًا ، ورزقا دارًا ، وعَمَلًا سارًا .  
وقال بعض السلف : اللهم إني أسألك قلبا شاكرا ، ولسانا ذا كرا ، وبدوًا صابرا .

وقال صالح بن مسمار : لا أدرى أنعمته عليّ فيما بسط لي أفضل ، أم نعمته فيما زوى عني ، لأنه فيما بسط لي أحياني ، وفيما زوى عني سماني ، نظر لي بما يزيد على نظري لنفسي ، وآتاني من عنده أكثر مما عندي .

وقال الله عز وجل — لموسى — عليه السلام : حببني إلى عبادي .  
قال : وكيف أحببك ؟ قال : ذكركم آلائي ونعمائي .

وقال شداد بن حكيم لبعض الواعظين : أي شيء تقول إذا جلست على المنبر ؟ قال : أذكركم آلاء الله ليشكروا ، وأذكركم جفائهم ليتوبوا ، وأخبرهم عن إبليس وأعدائه حتى يحذروا .

(١) في رواية : « ما عرقت من الموت ما أكلتم منها سمينا » .

وقال بعضُ الصَّالحينَ : مَثَلُ الدُّنْيَا ونعيمِها كخابيةٍ فيها سُمٌّ وعلى رأسِها عَسَلٌ ، فمن رَغِبَ في العَسَلِ سَقِيَ من السُّمِّ ، ومَثَلُ شِدَّةِ الدُّنْيَا كمثلِ خابيةٍ مملوءةٍ من العسلِ وعلى رأسِها قَطَرَاتٌ من سُمٍّ ، فمن صَبَرَ على أَكْلِها بَلَغَ إلى العسلِ .

جاء رجلٌ إلى حاتمِ الزَّاهدِ بنِ نَمِيمَةٍ ، فقال : يا هذا أَبْطَأْتَ عَنِّي وَجِئْتَ بِثَلَاثِ جَنَائِي ؛ بَغَضْتَ إلىَّ الحبيبَ ، وشَغَلْتَ قَلْبِي الفارغَ ، وَأَغْلَقْتَ نَفْسَكَ التَّهْمَةَ ، وَأَنْتَ آمِنٌ .

وكان خالدُ بنُ صَفْوَانَ يقولُ : قَبُولُ قولِ النَّامِ شَرٌّ من النِّمَةِ ، لأنَّ النِّمَةَ دَلَالَةٌ ، والقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وليس من دَلَّ على شيءٍ كَمَنْ قَبِلَ وَأَجَازَ .  
وقال ابنُ السَّيِّدِ الواعظُ : يُدْرِكُ النِّمَامُ بَنَمِيمَتِهِ ما لا يُدْرِكُ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ .

وقال معمرُ : ما نَزَلْتُ بِعَبْدٍ نَازِلَةٌ فَكان مَفْرَعُهُ إلى اللَّهِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ .  
وقال عمرُ : ما أَسْأَلُ اللَّهَ الرِّزْقَ وقد فَرَّغَ مِنْهُ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُهُ أَنْ يُبَارِكَ لِي فِيهِ .

وقال مالكُ بنُ دِينَارٍ : الجُلُوسُ مع الكَلْبِ خَيْرٌ من الجُلُوسِ مع رَفيقٍ سَوٍ .  
وقال أبو هُرَيْرَةَ : تَهَادَوْا عِبَادَ اللَّهِ يَتَجَدَّدَ في قُلُوبِكُمُ الْوُدُّ ، وَتَذْهَبَ السَّخِيمَةُ .  
وقال حاتمُ : صَاحِبُ الضَّغْنِ غَيْرُ ذِي دِينٍ ، وَالغَائِبُ <sup>(١)</sup> غَيْرُ ذِي عِبَادَةٍ .  
وَالنِّمَامُ غَيْرُ صَدُوقٍ ، وَالْحَاسِدُ غَيْرُ مَنصُورٍ .

وقال بعضُ السَّلَفِ : مَنْ أَسْتَقَصَى عِيوبَ النَّاسِ بَقِيَ بِلا أَصْدِقَاءَ .  
وقال مُحَمَّدُ بنُ وَاسِعٍ : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مع الْمَرْأَةِ كما يَكُونُ أَهْلُ

(١) يريد بالغائب من يفتاب الناس .

المجنون مع المجنون ، يَحْتَمِلُونَ [منه] كُلَّ أَذَى وَمَكْرُوه .  
 قيل لمالك بن دينار [ لو تزوجت ؛ قال : ] <sup>(١)</sup> لو أَسْتَطَعْتُ لَطَلَّقْتُ  
 نَفْسِي .

قال شقيق : اشتريتُ بطيخةً لأُمِّي ، فلما ذاقْتُهَا سَخَطْتُ . فقالت : يا أُمِّي ،  
 على من تَرُدُّينَ القَضَاءَ وَمَنْ تَلُومِينَ ، أَحَارِثُهَا أَمْ مُشْتَرِيهَا أَمْ خَالِقُهَا ؟ فَأَمَّا حَارِثُهَا  
 وَمُشْتَرِيهَا فَمَا لَهَا ذَنْبٌ ، فَلَا أَرَاكِ تَلُومِينَ إِلَّا خَالِقَهَا .

ويقال : إِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَاولَهُ مَوْلَاهُ [ شَيْئًا يَأْكُلُهُ ] ، وقال : أُعْطِنِي  
 قِطْعَةً مِنْهُ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا أَكَلَهُ وَجَدَهُ مُرًّا ، فقال : يا غلام ، كَيْفَ أَكَلْتَ هَذَا  
 مَعَ شِدَّةِ مَرَارَتِهِ . قال : يا مولاي ، قَدْ أَكَلْتُ مِنْ يَدِكَ حُلُومًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أَحِبَّ  
 أَنْ أُرِيكَ مِنْ نَفْسِي كَرَاهَةً لَمَرَارَتِهِ .

وأوحى اللهُ تعالى إلى عُزَيْرٍ : إِذَا نَزَلَتْ بِكَ بَلِيَّةٌ لَا تَشْكُنِي إِلَى خَلْقِي  
 كَمَا لَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلَائِكَتِي عِنْدَ صُعودِ مَسَافِرِكَ إِلَيَّ ، وَإِذَا أَذْنَبْتَ ذَنْبًا فَلَا  
 تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِهِ ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ مِنْ أَهْدِيَّتِهِ <sup>(٢)</sup> إِلَيْهِ .

وقال لُثَمَانُ : إِنَّ الذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِالنَّارِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَرَّبُ بِالْبَلَاءِ .  
 وقال بعضُ السَّلَفِ : عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ( وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ )  
 وقال : ( إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) . وقال : ( أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ  
 الْغُرُوثَ بِمَا صَبَرُوا ) . وقال : ( اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ) . وقال : ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
 بِمَا صَبَرْتُمْ ) .

(١) هذه التكملة أو ما يفيد معناها ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضي إلتئامها .

(٢) من أهديته إليه ، يريد الله سبحانه وتعالى . وعبارة الأصل : « من أهداه إليك » ؛

وفيهما تعريف ظاهر .



وقال الأوزاعي : المؤمن يُقِلُّ الكلامَ وَيُكثِرُ العملَ . والمُنافِقُ يُكثِرُ الكلامَ وَيُقِلُّ العملَ .

وقال فضيل بن عياض : الخَوْفُ ما دامَ الرجلُ صحيحاً أفضلَ ، فإذا نزل الموتُ فالرجاءُ أفضلُ .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — إِيَّاكُمْ وَالْحِيَانَةَ ، فَإِنَّهَا بَنَسَتْ الْبِطَانَةَ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ لَفَتْحِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

ورَوَى مَنْ وَفَى شَرٌّ لَقَلَقِهِ وَتَقَبُّبِهِ وَذَبَذَبِهِ فَقَدْ وَفَى شَرُّهُ الشَّبَابُ (١) .  
وقيل لأبن المبارك : إِنَّكَ لَتَحْفَظُ نَفْسَكَ مِنَ الْغَيْبَةِ . قال : لو كنتُ مُغْتَاباً أَحَدًا لَأَغْتَبْتُ وَالِدِي ، لَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي .

وقال بعضُ الصَّالحِينَ : لو أَنَّ رَجُلًا تَعَشَّى بِأَلْوَانِ الطَّعَامِ وَقَدْ أَصَابَ مِنَ النِّسَاءِ فِي اللَّيْلِ ، وَرَجُلًا آخَرَ رَأَى رُؤْيَا عَلَى مِثَالِ مَا أَصَابَ الْأَوَّلُ فِي الْيَقَظَةِ ، فَإِذَا مَضَى صَارَ الْحَالِمُ وَالْآخِرُ سَوَاءً .

وقال شقيق : مَنْ أَبْصَرَ ثَوَابَ الشَّدَّةِ لَمْ يَتَمَنَّ الْخُرُوجَ مِنْهَا .  
وقال شقيق لأصحابه : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ، أَنْ يَكُونَ لَكُمْ شَيْءٌ عَلَى الْعِلْيَاءِ ، أَوْ يَكُونَ شَيْءٌ لِلْعِلْيَاءِ عَلَيْكُمْ ؟ فقالوا : بَلْ (٢) نَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَلَى الْعِلْيَاءِ . فقال : إِذَا كُنْتُمْ فِي الشَّدَّةِ يَكُونُ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ ؛ وَإِذَا كُنْتُمْ فِي النِّعْمَةِ يَكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .  
وقال بعضُ السَّلَفِ : شَتَانِ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ : عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَوْؤَنَتُهُ وَيَبْقَى ذُخْرُهُ .

(١) القلق : اللسان . والقيقب : البطن ، والذئب : معروف .

(٢) في كلتا النسختين « بلا » ؛ وهو تحريف .

وقال الرقاشي في مواعظه : خذوا الذهب من الحجر ، واللؤلؤ من المزبلة .  
وقال يحيى بن معاذ : العلم قبل العمل ، والعقل قائد الخسر ، والهوى  
مرّ كب المعاصي ، والمال داء المتكبر .

وقال : من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان ، ومن تعلم النحو  
والعربية دله بين الصبيان ، ومن علم علم الزهاد بلغ إلى العرش .

وقال بعض الصالحين : إن العلماء يسقون الناس ، فبعضهم من الغدران  
والحياض ، وبعضهم من العيون والقلوب ، وبعضهم من البحار الواسعة .

وقال حاتم : لا تنظر إلى من قال ، ولكن أنظر إلى ما قال .

وقال مالك بن دينار : إني لا أقدر أن أعمل بجميع ما أقول .

وقال وهيب بن الورد : مثل عالم الشيء كمثل الحبر يقع في الساقية فلا هو  
يشرب الماء ، ولا يخلّ عن الماء فيذهب إلى الشجرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا نأمن غير الدجال أخوف عليكم . قيل :  
ومن هو ؟ قال : الأئمة المضلون .

وقال الثوري : نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة القائد الجاهل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون في أمتي علماء فساق ، وقرّاء جهال » .

وقال الثوري : العلم طيب الدين ، والمال دأوه ، فإذا رأيت الطيب يجر  
الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره .

وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعمى ضوء الشمس وهو لا يبصرها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس حسرة يوم القيامة عالم علم

الناس ونجوا به ، وأرتهن هو بسوء عمله » .

وقال أحمد بن حَرْب : إن منازل الدنيا لا تُقَطَّع بالكلام ، فكيف يُقَطَّع طريقُ الآخرة بالكلام .

وقال أبو مسلم الخولاني : العلماء ثلاثة : رجلٌ عاشَ بِعِلْمِهِ وعاشَ به الناسُ ، ورجلٌ عاشَ بِعِلْمِهِ ولمْ يَعِشْ به الناسُ ، ورجلٌ عاشَ بِعِلْمِهِ الناسُ وهلك هو .  
وشاورَ رجلٌ محمد بن أسلم فقال : إني أريدُ أن أزوجَ بنتي ، فبِمَنْ أزوجُ ؟ قال : لا تزوجها عالمًا مفتونًا ، ولا كاسِبًا<sup>(١)</sup> كاذبًا ، ولا عابدًا شاكًا .

قيل<sup>(٢)</sup> : نصَّح إبليسُ فقال : إِيَّاكَ والكِبَرُ ، فَإِنِّي تَكَبَّرْتُ فَلُعِنْتُ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ فَإِن أَبَاكَ حَرَصَ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَإِن أَحَدَ بَنِي آدَمَ قَتَلَ أَخَاهُ بِالْحَسَدِ .

ومرَّ حاتمٌ بِقَوْمٍ يَكْتُبُونَ الْعِلْمَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وقال : إن يكن معكم ثلاثةُ أشياءَ لَن تَفْلِحُوا . قالوا : وما هي ؟ قال : هَمٌّ أَمْسٍ ، وَأَعْتَامٌ<sup>(٣)</sup> اليوم ، وَخَوْفُ الْعَدِ .

وقال ابنُ عمر : كان في بني إسرائيل ثلاثةٌ خرجوا في وَجْهِ ، فَأَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فدخلوا كهفًا ، فوقع حجرٌ عظيمٌ على باب الكهف ، وبقوا في الظلمة وقالوا : لا ينجينا إلا ما عملناه في الرخاء . فقال أحدهم : إني كنتُ راعيًا فأرحتُ وحلَّبتُ ، وكان لي أبوان وأولاد وامرأةٌ فسقيتُ أولًا الوالدين ثم الأولاد ، فحُتَّتْ يومًا فوجدتُ أبويَّ قد ناما فلم أوقظهما لحرمتيهما ولم أسقي<sup>(٤)</sup> الأولاد ،

(١) هذه الكلمة لم يرد منها في كلا الأصلين غير سين وباء وألف وحرفين مطموسين في أولها ، ولعل الصواب فيها ما أثبتنا .

(٢) ورد في كلا الأصلين « قيل النصيح من إبليس قال إبليس » ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا .

(٣) في الأصول : « واغتنام » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٤) في ( ١ ) : « أفق » ؛ وهو تحريف .



وبقيت قائماً إلى الصبح ؛ فإن كنت يا ربّ قَبِلْتَ هذا مِنِّي فأجعل لنا فرجاً ،  
فتحرّك الحَجَرُ ودخل عليهم الضَّوء .

وقال الثاني : إني كنتُ صاحبَ ضياعٍ ، فجاءني رجل بعد ما مَتَعَ النهار ،  
وكان لي أَجْرٌ يَحْصِدُونَ الزرع ، فاستأجرته ، فلما تم عملهم أعطيتهم أجورهم ، فلما  
بلغتُ إلى ذلك الرجل أعطيتُه وافيّاً كما أعطيتُ غيره ، فغضبوا وقالوا : تعطيه  
مِثْلَ ما أعطيتنا . فأخذتُ تلك الأجرة واشتريتُ بها عَجَولاً<sup>(١)</sup> ونمى حتى كثرَ  
البقر ؛ فجاء صاحب الأجرة يطلبُ فقلتُ : هذه البقرُ كُلُّها لك ، فسَلَّمْتُها إليه ،  
فإن كنت يا ربّ قَبِلْتَ مِنِّي هذا الوفاء ففرِّجْ عنا . فتحرّك الحَجَرُ ودخل منه  
ضوءٌ كثير .

وقال الثالث : كانت لي بنتٌ عمّ فراودتها ، فأبَتْ ، حتى أعطيتها مائة دينار  
فلما أردتُ ما أردتُ اضطربتُ وارتعدت . فقلتُ لها : مالكِ ؟ فقالت : إني أخافُ  
الله . فتركها ورجعتُ عنها ، إلهي فإن كنت قَبِلْتَ ذلك مِنِّي ففرِّجْ عنا . فتحرّك  
الحَجَرُ وسقطَ عن باب الكهف وخرجوا منه يمشون .

وقال حاتم : لو أدخِلت السوقَ شِياءَ كثيرةً لما اشتري أحدٌ المَهْزُولَ ،  
بل يَقْصِدُ السَّمِينَ للذَّبْحِ .

وقال يحيى بن معاذ : في القلب عيونٌ يهيجُ منها الخيرُ والشرُّ .

وقال بعض الصالحين في دعائه : اللهم إنَّ أَحَدَنَا لا يشاءُ حتى تشاءُ ، فأجعل  
مِثْلَتَكَ لي أن تشاءَ ما يُقَرِّبُنِي إليك ؛ اللهم إنك قدَّزْتَ حرَكاتِ العبدِ ، فلا  
يتحرّك شيءٌ إلا بإذنِكَ ، فأجعل حرَكاتي في هواك .

(١) العَجُولُ والمَجَلُ واحد .

وقال قاسم بن محمد<sup>(١)</sup> : لَأَنْ يَعْيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ .  
وقال الشعبي : لم يكن مجلسٌ أحبَّ إليَّ من هذا المجلس ، ولأنَّ أبعدَ<sup>(٢)</sup> اليومَ عن بساطه أحبُّ إليَّ من أن أُحبَسَ فيه .

وقال حاتم : إذا رأيتَ من أخيك عيبًا فإن كتمته عليه فقد خنته ، وإن قُلتَه لغيره فقد أغتبتَه ، وإن واجهته به فقد أوحشتَه ؛ قيل له : كيف أصنع ؟ قال : تَكْنِي عنه ، وتُعَرِّضُ به ، وتجعله في جملة الحديث .

وقال : إذا رأيتَ من أخيك زلةً فاطلبْ لها سبعين وجهًا من العِلَلِ ، فإن لم تجدْ فلمْ نفسك .

وقال إبراهيم بن جُنَيْد : إِتَّخِذْ مِرَّ آتَيْنِ ، وانظر في إحداها عيبَ نفسك ، وفي الأخرى محاسنَ الناس .

وقال يحيى بن مساذ : الدنيا دارُ خراب ، وأخربُ منها قلبٌ من يعمُرُها ، والآخرة دارُ عُمران ، وأعمُرُ منها قلبٌ من يعمُرُها .

وقال ابن السماك : الدنيا كالعرُوسِ المجلُوة تشوّفتْ لخطابها وفَتَنَتْ بغيرِها ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوبُ عليها وإِلهة ؛ والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها قاتلة .

وقال بعض العارفين : الدنيا أربعةُ أشياء : الفَرَحُ والرَّاحَةُ والحَلَاوَةُ واللَّذَّةُ ؛ فالفرحُ بالقلب . والرَّاحةُ بالبدن ، واللَّذَّةُ بالخلق ، والحَلَاوَةُ بالعين .

(١) كذا في ( ١ ) والذي في ( ب ) « محمد بن القاسم » .

(٢) ورد كلام الشعبي هذا في نسخة واحدة دون الأخرى . ويشير إلى فساد العلماء وأنهم قد أصبحوا لا يرغب في الجلوس إليهم . والذي في النسخة « أقعد اليوم على بساطه » ؛ وهو تحريف .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا سحرُ الشيطان ، فمن سكر منها لم يُفِقْ إلا في مسكن النادمين .

وقال بعض السلف : الزهد خلْعُ الراحة ، وبذلُ الجهد ، وقطْعُ الأمل .  
وقال الأنطاكي أحمد بن عاصم : الزُّهْدُ هو الثِّقَةُ بالله ، والتَبَرُّؤُ من الخلق ، والإخلاصُ في العمل ، وأحتمالُ الذُّلِّ .

وقال داود — عليه السلام — في دعائه : يا رازق النُّعَابِ في عُشِّهِ .  
وقال بعضُ السَّلفِ : لو كنتَ على ذنبِ الرِّيحِ [ لم ] <sup>(١)</sup> تَفِرَّ مِنْ رِزْقِكَ .  
وقال آخر : الإنسان بين رِزْقِهِ وأَجَلِهِ ، إلا أنه مخدوعٌ بأمَلِهِ <sup>(٢)</sup> .  
وقال عيسى بن مريم عليه السلام : خلَقَكَ رَبُّكَ في أربعِ مراتبَ ، فكنتَ آمناً ساكناً في ثلاثٍ ، وقلقلْتَ في الرابعة ، أولاها في بطنِ أمِّكَ في ظلماتٍ ثلاثٍ ، والثانية حينَ أخرجَكَ منه وأخرجَكَ لَكَ لبناً من بينِ فَرْثٍ ودمٍ . والثالثة إذا فُطِمتَ أَطعمَكَ العَمْرِيُّ الشَّهِيَّ ، حتى إذا اشتدت عِظامُكَ وبلغتَ تَمَامَكَ صِرتَ خائناً وأخذتَ في السَّرِيقَةِ والحيلة .

وقال أنس : رأيتُ طائراً أَكَمَه فَتَحَ فَأُهْجِجَتْ جَرَادَةٌ فَدَخَلَتْ قَمَهُ .  
وقال عيسى — عليه السلام — يا ابنَ آدمِ اعتَبِرْ رِزْقَكَ بِطَيرِ السَّمَاءِ ، لَا يَزِرُغْنَ وَلَا يَحْصُدْنَ وَإِلَهُ السَّمَاءِ يَرْزُقُهُنَّ . فَإِنْ قُلْتَ : لَهَا أَجْنَحَةٌ فَأَعْتَبِرْ بِحُمُرِ الْوَحْشِ وَبَقَرِ الْوَحْشِ مَا أُسْمِنَهَا [ وَمَا أُبْشِمَهَا ] وَأَبْدَنَهَا !  
وقال ابنُ السَّمَّاكِ لو قال العبد : يا رَبِّ لَا تَرْزُقْنِي لَقَالَ اللهُ : بَلْ أَرْزُقُكَ

(١) هذه الكلمة لم ترد في نسخة (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة : « بعله » . وما أثبتناه هو

مقتضى السياق .



على رَغْمِ أَنْفِكَ ، لَيْسَ لَكَ خَالِقٌ غَيْرِي ، وَلَا رَازِقٌ سِوَايَ ، إِنْ لَمْ أَرْزُقْكَ  
فَمَنْ يَرْزُقُكَ ؟

وقيل لراهب : مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ فقال : إِنْ خَالِقَ الرَّحَى يَأْتِي بِالطَّحِينِ .  
وقال حاتم : الْحَمَارُ يَعْرِفُ طَرِيقَ الْمَعْلَفِ ، وَالْمَنَاقِقُ لَا يَعْرِفُ طَرِيقَ السَّمَاءِ .  
وقال إبراهيمُ بْنُ أَذْهَمَ : سَأَلْتُ رَاهِبًا مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ قَالَ : لَيْسَ هَذَا  
الْعِلْمُ عِنْدِي ، وَلَكِنْ سَلْ رَبِّي مِنْ أَيْنَ يُطْعِمُنِي .

وقال حاتم : مَثَلُ الْمُتَوَكِّلِ مَثَلُ رَجُلٍ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى جَبَلٍ .  
وقال بعضُ الْأَبْرَارِ : حَسْبُكَ مِنَ التَّوَكُّلِ إِلَّا تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ نَاصِرًا  
غَيْرَهُ ، وَلَا لِرِزْقِكَ خَازِنًا غَيْرَهُ ، وَلَا لِعَمَلِكَ شَاهِدًا غَيْرَهُ .  
وقال عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : كَانَ لِأَبِي صَدِيقٍ وَرَاقٌ ، فَقَالَ لَهُ [أَبِي]  
يَوْمًا : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : بِخَيْرٍ مَا دَامَتْ يَدِي مَعِيَ ، فَأَصْبَحَ الْوَرَّاقُ وَقَدْ  
شَلَّتْ يَدُهُ .

قال أَبُو الْعَالِيَةِ : لَا تَتَّكِلْ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فَيَكَاكَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَلَا تَعْمَلْ  
لِغَيْرِ اللَّهِ فَيَجْعَلَ ثَوَابَ عَمَلِكَ عَلَيْهِ .

وقال رجلٌ لِأَبِي ذَرٍّ : أَنْتَ أَبُو ذَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ رَجُلٌ  
سَوْءٌ مَا أَخْرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : بَيْنَ يَدَيَّ عَقَبَةُ كَوْوَدٍ إِنْ نَجَوْتُ  
مِنْهَا لَا يَضُرُّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ أَقَعَ فِيهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُولُ .

وقيل لفضيل : إِنْ فَلَانًا يَشَعُ فِيكَ . فَقَالَ : لَا غِيظَنَّ مَنْ أَمْرُهُ <sup>(١)</sup> بِذَلِكَ  
اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لَهُ .

(١) مِنْ أَمْرِهِ بِذَلِكَ ، يَرِيدُ الشَّيْطَانُ .

وقال رجل لأبي هريرة : أنت أبو هريرة ؟ قال : نعم . قال : سارق الذريرة<sup>(١)</sup> ؟ قال : اللهم إن كان كاذباً فأغفر له ، وإن كان صادقاً فأغفر لي ؛ هكذا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رجل لأبن مكرم : يا كافر . قال : وجب على الشكر ، حيث لم يجز ذلك على لساني ، ولم تجب على إقامة الحجّة فيه ، وقد طوّبت قلبي على جملة<sup>(٢)</sup> أشياء : قال : وما هن ؟ قال : إن قلت ألف مرة لا أجيبك مرة ، ولا أحقد عليك ، ولا أشكوك إلى أحد ، وإن نجوت من الله عز وجل بعد هذه الكلمة شفعت لك . فتاب الرجل .

كان للحسن جارت نصراني ، وكان له كنيف على السطح ، وقد نعب ذلك في بيته ، وكان يتحلب منه البول في بيت الحسن ، وكان الحسن أمر بإناء فوضّع تحته ، فكان يخرج ما يجتمع منه ليلاً ، ومضى على ذلك عشرون سنة ، ففرض الحسن ذات يوم فعاده النصراني ، فرأى ذلك ، فقال : يا أبا سعيد : منذ كم تحملون مني هذا الأذى ؟ فقال : منذ عشرين سنة . فقطع النصراني زناره وأسلم .

وجاءت جارية لمصور بن مهران بمرقة فهاقها عليه ، فلما أحس بحرقها نظر إليها ، فقالت : يا معلّم الخير أذكرك قول الله . قال : وما هو ؟ قالت : (وَالكَافِرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال : كظمت . قالت : واذكرك (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال : قد عفوت . قالت واذكرك (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) . قال : اذهبي فأنت حرة .

(١) الذريرة : ضرب من الطيب .

(٢) في كلتا النسختين : «خسة» ؛ ولعله محرف عما أثبتنا إذ لم يذكر فيا بعد غير أربعة أشياء ، أو لعل الخامسة قد سقطت من الناسخ .

قال الحسن : ما جَزَعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَزَعَةٍ مُصِيبَةٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِصَبْرٍ ،  
وَجَزَعَةٍ غَضَبٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِعِلْمٍ .

وكان محمد بن النكدر إذا غَضِبَ على غُلامٍ يقول : ما أَشْبَهَكَ بِسَيِّدِكَ !  
وقال أبو ذر : كيف يكون حليماً من يَغْضَبُ على حِمَارِهِ وَسَخِلِهِ وَهَرَّةٍ .

ومات ابنُ للرَّشيد فَجَزِعَ جَزَعاً شَدِيداً ، فَوَعَظَهُ الْعُلَمَاءُ فَلَمْ يَتَعَظْ ؛ فَدَخَلَ  
مَغْثًا وَقَالَ : أَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ قَالَ : تَكَلَّمْ . فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَامَ بَيْنَ  
يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا رَجُلٌ ، وَقَدْ تَشَبَّهْتُ بِالنِّسَاءِ كَمَا تَرَى ، فَأَيُّ  
شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ لَوْ كَانَ أَبْنُكَ فِي الْأَحْيَاءِ وَكَانَ عَلَى صُورَتِي ، فَأَتَعَّظَ بِهِ  
وَأَخْرَجَ النَّوَاحَاتِ مِنَ الدَّارِ .

قال وَهْب : مَكْتُوبٌ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ رَحْمَتِي  
فَارْحَمُوا عِبَادِي .

وقال جعفر بن محمد — عليهما السلام — حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةُ الدِّيَارِ  
وَمَثَرَةُ الْمَالِ .

ولما قرأ هذا الْجُزْءُ — حَرَّسَهُ اللَّهُ — ارتاح وقال : أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذِهِ  
الطَّرِيقَةِ ، إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكِيِّ .

### الليلة الخامسة والعشرون

وقال — أدام الله دولته — ليلة : أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامًا فِي مَرَاتِبِ النَّظْمِ  
وَالنَّثْرِ ، وَإِلَى أَيْ حَدٍّ يَنْتَهِيَانِ ، وَعَلَى أَيْ شَكْلٍ يَتَّفِقَانِ ، وَأَيُّهُمَا أَجْمَعُ لِلْفَائِدَةِ ،  
وَأَزْجَعُ بِالْعَائِدَةِ ، وَأَدْخَلُ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَأَوَّلِي بِالْبَرَاعَةِ ؟؟



فكان الجواب : إنَّ الكلامَ على الكلامِ صَعْبٌ . قال : ولم ؟ قلتُ : لأنَّ (١) الكلامَ على الأمور المعتمدِ فيها على صُورِ الأمور وشُكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحسِّ ممكِنٌ ، وفضاءُ هذا متَّسعٌ ، والمجالُ [ فيه ] مختلفٌ (٢) . فأما الكلامُ على الكلامِ فإنه يدور على نفسه ، ويلتبسُ بعضُه ببعضه ؛ ولهذا شقَّ النَحْوُ وما أشبهه النَحْوُ من المنطوق ، وكذلك النَثْرُ والشَّعْرُ وعلى ذلك .

وقد قال الناس في هذين الفَنَيْنِ ضروباً من القول لم يتبعوها فيها من الوصفِ الحسنِ ، والإنصافِ الحمود ، والتنافسِ المقبول ، إلا ما خالطه من التعصُّبِ والمَحْكِ ، لأنَّ صاحبَ هذين الخُلُتَيْنِ لا يخلو من بعضِ التكابُرةِ والمغالطةِ وَبَقَدَرِ ذلك (٣) يصيرُ له (٤) مدخلٌ فيما يُرادُ تحقيقُه من بيانِ الحجةِ أو قُصُورها (٥) عما يُرامُ من البلوغِ بها ، وهذه آفةٌ معترضةٌ في أمور الدين والدُّنيا ، ولا مَطْمَعٍ في زوايلها ، لأنها ناشئةٌ من الطَّبائعِ المختلفةِ ، والعاداتِ السيئةِ ، لكنِّي (٦) مع هذه الشُّوكةِ الحادةِ ، والخطَّةِ السَّكَّادةِ (٧) ؛ أقولُ ما وَعَيْتُهُ عن أربابِ هذا الشَّانِ ، والمُنْتَمِينَ (٨) لهذا الفنِ ، وإنَّ عَنِّ شَيْءَ يكونُ شكلاً لذلك وَصَلْتُهُ به تكميلاً للشرحِ ، وأستيعاباً للبابِ ، وَصَمَدًا (٩) للغايةِ ، وأخذًا بالحِياطةِ ، وإن كان المنتهى منه غيرَ مَطْمُوعٍ فيه ، وَلَا مَوْصُولٍ إليه ؛ والله المعين .

(١) في ب « يمكن » مكان قوله : « يختلف » .

(٢) في كلتا النسختين : « وبذلك القدر » ، وفي كلتا الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من الناسخ ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . ويشير « بذلك » إلى ما سبق من التكابرة والمغالطة .

(٣) كذا في ب والذي في (١) يصير ذلك . (٤) في كلتا النسختين « وقصور » .

(٥) في (١) « التي » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين « الكبرى » ؛ وهو تحريف . (٧) في (١) والقيمين بهذا

الفن ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضاً . (٨) صمداً للغاية ، أى قصداً إليها .

(٢) قال شيخنا أبو سليمان : الكلام يَنْبَغُ في أوَّل مبادئه إما من عَفْوِ البديهة ، وإما من كَدِّ الرُّويَّةِ ، وإما [ أن يكون ] مركَّباً منهما ، وفيه قواها بالأكثر والأقل ؛ ففضيلة عَفْوِ البديهة أنه يكون أَشَقَّ ، وفضيلة كَدِّ الرُّويَّةِ أنه يكون أَشَقَّ ، وفضيلة المركَّبِ منهما أنه يكون أَوْفَى ؛ وعَيْبُ عَفْوِ البديهة أن تكون صورة العَقْل فيه أَقَلَّ ؛ وعَيْبُ كَدِّ الرُّويَّةِ أن تكون صورة الحِسِّ فيه أَقَلَّ<sup>(١)</sup> ، وعَيْبُ المركَّبِ منهما بقَدْرِ قِسْطِهِ منهما : الأَغْلَبُ والأَضْعَفُ ؛ على أنه إن خَلَصَ هذا المركَّبُ من شوائب التَّكَلُّفِ ، وشوائب التَّعَسُّفِ ، كان بليفاً مقبولاً رائعاً خلوّاً ، تَحْتَضِنُهُ السُّدُورُ ، وَتَحْتَلِسُهُ الأَذَانُ ، وَتَنْتَهِيهِ المَجَالِسُ ، وَيَتَنَافَسُ فِيهِ المُنَافِسُ بَعْدَ المُنَافَسِ ، وَالتَّنَاضُلُ الواقعُ بين البُلْغَاءِ في النِّظْمِ والنَّثْرِ ، إنما هو في هذا المركَّبِ الذي يُسَمَّى تاليفاً ورَصفاً ؛ وقد يجوز أن تكون صورة العَقْل في [ البديهة أوضح ، وأن تكون صورة الحِسِّ<sup>(٢)</sup> في الرُّويَّةِ ] أَلْوَحَ إلا أن ذلك من غرائب آثار النَّفْسِ ونوادر أفعال الطَّبِيعَةِ ، والمدارُ على العمود الذي سَلَفَ نَعْتُهُ ، ورَسَا أَصْلُهُ .

(٣) وسمعتُ أبا عابدٍ الكرخيَّ صالح بنَ علي يقول : النَّثْرُ أصلُ الكلام ، والنَّظْمُ فَرْعُهُ ؛ والأصلُ أَشْرَفُ من الفَرْعِ ، والفَرْعُ أَنْقَصُ من الأصل ؛ لكن لكل واحد منهما زائناً وشائناً ، فأما زائناً النَّثْرُ فهي ظاهرةٌ ، لأنَّ جميعَ

(١) في كلتا النسختين « أكثر » ؛ وهو غلط من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما هو المعروف في الفرق بين البديهة والرؤية . أو لعل الصواب « العقل » مكان « الحس » مع بقاء كلمة « أكثر » .

(٢) في كلتا النسختين « العقل » مكان « الحس » ؛ وهو خطأ من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما يفهم من سياق الكلام .

الناس في أوّل كلامهم يَقْصِدُونَ النَّثْرَ ، وإنما يتعرضون للنَّظْمِ في الثاني بداعية عارضة ، وسبب باعث ، وأمر معين .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أَنَّ الكُتُبَ القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرُّسُل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلها منشورة مَبْسُوطَةٌ ، مُتَبَايِنَةٌ الأوزان ، متباعدة الأبنية ، مختلفة التصاريف ، لا تنقاد للوزن<sup>(١)</sup> ، ولا تدخل في الأعاريض ؛ هذا<sup>(٢)</sup> أمر لا يجوز أن يُقابله ما يدحضه ، أو يُعترض عليه بما يُحرِّضُه<sup>(٣)</sup> .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أن الوحدة فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر ، والتكلف منه أبعد ، وهو إلى الصفاء أقرب ، ولا توجد الوحدة غالبية على شيء إلا كان ذلك دليلاً على حُسن ذلك الشيء وبَقائِهِ ، وبِهائِهِ ونَقائِهِ .

قال : ومن فضيلة النَّثْرِ أيضاً كما أنه إلهي بالوحدة ، كذلك هو طبيعي بالبداة ، والبداة في الطبيعيات وحدة ، كما أن الوحدة في الإلهيات بداة ، وهذا كلام خطير .

قال : ألا تَرَى أن الإنسان لا يَنْطِقُ في أوّل حاله من لَدُنْ طُفُولِيَّتِهِ إلى زمانٍ مديدٍ إلا بالمشور المتبدّد ، والميسور المتردّد ؛ ولا يُلْهِمُ إلا ذاك ، ولا يُفانِي إلا بذاك ؛ وليس كذلك المنظوم ، لأنه صناعي ؛ ألا تَرَى أنه داخل في حصار العروض وأسر الوزن وقيد التأليف ، مع تَوَقُّي الكسر ، واحتمال أصناف الزحاف ، لأنه لما هَبَطَتْ دَرَجَتُهُ عن تلك الرِّبْوَةِ العالية ، دخلته الآفة من كل ناحية .

(١) في كلتا النسختين « للذوق » ؛ وهو تحريف .

(٢) عبارة ب « وهذا الفن » .

(٣) يحرّضه ، أي يفسده . وفي ب « يرحضه » ؛ وهو تحريف .



قال : فإن قيل : إن النظم قد سبقَ العروضَ بالدُّوق ، والدُّوق طِبَاعِي ؛  
 قيل في الجواب : الدُّوق وإن كان طباعياً فإنه مَخْدُومُ الْفِكْرِ ، وَالْفِكْرُ مِفْتَاحُ  
 الصَّنَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ ، كما أَنَّ الْإِلْهَامَ مُسْتَعْدِمٌ لِلْفِكْرِ ، وَالْإِلْهَامُ مِفْتَاحُ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ .  
 قال : ومن شَرَفِ النَّثْرِ أيضاً أَنَّهُ مُبْرَأٌ مِنَ التَّكَلُّفِ ، مُنْزَعَةٌ عَنِ الضَّرُورَةِ ،  
 غَنِيٌّ عَنِ الْأَعْتِذَارِ وَالْأَفْتِقَارِ<sup>(١)</sup> ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرير ،  
 وما هو أكثرُ من هذا مما هو مَدُونٌ فِي كُتُبِ الْقَوَافِي وَالْعُرُوضِ لِأَرْبَابِهَا الَّذِينَ  
 اسْتَنْفَدُوا غَايَتَهُمْ فِيهَا .

وقال عيسى الوزير : النَّثْرُ مِنْ قِبَلِ الْعَقْلِ ، وَالنَّظْمُ مِنْ قِبَلِ الْحِسِّ ،  
 وَلِدُخُولِ النَّظْمِ فِي طَيِّ الْحِسِّ دَخَلَتْ إِلَيْهِ الْآفَةُ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الضَّرُورَةُ ،  
 وَاحْتِيجَ إِلَى الْإِغْضَاءِ عَمَّا لَا يَجُوزُ مِثْلُهُ فِي الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ النَّثْرُ .  
 وقال ابن طرارة — وَكَانَ مِنْ قُصَّصَاءِ أَهْلِ الْعَصْرِ بِالْعِرَاقِ — : النَّثْرُ  
 كَالْحُرَّةِ ، وَالنَّظْمُ كَالْأُمَةِ ، وَالْأُمَةُ قَدْ تَكُونُ أَحْسَنَ وَجْهًا ، وَأَدَمَّتْ شَمَائِلَ ،  
 وَأَحْلَى حَرَكَاتٍ ؛ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُوصَفُ بِكَرَمِ جَوْهَرِ الْحُرَّةِ وَلَا بِشَرَفِ عِرْقِهَا  
 وَعِتْقِ نَفْسِهَا وَفَضْلِ حَيَاتِهَا .

وقال : وَلَشَرَفِ النَّثْرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّنْزِيلِ : ( إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ  
 لُؤْلُؤًا مَنشُورًا ) وَلَمْ يَقُلْ : لُؤْلُؤًا مَنظُومًا ؛ وَنَجُومُ السَّمَاءِ مَنثَرَةٌ وَإِنْ كَانَ  
 أَنْتَاطُهَا عَلَى نِظَامٍ ، إِلَّا أَنَّ نِظَامَهَا فِي حَدٍّ<sup>(٢)</sup> الْعَقْلِ ، وَأَنْتَاطُهَا فِي حَدٍّ<sup>(٣)</sup> الْحِسِّ ،  
 ”لَأَنَّ الْحِكْمَةَ إِذَا غُطِّيَتْ نَفْسُهَا<sup>(٣)</sup> كَانَتْ الْغَلْبَةُ لِلصُّورَةِ الْقَائِمَةِ بِالْقُدْرَةِ“ .

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالْإِعْتِقَادُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ « فِي بَلَدٍ » فِي كِلَا الْمَوْضِعَيْنِ ؛ وَلَعَلَّ الصُّوْبَ مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي كِلَا الْأَصْلَيْنِ « فَطُنْتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَوَرَدَ بَعْدَ قَوْلِهِ « بِالْقُدْرَةِ » قَوْلُهُ

« أَبْلَغُ » وَهُوَ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ لَا مُقْتَضَى لَهَا .

وقال أحمد بن محمد كاتب ركن الدولة : الكلام المنشور أشبه بالوشى ، والمنظوم [ أشبه ] بالنثر المخطط ، والوشى يرُوق ما لا يرُوق غيره .

ويقال : كُنَّا في نِشار فلان ، ولا يقال : [ كُنَّا ] في نظام فلان .

وقال ابن هندو الكاتب : إذا نُظِر في النظم والنثر على أستيحاب أحوالهما وشرائطهما ، والأطلاع على هَواديهما وتواليهما كان أن المنظوم فيه نثر من وجه ، والمنثور فيه نظم من وجه ، ولولا أنهما يَسْتَهِمَانِ هذا النعت لما اُتلفَا ولا اُختلَفَا .

وقال ابن كعب الأنصارى : مِنْ شَرَفِ النَّثْرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِهِ أَمْرًا وَنَاهِيًا ، وَمُسْتَخْبِرًا وَمُخْبِرًا ، وَهَادِيًا وَوَاعِظًا ، وَغَاضِبًا وَرَاضِيًا ، وَمَا سَلَبَ النَّظْمَ إِلَّا لِهَبْوَطِهِ عَنْ دَرَجَةِ النَّثْرِ ، وَلَا نُزَّةً عَنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ ، وَلَوْ تَسَاوَا لِنَطْقَ بِهِمَا <sup>(١)</sup> ، وَلَمَّا اُخْتَلَفَا خُصَّ بِأَشْرَفِهِمَا الَّذِي هُوَ أَجْوَلُ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ ، وَأَجْلَبُ لِكُلِّ مَا يُطْلَبُ مِنَ الْمَنَافِعِ .

فهذا قليل من كثير مما يكون تبصرة لباغى هذا الشأن ، وَلَمَنْ يَتَوَخَّى حَدِيثَهُ عِنْدَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

وَأَمَّا مَا يُفَضَّلُ بِهِ النَّظْمُ عَلَى النَّثْرِ فَأَشْيَاءُ سَمِعْنَاهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ (١) كَانَتْ سَمَاءُ عَلَيْهِمْ دَرُورًا ، وَبَحْرُ أَدَبِهِمْ مُتَلَاطِمًا ، وَرَوْضُ فَضْلِهِمْ مُزْدَهَرًا ، وَشَمْسُ حِكْمَتِهِمْ طَالِعَةً ، وَنَارُ بِلَاغَتِهِمْ مُشْتَعِلَةً ، وَأَنَا آتِي عَلَى مَا يَحْضُرُنِي مِنْ ذَلِكَ ، مَنَسُوبًا إِلَيْهِمْ ، وَنَحْسُوبًا لَهُمْ ، لِيَكُونَ حَقُّهُمْ بِهِ مَقْضِيًا ، وَذِكْرُهُمْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ طَرِيًّا .

قال السلاوى : من فضائل النظم أن صار [ لنا ] صناعة برأسها ، وتكلم

(١) في كلتا النسختين « عنهما » .



الناسُ في قوافيها ، وتوسَّعوا في تصارييفها وأعاريفها ، وتصرَّفوا في بحورها ،  
 واطَّلَعوا على عجائب ما أُسْتُخْزِنَ فيها من آثار الطبيعة الشريفة ، وشواهد  
 القدرة الصادقة ؛ وما هكذا النثر ، فإنه قصر عن هذه الذروة الشاخنة ، والقلة  
 العالية ؛ فصار بذلك بذلة لكافة الناطقين من الخاصة والعامة والنساء والصبيان .  
 وقال أيضاً : من فضائل النظم أنه لا يُغنى ولا يُحْدَى [إلا بجيِّده] ولا يؤهل  
 لِلْعَيْنِ الطَّنْطَنَةِ<sup>(١)</sup> ، ولا يُحَلَّى بالإيقاع الصحيح غيره ، لأن الطَّنْطَنَاتِ والنِّقَرَاتِ ،  
 والحركات والسكنات لا تتناسب إلا بعد اشتغال الوزن والنظم عليها ، ولو [كان]  
 فُعل [هذا] بالنثر كان منقوصاً ، كما لو لم يُفْعَلْ هذا بالنظم لكان محسوساً ؛  
 والغناء معروفُ الشَّرَفِ ، عجيبُ الأثر ، عزيز [القدر] ، ظاهر النفع في معاينة  
 الروح ، ومُناغاةِ العقل ، وتنبيه النفس ، وأجتلاب [الطَّرَبِ] وتفريج  
 الكُرْبِ ؛ وإثارة الهِزَّةِ ، وإعادة العِزَّةِ ، وإذكاء العهد ، وإظهار النِّجْدَةِ ،  
 واكتساب السَّلَوةِ ؛ وما لا يُحصى عدده .

ويقال : ما أحسن هذه الرسالة لو كان فيها بيتٌ من الشعر ، ولا يقال :  
 ما أحسن هذا الشعر لو كان فيه شيءٌ من النثر ، لأن صورة المنظوم مخفوفة ،  
 وصورة النثر ضائعة .

وقال ابنُ نباتة : من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والحُجَجُ  
 لا تؤخذ إلا منه ، أعني [أن] العلماء والحُكَمَاءَ والفُكهاء والنحويين واللغويين  
 يقولون : « قال الشاعر » ؛ و « هذا كثير في الشعر » ، و « الشعر قد أتى به » ،  
 فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة ، والشعر هو الحجة .

وقال الخالغ : للشعراء حلبة ، وليس للبغاة حلبة ، وإذا تتبعت جوائز

(١) الطنطنة : حكاية صوت الطيور وشبهه .



الشُعراء التي وصلت إليهم من الخلفاء وولاة العهود والأمراء والولاة في مقاماتهم المؤرخة ، ومجالسهم الفاخرة ، وأنديتهم المشهورة ، وجدتها خارجة عن الحصر ، بعيدة من الإحصاء ؛ وإذا تتبعْتَ هذه الحال لأصحاب النثر لم تجد شيئاً من ذلك ؛ والناس يقولون : ما أكمل هذا البليغ لو قرَضَ الشعر ! ولا يقولون : ما أشعرَ هذا الشاعر لو قدَرَ على النثر ! وهذا لغنى الناظم عن النَّاثِر ، وفقرِ النَّاثِر إلى الناظم ؛ وقد قدَّمَ الناسُ أبا عليَّ البصيرَ على أبي العيْناء ، لأنَّ أبا عليَّ جمعَ بين الفضيلتين ، وضربَ بالسَّيْفَيْنِ<sup>(١)</sup> في الحومتين ، وفازَ بالقدحين المُقلَّيْنِ<sup>(٢)</sup> في المكانين .

- وقال لنا الأنصارى : سمعتُ ابنَ ثوبةَ الكاتب يقول : لو تصفَّحنا [ ما صارَ إلى ] أصحاب النثر من كتاب البلاغة ، والخطباء الذين ذبُّوا عن الدولة ، وتكلَّموا في صنوف أحوالها وفنون ما جرى الليل والنهارُ به ؛ [ ممَّا ] فُتِقَ به الرِّمَقُ ، ورُتِقَ به الفَتَقُ ، وأُصْلِحَ به الفاسد ، ولُمَّ به الشَّعَثُ ، وقُرِّبَ به البعيد ، وُبُدِّدَ به القريب ، وحُقِّقَ به [ الحقُّ ] ، وأُبْطِلَ به [ الباطل ] ، لكان يوفي على كلِّ ما صار إلى جميع من قال الشعر ولالك القصيد ، ولهيج بالقريض ، واستباحَ بالمرحمة ؛ ووَقِفَ مَوْقِفَ المَظْلُومِ ، وأنصَرَفَ انصرافَ المحروم ؛ وأين مَنْ يَفْتَخِرُ بالقريض ، ويُدِلُّ بالنَّظْمِ ، ويُبَاهِي بالبديهة ، من وزير الخليفة ، ومن صاحب السرِّ ، ومن ليس بين لسانه ولسان صاحبه واسطة ، ولا بين أُذُنِهِ وأُذُنِهِ حجاب ؟ ! ومتى كانت الحاجةُ إلى الشعراء كالخاجة إلى الوزراء ؟ ! ومتى قامَ وزير لشاعرٍ للخدمة أو للثَّكْرَةِ ؟ ! ومتى قعدَ شاعرٌ لوزير

(١) في كلنا السَّيْفَيْنِ ؛ « وضرب بالسَّيْفَيْنِ في الحرمين » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في كلنا السَّيْفَيْنِ : « المطين » ؛ وهو تحريف .

على رجاء وتأميل<sup>(١)</sup> ١٩ بل لا ترى شاعراً إلا قائماً بين يدي خليفة أو وزير أو أمير  
باسط اليد ، ممدود الكف ، يستعطف طالباً ، ويسترحم سائلاً ؛ هذا مع الذلة  
والهوان ، والخوف من الخبيبة والجحيمان ، وخطر الرد عليه في لفظ يمر ،  
وإعراب يجري ، واستعارة تعرض ، وكناية تعترض ، ثم يكون مقتلًا  
مشينًا بما يظن به من الهجاء الذي ربما دلّاه في حومة الموت ، وقد برأ الله  
تعالى بإحسانه القديم ومنه الجسم صاحب البلاغة من هذا كله ، وكفاه  
مؤونة العذر به ، والضرر فيه .

قال : وكان ابن ثوبة إذا جال في هذه الأكناف لا يلحق شأوه ، ولا  
يُشَقُّ غباره ، ولا يُطَمَع في جوابه .

قال : وله مُناظرات واسعة في هذا الباب مع جماعة من أهل زمانه ناقضوه  
وعارضوه ، وكشفوه وواجهوه ؛ فثبت لهم ، وانتصف منهم ، وأرّبى عليهم ،  
ولم يُقْلِعْ عن مصالبتهم<sup>(٢)</sup> ومبالطتهم إلى أن نكصوا على أعقابهم ، وراجعوا  
ما هو أولى بهم .

(٦) قال أبو سليمان : المعاني المعقولة بسيطة<sup>(٣)</sup> في محبوبحة النفس ؛ لا يحوم  
عليها شيء لا قبل الفكر ، فإذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق  
ألقى ذلك إلى العبارة ، والعبارة<sup>(٤)</sup> حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر ،  
وبين وزن هو سياقة [ الحديث ] ؛ وكل هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة ،

(١) في كلتا النسختين « على وجه وتأميل » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في ١ « مصالبتهم » ، وفي ب « مصالبتهم » ؛ وما أثبتناه هو أنسب بسياق العبارة .  
والمسالطة معروفة . والمبالطة : المجادلة والمنازلة .

(٣) بسيطة ، أي مبسطة .

(٤) في ١ : « إلى العائدة والظاهرة » ؛ وهو تحريف .

وصورة حسناء أو قبيحة ، وتأليف مقبول أو مجوج ، وذوق خلو أو مسر<sup>(١)</sup> وطريق سهل أو وعر ، واقتضاب مفضل أو مردود ، واحتجاج قاطع أو مقطوع ، وبرهان مسفر أو مظلم ، ومتناول بعيد أو قريب ، ومسموع مألوف أو غريب .

قال : فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفنا فللنثر فضيلته [ التي ] لا تُنكر ، والنظم شرفه [ الذي ] لا يُجحد ولا يُستَر ، لأن مناقب النثر في مقابلة مناقب النظم ، ومناقب النظم في مقابلة مثالب النثر ؛ والذي لا بد منه فيهما السلامة والدقة ، وتجنب العويص ، وما يحتاج إلى التأويل والتخليص .

وقد قال بعض العرب : خير الكلام ما لم يُحتج معه إلى كلام .  
(٧) ووقف أعرابي<sup>٢</sup> على مجلس الأخفش فسَمِعَ كلامَ أهله في النحو وما يدخل معه ، فحار وعجب ، وأطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ماتسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا .

وقال أعرابي آخر :

ما زال أخذهم في النحو يعجمني<sup>(٢)</sup> حتى سمعتُ كلامَ الزنج والرؤم .  
وقال أبو سليمان : نحو العرب فطرة ، ونحونا فطنة ؛ فلو كان إلى الكمال سبيل لكانت فطرتهم لنا مع فطنتنا ، [ أو كانت فطنتنا لهم ] مع فطرتهم .

وقال : لما تميزت الأشياء في الأصول ، تلاقت ببعض التشابه في الفروع ، ولما تباينت الأشياء بالطبائع ، تألفت بالمشاكل في الصنائع ، فصارت من

(١) في ١ : « أو كره » .

(٢) في كلتا النسختين : « يعجبنى » ؛ وسياق البيت يقتضى ما أثبتنا .



حيث اُتِّرقتُ مُجْتَمِعَةً ، ومن حيثُ أُجْتَمِعَتْ مُفْتَرِقَةً ، لتكونُ نُذْرَةً اللهُ — عَنْ  
وَجَلٍّ — آتِيَةً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وحكمتُهُ موجودَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، ومشيئَتُهُ نافذةٌ  
فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وقد أنشدَ بعضُ الأعراب ما يُقتضى هذا المكانُ رَسْمُهُ فِيهِ ، لأنَّه موافق  
لما نحن فِيهِ فِي ذِكْرِهِ ووصفه .

قال :

ما ذا لَقِيتُ من المستعربينَ ومنَ	تأسيسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
إن قلتُ قافيةً فِيهِ يكونُ لها	معنى يُخَالِفُ ما قاسُوا وما وَضَعُوا
قالوا لَحْنَتْ وهذا الحرفُ مُنْقَضٌ	وذاك نَصَبٌ وهذا ليس يَرْتَفِعُ
وحرَّشوا بين عبدِ اللهِ واجتهدوا	وبين زَيْدٍ وطالَ الضَرْبُ والوجَعُ
إني نَشَأْتُ بأَرْضٍ لا تُشَبُّ بها	نارُ الجَوسِ ولا تُبْنَى بها البَيْعُ
ولا يَطَا القِرْدُ والخِزِيرُ ساحتها	لكن بها الهَيْقُ والسَّيْدَانُ والصَّدَعُ <sup>(١)</sup>
ما كلُّ قوليَ معروفٌ لكم فخذوا	ما تَعْرِفُونَ وما لم تَعْرِفُوا فدَعُوا
كم بين قومٍ قد أحتالوا لمنطقهم	وآخرينَ على إعرابهم طُبِعُوا
وبين قومٍ رأوا شيئاً مُعَايَنَةً	وبين قومٍ رَوَوْا بعضَ الَّذِي سَمِعُوا

فهذا هذا .

(٨) وقال أبو سليمان : البلاغة ضروب : فمنها بلاغة الشعر [ومنها بلاغة الخطابة] <sup>(٢)</sup>

(١) الهَيْقُ : الظليم ، وهو ذِكْرُ النعام ، والسَّيْدَانُ : الذئبان ، الواحد سيد بكسر السين ،  
والصدع من الوعول والطباء وحر الوحش والإبل : الشاب الفتي .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسخين ؛ وقد أثبتناها لما سيأتي بعد من الحديث عنها  
عند تفصيل هذه الأنواع .

[ ومنها بلاغة النثر ، ومنها بلاغة المثل ، ومنها بلاغة العقل ] ، ومنها بلاغة البديهة ، ومنها بلاغة التأويل .

قال : فأما بلاغة الشعر فأن يكون نَحْوُهُ مقبولا ، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً ، واللفظ من الغريب بريثاً ، والكناية لطيفة ، والتصريح احتجاجاً ، والمؤاخاة موجودة ، والمواءمة <sup>(١)</sup> ظاهرة .

وأما بلاغة الخطابة <sup>(٢)</sup> فأن يكون اللفظ قريباً <sup>(٣)</sup> ، والإشارة فيها غالبية ، والسجع عليها مستولياً ، والوهم في أضعافها ساجحاً ، وتكون فقرها قصاراً ، ويكون ركابها شوارداً إبل .

وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولاً <sup>(٤)</sup> ، والمعنى مشهوراً ، والتهذيب مستعملاً ، والتأليف سهلاً ، والمراد سليماً ، والرواق عالياً ، والحواشي رقيقة ، والصفائح مصقولة ، والأمثلة خفيفة المأخذ ، والموادى متصلة ، والأعجاز مُفَصَّلة <sup>(٥)</sup> .

وأما بلاغة المثل فأن يكون اللفظ مقتضباً ، والحذف محتتملاً ، والصورة محفوظة ، والمرتمى لطيفاً ، والتلويح كافياً ، والإشارة مُغْنِيَةٌ ، والعبارة سائرة <sup>(٦)</sup> .

وأما بلاغة العقل فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن ، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع

(١) في ب : والمرامة ، وفي ا : والمراقبة ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٢) في كلتا النسختين « الكتابة » ؛ وهو تحريف ، لما فيه من التكرار ، لأنه سيتكلم

فيما بعد عن بلاغة النثر .

(٣) في كلتا النسختين : « غريباً » بالنين ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) في كلا الأصلين : « متبدلاً » ؛ وهو تحريف .

(٥) في ا : « مقضاة » ؛ وهو تحريف .

(٦) في ب : « سافرة » .

اللفظ ، وتقنية الحروف ، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب ، ويكون المقصود ملحوظاً في عرض السنين<sup>(١)</sup> ، والمرمى يُتلقى بالوهم لحسن الترتيب .

وأما بلاغة البديهة فإن يكون أنحياش<sup>(٢)</sup> اللفظ للفظ في وزن أنحياش<sup>(٣)</sup> المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجب للسامع ، لأنه يهجم بفهمه على ما لا يُظن أنه يظفر به كمن يعثر بأموله ، على غفلة<sup>(٤)</sup> من تأمله ، والبديهة قدرة روحانية ، في جبلة بشرية ، كما أن الرؤية صورة بشرية ، في جبلة روحانية .

وأما بلاغة التأويل فهي [ التي ] تُخرج لغوضها إلى التدبر والتصفح ، وهذان يفيدان من السوع وجوهاً مختلفة كثيرة نافعة ، وبهذه البلاغة يُتسمع في أسرار [ معاني ] الدين والدنيا ، وهي [ التي ] تأوّلها العلماء بالاستنباط من كلام الله عز وجل وكلام رسوله — صلى الله عليه وسلم — في الحرام والحلال ، والتحظر والإباحة ، والأمر والنهي ، وغير ذلك مما يكثر ؛ وبها تفاضلوا ، وعليها تجادلوا<sup>(٥)</sup> ، وفيها تنافسوا ، ومنها استملّوا ، وبها اشتغلوا ؛ ولقد فقدت هذه البلاغة لفقد الروح كله ، وبطل الاستنباط أوّل وآخره ، وجوّلان النفس وأعتصار الفكر إنما يكونان بهذا النمط في أعماق هذا الفن ؛

(١) وردت هذه الكلمة في أهمية الحروف من النقط ، وفي ب « السبب » ؛ وهو غير واضح المعنى ، ولعل صوابه ما أثبتنا . والسنن : الطريق .

(٢) في ب : « اختلاس » ، ولم نتيين معناه ؛ ولعله محرف عما أثبتنا .

(٣) في ا ، ب « عقلة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، وفي (ا) أيضاً قبل هذه الكلمة قوله : « كمن يعبر بمقوله » ، وهو تحريف كذلك .

(٤) في كلتا النسختين « في حلية » ، وهو تصحيف .

(٥) في ب « يحاولوا » ؛ وهو تحريف .



وها هنا تَنَشُّالٌ<sup>(١)</sup> الفوائد ، وتكثرُ العجائب ، وتَتَلَفَّحُ الخواطر ، وتَتَلَاَحَقُ<sup>(٢)</sup> الهِمَمُ ، وَمِنْ أَجْلِهَا يُسْتَعَانُ بِقُوَى<sup>(٣)</sup> البلاغاتِ المتقدِّمةِ بالصفاتِ المُمَثِّلَةِ<sup>(٤)</sup> ، حتى تكون مُعِينَةً ورافِدَةً في إثارة المعنى المدفون ، وإثارة المراد المخزون .  
وأمثلة<sup>(٥)</sup> هذه الأبواب موجودة في الكتب ، ولولا ذلك لَرَسَمْتُ في هذا المكان لكل فنٍّ مثالا وشَكَّلْتُ شكلا ، ولو فعلت ذلك لكنت مُكْرَرًا لما قد سبقَ إليه ، ومتكلفًا ما قد لَقِّنَ من قبل . على أن الزُّهْدَ في هذا الشأن قد وَضَعَ<sup>(٦)</sup> عَنَّا وعن غيرنا مَوْؤَنَةً الخَوْضِ فيه ، والتعنى به ، والتوفّر عليه ، وتقديمه على ما هو أَمَمٌ<sup>(٧)</sup> منه ، أعني طالب القوت الذي ليس إليه سبيل إلا يَبِيعَ الدِّينَ ، وإِخْلَاقِ المروءة ، وإِراقَةِ ماء الوجه ، وكَدِّ البدن ، [وتَجَرُّعِ الأُسى ، ومُقاساةِ الحُرْقَةِ ، وَمَضِّ الحِرْمانِ] ، والصَّبْرِ على ألوانٍ وألوان ؛ والله المُسْتَعَانُ .

وقد كان هذا البابُ يُتَنافَسُ فيه أَوَانُ كان للخلافةِ بِهِجَّةً ، وللنيابة عنها بَهَاءً ، وللديانة مُعْتَقِدٌ<sup>(٨)</sup> ، وللمروءة عاشق ، وللخير مُنْتَهِز ، وللصدقِ مُؤَثِّر ، وللأدبِ شُرَاة<sup>(٩)</sup> ، وللبيان سُوْق ، وللصَّواب طالب ، وفي العلمِ رَاغِب ؛ فأما

(١) في أ « تتقابل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « توقي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في أ المشتمة ؛ وهو تحريف .

(٤) يظهر أن هذا وما بعده من كلام المؤلف لا من تمة كلام أبي سليمان .

(٥) في أ « رصع » ؛ وهو تحريف .

(٦) في أ « أعم » ؛ وهو تحريف .

(٧) في ب « مقد » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين « شارة » ؛ وهو تحريف .

[اليوم] واليدُ عنه <sup>(١)</sup> مقبوضة ، والذيلُ دونه مشمر ، والمتحلى بجماله مطرود ،  
والباهى بشرفه مُتَبَعِد ، فما يُصْنَع به ، والله أمرٌ هو بالغه .

(٩) وقال ابن دأب : قال لي [ابن] موسى : اجتمعنا عند عبد الملك بن مروان  
فقال : أيُّ الآدابِ أُغْلِبَ على الناس ؟ قلنا فأكثرنا في كل نوع ؛ فقال  
عبد الملك : ما الناس ؛ إلى شيء أحوجُ منهم إلى إقامة السنتهم التي بها يتعاضدون  
القول ، ويتعاطون البيان ، ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم  
من بجانِبها <sup>(٢)</sup> ؛ ويجمعون ما تفرق منها ؛ إن الكلامَ فارقٌ للحكم بين  
الخصوم ، وضياءٌ يتخلو ظلم الأغاليط ، وحاجةُ الناس إليه كحاجتهم إلى مواد <sup>(٣)</sup>  
الأغذية .

وقد قال زهير :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدم

قلنا : لم يُقْلَهُ زهير ، إنما قاله زيادُ الأحم ؛ فقال : لا ، قاله من هو  
أعظمُ تجربةً وأنطقُ لساناً منه <sup>(٤)</sup> .

وقال أبو العيناء : سمعتُ العباس بن الحسن العلوي يصفُ كلامَ رجلٍ  
[فقال] : كلامه سَمَحٌ <sup>(٥)</sup> سهلٌ ، كأن بينه وبين القلوبِ نَسَبٌ ، وبينه وبين الحياةِ

(١) عنه ، أي عن هذا الباب السابق ذكره ، وهو التأويل .

(٢) في « مجانبها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في « موارد » ؛ وهو تحريف .

(٤) في « قوله » ؛ وهو تحريف .

(٥) في « شين » ؛ وهو تحريف .

سبب ؛ كأنما هو تُخَفَّةٌ<sup>(١)</sup> قادم ، ودواء مريض ، وواسطة قلادة .  
ورأيتُ أبا إسحاق الصابي وهو يجب من فضلِ قرأه من كتاب ورد  
عليه ، وهو : أشعر قلبك يأسَ مجاوز<sup>(٢)</sup> السبيل ، مقصّر عن الشوط .  
وقال ابنُ ذكوان : سمعتُ إبراهيم بن العباس<sup>(٣)</sup> الصولي يقول : ما سمعتُ  
كلاماً مُخَدَّثاً أَجَزَلَ في رِقَّة ، ولا أَصْعَبَ في سُهولة ، ولا أَبْلَغَ في إيجاز ، من  
قولِ العباس بن الأحنف :

تَعَالَى نُجَدَّدُ دَارِسَ الْعَهْدِ بَيْنَنَا      كِلَانًا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومٌ  
أُنَاسِيَّةٌ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      وَقَاطِعَةٌ حَبْلَ الصَّفَاءِ ظَلُومٌ  
وفي الجملة ، أحسنُ الكلام مَارِقٌ لَفْظُهُ ، وَلَطْفٌ مَعْنَاهُ ، وتِلْأَلًا رَوْنَقُهُ ،  
وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم ، يُطِمِعُ مشهوده بالسمع ،  
وَيَمْتَنِعُ مقصوده على الطبع ؛ حتَّى إذا رامهُ مُرِيغٌ<sup>(٤)</sup> حَلَقٌ ، وإذا حَلَقٌ<sup>(٥)</sup>  
أَسَفٌ ، أعنى يَتَبَعْدُ على المُحَاوِلِ بعُنْفٍ ، وَيَقْرُبُ من المُتَنَاوِلِ بلُطْفٍ .  
وما رأيتُ أحداً تَنَاهَى في وَصْفِ النثر بجميع ما فيه وعليه غيرَ قُدَّامَةِ  
ابن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه ؛ قال لنا علي بن عيسى الوزير : عرضَ  
عليّ قُدَّامَةُ كتابه سنة عشرين وثلاثمائة ؛ واختبرته<sup>(٦)</sup> فوجدته قد بالغَ وأحسنَ ،  
وتفرَّدَ في وَصْفِ فنونِ البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من

(١) في أ « حقه » .

(٢) في ب « مجاوزاً للشك مقصراً عن القنوط » ؛ وهو تحريف .

(٣) في ب « ابن ذكوان » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٤) في أ « مرتفع » ؛ وهو تصحيف . والمرغ : الطالب .

(٥) إذا حلق ، أي المريج .

(٦) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مهملة الحروف من النقط .



طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبي والمعيب المجتنب . ولقد  
شاكه<sup>(١)</sup> فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ؛ ولكن وجدته هين اللفظ ،  
راكبك البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ،  
وكان ما يدل به غير ما يدل عليه . والعرب تقول : [ فلان ] يدل  
ولا يدل ، حكاة ابن الأعرابي ، وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم ، وحسن  
التصور ، وتوارد المعنى ، وتقدير الطبع ، وتصريف<sup>(٢)</sup> القريحة . قال : ولولا  
أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه ، والفن الذي  
ملكه ، والكنز الذي هجم عليه ، والنمط الذي ظفر به ؛ قد<sup>(٣)</sup> برز في  
أحسن معرض ، وتحلى بالطف كلام ، وماس في أطول ذيل ، وسفر عن  
أحسن وجه ، وطلع من أقرب نفق ، وحلق في أبعد أفق .

وابن المراكبي يقول كثيراً — وهو شيخ من جلة العلماء ، وله سهم واف  
في زمرة البلغاء — : ما أحسن معونة الكلمات القصار ، المشتعلة على الحكم  
الكبار ، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان ، فإنها توافيه عند الحاجة ،  
وتستضج أحوالها على سهولة ؛ وهكذا مصاريع أبيات الشعر ؛ فإنها تختلط  
بالنثر متقطعة وموزونة ، ومنشورة ومنضودة .

قال [ لى ] ابن عبيد الكاتب : بلغني [ هذا الوصف ] عن هذا الشيخ ؛  
فبلوته بالتتبع فوجدته على ما قال ؛ وما أشبه ما ذكره إلا بالصرّة<sup>(٤)</sup> المعدة

(١) في (١) « سأل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلا الأصلين « وتصور » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « وقد برز » والواو زيادة من الناسخ كما هو ظاهر .

(٤) الصرة : كيس الدراهم والدنانير ؛ والذي في كلا الأصلين « الجرّة » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به الكلام .

عند الإنسان ، لما يحتاجُ إليه في الوقت المهم والأمر المُلِمُّ ؛ فهذا هذا .  
فقال — أدام الله دولته ، وكبت أعداءه — : قدَّم هذا الباب [ فقد  
أتى ] <sup>(١)</sup> على ما لم أظنَّ أنه يُؤتَى عليه ويُهتدى إليه — إذا شئتَ ؛ وأنصرفتُ .

### الليلة السادسة والعشرون

ثم قال : وما أمثلةُ الكلماتِ القصارِ التي أوَمَّا إليها ذلك الشيخ ؟ <sup>(١)</sup>  
فكان [ من ] الجواب : إنَّ هذا الباب واسع ، نحو قول القائل : ما خابَ من  
أستخار ، ولا نَدِمَ من أستشار . كلُّ عزيزٍ دَخَلَ تحتَ القُدرة فهو ذليل .  
غَنِمَ من أدبتهُ الحكمة ، وأحكمتَه التجربة . التضامن رائدُ التباين . المرءُ  
ما عاشَ في تجريب .

الدهرُ [ يومٌ ويومٌ ] والعيشُ عَذْلٌ ولَوْمٌ

\* وأكثَرُ أسبابِ النَّجاحِ مع اليأسِ \*

من لم يُقدِّمه حَزَمٌ آخرَه عجز . كم مستدرجٌ بالإحسان إليه ، ومُغْتَرٍ  
بالبُشرِ <sup>(٢)</sup> عليه . الحربُ <sup>(٣)</sup> مثْلَةُ العبادِ <sup>(٤)</sup> مذهبُهُ للطَّارِفِ والتَّلاذ .

\* ليس المُقِلُّ عن الزَّمانِ براضى \*

من ضاق صدرُهُ اتَّسعَ لسانه .

\* وحَسْبُكَ داءٌ أن تصحَّ وتسلم \*

(١) هذه التكملة لم ترد في كلا الأصلين ، وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

(٢) في كلتا النسختين « بالبشر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) « الحزن » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (١) العيال ؛ وهو تحريف .

العيال سُوس المال . الموتُ الفادحُ خَيْرٌ من الزَّيِّ الفاضح . احذروا  
فَقَادَ النِّعَمَ ، فما كُلُّ شَارِدٍ مردود . خير الأمور أوساطها . يَكْفِيكَ من شَرِّ  
سَمَاعِهِ . الكَرِيمُ لا يَلِينُ على قَسَرٍ ، ولا يُقْتَسَرُ على يُسَرٍ . ما أَدْرَكَ النَّعَامُ  
ثَاراً ، ولا نَحَا عَاراً .

\* ومن يَبْكِ حَوْلَ كَامِلَا فَقَدْ أَعْتَذَرَ \*

\* إِنَّ الْمَطَامِعَ فَقْرٌ وَالْغِنَى الْيَاسُ \*

\* وَالْأَمْرَ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمَى \*

\* [رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ \*

\* ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ]

\* وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ \*

\* وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلْ \*

من عُرِفَ بِالْحِكْمَةِ لَاحِظَتِهِ الْعَيُونُ بِالْهَيْبَةِ . الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ ، إِنَّ  
الْمَقْدَرَةَ <sup>(١)</sup> تُذْهِبُ الْحَفِيفَةَ . من ثَقُلَ على صَدِيقِهِ خَفَّ على عَدُوِّهِ . زِيَادَةُ  
لِسَانٍ عَلَى عَقْلِ خُدْعَةٌ ، وَزِيَادَةُ عَقْلِ عَلَى مَنَظِقٍ هُجْنَةٌ .

\* وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي \*

مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ، أُعْطِيَ عَدُوَّهُ مُنَاهُ .

\* عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ \*

إِخْذَرْ صَرَاعَاتِ الْبَغْيِ وَفَلَتَاتِ الْمَزَاحِ .

(١) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ لِلْبِيدَانِ ، وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ « الْظَنَّةُ تَذْهَبُ » الْخ ، وَهُوَ

تَسْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .



\* ومن يسأل الضُّعُفَ أين مَذَاهِبُهُ \*

« المرء يعجز لا المحالة »

ذُلُّ الطالب بقَدْرِ حاجتِهِ ، إذا أزدَحَمَ الجواب خَفِيَ الصَّواب . الكريم الكريم مُجَلٍّ . موتٌ في قوَّةٍ وعِزٍّ خَيْرٌ من حَيَاةٍ في ذُلٍّ وعِجْزٍ . عدلُ السلطان خَيْرٌ من خِصْبِ الزمان . من تَوَقَّى سَلَمٌ ، ومن تَهَوَّرَ نَدَمٌ ، من أَسْرَعَ إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يَعْلَمُونَ . الضُّرُّ<sup>(١)</sup> خَيْرٌ من الْفَاقَةِ ، عَمَى صامت خَيْرٌ من عَمَى ناطق . رُبَّمَا سَوَّدَ السَّالُ غَيْرَ السَّيِّدِ ، وَقَوَّى غَيْرَ الْأَيْدِ . وهل يَدْفَعُ رَيْبَ النِّيَّةِ الْحَيْلُ .

\* الموت حَتْمٌ في رِقَابِ الْعِبَادِ \*

كُنِيَ بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ عُدْرًا ، وَبِرَجَاءِ الْعَفْوِ شَانِعًا . قَلِيلٌ يُوعَى ، خَيْرٌ من كثير يُنْسَى ، ليس على طول الخِدمِ<sup>(٢)</sup> نَدَمٌ ، ومن وراء المرء ما لم يَعْلَمْ . مَرُوءَتَانِ ظَاهِرَتَانِ : الرَّأْسَةُ<sup>(٣)</sup> وَالْفَصَاحَةُ . من أطال الأمل أساء العمل . لا تَكَلَّفْ ما كُفِّيت ، ولا تُضَيِّعْ ما وَلَّيت . احْتَمِلْ من أدلَّ عليك ، وأقبلْ ممن أَعْتَذَرَ إليك .

\* إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ \*

\* إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى مَا نَابَهُمْ صَبْرٌ \*

لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الْأَخْتِلَافُ . لا عُدْرَ في عُدْرٍ . ليس من العدل

(١) في كلتا النسختين « الصبر » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « الحياة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « الرياش » .

سُرْعَةُ الْعَدْلِ . أَقْبَحُ عَمَلٍ لِلْمُقْتَدِرِينَ أَلَا نَتَقَامَ . شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا يُتَمَنَّى لَهُ الْمَوْتُ . مِنْ جَاعٍ جَشِيعٍ . الْمَسْكِيْدَةُ فِي الْحَرْبِ أَبْلَغُ مِنَ النَّجْدَةِ . لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ، مَا أَصْلَحَ مَثْوَاكَ . مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَطَاعَ ، لَا يَسْأَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ ، إِذَا غَلَبَتْكَ نَفْسُكَ بِمَا تَظُنُّ ، فَأُغْلِبْهَا بِمَا تَسْتَيْقِنُ . الرَّدُّ الْجَمِيلُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَطْلِ الطَّوِيلِ . الْقَبْرِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَتُهُ أَعْتِذَارُهُ . صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ ، تَوْرَثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ ، لَا كَثِيرَ مَعَ تَبْذِيرٍ ، وَلَا قَلِيلَ مَعَ تَقْدِيرٍ . مِنْ صَانَ لِسَانَهُ نَجَا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ .

- \* وَلَرَبَّمَا نَفَعَ الْقَتَى كَذِبُهُ \*
- \* وَمَنْ يَبْدِلُ إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ \*
- \* إِذَا فَرَعَ الْفُؤَادُ فَلَا رُقَادُ \*
- \* مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا وَعَاهُ الصَّدْرُ \*
- \* إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ \*
- \* إِنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ \*
- \* إِنَّ الشَّقِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلَعٍ \*

لَا تَبْلُغْ عَلَى أَكْمَةٍ ، وَلَا تُفَشِّرْ سِرَّكَ إِلَى أُمَّةٍ . إِذَا أَقْبَلَتْ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ أَطَارَتْهُ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنُ نَفْسِهِ . فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ . قَدْ خَاطَرَ مَنْ أَسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ . عَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ . الْحَقُّ ظِلٌّ ظَلِيلٌ . الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ . مُعْدِمٌ وَصُولٌ خَيْرٌ مِنْ مُكْتَرٍ جَافٍ . مِنَ الْفَرَاغِ تَكُونُ الصَّبُورَةُ . مَنْ نَالَ أَسْتَطَالَ . فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ . الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ النِّقْمَةِ . اللَّبُّ مِصْبَاحُ الْعِلْمِ . مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ ، لَمْ يَأْمَنْ الْكَبُورَةَ . إِزَالَةُ الرُّوَاسِي ، أَيْسَرُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ . قَارِبَ النَّاسِ فِي عَقُولِهِمْ ،

تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ، وَتَرْتَعُ فِي حَدَائِقِهِمْ . عَاشِرُ أَخَاكَ بِالْحُسْنَى . الْحَسَدُ أَهْلَكَ  
الْجَسَدَ . خُذْ عَلَى خَلْقِكَ مِيثَاقَ الصَّبْرِ . خَيْرُ مَا رُمَتْ مَا يُنَالُ .

\* كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي \*

[قد يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ ]

غَمُّ الْفَقِيرِ لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا الْمَوْتُ . خِيفَةُ الظَّهْرِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . أَصُولُ  
الْأَسْقَامِ مِنْ فُضُولِ الطَّعَامِ . طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّةِ . مِنْ عِزِّ النَّفْسِ إِثَارُ  
الْقَنَاعَةِ . التَّوَاضُّعُ بِالْغِنَى أَجْمَلُ ، وَالْكِبَرُ بِالْفَقْرِ أَسْمَحُ . مَنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ  
لَمْ يَزَلْ يُخْذَلُ . مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا آتَاهُ طَالَ عَثْبُهُ عَلَى الدَّهْرِ .  
عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ . الْعَجْزُ وَالتَّوَانِي يُنْتِجَانِ الْفَاقَةَ . إِنْ  
صَبِرْتَ صَبَرَ الْأَحْرَارُ ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلوَى الْأَغْمَارِ . الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ يَنْمُو . مَعَاشِرَةُ  
الْإِخْوَانِ تَجْلُو الْبَصَرَ ، وَتَطْرُدُ الْفِكَرَ . لَا تُوحِشْكَ الْغُرْبَةُ مَا أَنْتَ بِالْكَفَايَةِ ،  
فَإِنَّ الْفَقْرَ أَوْحَشُ مِنَ الْغُرْبَةِ . الْغِنَى أَنْسُ فِي [غَيْرِ] <sup>(١)</sup> الْوَطَنِ . الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ  
مَوْصُولُ ، وَالْفَقِيرُ فِي الْأَهْلِ مَضْرُومُ . أَوْحِشُ قَرِينِكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْيَاشِهِ  
أَنْسُكَ . إِذَا أَيْسَرْتَ فَكُلُّ أَهْلٍ أَهْلَكَ ، وَإِنْ أَعْسَرْتَ فَأَنْتَ غَرِيبٌ فِي قَوْمِكَ .  
مِنْ أَخْلَاقِ الصَّبْيَانِ ، إِلْفُ الْأَوْطَانِ ، وَالْحَنِينُ إِلَى الْإِخْوَانِ . مَنْ لَمْ يَأْنَفْ ،  
لَمْ يَشْرُفْ . خَيْرُ الْمَوَدَّةِ مَا لَمْ تَكُنْ حِذَارَ عَادِيَةٍ ، وَلَا رَجَاءَ فَائِدَةٍ . مَنْ حَمَلَ  
الْأُمُورَ عَلَى الْقَضَاءِ اسْتَرَاخَ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ حَتَّى يَنْتَهِيَا . لَوْ أَسْتَحْسَنَ  
النَّاسُ مَا أَمَرَ بِهِ الْعَقْلُ اسْتَقْبَحُوا مَا نَهَى عَنْهُ الْعَقْلُ . أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى الْجَوَابِ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها ، ويقوى ذلك الكلمتان  
السابقة واللاحقة .



من لا يَغضب . الكلامُ في وَتِ السَّكوتِ عِي ، والسَّكوتُ في وقت الكلام  
خَرَس . الهمُّ يَهْدِمُ البدنَ ، وينغصُ العيشَ ، ويقرَّبُ الأجلَ . الموتُ رقيبٌ  
غيرُ غافل . المرءُ نهَبُ الحوادث . إذا تَمَّ العقلُ نَقَصَ الكلام . هَبْ ما أنكَرت  
لما عرَفت ، وأغفر ما أغضَبَكَ لما أَرْضَاكَ . اليأسُ إحدى الرَّاحَتَيْنِ . المَطْلُ  
أحدُ القَذايِنِ . الكَظْمُ مرٌّ ، ولا يتجرَّعُه إلا حُرٌّ . الرأى لا يَصْلُحُ إلا بالشَّرِكة ،  
والملكُ لا يَصْلُحُ إلا بالتَفَرُّدِ . من كَبُرَ عنصرُهُ ، حَسُنَ مُحَضَرُهُ .

\* وَلَرُبَّ مُطِيعَةٍ <sup>(١)</sup> تَعُودُ رِيحًا \*

\* وَالْحَدُّ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِأَثْمَانِ \*

\* وَلَكِنَّكَ الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ \*

من أَزْهَرَ بِقَوْلٍ ، حَقِيقٌ أَنْ يُشْمَرَ بِفِعْلٍ . السَّلَامُ أَرْخَى لِلْبَالِ ، وَأَبْقَى  
لنُفُوسِ الرُّجَالِ . حَسْبُكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ غَيْبَكَ مِنْ رُشْدِكَ . التَّسْوِيفُ  
بطاعة الله أَغْتَارُ ، وَحَيَاةُ المرءِ كَالشَّيْءِ الْمُعَارِ <sup>(٢)</sup> . من بَدَّلَ بَعْضَ عَنَائِتِهِ لَكَ ،  
فاجْعَلْ جَمِيعَ شُكْرِكَ لَهُ .

\* وَلِلْعَرِّ مِنْ مَالِ الْكَرِيمِ نَصِيبٌ \*

اليَوْمَ فِعْلٌ ، وَغَدًا ثَوَابٌ .

الْخَيْرُ مَخْتَارٌ شَهْوَى الْمَطْلَبِ وَالشَّرُّ مَحْذُورٌ كَرِهَةٌ مُجْتَنَبٌ

رُبَّ سَكُوتٍ مِنْ كَلَامٍ أَبْلَغُ وَرُبَّ قَوْلٍ مِنْ عَمُودٍ <sup>(٣)</sup> أَدْمَغُ

مَنْ سَلِمَ النَّاسُ عَلَى <sup>(٤)</sup> لِسَانِهِ أَصْبَحَ مَنْصُورًا عَلَى سُلْطَانِهِ

(١) في (١) « مطعنة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « المعتاد » ؛ وهو تحريف .

(٣) يريد بالسُّود : الذي يضرب به في الحرب .

(٤) على هنا بمعنى من .

من القليل يُجَمِّعُ الكثيرُ      رَبٌّ صَغِيرٌ قَدْرُهُ كَبِيرٌ  
 من باع ما يَفْنَى بما يَبْقَى غَنِمَ      وآثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَى نَدِمَ  
 قد يُحَرِّمَ الرَّاحِي وَيُعْطِي الْقَانِطَ      وَيُبْعِدُ الْأَذْنَى وَيُذْنِي الشَّاحِطَ  
 من لَمْ يُنَلِّكَ الْبِرَّ<sup>(١)</sup> فِي حَيَاتِهِ      لَمْ تَبْكْ عَيْنَاكَ عَلَى وَفَاتِهِ  
 الْمَالُ مَا تُنْفِقُ لَا مَا تَجْمَعُهُ      وَالزَّرْعُ مَا تَحْصُدُ لَا مَا تَزْرَعُهُ  
 يَا رَبَّ هَزَلٍ كَانَ مِنْهُ الْجِدُّ      وَرُبَّ مَزْحٍ كَانَ مِنْهُ الْحَقْدُ  
 الْبَحْرُ مُسْتَفْنٍ عَنِ الْفُرَاتِ

نقال — أدام الله أيامه — هذا فنُّ موفٍ على الغاية .

### الليلة السابعة والعشرون

وقال — أدام الله أيامه — في ليلة أخرى : كنت أحبُّ أن أسمعَ كلَّ ما  
 فِي كُنْهِ الْأَتْفَاقِ<sup>(٢)</sup> وَحَقِيقَتِهِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَحَارُّ الْعَقْلَ فِيهِ ، وَيَزِلُّ حَزْمُ الْجَازِمِ مَعَهُ ،  
 وَأَحَبُّ أَيْضًا أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثًا غَرِيبًا فِيهِ ؛ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنْ الرِّوَايَةُ فِي هَذَا  
 الْبَابِ أَكْثَرُ وَأَفْشَى مِنَ الْأُطْلَاعِ عَلَى سِرِّهِ ، وَالظُّفَرُ بِمَكْنُونِهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ  
 مَا يَتَعَلَّقُ بِالرِّوَايَةِ . قُلْتُ : حَكَى لَنَا أَبُو سَلِيمَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّ ثِيُودُسِيُوسَ<sup>(٣)</sup>  
 مَلَكَ يُونَانَ كَتَبَ إِلَى كُنْتُسَ<sup>(٤)</sup> الشَّاعِرِ أَنْ يَزُودَهُ<sup>(٥)</sup> بِمَا عِنْدَهُ مِنْ [ كَتَبَ ]

(١) فِي (١) « مِنْ لَمْ يَبْكْ لَكَ لِكَثْرٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يُرِيدُ بِالْأَتْفَاقِ الْأُمُورَ الَّتِي تَحْدُثُ بِالْمُصَادَفَةِ .

(٣) فِي (١) « قَوْمُودُوس » ، وَفِي ب « ثُودُورَس » ؛ وَالصُّوَابُ مَا أُثْبِتَ تَقْلًا عَنْ

كُتُبِ التَّارِيخِ . (٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « لِينْتُس » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَنْ يَزُودَهُ » بِالرَّاءِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

فلسفية ؛ فجمع ماله في عبيبة ضخمة ، وارتحل قاصداً نحوه ، فلقى في تلك البادية قوماً من قطاع الطريق ، فطعموا في ماله وهموا بقتله ، فناشدهم الله ألا يقتلوه وأن يأخذوا ماله ويحلوه ، فأبوا ، فتحير ونظر يمينا وشمالاً يلتمس مغيثاً وناصراً فلم يجد ، فرفع رأسه إلى السماء ، ومد طرفه في الهواء ، فرأى كراكيً تطير في الجو مُحَمَّاتٌ ، فصاح : أيتها الكراكي الطائفة ، قد أعجزني الممين والناصر ، فسكوني الطالبة بدى ، والآخذة بثأرى . فضحك اللصوص ، وقال بعضهم لبعض : هذا أنقص الناس عقلاً ، ومن لا عقل له لا جناح في قتله ؛ ثم قتلوه وأخذوا ماله وأقسموه وعادوا إلى أماكنهم ؛ فلما اتصل الحديث بأهل مدينته حزنوا وأعظموا ذلك ، وتبعوا أثر قاتله واجتهدوا فلم يُغنُوا شيئاً ولم يقفوا على شيء ؛ وحضر اليونانيون وأهل مدينته إلى هيكلهم لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحسكة والعيلة ، وحضر الناس من كل قطر وأوب ، وجاء القلة وأختلطوا بالجمع ، وجلسوا عند بعض أساطين<sup>(١)</sup> الهيكل ، فهم على ذلك إذ مرَّت بهم كراكيٌ تتناغى وتصيح ، فرفع اللصوص أعينهم ووجوههم إلى الهواء ينظرون ما فيه فإذا كراكيٌ تصيح وتطير ، وتسد الجو ؛ فتضاحكوا ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء طالِبو دَمِ كُنُتُس الجاهل — على طريق الاستهزاء — نسمع كلامهم بعض من كان قريباً منهم فأخبر السلطان فأخذهم وشد عليهم ، وطالبهم فأقرؤوا بقتله ، فقتلهم ؛ فكانت الكراكي الطالبة بدى ، لو كانوا يَعْلَمُونَ أَنَّ الطالِبَ لهم بالمرصاد .

وقال لنا أبو سليمان : إن كُنُتُس وإن كان خاطب الكراكي فإنه أشار به إلى رب الكراكي وخالفها ، ولم يُطِلَّ اللهُ دمه ولا سدَّ عنه باب إجابته ؛

(١) في كلتا النسختين « أساطير » ؛ وهو تعريف .



فسبحانه كيف يهَيُّ الأسباب، ويفتَح الأبواب، ويرفعُ الحجابَ بعد الحجاب.

فقال : هذا عَجَب :

قلتُ : قال لنا أبو سليمان : كلُّ ما جُهِل سبُّهُ من ناحية الحسِّ بالعادة ، ومن ناحية الطبيعة بالإمكان ، ومن ناحية النفس بالتهيئة ، ومن ناحية العقل بالتجويز ، ومن ناحية الإله بالتوفيق — فهو معجوبٌ منه ، معجوزٌ عنه ، مسلمٌ لمن له القدرةُ المحيطة ، والمشيئةُ النافذة ، والحكمةُ البالغة ، والإحسانُ السابق .

ولقد حكى أبو الحسن الفَرَضِيُّ في أمر الاتفاق شيئاً ظريفاً عن بعض إخوانه (٢) قال : خرجنا إلى بعض المتنزهات ومعنا جرَّةٌ (١) نصيدُ به السَّمَانِي ، وكنا جماعة ، فقال حدثٌ كان معنا — وكان أصغرَنا سِنًا — : أتم تصيدون بجرَّةٍ (١) ، وأنا أُصِيدُ بِيَدِي ؛ يقول ذلك على جِهَةِ المزح ؛ فرمى بعد قليل فاتفق له أن أثارَ سَمَانِي ، فأسرع إليه ونحن لا نعلم أنه أخذ شيئاً ، فقلنا له على طريق العبث : احذر الخنزير — من غير أن نكون رأينا خنزيراً — فالتفت فرعاً وفرَّ (٢) مُوَلِّياً ، فاتفق له أن رأى خنزيراً منه غير بعيد ، فأقبل إلينا مُسرِعاً هارباً من الخنزير والسَّمَانِي بيده وقد صاده .

وكنت في البادية في صَفَر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج ومعى (٣) جماعة من الصوفية ، فلحقنا جُهدٌ من عَوَز القوت وتَعَذُّر ما يُمَسِّك الرُّوح في

(١) الجرَّة : الحبل . وفي نسخة : « بحر » ، وهو الحبل الذي يجرُّ به أيضا .

(٢) وردت هذه السبابة في كلا الأصلين مهمة أكثر حروفها من النقط ، وما أثبتناه

هو أقرب الوجوه إلى ما في الأصول من الرسم وما يقتضيه السياق من الكلام .

(٣) في الأصل : « وبقى » ؛ وهو تحريف .

حديث طويل — إلا أَنَا وَصَلْنَا مِنْ زُبَالَةٍ<sup>(١)</sup> — بالحيلة اللطيفة مِنَّا ، والصَّنْعَ الجميل من الله تعالى — إلى شيء من الدقيق ؛ فانتعشتْ أَنْفُسُنَا بِهِ ، وَغَنِمْنَاهُ ، ورَأَيْنَاهُ نَفْحَةً مِنْ نَفَّحَاتِ اللَّهِ تعالى الكريم ؛ فجعلناه زَادَنَا ، وسِرَّنَا ؛ فلما بَلَّغْنَا المنزَلْ قَعَدْنَا لِلْمَارِسِ ذَلِكَ الدقيق ، ولَقَطْنَا البَعَرَ وَدُقَاقَ الحَطَبِ ، فلما أَجْمَعْنَا على العَجْنِ وَالْمَلِكِ<sup>(٢)</sup> لم نَجِدِ الحُرَاقَ<sup>(٣)</sup> — وكان عندنا أَنَّهُ معنا ، وَأَنَّا قد اسْتَظْهَرْنَاهُ<sup>(٤)</sup> — فدخلتْنا حَيْرَةٌ شديدة ، وَرَكِبْنَا غَمًّا غَالِبًا ، وسَقَفْنَا من ذَلِكَ الدقيق شيئًا ، فما سَاغَ وَلَا قَبِلَتْهُ الطبيعة ، وَبَقِينَا لَيَلَتَنَا طَاوِينَ سَاهِرِينَ ، قد علانا الكَمَدُ ، وَمَلَسَكُنَا الوُجُومُ والأسف ؛ فقال بعضُنَا : هذا لما وَجَدْنَا الدقيق ؟ ! وَأَصْبَحْنَا وَرُكْبُنَا قد اسْتَرْخَتْ ، وعيونُنَا قد غارت ، وَأَحَدُنَا لا يَحْدُثُ صاحِبَهُ غَمًّا وَكَرَبًا ؛ وَهَدُنَا إلى ما كُنَّا فيه قَبْلُ بزيادةٍ حَسْرَةٍ من النَّظَرِ إلى الدقيق ؛ وقال صاحبُنا : نَرْمِي بِجَرَابِ الدَّقِيقِ [حَتَّى نُلْقِيَ حِمْلَهُ وَثِقَلَهُ فِي طَوْلِ هَذَا الطريق] ؛ فقلنا : ليس هذا بصواب ، وما يضرُّنا أَنْ يكون معنا ، فلعلَّنَا أَنْ نَرَى رَكْبًا أَوْ نَلْقَى حَطَبًا . وكانت الباديةُ خَالِيَةً في ذَلِكَ الوقت ، لرُغْبٍ لِحِقِّ قَوْمًا من بنى كَلَابٍ من جهة أَعْدَائِهِمْ ، فلم يكن يجتازُ بها [في ذَلِكَ الوقت] غريب . وبقيْنَا كذلك إلى اليوم الثالث ، وَنَحْنُ نُلَاحِظُ<sup>(٥)</sup> وَنُجَاهِدُ في الشَّيْءِ ؛ فَلَمَّا كَانَ العَصْرُ مِنْ ذَلِكَ اليوم كُنْتُ أُسِيرُ أَمَامَ القَوْمِ أَجْرَهُمْ<sup>(٦)</sup> وَأَسْأَلُهُمْ ،

(١) زُبَالَةٌ : بلد بالطريق من الكوفة إلى مكة .

(٢) الملك : إناعام العجن .

(٣) الحراق : ما تقع فيه النار عند اقتداحها من خرق ونحوها .

(٤) قد استظهرناه ، أى حملناه معنا فوق أظهرنا .

(٥) في كلتا النسختين « نراجعف » ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٦) في كلتا النسختين « أجريهم » ؛ وهو تحريف .



وكنْتُ كالحاطب<sup>(١)</sup> لهم : « إذا عَثَرْنَا بِحُرَاقٍ<sup>(٢)</sup> وظَفِرْنَا بِفَتِيلَةٍ » ؛ فَوَجَدُوا خِرْقَةً مَلْفُوفَةً فِيهَا حُرَاقٌ ، فَهَلَّلُوا وَكَبَّرُوا ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ ؛ فَقُلْتُ كَالْمَتَعَجِّبِ : مَا الْخَبَرُ ؟ قَالُوا : الْبُشْرَى ؛ قُلْتُ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ خِرْقَةٌ مُلِثَتْ حُرَاقًا ، فَلَا تَسْلُ عَمَّا دَهَانَا مِنَ الْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ ؛ وَثَابَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّرُّورِ وَالِارْتِيَاكِ ، وَزَالَ عَنَّا مِنَ الْإِنْخِزَالِ وَالْأَنْكَسَارِ ، وَقَعَدْنَا فِي مَكَانِنَا ذَلِكَ ، وَلَقَطْنَا الْبَعْرَ ، وَأَثَرْنَا الْوَقُودَ ، وَأَجَّجْنَا نَارًا عَظِيمَةً ، وَمَلَكْنَا<sup>(٣)</sup> الدَّقِيقَ كُلَّهُ مَلَكَةً وَاحِدَةً وَكَانَ أَرْبَعِينَ رِطْلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِلَاغِنَا إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ؛ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا تَلَقَّانَا بَشَرٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَقَالُوا لَنَا : كَيْفَ سَلِمْتُمْ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ مَعَ الْعَوَزِ وَالْخُوفِ ؟ فَقُلْنَا : لَعَلَّ اللَّهَ يُقَرِّبُ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيَسَهِّلُ كُلَّ شَدِيدٍ ، وَيَصْنَعُ لِلضَّعِيفِ حَقِّي يَتَعَجَّبُ الْقَوِيُّ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَجْعَدُ هَذَا الْقَوْلَ ، وَيُنْكِرُ هَذَا الْفَضْلَ ، وَيَرْجِعُ إِلَى دِينٍ وَثِيقٍ أَوْ وَاهٍ (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) .  
وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ الزَّنجَانِيُّ الْقَاضِي صَاحِبُ الْمَذْهَبِ قَالَ :  
اصْطَلَحَ رَجُلَانِ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَسَافِرَيْنِ : مَجُوسِيٌّ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَالْآخَرُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَرْضِ جَبِّي<sup>(٤)</sup> ؛ وَكَانَ الْمَجُوسِيُّ رَاكِبًا بَغْلَةً لَهُ عَلَيْهَا سَفْرَةٌ<sup>(٥)</sup> مِنَ الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَسِيرُ مَرْفَعًا وَادِّعًا ، وَالْيَهُودِيُّ يَمْشِي بِلَا زَادٍ وَلَا نَفَقَةٍ ؛ فَبَيْنَا هُمَا يَتَحَادَثَانِ إِذْ قَالَ الْمَجُوسِيُّ لِلْيَهُودِيِّ : مَا مَذْهَبُكَ وَغَقِيدَتُكَ

(١) فِي (ب) « كَالْحَاطِبِ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « نَحْنُ » ؛ وَفِيهِ تَحْرِيفٌ وَتَقْصُصٌ ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمَلَلْنَا ... مَلَّةً » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « حَيَّ » بِالْمُهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَضْعِيفٌ . وَحَيٌّ : مَدِينَةٌ بِنَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ تَسْمَى الْآنَ شَهْرَسْتَانَ ، وَكَانَ لِلْيَهُودِ مَحَلَّةٌ فِي طَرَفِهَا ، فَلَمَّا خَرِبَتْ حَيٌّ بَقِيََتْ مَحَلَّتُهُمْ ، وَهِيَ الْيَهُودِيَّةُ .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِي سَفَرِهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



يا فلان ؟ قال اليهودي : أعتقد أن في هذه السماء إلها هو إله بني إسرائيل ، وأنا أعبدُه وأقدسُه وأضرع إليه ، وأطلبُ فضلَ ما عنده من الرزق الواسع والعمر الطويل ، مع صحة البدن ، والسلامة من كل آفة ، والنصرة على عدوِّي ، وأسأله الخيرَ لنفسي ولمن يوافقني في ديني ومذهبي ، فلا أعبا بمن يخالفني ، بل أعتقد أن من يخالفني دمه لي يحل ، وحرامٌ على نصرته ونصيحته والرحمة به . ثم قال للمجوسي : قد أخبرتك بمذهبي وعقيدتي وما أشتمل عليه ضميري ، فخبّرني أنت أيضا عن شأنك وعقيدتك وما تدّين به ربك ؟ فقال المجوسي : أما عقيدتي ورأيي فهو أني أريد الخيرَ لنفسي وأبناء جنسي ، ولا أريد لأحدٍ من عباد الله سوءا ، ولا أتمنى له ضرا ، لا لموافقي ، ولا لمخالفي . فقال اليهودي : وإن ظلمك وتعدّى عليك ؟ قال : نعم ، لأنني أعلم أن في هذه السماء إلها خيرا عالما حكما لا تخفى عليه خافية من شيء ، وهو يجزيّ الحسَنَ بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته . فقال اليهودي : يا فلان ، لست أراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك . قال المجوسي : كيف ذاك ؟ قال : لأنني من أبناء جنسك ، وبشرٌ مثلك ، وتراني أمشي جائعا نصيبا مجهودا ، وأنت راكبٌ وادعُ مرفهٌ شبعان . فقال : صدقت ، وماذا تبغي ؟ قال : أطعمني من زادك ، وأحملني ساعة ، فقد كَلَلْتُ وضَعُفْتُ . قال : نعم وكرامة . فنزل ومدَّ من سفرته وأطعمه وأشبعه ، ثم أركبه ، ومشى ساعة يحذّثه ؛ فلما ملك اليهودي البغلة وعلم أن المجوسي قد أعيا ، حرّك البغلة وسبّقه ، وجعل المجوسي يمشي ولا يلحقه ، فناداه : يا فلان ، قف لي وأنزل ، فقد انحسرتُ وأنتهزت . فقال اليهودي : ألم أخبرك عن مذهبي وخبّرنتني عن مذهبك ، ونصرته وحقيقته ؟ فانا أريد أيضا أن أحقق مذهبِي ، وأنصر رأيي وأعتقادي . وجعل يحرك البغلة ، والمجوسي يتفوه على ظلع وينادي : قف

وَيَضُوبُ<sup>(١)</sup> مَا هَذَا وَصَفُهُ أَنْ يُتْرَكَ وَيُرْفَضَ وَيُزَال . فَرَحِمَهُ الْجُوسَى ، وَحَمَلَهُ  
مَعَهُ حَتَّى وَافَى الْمَدِينَةَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مُحَطَّمًا مُوجَعًا ، وَحَدَّثَ النَّاسَ بِحَدِيثِهِ  
وَقِصَّتِهِ ، فَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ شَأْنِهِمَا زَمَانًا [ طويلا ] .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِلْجُوسَى [ بَعْدُ ] : كَيْفَ رَحِمْتَهُ بَعْدَ خِيَانَتِهِ لَكَ ،  
وَبَعْدَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ الْجُوسَى : إِعْتَذَرَ بِحَالِهِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا ، وَدَأَبَ عُمُرِهِ  
فِي اعْتِقَادِهَا ، وَسَعَى لَهَا وَأَعْتَادَهَا ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا شَدِيدُ الزَّوَالِ عَنْهُ ، وَصَدَّقْتُهُ  
وَرَحِمْتُهُ ، وَهَذَا بَنِي شُكْرُهُ عَلَى صُنْعِ اللَّهِ بِي حِينَ دَعَوْتُهُ عِنْدَ مَا ذَهَابَ مِنْهُ ،  
وَبِالرَّحْمَةِ الْأُولَى أَعَانَنِي رَبِّي ، وَبِالرَّحْمَةِ الثَّانِيَةِ شُكْرَتُهُ عَلَى مَا صَنَعَ بِي .

هَذَا كُلُّهُ سَرْدَنَاهُ اسْبَبَ الْأَمْرِ الَّذِي يَبْدُو مِنْ غَيْرِ جَنَانٍ ، وَالْعَارِضِ الَّذِي  
يَبْزُزُ مِنْ غَيْرِ تَوْهْمٍ .

وَأَبُو سُلَيْمَانَ يَقُولُ : الْأُمُورُ مَقْسُومَةٌ عَلَى الْحُدُودِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْقُوَى النَّفْسِيَّةِ  
وَالْبَسَائِطِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْغَرَائِبِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ فَبِالْوَاجِبِ ، مَا كَانَ هَاهُنَا مَأْلُوفًا لَهُ نَسَبَةٌ  
إِلَى الطَّبِيعَةِ ، وَنَادِرًا لَهُ نَسَبَةٌ إِلَى النَّفْسِ ، وَبَدِيعًا لَهُ نَسَبَةٌ إِلَى الْعَقْلِ ، وَغَرِيبًا  
لَهُ نَسَبَةٌ إِلَى الْإِلَهِ ؛ وَالْفَلَكَاتُ فِي الْأَحْوَالِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، أَعْنَى مَا يَتَخَالَلُ  
هَذِهِ الْمَرَاتِبُ .

فَقَالَ [ لَهُ ] الْبُخَارِيُّ : أَيْقَالَ لِمَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِلَهِ فَلْتَةٌ ؟ قَالَ : بِحَسَبِ  
مَصِيرِهِ إِلَيْنَا ، وَوَصُولِهِ إِلَى عَالَمِنَا ، لَا بِحَسَبِ صُدُورِهِ عَنِ الْبَارِي ، فَلَيْسَ هُنَاكَ  
هَذَا وَ[ لَا ] مَا يُشَبِّهُهُ ، لِأَنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ لَحِقَتْ الْمَرْكَبَاتُ ، مِنَ الْأَوَائِلِ

(١) فِي (١) وَيَقْبُ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



المُزْدَوِجَات<sup>(١)</sup>، والثَوَانِي المَكْرَرَات، والثَوَالِث المَحَقَّقَات، والرَّوَابِع المَتَمَّمَات،  
والخَوَاسِ المَدْبَرَات، والسَّوَادِس المَضَاعِفَات، والسَّوَابِع الظَّاهِرَات، والثَوَامِن  
المُعَقَّبَات، والتَّوَاسِع العَالِيَّات، والعَوَاشِر الكَامِلَات؛ وما بَعْدَ العَوَاشِر دَاخِلٌ  
فِي المَكْرَرَات.

قال له البخاريّ مستزيذاً: أكان<sup>(٢)</sup> التَّوْفِيقُ مِنَ الاتِّفَاقِ؟ فقال: هما  
يتَوَحَّدَانِ مِنْ وَجْهِ، وَيَقْتَرِفَانِ مِنْ وَجْهِ؛ فَوَجْهُهُ تَوَحُّدُهُمَا أَنَّ الاتِّفَاقَ وَلِيدُ  
التَّوْفِيقِ، وَالتَّوْفِيقَ غَايَةُ الاتِّفَاقِ؛ وَوَجْهُهُ اقْتِرَافُهُمَا أَنَّ الاتِّفَاقَ يَبْزُزُ إِلَى الْحَسَنِ،  
وَأَصْحَابُهُ يَشْتَرِكُونَ فِي التَّعَجُّبِ مِنْهُ، وَالِاسْتِطْرَافِ لَهُ؛ وَالتَّوْفِيقَ يُسْتَرُّ عَنْ  
الْحَسَنِ؛ وَلِهَذَا لَا تُسَلَّكُ<sup>(٣)</sup> مَسَالِكُهُ. وَأَمَّا الْوَفَاقُ وَالْمُوَافَقَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالاتِّفَاقُ  
فَمُتَلَابِسَةٌ الْمَعْنَى؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى مَسَافَةٌ مُحْصَلَةٌ<sup>(٤)</sup> حُسِبَ هَذَا  
فِي حَيْزٍ هَذَا، وَعُدَّ هَذَا فِي مُجْلَةٍ هَذَا.

وقال — أَبْقَاهُ اللَّهُ وَأَدَامَ أَيَّامَهُ — : مَا الْيُمْنُ وَالْبَرَكَةُ؟ وَالْفَاعِلُ وَالطَّيْرَةُ<sup>(٥)</sup>  
وَأَضْدَادُهَا؟

فكان الجواب: إِنَّ الْيُمْنَ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْءٍ يَبْشُرُ بِهِ [وَيُبْتَنَى] <sup>(٥)</sup> وَيُرَادُ؛  
ويقال: فلانٌ يُمْنٌ نَاصِيَةٌ، وميسور الناصية؛ أي هو سببٌ ظاهرٌ في نيلِ  
مأمولٍ وإدراكِ محبوبٍ؛ واشتقاقه من اليمين، وهو القوة؛ ولذلك يقال لليَسَارِ:  
شِمَالٌ، لِأَنَّهَا أضعفُ منها، وتسمَّى أيضاً: الشَّوْمَى. ويقال: يُمْنُ فلانٌ عليهم،

(١) لعله « المتوحدات ».

(٢) في (١) « فإن التوفيق »؛ وهو تحريف. وهمزة الاستفهام لم ترد في الأصول.

(٣) الذي في كلتا النسختين « فلهذا لا يسأل ماله ».

(٤) في (١) « خاصة ».

(٥) في (١) « ما يراد ويبتنى ».



يا هذا وأحملني ، ولا تتركني في هذا الموضع نيا كلني السبع وأموت ضياعا ،  
وأزحمني كما رَحمتك . واليهودي لا يُلوِي على ندائه وأستغاثته ، حتى غابَ  
عن بصره ؛ فلما يئس المجوسىُّ منه وأشقى على الملكة ، ذَكَرَ اعتقاده  
وما وَصَفَ به رَبَّهُ ، فرَفَعَ طَرَفَهُ إلى السماء وقال : إلهي قد عَلِمْتَ أَنِّي اعتَقَدْتُ  
مذهباً ونصرتُهُ ، ووَصَفْتُكَ بما أَنْتَ أَهْلُهُ ، وقد سَمِعْتَ وَعَلِمْتَ ، فَحَقِّقْ عِنْدَ  
هذا الباغى على ما مَجَّدْتُكَ به ، لِيَعْلَمَ حَقِيقَةُ مَا قُلْتُ . فما مشى المجوسىُّ إِلَّا  
قليلاً حتى رأى اليهودىَّ وقد رَمَتْ به البَغْلَةَ ، وأُنْدَقَتْ عُنُقُهُ ، وهى واقفةٌ ناحيةٌ  
منه تنتظر صاحبها ؛ فلما أدرك المجوسىُّ بَغْلَتَهُ ركبها ومضى لسبيله ، وترك  
اليهودىَّ مُعَالِجاً لِكَرْبِ المَوْتِ ؛ فناداه اليهودىُّ : يا فلان ، إرحمني وأحملني  
ولا تتركني في هذه البرية أَهْلِكُ جُوعاً وَعَطْشاً ، وانصُرْ مَذْهَبَكَ ، وَحَقِّقْ  
أَعْتِقَادَكَ . قال المجوسىُّ : قد فعلتُ ذلك مرَّتين ، ولكنَّكَ لم تفهمْ ما قُلْتُ لك  
ولم تَعْلَمْ ما وَصَفْتُ . فقال اليهودىُّ : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى وَصَفْتُ لك  
مَذْهَبِي فلم تصدَّقْنى في قولى ، حتى حَقَّقْتَهُ بِنَفْلِي ، وذاك أَنَّى قُلْتُ : إن في هذه  
السماء إلهًا خبيراً عادلاً لا يَخْفَى عليه شيء ، وهو وَلِيُّ جِزَاءِ الْمُحْسِنِ <sup>(١)</sup> بِإِحْسَانِهِ ،  
وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ . قال اليهودىُّ : قد فهمتُ ما قُلْتَ ، وَعَلِمْتُ ما وَصَفْتُ . قال  
المجوسىُّ : فما الذى مَنَعَكَ من أَنْ تَتَعَبَّطَ بما سَمِعْتَ ؟ قال اليهودىُّ : اعتقادُ  
نَشَأَتِهِ عَلَيْهِ ، ومذهبُ تَرَبُّيَّتِهِ به ، وصار مألُوفاً مُعْتَاداً كَالْجِبِلَّةِ بِطُولِ الدَّاءِ  
فيه ، وأُسْتِعْمَالِ أُبْنِيَّتِهِ <sup>(٢)</sup> ، اقتداءً بِالْآبَاءِ والأجداد والمعلمين من أَهْلِ دِينِي  
[ ومن أَهْلِ ] مذهبِي ، وقد صارَ ذلك كَالْأُسِّ الثَّابِتِ ، وَالْأَصْلِ النَّابِتِ ؛

(١) عبارة (١) جزاء المحسنين ويكافئ السيئين .

(٢) ابنيته ، أى أصوله التى أبى عليها . وفى (١) « بنته » ؛ وهو تحريف .

وَشَوْمٌ ، وهو ميمونٌ ومَشْتُومٌ ؛ جُعِلَ الْفِعْلُ عَلَى طَرِيقِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ،  
لأنَّ شَيْءًا مَوْصُولًا بِهِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِهِ وَأَخْتِيَارِهِ . وَإِنَّمَا نَزَعُوا إِلَى قَوْلِهِمْ : فَلَانَ  
مَشْتُومًا لِيَكُونَ الْفِعْلُ وَإِقْعًا بِهِ — أَعْنَى الْمَسْكُورُ — وَإِلَّا فَهُوَ شَائِمٌ فِي الْأَصْلِ .  
وَيُقَالُ : شَائِمٌ فَلَانٌ قَوْمَهُ ، وَكَذَلِكَ يَمْنَهُمْ ؛ وَكَأَنَّهُمَا قَوْمَتَانِ عَلَوِيَّتَانِ تَصَحَّبَانِ  
مِزَاجَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ ، وَإِذَا أُعْتِيدَ مِنْهُمَا هَذَانِ الْعَرَضَانِ اللَّذَانِ يَصْدُرَانِ عَنْ  
هَاتَيْنِ الْقَوْمَتَيْنِ الْعُلُوِّيَّتَيْنِ ، قِيلَ : فَلَانٌ [ كَذَا ] ، وَفَلَانٌ كَذَا .

وَأَمَّا الْبَرَكَةُ فَهِيَ التَّمَادُّ وَالزِّيَادَةُ وَالرَّفْعُ ، مِنْ حَيْثُ لَا يُوْجَدُ <sup>(١)</sup> بِالْحَسَنِ  
ظَاهِرًا مَكْشُوفًا يُشَارُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عُهِدَ مِنَ الشَّيْءِ هَذَا الْمَعْنَى خَافِيًا عَنِ الْحَسَنِ  
قِيلَ : هَذِهِ بَرَكَةٌ ، وَأَشْتَقَاتُهَا مِنَ الْبُرُوكِ ، وَهُوَ الْأَزْوَاجُ وَالسَّعَةُ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ :  
الْبَرَكَةُ . وَالْبَرَكَةُ يوصَفُ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ لَصِدِّهَا أَسْمٌ مَشْهُورٌ ، لِذَلِكَ  
يُقَالُ : قَلِيلُ الْبَرَكَةِ .

وَأَمَّا الْقَائِلُ فَفُسِّرَ بِأَنَّهُ جَرِيَانُ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ عَلَى اللِّسَانِ مَعْرُوضًا عَنْ  
الْقَصْدِ ، إِنَّمَا مِنَ الْقَائِلِ ، وَإِنَّمَا مِنَ السَّامِعِ . وَقَدْ سَمِعَ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ — لَمَّا نَزَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ — أَبَا أَيُّوبَ يَقُولُ لَغْلَامٍ  
لَهُ : يَا سَالِمُ يَا غَانِمُ . فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : « سَلِمْتُ لَنَا الدَّارُ فِي غَنَمٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . وَهَذَا  
مَشْهُورٌ بَيْنَ النَّاسِ .

وَصِدِّهُ الطَّيْرَةُ وَالْإِشْعَارُ <sup>(٢)</sup> . وَيُرْوَى أَنَّهُ نَهَى عَنِ الطَّيْرَةِ ، وَكَانَ

(١) لَا يُوْجَدُ ، أَيِ التَّمَادُّ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ .

(٢) لَمْ نَجِدْ فِيهَا رَاجِعًا مِنْ كِتَابِ اللُّغَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ ذِكْرِ الْإِشْعَارِ بِهَذَا الْمَعْنَى  
الَّذِي أَرَادَهُ الْمُؤَلِّفُ هُنَا . غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ يَتَضَعُ مِمَّا نَقَلْنَاهُ عَنِ اللِّسَانِ فِي الْحَاشِيَةِ الْآتِيَةِ رَقْمَ ٣  
مِنْ صَفْحَةِ ١٦٤ مِنْ قَعْدَةِ عَمْرِ مَعَ رَأْيِ الْجَمَاعَةِ وَتَطْيِيرِ الرَّجُلِ اللَّهْمِيِّ بِمَا خَدَتْ ، فَانْظُرْهَا ثُمَّ .

يُحِبُّ الْقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس لها عِلَلٌ رَاتِبَةٌ ، ولا أسبابٌ مُوجِبَةٌ ، ولا أوائلٌ معروفةٌ ؛ ولهذا كُرِهَ الإفراطُ في التطيُّرِ والتعويلُ على القَالِ ، لأنَّهما أمرانِ يَصْحَاحَانِ وَيَبْطُلَانِ ، والأقلُّ منهما لا يُمَيِّزُ من الأكثرِ ؛ والمزاجُ من الإنسانِ فيهما أثرٌ غالبٌ ، والعادةُ أيضاً تُعِينُ ، والولوعُ يزيدُ ، والتحفُّظُ مما هذا شأنه شديدٌ . ولقد غَلَبَ هذا حتى قيل : فلانٌ مدوَّرُ الكعبِ ، وفلانٌ مشثومٌ ؛ وحتى تَعَدَّى هذا إلى الدَّابةِ والدارِ والعبدِ ؛ وكلُّ هذا ظهر في هذه الدارِ حتى لا يكونَ للعبدِ طمأنينةً إلا باللهِ ، ولا سُكونٌ إلا مع اللهِ ، ولا مطلوبٌ إلا من اللهِ ؛ ولهذا — عزَّ وجلَّ — يُطْلِعُ الخوفَ من ثَنِيَّةِ الأَمَنِ ، وَيَسُوقُ الأَمْنَ من نَاحِيَةِ الخوفِ ، وَيَبْعَثُ النَّصْرَ وقد وَقَعَ اليأسُ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ وقد أَشْتَدَّ البأسُ . وأفعالُ الله تعالى خَفِيَّةُ المطالِعِ ، جَلِيَّةُ المَوَاقِعِ ، مَطْلُوبَةُ المَنَافِعِ ؛ لأنها تَسْرِي بين الغَيْبِ الإلهِيِّ ، والعِيَانِ الإِنْسَانِيِّ ، وكلُّ ذلكَ لِيَصِحَّ التَّوَكُّلُ عليه ، والتَّسْلِيمُ له ، وَاللِّيَازُ بِهِ ، ويعرَّجَ على كَنَفِ مُلْكِهِ ، وَيَتَّبِعُوا مَعَانِ<sup>(١)</sup> خُلْدِهِ ، وَيُنَالُوا عِنْدَهُ بِطَاعَتِهِ وِعِبَادَتِهِ .

فقال الوزير — كَبَتَ اللهُ أَعْدَاءَهُ ، وَبَلَّغَهُ مُنَاهُ — : هذا كلامٌ ليس عليه كلامٌ ، أَرَى النُّعَاسَ يَخْطُبُ إِلَى عَيْنِي حَاجَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتَ فَأُجْمَعُ لِي فَقَرَّأَ مِنِ هَذَا الضَّرْبِ الَّذِي مَرَّ مِنْ حَدِيثِ الطَّيِّرَةِ وَالْقَالَ وَالْأَتْفَاقِ .

### الليلة الثامنة والعشرون

وَعُدَّتْ لَيْلَةً أُخْرَى وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا الْفَنِّ .

منها : عَقَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِسَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الْجَرَشِيِّ أَيَّامَ التَّرْكِ ، فَقَالَ (١)

(١) المعان : المنزل .



سعيد : يا فَتْحُ ، يا نَضْرُ ، خُذَا اللّٰوَاءَ . فقال هشام : أَعْمَدًا قَلْتَ هَذَا ؟ قال : لا ، ولكنهما غلاماي دَعَوْتُهُمَا . قال هشام : هو الْفَتْحُ وَالتَّصْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وكان ذلك كذاكَ .

وكان عمرُ بنُ الخطاب — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — يَغْرِضُ ، فَرَّ بِهِ حَيَّةُ بنُ نَكَازٍ ، فقال : لا حاجة لنا في هذا ، هذا حَيَّةُ وأبوه يَنْكُزُ<sup>(١)</sup> .

ورمى رجلُ الجَمَارِ ، فأصابَ صَلْعَةَ عمرَ بِمَحْصَاةٍ فَشَجَّهَ . فقال رجل : أَشْعِرْتَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٢)</sup> لا يقوم عمر هذا اللَّقَامَ أَبَدًا . فكان ذلك كذلك<sup>(٣)</sup> .

وخرج رجل ينظر الحسن بن علي — صلوات الله عليه — فلقى رجلًا ، فقال له : ما أَسْمُكَ ؟ قال : عِقَالٌ . قال : إِنْ مَنْ ؟ قال ابنُ عَقِيلٍ . قال : مِنْ بَنِي مَنْ ؟ قال : من بني عَقِيلٍ . قال عَقِلْتَهُ عَقَلَكُ اللَّهُ .

(٢) هذا الجزء أيُّهَا الشَّيْخُ — أَبَقَاكَ اللَّهُ مَا تَمَنَّيْتَ الْبَقَاءَ — هو الجزء الثاني ، والثالثُ يَتْلُوهُ ، وَالظَّنُّ الْجَمِيلُ بكَ ، يَعِدُّنَا بِالْحُسْنَى مِنْكَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ الْغَرَضَ فِي جَمْعِ هَذَا كُلِّهِ وَالتَّعَبُ فِيهِ ، وَأَرْجُو أَلَّا يَخِيبَ الْأَمَلُ ، وَلَا يَبُورَ الْعَمَلُ ،

(١) يَنْكُزُ ، من النَكَزِ ، وهو لسع الحية بأفهامها ، ومنه أخذ اسم هذا الرجل « نَكَاز » كما أن النَكَازَ نوع من أخبث الحيات .

(٢) في (١) « أم المؤمن » ؛ وهو تحريف .

(٣) وردت هذه القصة في اللسان مادة شعر ونصها : « أن رجلا رمى الجمرات فأصاب صلعته بحجر فسال الدم فقال رجل أشعر أمير المؤمنين . وتنادى رجل آخر يا خليفة ، وهو اسم رجل ، فقال رجل من بني لهب : ليقتلن أمير المؤمنين . فرجع فقتل في تلك السنة . ولهب قبيلة من اليمن فيهم عيافة وزجر . وتشاءم هذا اللهي بقول الرجل : أشعر أمير المؤمنين فقال : ليقتلن ، وكان مراد الرجل أنه اعلم بسلان الدم عليه من الشجة كما يشعر الهدى إذا سيق للنحر . وذهب به اللهي إلى القتل ، لأن العرب كانت تقول للملوك إذا قتلوا : أشعروا وتقول لسوقة الناس : قتلوا . ولما قال الرجل : أشعر أمير المؤمنين جعله اللهي قتلا فيما توجه له من علم العيافة وإن كان مراد الرجل أنه دى كما يدى الهدى إذا أشعر . وحقت طيرته ، لأن عمر رضى الله عنه لما صدر من الحج قتل « والإشعار : الإدماء بطن أو رى أو وجه بمحديدة . اهـ »

وإن كان ذلك لا يخلو من بعض الخلل والزلل . فإذا أخذت بحكم الفضل الذي هو عادتك وديدتك مع الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، فازقذحي ، وصدق نوثي ، وصح زجري وفألي . حرم الله نفسك ، وصان نعمتك ، وكبت كل عدو لك .

### الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

بسم الله الرحمن الرحيم

- (١) أيها الشيخ وصل الله قولك بالصواب ، وفعلك بالتوفيق ، وجعل أحوالك كلها منظومة بالصلاح ، راجعة إلى حميد العاقبة ، متألقة بشوارد الشُّرور ، ووفر حظك من المدح والثناء ، فإنهما ألدُّ من الشَّهْدِ والسُّلوى ، ومدَّ في عُمرِكَ لكسب الخير ، وأستدامة النعمة بالشُّكر ؛ وجعل تلذذك باصطناع المعروف ، وعرفك عواقب الإحسان إلى المُستحقِّ وغير المستحق ، حتى تكلف بيت الجليل ، وتُشغف بنشر الأيادي ، وحتى تجد طعم الثناء ، وتطرَّب عليه طرَبَ النَّشوانِ على بديع الغناء . لا طرب<sup>(١)</sup> البرداني على غناء علوة جارية (٢) ابن علويه في درب السلق<sup>(٢)</sup> إذا رفعت عقيرتها فغنت بأبيات السُّروى<sup>(٣)</sup> :

بالورد في وجنتيك مَنْ لطمك      وَمَنْ سَقَاكَ المَدَامَ لَمْ ظَلَمَكَ ؟  
[ خَلَاكَ لَا تَسْتَفِيقُ مِنْ سُكْرِ ]      تَوَسَّعُ شَتْمًا وَجَفْوَةً خَدَمَكَ [   
مُعْتَرَبَ الصَّدْعِ قَدْ ثَمَلَتْ فَا      يَمْنَعُ مِنْ تَمْرِ عَاشِقِيكَ فَكَ ؟

(١) في (١) « ولا طرب » .

(٢) في كلتا النسخين « السلق » ، والياء زيادة من الناسخ . ودرب السلق محلة يفتاد .

(٣) في ب « السُّروى » بالمعجمة .

[تَجَرُّ فَضْلَ الْإِزَارِ مُنْخَرِقَ النَّعْلَيْنِ قَدْ لَوَّثَ الثَّرَى قَدَمَكَ  
أَظْلًا مِنْ حَيَرَةٍ وَمِنْ دَهَشٍ أَقُولُ لِمَا رَأَيْتُ مَبْتَسِمَكَ]  
بِاللهِ يَا أَقْحَوَانَ مَضْحَكَ عَلَى قَضِيبِ الْعَقِيقِ مَنْ نَظَّمَكَ؟  
وَلَا طَرَبَ ابْنُ فَهْمٍ <sup>(١)</sup> الصُّوفِيُّ عَلَى غَنَاءِ « نَهَايَةِ » جَارِيَةِ ابْنِ الْمَغْنَى إِذَا  
انْدَفَعَتْ بِشَدُوهَا <sup>(٢)</sup> :

أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَرَأَ بِالْكَرَّخِ مِنْ يَلَاكِ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ  
وَدَّعْتُهُ وَبُودَى لَوْ يُوَدِّعُنِي هَتَفُوا الْحَيَاةَ وَأَنْتَى لَا أُوَدِّعُهُ  
فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ هَذَا مِنْهَا ضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَتَمَرَّغَ فِي التَّرَابِ وَهَاجَ  
وَأَزْبَدَ ، وَتَغَفَّرَ <sup>(٣)</sup> شَعْرَهُ ؛ وَهَاتِ <sup>(٤)</sup> مِنْ رِجَالِكَ مِنْ يَضْبُطُهُ وَيَمْسِكُهُ ،  
وَمَنْ يُجَسِّرُ عَلَى الدُّنُومِ ، فَإِنَّهُ يَعْصُ بِنَابِهِ ، وَيَنْخَمِسُ بِظُفْرِهِ ، وَيَرْكُلُ بِرِجْلِهِ  
وَيَخْرِقُ الرِّقَّةَ قِطْعَةً قِطْعَةً ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ أَلْفَ لَطْمَةٍ [ فِي سَاعَةٍ ] ، وَيَخْرُجُ فِي  
الْعَبَاءَةِ <sup>(٥)</sup> [ كَأَنَّهُ ] عَبْدُ الرَّازِقِ الْمَجْنُونِ صَاحِبُ السَّكِيلِ فِي جِيرَانِكَ بِيَابِ الطَّاقِ .  
وَلَا طَرَبَ ابْنُ غِيلَانَ الْبَزَازِ عَلَى تَرْجِيَعَاتِ « بَلَوْر » جَارِيَةِ ابْنِ الْيَزِيدِ  
الْمُؤَلِّفِ بَيْنَ الْأَكْبَادِ الْمَحْرَقَةِ ، وَالْمُحْسِنِ إِلَى الْقُلُوبِ الْمُتَصَدِّعَةِ وَالْعَيُونِ الْبَاكِیَةِ  
إِذَا غَنَّتْ .

(١) فِي لِسَانَةِ « ابْنِ قَتْمِ » .

(٢) فِي (١) « لَتَشْدُوهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « وَتَغَفَّرَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَوَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا فِي .

(ب) مَطْمُوسَتِ الْحُرُوفِ تَتَعَذَّرُ قِرَاءَتُهُمَا .

(٤) فِي (١) « وَهَاتِ وَجَالِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ كَمَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (ب) غَيْرِ

وَاضِحَةٍ .

(٥) فِي (١) « الْحَكَايَةِ » وَوَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ مَطْمُوسَةً الْحُرُوفِ فِي « ب » ، وَلَعَلَّ

صَوَابَ السَّكْمَةِ مَا أَثْبَتْنَا بِدَلِيلٍ مَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ « وَيَخْرِقُ الرِّقَّةَ » الْخ .



أعطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ ما دمتَ تُعَذِّرُ بالشَّبَابِ  
 وأنمِ بأيامِ الصَّبِيِّ وأخلعْ عِذارَكَ في التَّصَابِي  
 فإنه إذا سمع هذا منها أنقَلَبَت سَمَالِيْق عَيْنَيْهِ ، وَسَقَطَ مَغْشَا عَلَيْهِ ، وهاتِ  
 الكافور وماء الورد ، وَمَنْ يقرأ في أذنه آيةَ الْكَرُمِ والمعوذتين ، ويرُفَى  
 بِهَيَّأِ شَرَاهِيَا<sup>(١)</sup> .

ولا طَرَبَ أبى الوزير الصوفي [القطن] في دار القطن<sup>(٢)</sup> عند جامع المدينة على  
 « قَلَمِ الْقُضِيْبِيَّةِ<sup>(٣)</sup> » إذا تَنَآوَأَتْ<sup>(٤)</sup> في استهلالها ، وتضاجرت<sup>(٥)</sup> على ضُجْرَتِهَا ،  
 وتذكرت شجورها الذى قد أضناها وأنضأها ، وسلبها منها<sup>(٦)</sup> وأنساها إياها<sup>(٧)</sup> .  
 ثم أندفعت وغنّت بصوتها المعروف [بها] .

أقولُ لها والصبحُ قد لاح نوره كما لاح ضوءُ البارِقِ المتألقِ  
 شَيْئُكَ قد وَاقَى وحان<sup>(٨)</sup> افتراقنا فهل لك في صَوْتِ وِرْطَلٍ مُرَوِّقِ

(١) هيا شراهيا كلمة عبرانية معناها ياحى ياقيوم كما في الصباح وفي القاموس مادة شره .  
 أشر إياها بفتح الهمزة والشين : كلمة يونانية معناها الأزل الذى لم يزل والناس يخلطون ويقولون  
 أهيا شراهيا وهو خطأ على ما يزمه أخبار اليهود .

(٢) في كلتا النسختين القطن ؛ والذي وجدناه في محلات بغداد دار القطن لا القطن ،  
 وإليها ينسب البارقطنى .

(٣) القضيبيية نسبة إلى القضيبي الذى توقع به .

(٤) فى (١) «تأوت» وفى ب «تبارت» ، وهو تحريف فى كلتا النسختين ، والصواب  
 ما أثبتنا كما يدل عليه الكلام الآتى بعد ، وتناوأت أى تناقلت وتظاهرت بالإعياء والتعب من  
 ناء بالجل ينوء .

(٥) وتضاجرت على ضجرتها أى تظاهرت بالضجر زيادة على ما فيها منه ، وفى كلتا  
 النسختين وتغاطرت مكان قوله وتضاجرت وهو تحريف لا معنى له . وفى (١) على صخرتها ،  
 وهو تحريف أيضاً .

(٦) سلبها منها نظير قول المؤلف فى وصف بعض الفنان المقتين (س ١٧٥ سطر ٣  
 من هذا الجزء) «يسرقك منك» . .

(٧) أنساها إياها أى أنساها نفسها . (٨) فى ب «وحار» ؛ وهو تحريف .

أورجاء لمنتظر ، أو حزن على حال ، وهذه أحوال معروفة ، والناس [ منها ] على جديلة<sup>(١)</sup> معهودة .

ولا طرب ابن غسان البصري المتطبيب إذا سمع ابن الرقاء يُغنى :  
وحياة من أهوى فاني لم أكن أبدا لأخلف كاذبا بحياته  
لأخالفن عواذلي في لذتي ولأشعِدن أخى على لذاته  
وابن غسان هذا مليح الأدب ، وهو الذي يقول في ابن نصر العامل  
— وقد عاجله من علة فلم يتفقده ولم يقض حقه — :

هَبِ الشُّعْرَاءُ تُعْطِيهِمْ رِقَاعاً مُزَوَّرَةً كَلَاماً عَنْ كَلَامٍ  
فَلِمَ صَلَاةُ الطَّيِّبِ تَكُونُ زُوراً وَقَدْ أَهْدَى الشِّفَاءَ مِنَ السَّقَامِ  
عَجِبْتُ لِمَنْ نَمَتْهُ<sup>(٢)</sup> أَرْضُ لُؤْمٍ وَبُخْلِ لِمَ يُعَدُّ مِنَ الْكِرَامِ  
نُسِبْتُ إِلَى السَّاحَةِ لَا شَيْءَ سِوَى نَقْصَانِ لُؤْمِكَ فِي اللَّثَامِ

عنى بها أنه من أصهبان<sup>(٣)</sup> ، وكان آخر حديث ابن غسان ما عرفته<sup>(٤)</sup> ،  
فإنه غرق<sup>(٥)</sup> نفسه في كرداب<sup>(٦)</sup> كلواذى ، وذلك لأسباب تجتمعت عليه من صفر  
اليَد ، وسوء الحال ، وجرب أكل بدنه ، وعشق أحرَق كبده على غلام  
(الأميدى الخلاوى) بباب الطاق ، وحيرة عزب معها عقله ، وخذله رأيه ، ومَلَكَ  
حينه ، ونَسَأَلُ الله حسن العُقْبَى بِدَرْكِ الثُّمَى ، وليس للإنسان من أمره شيء ،

(١) الجديلة : الطريقة . (٢) في (١) « نموت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير إلى شهرة أهل أصهبان بالبخل .

(٤) في ب « علته » .

(٥) في (١) « عرف » ؛ وهو تصحيف .

(٦) في (١) كردان بالنون ؛ وهو تحريف . والجرداب كلمة فارسية معناها دوامة الماء  
وهي وسط البحر وبلته التي يدوم عليها اللوج . وهي بالميم ، ولعل العرب كاتوا ينطقونها بالكاف



قالت حياتي في الذي قد ذكرته وإن كنت قد تَقَصَّته بالتفرُّق  
ولا طرب الجراحى أبى الحسن مع قضائه في الكرخ وريدائه المُحَشَّى، وكميَّه  
المُفَدَّرِينَ<sup>(١)</sup> ووجنتيه المتخلَّجَتَيْنِ<sup>(٢)</sup>، وكلامه الفخم، وإطراقه الدائم؛ فإنه يَغْمِزُ  
بالحاجب إذا رأى مِرْطَا<sup>(٣)</sup>، وأمل أن يُقْبَلَ خُذًا وقرطاً<sup>(٤)</sup>؛ على غناء شُعْلَةٍ :  
لا بدَّ للشَّاتِقِ مِنْ ذِكْرِ الْوَطَنِ واليأس والسَّلْوَةِ مِنْ بَعْدِ الْحَزَنِ  
وقيامته<sup>(٥)</sup> تقوم إذا سَمِعَهَا ترجع في لحنها

لو أن ما تبتليني<sup>(٦)</sup> الحادثاتُ به يُلقَى على الماء لم يُشْرَبْ من الكدرِ  
فهناك ترى شَيْبَةً قد أَبْتَلَتْ بالدموع، وفؤاداً قد نَزَا<sup>(٧)</sup> إلى اللهاة، مع  
أَسْفٍ قد ثَقَبَ القلب، وأَوْهَنَ الرُّوح، وجابَ الصَّخْرُ<sup>(٨)</sup>، وأذاب الحديد،  
وهناك ترى والله أهداقَ الحاضرين باهتة، ودموعهم متحدرة، وشهيقهم قد علا  
رَحْمَةً لَهُ، ورقةً عليه، ومساعدةً لحاله، وهذه صُورَةٌ [إذا] أُسْتُولَتْ على أَهْلِ مَجْلِسٍ  
وَجَدَتْ لَهَا عَذْوِي لَا تُمَلِّكُ، وغايةً لَا تُدْرِكُ، لأنه قلما يخلو إنسانٌ من صَبْوَةٍ  
أو صَبَابَةٍ، أو حَسْرَةٍ على فائت، أو فِكْرٍ في مُتَمَنَّى، أو خوفٍ من قَطِيعَةٍ،

(١) كُنَّا فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ وَلَمَّا مِنْ التَّقْدِيرِ فِي التَّوْبِ، أَيْ الزِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ؛ وَهُوَ  
دَخِيلٌ كَمَا يَظْهَرُ لَنَا إِذْ لَمْ نَجِدْهُ فِيَّا لَدَيْنَا مِنْ كُتُبِ الْفَنِّ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَعْمَلٌ فِي بَعْضِ بِلَادِ مِصْرَ  
وَيُطْلَقُونَ عَلَيْهِ الْقَدَارُ بَفَتْحِ الْفَاءِ أَيْ الزِّيَادَةُ أَوْ لِمِ صَوَابِهِ: «الْمُفَزَّرِينَ» بِالزَّيِّ الْمَشْدُودَةِ،  
أَيْ الْمُشْتَوِقِينَ فَإِنْ شَقَّ الْكَيْنِ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا حَتَّى الْيَوْمِ فِي أَقْيَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقَضَاءِ .  
(٢) الْمُتَخَلِّجَتَانِ، أَيْ لِلْمُضْطَرَّبَتَيْنِ الْمُرْتَعِشَتَيْنِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الضَّعْفِ وَكِبَرِ السِّنِّ .  
(٣) الْمِرْطُ مِنْ مَلَابِسِ النِّسَاءِ مَعْرُوفٌ . وَفِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ «شُرْطَا»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ  
إِذْ لَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنًى يَنْسَبُ إِلَى السِّيَاقِ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ «وَقُرْطَا» بِالنَّاءِ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .  
(٥) فِي (أ) وَ«قِيَامُهُ يَقُومُ» . وَوُرِدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ فِي «ب» غَيْرِ وَاضِحَةِ الْحُرُوفِ .  
(٦) فِي (أ) «تَنْتَابِي»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
(٧) فِي (أ) «نَزَلَ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
(٨) جَابَ الصَّخْرَ: قَطَعَهُ .



وما هو آئض<sup>(١)</sup> إليه فهو مملوك عليه ، يُصَرِّفُهُ فَمَا يُصَرِّفُ فَيَفْظُنُّ أَنَّهُ أَتَى مِنْ قِبَلِهِ ،  
ولعمري مَنْ غُلِّطَ غَلِطَ ، وَمَنْ غُولِطَ غَالَطَ ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا غَاشٌّ<sup>(٢)</sup> وَالْإِغْرَاقُ  
فِيهِ مُوسِسٌ ، وَالْإِعْرَاضُ<sup>(٣)</sup> عَنْهُ أَجْلَبُ لِلْأَنْسِ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْقَائِلُ :  
إِذَا اسْتَعْفَيْتُ مِنْ أَسْرِ اللَّيَالِي تُصَرِّفُنِي فَأَسْرِ فِي خَلَاصِي<sup>(٤)</sup>  
وَلَوْلَا طَيْشُ<sup>(٥)</sup> الْقَلَمِ وَتَسَحُّبُ الْخَاطِرِ ، وَشُرُودُ الرَّأْيِ ، مَا عَثَرْتُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ  
وَلَا عَلِقْتُ بِهَذَا الْحَبْلِ ، نَعَمْ .

وَلَا طَرَبَ ابْنُ نُبَاتَةَ الشَّاعِرِ عَلَى صَوْتِ الْخَاطِفِ إِذَا غَنَّتْ .  
تَلْتَهَبُ الْكَفُّ مِنْ تَلْهِبِهَا وَتَحْسُرُ الْعَيْنُ إِنْ تَقْصَاها  
كَأَنَّ نَارًا بِهَا مَحْرَّةٌ<sup>(٦)</sup> تَهَابُهَا<sup>(٧)</sup> مَرَّةً وَتَغْشَاها  
نَأْخِذُهَا تَارَةً وَتَأْخُذُنَا فَتَحْنُ فُرْسَانُهَا وَصَرَعَاها  
وَلَا طَرَبَ ابْنُ الْعَوْدِيِّ<sup>(٨)</sup> إِذَا سَمِعَ غَنَاءَ تَرَفٍ<sup>(٩)</sup> الصَّابِئَةِ فِي صَوْتِهَا ، عِنْدَ  
نَشَاطِهَا وَمَرَّحِهَا ، وَهَوَاهَا حَاضِرًا ، وَطَرَفَهَا إِلَيْهِ نَاضِرًا :

- (١) آئض ، أى راجع .  
(٢) فى ( ا ) « حاش » بالحاء والشين المبهمة ؛ وفى « ب » حاس بالحاء والسين المهملة ؛  
ولم نجد لواحدة منهما معنى يناسب السياق ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .  
(٣) فى كلتا النسختين : « والإفراج » ؛ وهو تحريف .  
(٤) ورد هذا البيت فى ( ا ) هكذا :  
إِذَا اسْتَعْقَبَ رَقِي مِنْ لَيْالٍ تُصَرِّفُنِي فَأَسْرِنِي فِي خَلَاصِي  
وفيه تحريف ظاهر .  
(٥) فى ( ا ) « طيش » ؛ وهو تحريف .  
(٦) حرث النار : حركها . وفى كلتا النسختين « محرشة » بالشين ؛ وهو تصحيف .  
(٧) فى ( ا ) « شهابها » ؛ وهو تحريف .  
(٨) لعله نسبة إلى العوذ من بنى أسد . والثنى فى كلتا النسختين ابن العودى بالالف  
للهملة ، ولم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من كتب الأنساب .  
(٩) ن ( ا ) « شرف » ؛ وما أثبتناه عن « ب » وهو الأرجح أن يكون من أسمائهن .

لَبَّ الهوى كلما دعا كا      ولاح في الحب من لحا كا  
 من لام في الحب أو نها كا      فزده في غيئك أنهما كا  
 إن لم تكن في الهوى كذا كا      نال<sup>(١)</sup> لذاته سوا كا  
 ولا طرب المعلم غلام الحضري شيخ الصوفية إذا سمع ابن بهلول يغنى في  
 رحبة المسجد بعد الجمعة وقد خف الزحام :

وقال لي العذولُ تسَلَّ عنها      فقلتُ له : أتدرى ما تقول ؟  
 هي النفسُ التي لا بُدَّ منها      فكيف أزول عنها أو أحول ؟  
 ولا طرب ابن الغازي على جارية العمى<sup>(٢)</sup> في مجلسها الغاصَّ بنبللاء الناس  
 بين السورين<sup>(٣)</sup>

يلحى ، ولو أرقه ميعادُ      أوراعه الإغراضُ والإبعادُ  
 أو هره الأعداء والحسادُ      أو سلقته الألسنُ الحدادُ  
 ما<sup>(٤)</sup> لام من ليس له فؤادُ

ولا طرب ابن صبر<sup>(٥)</sup> القاضي قبل القضاء على غناء درة جارية أبي بكر  
 الجراحى في درب الزعفرانى التي لا تقعد في السنة إلا في رجب ، إذا غنت :  
 لستُ أسى تلك الزيارة لَمَّا      طرقتنا وأقبلتُ تنثى  
 طرقتُ ظبية الرضافة ليلا      فهي أحلى من جس عوداوغنى

(١) في كلتا النسخين : « فإن بلغاته » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) في كلتا النسخين « عمى » بدون ألف ولام ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا ، والمعنى

نسبة إلى العم بطن من تميم .

(٣) بين السورين : محلة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من أحسن محالها وأمرها

وقد وردت هذه الكلمة في كلتا النسخين بعد قوله « العمى » . واللائق لإثباتها في هذا الموضع .

(٤) في « ب » « من لام » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا ضبط هذا الاسم بالمبارة في شرح القاموس .

كم ليالٍ بَتْنَا نَلَدُ ونَلَهُو ونُسَقَى شَرَابَنَا ونُنَقَى  
 هَجَرْتَنَا فَمَا إِلَيْهَا سَبِيلُ غيرَ أَنَا نقولُ: كانت وكُنَّا  
 وإذا بلغتُ « كانت وكُنَّا » رأيتَ الجَنِبَ مَشْقُوقًا ، والدَّيْلَ مَحْرُوقًا ،  
 والدَّمْعَ مُنْهِمَلًا ، والبالَ مُنْخَذِلًا ، ومكتومَ السَّرِّ في الهوى باديا ، ودليلَ العِشْقِ على  
 صاحِبِهِ مُنَادِيًا .

ولا طرب ابن حَجَّاجَ الشاعر على غناء قِنُوءَ البَصْرِيَّةِ ، وهي جَارَتُهُ (١)  
 وَعَشِيقَتُهُ ، وله معها أحاديث ، ومع زوجها أعاجيب ؛ وهناك مكائدات ، ورميٌّ  
 ومُعَايِرَات ، وإنشاء نِكَات ؛ إذا أَنْشَدَتْ :

يا لَيْتَنِي أَحْيَا بِقُرْبِهِمُو فَإِذَا فَقَدْتُهُمْ أَنْقَضِي عُمُرِي  
 ثُمَّ ثَلُثَ بِصَوْتِهَا (٢) الْآخِرَ :  
 هَبْنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ وَإِمَّا مُسِيئًا تَابَ بَعْدُ فَأَعْتَبَا  
 فَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ تَبَغَّى لِدَاءِهِ طَيِّبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَلَّبَا

ولا طرب ابن معروف قاضي القضاة على غناء عُلَيَّةَ إِذَا رَجَعْتَ لِحَنَهَا فِي  
 حَلَقِهَا الْحَلَوِ (٣) الشَّجِي بِشعر ابن أبي ربيعة :  
 أَنْيِرِي مَكَانَ الْبَذْرِ إِنْ أَفْلَ الْبَذْرِ وَقَوِي مَقَامَ الشَّمْسِ مَا أَسْتَأَخِرَ الْفَجْرُ  
 فَفِيكَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ نُورُهَا وَلَيْسَ لَهَا مِنْكَ الْحَاجِرُ وَالشَّرُّ (٤)  
 ولا طَرَبَ ابن إسحاق الطبريُّ على صَوْتِ [ دُرَّة ] الْبَصْرِيَّةِ إِذَا غَنَّتْ :

(١) في (١) جاريته ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) صورتها .

(٣) هنا كلمة مطبوسة في (١) قبل هذه الكلمة .

(٤) في (١) « والشعر » .



يا ذا الذي زار وما زارا كأنه مُتَتَبِسُ نارًا  
 قامَ ببابِ الدارِ مِنْ زَهْوِهِ ما ضَرَّه لو دَخَلَ الدارا  
 لو دَخَلَ الدارَ فَكَلَّمْتُهُ بِحَاجَتِي ما دَخَلَ النَّارا  
 نَفْسِي فِدَاهُ الْيَوْمَ مِنْ زَائِرٍ ما حَلَّ حَتَّى قِيلَ قَدْ سَارَا

ولا طَرَبَ ابْنُ الْأَزْرَقِ الْجَرَجَرَانِيَّ عَلَى غِنَاءِ سُندُسَ جَارِيَةِ ابْنِ يَوْسُفَ  
 صَاحِبِ دِيْوَانِ السَّوَادِ إِذَا تَنَاجَتْ وَتَدَلَّتْ ، وَتَقَلَّتْ<sup>(١)</sup> وَتَقَلَّتْ ، وَتَكَسَّرَتْ  
 وَتَيَسَّرَتْ ، وَقَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ كَسَلَانَةٌ مَشْغُولَةُ الْقَلْبِ بَيْنَ أَحْلَامِ أَرَاهَا رَدِيثَةً ،  
 وَبَنَحَتْ<sup>(٢)</sup> إِذَا أَسْتَوَى التَّوَى ، [ وَأَمَلٍ ] إِذَا ظَهَرَ عَثَرٌ ؛ ثُمَّ انْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :

مَجْلِسُ صَبَّيْنِ عَمِيدَيْنِ لَيْسَا مِنَ الْحُبِّ بِمُخْلَوَيْنِ  
 قَدْ صَيَّرَا رُوحَهُمَا وَاحِدًا وَاقْتَسَمَا بَيْنَ جِسْمَيْنِ  
 تَنَازَعَا<sup>(٣)</sup> كَأَسَا عَلَى لَذَّةٍ قَدْ مَزَجَاها بَيْنَ دَمْعَيْنِ  
 الْكَأْسُ لَا تَحْسُنُ إِلَّا إِذَا أَدْرَجَتْهَا بَيْنَ مُحِبَّيْنِ

ولا طَرَبَ ابْنُ سَمْعُونِ [ الصُّوفِيَّ ] عَلَى ابْنِ<sup>(٤)</sup> بَهْلُولٍ إِذَا أَخَذَ الْقَضِيبَ وَأَوْقَعَ<sup>(٥)</sup>  
 بَيْنَانَهُ الرَّخْصَ ، ثُمَّ زَلَّزَلَ الدُّنْيَا بِصَوْتِهِ النَّاعِمِ ، وَغَنَّتِ الرَّخِيْمَةُ ، وَإِشَارَتُهُ الْخَالِبَةُ ،  
 وَحَرَكَتُهُ الْمَدَغْدَغَةُ<sup>(٦)</sup> ، وَظَرْفُهُ الْبَارِعُ ، وَدِمَائَتُهُ الْحُلُوءَةُ ، وَغَنَّى :

- (١) تَقَلَّتْ ، أَيْ تَلَوَتْ ، وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَتَقَبَّلَتْ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ إِذْ لَا يَنْاسِبُ مَعْنَاهُ  
 سِيَاقُ مَا هُنَا ، وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : « وَتَقَلَّتْ » أَيْ تَنَتَّ فِي مَشِيَّتِهَا .  
 (٢) فِي (١) « وَنَحِيبٌ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .  
 (٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةٌ فِي (١) .  
 (٤) عَلَى ابْنِ بَهْلُولٍ ، أَيْ عَلَى غِنَاءِ ابْنِ بَهْلُولٍ .  
 (٥) فِي (١) « وَرَفَعَ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .  
 (٦) الْمَدَغْدَغَةُ وَالزَّغْرَغَةُ كِلَا اللَّفْظَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقَدْ اسْتَعَارَهَا هُنَا لِمَا يَلْزَمُ ذَلِكَ مِنْ  
 مَعْنَى الْخَفَّةِ وَالسَّرُورِ وَانْتِبَاطِ النَّفْسِ .

ولو طابَ لي غَرَسٌ لطابتْ ثمارُهُ      ولو صحَّ لي غَيْبٌ لصَحَّتْ شهادتي  
تَزَهَّدْتُ في الدنيا وإني لراغِبٌ      أرى رَغْبَتِي ممزوجةً بزهادتي  
أيا نَفْسٍ ما الدنيا بأهلٍ لِحُبِّها      دَعِيها لأقوامٍ عليها تَعادِي  
ولا طرب ابن حَيَّوِيَه<sup>(١)</sup> على غلام<sup>(٢)</sup> الأسراء إذا غَنَى :

قد أشهدُ الشاربَ العَذْلَ<sup>(٣)</sup> لا      معروفةٌ مُنْكَرٌ ولا حَصْرُ  
في فِثْيَةٍ لِيَسْنَى المَازِرِ لا      يَنْسَوْنَ<sup>(٤)</sup> أخلاقَهُمْ<sup>(٥)</sup> إذا سَكروا  
وغلامُ الأسراء هو الذي يقول فيه القائل :

أبو العباس قد حَجَّ      وقد عاد وقد غَنَى  
وقد ملَّقَ عَنَّا<sup>(٦)</sup>      فهذا هُمُ كما كُنَّا

وأصحابنا يَسْتَمْلَعُونَ قولَه (هُمُ) هاهنا ، وَيَرَوْنَهُ من العيِّ الفصيح .  
'ولا طَرَبَ أبى سُلَيْمَانَ المنطِقُ' إذا سمعَ غِناءَ هذا العَبِيِّ الموصليِّ النابغ الذي  
قد قَنَ الناسَ ومَلَأَ الدنيا عِيَارَةً<sup>(٧)</sup> وخسارةً ، وافتَضَحَ به أصحابُ النَسكِ والوقار ،  
وأصنافُ الناسِ من الصُّغارِ والكبارِ ، بوجهه الحَسَنِ ، وثغره المُبْتَسِمِ ، وحديثه  
الساحر ، وطَرَفُه الفاتر ، وقَدُّه المَدِيدُ<sup>(٨)</sup> ، وَلَفِظُه الحُلُو ، ودَلَّةُ الخُلُوبِ ، وتمنُّعُه

(١) في (أ) « حيومة » بالميم ، وهو تحريف .

(٢) على غلام ، أى على غناء غلام .

(٣) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين بالبدال المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٤) ورد هذا البيت في (أ) أكثر حروفه هملة من النقط .

(٥) في (ب) « أحلامهم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) المنَّاز طبل كان يعلقه الخنثون وأصحاب الغناء في أعناقهم . والذي في (أ) « وقد عاتق غبارا » .

(٧) العيارة : تخلية المرء نفسه وهوها لا يردعها ولا يزرعها .

(٨) في (أ) المدير ؛ وهو تصحيف .

المُطِمِّع ، وإِطْمَاعِهِ الْمُتَمِّعُ <sup>(١)</sup> وتشكيكه في الوصل والمجر ، وخالطه الإياء بالإجابة ، ووقوفه بين لا ونعم . إِنْ صَرَّخْتَ لَهُ كُنْتُ ، وَإِنْ كَنَيْتَ لَهُ صَرَّحَ ؛ يَسْرِقُكَ مِنْكَ ، وَيَرُدُّكَ عَلَيْكَ ، يَعْرِفُكَ مُنْكَرًا لَكَ ، وَيُنْهَكِرُكَ عَارِفًا بِكَ ؛ فَخَالَهُ حَالَاتٌ ، وَهِدَايَتُهُ ضَلَالَاتٌ ، وَهُوَ فِتْنَةُ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي ، وَمُنْيَةٌ <sup>(٢)</sup> السَّائِقِ وَالْمَهَادِي ؛ فِي صَوْتِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ قَلَائِدِهِ :

عَرَفْتَ الَّذِي بِي فَلَا تَلْحَنِي      فَلَيْسَ أَخُو الْجَهْلِ كَالْعَالِمِ  
وَكُنْتُ أَخَوْفُهُ بِالْدُّعَا <sup>(٣)</sup>      وَأَخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَأْثِمِ  
فَلَوْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ مِثْلًا لَهُ      إِذَا لِمْتُ نَفْسِي مَعَ اللَّائِمِ  
فَلَمَّا أَقَامَ عَلَى ظُلْمِهِ      تَرَكْتُ الدُّعَاءَ عَلَى الظَّالِمِ  
وَلَا طَرَبَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيَّ عَلَى إِيْقَاعِ ابْنِ الْعَصْبِيِّ إِذَا أَوْقَعَ بِقَضِيْبِهِ  
وَغَنَى بِصَوْتِهِ :

أَنْسَيْتَ الْوَصْلَ إِذْ بَدَأْنَا عَلَى مَرَقَدٍ وَزَدِ  
وَأَعْتَنَقْنَا كَكَوْشَاحٍ      وَانْتَضَمْنَا نَظْمَ عَقْدِ  
وَأَعْطَفْنَا      كَغُضْنَيْنِ قَدَّانَا <sup>(٤)</sup> كَقَدَّ

وَبَسَبَب <sup>(٥)</sup> هَذَا وَنَظَائِرَهُ عَابَهُ <sup>(٦)</sup> الْوَاسِطِيُّ ، وَقَدَّحَ فِي دِينِهِ ، وَأَلْصَقَ بِهِ الرَّيْبِيَّةَ <sup>(٧)</sup> ، وَأَسْتَحَلَّ فِي عِرْضِهِ الْغَيْبَةَ ، وَلَقَّبَهُ بِالْمُنْفَرِّعِ عَنِ الْمَذْهَبِ ، وَقَاطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُسْتَرْشِدِ .

(١) في كلتا النسختين «المتع» بالياء ؛ وهو تصحيف ، وما ألبتناه هو مقتضى سياق الكلام .  
(٢) في (١) وفتنة ؛ وهو تبديل من الناسخ لتكرره مع ما قبله .  
(٣) كذا في «ب» . والذي في (١) ولست أخوفه باللقا ؛ والمعنى عليه غير مستقيم .  
(٤) في (١) «قعدا» ؛ وهو تحريف . (٥) في (١) وليست ؛ وهو تحريف .  
(٦) في (١) «بناية» ؛ وهو تصحيف . (٧) في (١) «الزينة» ؛ وهو تصحيف .



ولا طَرَبَ ابن الوراقِ على رَوْعَةٍ <sup>(١)</sup> جارية ابن الرضى في الرضافة  
إذا غَنَّتْ :

وَحَقُّ مَحَلِّ ذِكْرِكَ مِنْ لِسَانِي      وَقَلْبِي حِينَ أَخْلُو بِالْأَمَانِي  
لَقَدْ أَصْبَحْتُ أَغْبِطُ كُلَّ عَيْنٍ      تَعَايُنُهَا فَتَسْعَدُ بِالْعِيَانِ

ولا طَرَبَ السُّنْدَوَانِي <sup>(٢)</sup> على ابن السكريخي إذا غَنَّى :

هَجَرْتَنِي ثُمَّ لَا كَلَمَتِي أَبْدَأُ      إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ  
فَلَا أَنْتَجِيتُ نَجِيًّا فِي خِيَانَتِكُمْ      وَلَا جَرَتْ خَطَرَةٌ مِنْهُ <sup>(٣)</sup> عَلَيَّ بِالِ  
فَسَوْغَيْتَنِي الْمَنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَا      ثُمَّ أَحْبَسِي الْبَذْلَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي  
أَوْ أَبْعَثِي تَلْفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَتِي      إِلَى مِنْكَ بِإِحْسَانٍ وَإِجَالِ

ولا طَرَبَ الحريزي الشاهد على حليّة جارية أبي عائذ السكريخي « إذا  
أخذت في مزارها » <sup>(٤)</sup> ، واشتعلت بنارها وغنّت :

قَالَتْ بُثْنِي لِمَا جِئْتُ زَائِرَهَا <sup>(٥)</sup>      سَبْحَانَ خَالِقِنَا مَا كَانَ أَوْفَاكَ  
وَعَدْتَنَا مَوْعِدًا تَأْتِي <sup>(٦)</sup> لَنَا عَجَلًا      وَقَدْ مَضَى الْحَوْلُ عَنَّا مَا رَأَيْنَاكَ  
إِنْ كُنْتَ ذَا غَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ      أَوْ كُنْتَ ذَا خُلَّةٍ أُخْرَى عَدَرْنَاكَ  
ولا طَرَبَ أبي سعيد الصائغ على جاريته ظلوم إذا قلبت لحنها إلى حلقها  
واستنزلته <sup>(٧)</sup> مِنَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ أَوْقَعَتْ فغَنَّتْ :

(١) في (ب) زروعة ؛ وهو تحريف . وروعة من أسمائهن .

(٢) في (أ) السنودي . وفي (ب) : « السودي » . ولم نجد هاتين النسبتين فيما  
راجعناه من كتب الأنساب ولعل المصواب ما أثبتناه والسندواني نسبة إلى السندية وهي قرية  
بنواحي بغداد (٣) في (أ) مني ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلا الأصلين ؛ ولم تتبين معنا

ولعله تحريف صوابه « إذا خلعت من عذارها » .

(٥) كذا في ب والذي في (أ) أكبرها ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) ينتابنا ؛ وفي (أ) فتأتنا ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٧) عبارة « أ » واسترسلت من الرأس .

فيا لك نظرة أودت بعقلي      وغادر سهمها مني جريحا  
فليت مليكتي جادت بأخرى      وأعلم أنها تنكا القروحا  
فأما أن يكون بها شغافى      وإما أن أموت فاستريحا  
ولا طرب الزهرى<sup>(١)</sup> على خلوب جارية أبي أيوب القطان إذا أهلت  
وأستهلت ، ثم اندفعت وغنت :

إذا أردت سلوا كان ناصركم      قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر  
فأكثرُوا أو أقلوا من إساءتكم<sup>(٢)</sup>      فكل ذلك محمول على القدر  
وضعت خدى لأدنى من يطيف بكم      حتى احتقرت وما مثلي يحتقر  
وأبو عبد الله المرزباني شيخنا إذا سمع هذا جن واستغاث ، وشق الجيب  
وحولق<sup>(٣)</sup> وقال : يا قوم أما ترون إلى العباس بن الأحنف ، ما يكفيه أن يفجر  
حتى يكفر ؟ متى كانت القبائح والقضائح والعيوب والذنوب<sup>(٤)</sup> محمولة على  
القدر ؟ ومتى قدر الله هذه الأشياء وقد نهى عنها ، ولو قدرها كان قد رضى  
بها ، ولو رضى بها لما عاقب عليها ، لعن الله الغزل إذا شيب بمجانة ، والمجانة  
إذا قرنت بما يتدح في الديانة . ورأيت أبا صالح الهاشمي يقول له : هوّن عليك  
يا شيخ ، فليس هذا كله على ما تظن ، القدر يأتي على كل شيء ، ويتعلق  
بكل شيء ، ويجري بكل شيء ، وهو سر الله المكتوم ، كالعلم<sup>(٥)</sup> الذي يحيط

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) الزندري . وهو تحريف إذ لم نجد هذه النسبة  
فيما راجعناه من كتب الأسباب

(٢) في (أ) « من أسى بكم » ؛ وهو تحريف .

(٣) حولق ، أي أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٤) في (أ) « من الذنوب » .

(٥) هذه الكاف ساقطة من (أ) .



بكل شيء ؛ وكل ما جاز أن يحيط به علم جاز أن يجري به قدر ، وإذا جاز  
هذا جاز أن ينشره خبر ، وما هذا التضيق والتحارج في هذا المكان ، والشاعر  
يهزل ويجد ؛ ويتقرب ويتعد ، ويصيب ويخطئ ، ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به  
الرجل الديان ، والعالم ذو البيان .

ولا طرب ابن التهدي على جارية بنت خاقان المشهورة بعلوة إذا غنت :  
أروغ<sup>(١)</sup> حين يأتيني الرسول وأكمد<sup>(٢)</sup> حين لا ياتي الرسول  
أؤملكم وقد أتقنت أني إلى تكذيب آمالي أوول  
ولا طرب أبي طاهر بن المقنعي<sup>(٣)</sup> المدلل على علوان<sup>(٤)</sup> غلام ابن عرس فإنه  
إذا حضر وألقى إزاره ، وحل أزواره ، وقال لأهل المجلس : اقترحوا وأستفتحوا  
فإني ولدكم بل عبدكم لأخدمكم<sup>(٥)</sup> بغنائى ، وأتقرب إليكم بولائى ، وأساعداكم<sup>(٦)</sup>  
على رخصى وغلايى ؛ من أرادنى مرة أردته مرات ، ومن أحببني رياء أحببته  
إخلاصا ، ومن بلغ بي بلغت به ؛ لم أبخل عليكم بمحسني<sup>(٧)</sup> وظهرني ، ولم أنفس<sup>(٨)</sup>  
بهما عليكم ، وإنما خلقت لكم ، ولم أعاصيكم<sup>(٩)</sup> وأنا آملكم غدا إذا بقل<sup>(١٠)</sup>

(١) في كلنا اللسختين « أودع » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وأكره » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) ابن النسي ، وهو تحريف ؛ إذ لم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من معجمات النسب .

(٤) في (١) « علون » ، وهو تحريف .

(٥) في (١) « لقدمكم » ، وفي ب « أفديكم » وما أثبتناه هو ما كتبه المصحح في ب في

حاشية الصفحة .

(٦) في (١) « وأشامركم » ، وهو تحريف .

(٧) في (١) « تجسني » ، وهو تحريف .

(٨) أنفس بهما عليكم ، أى أضن .

(٩) في ب « أعاصيكم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٠) في (١) « ثقل » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف . وبقل وجه السلام ، أى

خرجت لحيته .



وَجِئِي ، وَتَدَلِّي سِبَالِي ، وَوَلِّي جَمَالِي ، وَتَكْسِرْ خَدِّي ، وَتَعَوِّجْ قَدِّي ، مَا أَصْنَعُ ؟  
 حَاجَتِي وَاللَّهِ إِلَيْكُمْ غَدًا أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِكُمْ إِلَى الْيَوْمِ ، لَعَنَ اللَّهُ سُوءَ الْخَلْقِ ، وَعُسْرَ  
 الطَّبَاعِ ، وَقِلَّةَ الرَّعَايَةِ ، وَأَسْتَحْسَنَ الْغَدْرِ . فَيَمُرُّ فِي هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ ،  
 فَلَا يَبْقَى مِنَ الْجَمَاعَةِ أَحَدٌ إِلَّا وَيَنْبِضُ عِرْقُهُ ، وَيَهْشُ فُوَادُهُ ، [ وَيَذْ كُو طَمْعُهُ ]  
 وَيَفْكُهُ قَلْبُهُ ، وَيَتَحَرَّكُ سَاكِئُهُ ، وَيَتَدَغْدَغُ رُوحُهُ <sup>(١)</sup> ، وَيُؤَمِّي إِلَيْهِ بِقُبْلَتِهِ ،  
 وَيَغْمِزُهُ بِطَرْفِهِ ، وَيَخْصُهُ بِتَحِيَّةٍ ، وَيَعِدُّهُ بِعَطِيَّةٍ ، وَيُقَابِلُهُ بِمَدْحَةٍ ، وَيَضْمَنُ لَهُ  
 مَنَحَةً ، وَيُعَوِّدُهُ بِلِسَانِهِ ، وَيَفْضُلُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ ، وَيَرَاهُ وَاحِدًا أَهْلَ زَمَانِهِ ؛ يَهْرَى  
 ابْنُ الْمُتَنَمِّيِّ وَقَدْ طَارَ فِي الْجَوِّ ، وَخَلَّقَ فِي الشُّكَاكِ <sup>(٢)</sup> ، وَلَقَطَ بِأَنَامِلِهِ النُّجُومَ ؛  
 وَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِفَرَحٍ الْهَشَاشَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَمَرَحٍ الْبَشَاشَةِ <sup>(٤)</sup> ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرُونَ  
 اخْتِيَارِي <sup>(٥)</sup> وَأَيْنَ فَرَاسَتِي مِنْ فَرَاسَةِ غَيْرِي ، أَيْبَى اللَّهِ لِي إِلَّا مَا يَزِينُنِي ،  
 وَلَا يَشِينُنِي ، وَيَزِيدُنِي فِي جَمَالِي ، وَلَا يَنْقُصُنِي مِنْ حَالِي ؛ وَيُقِرُّ عَيْنِي وَلِجِّي ، وَيَقْصِمُ  
 ظَهْرَ عَدُوِّي ؛ هَاتِ يَا غَلَامُ ذَلِكَ الثَّوبَ الدِّيْقِي <sup>(٥)</sup> وَذَلِكَ الْبُرْدَ الشَّطْوِيَّ <sup>(٦)</sup> ،  
 وَذَلِكَ الْقُرْجُوجَ <sup>(٧)</sup> الرُّومِيَّ ، وَتِلْكَ الشُّكَّةَ <sup>(٨)</sup> الْمُطَيِّبَةَ ، وَالْبَخُورَ الْمَذْخَرَ فِي  
 الْحَقَّةِ <sup>(٩)</sup> ، وَهَاتِ الدِّينَارَ الَّذِي فِيهِ مِائَةٌ مِثْقَالٍ أَهْدَاهُ لَنَا أَمْسَ أَبُو الْعَلَاءِ الصِّيرَفِيُّ

(١) الدغدغة والزغزغة كلا اللفظين بمعنى واحد ، والمراد هنا انبساط الروح وهشاشته .  
 (٢) الشكاك : الجو . وفي (١) الشكاك بالشين المعجمة وفي ب « السكال » باللام في آخره  
 وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٣) في (١) « السياسة » مكلن « الهشاشة » ، وهو تحريف .

(٤) في (١) « أخباري » ، وهو تصحيف .

(٥) الدقيق من دق الثياب ، منسوب إلى قرية بمصر كان ينسج فيها اسمها دقيق .

(٦) الشطوي نسبة إلى شطا قرية بمصر كانت تنسج فيها هذه الثياب .

(٧) القروج قباء فيه شق من خلقه .

(٨) في « ب » « الشكة » ، وهو تحريف ، والسك : ضرب من الطيب معروف ، ولد  
 ذكره صاحب نهاية الأرب في الجزء الثاني عصر الطبعة الأولى وذكر كيفية عمله وتوسع  
 في ذلك فانظره . (٩) في (١) « مع الحققة » وقوله « مع » خطأ من الناسخ .

فإنه يكفيه لنفقة أسبوع ؛ ما أحسن سِكَتَه ، وأخلى نَقْشَه ! ما رأيتُ في حُسْنِ  
 أَسْتِدَارَتِهِ شِبْهًا<sup>(١)</sup> ، وَعَجَّلَ لَنَا يَا غَلَامُ مَا أَدْرَكَ عِنْدَ الطَّبَّاحِ ، من الدَّجَاجِ  
 والفِرَاحِ ؛ والبوارِدِ<sup>(٢)</sup> والجَوَزِيَّاتِ<sup>(٣)</sup> وتَزَايِينِ المائدة ؛ وَصِلَ ذَلِكَ بِشَرَاءِ أَقْرَاطٍ<sup>(٤)</sup>  
 وَجِبْنٍ<sup>(٥)</sup> وزَيْتُونٍ من عند كَبَلٍ<sup>(٦)</sup> البَقَالِ في الكَرَنخِ ، وقِطَائِفِ حَبَشٍ ، وقالُوذَجِ  
 عُمرَ ، وَقُقَاعٍ<sup>(٧)</sup> زُرَيْقٍ ، وَمُخَلَّطٍ<sup>(٨)</sup> خُرَاسَانَ من عِنْدِ أَبِي زُنْبُورٍ ، ولو كُنَّا نَشْرَبُ  
 لَقُلْنَا : وَشَرَابِ صَرِيفِينَ<sup>(٩)</sup> من عِنْدِ ابْنِ سُورِينَ<sup>(١٠)</sup> ، وَلَكِنْ إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُخْضِرَ  
 بِسَبِّبِكُمْ وَمَنْ أَجْلِكُمْ فَلَيْسَ فِي الْفُتُوَّةِ أَنْ أَمْنَعَكُمْ مِنْ أَرِيكُمُ<sup>(١١)</sup> بِبِ ثِقَلِ رُوحِي  
 وَقِلَّةِ مُسَاعَدَتِي ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّهَادَةَ ، فَقَدْ حَجَبْتَنِي عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ وَإِرَادَةٍ ؛  
 وَمَا أَعْرِفُ فِي الدَّعَالَةِ ، إِلَّا فَوْتَ الطَّلَبَةِ<sup>(١٢)</sup> وَالْعُلَالَةَ .

وما أحسن ما قال مَنْ قال :

ما العيشُ إلا في جُنُونِ الصَّبِيِّ      فَإِنْ تَوَلَّى فُجُنُونِ الْمَدَامِ  
 هَذَا كُلُّهُ يَمُرُّ وَمَا هُوَ أَشْجَى مِنْهُ وَأَرْقُ ، وَأَعْجَبُ وَأَظْرَفُ ، ثُمَّ يَنْدَفِعُ  
 عَلَوَانٍ وَيَغْنَى فِي أُبْيَاتِ بَشَّارِ :

(١) في كلتا النسختين « شينا » .

(٢) في ب « والنواد » . ولعل المراد بالبوارِد ما يؤكل من الأطعمة بارداً .

(٣) الجوزيات أنواع من الأطعمة تصنع من الجوز . وفي كلتا النسختين والجوزيات ، وهو تحريف . (٤) في كلتا النسختين « قيراط » ، ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق ، ولعل صوابه ما أثبتنا ، والأقراط جمع قرط بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهو نوع من الكرات يقال له كرات المائدة . (٥) في (١) و « خبز » ، وهو تحريف .

(٦) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين ولم نثبت وجه الصواب فيه بعد طول المراجعة والبحث . (٧) القُقَاع ، شراب يتخذ من الشعير .

(٨) مخلط خراسان طعام يصنع من أنواع شتى .

(٩) صريفين : من قرى بغداد تنسب إليها الخمر . (١٠) لذا ورد هذا الاسم

في كلتا النسختين . (١١) في ب « من لَدُنْكُمْ » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٢) في كلتا النسختين « الطينة » ، وهو تحريف .



ألا يا قومُ خلّوني وشأني      فلستُ بتاركٍ حُبِّ الغواني  
 نهوني يا عبيدة عن هواكم      فلم أقبلْ مقالة من نهائي  
 فإن لم تُسعني فعدى وميَّ      خداعا لا أموتُ على بيان<sup>(١)</sup>  
 ولا طرب أبي سعيد الرقيّ على غناء مذ كورة إذا اندفعت وغنت :  
 سررتُ بهجرتك لما علمتُ      بأن لقلبك فيه سرورا  
 ولولا سرورك ما سرتني      ولا كان قلبي عليه صبورا  
 ولكن أرى كل ما ساءني      إذا كان يرضيك سهلا يسيرا  
 ولا طرب ابن ميثاس على غناء حبابة جارية أبي تمام إذا غنت :  
 صدَدْنَا كأننا لا مودة بيننا      على أن طرَفَ العين لا بُدَّ فاضحُ  
 ومدَّ إلينا الكاشحون عُيونهم      فلم يَبْدُ منا ما حوته الجوانحُ  
 وصاغت من لاقيت في البيت غيرها      وكلُّ الهوى مني لمن لا<sup>(٢)</sup> أصافحُ  
 وجبابة هذه كانت تنوح أيضا ، وكانت في النوح واحدة لا أخت لها ،  
 والناسُ بالعراق تهالكوا على نوحها ، ولولا أني أكره ذكره لرققت الحديثُ  
 به . وقَدِمَ من شاش<sup>(٣)</sup> خراسان أبو مُسلم — وكان في مرتبة الأمراء —  
 فاشتراها بثلاثين ألفَ درهمٍ معزّية<sup>(٤)</sup> ، وخرج بها إلى المشرق ، فقيل : إنها لم  
 تعيش به إلا دونَ سنةٍ لكمدٍ لحِقها ، وهوى لها ببغداد ماتت منه .

(١) بيان بكسر الباء : مصدر بآينه أى فارقه ، أى لا أموت على قطيعة وفرقة .

(٢) عبارة (١) : « مني لم أصافح » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « ساس » بجهلتين ؛ وهو تصحيف . والشاش جمعيتين :

قرية بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون .

(٤) في (١) : « عرية » ؛ وفي (ب) : « غزية » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين

لأن لم نجد ذلك فيما راجعناه من الكتب المؤلفة في النقود ، ولعل صوابه ما أثبتنا . والمعزّة  
 نسبة إلى معز الدولة البويهى .



ورأيتُ لها أُختًا يُقال لها صَبَابَةٌ ، وكانت في الحُسن والجمال فَوَقَّهَا ، وفي الصَّنعة والحِذْق دونها ، وزَلَزَلَتْ هذه بغدادَ في وَقَّتِها ، ولم يَكُنْ للنَّاسِ غيرُ حديثِها ، لنَوَادِرِها ، وحاضِرِ جوابِها ، وحِدَّةِ مزاجِها ، وسُرْعَةِ حركَتِها ، بغير طَيْش ولا إفراط ، وهذه شِئَانٌ إِذَا أَتَقَّتْ في الجَوَارِي الصَّانَعَاتِ المُحْسِنَاتِ خَلْقَ العُقُولِ ، وَخَلَسْنَ القُلُوبَ ، [وَسَعَّرْنَ الصُّدُورَ] ، وَعَجَّلْنَ بُشَاتِهِنَّ إِلَى القُبُورِ . ولا طَرَبَ الكِنَانِي المَقْرِي الشَّيخُ الصَّالِحُ عَلَى غِنَاءِ هذه <sup>(١)</sup> في صَوْتِهَا <sup>(٢)</sup> المعروفِ بها :

مَهْودُ الصَّبِيِّ هَاجَتْ لِي الْيَوْمَ لَوْعَةٌ      وَذَكَرُ سُلَيْمَى حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ  
بَارِضٍ بِهَا كَانَ الْهَوَى غَيْرَ عَازِبٍ      لَدَيْنَا وَغَضُّ <sup>(٣)</sup> الْعَيْشِ مُهْتَصِرٌ نَفْصُ  
كَأَنَّ لَمْ نَعِشْ يَوْمًا بِأَجْرَاعٍ يَبِشَقُ      بَارِضٍ بِهَا أَنْشَأَ <sup>(٤)</sup> شَيْبَتَنَا الدَّهْرُ  
بَلَى إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ فَرَّقَ بَيْنَنَا      وَأَيُّ جَمِيعٍ لَا يَفَرِّقُهُ الدَّهْرُ  
ولا طَرَبَ غَلامَ بابَا على جارية [أبي] طَلْحَةَ الشَّاهِدِ <sup>(٥)</sup> في سُوقِ <sup>(٦)</sup>  
العَطَشِ إِذَا غَنَّتْ :

لَيْتَ شِعْرِي بِكَ هَلْ تَه      لَمْ أَنَّى لَكَ عَانِي  
فَلَقَدْ أَسْرَرْتُهُ مِنْكَ      كَ وَأَطْلَعْتُ الْأَمَانِي  
وَتَوَهَّمْتُكَ فِي نَفْسِي      فَنَاجَاكَ لِسَانِي  
فَأَجْتَمَعْنَا وَأَفْتَرَقْنَا      بِالْأَمَانِي فِي مَكَانٍ

(١) هذه ، أي صباية السابق ذكرها .

(٢) في (ب) : « وضربها » ؛ وهو تحريف . (٣) في (أ) : « وغصن » .

(٤) في (أ) : « أنسا » ؛ وهو تصحيف . وأنشا ، أي أنشأ بالهمز .

(٥) عبارة (أ) : « الساهيني » ؛ وهو تحريف .

(٦) سوق العطش : محلة كبيرة كانت ببغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ونهر المثل ،

وليل : إن سوق العطش كانت بين باب القباسية والرصافة .

ولو ذُكرت هذه الأطراب من المستمعين ، والأغاني من الرجال والصبيان والجواري والحرائر — لَطَالَ وأَمَل ، وزاحمت كل من صَنَّف كتاباً في الأغاني والألحان ، وعهدى<sup>(١)</sup> بهذا الحديث سنة ستين وثلاثمائة .

وقد أَحْصَيْنَا — ونحن جماعة في الكرخ — أربعاً وستين جارية في الجانبين<sup>(٢)</sup> ، ومائة وعشرين حُرَّة ، وخمسة وتسعين من الصبيان البُدُور ، يجمعون بين الحَذَق والحُسن والظُرف والعِشرة ، هذا سِوَى مَنْ كُنَّا لَا نَظْفَرُ بِهِ وَلَا نَصِلُ إِلَيْهِ لِعِزَّتِهِ وَحَرَسِهِ وَرُقْبَانِهِ ، وَسِوَى مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ مِمَّنْ لَا يَتَظَاهَرُ بِالْفِئَاءِ وَبِالضَّرْبِ إِلَّا إِذَا تَشَبَّطَ فِي وَقْتٍ ، أَوْ ثَمِلَ فِي حَالٍ ، وَخَلَعَ الْعِذَارَ فِي هَوًى قَدْ حَالَفَهُ وَأَضْنَاهُ ، وَتَرَنَّمَ وَأَوْقَعَ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ، وَصَعَّدَ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْرَبَ جُلَاسَهُ ، وَأَسْتَكْتَمَهُمْ حَالَهُ ، وَكَشَفَ عِنْدَهُمْ حِجَابَهُ ، وَأَدَّعَى الثِّقَةَ بِهِمْ ، وَالِاسْتِنَامَةَ إِلَى خِطَابِهِمْ .

ثم إني أرجعُ إلى مُنْقَطَعِ الكلام في الصَّفحة الأولى من هذا الجزء الثالث<sup>(٣)</sup> وَأَصِلُهُ بِالْذُّعَاءِ الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَهُ فَيْكَ ، وَيَحَقِّقَهُ لَكَ وَبِكَ ، وَأَقُولُ : وَأَبْقَاكَ لِي خَاصَّةً ، فَقَدْ تَعَصَّبْتَ لِي غَائِبًا وَشَاهِدًا ، وَتَعَمَّتَ<sup>(٤)</sup> بِسَبَبِي سِرًّا وَجَهْرًا ، وَبَدَأْتَ بِالتَّفَضُّلِ ، وَعُدْتَ بِالْإِفْضَالِ ، وَتَظَاهَرْتَ بِالْفَضْلِ ؛ فَإِنْ أَسْتَزِدْتُكَ فَلَنَّهُمْ<sup>(٥)</sup> الَّذِي قَلَّمَا يَخْلُو<sup>(٥)</sup> مِنْهُ بَشَرٌ ، وَإِنْ تَظَلَّمْتُ فَلِلدَّالَةِ الَّتِي تَغْلَطُ بِهَا

(١) في كلتا النسخين « فلمهدى » واللام زيادة من الناسخ .

(٢) في (١) : « الخلتين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « وتعمت بسني » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين . والمراد بتعمت

وتعصبت واحد ، إذ أن مأخذ اللفظين من العصابة والعمامة اللتين كانتا تلبسان في الحرب يعلم بهما الفارس نفسه بين الأقران . فتجوز في معنيهما واستعملا في انتصار المرء لخصمه ودفاعه عنه في الحرب وفي غيرها . (٤) في نسخة : « فللمره » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) في (ب) : « يخلص » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .



الخدم<sup>(١)</sup> ، وإن خاشنت<sup>(٢)</sup> فليثقة بحسن الإجاب<sup>(٣)</sup> ، وإن غالطت<sup>(٤)</sup> فليعلمي  
بغالب الجلم وفرط الاحتمال ، وما أفترق الكرم والتغافل قط ، وما أفترق  
المجد والكيس قط ، وليس إلا أن يظلم السيد نفسه لعبده في الحقوق  
اللازمة وغير اللازمة ، ويعرض عن الحجة وإن كانت له ؛ والناس يقولون :  
الحق مر ، وأنا أقول : السؤدد مر ، والرئاسة ثقيلة ، والنزول تحت العبن  
شديد ؛ لكن ذلك كله مثبت العز ، ودليل على صحة الأصل ، وباب إلى  
اكتساب الحمد ، وإشادة الذكر ، وإبعاد الصيت ؛ ومكرم النفس بإهانة  
المال وبذل الجاه وإيثار<sup>(٥)</sup> التواضع أربح تجارة ، وأحقى حريما ، وأعز  
ناصر من مهن النفس بصيانة المال وحبس الجاه وأستعمال التكبر ؛ هذا  
ما لا يشك فيه أحد وإن أباه طباعه ، ولم يساعده اختياره ، وكان في طينه  
يئس ، وفي منيته شوك ، وفي عرقه خور ، وفي خلقه تيه .

وقد رأيت ناسا من عظماء أهل الفضل والمروءة عابوا مذهب الرجل الذي  
ما كس في شيء تافه يسير اشتراه ، قيل له : أنت تهب أضعاف هذا ، [ فما هذا  
للكاس ] ١٩ فقال : هذا عقلي أبخل به ، وتلك مروءتي أجود بها .

وأكثر الناس الذين لم يغوروا في التجارب ، ولا أنجدوا<sup>(٦)</sup> في الحقائق ،  
يروون هذا حكمة تامة ، وفضيلة شريفة .

(١) في (١) : « يغلط بها الحزم » . ولهذا العبارة معنى غير مستبعد ، غير أن ما أثبتناه  
في صلب الكتاب أظهر وأشهر . (٢) في (١) : « حاسبت » . وفي (ب) :  
« حاشيت » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسخين إذ لا معنى لكلا اللفظين يناسب السياق . ولعل  
الصواب ما أثبتنا . (٣) الإجاب (بهمز نجيم) : الإجابة .

(٤) في كلتا النسخين : « غالطت » بالطاء المهملة ؛ وهو تصحيف .  
(٥) في (١) : « ولإثيان » . (٦) في (١) : « ولا اتحدوا » ؛ ووردت  
هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف يعنر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .



فأما الذين ذكرتهم في أوّل الحديث فإنهم قالوا : لا تتم المروءة وصاحبها  
يُنظر في الدقيق الحقيق ، ويُعيد القول ويُبدئه في الشيء النَّزْر<sup>(١)</sup> الذي  
لا مراد له ظاهر ، ولا جذوى حاضرة .

وذكروا أيضاً أن العقل أشرف من أن يُدال<sup>(٢)</sup> في مثل هذه الحال ،  
ويُستخدَم على هذا الوجه ، قالوا : هذا وما هو في بابهِ بالكَيْسِ أشبه ،  
والكَيْسُ يُحمد في الصّبيان ، وهو من مبادئ اللّوم ، وموانع صدق الخلق ،  
وقد قال الأوّل :

وقد يتغابى المرء عن عظم ماله ومن تحت بُردَيْهِ المنيعة أو عمرو<sup>(٣)</sup>  
ولذلك يقال للحيوان الذي لا ينطق : هو كَيْس .

هذا والله الصّدق ، فإن سمعتُ بمكة أعرابياً يقول : ما أكيسَ هذا  
القط<sup>(٤)</sup> ؟

قالوا : ولذلك لا يقال للشّيوخ المجرب والحكيم البليغ والأصيل في الشرف  
والمشهور بالزّمانة<sup>(٥)</sup> والسّكينة : كَيْس . والكَيْس هو حدة الحسّ في طلب  
المثالة ودفع الكريهة وبلوغ<sup>(٦)</sup> الشهوة . والحسّ بعيد من العقل ، والعالي  
في الحسّ كأنه يرتقي في وادي الحيوان الذي لا نطق له<sup>(٧)</sup> ، والعالي في العقل

(١) في (١) : « المتردد » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) : « يدال » . بالمهمله ؛ وهو تصحيف .

(٣) يريد المنيعة بن شعبة وعمرو بن العاص ؛ ويشير إلى ما كانا يعرفان به من الدهاء  
والذكاء . وفي (١) : ابن عمرو ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : القط ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) : بالرماية ؛ وهو تصحيف . وفي (ب) : بالديانة ؛ وما أثبتناه أنسب

بقوله بعد : والسكينة . (٦) في (ب) : واتباع .

(٧) في (١) : الذي ينطق له ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

كَأَنَّهُ مَطْمَئِنٌّ فِي وَادِي الْمَلِكِ الَّذِي لَا حِسَّ لَهُ ، وَالْمَلِكُ لَمْ يَعْتَمِدِ الْحِسَّ لِنَقْصِهِ ، وَلَكِنْ لِكَمَالِهِ ، لِأَنَّهُ غَنَى عَنْهُ ، كَمَا أَنَّ الْحَارَّ لَمْ يَعْتَمِدِ الْعَقْلَ لِكَمَالِهِ ، وَلَكِنْ لِنَقْصِهِ [ وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْحَارِّ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا جُبِلَ عَلَى مَا هُوَ بِهِ وَبِهِ كَامِلٌ فِي نَقْصِهِ ، أَيْ هُوَ كَامِلٌ بِمَا هُوَ بِهِ حَارٌّ وَنَاقِصٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ بِهِ إِنْسَانًا ] ؛ وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَارًّا حَفِظَ عَلَيْهِ مَا هُوَ بِهِ إِنْسَانٌ ، وَدُرِّجَ إِلَى كَمَالِ الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ بِهِ شَبِيهِ ؛ وَهَذَا التَّدْرِيجُ طَرِيقُهُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ [ الْجَيِّدِ ] وَالتَّوْفِيقِ السَّابِقِ .

وَبَعْدَتْ — جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ — عَنْ مَسْهَجِ الْقَوْلِ وَسَنَنَ<sup>(١)</sup> الْحَدِيثِ ، وَأَطْلَعْتُ دَاعِيَةَ الْوَسْوَاسِ ، وَذَهَبْتُ مَعَ سَائِحِ الْوَهْمِ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ » .

وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَثَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ  
فَأَرْجِعْ [ وَأَقُولُ ] :

قَدْ أَوْصَلْتُ إِلَيْكَ الْجُزْأَيْنِ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ عَلَى يَدِ غَلَامِكَ فَاتَّقِ ؛ وَهَذَا الْجُزْءُ — وَهُوَ الثَّلَاثُ — قَدْ وَاللَّهُ نَفَثْتُ<sup>(٢)</sup> فِيهِ كُلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنْ جِدِّ وَهْزَلٍ ، وَغَثِّ وَسَمِينٍ ، وَشَاحِبٍ وَنَضِيرٍ ، وَفُكَاهَةٍ وَطِيبٍ ، وَأَدَبٍ وَاحْتِجَاجٍ ، وَأَعْتَذَارٍ وَأَعْتِلَالٍ وَأُسْتِدْلَالٍ ، وَأَشْيَاءَ مِنْ طَرِيفِ<sup>(٣)</sup> الْمَمَالِحَةِ عَلَى مَا رُسِمَ لِي ،

(١) فِي (١) : « عَنْ سَنَنٍ » ؛ وَقَوْلُهُ : « عَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وَالصُّوَابُ مَا أَثَبْتَنَاهُ .

(٢) فِي (١) : « بَقِيت » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٣) فِي نَسْخَةٍ : « مِنْ حَدِيثٍ » .

وطلِّبَ مِنِّي ؛ ولأنَّه آخِرُ الكتابِ خَتَمَتْهُ بِرِسَالَةٍ وَصَلَتْهَا بِكَلَامٍ فِي خَاصِّ  
أَمْرِي سَتَقِفُ عَلَيْهِ ، وَتَسْتَأْنِفُ نَظْرًا فِي حَالِي ، يَكُونُ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ —  
كَطَلْقِي بَكَ ، وَرَجَائِي فِيكَ ؛ وَفِيهِ بَعْضُ الْعَرَبِيَّةِ<sup>(١)</sup> لَمْ أَخْرِجْ مِنْهُ إِلَى كُفْرَانٍ  
لِنِعْمَةٍ ، وَلَا جَحْدٍ لِإِحْسَانٍ ، وَلَا سِتْرٍ لِيَدِّ ، وَلَا إِنكَارٍ لِمَعْرُوفٍ ، وَلَا شَكَّ  
فِي عِنَايَةٍ ؛ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْتُ عَلَى مَذْهَبِ الْمُدِلِّ الْمُقِلِّ الَّذِي يَبْتَغِيهِ إِقْلَالُهُ عَلَى  
تَجَاوُزِ قَدْرِهِ بِالذَّالَةِ ، وَيَرْجِعُ<sup>(٢)</sup> بِهِ إِذْلالَهُ عَنْ حُسْنِ أَدَبِهِ بِفِرَاطِ الثَّقَةِ ؛ وَرُبَّ وَائِقٍ  
خَجِلٍ ؛ وَبِاللَّهِ التَّعَاذُ مِنْ ذَلِكَ ، وَفِي الْحَالِينِ صَاحِبُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَخْلُو مِنْ  
وَلَاءٍ صَحِيحٍ الْمُتَقَبِّ ، وَعَقِيدَةٍ كَسْبِيكَةِ الذَّهَبِ ؛ وَأَنْتَ بِكَرَمِ<sup>(٣)</sup> طِبَاعِكَ ،  
وَسَعَةِ بَاعِكَ ، تَجَبَّرُ نَقْصِي ، وَتَأْسُو مَا غَثَ<sup>(٤)</sup> مِنْ جِرَاحِي ، وَأَمَاتَ أَهْتَامِي ؛  
وَمَنْ كَانَ إِحْسَانُكَ إِلَيْهِ مَشْكُورًا ، وَتَعْذِيرُكَ<sup>(٥)</sup> عِنْدَهُ مَسْتُورًا ، لَخَلِيقٌ  
أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالِكَ خَاطِرًا ، وَبِلِسَانِكَ مَذْكُورًا ، وَالسَّلَامُ .

وَمَا أَنَا آخِذٌ فِي تَشْرِ مَا جَرَى عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا مَا أَقْتَضَى مِنَ الزِّيَادَةِ  
فِي الْإِبَانَةِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَالشَّرْحِ وَالتَّكْشِيفِ .

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ جَمِيعَ مَا شَاهَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ ، لِيَكُونَ حَظُّكَ  
مِنَ الْكَرَمِ وَالْمَجْدِ مَوْفُورًا ، وَنَصِيبِي مِنْ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي وَجَذْبِكَ بِبَاعِي

(١) فِي (١) : « الْفَرْدَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرْجِعُ ، أَيْ يَرْجِعُ . وَفِي (١) : « وَيَرْفَعُ » ؛ وَلَا سَمْعِي لَهُ يَنَاسِبُ السِّيَاقُ .

(٣) فِي (١) : « تَكْثُرُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « مَا غَبَّ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَغَثُ الْجَرْحِ ، أَيْ سَالُ غَثِيئِهِ ، وَهُوَ

مُدَّتُهُ وَنَقِيعُهُ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ . وَوَرَدَتْ فِي (ب) :

« وَتَعْذِيرُكَ » . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . وَالتَّعْذِيرُ : التَّقْصِيرُ .



وإِذَا ذَكَ إِيَّايَ مِنْ أَسْرِي تَامَا ، فَظَنَّنِي وَاعِدٌ بِأَنَّكَ تَبْلُغُ بِي مَا آمَلْتُ فِيكَ  
وَتَتَجَاوَزُهُ وَتَتَطَاوَلُ إِلَى مَا فَوْقَهُ ، لِأَزْدَادٍ عَجَبًا مِمَّا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَفْرَدَكَ  
فِيهِ ؛ وَأَتَحَدَّثُ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامَ بِغَرِيبِهِ ، وَأُحِثُّ كُلَّ مَنْ أَرَاهُ بِعَدِّكَ عَلَى  
سُلُوكِ طَرِيقِكَ فِي الْخَيْرِ ، وَلِزُومِ مِهَاجِكَ فِي الْجَمِيلِ ، وَالذَّيْنُونَةِ بِمَذْهَبِكَ  
الْمُسْتَقِيمِ ، وَأَكِيدُ أَصْحَابَنَا بِبَعْدَادٍ ؛ وَأَقُولُ [ لَهِمْ ] : هَلْ كَانَ فِي حُسْبَانِكُمْ أَنْ  
يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ مَنْ يَزِيدُ <sup>(١)</sup> ظَرْفُهُ عَلَى ظَرْفِكُمْ ، « وَيَبْعُدُ <sup>(٢)</sup> بَعْلُهُ عَلَى  
عَلِيكُمْ » ، وَيُبَرِّزُ هَذَا التَّبَرُّيزَ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَفْخَرُونَ <sup>(٣)</sup> بِهِ عَلَى غَيْرِكُمْ ، فَأَنَظِرُكُمْ  
فِيكَ وَبِسَبَبِكَ <sup>(٤)</sup> ، لَا مُنَاطَرَةَ الْحَنْبَلِيِّينَ مَعَ الطَّبَرِيِّينَ ؛ وَأَتَعْصَبُ لَكَ ،  
لَا تَعْصَبَ الْمُفَضِّلِيِّينَ <sup>(٥)</sup> وَالْبَرْغَوِيِّينَ <sup>(٥)</sup> ؛ وَأُجَادِلُ مَنْ أَجَلَّكَ ، لَا جَدَلَ  
الزَّيْدِيِّينَ <sup>(٦)</sup> مَعَ الْإِمَامِيِّينَ <sup>(٦)</sup> ؛ وَأَدْعِي فِي فُضَائِكَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ دَعْوَى أَقْوَى  
مِنْ دَعْوَى الشُّعَيْبِيِّينَ ؛ وَأَضْرِبُ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَثَلٍ ، وَأُسْتَعِينُ بِكُلِّ سَجْعٍ ،

(١) فِي (١) : « يَرْتَدُّ طَرَفُهُ عَلَى طَرَفِكُمْ » ؛ وَهُوَ تَعْصِيفٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .  
(٢) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ الَّتِي يَنْهَانِ الْعَلَامَتَيْنِ فِي (١) وَالْمَعْنَى عَلَيْهَا مُسْتَقِيمٌ .  
وَالَّذِي فِي (ب) : « وَيَنْقُدُ بَعْلُهُ عَلَى عَلِيكُمْ » ؛ وَفِي قَوْلِهِ : « وَيَنْقُدُ » بِالْقَافِ وَالْدَالِ تَعْصِيفٌ  
ظَاهِرٌ صَوَابُهُ : « وَيَنْقُدُ » . (٣) فِي (ب) : « يَمْجُزُونَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَبِسَبَبِكَ » ؛ وَهُوَ تَعْصِيفٌ .

(٥) الْمُفَضِّلِيُّونَ فِرْقَةٌ تَنْسَبُ إِلَى الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرٍو مِنَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ يَقُولُونَ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ بَعْدَ  
مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَدْ انْتَقَلَتْ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى . وَالْمُفَضِّلِيُّونَ أَيْضًا فِرْقَةٌ أُخْرَى تَنْسَبُ إِلَى الْمُفَضَّلِ  
الصَّيْرَفِيِّ ، وَهَذَا قَدْ قَالَ : إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَهٌ ؛ فَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ . وَالْبَرْغَوِيُّونَ فِرْقَةٌ مِنَ التَّجَارِيَةِ  
أَصْحَابُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّجَارِ وَالْبَرْغَوِيَّةِ هَذِهِ تَنْسَبُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى الْمَلَقِيِّ بِرَغُوثٍ . وَالْقَدْحِيُّ  
فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ وَالْمَرْعُوشِيِّينَ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَا أَنْظَرَ ( الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ) ( وَخَبِيثَةٌ  
الْأَكْوَانِ ) ( وَمَسَالِمُ الدِّينِ ) .

(٦) الزَّيْدِيُّونَ أَصْحَابُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ تَقُولُ :  
إِنَّ الْإِمَامَةَ لِأَوْلَادِ فَاطِمَةَ لَا يَشَارِكُهَا فِيهَا أَحَدٌ وَلَا يُسَوِّغُونَ لِمَامَةٍ غَيْرِهِمْ . وَالْإِمَامِيَّةُ فِرْقَةٌ مِنَ  
الشَّيْعَةِ تَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَةَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصًا وَتَصْرِيحًا وَإِشَارَةً  
إِلَيْهِ بِالْعَيْنِ .

وأزوى كلَّ خبر ، وأنشد كلَّ بيت ، وأعبر كلَّ رؤيا ، وأقيم كلَّ برهان ،  
وأستشهد كلَّ حاضر وغائب ، وأتأزل كلَّ مُشكّل وغامض ، وأضيف إليك  
الآية بعد الآية ، والمعجزة بعد المعجزة ، وأنصت<sup>(١)</sup> لكلَّ ضريبة ، وأدعي كلَّ  
غريبة ؛ هذا ولا أخلط كلامي بالهزل ، ولا أشين دغواي بالمحال ، ولا أبعدُ  
الشاهد ، ولا أتعلقُ بالمستعجم ، ولا أجنحُ إلى التلفيق والتلزيق ؛ وكيف  
لا أفعلُ هذا ولي في قول الحق فيك مندوحة ، وفي تقديم الصدق على غيره  
كفاية ، وفي نشر المطوى من فضلك بلاغ ؟ وإنما يميلُ إلى الكذب من قعد  
به الصدق ، ويتيّم بالصعيد من فاته الماء ، ويحلم بالمنى من عدم المتقى  
في اليقظة ؛ فأمّا أنت وقد ألبسك الله رداء الفضل ، وأطلعك من منبت  
كريم ، ودرّجك من بيت ضخم ، وآتاك الحكمة ، وفتق لسانك بالبيان ،  
وأترّع<sup>(٢)</sup> صدرك بالعلم ، وخلط أخلاقك بالدّماء ، وشهرتك بالكرم ، وخفف  
عليك النهوض بكلِّ ما يُكسبك الشكر من القريب والبعيد ، وبكلِّ  
ما يدخرُ لك الأجر عند الصادر والوارد ، حتى صيرت كهنّا لأبناء الرّجاء ،  
ومفرّعا لبني الآمال ؛ فبابك مغشى مزور ، وفناؤك منتاب وخوانك<sup>(٣)</sup>  
مخضور ، وعلمك مقتبس ، وجاهك مبذول ، وضيفك محدّث ، وكُتُبك  
مستعارة ، وغداؤك حاضر ، وعشاؤك معجّل ، ووجهك مبسوط ، وعفوك  
محمود ، وجِدُّك مشكور ، وكلُّ أمرِك قائم على النهاية ، وبالغ الغاية ، والله  
يزيدك ويزيدنا بك ، ولا يبتلينا بفقد ما ألغناه منك ، بمنّه وجوده .

(١) في (١) : « واتصلب » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في (١) : « ودع » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « وجوابك » ؛ وهو تصحيف .



## الليلة التاسعة والعشرون

(١) قال الوزير — أعزَّ الله نصره<sup>(١)</sup> ، وأطابَ ذِكره ، وأطارَ صيته — ليلة : أحبُّ أن أسمع كلاماً في قول الله عزَّ وجلَّ : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) ، فإنَّ هذا الإيجازَ لم يُعْهَدْ في كلامِ البشر .

فكان من الجواب : إنَّ الإشارةَ في «الأوَّل» إلى ما بدأ اللهُ به من الإبداع [والتصوير] ، والإبراز والتَّكوين ؛ والإشارةَ في «الآخر» إلى المصيرِ إليه في<sup>(٢)</sup> العاقبةِ على ما يجب في الحكمة من الإنشاء والتَّصريف ، والإينعام والتعريف ، والمداية والتوقيف . وقد بان بالاعتبار<sup>(٣)</sup> الصحيح أنَّه عزَّ وجلَّ لمَّا كان مُحجَّبا عن الأبصار ، ظهرت آثاره في صفحات العالم وأجزائه ، وحواشيه وأثنائه<sup>(٤)</sup> ، حتى يكون لسانُ الآثارِ داعياً إلى معرفته ، ومُعرفته طريقاً إلى<sup>(٥)</sup> قصده ، وقصده سبباً للسَّكينة عنده والحُظوة لديه . على أنَّه في احتجابه بارز ، كما أنَّه في بُروزه مُحْتَجِب ؛ وبيانُ هذا أنَّ الحِجابَ من ناحية الحسِّ ، والبُروزَ من ناحية العقل ، [فإذا طُلِبَ من جهة الحسِّ وُجِدَ محجوباً ، وإذا لُحِظَ من جهة العقل وُجِدَ بارزاً ، وهاتان الجهتان ليستا له تعالى ، ولكنهما الإنسان الذي له الحسُّ والعقل ، فصارَ بهما كالناظرين مَكَانَيْنِ ؛ وَمَنْ نَظَرَ إلى شيء واحدٍ من مَكَانَيْنِ كانتِ نِسْبَتُهُ إلى المنظورِ إليه مفترقة .

(١) في (١) : « رهظه » .

(٢) في (١) : « والعاقبة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « الاعتبار » بسقوط الباء ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « وأثنائه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) : « في » مكان « إلى » ؛ وهو تحريف .



وإنما شقَّ هذا الأمرُ على أكثر الناس وأختلفوا فيه ، لأنَّهم راموا تحقيقَ ما لا يُحسَّن بالحسِّ ، ولو راموا ذاك بالعقل المحضِ بغيرِ شوبٍ من الحسِّ ، لكان المرومُ يسبقُ الرَّأْيَ ، والمطلوبُ يلوحُ قبالةَ الطالبِ مِنْ غيرِ شكٍّ [ لايس ، ولا ريبٍ مُوحِشٍ ، لأنَّه ليس في العقل وللعقول شكٌّ ] ، وإنما الرِّيبُ والشكُّ والظنُّ والتَّوَهُّمُ كلُّها من علائق الحسِّ وتَوَابِعِ الخِلْقَةِ ، ولولا هذه العوارضُ لَمَّا أَغْبَرَتْ وَجْهَ العقلِ ، ولا عَلَاهُ شُحُوبٌ ، وَلَبَقِيَ على نَفْسِهِ وَجَمَالُهُ <sup>(١)</sup> وَحُسْنُهُ وَبَهْجَتُهُ . وَلَمَّا كَانَ الإنسانُ مَفِيزٌ <sup>(٢)</sup> هذه الأعراضِ في الأوَّلِ ، صارَ مَفِيزٌ <sup>(٢)</sup> هذه الأحوالِ في الثاني ، فاستعارَ مِنَ العقلِ نُورَهُ في وَصِفِ الأشياءِ الجَسَمِيَّةِ جَهْلًا مِنْهُ وَخَطَأً ، واستعارَ مِنَ ظلامِ الحسِّ في وَصِفِ الأشياءِ الرُّوحَانِيَّةِ عَجْزًا مِنْهُ وَنَقْصًا ، ولو وُفِّقَ لَوَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى شَكْلِهِ ، ولم يَرْفَعْ الوَضِيعَ إِلَى مَحَلِّ الرَّفِيعِ ، ولم يَضَعْ الرَّفِيعَ فِي مَوْضِعِ الوَضِيعِ .

فلَمَّا بَلَغَ الحديثُ هذا الحدَّ ، عَجِبَ الوزيرُ وقال : ما أَعَذَّبَ هذا المُوَرِّدُ ! وما أَعْجَبَ هذا المَشْهَدُ ! وما أَبْعَدَ هذا المَقْصِدُ ! وما أَرَى لِمَصْنُفٍ <sup>(٣)</sup> مِنَ المُوَحِّدِينَ مُتَصَرِّفًا فِي هذا النُّوعِ إِلَّا لِهذه العِصَابَةِ الكَرِيمَةِ المَخْصُوصَةِ بِالْيَقْظَةِ <sup>(٤)</sup> .

(٢) وسأل عن جُشَمٍ فِي أَسْمِ الرَّجُلِ مَا مَعْنَاهُ ؟  
فكان من الجواب : إنَّ أبا سعيد السَّيرافيَّ الإمامَ ذَكَرَ عن ابنِ الأَعرابيِّ أَنَّهُ يَقَالُ : « رَجُلٌ عَظِيمُ الجُشَمِ » ، يَعْنِي وَسَطُهُ ، وَمِنْهُ مُسَمَّى جُشَمٍ .

(١) فِي (١) : « وَكَلَاهُ » .

(٢) مَفِيزٌ بفتح الميم فِي المَوْضِعِينَ أَي مَوْضِعِ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ وَتِلْكَ الْأَحْوَالِ .

(٣) فِي (١) : « لِمَصْنُفٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « بِالثَقَّةِ » .

وقال : ما الحِمْحِم ؟ وما الحَنَحِم <sup>(١)</sup> ؟ فقيل أما الحِمْحِمُ فَبَقْلٌ يَهْبِجُ فِي أَوَّلِ  
الصَّيْفِ وَيَنْبِتُ فَيُؤْكَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ وَأما الحَنَحِمُ فَبَقْلٌ آخَرُ خَبِيثٌ  
مُنْتِنٌ الرَّيْحُ <sup>(١)</sup> .

وقال : فَأَرَّةُ الْمِسْكِ ، أَتَقُولُهَا بِالْهَمْزِ ؟

فكان من الجواب : حكاها ابنُ الأعرابيِّ بِالْهَمْزِ .

قال : عَارِضًا الرَّجُلُ مَا يُعْنَى بِهِمَا ؟

قيل : قال أبو سعيد السَّيرافي : هما شَعْرُ خَدَّيْهِ ، ولو قلت [ لِأَمْرَدٍ ] :

إِمْسَحْ عَارِضِيكَ كَانَ خَطَأً .

وقال : سمعتُ اليومَ في كلامِ ابنِ عُبَيْدٍ : لَايْتَهَ ، وظننتُ أنه أراد : لَاوْتَهَ

من اللَّوْثِ [ لَوْثٌ ] الْعَامَّةُ .

فقيل : بل يقال : لَايْتَهَ إِذَا تَشَبَّهَ بِاللَّيْثِ .

وقال : ما الشَّاكِدُ ؟

فقيل : الْمُعْطَى مِنْ غَيْرِ مَكافَأَةٍ .

قال : أَوْتَهَمَزُ الْكَلِمَةُ <sup>(٢)</sup> ؟

(١) كذا ذكر المؤلف في تفسير هذين اللفظين . وقال أبو حنيفة : الحِمْحِمُ والحَنَحِمُ واحد .  
وقال ابن البيطار في الحَنَحِمِ بالحاء المعجمة . هو اسم عربي لنبات شكله شكل الأنجورة السوداء  
إلا أنه أشد خضرة منها وأغصانه حمر كأغصانها إلا أنها أصلب . ومناجته الوديان والمسائل  
وعليه شوك دقيق لصاق بكل ما يعلق به من ثوب أو غيره ولا يؤذى اللامس وكثيراً ما تنبت  
هذه النبتة بظاهر القاهرة تحت الجبل الأحمر في مسيل هناك بالقرب من قلعة الجبل . وذكر في  
الحِمْحِمِ بالمهملتين . أنه هو النبات المعروف بلسان الثور عند أهل الشام وديار بكر . وقال في  
التعريف بلسان الثور إنه نبات خشن أسود ، يشبه في شكله ألسنة البقر . وذكر في الحِمْحِمِ أنه  
ممعهم ينظفونه بضم المهملتين . وفي نسخة : « ما الحِمْحِم » يحمين مكان الحِمْحِمِ بحاءين مهملتين . والحِمْحِمِ  
يحمين عروق تشبه في شكلها ومقدارها عروق الجزر البري المسمى عند أهل الشام الشفاقل .  
(٢) يريد بالكلمة : المكافأة .

فقيل : إني لو لم أهتمز لكان مُفاعلةً من كَفَيْتُ .

قال : والثانية<sup>(١)</sup> ؟ تكونُ من كَفَاتُ الإِنَاءَ . فما معناه ؟

قيل : قال أبو سعيد : كأنَّه قَلَبَ الحَالِ إليه بالمِثْلِ .

قال : الذَّوْدُ ، ما قَدَّرَ عَدَدِهِ من الإِبِلِ ؟ فكان من الجواب : أن ابن الأعرابي قال : الذَّوْدُ ما بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إلى العَشْرَةِ . وإذا بَلَغَتِ العَشْرِينَ أو قَارَبَتْ فهي قِطْعَةٌ وَصَبَّةٌ وَفِرْقَةٌ وَصِرْمَةٌ حتى تَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ والأَرْبَعِينَ . ثم هي حُدْرَةٌ وَعَسْكَرَةٌ وَعَجْرَمَةٌ حتى تَبْلُغَ مائة . ثم هُنَيْدَةٌ . فإذا بَلَغَتْ مائَتَيْنِ فهي خِطَرٌ<sup>(٢)</sup> . وكذلك الثَّلَاثُمِائَةِ . فإذا بَلَغَتْ أربعمائة فهي عُرُجٌ إلى الألف ، والجماعة عُرُوجٌ . فإذا كَثُرَتْ عن الأَرْبَعِينَ والخَمْسِينَ فَبَلَغَتْ مائةً وَزَادَتْ فهي جُرْجُورٌ ، وإنما سُمِّيَتْ جُرْجُورًا لَجَرَّاجِرِها وَأَصْوَاتِها . وقد تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ بعضَ هذا فتَجْعَلُهُ في بعض .

وقال : ما الفَرْقُ بَيْنَ الْقَبْصِ والقَبْضِ ؟ فقيل : الْقَبْصُ لَعَدِيدٍ مَا كَانَ قَلِيلًا أو كَثِيرًا ؛ قال ابنُ الأعرابي : وَأَنْشَدَنِي الْعَامِرِيُّ لابْنَ مَيَّادَةَ

عَطَاؤُكُمْ قَبْصٌ وَيَحْفَنُ غَيْرُكُمْ وَلَلْحَفْنُ أَغْنَى لِلْفَقِيرِ مِنَ الْقَبْصِ

وقال : الْقَبْصُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضُ بِالْكَفِّ ، وَالْحَفْنُ بِالْكَفِّ وَالرَّاحَةُ إِلَى فَوْقِ مَفْتُوحَةٍ قَلِيلًا . هذا لَفْظُهُ .

وقال : الإِلَّ الذي هو الْعَهْدُ هل يُجْمَعُ ؟ فقيل : حَكَّى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي

(١) ورد في كلتا النسختين قوله فقيل بعد قوله والثانية ؛ وهي زيادة من الناسخ لا مقتضى لها هنا .

(٢) في (أ) « حطرة » . وفي (ب) « حطم » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .



جميعه ، فقال : إلال وألؤل<sup>(١)</sup> .

وقال : آم الرجل ماذا ؟ فقيل : هذا على وجوه ؛ يقال : آم الرجل يؤوم أواما من العطش ؛ ويقال آم الرجل يؤوم إياما<sup>(٢)</sup> ، وهو الدخان . وآم الرجل يئيم إذا بقي بغير حليلة ، والأئيم مستعمل في الرجل والمرأة .

قال : هذا نمط مفيد ، ويجب أن يجمع منه جزء أو جزآن ليسهل على الطرف المجال فيه ، فإن الكتب الطوال مسيئة ، وإذا تداخل اللطيف بالكثيف وما رق بما غلظ نبت النفس ، ودب الملل<sup>(٣)</sup> والإنسان كسله من طينه ، ونشأه من نفسه ، والطين أغلب من النفس .

فكان الجواب : السمع والطاعة للأمر المشرف .

قال : هات حديثا يكون مقطعا للأوداع ، فإن الليل قد عبس وجهه ، وجنح كاهله ، وأهدى إلى العين سنة تسرق الدهن وتشي الرأي .

فكان من الجواب أنه مرة في اليوم حديث يضارع ما جرى منذ ليل في فساد الناس وحؤول الزمان ، وما دهم الخاص والعام في حديث الدين الذي هو العمود والدعامة في عمارة الدارين ، وقد طال تعجبي منه ، وصح عندي أن الداء في هذا قديم ، والوجع فيه أليم .

(١) لم نجد الأول جمعا للإل بمعنى العهد فيما راجعناه من كتب اللغة والذي وجدناه لإلال كما هنا وآلال .

(٢) الإيام بالياء بمعنى الدخان أصله الواو ، ثم قلبت الواو ياء كما في كتب اللغة .

(٣) في (١) « ورث الحال » ؛ وهو تحريف في كلمتا الكلمتين .

قال: فهات فتشيبك<sup>(١)</sup> قد رغبَ شديداً، غرامك<sup>(٢)</sup> قد بعث<sup>(٣)</sup> جديداً.  
فكان [من ذلك] الحديث أن محمد بن سلام قال فيما حدثنا به أبو السائب  
القاضي عتبة بن عبيد الله قال: حدثنا الشكري أبو سعيد قال: قال محمد بن  
سلام: سمعت يونس يقول: فكرت في أمر فأسمعه. قلنا: هاته. قال: كل  
من أصبح على وجه الأرض من أهل النار إلا أمتنا<sup>(٤)</sup> هذه؛ والسلطان ومن  
يُطيف به هلكي إلا قليلا، فإذا قطعت هذه الطبقة حتى تبلغ الشام  
فأكلة ربا وباغية وشربة خمر وباعثها إلا قليلا، فإذا خلفت هذا الرمل حتى  
تأتي رمل يثرب وأعلام الروم فلا غسل من جنابة، ولا إسباغ وضوء،  
ولا إتمام صلاة، ولا علم محدود ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم  
إلا قليلا؛ فإذا صيرت إلى الأمصار فأصحاب هذه السكراسي ليس منهم إلا ذئب  
مستغفر<sup>(٥)</sup> بذنبه، يَحْتَلِكُ<sup>(٦)</sup> عن دينارك ودرهمك، يكذب، ويبخس في الميزان،  
ويطفئ في السكيا، إلا قليلا؛ فإذا صيرت إلى أصحاب الغلات الذين كفوا  
المؤونة وأنعم عليهم [وجدتهم] يُنسي أحدهم سكران ويصبح مخمورا، إلا  
قليلا، ومعى والله منهم<sup>(٧)</sup> قطيع في الدار، فإذا صيرت إلى قوم لم يُنعم عليهم بما أنعم

(١) في (ب) « فتشيبك »؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً.

(٢) في كلتا النسختين: « وغرابك » بالباء؛ وهو تحريف.

(٣) قد بعث جديداً، أي بعث غراماً جديداً في نفسى. والذي في (أ): « نعب ».

ووردت هذه الكلمة في (ب) مبهمة الحروف من النقط. والصواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٤) يريد بالأمة هنا أهل طبقته كما يدل على ذلك سياق القصة.

(٥) مستغفر أي يطلب غرة الناس وغفلتهم.

(٦) في (أ) « يحيلك »؛ وهو تصحيف.

(٧) في (أ) « فيهم »؛ وهو تحريف.

على هؤلاء ، وهم يشتهون ما يشتهى هؤلاء ، موحدٌ لصن ، وآخر طرار<sup>(١)</sup> ،  
وآخر مستقف<sup>(٢)</sup> إلا قليلا ، فإذا صرّت إلى أصحاب هذه السواري<sup>(٣)</sup> ، فهذا  
يشهد على هذا بالكفر ، وهذا يبرأ من هذا ، والله لئن لم يعفنا الله برحمته  
إنها للفضيحة .

فقال الوزير : لقد شرّدت النوم عن عيني ، وملأت قلبي عجباً ، فإن الأمر  
لكما قال ، فإذا كان هذا قوله في عصره ، وشجرة الدين على نضارة أغصانها  
وخضرة أوراقها ، وينبع ثمارها ، فما قوله — ترى — فينا لو لحقنا ، وأدرك  
زماننا ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

### الليلة الثلاثون<sup>(٤)</sup>

(١) وقال الوزير — [أدام الله أيامه] — : سراويل يذكّر أم يؤنث ،  
ويصرف أم لا ؟

فكان الجواب : أن علي بن عيسى حدثنا عن شيخه ابن السراج قال :  
سألت المبرد فقلت : إذا كان الواحد في صيغة الجمع ما يُصنَع [به] في الصرفِ

(١) في كلتا النسختين « طراز » بالزاي المعجمة في آخره ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا  
والطرار بمهملتين هو الذي يشق كملك ويستل ما فيه ، وهو المعروف عندنا بالنشال .

(٢) يقال : استقفاه إذا جاء من خلفه وضربه بالعصا على قفاه ويشير إلى هؤلاء الذين  
يقفون في الطرق المنقطعة حتى إذا مر بهم من يظنون معه مالا ضربه من خلفه بالعصا على قفاه  
حتى يفقد الحس والشعور فيستلون ما معه ويهربون ؛ أو لعل صوابه مستخف بالخاء .

(٣) يريد سواري المسجد وعمده . ويريد بأصحابها العلماء الذين يجلسون إلى جانبها  
يقرأون العلم على الناس .

(٤) يلاحظ أنه لم يرد في كلتا النسختين ما يشير إلى أنه ابتداء ليلة جديدة بعد الكلام  
السابق لهذا العنوان . وقد رأينا أن الكلام الآتي بعد انما وقع في ليلة جديدة غير السابقة  
بدليل قوله فيا تقدم : « هات حديثا يكون مقطعا للدواع » الخ .



في مثل شعره<sup>(١)</sup> هَراميل [ وهذه ] سراويل وما أشبهه ، فقال : ألحقه بالجمع فامتنعه الصَّرف ، لأنه مثله وشبيهه .

قال : وسألتُ أحمدَ بنَ يحيى عن ذلك ، فقال : أخبرنا سَلَمَةُ عن القراء قال : ألحقه بأحمد فامتنعه الصَّرف في المعرفة ، وأصرِّفه في النِّكرة حتى يكون بين الواحد والجمع فرق .

وسأل فقال : ما واحد المناخيب والمناجيب وما حكمهما ؟

فكان من الجواب : واحد المناخيب منخاب ، يُمدح به ويُذم ، فإذا كان مدحاً فهو مأخوذ من التَّخَب<sup>(٢)</sup> ، وهو الاختيار ، وإذا كان ذمّاً فهو مأخوذ من النَّخْبَةِ ، وهي الأست . قال : وهكذا المنجاب يكون مدحاً وذمّاً ، فإذا كان مدحاً فهو مأخوذ من الانتجاب ، وهو الاختيار ، وإذا كان ذمّاً فهو مأخوذ من القَجَب ، وهو قشرُ الشَّجر .

قال : ما معنى قولهم : امرأةٌ عروبٌ ؟

فكان من الجواب أن محمد بن يزيد قال — على ما حدثنا به أبو سعيد وابن السراج عنه — إنه من الأضداد ، وهي المتحبيبة إلى زوجها ؛ وهي الفاسدة ، مأخوذٌ من قولهم : عَرَبَتْ مَعِدَتُهُ إذا فسدت .

وقال : الفَهْيَاءُ يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ ؟

فكان من الجواب أن ابن الأعرابي قال : الذي حَصَلَتْهُ عن الأعراب

(١) في (ب) « صيغة » ؛ وهو تحريف . ويقال : شعره هَراميل ، إذا سقط .

(٢) في الأصل : من النخبة ، وهي الاختيار ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في كتب اللغة إذ النخبة من القوم الجماعة المختارة ، لا نفس الاختيار .

أَنَّ الضَّهْيَاءَ الْمَمْدُودَةَ هِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ <sup>(١)</sup> ، وَأَنَّ الْمَقْصُورَةَ هِيَ الْيَاسْمِينُ <sup>(٢)</sup> ،  
وَجَمْعُ الْأَوَّلِ ضَهْيٌ وَجَمْعُ الْمَقْصُورِ ضَهَايَا <sup>(٣)</sup> .

قال : ما معنى المندلي المطير ؟

فكان من الجواب : أن ابن الأعرابي قال : هو مقلوب المطري <sup>(٤)</sup>

وقال : أَنشِدْنِي غَزَلًا ، فَأَنشَدْتُهُ مَا حَضَرَ فِي الْوَقْتِ لِأَعْرَابِي : (٢)

أَمْرٌ مَجْنَبًا عَنْ يَتِّتِ سَلَى      وَلَمْ أَلِمْ بِهِ وَبِهِ الْغَلِيلُ  
أَمْرٌ مَجْنَبًا وَهَوَايَ فِيهِ      وَطَرَفِي عَنْهُ مُنْكَسِرٌ كَلِيلُ  
وَقَلْبِي فِيهِ مُقْتَتَلٌ فَهَنْ لِي      إِلَى قَلْبِي وَقَاتِلِهِ سَبِيلُ

وقال : أتحفظ الأبيات التي فيها : (٣)

تَكْفِيهِ فَلَذَةُ كِبْدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا      مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبَهُ الْغَمْرُ  
فَأَنشَدَهُ ابْنُ نُبَاتَةَ ، وَذَلِكَ لِأَنِّي قُلْتُ : مَا أَحْفَظُ إِلَّا هَذَا الْبَيْتَ شَاهِدًا ،  
وهو لأَعْشَى بَاهِلَةَ يَزْنِي الْمُنْتَشِرُ <sup>(٥)</sup> :

(١) وأيضا التي لا يبرز لها ثدى .

(٢) لم نجد فيها راجعناه من كتب اللغة أن الضهيا مقصورا هو الياسمين كما ذكر المؤلف هنا . والذي في اللسان أن الضهيا شجر من العضاء ، له برم وعلفة ، كثير الشوك ، وعلفته هراء شديدة الحمرة ، وورقه كورق السم .

(٣) في كلنا النسخين « ضها » ؛ وهو تحريف إذ لم نجد هذا الجمع لضهيا المقصور فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد الصرفية فإن ما آخره ألف تأنيث مقصورة وكان على هذا الوزن يجمع على فعالى بفتح اللام وفعالى بكسرهما ، كجلى وذفرى .

(٤) في الأصل « إل المطري » . وقوله : « إلى » زيادة من الناسخ إذ المطري هو المقلوب إلى مطير ، فالمطير مقلوب إليه ، وللمطري هو الذى صُسِّرَ بالصناعة طريا . والمندلي : العود من الطيب يتبخر به فعنى المندلي المطير العود الرطب .

(٥) المنتصر ، هو ابن وهب بن سلمة الباهلي . قال الأمدى : وهو أخو الأعشى لأمه . ورويت هذه القصيدة للدعبل أخت المنتصر ، وقد ذكرها صاحب خزانة الأدب ، وعدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتا فيها ؛ وفي شعر أعشى بَاهِلَةَ المَطْبُوعِ فِي أَوْرُبَا سِتَّةِ وَأَرْبَعُونَ بَيْتًا . وقصة المنتصر هذا أنه كان قد خرج مع غلبة من قومه يريد حج ذى الحليفة — وهو الكعبة —



إِنِّي أَتَقْنَى لِسَانٍ لَا أُسَرُّ بِهَا      مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سُخْرٌ<sup>(١)</sup>  
فَيْتٌ مَرْتَقِعًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ      حَيْرَانٌ ذَا حَذَرٍ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ  
وَجَاشَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ      وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ (تَثْلِيثٍ) مُقْتِمِرٌ<sup>(٢)</sup>  
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يُلَوِي عَلَى أَحَدٍ      حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ دُونَنَا (مُضَرٌ)  
نَعَيْتُ<sup>(٣)</sup> مَنْ لَا تُقَبُّ الْحَيُّ جَفْنَتُهُ      إِذَا الْكُوكَاكِبُ أَخْطَا نَوَّاهَا الْمَطَرُ  
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يَكْدُرُهُ      عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ  
طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٍ      بِالْقَوْمِ لَيْهَلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرٌ<sup>(٤)</sup>  
لَا تُنْكِرُ الْبَازِلُ الْكُومَاءَ ضَرْبَتَهُ      بِالْمَشْرِفِي إِذَا مَا أُجْلُوذَ السَّفَرُ<sup>(٥)</sup>

البيانية — وكان بنو نقييل بن عمرو بن كلاب أعداء له ، وقد رأوا مغرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم . فسار المنتشر ، حتى إذا كان بهضب النباع أنذر بنو نقييل بنو الحارث بن كعب بالمنتشر ، وكان المنتشر قد أسر رجلا من بني الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء بن زنباع ، فسأله المنتشر أن يفدى نفسه ، فأبطأ عليه هند فقطع أذنه ثم سأله فأبطأ فقطع منه أخرى ، وقد أمّنه القوم ووضع سلاحه ، فقال هند بن أسماء : أتؤمنون مقطعا (بتشديد الطاء مكسورة) ؟ وإلهي لا أؤمّنه . ثم قتله وقتل غلته . انتهى ملخصا من خزانة الأدب .

(١) اللسان : الرسالة ، وجمعه ألسن . أما اللسان بمعنى الجارحة فجمعه ألسنة . وعلو روى بتثليث الواو ، يريد أعلى نجد كما في خزانة الأدب . وفي شعر أعمى باهلة المطبوع في أوربا : « لا كذب » مكان قوله : « لا عجب » .

(٢) في رواية : « فلهم » مكان قوله : « جمعهم » . ومقتمير ، أي زائر . يقال : اعتمر إذا قصد مكانا بعينه زائرا له . وتثليث : موضع بالحجاز قرب مكة ، كما في ياقوت .

(٣) في كلتا النسختين : « يعين من لا يعين » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن شعر أعمى باهلة المطبوع في أوربا وخزانة الأدب . ولا تغبّ الحى جفنته ، أي أنه دائم الإطعام لقومه لا تغيب عنهم جفنته ، وهي القصعة في زمن الجذب وقلة الأمطار . والنوء : سقوط نجم في المغرب عند الفجر وطلوع نجم آخر يقابله في المشرق ، وكانت العرب تنسب الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الأنواء فيقولون : مطرنا بنوء كذا .

(٤) العزاء : الشدة والجهد . ومنصلت بالقوم ، أي منجرد مشر .

(٥) في كلتا النسختين : « المطر » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا معنى له في هذا البيت . والتصويب عن ديوان أعمى باهلة المطبوع في أوربا وخزانة الأدب . والبازل من النوق : التي



وتَفَزَعُ<sup>(١)</sup> الشَّوْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ      حَتَّى تُقْطَعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجِرَرُ  
لَا يَضْعُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ      وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ  
يَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلَذَانِ أَلَمٌ بِهَا      مِنَ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبَهُ الْفُغْمُ<sup>(٢)</sup>  
لَا يَتَأَرَى<sup>(٣)</sup> لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ      وَلَا يَعْصُ<sup>(٤)</sup> عَلَى شَرْسُوفِهِ الصَّفَرُ  
لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبٍ<sup>(٥)</sup>      وَلَا يَزَالُ<sup>(٦)</sup> أَمَامَ الْقُومِ يَقْتَفِرُ  
مَهْمَنْ أَهْضَمَ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقُ      عَنْهُ الْقَمِيصُ بِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَفِرُ  
عِشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا      كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ  
لَا تَأْمَنُ النَّاسُ مُنْسَاهَ وَمُصْبَحَهُ      مِنْ كُلِّ أَوْبٍ<sup>(٦)</sup> وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ  
إِنَّمَا يُصِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ      يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَغْلِي وَتَنْتَصِرُ

== دخلت في السنة التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة . واجلوذ السفر ، أى طال وامتند .  
وفي رواية : « إذا ما اخروط » ؛ وهو بمعناه .

(١) يقول إن النياق تفزع منه مخافة أن يعقرها وتحبس جررها في أعناقها حتى تقطع .  
والجرر جمع جررة ( بالكسر ) ، وهى ما يجتره البعير معروف . وفي رواية : « قد تكظم  
البزل منه من مخافته » حتى تقطع ... الخ .

(٢) الحزة : القطعة من اللحم تقطع طولاً . والفلذان : جمع فلذة ، وهى القطعة من  
الكبد واللحم . والفمر : أصفر الأقداح . يقول : لأنه يكتنى بالقليل من طعامه وشراؤه بإشاراً  
لغيره على نفسه ، وكانت العرب كثيراً ما تتمدح بذلك .

(٣) لا يتأرى ، أى لا يتعجب ولا يتمكث .

(٤) ورد في كلا الأصلين هذان الشطران اللذان تحت هذا الرقم كل منهما مكان الآخر ؛  
وهو خطأ من الناسخ ضوابة ما أثبتنا قلا عن المصادر التى بين أيدينا . والفرسوف : طرف  
الضلع . والصفر زعموا أنها دويبة مثل الحية تكون في البطن تعتري من به شدة جوع . وفي  
كلتا النسختين : « ولا يراه » مكان قوله : « ولا يزال » ؛ وهو تحريف . ويقتفر ، أى  
يقتنى ويتبع .

(٥) في رواية : « ألم به » مكان قوله : « ومن وصب » . يصفه بالصبر على السير .

(٦) في رواية : « من كل فج وإن لم يغز » الخ .

لَوْ لَمْ تَخْنُهُ نُفَيْلٌ<sup>(١)</sup> وَهِيَ خَائِنَةٌ أَلَمْ بِالْقَوْمِ وَزِدْ مِنْهُ أَوْ صَدَرَ  
وَرَادُ حَرْبٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا يُضِيءُ سَوَادُ الطُّخْيَةِ الْقَمَرِ<sup>(٢)</sup>  
إِنَّمَا سَلَكَتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَائِلِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مُنْتَشِرٌ  
مَنْ لَيْسَ فِيهِ إِذَا قَاوَلْتَهُ رَهَقٌ<sup>(٣)</sup> وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عُسْرٌ<sup>(٤)</sup>

### الليلة الواحدة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةَ حَدِيثُ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ وَالْحَزْمِ وَالتَّيَقُّظِ وَقِلَّةِ الْأَسْتِهَانَةِ بِالْخَصْمِ ،  
فَقَالَ ابْنُ عُبَيْدِ الْكَاتِبِ : أَنَا أَسْتَحْسِنُ كَلَامًا جَرَى أَيَّامَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، وَذَلِكَ  
أَنْ عَلَى بَنِي عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى حَرْبِ طَاهِرٍ [ بَنِي الْحُسَيْنِ ] مِنْ بَغْدَادَ ،  
سَأَلَ قَوْمًا وَرَدُّوا مِنَ الرَّيِّ عَنْ طَاهِرٍ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ مُجِدٌّ<sup>(١)</sup> . فَقَالَ : وَمَا طَاهِرٌ ؟ إِنَّمَا  
هُوَ شَوْكَةٌ مِنْ أَغْصَانِي ، وَشَرَارَةٌ مِنْ نَارِي ؛ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ مَا بَيْنَكُمْ  
وَبَيْنَ أَنْ يَنْقُصَ أَنْقِصَ الشَّجَرِ مِنَ الرَّيِّ الْعَاصِفَةِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُ عُبُورُنَا  
عَقَبَةَ هَمْدَانَ ، لِأَنَّ السُّخَالَ لَا تَقْوَى عَلَى النَّطَاحِ ، وَالتَّعَالِبَ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى  
لِقَاءِ الْأَسْوَدِ ، فَإِنْ يُقِمَّ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ يَكُنْ أَوَّلَ مَعْرَضٍ لَطُفَاتِ الشُّيُوفِ  
وَأَسِنَّةِ الرُّمَاحِ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ [ لِعَلِيٍّ ] بَنِي عَيْسَى : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْعَسَاكِرَ  
لَا تُسَاسُ بِالتَّوَانِي ، وَالْحُرُوبَ لَا تُدَبَّرُ بِالْأَغْتِرَارِ ، وَإِنَّ الشَّرَارَةَ الْخَفِيَّةَ رُبَّمَا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لَوْ لَمْ تَجِبْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي رِوَايَةٍ : « لَا سَتْرَ بِهِ » \*

وَرَدَ يَلْمُ بِهَذَا النَّاسَ أَوْ صَدَرَ . وَيُرِيدُ نُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ كَلَابٍ .

(٢) الطُّخْيَةُ ( بَضْمُ الطَّاءِ ) : الظِّلَّةُ الشَّدِيدَةُ .

(٣) فِي ( أ ) : « عَاسِرَتُهُ » . وَفِي ( ب ) : « عَاسِرَتُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا

النُّسخَتَيْنِ . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هِيَ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي رَجَعْنَا إِلَيْهَا . وَالرَّهَقُ بِالتَّحْرِيكِ  
الْكُذْبُ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي تِلْكَ الْمَصَادِرِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْقَصِيدَةِ .

(٤) فِي ( أ ) مَحَلٌّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



صَارَتْ ضِرَامًا ، وَالنُّهْلَةَ<sup>(١)</sup> مِنَ السَّيْلِ رَبَّمَا صَارَتْ بِحَرًّا عَظِيمًا .  
 فَقَالَ<sup>(٢)</sup> : إِنَّمَا حَجَبَ عَلِيٌّ بْنُ عِيسَى عَنْ وَثِيقٍ<sup>(٣)</sup> الرَّأْيِ هَذَا الْأَسْتَحْقَارُ  
 بِالْكَلَامِ ، وَالْأَقْتِدَارُ عَلَى اللَّفْظِ ، وَمَنْ صَدَّقَ فِكْرَهُ فِي طَلَبِ الرَّأْيِ النَّافِعِ ،  
 قَلَّ كَلَامُهُ بِالْمَهْدَرِ [الضائع] .

(٢) وَقَالَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ : مَا رَأَيْتُ مِنْ بَنِي بِإِحْصَاءِ وَجْهِهِ فَعِيلٌ وَمَوَاقِعِهَا<sup>(٤)</sup> .  
 فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : أَنَّ الْأَخْفَشَ قَدْ ذَكَرَ عَشْرَةَ أَوْجُهٍ ، وَهِيَ أَكْثَرُ  
 مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَالتَّصْفُحُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَرْبَعِينَ وَجْهًا وَزِيَادَةً . قَالَ : فَمَا أَغْرَبُ<sup>(٥)</sup>  
 مَا مَرَّ بِكَ مِنْهَا ؟ فَقِيلَ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَعَلَ . فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ غَرِيبٌ ، فَهَاتِ لَهُ  
 شَاهِدًا . فَقِيلَ : يَقَالُ مَكَانٌ<sup>(٦)</sup> دَمِيثٌ وَدَمَثٌ ، وَيَقِينٌ وَيَقَنٌ ، وَرَصِيفٌ<sup>(٧)</sup>  
 وَرَصَفٌ<sup>(٧)</sup> ؛ وَلِلْفَرَسِ الْعَتِيدِ لِلْعَدُوِّ : الْعَتْدُ ؛ وَالتَّقِيلُ<sup>(٨)</sup> مِنَ الْعَدُوِّ : تَقَلُّ ؛  
 وَالْخَبِيطُ<sup>(٩)</sup> مِنَ الْوَرَقِ : خَبَطَ ؛ وَلِلْقَدِيمِ<sup>(٧)</sup> : قَدَمٌ<sup>(٧)</sup> ؛ وَالْبَثْرُ النَّزِيحُ :  
 نَزَحَ ، وَلِلْجَسَمِ الْعَمِيمِ : عَمِمَ .

- (١) فِي (أ) وَالثَّلَاةُ .  
 (٢) فَقَالَ ، أَيْ الْوَزِيرُ .  
 (٣) فِي « ب » « رَيْتِي » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَفِيدُ عَلَيْهِ أَيْضًا .  
 (٤) فِي (أ) « وَتَوَابِعُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
 (٥) فِي (أ) « أَعْرِفْ مَا قَرَيْتُ مِنْهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .  
 (٦) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ كَانَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي « ب » .  
 (٧) كَذَا وَرَدَ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَرْبَعُ الَّتِي تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ ؛ وَلَمْ نَجِدْ فِي  
 كِتَابِ اللُّغَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا مَا يُفِيدُ أَنَّهُ يَقَالُ فِي لَفْظِ رَصِيفٍ وَقَدِيمٍ رَصَفٌ أَوْ قَدَمٌ بِالتَّحْرِيكِ فِيهِمَا ؛  
 فَلَعَلَّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَحْرِيفًا لَمْ نَهْتَدِ إِلَى صَوَابِهِ بَعْدَ الْبَحْثِ الطَّوِيلِ .  
 (٨) التَّقِيلُ : مَدَاوِمَةُ الْعَدُوِّ بِسُرْعَةٍ تَقْلُ الْقَوَائِمَ .  
 (٩) الْخَبِيطُ : الَّذِي يُضْرَبُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ حَتَّى يَنْحَاتَ بِدُونِ أَنْ يَضُرَّ ذَلِكَ بِأَصْلِ  
 الشَّجَرَةِ وَفُرُوعِهَا .



وقال ابن الأعرابي : القَفِيل : الشُّوكُ<sup>(١)</sup> اليابس ، والجمعُ قَفْلٌ<sup>(٢)</sup> . وقال  
أحمد بن يحيى : هو منى بَعْدَ أى بعيد ، والبَعْدُ يكون للجمع<sup>(٣)</sup> والواحد<sup>(٤)</sup> .

فَعَجِبَ وقال : ينبغي أن يُعْنَى بهذه الوجوه كلها . فإنَّ<sup>(٥)</sup> الزيادة على مثلي  
الأخفش ظَفَرٌ حَسَنٌ ، وأَمْتِيَّازٌ في الغَزَارَةِ جميل<sup>(٦)</sup> ، وما تَقَاضَلَتْ<sup>(٧)</sup> دَرَجَاتُ  
الْعُلَمَاءِ إِلَّا بِتَصَفُّحِ الْآخِرِ قَوْلِ الْأَوَّلِ وأَسْتِيلَانِهِ على ما فاتَه .

وسأل — أبادَ اللهُ عِداه ، وَحَقَّقْ مُنَاه — وقال : هل يَسْلَمُ على أهل الذِّمَّة ؟<sup>(٨)</sup>  
وهل يُبْدَأُون ؟ فكان أبو البُخْتَرِيُّ الداودِيُّ حاضراً — مَحَكَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ سُئِلَ عن هذا بَعَيْنِهِ ، فقال : يُرَدُّ عليهم السلام ، ولا يَأْسَ بَأَن  
يُبْدَأُوا ، لقول الله عزَّ وجلَّ : ( فَأَصْنَحْ عَنْهُمْ وَكُنْ سَلَامٌ ) .

وَحَكَّى في مَعْرِضِ حَدِيثِ أَبِي<sup>(٩)</sup> بكر قال : كتب مجنونٌ إلى مجنون :  
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَفِظَكَ اللَّهُ ، وَأَبْقَاكَ اللَّهُ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَدِجْلَةً  
تَطْفِي ، وَسُقْنُ الْمَوْصِلِ هَاهُنَا ، وَمَا يَزِدَادُ الصَّبِيَّانِ إِلَّا شَرًّا ، وَلَا الْحَجَارَةُ إِلَّا  
كَثْرَةً ، فَإِيَّاكَ وَالْمَرْقَ فَإِنَّهُ شَرُّ طَعَامٍ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَبِتْ إِلَّا وَعِنْدَ رَأْسِكَ حَجَرٌ

(١) في كتب اللغة « الشجر » مكان « الشوك »

(٢) يلاحظ أن قفلا ليس جمعا لقفيل ، بل هو جمع قفلة بفتح القاف .

(٣) نظيره في الجمع خدم جمع خادم .

(٤) شاهده قول النابغة في مدح النعمان :

تصاك تبلغني النعمان إن له فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد

بالتحريك . وفي رواية : « والبعد » بضمين .

(٥) في (١) « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) : « فامتاز في الفرارة جميل » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث

صوابه ما أثبتنا .

(٧) في (١) « تعاظمت » .

(٨) يلاحظ أن هنا كلاما ساقطا من كلتا النسختين كما يظهر لنا إذ لم يتقدم ذكر

لأبي بكر هنا ولا حديث عنه .

أَوْ حَجَرَانِ ، فَإِنَّ الْأَخْبَرَ<sup>(١)</sup> يَقُولُ : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) .  
[وَكُتِبَتْ إِلَيْكَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً خَلْتَ مِنْ عَاشُورَاءَ سَنَةِ الْكِنَا [ة]]  
قَالَ : وَكُتِبَ مَجْنُونٌ آخَرُ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَسُوءِ الْحِسَابِ ، وَتَقْدِيرِكَ  
نَفْسِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

قَالَ : وَكُتِبَ [مَجْنُونٌ] آخَرُ إِلَى مَجْنُونٍ مِثْلِهِ : وَهَبَ اللَّهُ لِي جَمِيعَ الْمَكَارِهِ  
فِيكَ ، كِتَابِي إِلَيْكَ مِنَ الْكُفُوفَةِ حَقًّا حَقًّا حَقًّا ، أَقْلَامِي تَخُطُّ ، وَالْمَوْتُ عِنْدَنَا  
كَثِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ سَلِيمٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحْبَبْتُ<sup>(٢)</sup> لِيَعْرِفَنِي إِعْلَامُكُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
فَضَحِكَ — أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّهُ — حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَقَالَ : مَا أَلَذَى يُبْلَغُ بِنَا  
هَذَا الْأَسْطِرَافَ إِذَا تَمَعْنَا بِحَدِيثِ الْجَانِينِ ؟

فَقَالَ ابْنُ زُرْعَةَ : لِأَنَّ الْمَجْنُونَ مُشَارِكٌ لِلْعَاقِلِ فِي الْجِنْسِ ، فَإِذَا كَانَ مِنَ  
الْعَاقِلِ مَا يُحْسَبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَجْنُونِ كَرَّةَ ذَلِكَ لَهُ ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَجْنُونِ  
مَا يُعْتَدُّ مِنَ الْعَاقِلِ تُعْجِبُ مِنْهُ ، وَالْعَقْلُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِقَدْرِ  
ذَلِكَ يَتَفَاضَلُونَ التَّفَاضُلَ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى حَصْرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْمَجْنُونُ بَيْنَ أَهْلِهِ  
ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ التَّفَاوُتَ الَّذِي لَا مَطْمَعَ فِي تَحْصِيلِهِ ؛  
وَكَمَا أَنَّهُ<sup>(٣)</sup> يَبْدُرُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْعَاقِلِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْمَجْنُونِ كَذَلِكَ  
يَبْدُرُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْمَجْنُونِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْعَاقِلِ ، وَلَا يُعْتَدُّ بِذَلِكَ وَلَا  
بِهَذَا ، أَعْنَى أَنَّ الْعَاقِلَ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ لَا يَرَى مَجْنُونًا ، وَالْمَجْنُونُ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ

(١) فِي ب « لَأَنَّ اللَّهَ » .

(٢) فِي (أ) « اجْتَنِبَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) : « وَكََمَا أَنَّهُ إِذَا » . وَقَوْلُهُ : « إِذَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ لَا مَعْنَى لَهَا فِي  
هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٤) فِي (أ) : « يَنْدُرُ » بِالنُّونِ فِي كَلَا الْمَوْضِعَيْنِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لا يسمّى عاقلاً ، وإنما أُجتمعا في النادر القليل ، لأجتماعهما في الجنس الذي يعمّهما ، والنوع الذي يفصلهما ، وفي الجملة الإنسان بما هو به حيوانٌ سَبْعٌ وحمار ، وبما هو [ به ] نفسٌ إنسان ، وبما هو به عاقلٌ نبيٌّ ومَلَكٌ ؛ وهذه الأعراض — وإن تداخلت لأنتظامها في طينة واحدة — فإنها تتميز بقوة العقل في الصورة المخلوطة إما مفارقة ، وإما مواصلة . ومصرّ<sup>(١)</sup> له في هذا الموضع كلامٌ بليغٌ تامٌّ مكشوف .

كل الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي  
 حسب تميزتنا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على  
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ويليه الجزء  
 الثالث من هذا الكتاب وأوله : « ثم ترمى  
 الحديث إلى أمر المطعنين والطاعمين »  
 الخ . نسأل الله العسوة  
 وحسن التوفيق

(١) في الأصل : « ومن » بالنون ؛ وهو تحريف





## فهرست الأعلام

### الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

#### لأبي حيان التوحيدي

(١)

- |                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| ابن بهلول — ١٧١: ٤، ١٧٣: ١٣          | آدم عليه السلام — ١٢٧: ١٥               |
| ابن البيطار — ١٩٢: ١٦                | الأمدي الحلوي — ١٦٩: ١٥                 |
| ابن ثوبة الكاتب — ١٣٧: ٨، ١٣٨: ٨     | آمنة بنت وهب — ٨١: ١٤                   |
| ابن الجلاء الزاهد — ٧٩: ١            | إبراهيم بن آدم — ١٢٦: ٩، ١٢٨: ١٢٨       |
| ابن حجاج الشاعر — ١٧٢: ٦             |   |
| ابن الحساس — ٦٦: ٣ و ٤               | إبراهيم بن الجنيد — ٦٨: ١١              |
| ابن حيويه — ١٧٤: ٤                   | إبراهيم الخليل عليه السلام — ١٨: ٢٦، ٦٩ |
| ابنة الحس — ٢٩: ٥                    |   |
| ابن الحلال البصري — ٥٨: ١٦           | ٢                                       |
| ابن الحار وهو الحسن بن سوار — ١٤: ١٤ | إبراهيم السندي — ٦٦: ١٢، ٦٧: ١١         |
| ٣: ٨٣، ١٦: ٣٨، ٥                     | إبراهيم بن العباس الصولي — ٥٤: ٤، ٤٤: ٤ |
| ابن دأب — ١٤٤: ٣                     | ٤: ١٤٥                                  |
| ابن ذكوان — ١٤٥: ٤                   | ابن أبي طاهر — ٥٥: ١١                   |
| ابن الراوندي — ٢٠: ١٤                | ابن أبي العوجاء — ٢٠: ١٣                |
| ابن الرضى — ١٧٦: ١                   | ابن الأثير — ٧٨: ٨                      |
| ابن الرفاء — ١٦٩: ٣                  | ابن الأزرق الجرجرائي — ١٧٤: ٥           |
| ابن زرة — ١٤: ٥، ١٦: ٣٨، ٢٠٤: ٢٠٤    | ابن إسحاق الطبري — ١٧٢: ١٧              |
| ٨                                    | ابن أسيد إقاضي — ٦٥: ١١                 |
| ابن السراج — ١٩٦: ١٢                 | ابن الأعرابي — ١٠٤: ١٢، ١٤٦: ٥          |
| ابن السماك الواعظ — ٦٤: ٢٠، ١٢٠: ١٢٠ | ١٩١: ١٧، ١٩٢: ٥                         |
| ١٨: ١٢٧، ١٣: ١٢٦، ١٠                 | ١٩٣: ٤ و ١٣ و ١٧، ١٩٧: ١٧               |
| ابن سمعون الصوفي — ١٧٣: ١٣           | ١٩٨: ٤، ٢٠٢: ١٣                         |
| ابن سورين — ١٨٠: ٦                   | ابن الأنباري — ١٠١: ٥                   |
| ابن سيرين — ٥٦: ١                    |   |
| ابن صالح — ٩٥: ١                     |   |

ابن صبر القاضى — ١٣٠ : ١٧١  
 ابن طرارة — ١١ : ١٣٤  
 ابن عباس رضى الله عنهما — ١٢ : ٦٠ ، ١ : ٩٥  
 ابن عبيد الكاتب — ١٦ : ١٤٦ ، ٩ : ٢  
 ٧ : ٢٠١ ، ٩ : ١٩٢  
 ابن عتبة — ١٨ : ٩٨  
 ابن عرس — ٨ : ١٧٨  
 ابن العصي — ١٠ : ١٧٥  
 ابن عقيل — ٩ : ١٦٤  
 ابن علوية — ١٤ : ١٦٥  
 ابن عمر — ١٩ : ٩٨  
 ابن العميد = أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد  
 ابن العميد = أبو الفضل الكاتب  
 ابن العوذى — ١١ : ١٧٠  
 ابن الغازى (الطيب) — ٨ : ١٧١  
 ابن غسان البصرى — ٣ : ١٦٩  
 ابن غيلان البزاز — ١٣ : ١٦٦  
 ابن الفرات — ١١ : ٥٤  
 ابن فهم الصوفى — ٤ : ١٦٦  
 ابن الكرخى — ٥ : ١٧٦  
 ابن كعب الأنصارى — ٨ : ١٣٥  
 ابن الكلبي — ٨ : ٧٤  
 ابن المبارك — ٩ : ١٢٢ ، ٩ : ٦٦  
 ابن المرائى — ١١ : ١٤٦  
 ابن مسعود — ٩ : ١١٩ ، ٩ : ١٠٢  
 ابن معروف — ١٣ : ١٧٢  
 ابن المنى — ٤ : ١٦٦  
 ابن المقفع — ١٦ : ٢٣  
 ابن مكرم — ٤ : ١٢٩  
 ابن مكرم — ١٣ : ٥٤  
 ابن منظور — ٢١ : ٦٠  
 ابن موسى — ٣ : ١٤٤  
 ابن ميادة — ١٣ : ١٩٣  
 ابن مياس — ٨ : ١٨١  
 ابن نباتة — ١٦ : ١٣٦ ، ٧ : ١٧٠ ، ١١ : ١٩٨  
 ابن نصر الباهلي — ٦ : ١٦٩  
 ابن هندو الكاتب — ٤ : ١٣٥  
 ابن الوراق — ١ : ١٧٦  
 ابن الزيدى — ١٤ : ١٦٦  
 ابن اليقوبى — ١٦ : ٥٨  
 ابن يوسف — ١٠ : ٢٦  
 ابن يوسف صاحب ديوان السواد — ١٧٣ :  
 أبو أحمد المهرجاني — ١ : ٥  
 أبو الأسود — ١ : ١١٤  
 أبو إسحاق الصابى — ٢ : ١٤٥  
 أبو أمامة — ١٤ : ٩٦  
 أبو أيوب الأنصارى — ١٤ : ١٦٢  
 أبو أيوب القطان — ٤ : ١٧٧  
 أبو البخترى النابوى — ٦ : ٢٠٣  
 أبو بشر — ١٨ : ٣٥  
 أبو بكر — ٩ : ٢٠٣  
 أبو بكر الجراحى — ١٣ : ١٧١  
 أبو بكر بن حزم — ٩ : ٧٢ ، ٤ : ٧٢  
 أبو بكر الصديق — ١٧ : ١٠٠  
 أبو تمام — ٨ : ١٨١  
 أبو تمام النيسابورى — ١٠ : ١٥  
 أبو الجارود = زياد بن أبي زياد  
 أبو جعفر المنصور — ٦ : ٣٤  
 أبو الحارث = شبة  
 أبو الحسن البصرى — ١٣ : ٥٣  
 أبو الحسن الجراحى — ٢ : ١٦٨  
 أبو الحسن العامرى — ٨٤ : ٦ ، ٨٦ :  
 ٤ : ٨٨ ، ٢٠  
 أبو الحسن = على بن هارون الزنجاني القاضى

ابن صبر القاضى — ١٣٠ : ١٧١  
 ابن طرارة — ١١ : ١٣٤  
 ابن عباس رضى الله عنهما — ١٢ : ٦٠ ، ١ : ٩٥  
 ابن عبيد الكاتب — ١٦ : ١٤٦ ، ٩ : ٢  
 ٧ : ٢٠١ ، ٩ : ١٩٢  
 ابن عتبة — ١٨ : ٩٨  
 ابن عرس — ٨ : ١٧٨  
 ابن العصي — ١٠ : ١٧٥  
 ابن عقيل — ٩ : ١٦٤  
 ابن علوية — ١٤ : ١٦٥  
 ابن عمر — ١٩ : ٩٨  
 ابن العميد = أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد  
 ابن العميد = أبو الفضل الكاتب  
 ابن العوذى — ١١ : ١٧٠  
 ابن الغازى (الطيب) — ٨ : ١٧١  
 ابن غسان البصرى — ٣ : ١٦٩  
 ابن غيلان البزاز — ١٣ : ١٦٦  
 ابن الفرات — ١١ : ٥٤  
 ابن فهم الصوفى — ٤ : ١٦٦  
 ابن الكرخى — ٥ : ١٧٦  
 ابن كعب الأنصارى — ٨ : ١٣٥  
 ابن الكلبي — ٨ : ٧٤  
 ابن المبارك — ٩ : ١٢٢ ، ٩ : ٦٦  
 ابن المرائى — ١١ : ١٤٦  
 ابن مسعود — ٩ : ١١٩ ، ٩ : ١٠٢  
 ابن معروف — ١٣ : ١٧٢  
 ابن المنى — ٤ : ١٦٦  
 ابن المقفع — ١٦ : ٢٣  
 ابن مكرم — ٤ : ١٢٩  
 ابن مكرم — ١٣ : ٥٤  
 ابن منظور — ٢١ : ٦٠  
 ابن موسى — ٣ : ١٤٤



١٥ : ١٣٩ ، ١٤ : ١٣٨ ، ١٠ : ١٤٠  
 : ١٥٣ ، ١٨ : ١٤٣ ، ١٧ : ١٤٠  
 ، ٣ : ١٥٥ ، ١٩ : ١٥٤ ، ١٤ : ١٦٠  
 ١١ : ١٧٤ ، ١١ : ١٦٠  
 أبو صالح الهاشمي — ١٤ : ١٧٧  
 أبو طاهر : ١٤ : ٥٣  
 أبو طاهر = سليمان بن أبي سعيد الحسن  
 ابن بهرام الجنابي  
 أبو طاهر بن القتيبي العدل — ٨ : ١٧٨  
 ٨ : ١٧٩  
 أبو طلحة الشاهد — ١٢ : ١٨٢  
 أبو الطيب — ٧ : ٣٩  
 أبو عائد الكرخي = صالح بن علي  
 أبو العالية — ١٣ : ١٢٨  
 أبو العباس (غلام الأمراء المغي) —  
 ٧ : ١٧٤  
 أبو العباس البخاري (تلميذ أبي سليمان النطقي)  
 ، ١٥ : ١٩ ، ١٦ : ١٠ ، ١٤ : ٦  
 ، ١٦ : ١٦٠ ، ١٦ : ٢٠  
 ، ١٦ : ١٦١  
 أبو عبد الله البصري — ١٠ : ١٧٥  
 أبو عبد الله الرزباني — ٩ : ١٧٧  
 أبو عبيدة — ١١ : ١٠١  
 أبو العلاء الصيرفي — ١٤ : ١٧٩  
 أبو علي البصير — ٦ : ١٣٧  
 أبو علي الجبائي — ١٨ : ٧٧  
 أبو عمارة = حمزة بن عبد المطلب  
 أبو عمارة (قاضي الكوفة) : ٥٦ :  
 ١٩  
 أبو عمرو بن حفص بن النيرة — ١٠ : ١  
 ١٤  
 أبو عمرو الشيباني — ٣ : ١٠٥  
 أبو عمرة صاحب شرطة المختار بن عبيد —  
 ١١ : ٧٥٣

أبو الحسن الفرضي — ٧ : ١٥٥  
 أبو الحسين = أحمد بن يحيى بن إسحاق  
 الراوندي  
 أبو حنيفة الإمام — ٤ : ١٢٣  
 أبو حنيفة القوي — ١٥ : ١٩٢  
 أبو حيان التوحيدى — ٦ : ٢٠٥  
 أبو الخير بن يعيش — ٦ : ١٤  
 أبو البراء — ٥ : ٩٨  
 أبو ذر القفاري — ١٠ : ٩٦ ، ١٠ : ١٢٨  
 ٤ : ١٣٠ ، ١٦ : ١٥  
 أبو زكرياء الصيرفي — ٣ : ٨٤  
 أبو زبور — ٥ : ١٨٠  
 أبو زيد البلخي — ٢٠ : ٣٨ ، ٥ : ١٤  
 أبو السائب القاضي = عتبة بن عبيد  
 أبو سعيد — ١٣ : ١٩٧ ، ٣ : ١٩٣  
 أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي  
 ٢٦ : ٧٧  
 أبو سعيد الرقي — ٤ : ١٨١  
 أبو سعيد السكري — ٣ : ١٩٥  
 أبو سعيد السيرافي — ١٩١ : ١٢ : ٢ :  
 ٧ : ١٩٢ ، ١٧  
 أبو سعيد الصائفي — ١٥ : ١٧٦  
 أبو سفيان صخر بن حرب — ١٦ : ٧٣ ،  
 ١٦ : ٧٥  
 أبو سليمان المقدسي = محمد بن معمر  
 البيهقي  
 أبو سليمان النطقي = محمد بن بهرام  
 السجستاني — ٧ : ١٤ ، ٢ : ٦  
 : ١٨ ، ٤ : ٥ ، ٨ : ٢٣ ، ١٠ : ٢٤  
 : ٤١ ، ١٨ : ٣٨ ، ١ : ٣٥ ، ١٣  
 ، ٢٠ : ٤٥ ، ٢ : ٤٤ ، ٥ : ٤٣ ، ١  
 ، ٢٠ : ٤٦ ، ٣ : ٤٧ ، ١٥ : ٤٧ ، ٢٠ : ٤٦  
 : ٩٠ ، ٣ : ٨٣ ، ٤ : ٨٢ ، ٤ : ٤٩  
 : ١١٥ ، ٦ : ١٠٥ ، ١ : ٩١ ، ٦  
 : ١٣٢ ، ١٦ : ٩١ ، ١١ : ٧٥

الأخفش — ١٣٩ : ١٠ و ١٦ و ٢٠ : ٢٠٢ :  
 ٣ : ٢٠٣ : ٦  
 أرسطوطاليس — ١٦ : ٤٤ : ٤١ : ٤١ :  
 ١٩ : ٨٧ : ٦ : ٤٥  
 أريوس — ٨ : ٣٦  
 أسامة بن زيد — ١٤ و ٩ و ٨ : ٣٠ :  
 الأسدي — ٣ : ١٠٥ :  
 أسطغانس — ١٢ : ٣٦ :  
 أسقليوس — ٩ : ٤٥ :  
 الإسكندر — ٨ : ٣٣ : ١٥ : ٢٢ :  
 ٧ : ٤٦ : ١ : ٣٧ : ٥ : ٣٤  
 أحمدة بن أبجر النجاشي — ١٦ : ٩٩ :  
 الأصمعي — ٩ : ٦٣ : ٤ : ٥٦ :  
 أعشى باهلة — ٢٤ و ٢٢ و ١٢ : ١٩٨ :  
 الأعمش — ٨ : ٦٩ :  
 أفلاطون — ٢٠ : ٤٠ : ١٥ : ١٨ : ٥ : ١٦ :  
 ٢٠ : ٤٥ : ١١ : ٤٤ : ١٤ : ٣٦ : ٢٠ :  
 ١٨ : ٤٦ : ١٧ : ٤٧ : ٤ : ١٨ و ٤ :  
 ٣ : ٤٩ :  
 أم حبيبة بنت أبي سفيان — ٩ : ٧٤ :  
 أم كلثوم زوجة صهر بن الخطاب — ٨١ :  
 ٩ :  
 الأمين (الخليفة) — ٧ : ٢٠١ :  
 أنس بن مالك — ١٢٧ : ١١ : ٨١ : ١٠ : ٦٩ :  
 ١٤ :  
 الأنصاري — ٨ : ١٣٧ :  
 الأنطاكي = أحمد بن عاصم  
 انكساغورس — ١٠ : ٣٥ :  
 الأوزاعي — ١ : ١٢٢ : ٧ : ٦٨ :  
 أوميروس — ١٥ : ٣٤ :

(ب)

بشينة — ١٢ : ١٧٦ :

أبو العيناء — ١٣٧ : ١٣ : ٥٤ : ٦ :  
 ١٤ : ١٤٤ :  
 أبو فاتم الطيب — ٧ : ٢٣ :  
 أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد السكاتب  
 ٦ : ٣٩ :  
 أبو فرعون الناشي — ٧ و ٦ : ٥٣ :  
 أبو الفضل بن العميد — ٣٩ : ١٤ : ١٥ :  
 ٢٠ و ٦ :  
 أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة —  
 ١٤ : ١٨١ : ١٠ : ٥٧ :  
 أبو مسلم الخولاني — ٣ : ١٢٤ :  
 أبو موسى الأشعري — ٩٨ : ٩٩ : ٢٠ :  
 ١ :  
 أبو نصر = مالك بن عمارة اللخمي  
 أبو النصر نفيس — ١١ : ٨٨ : ١٤ : ٨٦ :  
 ١٠ : ٨٩ :  
 أبو نواس — ٤ : ٦٠ :  
 أبو هاشم بن أبي علي الجبائي — ١٩ : ٧٧ :  
 أبو الهذيل الملاف — ٩ : ٩٠ :  
 أبو هريرة — ١٢ : ٩٦ : ١٧ : ٥٥ :  
 ١٠ : ١١١ : ٩ : ٩٨ : ١١ و ٩ : ٩٧ :  
 ١١ : ١٢٩ : ١٦ : ١٢٠ :  
 أبو الوزير الصوفي — ٦ : ١٦٧ :  
 أبو يوسف — ١٢ : ٥٦ :  
 أبان بن سعيد بن العاص — ١٧ : ٧٣ :  
 أبقراط — ١٤ : ٤٧ :  
 إبليس — ٧ : ١٢٤ : ٢٠ : ١١٩ :  
 أبي بن كعب — ٢ : ٣٠ :  
 أحمد بن حرب — ١ : ١٢٤ :  
 أحمد بن عاصم الأنطاكي — ٤ : ١٢٧ :  
 أحمد بن محمد كاتب ركن الدولة — ١٣٥ :  
 ١ :  
 أحمد بن يحيى — ١٣ : ٢٠٢ : ٣ : ١٩٧ :  
 أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي — ١٤ : ٧٨ :

البرداني — ١٦٥ : ١٣  
بروع بنت واشق الأشجعية — ١٠٢ :  
١١

بشار بن برد الشاعر — ١٨٠ : ١٣  
بهر بن هارون — ٥٦ : ٨ ، ٥٣ : ١٤  
بلور (جارية ابن يزيد) — ١٦٦ : ١٤

### (ت)

ترف الصابئة المغنية — ١٧٠ : ١١

### (ث)

ثعلب اللغوي — ٥٧ : ١٦  
الثوري — ١٢٣ : ١٨  
ثيودسيوس — ١٥٣ : ١٤  
ثيودوروس — ٤٥ : ١٠

### (ج)

جامع الصيغتين — ٥٧ : ١  
جحظة — ٥٦ : ١٢ ، ٥٧ : ٨  
جحي — ٥٧ : ١٠  
الجراح بن عبد الله رواد — ٢٨ : ١١  
١٢ و  
جريح الراهب — ٩٧ : ١١ ، ١٢ و ١٣  
جرير الشاعر — ٢٨ : ١  
جعفر بن أبي طالب — ٨١ : ٣  
جعفر بن محمد الصادق — ٦٣ : ٦ ، ٧٧ :  
١٦ ، ١٣٠ : ١٢ ، ١٨٨ : ١٩  
الجزاز — ٥٨ : ٦  
جندب بن مكيث — ١٠٣ : ١٠  
جندل بن صخر — ٢٨ : ٨

### (ح)

حاتم الزاهد — ٦٨ : ١٤ ، ٦٩ : ٢ ،  
١٢٠ : ٥ ، ١٧٠ : ٨ ، ١٢٣ : ٨ ، ١٢٤ :  
١ ، ١٢٥ : ١٤ ، ١٢٦ : ١٤ ،  
١٢٨ : ٤ ، ١٢٠ : ٥  
حارث بن يزيد الإباضي رأس الفرقة الحارثية  
٢٦ : ٧٨  
حافظ — ٥٧ : ٥  
حباية جارية أبي تمام — ١٨١ : ٨  
حيان الأنصاري — ١٠٢ : ١٤  
حبش (البقال) — ١٨٠ : ٤  
حجاج بن هارون — ٦٥ : ١٨  
الحجاج بن يوسف — ٦٤ : ٣  
حذيفة — ٣١ : ١٤  
الحريري الشاهد — ١٧٦ : ١٠  
الحريري غلام ابن طرارة — ١١ : ٥ ،  
١٢ : ٦ ، ١٤ : ١٣ ، ١٧ : ٣  
حسان بن ثابت — ١٠٣ : ٤  
الحسن بن بهرام الجنابي = أبو سعيد  
الحسن بن علي — ٦٣ : ٥ ، ٦٤ : ١ ،  
١٦٤ : ٨  
حسنون المجنون — ٥٠ : ٤  
الحسين بن محمد النجار رأس الفرقة النجارية  
٧٨ : ١٦ — ١٨٨ : ٢٠  
الحصري — ٢٠ : ١٤  
حفص بن المغيرة — ١٠١ : ١٤  
الحكم بن أبي العاص — ٧٤ : ١٣  
الحكم بن هشام الثقفي — ٧٤ : ٨  
حلية جارية أبي عائد الكرخي — ١٧٦ :  
١٠  
همزة بن عبد المطلب — ٧٥ : ١٧



الدميرى صاحب حياة الحيوان — ٢٣:١٠٤  
ديوجانس — ١٦:٣١ ، ٧:٣٢ ، ٣٤:١٧  
١٧ ، ١٠:٣٦ ، ٥:٤٤ و ٦ و ٩ ،  
٤٥:٣ و ٤٥:٤٦ و ٩:١١ و ١٤ ،  
٢٠:٤٨ ، ١١:٤٧

### (ر)

رافع بن مكيث — ١٠:١٠٣  
الراوندى = أحمد بن يحيى بن إسحاق  
رؤية بن المجاج — ٣:٥٧  
الريبع (حاجب المنصور) — ٧:٧٦  
الريبع بن خيثم — ٨:٦٩  
ربيعة بن عامر بن مالك — ٨:٢٧  
الرشيد — ٦:٥٨ ، ٥:١٣٠  
الرقاشى — ١:١٢٣  
رقية بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)  
٩:٨١  
رواد = الجراح بن عبيد الله  
روعة جارية ابن الرضى — ١:١٧٦

### (ز)

زرادشت — ٢٣:٧٧  
زريق (صانع قناع ينفذاد) — ٥:١٨٠  
الزعفرانى (رأس الفرقة الزعفرانية) —  
١٨:٢٨  
زكرياء (عليه السلام) — ٢:١٨  
زنجويه الجمال — ١٤:١١ و ١٤:١١  
الزهرى — ٤:١٧٧  
زهيد بن أبى سلمى — ١٢:١٠ و ١٠:١٤٤  
زهيد بن جذيمة — ١٦:١٥ و ٦:٢٨  
زهيد بن عمرو — ١٩:١٠١  
زياد بن أبى زياد أبو الجارود (رأس الفرقة

هزة الوراق — ٤:١١  
حميد بن الصيمرى — ١٦:٦٢  
حية بن نكاز — ٤:١٦٤

### (خ)

الخاطف (الجارية المغنية) — ٧:١٧٠  
خالد بن أسيد — ٢٠:٥٢  
خالد بن جعفر بن كلاب — ١٨:٤ و ٤:٢٨  
خالد بن سعيد بن العاص — ١٦:٧٣ ،  
١١:٧٤  
خالد بن صفوان — ٨:١٢٠ ، ٣:٢٤  
خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ٥:٢  
٢٠  
خالد بن عدى الجهنى — ٧:١٠٣  
خالد السكاتب — ١٧:٥٨  
خالد بن الوليد — ١١:١٠١ ، ١٤:٩٢  
١٤ و  
الخالم — ٢٠:١٣٦  
خباب بن الأرت — ١٥:١٠٣  
خلوب (جارية أبى أيوب القطان) —  
٤:١٧٧  
الخليل بن أحمد — ٢:١٤٦

### (د)

دارا — ١٧:٢٢  
الدارقطنى — ١٦:١٦٧  
داود (عليه السلام) — ٢:١٨ ، ١٢:٧  
٦  
دجاجة الخنث — ٤:٥٩  
درة البصرية (جارية أبى بكر الجراحى) —  
١٧:١٧٣ ، ١٣:١٧١  
الدعاء بنت وهب — ٢٣:١٩٨

السندواني ١٧٦ : ٥  
سولون — ١٩ : ٤٦  
السيراني = أبو سعيد

### (ش)

شداد بن حكيم — ١٨ : ١١٩  
شريك بن عبد الله القاضي — ١٢ : ١٠٠  
و ١٤

الشيبي — ٢ : ١٢٦ ، ٤ : ٥٨ ، ٢٢ : ١٤  
شملة (مفنية) — ٤ : ١٦٨  
شعيب (رأس الفرقة الشيعية) — ٢١ : ٧٧  
شعيب النبي عليه السلام — ١٥ : ٨٠  
شقيق — ١٤ : ١٢٢ ، ٤ : ١٢١  
و ١٥

الشياني = أبو عمرو  
شيبه أبو الحارث وهو عبد المطلب جد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم —  
١٤ : ٨١

### (ص)

الصابي = أبو إسحاق الكاتب  
صالح بن عبد القدوس — ١٣ : ٢٠  
صالح بن علي أبو عائد الكرخي — ١٣ : ٢  
١٠ : ١٧٦ ، ١٤  
صالح بن مسمار — ١٣ : ١١٩  
صبابة النائمة بغداد ١ : ١٨٢  
صخر بن حرب = أبو سفيان  
الصولي = إبراهيم بن العباس  
الصيمري = أبو زكرياء

الجارودية ( — ١٢ : ٧٧  
زياد الأعجم الشاعر — ١٢ : ١٤٤  
زياد بن عبد الله الحارثي — ٤ : ٦٥  
زيد بن رقاعة — ١٣ : ٣  
زيد بن علي بن الحسين — ٢٣ : ١٨٨  
زيد بن عمر بن الخطاب — ٩ : ٨١  
زيموس — ١٣ : ٣٧ و ١٨ ، ٤٢ : ٣٨ و ٨

### (س)

سالم — ١٥ : ١٦٢  
السروي — ١٤ : ١٦٥  
السري — ١٥ : ١٢ ، ٥٧  
سعيد بن جبير — ٥ : ٥٨  
سعيد بن عامر — ٨ : ١٠١  
سعيد بن عمرو الجرشي — ١٩ : ١٦٣  
١ : ١٦٤  
سعيد بن القشب — ١٧ : ٧٣  
السفاح (أبو العباس الخليفة) — ٣ : ٦٣  
سقراط — ٣٤ : ١٥ ، ١٨ : ٥ ، ١٦ : ٣٤  
١٢ : ٣٦ و ١٧ ، ١٩ : ٢٤ ، ١ : ٢٤  
٦ : ٤٧ ، ١ : ٤٦ ، ١٤ : ٤٥  
السكري = أبو سعيد  
السلامي — ٢٠ : ١٣٥  
سلمة — ٣ : ١٩٧  
سلمة بن المحبق — ١٠ و ٨ : ٦٤  
سلمي — ٦ : ١٩٨  
سلمي — ٨ : ١٨٢  
سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي  
٢٩ : ٧٧  
سليمان (عليه السلام) — ٢ : ١٨  
سندس (جارية ابن يوسف صاحب ديوان  
السواد) — ٥ : ١٧٣

عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي —

٢١:٥٢

عبد الله بن مسعود — ٥:١٠٣

عبد المطلب جد النبي = شيبه

عبد الملك بن مروان — ١٩:٥٢ ، ٧٠:

٦٥٤ ، ١٤٤:٣٥

عبيدة — ٢:١٨١

عبيد الله بن جحش — ٨:٧٤

عبيد الله بن معمر التيمي — ٢١:٥٢

عتاب بن أسيد — ١٦:٧٣

عتبة بن عبيد أبو السائب القاضي — ١٠٠:

١١ ، ١٩٥:٣٢

عتبة بن المنذر السلمي — ١٢:٨٠

عثمان بن أبي العاص — ١:٤٤

عروة بن الزبير — ٤:٧٠

عزير — ١١:١٢١

عطاء السندی — ٩:٦٧

عقال بن عقيل — ٩:١٦٤

عقبة السلمي — ١٢:١٠٢

عقبة بن عامر الجهني — ١:١٠١

علوان التقي (غلام ابن عرس) — ١٧٨:

١٣:١٨٠ ، ٨

علوة (جارية ابن علوية) — ١٣:١٦٥ ،

٥:١٧٨

عليه (جارية مقنية) — ١٣:١٧٢

علي بن أبي طالب — ١٣:٣١ ، ٦٣:

١٤ ، ٧٥:٦٥٤ ، ٧٧:٨ ، ١٣:

٨١:٩ ، ٩٥:٢٥٥ ، ٦٥٥:١٨٨ ،

٦

علي بن الحسن — ٥:٣٠

علي بن عيسى بن ماهان المائد — ٢٠:١

١٤

علي بن عيسى الوزير — ١٤٥:١٠:٥٤

١٢:١٩٦ ، ١٤

(ط)

طالوت — ١٧:٣٣

طاهر بن الحسين — ٨:٢٠١

الطبري — ١:٧٨

طيا ثاوس — ٥:٣٧

(ظ)

ظلم — ٨:١٤٥

ظلم جارية أبي سعيد الصائغ — ١٧٦:

١٥

(ع)

العاص بن وائل — ١٣:٩٥

عاصم بن مالك — ٨:٢٧

العاصري — ١٣:١٩٣

العاصري = أبو الحسن

عائشة رضي الله عنها — ٥:٦٦

العباس بن الأخنف — ١٤٥:٦ ، ١٧٧:

١٠

العباس بن الحسن الملو — ١٤:١٤٤

العباس الصولي — ٤:١٤٥ ، ٤:٥٤

العباس بن عبد المطلب — ٥:٧٥

عبد الحميد بن عبد العزيز — ١٠:١٢٨

عبد الحميد الكاتب — ١:٦٣

عبد الرحمن بن عوف — ١٤:٩٢ ، ١٦:

عبد الرحمن بن مدين — ١٣:٦٤

عبد الرازق المجنون صاحب الكيل يباب

الطاق — ١٢:١٦٦

عبد الله بن الجوشن النطفاي — ١١:٢٨

عبد الله بن خالد بن أسيد — ٢٠:٥٢



فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم —

١٠:٨١، ١٠:٩٦

فائق الفلام — ٨:١، ٨:١٨٦، ١٥:

فتح — ١٠:١٦٤

الفتح بن خاقان — ٧:٥٢

الفرضي = أبو الحسن

فضيل بن عياض — ٣:١٢٢، ٣:١٢٨، ١٨:

١٨

فيثاغورس — ٣٢:١، ٤٥:٧

## (ق)

قابوس صاحب جرجان — ١٦:١١٧

قاسم بن محمد — ١:١٢٦

قيصة بن ذؤيب — ٤:٧٠

قيصة بن المخارق — ١٠:١٠١، ١٦:١٩، ١٠:١٠٢

٥:١٠٢

قدامة بن جعفر — ١٤:١٣، ١٥:

القنقاع بن عمرو — ٤:٧٥

قلم القضيبة المنية — ٧:١٦٧

قنوة البصرية — ٦:١٧٢

## (ك)

كبل البقال — ٤:١٨٠

كسرى أو شروان — ٨:٢٤

الكلبي — ١١:٢٨

الكناني المرقى — ٦:١٨٢

كننص صوابه (لقوس) الشاعر الإفريقي —

١٥:١٥٣، ١٥:١٥٤، ١٩:

علي بن المهدي الطبري — ١٨:٣٥

علي بن موسى الرضا — ١٧:٧٧

علي بن هارون الزنجاني القاضي — ١٥:٤، ١٣:١٥٧

١٣:١٥٧

عمر بن أبي ربيعة — ١٤:١٧٢

عمر بن الخطاب — ٩:٦٤، ٩:٦٦، ١٠:٦٦، ١٣:٧٢، ٦:٧٢، ٨:٨١، ٨:٨١، ١١:٩٥، ١٣:

١٠:١٠٠، ١٧:١٠٠، ١٠:١٠١، ١٣:

١٦٢، ٢١:١٦٤، ٤:٧٦

عمرو بن الإطناية — ٨:٢٧، ١٢:

عمرو بن العاص — ١:٤٧، ١:٧٤، ١٠:٧٤، ٨:١٨٥، ١٣:

١١:٩٥، ١٢:١٢، ١٣:١٨٥، ١٨:

١٨

عمر بن عبد العزيز — ٧:٢٠٣

العمي — ٨:١٧١

عنان جارية الناطق — ٤:٦٠

عيسى المسيح عليه السلام — ٩:١٠، ١٠:٩، ١٨:

١٨:٢، ١٥:٤٤، ٣:٦٩، ١٥:٩٩، ١٨:١٢٣، ١٢٧:

١٥:٩٩، ١٨:١٢٣، ١٥:٩٩

١٥:٩

هيسى الوزير — ٨:١٣٤

## (غ)

غالوس — ٨:٣٧

غام — ١٥:١٦٢

الغريب الخنث — ١٢:٥٧

الغراب (ماجني) — ١:٥٩

غلام الأمراء = أبو العباس

غلام بابا — ١٢:١٨٢

## (ف)

فاطمة بنت الحسين — ٧٢:٥، ٦:١٨

(م)

مالك بن دينار — ١٢٠ : ١٥ : ١٢١ :

١ : ١٢٣ ، ٢

مالك بن عباد الفائق — ١٠٣ :

مالك بن هارة النخعي — ٣ : ٧٠ و ١٥ :

٢٠ : ٧١

مانع — ٤ : ٥٧

ماني — ٢٤ : ٧٧

لأأمون (الخليفة) — ٧ : ٢٠١

المبرد = محمد بن يزيد

التوكل (الخليفة) — ٨ : ٥٢

مجاهد — ٨ : ٦٨

محرز — ٥ : ٥٧

محمد بن أسلم — ٥ : ١٢٤

محمد بن بهرام = أبو سليمان النطقي

محمد بن الحسن الجرجاني — ٢ : ٥٢

محمد بن الحسين النجار (رأس الفرقة النجارية)

صوابه الحسين بن محمد النجار

محمد بن زكرياء — ٦ : ٢٣

محمد بن سلام — ٣ و ٢ : ١٩٥

محمد بن العباس المتقري — ١٢ : ١٠٠

محمد بن عيسى الملقب بـ يرغوث رأس الفرقة

البرغوثية — ٢٠ : ١٨٨

محمد بن القاسم — ١٨ : ١٢٦

محمد بن المرزبان — ١١ : ١٠٠

محمد بن مسلمة — ١٢ و ١١ : ٩٥

محمد بن معمر البسقي أبو سليمان المقدسي —

١٥ : ٤ ، ٣ ، ١١ : ١٦ : ١٦ —

٣١ : ٧

محمد بن النسكر — ٣ : ١٣٠

محمد بن موسى —

محمد النبي صلى الله عليه وسلم — ٦ : ٩

١٤ و ١٢ : ٢٩ ، ١٧ : ٢٦ ، ٢ : ١٨

١٥ ، ١٠ : ٣٠ و ١٠ و ٧ و ٨ و ١٠

١٢ و ١٣ ، ١٧ : ٥٤ ، ١٧ : ٦٦ ، ٥ :

١٩ ، ٢ : ٧٤ و ١٠ و ٧٧ : ١٣ ،

١٢ : ٨٠ ، ١٥ : ٧٩ ، ٦ : ٧٨

١٤ ، ١١ : ٨١ و ١٣ ، ٩٢ :

١٠ و ١٢ و ١٤ و ١٧ ، ١٣ : ٩٣

٣ و ٤ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ ، ٩٤ :

١ و ٣ و ٦ و ٨ و ١٠ و ١٨ ، ٩٥ : ٢

٤ و ٩ و ٩٦ : ١ و ٢ و ٩ و ١٦

٩٧ : ٩٩ ، ١٩ : ٩٨ ، ١٢ : ٩٩

٥ و ٦ و ١١ و ١٣ و ١٦ و ١٨ و ١٩ ،

١٠٠ : ٢ ، ١٠١ : ١ و ٨ و ١٢

١٣ و ١٨ ، ١٠٢ : ١ و ٥ و ١١

١٢ و ١٤ ، ١٠٣ : ٣ و ٤ و ٥

٧ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ١٦ ، ١٢٢ :

٥ و ٦ ، ١٢٣ : ١٢ و ١٥ و ١٩ ،

١٢٩ : ٣ ، ١٣٥ : ٨ ، ١٤٢ :

١١ ، ١٦٢ : ١٣ ، ١٨٨ : ٢٥ ،

٨ : ٢٠٥ ، ٩ : ١٩٥

محمد بن نحرير — ٨ : ٦٥

محمد بن واسع — ٢٠ : ١٢٠

محمد بن يحيى البرمكي — ٦ : ٥٨

محمد بن يزيد المبرد — ١٩٦ : ١٣ : ١٩٧ :

١٣

المختار بن عبيد — ٧ : ٥٣ و ١١

المدايني — ٤ : ٦٨

مذكورة جارية مبنية — ٤ : ١٨١

مرثية — ١١ : ٥٥

مرداويج الجليل — ١١ : ١٥

المرزباني = أبو عبد الله

مروان بن الحكم — ١٦ : ٧٤

١٣ و ١٤ و ١٧ ، ١١٩ : ١٦

ميمون بن مهران — ٤ : ٥٤

ميمون بن ميمون — ٤ : ٦٩

### (ن)

النايفة — ١٦ : ٢٠٣ ، ١٧ : ١١٣

ناصر بن مكي — ١٠ : ١٠١

الناطقي — ٣ : ٨١ ، ٤ : ٦٠

نافع — ١٩ : ٩٨

نجاح الكاتب — ١٨ : ٦٥

النجاشي أصحمة بن أبيجر — ١٠ : ٧٤ ،

٩٧ : ٣ و ٥ و ٦ و ٧ ، ٩٩ : ١٤

و ١٦

نصر — ١ : ١٦٤

نصير — ٩ : ٧٧

نضلة — ١٠ : ٥٨ ، ٩ : ٥٤

النظام — ١٢ و ٩ : ٩٠

النعمان بن بشير — ١٠٢ : ١١٣ ، ٥ :

١٧

النعمان بن المنذر ١٦ : ٢٠٣

نهاية (جارية) — ٤ : ١٦٦

النوشجاني — ٧ : ١٤

النيسابوري = أبو تمام

### (هـ)

هشام — ٢ : ٥٦

هشام بن سالم — ١٢ : ١٠٤

هشام بن عبد الملك — ١٦٣ ، ١٤ : ٦٤ :

١٩ ، ١٦٤ : ٢ و ١

هند بن أسماء بن زنياع — ١١ : ١٩٩

هوميروس — ٤٦ :

مزدك — ٢٤ : ٧٧

مزيد — ١٤ : ٥٥

مسكويه — ٣ : ٣٩ ، ٩ : ٢

مسلم (المحدث) — ٢٣ : ١٠٢

المسيح عليه السلام = عيسى

مشمشة الخنث — ٦ و ٥ : ٥٤

مصعب بن الزبير — ١٩ : ٥٢

مطر بن أبي القيث — ١٣ : ٢٠

مطرف بن محمد وزير مرادويج — ١٥ :

١١

معاوية بن أبي سفيان — ٦٤ ، ١٥ : ٦٣

١ ، ١٧ : ٧٤ و ١٨

منز الدولة البويهي — ٢٣ : ١٨١

المعلم غلام المصري — ٤ : ١٧١

معمر — ١٢ : ١٢٠

المنيرة — ١٢ : ١٠٠

المنيرة بن شعبة — ١٨ و ٨ : ١٨٥

المفضل الصيرفي — ١٨ : ١٨٨

المفضل بن عمرو — ١٧ : ١٨٨

المقداد بن الأسود — ٢ : ٩٥

المقدسي = محمد بن معمر اليسقي

أبو سليمان

المنقسر بن وهب — ١٩٨ : ١٢ و ٢٢

و ٢٣ و ٢٥ ، ٢٠١ : ٣

المنصور = أبو جعفر الخليفة

منصور بن مهران — ١٥ : ١٢٩

منقاريوس — ١٣ : ٣٧ و ١٥ و ١٧

المهاجر بن أبي أمية الخزوي — ١٨ : ٧٣

المهدي الخليفة — ٨ : ٣٤ و ١٠ ، ٤ : ٦٥

المهرجاني = أبو أحمد

مهمل بن ربيعة — ١٦ : ٥٣

موسى بن جعفر الصادق — ١٦ : ٧٧ ،

١٨ : ١٨٨

موسى النبي عليه السلام — ٨٠ ، ٢ : ١٨ :



يحيى بن أبي يعلى — ١٦:٧٢ و ١٦  
 يحيى بن زكريا عليه السلام — ٢ : ١٨  
 يحيى بن عدى النصراني — ٦:١٨ ، ٣٨ :  
 ١٣  
 يحيى بن علي — ١٤:٢٠١  
 يحيى بن معاذ — ٢ : ١٢٣ ، ٢ : ١٢٥ :  
 ١٦ ، ١٢٦ : ١١ : ١٢٧ : ١ :  
 يعقوب بن الليثي — ٦:٦٦  
 يوسف بن يعقوب : ٦٣ : ١٣

(و)

الواسطي — ١٥:١٧٥  
 واشق الأشجعي — ١١:١٠٢  
 وهب (هو ابن منبه) — ١٠:١٣٠  
 وهيب بن الورد — ١٠:١٢٣

(ي)

ياقوت الحموي — ٢ : ١٨ و ٢٠ ، ٢٩ :  
 ١٨ — ١٩ : ١٩٩

« تم فهرست الأعلام »

# فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيّان التوحيدى

بيسنى — ٢١ : ٤	( ١ )
بين السورين — ١ : ١٧١	الأبله — ٨ : ٦٤
( ت )	الأبواء — ١٥ : ٨١
نبراك — ١٩ و ١٥ : ٢	أحد — ١٥ : ٩٢
ثلاث — ٣ : ١٩٩	الأحساء — ٩ : ٧٨
ترباع — ١٦ : ٢	أدى — ٤ و ١ : ٢٩
تشار — ٢٠ و ١٩ و ١٥ : ٢	أرمينية — ٧ : ٩٨
( ج )	أسفراين — ١٨ : ٥
جرجان — ١٦ : ١١٧	الإسكندرية — ٧ : ٥٧
جرش — ١٨ : ٧٣	أصبهان — ١٢ : ١٦٩ ، ٢١ : ١٥٧
الجفرة — ١٩ و ١١ : ٥٠	( ب )
جنازة — ١٢ : ٧٨ ، ٢٧ : ٧٧	باب القياسية — ٢٣ : ١٨٢
جى — ١٥ : ١٥٧	باب الطاق — ١٢ : ١٦٦ ، ٣ : ٢٦
( ح )	البحرين — ١٧ : ٧٣ ، ٢٧ : ٧٧ ، ٧٨ : ١٠
الحجاز — ١٩ : ١٩٩ ، ١٢ : ٧١	بدر — ٢ : ٩٥
حجر — ١٧ : ٥٣	البصرة — ١٣ : ٤ ، ١٠ : ٥٠ ، ٦٥ : ١٠
الحديبية — ١٠ : ١٠٣	١٣ ، ١٥ : ١٦٩
الحرم — ٩ : ٧٨	بغداد — ٢٠ : ١٧٦ ، ١٨ : ٣٥ ، ٢٢ : ١٨٢ ، ١٦ : ١٨١ ، ٢٣ : ١٨٠
حنين — ١٥ : ١٠٢ ، ١٠ : ٩٣	٨ : ٢٠١ ، ٥ : ١٨٨
	بيت الله الحرام — ٢٩ : ٧٧

السندية — ١٩ : ١٧٦  
سوق العطش — ١٨٢ : ١٢ و ٢٢  
سوق عكاظ — ١٦ : ٢٨

### (ش)

شاش خراسان — ١٤ : ١٨١  
الشام — ١٦ : ٧٢ ، ١ : ٨١ ، ١٩٢ :  
٢٠  
شطا — ٢١ : ١٧٩  
شهرستان — ٢٢ : ١٥٧

### (ص)

الصراة — ٢١ و ١٤ : ٥٩  
صريفين — ٦ : ١٨٠  
صفين — ١٥ : ٦٣  
صنعاء — ١٦ : ٧٣  
الصين — ١٧ : ١٠٨

### (ط)

الطائف — ٢ : ٧٤

### (ع)

العراق — ١٧ : ٤٨ ، ٧ : ٣٤  
٢١ : ٥٩ ، ١٢ : ٧١ ، ٢٠ : ٧٢  
١١ : ١٣٤  
عقبة همدان — ١٢ : ٢٠١  
عمان — ١ : ٧٤

### (ف)

فدك : ٢٩ : ٤ ، ١ : ٩٣ و ١٨

### (خ)

خراسان — ١٥ : ٦ ، ٦٤ : ١٣ ،  
٥ : ١٨٠  
خير — ١٨ : ٩٣

### (د)

دار القطن — ٦ : ١٦٧  
دار الكتب المصرية — ٢٢ : ٦٤  
ديق — ٢٠ : ١٧٩  
دجلة — ١٠ : ٢٠٣  
درب الزعفراني — ١٤ : ١٧١  
درب السلق — ١٤ : ١٦٥  
الدهناء — ٢١ : ٢  
ديار بكر — ٢٠ : ١٩٢

### (ذ)

ذو الخليفة (الكعبة اليمانية) — ٢٥ : ١٩٨

### (ر)

الرصافة — ٢٣ : ١٨٢ ، ١ : ١٧٦  
الري — ٢٢ : ٤ ، ٧ : ٢٣ ، ٦ : ٣٩  
١٨ : ٧٨ ، ١٤ : ١٥٧ ، ٩ : ٢٠١

### (ز)

زبالة — ١٥٦ : ١ و ١٧

### (س)

سجستان — ١٥ : ٤٨



(ق)

القادسية — ٧ : ١٥٧  
القاهرة — ١٩ : ١٩٢  
قزوين — ٨ : ١٦  
القطيف — ٩ : ٧٨  
قف النخلتين — ٦ : ٣٠  
قلعة الجبل — ١٩ : ١٩٢

(ك)

الكرخ — ٦ : ١٦٦ ، ١٠ : ٥٨ ، ٤ : ١٦٨ ، ٤ : ١٨٣ ، ٤ : ١٨٠ ، ٢ : ١٦٨ ، ٢٠ : ١٧١  
الكعبة — ٩ : ٧٨  
الكعبة اليمانية = ذوالالخصبة  
كلواذى — ١٣ : ١٦٩  
الكوفة — ١٩ : ٥٦ ، ٤ : ٥٠ ، ١٣ : ٦٤ ، ٢٣ : ٦٤

(م)

ما وراء النهر — ٢٠ : ١٨١  
المدينة — ١١ : ٩٤ ، ١٥ : ٨١ ، ٤ : ٧٢ ، ٦ : ١٦٧ ، ١٤ : ١٦٢ ، ١٦ : ١٢٨  
المربد — ١٧ : ٥٨  
مرو — ١٤ : ٧٨  
المعرق — ١٦ : ٢٢  
مصر — ٢١ ، ٢٠ : ١٧٩ ، ١٣ : ٦٣

مطرق — ٤ : ١٢٩

المغرب — ١٥ : ٢٢

مكة — ١٦ : ٧٣ ، ٢٩ : ٧٧ ، ١ : ٧٩ ، ١٩ : ١٩٩ ، ١٧ : ١٥٦ ، ١٥ : ٨١

مهرجان — ١٨ : ٥

مهرجان قذق — ١٨ : ٥

منى — ١٢ : ١٨٦

الموصل — ١١ : ٢٠٣

(ن)

نجد — ١٦ : ١٩٩  
نجران — ١٧ : ٧٣  
نهر الملى — ٢٢ : ١٨٢  
نيسابور — ١٥ : ١٥

(هـ)

هضبة النباغ — ١٠ : ١٩٩  
الهند — ١ : ١٠٨ ، ١٢ : ٦٣

(و)

الوراقين — ٥ : ١١

(ى)

يبرين — ٨ : ١٩٥  
اليامة — ١٨ : ٢٩  
الين — ١٢ و ١١ : ٦٣  
اليهودية — ٢٢ : ١٥٧

# فهرست أسماء القبائل والأهم والفرق

## الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

### لأبي حيان التوحيدى

بنو عدى بن النجار — ١٦ : ٨١  
 بنو عقيل — ١٠ : ١٦٤  
 بنو العنبر — ١٩ : ٢  
 بنو فهر — ٢ : ١٠٢  
 بنو كلاب — ١٤ : ١٥٦  
 بنو لهب — ١٩ : ١٦٤  
 بنو مروان — ٧ : ٧٣  
 بنو نضل بن عمرو بن كلاب — ٩ : ١٩٩  
 ١٧ و ١ : ٢٠١  
 بنو هاشم — ٥ : ٧٤ ، ٦ : ٧٣  
 البهشية — ١٩ : ٧٧

(ت)

نجم — ١٩ : ١٧١

(ج)

الجارودية — ١٢ : ٧٧  
 الجبائية — ١٨ : ٧٧  
 الجبرية — ٢١ : ٧٨  
 جشم — ١٨ : ١٩١  
 جهينة — ٢ و ١ : ٢٧

(١)

آل أبي طالب — ٢ : ٧٣  
 آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم —  
 ٨ : ٢٠٥ ، ١٣ : ٧٦ ، ٣ و ١ : ٢٠٥  
 الإباضية — ٢٦ : ٧٨  
 الاثنا عشرية — ١٥ : ٧٧  
 أشجع — ١٠ : ١٠٢  
 الأشجعية — ١٠ : ٧٧  
 الأشعرية — ١٨ : ٧٧  
 الإماميون — ١٧ و ١٠ : ١٨٨  
 الأنصار — ٣٠ : ٦ و ١١ و ١٥ ،  
 ٥ : ٩٩  
 أهل الذمة — ٥ : ٢٠٣  
 أهل السنة — ١٦ : ٧٨ ، ٢٢ و ٢٠ : ٧٧

(ب)

البرغوثيون — ٩ : ١٨٨  
 بنو إسرائيل — ١٣ : ١٢٤  
 بنو أمية — ١٨ و ٧ : ٧٣  
 بنو تغلب — ١٤ : ٦٣  
 بنو الحارث بن كعب — ١١ : ١٩٩  
 بنو عامر — ١٥ و ١٠ : ٩٤  
 بنو عبد مناف — ٢ : ١٠٢

الشيعة — ٩ : ١٢ ، ١٥ : ١٠ ، ٧٧ :  
٨ ، ١٨٨ : ١١ و ١٧

### (ص)

الصائبون — ١٤ : ٥  
صحية رسول الله صلى الله عليه وسلم —  
٧٧ : ١٣  
الصدق — ٧٤ : ١  
الصوفية — ١٥٥ : ١٦ ، ١٧١ : ٤

### (ط)

الطبريون — ١٨٨ : ٨  
طى — ٢٨ : ٢ ، ٢٩ : ٤

### (ظ)

الظاهرية — ٧٨ : ٧٤

### (ع)

العجم — ٧٦ : ١٣ و ٦  
العرب — ٢٧ : ١٠ و ١٤ ، ٧٧ : ٢٧ ،  
٩٤ : ١٥ ، ١١٣ : ٤ و ١٧ ،  
١٣٩ : ٩ و ١١ ، ١٤٦ : ٤ ،  
١٦٤ : ٢٢  
العم — ١٧١ : ١٩  
العوذ — ١٧٠ : ٢٣

### (ف)

الفرس — ٧٧ : ٢٣  
للفلاسفة — ٩ : ١٣ ، ١١ : ٨ ،  
٧٧ : ٢٣

### (ح)

الحارثية — ٧٨ : ٢٦  
الحكام — ٢٧ : ٤ ، ٦٤ : ١٢ ،  
١١٣ : ٩ ، ١١٧ : ٧ ، ١٣٦ :  
١٧  
الحنبلون — ١٨٨ : ٨

### (خ)

الخازمية — ٧٧ : ٢٢  
الخوارج — ٩ : ١٣ ، ٧٧ : ٢١

### (ر)

الرافضية — ٧٨ : ٢  
الراوندية — ٧٨ : ١٤  
الروم — ١٣٩ : ١٤

### (ز)

الزعفرانية — ٧٨ : ١٨  
الزنادقة — ٧٧ : ٢٣  
الفرنج — ١٣٩ : ١٤  
الزيدية — ١٥ : ٦ ، ٧٧ : ١٢ ، ١٨٨ :  
١٠

### (س)

السنية — ٩ : ١٣

### (ش)

الشمسية — ٧٧ : ٢١



المتزلة — ١٢:٩ ، ١٥:٧٨ ، ٢٧:٧٨  
المتزلة البصرية — ٧٧:١٩  
المفضلون — ١٨٨:٩  
المهابة — ٥٠:١٠

### (ن)

الناجون — ١٦:٧  
التجارية — ١٦:٧٨ و ١٨ و ٢٥ ،  
١٩:١٨٨  
النحويون — ١٣٦:١٧  
النصاري — ٩:١٠ ، ٥٩:٧ ، ٧٨:٤  
النصيرية — ٧٧:٨  
نقيل بن عمرو بن كلاب = بنو نقيل

### (هـ)

المجريون — ١٦:٧  
هوازن — ٢٨:٥

### (ي)

اليهود — ٣:٧٨ ، ١٦٧:١٤  
يونان — ٨:٢ ، ١٨:١ و ٦٢:٢٢  
٩:١٥٣ ، ١٥:١٥٤ ، ١٠:١٥٤

### (ق)

القدرية — ١٧:٧٨ و ١٩  
القرامطة — ٧٧:٢٣  
قريش — ٦٦:١٢ ، ٧١:٧ ، ٧٤:٧٤  
١٠  
القطبية — ٧٧:١٥

### (ك)

كننة — ٧٤:١

### (ل)

الغويون — ١٣٦:١٧  
لهب = بنو لهب

### (م)

المجوس — ٩:١٠ ، ٣٣:٣ ، ٧٨:٤  
المرجئة — ٩:١٢  
المستتركة — ٧٨:٢٥  
المسلمون — ٧٨:٣  
مضر — ١٩٩:٤

## فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(أ)

أخبار أبي نواس — ٢١ : ٦٠  
الإصابة في تجريد الصغابة — ١٨ : ٦٤  
الألفاظ الفارسية المعربة — ١٩ : ٨٥  
الامتاع والمؤانسة — ٦ : ٢٠٥

(ب)

بلوغ الأرب — ١١ : ٢٨

(ت)

تاج العروس — ٢٣ : ١٧١ ، ١٢ : ٧٨

(ح)

حياة الحيوان — ١٥ : ١٠٤ و ٢٣ ،  
١٨ : ١٠٥

(خ)

خبيئة الأكوان — ٢١ : ١٨٨  
خزانة الأدب — ١٩٨ : ٢٣ ، ١٩٩ :  
١٦

(ر)

رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء —  
٩ : ١٣ ، ٩ : ٥  
السماء والعالم — ٨٧ : ١٠ و ١٩

(ش)

شرح القاموس = تاج العروس  
شعر أعمى باهلة — ١٩٨ : ٢٤ ، ١٩٩ :  
١٦

(ع)

عقد الجمان — ٢٥ : ٧٧  
العقد الفريد — ١٩ : ٩٥ و ٢٠ و ٢٣ ،  
١٩ : ٩٦

(ق)

القاموس المحيط — ١٩ : ٦٤ ، ١٧ : ٨١

(ل)

لسان العرب — ٢٩ : ١٨ و ١٩ ، ١٦٢ :  
٢٠ ، ١٦٤ : ١٧ ، ١٩٨ : ١٥

(١٥)

و ١٩٠ ، ١١٠ : ٢٣  
الملل والنحل — ١٨٨ : ٢١

(ن)

نهاية الأرب — ١٧٩ : ٢٤  
النواميس لأفلاطون ٢٠ : ٢٠

(م)

مجمع الأمثال — ١٤٨ : ١٩

المصباح المنير — ١٦٧ : ١٢

معالم الدين — ١٨٨ : ٢٢

معجم البلدان — ٧٨ : ١٢

مفردات ابن اليطار — ١٠٨ : ١٦



## فهرست قوافی الآیات

الواردة فی الجزء الثانی من کتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبی حیان التوحیدی

١٥ : ٥٣	أبا عبد الإله	الفلاحة			
١٢ : ١٧٥	أنسیت	ورد		(ب)	
٦ : ١٥٣	یا رب	الحقد			
١٨ : ١١٣	وأسكنت	بغادر	١ : ١٦٧	بالشباب	أعط
٥ : ٦٥	أنا	بمیدر	١١ : ١٧٢	فأعتبا	هینى
			٢٥ : ١٠٥	الكرب	أ کذب
			١٣ : ٦٢	جانب	ولیس لنا
			١٦ : ١٥٢	مجتنب	الخیر
				(ت)	
٥ : ٢٨	بل کیف	أحراراً			
١ : ١٧٣	یا ذا الذى	ناراً			
١٥ : ١٧٢	أنیرى	الفجر	٤ : ١٥٣	وفاته	من
١ : ١٩٩	إنى أنتنى	سخر	٤ : ١٦٩	بمياته	وحياة
٧ : ١٦٨	لو أن	الکدر	١ : ١٧٤	شهادتى	ولو طاب
٦ : ١٧٧	إذا أردت	بمنتصر	٧ : ٥٣	حجرتى	أنا
٥ : ١٧٤	قد أشهد	حصراً	٨ : ٦٠	قوتاً	زو جوا
٨ : ١٨٢	عهود الصبا	الذکر	٥ : ٦٠	يموتاً	لو
٨ : ١٨٥	وقد يتغابى	أو عمر			
٩ : ١٧٢	یا ليتنى	عمرى			
١٠ : ١٩٨	يكفيه	الغمر			
١٣ : ٢٨	شفيت	وظاهر			
١ : ٢٨	رأيت	وصدور	١٢ : ١٨٦	ماسح	ولما قضينا
١٧ : ٥٣	فلولا	بالذکور	٩ : ١٨١	فاطمح	صددنا
٥ : ١٨١	سررت	سروراً	١ : ١٧٧	جريحاً	فيا لك
١ : ١٥٣	من القليل	كبير			
١٢ : ٢٧	وساهى	كثير			
٢ : ١١٤	لعمرك	شريره			
				(د)	
			١٠ : ١٧١	والابعاد	بلعى

٤ : ١٥١	الزلل	قد يدرك
٦ : ١٧٨	الرسول	أروغ
٦ : ١٧١	ما تقول	وقال لي
٩ : ٢٨	وعقول	وما فك
٦ : ١٩٨	الغليل	أمر

(م)

١١ : ١٨٠	المدام	ما العيش
١١ : ٥٠	بالطعام	أصبحت
١٥ : ٥٦	بسلام	لست مني
٨ : ١٦٩	كلام	هب الشعراء
١١ : ١٤٤	والدم	لسان الفتي
٢ : ١٥٣	ندم	من باع
٦ : ١٧٥	كالعالم	مرفت
١٤ : ١٣٩	والروم	ما زال
٧ : ١٤٥	ملوم	تعالى
١٠ : ١٤٧	ولوم	الدهر

(ن)

١٤ : ١٨٢	لك عاني	ليت شعري
٣ : ١٧٦	بالأمانى	وحق
١ : ١٨١	الفواني	ألا يا قوم
٤ : ١٠٥	نعباناً	إن كنت
١٨ : ١٥٢	سلطانه	من سلم
١٥ : ١٧١	تثنى	لست أنسى
٩ : ٥٦	إذن	إن أبا موسى
٥ : ١٦٨	الحزن	لا بد
٨ : ١٧٤	غنى	أبو العباس
٩ : ١٧٣	بخلوين	مجلس

(هـ)

٨ : ١٧٠	تقصاها	تلهب
---------	--------	------

(س)

٧ : ٢٧	القابس	لاح
--------	--------	-----

(ص)

٤ : ١٧٠	خلاصى	إذا
١٤ : ١٩٣	القبص	عطاؤكم

(ط)

٣ : ١٥٣	الشاحط	قد يجرم
---------	--------	---------

(ع)

٧ : ١٤٠	ابتدعوا	ماذا لقيت
٥ : ١٥٣	ما تزرعه	المال
٦ : ١٦٦	مطلعه	أستودع

(غ)

١٧ : ١٥٢	أدمنع	رب سكوت
----------	-------	---------

(ق)

٢٠ : ٥٨	من عشقوا	أحرم
١٠ : ١٦٧	التألق	أقول لها

(ك)

١ : ١٧١	لحاكا	لب الهوى
١٢ : ١٧٦	أوقاكا	فالت
١٥ : ١٦٥	ظلمك	بالورد

(ل)

٦ : ١٧٦	الحال	هجرتنى
---------	-------	--------

## فهرست أنصاف الآيات

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١١ : ١٥٠	الصدر	ما العلم			
٥ : ١٤٨	اعتذر	ومن يبك		(ب)	
٨ : ١٤٨	صغير	رُبَّ			
٩ : ١٥٠	الأمير	فن	٨ : ١٥٠	كذب	ولربما
			١٥ : ١٤٩	المطب	إن الشجاعة
			١ : ١٤٩	مذاهبه	ومن يسأل
			١٤ : ١٥٢	نصيب	والحر
				(ت)	
١١ : ١٤٧	الياس	وأكثر			
٦ : ١٤٨	الياس	إن المطامع			
			٧ : ١٥٣	الفرات	البحر
				(ح)	
١٤ : ١٤٧	براضى	ليس المقل			
١٥ : ١٤٨	لا تنقضى	وحاجة	٧ : ١٥٢	رياحا	ولربما
				(د)	
٣ : ١٥١	سأى	كل امرئ	٩ : ١٤٩	المباد	الموت
٩ : ١٥٢	أوجع	ولكن	١٤ : ١٤٨	الأحقاد	عند
١٤ : ١٥٠	مولع	إن الشفيق	١٠ : ١٥٠	رُقاد	إذا فزع
				(ر)	
١٢ : ١٥٠	ذو المال	إن الكريم	١٦ : ١٤٩	صبر	إن الكرام
٢ : ١٤٩	لا المحالة	المرء			



٧ : ١٤٨	ينمى	والأمر	١٣ : ١٥٠	الأجل	إنّ الفرار
١٠ : ١٤٨	الحليم	وقد يستجمل	١١ : ١٤٨	يُفعل	وإذا مضى
	(ن)			(م)	
٨ : ١٥٢	بأتمان	والمد	٩ : ١٤٨	الأقوام	ذَهبَ
			١٦ : ١٤٧	وتسلما	وحسبك

## استدراك

اطلع الأستاذ المرحوم محمد كرد علي على الجزء الثاني من الإمتاع والمؤانسة بعد طبعه ، فأرسل إلينا بالملاحظات الآتية . وقد أثبتناها في ثانيا الكتاب ، وثبتها هنا ليعرف القارئ أنها من تصويبه .

صفحة	الأصل	التصويب
٥	المؤني	العوني ( كذا يرى حضرته )
١٤	الصائبون	الصائبون
١٤	ابن الخمار	ابن خمار
٢٠	الحصري	الصنبري
٢٤	باستقامتنا	باستقامتنا
٣٠	حق ترعو	حق ترغو
٣١	شباط	شباط
٣٢	الأمراض والأغراض	الأمراض والأعراض
٤٠	بالوفق والخرق	بالرفق والخرق
٤٨	وها سوس	ها سوس
٤٨	الدولة مقبلة	والدولة مقبلة
٥٥	مزيد	مزبد ( كمحدث )
١٠٥	أجين من صفر	أجين من صفر

صفحة	الأصل	التصويب
١١٧	أطفأ نائرتها	أطفأ نائرتها
١٣٥	بالنير المخطط	بالنير المخطط
١٤٦	غير ما	غير ما
١٥٥	أبو الحسن القرظي	القرظي ؟
١٧١	بين السورين	بين السورين
١٧٩	قراسي من قراسة	قراسي من قراسة

هذا إلى ملاحظات أخرى له أوردناها في مكانها ؟



كِتَابُ

# الْمَشْرِعُ وَالْمَوَانِسَةُ

تأليف  
أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى  
حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة

الجزء الثالث

صححه وضبطه وشرح غريبه  
أحمد أمين و أحمد الزين



دار مكتبة الحياة  
للطباعة والنشر والتوزيع



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بقية الليلة الحادية والثلاثين في آخر الجزء الثاني »

ثم تَرَامَى الحديث إلى أمر اللطِيعِينَ والطَّاعِينَ<sup>(١)</sup> ، والذين يَهْشُونَ<sup>(٢)</sup> عند (٥) المائدة ، والذين يَعْجِسُونَ<sup>(٣)</sup> وَيَجْمُونَ وَيُطْرِقُونَ ، والذين يَعْصَجُونَ<sup>(٤)</sup> وَيَلْقَطُونَ ، وَيَضْجَرُونَ وَيَغْتَاطُونَ .

قال : أحبُّ أن أسمعَ في هذا أكثرَ ما فيه ، ويَمُرُّ بي أحبه ، فإن في معرفة هذا الباب تهذيباً وإيقاظاً كثيراً .

فكان من الجواب : إن الناس قديماً وحديثاً قد خاصوا في هذا الفن خوضاً بعيداً ، وما وقفوا منه عند حدٍّ ، لأن الحديث عن الأخلاق المختلفة بالأمزجة<sup>(٥)</sup> للقبائنة ، والطبائع المتناثية لا يكاد ينتهي إلى غاية يكون فيها شفاء للمستمع للستيفيد [و] لا لراوية المفيد .

قال : قبل كل شيء أعلمونا<sup>(٦)</sup> يا أصحابنا : الحثُّ على الأكل أحسن ، أم الإمساك حتى يكون من الأكل ما يكون ؟

فكان [ من ] الجواب : أن هذه المسئلة بعينها جرّت بالأمس بالرأي عند

---

(١) في (١) بالطاعمين ، والباء معرفة من الواو كما هو ظاهر من السياق .

(٢) في (١) يمشون ، وهو تحريف .

(٣) في (١) « يمشون » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) « يضجون » .

(٥) في كلتا النسختين بالأمزجة ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) « إعلموا » ؛ وهو تحريف .



ابن عبّاد فتَنُوبَ الكلامُ فيها ، وأفضى [ إلى ] أن الأولى الحثُّ والثاني يسُّ والبَسْطُ والطلاقة ولينُ اللَّفْظِ وقِيْلَةُ التَّحْدِيقِ وإسْجَاءُ الطَّرْفِ مع [ اللُّطْفِ ]  
والدِّمَاءِ ، من غير دلالةٍ على تَكَلُّفٍ في ذلك فاضح<sup>(١)</sup> ولا إِمْسَاكٍ<sup>(٢)</sup> عنه قادح .

وحكى ابن عبّاد في هذا الموضع أن بعض السلف قال : الطعامُ أهْوَنُ مِنْ  
أَنْ يُحْتَّ عَلَى تَنَاوُلِهِ .

وقال الحسن بن عليّ : الطعامُ أَجْلٌ مِنْ أَنْ لَا يُحْتَّ عَلَى تَنَاوُلِهِ . ومذهبُ  
الحسن أحسن .

قال : ولقد حضرتُ موائدَ ناسٍ لَا أَظُنُّ بِهِمُ الْبِغْلَ فلم يَحْتُونِي ولم يَبْسُطُونِي  
فَتَبَضَّنِي ذَلِكَ ، وَكَأَنَّ أَنْقَبَاضِي كَانَ بِمَعُونَتِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِهِمْ .

قال الوزير : هذه فائدة من هذا الرجل الذي يُتَهَادَى قَوْلُهُ ، وَتُرَاوَى  
أَخْبَارُهُ<sup>(٣)</sup> .

ثم حكيتُ له أن أسماءَ بنَ حارِجَةَ قال : مَا صَنَعْتُ طَعَامًا قَطَّ فَدَعَوْتُ  
عَلَيْهِ تَفَرًّا إِلَّا كَانُوا أَمِنُّ عَلَى مِنِّي عَلَيْهِمْ . فقال : زدنا من هذا الضرب  
مَا كَانَ ، قلتُ : لو أَذِنَ لِي فِي تَجْمَعِهِ كَانَ أَوْلى ؛ قال : لك<sup>(٤)</sup> ذلك فَمَا يَصْرُنَا<sup>(٥)</sup>  
أَنْ تُعْرِبَ آذَانُنَا بِمَا تَهْوَى نُفُوسُنَا .

فكان من الجواب أن الجاحظ قد أتى على جَهْرَةٍ هذا الباب إلا ما شذَّ عنه

(١) في (١) ناصح ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « الإِسْكَ » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) في (١) ويراوى اختياره .

(٤) في (١) « إلى » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) « ينصرنا » ؛ وهو تحريف .

مِمَّا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ - وَإِنْ كَانَ بَارِعًا - لَيْسَ بِمُجُوزٍ أَنْ يُظَنَّ  
[ به ] أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ بَابٍ ، أَوْ بِالْبَابِ الْوَاحِدِ إِلَى آخِرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ حَدَّثَ  
مَنْ عَهْدَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى وَاقِعِنَا هَذَا أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، وَغَرَائِبُ  
وَعَجَائِبُ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكْتَسِبُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ عَادَةً جَدِيدَةً ،  
وَخَلِيقَةً غَيْرَ مَعْهُودَةٍ ، وَبَدَأَ هَذِهِ الْمِثْنُ (١) هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ تَنْفَعِدُ شَرِيعَةٌ ،  
وَتُظَاهِرُ نَبْوَةٌ ، وَتَنْفُشُ أَحْكَامٌ ، وَتَسْتَقَرُّ سُنَنٌ ، وَتُؤَلَّفُ أَحْوَالٌ (٢) بَعْدَ فُطَامٍ  
شَدِيدٍ ، وَتَلْسُكُ وَاقِعٌ ؛ ثُمَّ عَلَى أَسْتِنَانِ ذَلِكَ يَكُونُ مَا يَكُونُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ضَافَ الْبَخِيلَ صَامَتِ دَابَّتُهُ ، وَأَسْتَفْنَى عَنِ  
الْكَنِيفِ ، وَأَمِنَ الثُّخْمَةَ .

وَقَالَ حَامِدُ (٣) اللَّفَّافُ الْمَرْهَدُ (٤) : لِلرَّائِي إِذَا ضَافَ إِنْسَانًا حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ  
إِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا ضَافَهُ إِنْسَانٌ حَدَّثَهُ بِزُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وَقَالَ مَالِكُ (٥) بْنُ دِينَارٍ : دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ : مَا أَذْرِي  
مَا أَطْعِمُكُمْ ؟ ثُمَّ قَدَّمَ (٦) إِلَيْنَا شُهْدَةً .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ خَيْشَمَةُ يَصْنَعُ الْخَبِيصَ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا فَوَاللَّهِ مَا صُنِعَ  
إِلَّا مِنْ أَجْلِكُمْ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَزِيُّ (٧) : أَحَقُّ النَّاسِ بِلَطْفَةٍ مِّنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ

(١) فِي (١) « وَبَدَأَ هَذِهِ الْمِثْنِ » . وَفِي (ب) « وَبَدَأَ هَذِهِ الْمِثْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا  
النَّصَّيْنِ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . (٢) فِي (ب) « أَحْكَامٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
(٣) كَذَا فِي كِلَا الْأَصْلَيْنِ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ  
ص ٦٩ مَنْسُوبَةً إِلَى حَاتِمٍ ، أَيْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ .

(٤) فِي (ب) « الزَّاهِدُ » . (٥) فِي (١) « خَالِدٌ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (ب) « أَخْرَجَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٧) فِي (١) « الْمُرَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ذَهَبَ بآخر معه ، وأحسُّهم بَلَطَمَتَيْنِ مَنْ إذا قيل له : اجلس ها هنا قال : بل ها هنا ؛ وأحقُّ الناس بثلاثِ لَطَمَاتٍ مَنْ إذا قيل له : كُلْ ، قال : ما بالُ صاحبِ البيتِ لا يأكلُ معنا .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد<sup>(١)</sup> : كان يقال : أربع لا يَنْتَبِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْتَفَ مِنْهُنَّ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالِمِ يَقَعُ مِنْهُ ، وَالسُّؤَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ عَنْهُ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَخِدْمَةُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ .

وقال حاتم الأصم : كان يقال المَجَلَّةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ ، فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِطْعَامِ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيزِ الْمَيِّتِ إِذَا مَاتَ ، وَتَرْوِيجِ الْبَكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ إِذَا حَلَّ وَوَجَبَ ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَنَاصِبٌ بِفَنَائِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ » .

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قَدَحٌ ، فسألت عسلاً وقالت : زَوْجِي مَرِيضٌ ؛ فَأَمْرٌ لَهَا بِرَاوِيَةِ عَسَلٍ<sup>(٢)</sup> ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْحَرِثِ : إِنَّمَا نَسْأَلُ قَدَحًا . قَالَ : سَأَلْتُ عَلَى قَدْرِهَا وَنُطْقِهَا عَلَى قَدْرِنَا .

خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ الْيَوْمَ فَقَالَ : اتَّخَذُوا لِي فَالْوُذْجَا ؛ فَسَرْنَا ذَلِكَ مِنْهُ

(١) في (١) « ابن الحنبل » ، وهو تصحيف . وقد سبق كلامه هذا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة ٦٨ سطر ١١ .

(٢) هذه الكلمة في (١) لم يظهر منها إلا بعض حروفها وفي (ب) مطبوسة كلها .



وقال الحسنُ في الرجلِ يَدْخُلُ بَيْتَ أَخِيهِ فَيَرَى السَّلَّةَ فِيهَا الْفَاكَةَ :  
لا بأسَ أنْ يأكلَ مِنْ غيرِ أنْ يَسْتَأْذِنَهُ .

وقال ابنُ عمر : أُهْدِيَتْ لرجلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ -  
شاةٌ فَقَالَ : أَخِي فَلانٌ أَخْوَجُ إِلَيْهَا ، وَبِئْسَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ <sup>(١)</sup> يَبِيعُ بِهَا  
وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تَدَاوَلَهَا تِسْعَةُ أَيْيَاتٍ ، وَرَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ ، فَزَلَّتِ  
الآيَةُ : ( وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) .

قال أبو سعيد الخُدْرِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ لَهُ  
ظَهْرٌ فَلْيَمْدُ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ؛ وَمَنْ كَانَ لَهُ زَادٌ فَلْيُعِدْ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ،  
حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْقَضْلِ <sup>(٢)</sup> » .

وَسُئِلَ ابْنُ عُثْمَرَ . مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ؟ قَالَ : أَلَّا يَشْبَعَ وَيَجْمُوعَ ،  
وَأَلَّا يَلْبَسَ وَيَعْرِىَ ، وَأَنْ يُوَاسِيَهُ بِبَيْضَانِهِ وَصَفْرَانِهِ .

وكان ابنُ أَبِي بَكْرَةَ يُنْفِقُ عَلَى جِيرَانِهِ أَرْبَعِينَ دَارًا سِوَى سَائِرِ نَفَقَاتِهِ ،  
وكان يَبِيعُ إِلَيْهِمُ بِالْأَضَاحِيِّ وَالْكُسُوفَةِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَكان يَنْفِقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
عِيدٍ مِائَةَ مَمْلُوكٍ .

وكان حَمَادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ يُفِطِّرُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسِينَ إِنْسَانًا ،  
وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ كَسَّاهُمْ ثَوْبًا ثَوْبًا وَأَعْطَاهُمْ مِائَةَ مِائَةٍ .

وقال الشاعر :

أَرَاكَ تَوَمَّلَ حُسْنَ الثَّنَاءِ      وَلَمْ يَرْزُقِ اللَّهُ ذَاكَ الْبَخِيلَا

(١) سياق الكلام يفيد أن الثاني قال مثل ما قال الأول وبيث بالشاة إلى أخ ثالث ،  
وحذف ذلك للعلم به .

(٢) يريد بالفضل هنا : ما فضل من المال وزاد .

وكيف يسود أخو بطنة <sup>(١)</sup> يَمُنُّ كثيراً ويُعطى قليلاً

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجافوا عن ذنب السخى ، فإن الله يأخذ بيده كلما عثر » .

وقال عليه السلام : « من أذى الزكاة ، وقرى الضيف ، وآوى <sup>(٢)</sup> في النائية ، فقد وقي شح نفسه » .

وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أفتر للبخل ، لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته ، ولو كان ميراً ما استنضأت به .

وقال الأصمعي : قال بعض العرب : ليست الفتوة الفسق ولا الفجور ، ولا شرب الخمر ، وإنما الفتوة طعام موضوع ، وصنيع مصنوع ، ومكان مرفوع ، ولسان مغسول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف .

وقال أبو حازم الدني : أسعد الناس بالخلق الحسن صاحبه ، نفسه منه في راحة ، ثم زوجته ، ثم ولده ، حتى إن فرسه ليضهل إذا سمع صوته ، وكلبه يشترشربذنبه إذا رآه ، وقطه يدخل [ تحت ] مائدته ، وإن السيء الخلق لأشقى الناس ، نفسه منه في بلاء ، ثم زوجته ، ثم ولده ، ثم خدمه ، وإنه ليدخل وهم في سرور فينفرقون فرقا منه ، وإن دابته لنحيد عنه إذا رآه ، مما ترى منه ، وكلبه ينزو على الجدار ، وقطه يفر منه .

وكان على باب ابن كيسان مكتوب : ادخل وكن .

(١) هذه الكلمة مطبوسة في (١) ولم يظهر منها في (ب) غير النون ؛ وما أثبتناه هو المناسب للسياق .

(٢) في (١) وأدى ؛ وهو تحريف .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول في بكائها [ على النبي صلى الله عليه وسلم ] :  
بأبي من لم ينم على الوثير ، ولم يشبع من خبز الشعير .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يخلق وعاء ملى شراً من  
بطن ، فإن كان لا بد فاجعلوا ثلثاً للطعام ، وثلثاً للشراب ، وثلثاً للريح » .  
قال الشاعر :

ليسوا يبالون إذا أصبَحُوا      شَبَعَى بِطَانًا حَقَّ مَنْ ضَيَعُوا<sup>(١)</sup>  
ولا يبالون بِمَوَلَانُمْ      والكلبُ في أموالهم يَزْتَعُ  
وحكى لنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بجزجان [ إمام الدنيا ] قال : رأيتُ  
أبا خليفة المفضل<sup>(٢)</sup> بن الحباب ، وقد دُعِيَ إلى ولية فرأى الصحف تُوضَعُ  
وتُرْفَعُ ، فقال : أَلِلْحُسْنِ وَالْمَنْظَرِ دُعِينَا ، أَمْ لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ؟ فقيل : بل  
للأكل والمخير ، قال : فاتركوا الصَّخْفَةَ يُبْلَغَ قَفْرُهَا .  
وكان سليمان بن ثَوَابَةِ ضَخَمَ الْخِيَانِ ، كثيرَ الطَّعَامِ ، وافرَ الرِّغِيفِ ،  
وكان مُعْجَبًا بِإِجَادَةِ الْأَلْوَانِ ، وَأَتَّخَذَ الْبِدَائِعِ وَالطَّرَائِفِ وَالْغَرَائِبِ عَلَى مَائِدَتِهِ ؛  
وكانت له ضُرُوبٌ مِنَ الْحَلْوَى لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهِ ، وكان خُبْزُهُ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى  
المائدة الرغيفُ مِنْ مَكْكُوكٍ<sup>(٣)</sup> دَقِيقٍ ، ولذلك قال أبو فرعون المدَوِيُّ :  
مَا النَّاسُ إِلَّا نَبِطٌ وَخُوزَانٌ<sup>(٤)</sup>      كَكَهْمَسٍ أَوْ عَمَرَ بْنِ عِمْرَانَ

(١) في (١) « صنعوا » ؟ وهو تصحيف .

(٢) في (١) المفضل بن الحيان ؟ وهو تحريف .

(٣) المكوك : من مكاييل العراق ، وهو صاع ونصف أو هو ثلاث كيلجات والكيلجة  
منا وسبعة أثمان منا ، والمنا رطلان .

(٤) لعله يريد بالخوزان : أهل خوزستان ، وهم — فيما يقال — ألام الناس وأستطهم  
نفوساً .



ضاق<sup>(١)</sup> جِرابي من رقيق سَلَمَان<sup>(٢)</sup> أ' حار في حِرِّ أمِّ قَعَطَانِ  
وَأَيُّ بَذَلٍ فِي أَسْتِ أمِّ عَدْنَانِ  
.....<sup>(٣)</sup>

وَعَشِيقَ رَجُلٍ جَارِيَةٍ رُومِيَّةٍ كَانَتْ لِقَوْمِ ذَوِي يَسَارٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا  
يَوْمًا : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، عِنْدِي الْيَوْمَ أَصْحَابِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ سَكْبَاجَةً<sup>(٤)</sup> بَقَرِيَّةً  
فَأَحِبُّ أَنْ تَوْجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا مِنْهَا ، وَدَسْتَجَةً<sup>(٥)</sup> مِنْ نَبِيذٍ لِنَتَغَذَّى  
وَنَشْرَبَ عَلَى ذِكْرِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ بِمَا طَلَّبَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا  
يَوْمًا آخَرَ : فَذَلِكَ نَفْسِي ، إِخْوَانِي مُجْتَمِعُونَ عِنْدِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ قَلِيلَةً جَزُورِيَّةً  
فَوَجَّهِي بِهَا إِلَيَّ وَمَا يَكْفِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَالنَّقْلِ ، لِيَعْرِفُوا مَتَزَلَّتِي عِنْدَكَ ، فَوَجَّهَتْ  
إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا سَأَلَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا يَوْمًا آخَرَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنَا  
وَأَصْحَابِي رَهُوسًا سَمَانًا ، فَأَحِبُّ أَنْ تَوْجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا ، وَمِنَ النَّبِيذِ  
بِمَا يُرْوِينَا ؛ فَكَتَبَتْ الْجَارِيَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ ،  
وَحُبُّكَ هَذَا مَا تَجَاوَزَ الْمُدَّةَ . وَكَتَبَتْ أَسْفَلَ الرُّقْعَةِ :

عَذِيرِي مِنْ حَبِيبٍ<sup>(٦)</sup> جَا عَنَا فِي زَمَنِ الشَّدَّةِ

(١) فِي (١) سَارٍ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سَلْمَانٌ ، أَيْ سَلْيَانٌ ؛ وَهِيَ لَفَةٌ فِيهِ .

(٣) وَرَدَ مَوْضِعُ هَذِهِ النُّقْطِ فِي (١) وَحَدَّثَنَا كَلَامُ هَذَا نَحْوِهِ : أَنْزَلَ بِقَوْمِ قَفْرَةٍ صَبَامٍ  
وَلَمْ يَأْتُوهُ بِهِ وَلَكِنْ دَلَوْهُ عَلَى مَوْضِعِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَذْهَبَ مَا مِنْهُ وَكَأَنَّهُ يَذِمُّ أُمَّ مَبُوءًا :  
إِذَا دَعَيْتَ بِمَا فِي الْبَيْتِ قَالَتْ نَحْنُ مِنَ الْجِدَالِ وَمَا حَيْثُ

وَلَا يَنْقُ مَا فِي هَذَا كَلَمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ الْكَثِيرِ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ فِي مَخْتَلَفِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا  
فَلَمْ نَجِدْهُ . (٤) السَّكْبَاجَةُ : مَرْقٍ يُصْنَعُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْحَلَلِ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ ، وَفِي (ب) « دَسَجَةٌ » ؛  
وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا . وَالدَّسْتَجَةُ : لَأَنَّهُ كَبِيرٌ مِنْ زُبَايَ فَارْسِيَّتِهِ دَسْتُهُ .

(٦) فِي (١) « حَيْثُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

وكان الحبُّ في القلبِ فصارَ الحبُّ في المعدة  
وقال جرير: <sup>(١)</sup>

ولا يذبَّحونَ الشاةَ إلا بميسرٍ <sup>(٢)</sup> كثيرٍ تناجيها لثامٌ قدورها

وقالت عادية <sup>(٣)</sup> بنتُ فرعةَ الزبيرية في ابنها دؤس :

تشبه <sup>(٤)</sup> دؤسُ نقرأ كراما

كانوا الذرى والأنف والسناما

كانوا لمن خالطهم إداما

كالسمن لثا سغبل الطعاما

يقال سغبل رأسه [ بالذهن ] وسغسه <sup>(٥)</sup> ورواه وأمره <sup>(٦)</sup> .

قال الواقدي : قيل لأُمّ أيوب : أى الطعام كان أحبَّ إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : فقد عرفتُم ذلك بمقامه عنكم ؟ فقالت : ما رأيته أمرَ بطعام

(١) البيت لفسان بن ذهل يهجو جريرا وقبلة :

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليباً جريراً  
إذا نزعنا يوماً كليب وسومت تقاعس في ظهر الأثات منيرها  
رأيت كليباً يعرف اللؤم ريجها إذا اسود بين الأملحين جمورها  
ولا يذبحون الشاة الخ ...

انظر الجزء الأول من ديوان جرير ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية .

(٢) في (١) « بمئزر » ؛ وفي (ب) « بميسر » بالنون وهو تحريف في كلتا النسختين  
والتصويب عن ديوان جرير ج ١ ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية . يريد أن ذبح الشاة عندهم أمر  
ذو بال لا يفعلونه إلا بواسطة قدام الميسر التي يشترك فيها الجميع وتفرق بينهم كل نصيبه كما  
يذبح الجزور في زمن الجذب والتعط .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين .

(٤) في (١) « أسنه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) « وسعسه » بمهملتين ؛ والمعنى واحد .

(٦) كذا في (ب) وكتب اللفظ والذي في (١) « وأمرغه » بالنون المعجمة .

يُصَنِّعُ لَهُ بِقَيْنِهِ ، وَلَا رَأْيُنَاهُ أَتَى بِطَعَامٍ فَعَابَهُ قِطٌّ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّهُ نَعَشَى عِنْدَهُ لَيْلَةً مِنْ قَصْعَةِ أَرْسَلَهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [ فِيهَا ] طَفَيْشَلٌ <sup>(١)</sup> فَرَأَيْتُهُ يَنْهَكَ تِلْكَ الْقَصْعَةَ <sup>(٢)</sup> مَا لَمْ يَنْهَكَ غَيْرَهَا ، فَرَجَعَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي ، فَكُنَّا نَعْمَلُهَا لَهُ . وَكُنَّا نَعْمَلُ لَهُ الْمَرِيْسَةَ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يَحْضُرُ عَشَاءَهُ <sup>(٣)</sup> مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى عَشْرَةٍ كَمَا يَكُونُ الطَّعَامُ فِي الْقِلَّةِ وَالسَّكَّارَةِ .

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَفْعَلُ لَهُ هَرِيْسَةً لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهَا ؛ أَجَاءَتْ قَصْعَةُ أَسْعَدَ أَمْ لَا ؟ فَيَقَالُ نَعَمْ ، فَيَقُولُ : هَلْ تُؤْمَرُهَا ؟ فَتَعْرِفُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تُعْجِبُهُ

قَدَّمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَقْبَاءَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رُطَبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُنُثُومُ بْنُ الْهَذَمِ <sup>(٤)</sup> أَمَّهَاتُ جَرَّازِينَ <sup>(٥)</sup> وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمَدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَصَابَتْهُ سَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَوَقَعَ فِي الرُّطَبِ ؛ قَالَ صُهَيْبٌ : فَجَعَلْتُ أَكُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَا كُلُّ الرُّطَبِ وَهُوَ رَمَدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَأْكُلُ الرُّطَبَ وَأَنْتَ رَمَدٌ ؟ » فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَنَا آكُلُ بِشَقِّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ ، فَتَبَسَّيْتُ [ رَسُولُ اللَّهِ ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) الطفَيْشَلُ : نَوْعٌ مِنَ الْمَرْقِ .

(٢) فِي (١) الْقَدْرُ ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) « عِنْدَهُ » .

(٤) فِي (١) « ابْنُ مَبْرُومٍ » ؛ وَفِي (ب) ابْنُ الْمَرْمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كِتَابِ الْفَنَاءِ وَمَعْجَمَاتِ الْأَعْلَامِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا .

(٥) فِي (١) حَرَّافِينَ ؛ وَفِي (ب) حَرَّازِينَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كِتَابِ الْفَنَاءِ وَكِتَابِ الْحَدِيثِ ، وَأُمُّ جَرَّازَانَ : نَوْعٌ مِنَ الرُّطَبِ كَبَارٍ ، وَاسْمُهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُجْتَمَعُ تَحْتَهُ الْجَرَّازَانُ لِلْحَلَاوَةِ ثُمَّرِهِ . وَأُمُّ جَرَّازَانَ آخَرُ نَحْلَةٍ بِالْمَجَازِ إِدْرَاكًا ، وَهِيَ أُمُّ جَرَّازَانَ رَطْبًا ، فَإِذَا جَفَتْ نَهَى السَّكْبِيسَ .



وقال الأغشى :

لو أَطْعَمُوا أَمَنَ السَّلَوَى مَكَانَهُمْ      ما أَبْصَرَ النَّاسُ طَعْمًا فِيهِمْ نَجَعًا

وقال الكُمَيْت :

وما اسْتُنْزِلَتْ في غَيْرِنَا قِدْرُ جَارِنَا      ولا تُقَيِّتُ إِلَّا بنا حِينَ تُنْصَبُ  
يقول إذا جاورنا جارئ لم نُكَلِّفْهُ أَنْ يَطْبُخَ مِنْ عِنْدِهِ ، ويكون ما يَطْبُخُهُ  
مِنْ عِنْدِنَا عما نُعْطِيهِ مِنَ اللَّحْمِ لِيَنْصَبَ <sup>(١)</sup> قِدْرَهُ . ويقال للحَيْسِ <sup>(٢)</sup> سَوِيطَةٌ <sup>(٣)</sup> .  
وقال : الرِّغِيفَةُ <sup>(٤)</sup> لبن يَطْبُخُ . وقال : هي العصيدة ، ثم الحريرة <sup>(٥)</sup> ثم  
النَّجِيرَةُ <sup>(٦)</sup> ، ثم الحَسْوُ <sup>(٧)</sup> . واللُّوْقَةُ : الرُّطْبُ بالسَّمنِ <sup>(٨)</sup> ، والسَّلِيْقَةُ : الذَّرَّةُ  
تُدَقُّ وتُصَلِّحُ باللَّبنِ ، والرَّصِيْعَةُ <sup>(٩)</sup> : البرُّ يُدَقُّ بالفَرْزِ وَيُبَلُّ وَيَطْبُخُ بِشَيْءٍ مِنَ  
السَّمنِ ، والوَجِيْثَةُ : التَّمَرُ يُوجَأُ ثم يُؤْكَلُ بِاللَّبنِ .

وقال أعرابي : ليس من الألبان أخلى من لبن الخِلْفَةِ <sup>(١٠)</sup> .

- 
- (١) في (ب) « ينضب » ؛ وهو تحريف . .  
(٢) الحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يخرج منه نواه .  
(٣) السويطة : من السوط وهو الخلط ؛ وفي (أ) « الصريطة » ؛ وهو تحريف .  
(٤) في اللسان أن « الرغيفة » : حسو من الزبد ؛ وقيل : لبن يغلى وينثر عليه دقيق .  
(٥) في اللسان أن « الحريرة » دقيق يطبخ بلبن أو دسم .  
(٦) في اللسان : أن النجيرة لبن وطحين يخلطان ؛ وقيل : هي لبن حليب عليه سمن .  
وقيل : هي ماء وطحين يطبخ . والنجيرة : بين الحسو وبين العصيدة . والذي في كلتا النسختين  
« النجيرة » ؛ وهو تصحيف .  
(٧) الحسو : طعام يعمل من الدقيق والماء .  
(٨) وقيل : إن اللوقة الزبدة .  
(٩) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مضطربة الحروف في رسمها . وقد قلبناها  
على عدة وجوه ، وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكره  
للؤلف هنا .  
(١٠) الخلفة : الخاض من النياق .

والتَّخْبِيسَةُ وَالْقَطِيبَةُ يُخَلِّطُ لَبَنَ إِبِلٍ بِلَبَنٍ غَنَمٍ<sup>(١)</sup> .

وقال أعرابي : الحمد لله الذي أغنانا باللَّبَنِ عَمَّا سِوَاهُ . ويقال أكل خبزاً قَفَّاراً وَعَنَاراً وَعَفِيراً : لا شيء معه<sup>(٢)</sup> وعليه العَفَّار والدَّمار وسوء الدار<sup>(٣)</sup> ؛ وأَكَلَ خُبْزاً جَبِيراً<sup>(٤)</sup> أى قَطِيراً<sup>(٥)</sup> يابساً . وجاء بَقَمَرُ فَضٍّ<sup>(٦)</sup> وَفَضًّا وَفَذًّا وَحَثًّا<sup>(٧)</sup> : لا يَلْزَقُ بَعْضُهُ بَعْضٌ .

قال أبو الحسن الطوسي : أخبرني هشام قال : دَخَلَ عَلَى فَرَجِّ الرُّخَجِيِّ وَقَدْ تَغَدَّيْتُ وَاتَّكَأْتُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ : إِنَّمَا تُحْسِنُ الْأَكْلَ وَالِاتِّكَاءَ . [ قَالَ ] : فَتَرَكْتُ [ الْأَكْلَ ] عِنْدَهُ أَيَّامًا ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَبَعَثَ إِلَيَّ : إِنْ كُنْتَ لَا تَأْكُلُ طَعَامَنَا فَلَيْسَ لَنَا فِيكَ حَاجَةٌ . قَالَ : « فَأَكَلْتُ »<sup>(٨)</sup> شَيْئًا ثُمَّ أَتَيْتُهُ « فَلَمْ يَتَقَدَّرْ مِنِّي كَانَ .

(١) في كتب اللغة أن « التخبيسة » و « القطيبة » لبن الماعز يخلط بلبن الضأن ، لا لبن إبل كما هنا .

(٢) عبارة الغوين « لا آدم معه » .

(٣) في (١) « وشواء النار » .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصحفة الحروف يحتاج لإصلاحها إلى بحث في كتب اللغة . وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في تلك الكتب بالمعنى المذكور هنا ، وهو الخبز اليابس .

(٥) « القطير » هو الذي أجعل قبل أن يخمر .

(٦) كذا في كتب اللغة ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كلتا النسختين مصحفتي الحروف يحتاج لإصلاحهما إلى تقليبهما على عدة وجوه .

(٧) في كلتا النسختين ، « وقد وحاء حب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين ، وما أثبتناه عن كتب اللغة .

(٨) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلتا النسختين . مضطربة الحروف ، تتعذر قراءتها ، والسياق يقتضي إثباتها على هذا الوجه .

قال أبو الحسن : أخبرني القراء قال : العرب تسمى السَّكْبَاجَةَ<sup>(١)</sup> الصَّنْفَصَةَ . وأنشد :

أبو مالكٍ يَمْتَادُنَا فِي الظَّهَائِرِ يَجُوءُ فَيُلْقِي رَحْلَهُ عِنْدَ عَامِرٍ<sup>(٢)</sup>  
أبو مالك : الجوع ، هكذا تقول العرب وَيَجِيءُ<sup>(٣)</sup> وَيَجُوءُ لغتان .  
وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْغَوَانِي إِذْ نَزَلَتْ جَفَوْنِي أبا مالكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ دَائِبًا<sup>(٤)</sup>  
أبو مالك ها هنا الشَّيْب .

قال أبو الحسن : أخبرني الثَّوْرِيُّ<sup>(٥)</sup> عن أبي عُبَيْدَةَ في الحديث الذي يُرْوَى عن عمر بن الخطاب أنه رأى في رَوْثٍ فَرَسِهِ حَبَّةَ شَعِيرٍ ، فقال : لأَجْعَلَنَّ<sup>(٦)</sup> لَكَ فِي غَرَزٍ<sup>(٧)</sup> النَّقِيعَ مَا يَشْغَلُكَ عن شَعِيرِ الْمُسْلِمِينَ . قال : والنقيع : موضع بالمدينة أحماه عمر [ بن الخطاب ] لخليل المسلمين ، خلاف البقيع بالباء .  
قال الطَّوْسِيُّ : العرب تقول : « أَيَدِي الرِّجَالِ أَعْنَاقُهَا » أي مَنْ كَانَ أَطْوَلَ يَدًا عَلَى الْمَائِدَةِ تَنَاوَلَ فَأكَلَ ، الهاء تَرْجِعُ عَلَى الْإِبِلِ ، أي أَيَدِي الرِّجَالِ أَعْنَاقُ الْإِبِلِ ، أي مَنْ طَالَ نَالَ .

قال الأصمعيّ : سألت بعضَ الْأَكَلَةِ فِيمَنْ كَانَ يُقَدِّمُ عَلَى مُيَسَّرِي

(١) السَّكْبَاجَةُ : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٢) عامر : من أسماء الخبز ، ويسمى أيضاً جابراً وماصياً . والذي في الأصل : بجو مكان « يجوء » . . . . . ويجي ويجو في التفسير بعد ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان . وفي كتاب ما يعول عليه « يلم فيلقى » . وجابر مكان « عامر » .

(٣) في كلتا النسختين « دانيا » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن اللسان وما يعول عليه وروايته في كلا الكتابين : أبا مالك إن الغواني هجرني أبا مالك الخ

(٤) في (ب) التوزي ؛ والثوري ؛ كلاهما معروف .

(٥) في (١) لأجعلنك . (٦) الفرز بالتحريك : نبات يشبه الثمام ينبت على

شواطئ الأنهار ، وفي كلتا النسختين عزيز ؛ وهو تصحيف .



الناس كيف تصنع إذا جهدتك الكفة — والعرب تقول : « إذا كنت بطناً  
فعدك زمناً » — قال : آخذ روثاً حاراً وأعصره وأشرب ماءه ، فأختلف<sup>(١)</sup>  
عنه مراراً ، فلا أثبت أن يلحق بطني [ يظهرى ] فأشتهى الطعام .

قال ابن الأعرابي : قال النكلابي : هو يندف الطعام إذا اكأه بيده ،  
ويلقم الحسو ، واللقم بالشفة ، والذف : الأكل باليد . وقال الزبيرى :  
يندف<sup>(٢)</sup> .

وأنشد ابن الأعرابي :

ويظل ضيف بني عبادة فيهم متضمراً وبطوهم كتم  
أى متلثة . والتضمير : الهزال والنحانة ، كالنخل المصمر ، أى الذى قد  
ذوت<sup>(٣)</sup> جذوعه . قال الشنوبذى فى قول الله تعالى<sup>(٤)</sup> : ( قل هل ننبئكم  
بالأخسرين أعمالاً [ الذين ضل سفيهم فى الحياة الدنيا ] ) . قال : الذين يتردون  
وياً كل غيرهم . قال أبو الحسن : كانت لى أبة تجلس معى على المائدة فتبرز  
كفا كأنها طامة ، فى ذرايع كأنها ججارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة  
إلا خصتني بها ، فزوجتها ، وصار يجلس معى على المائدة ابن لى ، فيبرز لى  
كفا كأنها كرنانة<sup>(٥)</sup> ، فى ذرايع كأنها كربة<sup>(٦)</sup> ، فوالله إن<sup>(٧)</sup> تسبق

(١) يقال : اختلف إلى الحلاء ، إذا أصابه إسهال فتردد إليه .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة تقصاً وقع من الناسخ .

(٣) فى ( ١ ) « وقت » بالواو ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه « رقت » بالراء مع تشديد  
القاف . وفى ( ب ) « ذوت » بالدال المهملة والراء ؛ وهو تحريف أيضاً ، ولعل صوابه ما أثبتنا ،  
كما يقتضيه سياق الكلام . ( ٤ ) فى ( ب ) فى قوله عز وجل .

( ٥ ) الكرنانة : أصول الكرب التى تنق فى جذع النخلة بعد قطع السعف .

( ٦ ) الكربة بالتحريك : أصول السعف الللاط العراض التى تقطع منها .

( ٧ ) إن تسبق ، أى ما تسبق ؛ فإن هنا نافية .

هينى إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها .

وقال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرتُ إذا بَلَغْتَنِي نَاقَتِي أَنْ أَنْحَرَهَا وَأَكُلَ مِنْ كَبِدِهَا . قال : « بئسما جازيتها » .

أضلَّ أعرابيٌّ بغيراً له ، فطلبه ، فرأى على باب الأمير بُخْتِيًّا ، فأخذه وقال : هذا بعيرى ، فقال : إنك أضللتَ بغيراً وهذا بُخْتِي . فقال : لَمَّا أَكَلَ عَلفَ الأميرِ تَبَخَّخْتَ . فضحك منه وتركه [ يعيدُ قوله ويُعْجِبُه ] .

السَّكْدَةُ : غِلْظُ اللَّحْمِ وتَراكُمُه ، ومنه قول هشامٍ لاسلم — وقد رآه فأعجبهُ جسمُه — : ما رأيتُ ذا كِدَنَةٍ أَحْسَنَ مِنْكَ ، فما طعامُك ؟ قال : الخُبْزُ والزَّيْتُ . قال : أما تَأْجِهْ <sup>(١)</sup> ؟ قال : إذا أَجَمْتُهُ تركتُه حتى أَشْهِيَه ، ثم خرج وقد أصاب في جسمه بَرَصاً . فقال لِقَعْنِي <sup>(٢)</sup> الأخولُ بعينه ، فما خَرَجَ هِشامُ من المدينة حتى صلى عليه .

وقال عبد الأعلى القاص <sup>(٣)</sup> : الفقير مَرَقَتُهُ سِلْقَةٌ ، وَغِداؤُهُ <sup>(٤)</sup> عُلْقَةٌ <sup>(٥)</sup> ، وَخُبْزَتُهُ فِلْقَةٌ <sup>(٥)</sup> ، وَتَمَكَّتُهُ شِلْقَةٌ ، أى كثيرة الشُّوكِ <sup>(٦)</sup> .

قال رجاء بن سلمة : الأكلُ في الشُّوقِ سَحاقة .

قيل لذؤيب بن عمرو : إنك مُفْلِسٌ لا تَقْدِرُ على قُرْصٍ ولا بُجْجٍ <sup>(٧)</sup>

(١) أجم الطعام : مله .

(٢) لقمه بعينه ، أى أصابه بها .

(٣) فى ب « القاضى » بالضاد للمجبة ؛ وفى ( ا ) العاس بالعين المهملة .

(٤) فى ( ا ) « ورداؤه » ، وفى ب « وعداؤه » وهو تصحيف .

(٥) العلقمة : ما يتبلغ به من الطعام . والفلقة : القطعة ، كالفلذة .

(٦) فى كتب الفقه أن الشلقة شئ على خلفة السمك صغير له رجلان عند ذنبه كهيئة

الضفدع ، ويكون فى أنهار البصرة ، ولعله المعروف عندنا بأبى جنبو .

(٧) الجمع بضم الجيم وسكون الميم : ما يملأ جمع الكف ، أى قبضته من الطعام ونحوه .

وقال مهلهل :

إنا لنضربُ بالسيوفِ رُءوسَهُمْ      ضربَ القُدَّارِ نقيعةَ القُدَّامِ  
القُدَّارُ: الجزار      والقُدَّارُ: الملكُ أيضاً. والقُدَّامُ: رؤساء الجيوش، والواحد قادم.

وقال معن<sup>(١)</sup> بن أوس يصف هدير قدير :

إذا التَطَمَتِ<sup>(٢)</sup> أمواجُها فكانها      عوائدُ دُهمٍ في المَحَلَّةِ قِيلُ  
إذا ما أتهحاها الرُمْلونُ<sup>(٣)</sup> رأيتها      لَوْشِكِ قِراها وهي بالجزلِ تُشَعْلُ  
سمعتَ لها لَفْظاً<sup>(٤)</sup> إذا ما تَنَطَّطَتِ      كهدرِ الجمالِ رُزْماً حينَ تَجْفُلُ

وقال آخر :

إذا كان فَصْدُ العِرْقِ والعِرْقُ ناضِبٌ      وكَشَطُ سَنَامِ الحَيِّ عَيْشاً<sup>(٥)</sup> وَمَعْنَا

(١) كذا في (ب)، والقدي في (أ) « بكر » . وقد ورد هذا الشعر في ديوان معن بن أوس المطبوع في ليبزج سنة ١٩٠٣ من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص ؛ وأولها :

إليك سعيد الخير جابت مطبق      فروج القياقي وهي عوجاء مهبل

(٢) يريد بالتطام الأمواج هنا اضطراب ما في القدر عند غليانها . ويريد بقوله « عوائد دهم » خيلاً سوداً حديثاً التاج . شبه القدر بثلث الخيل التي معها أولادها . وقيل : من القائلة . ويروى « عوائب » مكان قوله « عوائد » . وهي التي تسمى على ثلاث قوائم وعقرت رابعتها . شبه القدر بها ، لأنها توضع على أثافي ثلاث .

(٣) الرملون : الذين فقدت أزوادهم . والجزل : الحطب الفليظ . والقدي في كلتا النسختين : « إذا ما امتطاهما الموتدون » ؛ وهو تحريف .

(٤) اللفظ ( بفتح أوله وتسكين ثانيه ) : اللفظ بفتحهما معا ، وهو نشيش القدر . وفي كلتا النسختين : « لفظاً » ؛ وهو تحريف . والتصويب والتفسير عن ديوان معن بن أوس المطبوع في ليبزج . وتنططعت ، أي صوتت في غليانها . والرزم من الإبل : التي تخرج أصواتها من حلقها لا تفتح بها أفواهها ، كما ورد ذلك في التفسير للكتوب على هذا البيت في شعر معن بن أوس . وفي كلتا النسختين : « تحفل » بالحاء المهملة مكان « تحفل » بالجيم ؛ وهو تصحيف .

(٥) في رواية : « زادا ومطما » . وكانت العرب في الجذب تشق أسنمة الإبل وهي حبة وتأخذ ما فيها من الشحم وتأكله .



ولا حَفَّالَةٌ<sup>(١)</sup> ، وَبَيْتُكَ عَامِرٌ<sup>(٢)</sup> بِالْفَأْرِ .

قال علي بن عيسى : الطلاق الثلاث البتة إن كان يَمْنَعُهُمْ<sup>(٣)</sup> مِنَ التَّحَوُّلِ عنه إلا أنهم يسرقون أطعمة الناس يأكلونها في بيته لِأَمْنِهِمْ فيه ، لأنه لا هَرَّةَ هناك ولا أحدَ يأخذ شيئاً ولا يُؤذَوْنَ ، وإن لم لَمِسْتَقَاةً مملوءةً ماءً كما جَفَّتْ سَكِبَ لَمْ فيها ماء .

جَعَلَ الْخَبَرَ عَنِ الْفَأْرِ عَلَى التَّلَحُّجِ ، كَالْخَبْرِ عَنْ قَوْمٍ مُعْقَلَاءَ .  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا الْخُبَرَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

وقال آخر :

كَأَنَّ صَوْتَ سَحْبِيهَا<sup>(٤)</sup> الْمُنْتَحِجِ سَعَالُ شَيْخٍ مِنْ بَنِي الْجُلَاحِ

يقول من بعد السَّعَالِ أَحـ

قال الأصمعي : الرَّجِيمُ : الشَّوَاءُ يُسَخَّنُ ثَانِيَةً . وَالنَّقِيعَةُ مَا يُحْرِزُهُ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُقَسَمَ وَالْجَمْعُ نَقَائِعُ . وقال : أنشدني عيسى بن عمر لمعاوية بن صمصمة :

مِثْلُ الذَّرَى لَحِبْتُ عَرَائِكُهَا<sup>(٥)</sup> لَحَبَ الشُّفَارِ<sup>(٦)</sup> نَقَائِعَ النَّهْبِ

(١) الحفالة : الحثالة ، أو عكر الدهن ؛ أو مارق من رغبة الدين ؛ كل من هذه المعاني الثلاثة تصح إرادته هنا . وفي (١) « ولا سقالة » ؛ وهو تحريف .

(٢) سيأتي ما يفيد تعليل كون بيته عامراً بالفأر مع خلوه من الطعام .

(٣) « يمنعهم » ، الضمير يعود على الفترة .

(٤) سحبها ، أي سحب البكرة التي يستقي بها من البئر . وفي (ب) « سحبها » ، وهو تصحيف . « والمنتاح » من امتاح الماء إذا أخرجه من البئر .

(٥) لحبت مرأئيكها ، أي أهزلت أسنمتها ، جمع صريكة .

(٦) لحب الشفار الخ : اللحب في هذا الشطر بمعنى القطع ، أي كما تقطع الشفار ، أي « السكاكين » — لحم النياق العظيمة ، أو لحم الشفار بالسين المهملة مكان الشين ، أي كما يهزل السفر تلك النياق يمشقته فيذهب بما فيها من لحم وشحم .

وكان عتيق<sup>(١)</sup> القد خير شوائهم وصار غُبُوقُ الخود ماءً مُحْكَمًا  
عَقَرْتُ لَمْ دُهْنًا مَفَاحِيدَ<sup>(٢)</sup> حِلَّةً وعادت بقايا البرك نهبًا مُقَسَّمًا  
قال<sup>(٣)</sup> : وإذا كان القَحْطُ فصدوا الإبل وعالجوا ذلك الدَّم بَشْيء من  
العلاج لما كما يصنع الترك ، فإنها تجعله في المَضْرَآن ، ثم تشويه أو تطبخه ،  
فيؤكل كما تؤكل السَّقَائِقُ<sup>(٤)</sup> وما أشبه ذلك .

وأما قوله : « والعِرْق ناضِبٌ » فإنما يعنى قلة الدَّم لِمزال البعير ، وكذلك  
جميع الحيوان ، وأكثر ما يكون دَمًا إذا كان بين اللَّهْزُول والسَّمين .  
وقالت أم هِشَام السَّلُولِيَّة : ما ذَكَرَ النَّاسُ مذكوراً خيراً من الإبل  
وأَجْدَى<sup>(٥)</sup> على أَحَدٍ بِخَيْرٍ ؛ هكذا روى .

وقال الأندلسي : إِنْ سَحَلْتُ أَثَقَلْتُ ، وَإِنْ بَشْتُ أَبْعَدْتُ ، وَإِنْ حَلَبْتُ  
أَزَوْتُ ، وَإِنْ نُحِرْتُ أَشْبَعْتُ .

قال أبو الحسن الهيثمي ، عن عبد العزيز بن يسار قال : قدمتُ بِأُجْمَيْرِ<sup>(٦)</sup>  
مُخَمْسَ سَفَائِفَ<sup>(٧)</sup> دَقِيقٍ ، وذلك في زمن مصعب وهو مُعْسِكِرٌ بها فَلَقِيَنِي

(١) عتيق القد ، أى القديم من الجلد ، وكانت العرب تشويه وتأكله إذا أجذبت .  
ويغير بالشر الثاني إلى قلة اللبن حتى إن الخود ( وهن الشواب الحسان الناضجات ) لا يجدن  
اللبن يشتقن به أى يشربنه في المساء ، فهن يعثرن الماء الحار المسخن . يقال : حَمَمَ الماء إذا  
سخنه . وفي الأصل « الجود » بالجيم مكان « الخود » بالخاء ؛ وهو تصحيف .

(٢) المفاحيد من النياق : العظيمة الأستمة . والجلَّة : العظيمة منها . والبرك : الإبل الباردة .

(٣) قال ، أى من روى عنه المؤلف ؛ ولعله الأصمى ؛ إذ هو أقرب مذكور .

(٤) لم نجد هذا النوع من الطعام فيما راجعناه من الكتب . (٥) فى (١) التى ورد  
فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) : واجاءه ؛ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٦) بِأُجْمَيْرِ : موضع دون تكريت من أرض الموصل كان يعسكر فيه مصعب

ابن الزبير . والقدي فى ( ١ ) الوارد فيها هذه القصة وحدها دون (ب) بأحز وهو تحريف

صوابه ما أثبتنا نقلاً عن كتب التاريخ ومعجم البلدان لياقوت . (٧) السفائف : جمع

سفيقة ؛ وهى السبيجة من الخوص نحو الزنبيل . وفى الأصل « سقائى » ؛ وهو تصحيف .



عِكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : بَكِمُ أَخَذْتَهَا ؟ قُلْتُ بِتَسْمِينِ أَلْفَا . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيكَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفًا عَلَى أَنْ تُؤَخِّرَنِي . فَدَفَعْتُهُنَّ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي الْمَعْسَكِ يَوْمَئِذٍ دَقِيقٌ . قَالَ : فَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ اللَّهُ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، فَجَمَلُ كُلِّ قَوْمٍ يَتَّبِعُونَ عَلَى حِيَالِهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَهْوَةٍ <sup>(١)</sup> مِنَ الْأَرْضِ فَخَفَرُوهَا ، ثُمَّ جَعَلُوا فِيهَا الْحَشِيشَ ، ثُمَّ طَرَحُوا ذَلِكَ الْمَجِينِ فِيهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا فَأَخَذُوا فَرَسًا وَدِيقًا <sup>(٢)</sup> . . . (٣) فَخَلَّوْا عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا وَهُوَ <sup>(٤)</sup> يَتَّبِعُهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْحَفِيرَةِ ، فَدَفَعُوا الْفَرَسَ الْوَدِيقَ فِيهَا ، وَتَبِعَهُمَا الْفَرَسُ ، وَتَنَادَى الْقَرِيقَانِ : إِنْ فَرَسٌ حَوْشَبَ وَقَعَ فِي حَفِيرَةِ عِكْرَمَةَ فَمَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا بِالْعَمَدِ . قَالَ : فَغَلَبَهُ عِكْرَمَةُ .

قال شاعر :

لَا أَشْتَمُ الضَّئِيفَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ : أَبَانُكَ <sup>(٥)</sup> اللَّهُ فِي آيَاتِ عَمَّارِ  
أَبَانُكَ <sup>(٥)</sup> اللَّهُ فِي آيَاتِ مُقْتَرِزِ <sup>(٦)</sup> عَنْ الْمَكَارِمِ لَا عَفٍّ وَلَا قَارِي  
جَلَدِ النَّدَى زَاهِدٍ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ كَأَنَّمَا <sup>(٧)</sup> ضَائِفُهُ فِي مَلَّةِ النَّارِ

(١) الرهوة : المكان المنخفض من الأرض .

(٢) الوديق : من الوداق بكسر الواو ، وهو شهوة الفعل .

(٣) يظهر لنا أن موضع هذه النقط كلام ساقط من الأصل يفيد أنهم أقبلوا إلى فرس آخر ذكر لرجل منهم يسمى حوشبا ، غفلوا عنه الخ ما هنا ، وذلك أخذنا من قوله فيما يأتي بعد : فدفعوا الفرس الوديق فيها وتبعها الفرس الخ القصة .

(٤) وهو ، أي فرس آخر ذكر ، ولم يذكر في الكلام ؛ فلعل فيه نقصا كما نبهنا على ذلك في الحاشية التي قبل هذه .

(٥) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) : « أبانك » في كلا الموضعين وسياق الشعر يقتضي ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « مقترز » ، ولم نثبت له معنى يناسب السياق . والصواب ما أثبتنا . والمقترز : المتبحر ببيدأ .

(٧) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « كأنهم ضيفه » ؛ وهو تحريف . وسياق الشعر يقتضي ما أثبتنا . وملة النار : موضعها .



وقال آخر :

وهو إذا قيل له : وَيَهَا كُلُّ فَإِنَّهُ مُوَاشِكٌ مُسْتَعِجِلٌ

وهو إذا قيل له : وَيَهَا <sup>(١)</sup> قُلْ فَإِنَّهُ أَخْجَعٌ بِهِ أَنْ يَنْكُلْ

[ قيل لصوفي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : لا حدُّ له ، ولو أراد الله أن يؤكل  
بحدٍّ لَبَيَّنَ كما بَيَّنَّ جميعَ الحدود . وكيف يكون للأكل حدٌّ ، والأكلَةُ  
تُخَلِّفُو الطَّبَايعَ والمزاجَ والعارضَ والمادة ، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حدِّ الشَّبَعِ  
حتى يأكل مَنْ شاء على ما شاء كما شاء ] .

وقيل لصوفي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : ما نشطَ على أداء الفرائض ، وثبَطَ  
عن إقامة النوافل .

وقيل لمتكلم : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : حدُّه أن يجلبَ النوم ، ويضجرَ  
القوم ، ويبيتَ على اللوم .

وقيل لطائفي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أن يؤكَلَ على أنه آخرُ الزاد ،  
ويؤتَى على الجِلِّ والدَّقِّ .

وقيل لأعرابي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أما عندكم يا حاضرة فلا أدرى ؛ وأما  
عندنا في البادية فما وجدَت العين ، وامتدَّت إليه اليد ، ودارَ عليه الضُّرسُ  
وأساغهُ الخلق ، وانتفَخَ به البطن ، واستدارت عليه الحوايا ، واستغاثت منه  
المعدة ، وتقوَّست منه الأضلاع ، وألتوت عليه المصارين ، وخيف منه الموت .  
وقيل لطبيب : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما عدَّل الطبيعة ، وحفِظَ المزاجَ  
وأبقى شهوةً لما بعد .

(١) « ويها قل » بالغاء ، أي إذا نودي باسمه لعظام الأُمُوز فقل : يا فلان ، نكل  
عن النداء وتنكَّب . وفي الأصل : « قل » بالقاف ... ويتكل . وهو تصحيف في كلتا  
الكلمتين . والتصويب عن اللسان . وويها : كلمة حض واستحثاث .

وقيل لقصار : ما حدُّ الشَّبَع ؟ قال : أن تَثِيبَ إلى الجَنَفَةِ كأنك مِرْحَانٌ وتأكل وأنت غَضْبَانٌ ، وَتَمَضَّغَ كأنك شَيْطَانٌ ، وَتَبَلَّغَ كأنك هَيْمَانٌ ، وَتَدَعَّ وَأنت سَكْرَانٌ ، وَتَسْتَلْقَى كأنك أَوَانٌ<sup>(١)</sup> .

وقيل لحَمَال : ما حدُّ الشَّبَع ؟ قال : أن تأكل ما رأيتَ بَعْشِرِ يَدَيْكَ غيرَ عَائِفٍ وَلَا مُتَقَرِّزٍ ، وَلَا كَارِهٍ وَلَا مُتَعَرِّزٍ .

وقيل لمَلَّاح : ما حدُّ الشَّبَع<sup>(٢)</sup> ؟ قال : حدُّ الشُّكْرِ . قيل<sup>(٣)</sup> : فما حدُّ الشُّكْرِ ؟ قال : ألا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا الطُّولَ مِنَ الْعَرْضِ ، وَلَا النَافِلَةَ مِنَ الْفَرَضِ ، مِنْ شِدَّةِ النَّهْسِ وَالْكَسْرِ وَالْقَطْعِ وَالْقَرَضِ . قيل له : فإنَّ السكرَ محرَّمٌ ، فلمَ جعلتَ الشَّبَعَ مثله ؟ قال : صدَّقتم ، هَا سُكْرَانٌ : أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ موصوفٌ بِالْعَيْبِ وَالْخَسَارِ ، وَالْآخَرُ معروفٌ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ . قيل [ له ] : أما تخافُ الْهَيْضَةَ ؟ قال : إنما تُصِيبُ الْهَيْضَةُ مَنْ لَا يَسْتَعِي اللَّهَ عِنْدَ أَكْلِهِ ، وَلَا يَشْكُرُهُ عَلَى النِّعْمَةِ فِيهِ . فَأَمَّا مِنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ فَإِنَّهُ يَهْضِمُ وَيَسْتَمِرُّ وَيَقْرَمُ إِلَى الزِّيَادَةِ .

وقيل لبخيل : ما حدُّ الشَّبَع ؟ قال : الشَّبَعُ حَرَامٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا أَسَلَّ اللَّهُ مِنَ الْأَكْلِ مَا نَقَى الْخُلُوعَى ، وَسَكَّنَ الصُّدَاعَ ، وَأَمْسَكَ الرَّمَقَ ، وَحَالَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْمَرْحِ ، وَهَلَّكَ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا إِلَّا بِالشَّبَعِ وَالتَّضَامُعِ وَالْبَطْنَةِ وَالْأَحْتِشَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ إِمَامٌ لَوَكَّلَ بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ عَادَةَ الصَّحَةِ ، وَحَالَةَ الْعَدَالَةِ ، حَتَّى يَزُولَ التَّعَدُّى ، وَيَفْشُو الْخَبَرُ .

(١) الأوان : العدل ( بكسر الهمزة ) ، كالأون ( بسكون الواو ) .

(٢) في ( ب ) : « الأكل » . مكان « الشبع » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) كذا في ( ب ) وهو السب . والذي في ( أ ) : « قال » .

وقيل لجُنْدِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما شَدَّ العَضْدَ ، وَأَنْحَى الظَّهْرَ ، وَأَدَرَ  
الْوَرِيدَ ، وَزَادَ فِي الشُّجَاعَةِ .

وقيل لزاهد : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما لم يَعْلَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَوْمِ النَّهَارِ  
وَقِيَامِ اللَّيْلِ . وَإِذَا شَكَا إِلَيْكَ جَائِعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لِإِحْسَانِكَ بِهِ .  
وقيل لمدنيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ فقال : لا عَهْدَ لِي بِهِ ، فَكَيْفَ أَصِفُ  
مَا لَا أَعْرِفُ ؟

وقيل ليمانيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ يُخَشَى حَتَّى يُخَشَى .  
وقيل لتركبيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ حَتَّى تَذْنُوبَ مِنَ الْمَوْتِ .  
وقيل لِسَمَوِيٍّ<sup>(١)</sup> القاصِّ : مَنْ أَفْضَلُ الشَّهْدَاءِ ؟ قال : مَنْ مَاتَ بِالثُّخَمَةِ ،  
وَدُفِنَ عَلَى الْهَيْضَةِ .

قيل لِسَمَرْقَنْدِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : إِذَا جَعَفَتِ عَيْنَاكَ ، وَبَكِمَ  
لِسَانُكَ ، وَثَقُلَتْ حَرَكَتُكَ ، وَأَرْجَحَنَ<sup>٢</sup> بَدَنُكَ ، وَزَالَ عَقْلُكَ ، فَأَنْتَ  
فِي أَوَائِلِ الشَّبْعِ . قيل له : إِذَا كَانَ هَذَا أَوَّلَهُ ، فَمَا آخِرُهُ ؟ قال : أَنْ  
تَنْشَقَّ نِصْفَيْنِ .

قيل لمندنيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : الْمَسْئَلَةُ عَنْ هَذَا كَأَمُحَالٍ ، لِأَنَّ الشَّبْعَ  
مِنَ الْأَرُزِّ النَّقِيِّ الْأَبْيَضِ ، الْكَبِيرِ الْحَبِّ ، الْمَطْبُوخِ بِاللَّبَنِ الْحَلِيبِ ، الْمَغْرُوفِ  
عَلَى الْجَامِ الْبَلُّورِ ، الْمَدُوفِ<sup>(٢)</sup> بِالسُّكَّرِ الْفَائِقِ ، مُخَالَفٌ لِلشَّبْعِ مِنَ السَّمَكِ  
الْمَمْلُوحِ وَخَبْزِ الذَّرَةِ ، وَعَلَى هَذَا يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ فِي الشَّبْعِ . فَقِيلَ لَهُ : فَدَعْ

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأصول ؟ ولم نقف عليه فيما راجعناه من الكتب .

(٢) المدوف : المخلوط . وفي كلتا النسختين : « المدفون » ؛ وهو تحريف .



هذا ، إلى متى يَنْبَغِي أن يأكلَ الإنسان ؟ قال : إلى أن يقع له أنه إن أراد  
لُقْمَةً زَهَقَتْ نَفْسُهُ إلى النار .

قيل لمُكَارٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : والله ما أَدْرِي ، ولكن أَحِبُّ أن  
أَكَلَ ما مَشَى حِمَارِي مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

قيل لِحَمَّالٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنا أَوَاصِلُ الْأَكْلِ فَمَا أَعْرِفُ الْحَدَّ ،  
ولو كُنْتُ أَتَمَّهِ لَوَصَفْتُ الْحَالَ فِيهِ ، أعني أني ساعة أَلْتُ<sup>(١)</sup> الدَّقِيقَ ، [ وساعة  
أَمَلُ اللَّمَّةَ ، وساعة أَثْرُدُ ، وساعة آكُلُ ] وساعة أَشْرَبُ لَبَنَ اللَّقَاحِ ؛ فليس  
لي فَرَاغٌ فَأَدْرِي أني بَلَغْتُ مِنَ الشَّبَعِ ، إلا أني أَعْلَمُ في الْجُمْلَةِ أَنَّ الْجُوعَ عَذَابٌ  
وَأَنَّ الْأَكْلَ رَحْمَةٌ ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ ، كَانَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ  
أَقْرَبَ ، واللهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup> أَرْضَى .

قال الوزير : لَمَّا دَخَلْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنَ الْجُزْءِ — وَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ — :  
ما أَحْسَنَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ! هل بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قلت : بَقِيَ مِنْهَا  
جُزْءٌ آخَرٌ<sup>(٣)</sup> . قال : دَعْنِي لِلْيَسِيلَةِ الْآخَرَى وَهَاتِ مُلْعَةَ الْوَدَاعِ . قلت : قيل  
لصُوفِيٍّ فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ : مَا تَشْتَهِي ؟ قال : مَائِدَةً رَوْحَاءَ<sup>(٤)</sup> عَلَيْهَا جَفْنَةٌ  
رَحَاءَ<sup>(٥)</sup> ، فِيهَا ثَرِيدَةٌ صَفْرَاءُ ، وَقِدْرٌ حَمْرَاءُ بِيضَاءُ .

قال<sup>(٥)</sup> : أَبَيْتَ<sup>(٦)</sup> الْآنَ [ أَلَا ] تَوَدُّعَ [ إِلَّا ] يُمَثِّلُ مَا تَقَدَّمَ ؟ وَانصرفتُ .

(١) في (ب) : « أَمَجَن » .

(٢) في (ب) : « عَنْ الْعَبْدِ » .

(٣) في (ب) : « وَاحِدٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « آخِرٌ » .

(٤) يقال : جَفْنَةُ رَوْحَاءَ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مَرِيضَةً ؛ وَالرَّحَاءُ كَذَلِكَ .

(٥) قال ، أَيُّ الْوَزِيرِ .

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلَا النُّسَخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ تَعَذَّرَ قِرَاءَتُهَا ، وَالسِّيَاقُ

يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

## الليلة الثانية والثلاثون

(١) ثم حضرتُ قَرَأْتُ ما بَقِيَ من هذا الفن .

قال رجلٌ من فزارة<sup>(١)</sup> :

تَنْبَحُ أحيانًا وأحيانًا تَهْرِجُ      وَتَتَغَلَّى<sup>(٢)</sup> ساعةً وتَقْدَحِرُ  
تَعْدُو على الضَّيْفِ<sup>(٣)</sup> بعودٍ مُنْكَسِرٍ      بَسَقَطَ عنها نوبُها وتَأْتَرِزُ  
لو نُحِرَتْ في بيتها عَشْرُ جُرُزٍ      لَأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْمٍ تَفْقَدِرُ  
بِحَلَفِ سَحٍّ<sup>(٤)</sup> ودَمْعٍ مُنْهِمِرٍ      يَفِرُّ مَنْ قَاتَلَهَا<sup>(٥)</sup> وَلَا تَفِرُّ  
المَقْدَحِرُ : التَّهْيُّ السَّبَاب .

وقال أبو دلامة الأَسَدِيُّ<sup>(٦)</sup> :

(١) ورد بعض هذا الرجز في المحاسن والأضداد ومجموعة اللعاني ولسان العرب . وبعض ما ورد في هذه الكتب لم يرد هنا ، كما أن بعض ما ورد هنا لم يرد هناك ، وهذا ما ورد في اللسان ، وهو ما لم يذكر هنا :

أم حوار شتوها غير أصم      صهلقي الصوت بعينها الصبر  
سائلة أصداعها لا تختمر الخ .

(٢) في كلتا النسختين : « وتغلى » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٣) في اللسان : « على القتب » .

(٤) سج ، أى كثير متتابع ، كما في كتاب إصلاح النطق لابن السكيت المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ لغة . وفي مجموعة اللعاني وكتاب المحاسن والأضداد : « سبيح » ، وهو يستقيم على الإضافة لا على الوصف . والذي في الأصل : « سبيح » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « تفر » بالناء ... « ولا تفر » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٦) في (١) الوارد فيها هذا الكلام وحدهما : « الأسامي » ؛ ولم نجد هذه النسبة لأبي دلامة فيها راجعنا من الكتب . والذي وجدناه أن أبا دلامة كان مولى لبني أسد ، فلعل الصواب ما أثبتنا .

قد يُشْبِع الضيفَ الذى لا يَشْبَعُ مِنْ الهَبِيدِ وَالْحِرَادُ تَسَعُ<sup>(١)</sup>  
ثم يقول أرضوا بهذا أو دعوا

وقال آخر :

حتى إذا أضغى تَدَرَّى<sup>(٢)</sup> واستَحَلَّ لجارتَيْهِ ثم وَلَّى فَفَنَسَلْ  
ذَرَقَ الْأُنُوقَيْنِ<sup>(٣)</sup> الْقَرْنَيْنِ وَالْجَمَلِ

وقال آخر :

[ إذا<sup>(٤)</sup> أتوه بطعامٍ وَأَكَلْ ] بات يُعَشَّى وَحَدَهُ الْفَى جُعَلْ

وقال أبو النجيم :

[ تُذْنِي مِنَ الْجَدُولِ<sup>(٥)</sup> مِثْلَ الْجَدُولِ ] أَجُوفَ فِي غَلَصَمَةٍ<sup>(٦)</sup> كَالْمِرْجَلِ

(١) الهبيد : حب الخنظل . والحراد : ذكور الصباب ، الواحد حردون بالمدال المهملة أو القال المجمة . وتسع ، أى تنسع لأكله مهما كثر .

(٢) كذا ورد هذا الشعر في كتاب الحيوان للجاحظ ، وتدرى ، أى تعشط . والمدرى والمدراة : المشط . والقذى في ( ١ ) الوارد فيها هذا الشعر وحدها : « لجاذبته » مكان قوله : « لجارتَيْهِ » ؟ وهو تحريف . وثل ، أى راث .

(٣) الأنوق : لفظ يطلق على كل ما يأكل العذرة من الرخم وغيرها ، قاله الجاحظ في كتاب الحيوان وذكر هذا الشعر شاهداً على ذلك . والقرني : دويبة كالخنفساء وأعظم منها يسير طويلة الفوائم . وقد فسر القنويون الأنوق أيضاً بأنه الطير الذى يبيض في الهواء ولا يستقيم معناه هنا .

(٤) هذا الشعر ساقط من الأصل ، وقد أثبتناه عن الحيوان للجاحظ لتمام المعنى به . ويشير بقوله : « بات يعشى » الخ إلى أنه كثير البراز ، فيقول . إنه إذا أكل تعشى مما يخرج منه ألفا جعل ، لأن الجمل تفتت بالبراز . قاله الجاحظ .

(٥) هذا الشعر ساقط من الأصل ؟ ولا يتم المعنى بدونه . ويشير إلى سعة فيها ، فيشبهه بالجدول الذى يشرب منه .

(٦) الغلصمة : متصل الحلقوم بالخلق .. وقيل هى اللحم الذى بين الرأس والعنق .



تَسْمَعُ لِمَاءِ كَصَوْتِ الْمِسْحَلِ<sup>(١)</sup>      بَيْنَ وَرِيدَيْهَا<sup>(٢)</sup> وَبَيْنَ الْجَحْفَلِ  
يُلْقِيهِ<sup>(٣)</sup> مِنْ طَرَقِ أَتْنَاهَا مِنْ عَلٍ  
كَانَ صَوْتُ جَرِّعِهَا الْمُسْتَمْعِلِ

وقال آخر :

يَقُولُ لِلطَّامِ الْمَطَرِيِّ<sup>(٦)</sup> فِي الْعَمَلِ      ضَهَبَ<sup>(٧)</sup> لَنَا إِنْ الشَّوَاءُ لَا يُمَلِّ  
بِالشَّعْمِ إِمَّا قَدْ أَجْمَنَاهُ<sup>(٨)</sup> بِخَلِّ      عَجَّلْ لَنَا مِنْ ذَا وَالْحَقُّ بِالْبَدَلِ

وأنشد ابن الأعرابي :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَلِلرَّفِيقِ      وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ  
وَالْعِيَالِ الدَّرْدَقِ<sup>(٩)</sup> اللَّصُوقِ      حَرَاءَ مِنْ مَعَزِ أَبِي سَمْرُوقِ  
تَلَحَّسُ خَدَّ الْحَالِبِ الرَّفِيقِ      بَلَيْنَ الْمَسِّ قَلِيلَ الرَّيْقِ

(١) الضمير في « تسمع » للمخاطب . والمسحل : المبرد .

(٢) كذا في أرجوزة أبي النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي . والقى في الأصل : « مديديها » ؛ وهو تحريف . ويريد بالجحفل : شفتها .

(٣) في الأصل : « يكفيه » ؛ وهو تحريف سواه ما أثبتنا تقلا عن أرجوزة أبي النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ م . ويلقيه ، أى يلقى الماء ، وقاعله قوله بعد : « لذف » .

(٤) الأهدل : المسترخى .

(٥) دهنهتها ، أى دحرجتها .

(٦) الطرى : الطامى الذى يخلط الطعام بالأفاويه . وطرى الطعام : إذا خلطه بالتوابل .

(٧) ضهب ، أى اشوشى غير كامل النضج ، يريد الاستعجال . والتضبيب أيضا : شىء اللحم على الحجارة المحمأة .

(٨) أجمناه ، أى مللناه .

(٩) الدردق : المبيان الصغير . والقى في الأصل : « الزردق » ؛ وهو تحريف .

كَانَ صَوْتُ شَجَهِهَا الْفَتِيْقِ فَحَبِيْحٌ <sup>(١)</sup> ضَبٌّ حَرِبٍ حَنِيقِ  
فِي جُحْرِ صَاقٍ أَشَدَّ الْفَتِيْقِ

وَأَنشَدَ أَيْضًا :

هَلْ لَكَ فِي مِقْرَاةٍ قَبِيلٍ نِي <sup>(٢)</sup> وَشَكْوَةٌ بَارِدَةٍ النَّسِي <sup>(٣)</sup>  
تُخْرِجُ <sup>(٤)</sup> لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ حَتَّى تَرَاهُ نَاهِيْدَ الثَّدْيِ

وَأَنشَدَ ابْنُ حَبِيْبٍ :

نَيْمٌ لَقُوحٌ <sup>(٥)</sup> الصَّبِيَّةِ الْأَصَاغِرِ شَرُوبُهُمْ مِنْ حَلَبٍ وَحَازِرٍ <sup>(٦)</sup>  
حَتَّى يَرْوَحُوا سَقَطَ الْمَازِرِ وَضَعُ الْفِقَاحِ <sup>(٧)</sup> نُشْرُ الْخَوَاصِرِ

وَأَنشَدَ الْآمِدِيُّ :

كَأَنَّ فِي فِيهِ حِرَابًا شُرْعًا زُرْقًا تَقْضُ <sup>(٨)</sup> الْبَدَنَ الْمُدْرَعًا  
لَوْعَضَ رُكْنًا وَصَنَعَ تَصَدَّعًا

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرُ وَحْدَهَا : « بِمَنْعٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، سِوَاهُ مَا أَثْبَتْنَا ثَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنَاءِ . وَالْفَحِيْحُ : صَوْتُ الضَّبِّ .

(٢) الْمِقْرَاةُ : الْإِنَاءُ الَّذِي يُقَرَّى فِيهِ . وَالْقَبِيلُ : الْبَنُّ الَّذِي يَشْرَبُ نِصْفَ النَّهَارِ وَقَدْ قَالَتْ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ فِي الْأَسْلِ هَكَذَا : « هَلْ لَكَ فِي الْمَعْرِ بِقَبِيلٍ بِي » ؛ وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنْ تَصْحِيفٍ .

(٣) الشَّكْوَةُ : وَعَاءٌ مِنْ أَدَمَ يَتَخَذُ لِلْبَيْنِ وَالْمَاءِ . وَالنَّسِي : الْبَنُّ الْحَلِيبُ يَصْبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ .

(٤) « تُخْرِجُ لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ » ، أَيْ تَسْمِنُ الْمَهْزُولَ الضَّامِرَ .

(٥) الْقُوحُ : النَّاقَةُ الْحَلُوبُ .

(٦) الْحَازِرُ : الْبَنُّ الْحَامِضُ .

(٧) الْوَضْعُ : جَمْعُ أَوْضَعٍ وَهُوَ قَلِيلُ لَحْمِ الْوَرَكَيْنِ وَالْإِلَيْتَيْنِ ، وَالْأَوْضَعُ وَالْأَرْسَعُ وَاحِدٌ .

(٨) تَقْضُ : تَكْسِرُ .

وقال محمد بن بشر :

لَقَلَّ عَارًا<sup>(١)</sup> إِذَا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِي      مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي  
فَضْلُ الثَّقَلِ إِذَا أُعْطَاهُ مُصْطَلِبًا      وَمُكْثَرٌ فِي الْغِنَى سَيَّانٍ فِي الْجُودِ  
لَا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْئَلُهُ      إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي  
قال الأعرابي : نِعمَ الغداء السَّويق ، إن أكلته عَلَى الْجُوعِ عَصَمَ ، وإن  
أكلته عَلَى الشَّبَعِ هَضَمَ .

وقال للمؤامى<sup>(٢)</sup> — وكان زوَّارًا لإخوانه في منازلهم — : المَبُوسُ بُوسٌ ،  
والبَشْرُ بُشْرَى ، والحَاجَةُ تَفْتَقُ الحِيلَةَ ، والحِيلَةُ تَشَحِّدُ الطَّبِيعَةَ .

ورأيت الحنبلي<sup>(٣)</sup> يُنشد [ ابن آدم — وكان مُوسِرًا بخيلا ] — :  
وَمَا لِأَمْرِي طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا      يُغَلِّدُهُ حُسْنُ الثَّنَاءِ فَيُخْلِدُ  
فَلَا تَذْخِرْ زَادًا فَيُضْهِجَ مُلْجَأًا      إِلَيْهِ وَكُلُّهُ الْيَوْمَ يُخْلِفُهُ الْغَدُ  
وحكى لنا ابن أسادة قال : كان عندنا — يَعْنِي بِأَصْنَفِهَانِ — رَجُلٌ  
أَعْمَى يَطُوفُ وَيَسْأَلُ ، فَأَعْطَاهُ مَرَّةً إِنْسَانٌ رَغِيْفًا ، فَدَعَا لَهُ وَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ  
إِلَيْكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَزَاكَ خَيْرًا ، وَرَدَّ غُرْبَتَكَ . فقال له الرَّجُلُ : وَلَمْ  
ذَكَرْتَ الْغُرْبَةَ [ فِي دُعَائِكَ ، وَمَا عَلِمْتُكَ بِالْغُرْبَةِ ؟ ] فَقَالَ : الْآنَ لِي هَاهُنَا  
عَشْرُونَ سَنَةً مَا نَاوَأَنِي أَحَدٌ رَغِيْفًا صَحِيحًا .

(١) كذا في ديوان الحماسة . والقي في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدها : « لقد  
غلوا » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢) في (١) المراقى ، ولم تقف على المراقى هذا الموصوف بما ذكر . والقي أثبتناه عن  
(ب) ؟ وإن كنا لم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من كتب الأنساب ومعجمات الأعلام ، إلا أنه  
ورد ذكره كثيرا فيما سأتى .

(٣) كذا في (ب) . والقي في (١) : « الحبلوى » ؟ ولم نجد هاتين النسبتين فيما  
راجعناه من كتب الأنساب ومعجمات الأعلام التي بين أيدينا .



وقال آخر :

يُرَى جَارُهُمْ فِيهِمْ نَحِيفًا وَضَيْفُهُمْ    بِمَجْمُوعٍ وَقَدْ بَاتُوا مِلَاءَ الْمَذَاخِرِ<sup>(١)</sup>

وقال السكروسي :

وَلَا يَسْتَوِي الْأَثْنَانِ<sup>(٢)</sup> لِلضَّيْفِ : آنِسٌ    كَرِيمٌ ، وَزَاوٍ بَيْنَ حَيْنَتَيْهِ قَاطِبٌ

وأنشد :

طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضَى فِي رِحَالِهِمْ    وَلَا يُحْسِنُونَ السِّرَّ إِلَّا تَنَادِيًا<sup>(٣)</sup>

وأنشد آخر :

يُمَانٌ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا    شَدِيدَ اللَّقْمِ مِلْقَامًا بَطِينًا<sup>(٤)</sup>

العرب تقول : إِذَا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ<sup>(٥)</sup> لَحَسَتِ الْجَلِيلَةُ .

قال ابن سلام : كَانَ يُخْبَزُ فِي مَطْبَخِ سُلَيْمَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتْمَانَةٌ كُرَّةً<sup>(٦)</sup> حِنْطَةً ، وَيُذْبَحُ لَهُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سِتَّةُ آلَافِ ثَوْرٍ وَعَشْرُونَ شاةً ، وَكَانَ يُطْعَمُ النَّاسَ وَيُجْلِسُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِجَانِبِهِ<sup>(٧)</sup> الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ

(١) المذاخر : الأجواف .

(٢) في الأصل : « الإثناء » مكان قوله : « الاثنان » ؛ وهو تحريف .

(٣) فوضى فضى ، أى أنهم مشتركون في طعامهم لا يختص به واحد دون رفاقه . ويريد بالشر الثاني أنهم ليس لأحدهم سرٌّ دون أصحابه . وفي الأصل موسى فضى مكان « فوضى فضى » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن اللسان .

(٤) الملقام : عظيم اللقم . والبطين : عظيم البطن .

(٥) يريدون بالدقيقة : الغنم . وبالجليلة : الإبل . وهذا مثل يقال إذا قل العشب . وذلك لأن الشاة إذا قدرت على أكل العشب القصير القليل وشبعت منه فإن الناقة لا تقدر على أكله لقصره وقلة فتلعسه . يضرب للفقير يخدم الغنى . وعبرة الأصل : « إذا شمت لحست الحليلة » ؛ وفيه نقص وتحريف ظاهران ؛ والتصويب عن البيان والتبيين وغيره .

(٦) السكر : ستون قفيزا ، وهو ستة أوقار حار ، وقيل : أربعون أردبا .

(٧) في الأصل « بحاجة » ؛ وهو تحريف .

السَّيْل ، ويقول لِنَفْسِهِ : مِسْكِينٌ بَيْنَ مَسَاكِين .

ولما وَرَدَ تِهَامَةٌ رَأَى الْحَرَمَ وَذَبَحَ لِابْنَتِ طُولِ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافِ نَاقَةٍ وَخَمْسَةَ آلَافِ ثَوْرٍ وَعَشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ . وقال ابن خضَر :  
إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ سَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ صِدِّقُهُ كَذَا وَكَذَا .

وقال أعرابيٌّ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفَوَادِ لَجَاجَةً فَاصْرِبْ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ  
وروى هشيم أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : مِنْ كَرَمِ الْعَرَبِ أَنْ  
يَطِيبَ زَادَهُ فِي السَّفَرِ .

وقال ابن الأعرابي : يقال : جاء فلانٌ وَلَقَدْ لَفَطَ<sup>(١)</sup> رِبَاطَهُ مِنَ  
الْجُوعِ وَالْمَعْطَشِ .

وأنشد :

رَبَّ الْجُوعِ فِي أُرْنِيهِ<sup>(٢)</sup> حَتَّى كَأَنَّهُ جَنِيبٌ بِهِ إِنَّ الْجَنِيبَ جَنِيبٌ  
أَي جَاعَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَمْشِي فِي جَانِبٍ مُتَعَقِّمًا<sup>(٣)</sup> .

وقال أيضاً : إِنَّ مِنْ شُؤْمِ الضَّيْفِ أَنْ يَغِيبَ عَنْ عِشَاءِ الْعَيِّ ، أَيْ  
لَا يُذَكِّرْكَ ، فَيُرِيدُ إِذَا جَاءَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لَهُ عِشَاءً قَلَى حِدَةٍ .

(١) يريد أن يطنه قد ضمرت فاسترخى رباطه حتى صار له صوت ، فذهب ذلك الصوت باللفظ .

(٢) الأونان : الحاصرتان . وقد ورد هذا البت في الأصل هكذا :

وبال الجوع في أرنه حتى كأنه حبيب يدان إلى حبيب

وفيه تحريف ظاهر . والتصويب عن إصلاح المنطق لابن السكيت ولسان العرب .

(٣) متعقما ، أي معوجا .

وأنشد :

حَيَّاكَ رَبُّكَ وَأَصْطَبَحْتَ ثَرِيدَةً      وإدامتها رُزٌّ وَأَنْتَ تُدَبِّلُ  
واللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَةُ إِذَا جُمِعَتَا مِنَ الثَّرِيدِ وَالْمَصَائِدِ يُقَالُ لَهَا دُبْلَةٌ ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ  
الدُّبَيْلَةُ ، وَهِيَ الْوَرَمُ الَّذِي يَخْرُجُ بِالنَّاسِ . وَأَنْشَدَ :  
أَقُولُ لَنَا ابْتَرَكَوْا جُنُوحًا      بِقَضْعَةٍ قَدْ طَفَّحَتْ تَطْفِيعًا  
دَبِّلْ أَبَا الْجَوَزَاءِ أَوْ تَطْطِيعًا<sup>(١)</sup>

وقال الفرزدق :

وَدَبَّلْتُ أَمْثَالَ الْأَثَانِي كَأَنَّهَا      رُءُوسُ أَعَادٍ قَطَعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ  
وقال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَطِيبُوا  
الطَّعَامَ فَإِنَّهُ أَنْفَى لِلشُّخْطِ ، وَأَجْلَبُ لِلشُّكْرِ ، وَأَرْضَى لِلصَّاحِبِ » .  
قال بشار .

يَنْفَسُ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ بِذِكْرِكُمْ      وَيَشْرِقُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ حِينَ يَشْرَبُ  
المسعودي : الجائع . قال هميان بن قحافة :  
\* لَأَقِيَّ صَحَابًا بَطْنًا مَسْعُورًا \*

وقال شاعر :

\* يَمْشِي مِنَ الْبِطْنَةِ مَشْيَ الْأَبْرَحِ<sup>(٢)</sup> \*

(١) في الأصل : « دبل أما الجوز أو بطيخا » ؛ وفيه تصحيف ظاهر . والتصحيح  
عن الخنيس .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الأبرح » ... « النرح »  
بالنون والهاء ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين ؛ والصواب ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة



الْبَزَخُ : دخول البطن وخروج الثَّنة استقل الشَّرة .

وقال آخر :

أَغْرُ كَصَبَاحِ الدُّجْنَةِ يَتَّقِي شَدَى<sup>(١)</sup> الزَّادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَايِبُهُ  
شَدَاهُ<sup>(١)</sup> : طيبه .

وقال أعرابي : بنو فلان لا يَبْزِرُونَ<sup>(٢)</sup> ولا يَقْدُرُونَ .

وقال الثوري : بَطْنُوا غَدَاءَكُمْ بِشْرَبَةٍ .

[ وقال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

لَا يَسْتَوِي الصَّوْتَانِ حِينَ تَجَاوَبَا صَوْتُ الْكَرِيبِ<sup>(٤)</sup> وَصَوْتُ ذِيْبٍ مُقْفِرِ  
الْكَرِيبِ : الشوبق<sup>(٥)</sup> وهو المَحْوَرُ والمِسْطَح .

وقال الشاعر :

إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَا بِشَاشَةً لَهُ بِوَجْهِهِ كَالدَّانِيرِ : مَرْحَبًا  
وَأَهْلًا فَلَا تَمْنُوعَ خَيْرَ تَرْيِدِهِ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى هِنْدَنَا أَنْ نُؤْؤَبَا  
قال الشعبي : اسْتَسْقَيْتَ عَلَى خِرَانٍ قَتِيْبَةٍ ، فقال . ما أَسْقَيْكَ ؟ فقلت :  
الْمَيْنُ الْوُجْدُ ، الْعَزِيزُ الْفَقْدُ ، فقال : يا غلام ، اسْقِهِ الْمَاءَ .

(١) ورد هاتان الكلمتان اثنان تحت هذا الرقم في الأصل بالقاف وهو تحريف .

(٢) لا يَبْزِرُونَ ، من بَزَرْتِ الْقَدْرَ إِذَا رَمَيْتَ فِيهَا الْبَزْرَ ، وهو التابل . ولا يَقْدُرُونَ ، من الْقَدْرَ بِفَتْحِ الْقَافِ ، وهو الطبخ في القدر .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٤) في الأصل : « الْكَرَيْث » بالثاء ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن إصلاح المنطق . وفي الأصل : « مَعْقَر » ؛ وهو تصحيف أيضا . والتصحيح عن إصلاح المنطق كذلك .

(٥) في الأصل : « السويق » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن إصلاح المنطق . والشوبق : هو الحشبة التي يبسط عليها الحَبَازُ الحَبْزَ .

مرَّ مِسْكِينٌ بِأَبِي الْأَسْوَدِ لَيْلًا وَهُوَ يَنَادِي : أَنَا جَائِعٌ ! فَأَدْخَلَهُ وَأَطْعَمَهُ  
 حَتَّى شَبِعَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انصَرِفْ إِلَى أَهْلِكَ ، وَأَتْبِعْهُ غُلَامًا وَقَالَ لَهُ : إِنْ  
 تَمَنَّيْتَهُ يَسْأَلُ فَارُدُّهُ إِلَى . فَلَمَّا جَاوَزَهُ الْمَسْكِينُ سَأَلَ كِبَادَتَهُ ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الْغُلَامُ  
 وَرَدَّهُ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ . فَقَالَ : أَلَمْ تَشْبِعْ ؟ فَقَالَ : بَلَى . قَالَ : فَمَا سُؤْأَلُكَ ؟ ثُمَّ  
 أَمَرَ بِهِ نَعْبِيسٌ فِي بَيْتٍ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ ، وَقَالَ : لَا تُرَوِّعْ مَسْلِكًا سَائِرَ اللَّيْلَةِ  
 وَلَا تَكْذِبْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَقَالَ : لَوْ أَطْعَمْنَا السُّؤْأَالَ صِرْنَا مِثْلَهُمْ .  
 وَسَمِعَ دَابَّةً لَهُ تَعْتَلِفُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَرَاكَ تَسْهَرِينَ فِي مَالِي  
 وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، وَاللَّهُ لَا تُصْبِحِينَ عِنْدِي . وَبَاعَهَا .

وَأَبُو الْأَسْوَدِ يُعَدُّ فِي الشُّعْرَاءِ وَالتَّابِعِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْبُخْلَاءِ وَالْمَقَالِيجِ  
 وَالنَّحْوِيِّينَ وَالْقَضَاءِ وَالْمُرْجِ وَالْمَعْلَمِينَ .

وقال الشاعر :

أَنْفَقَ أَبَا عَمْرٍو وَلَا تَعْذِرَا      وَكُلَّ مِنَ الْمَالِ وَأَطْعِمْ مَنْ عَرَا  
 لَا يَنْفَعُ الدَّرْهَمُ إِلَّا مُذِيرَا

كَانَ مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ لَا يَجْلِسُ لِحَوَائِجِ النَّاسِ حَتَّى يَشْبَعَ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ ،  
 وَيَرَوِّى مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الْجَائِعَ ضَيْقُ الصَّدْرِ ، فَقِيرُ النَّفْسِ ،  
 وَالشُّبْعَانِ وَاسِعُ الصَّدْرِ ، غَنَى النَّفْسِ .

وقال أعرابي :

هَلَكْتُ هَرِيْثَةً<sup>(١)</sup> وَهَلَكْتُ جُوعًا      وَخَرَّقَ مِغْدَى شَوْكُ الْقَتَادِ

(١) هريثة ، أى بردا . يقال قرء ( بكسر القاف ) فيها هريثة ، أى يصيب الناس  
 منها ضرر وموت كثير . والهريثة : وقت اشتداد البرد ، كما فى اللسان .

وَحَبَّةٌ حَنْظَلٌ وَلُبَابُ قَطِينٍ وَتَنْوَمُ يَنْظُمُ بَطْنُ وَادِي<sup>(١)</sup>  
وقال الفرزدق :

وإن أبا الكِرْشَاءِ<sup>(٢)</sup> ليس بسارقٍ ولكنّه ما يسرق القَوْمُ يا كل  
ولديك الجن :

إذا لم يكن في البيتِ مِلْحٌ مُطَيَّبٌ وَخَلٌّ وَزَيْتٌ حَوْلَ حُبٍّ<sup>(٣)</sup> دَقِيقٍ  
فَرَأْسُ ابْنِ أُمِّ فِي حِرَامٍ [ابن] خَالِي وَرَأْسُ عَدُوِّي فِي حِرَامٍ صَدِيقِي  
وقال آخر :

وما جيرةٌ إلّا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ لِيَالِي تَحْمِي عِزَّةٍ مَنِيَّتِ الْبَقْلُ  
وقال مسعر بن مكدّم لِرَقِبة بن مَضَلّة : أراك طَفِيلِيًّا . قال : يا أبا محمد ،  
كلُّ مَنْ تَرَى طَفِيلِيًّا إلّا أَنَّهُمْ يَتَكَاثَمُونَ .  
وقال شاعر :

قَوْمٌ إِذَا آنَسُوا ضَيْفًا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا دَمَ الرَّأْسِ صَبْؤُهُ عَلَى الْبَابِ  
قال المصجع : الرأس الرئيس .

اشتدّ بأبي فرعونَ الشاميّ الحالُ فَكُتِبَ إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ بِالْبَصْرَةِ :  
يا قاضيَ البَصْرَةِ ذا الْوَجْهِ الْأَغْرَ إِلَيْكَ أَشْكُو مَا مَضَى وما غَبَرَ  
عَفَا زَمَانٌ وَشَيْئًا قَدْ حَضَرَ إِنَّ أبا عَمْرَةَ<sup>(٤)</sup> فِي بَيْتِي أُنْجَحَرَ  
يَضْرِبُ بِالْذُّفِّ وَإِنْ شَاءَ زَمَرُ غَاظُرُودُهُ عَنِّي بِدَقِيقٍ يُنْتَظَرُ  
فأجابه إلى ما سأل .

(١) التنوم : شجر له حب كحب الخروع . وينظم بطن وادي ، أي يملؤه ويصمه .  
(٢) كذا في (١) وديوان الفرزدق . والقى في (ب) : « أبا العرجاء » ؛ وهو خطأ  
من النسخ . (٣) الحُبُّ بضم الحاء : الجرّة ؛ ولعلهم كانوا يضعون الدقيق في الجرار .  
(٤) أبو عمرة : كنية الجوع .



ويقال : وقفَ أعرابيٌّ على حلقةِ الحسنِ البصريِّ رحمةَ الله عليه فقال :  
رَحِمَ اللهُ مَنْ أَعْطَى مِنْ سَعَةِ ، وَوَسَّى مِنْ كَفَافٍ ، وَآثَرَ مِنْ قِلَّةٍ . فقال  
الحسن : ما أبقى أحداً إلا سألَه .

وقال ابنُ حبيب : يقالُ أُنْحَقُّ مِنَ الضَّبْعِ ، وذلك أنها وَجَدَتْ تَوْدِيَةً<sup>(١)</sup>  
في غديرٍ ، فجمَلَتْ تَشْرَبُ الماءَ وتقول : « يا حَبْذا طَعْمُ اللَّبَنِ » حتى انشَقَّ بطنُها  
فمَاتَتْ . والتَّوْدِيَةُ : الْعُودُ يُشَدُّ عَلَى رَأْسِ الْخِلْفِ<sup>(٢)</sup> لثَلَا يَرْضَعَ الْقَصِيلُ أُمَّهُ .  
دعا رجل آخرَ فقال له : هذه<sup>(٣)</sup> تُكْسِبُ الزَّيَارَةَ وإن لم تُسَيِّدْ ، ولعل  
تقصيراً أنفعُ فيما أُحِبُّ بلوغه من برك<sup>(٤)</sup> . فقال صاحبه : حرصك على كرامتي  
يكفيك مؤونةَ التكلفِ لي .

قيل لأعرابيٍّ : لو كنتَ خليفةً كيف كنتَ تصنعُ ؟ قال : كنتُ  
أستكفي<sup>(٥)</sup> شريفَ كلِّ قومٍ ناحيته ، ثم أخْلُو بالمطبخِ فأمرُ العظامةِ  
فَيُعْظِمُونَ<sup>(٦)</sup> الثَّيْلَةَ وَيُكْثِرُونَ الْعَرَّاقَ<sup>(٧)</sup> ، فأبْدَأُ فَا كُلُّ لَقْمًا ، ثم آذَنُ  
لِلنَّاسِ ، فَأَيُّ ضِيَاعٍ<sup>(٨)</sup> يكون بعدَ هذا ؟

(١) في الأصل : « بودقة » بالباء والقاف ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن  
كتب اللغة . وعبارة بجمع الأمثال : تزعم الأعراب أن أبا الضياع وجد تودية في غدير ...  
الخ ما هنا .

(٢) الخلف : الضرع . وفي الأصل : « الخلف » بالمهمله ؛ وهو تصحيف .

(٣) هذه : إشارة إلى دعوته إياه . أي أن هذه الدعوة تكسبني زيارتك لي وإن لم  
تسعد ، أي تُعْنِي على قضاء الحق كله . وفي الأصل : « تكثر » مكان « تكسب » . وهو  
تحريف . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « ترك » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) : « استلق » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) : « فيطمون » ؛ وهو تحريف .

(٧) العراق ( بالضم ) : جيع مرق ( بفتح فسكون ) ، وهو العظم الذي أخذ أكثر

ما عليه من اللحم وبقي عليه شيء يسير .

(٨) في كلتا النسختين : « ضناع » ؛ وهو تصحيف .

وقال أعرابي لأبن عم له : والله ما جفانكم بعظام ، ولا أجسامكم<sup>(١)</sup>  
 بوسام ، ولا بدت<sup>(٢)</sup> لكم نار ، ولا طوليتم بشار .  
 وقيل لأعرابي : لم قالت الحاضرة للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال :  
 لأننا نعري جلده ، ونطيل كده ، ونجيع كبده .  
 وقال طفيلي : إذا حدثت على المائدة فلا تزدد في الجواب على نعم ، فإنك  
 تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقميتك ، ومقبلا على شأنك .  
 وقيل لأعرابي : أى شيء أحد ؟ قال : كبد جائعة ، تُلقى إلى أمعاء ضالعة<sup>(٣)</sup>  
 وقيل لآخر : أى شيء أحد ؟ قال ضرس جائع ، يُلقى [إلى] معى ضالع<sup>(٤)</sup>  
 وقال آخر :

أحب أن أعتاد ضبّا سحبلًا<sup>(٥)</sup> وورلا يرتاد رملًا أرملًا  
 قالت سلتيمي لا أحب الجوزل ولا أحب السمكات ما كلا  
 الجوزل : فرخ الحتم . والورل : دابة<sup>(٦)</sup> . أرمل : صفة للورل . وإذا كان  
 كذلك<sup>(٧)</sup> كان أنمن له ، وهو<sup>(٨)</sup> . يسفد فيهرل .

- (١) في (١) : « ولا آجامكم » ؛ وهو تحريف .  
 (٢) كئنا في (ب) . والذي في (١) : « نيرت » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .  
 (٣) يريد بالضالعة هنا القوة على احتمال ما يلقي إليها ، وكذلك الضالع الآتي بعد .  
 والذي وجدناه في كتب اللغة أنه الضليخ ، من الضلعة ، وهي القوة . ولم نجد الضالع بهذا  
 المعنى . والذي في كتاب التنبيه على أغلاط أبي على الفالي ص ٢٢ أن المحفوظ : ضرس قاطع  
 يقذف في معى جائع ، وهذا هو الصحيح .  
 (٤) السحبل : الضفدع المن من الضباب . والورل دابة تشبه الضفدع وأعظم منه يسير .  
 والأرمل : الذي لا زوج له . ويقال ذلك في المذكر على التشبيه . قاله في اللسان مستعمداً  
 بهذا البيت ، وروايته فيه : « رعى الربيع والشتاء أرملًا » مكان قوله : « وورلا يرتاد » .  
 (٥) في (١) : « بيت » ؛ وهو تحريف ، وقد سبق التعريف بهذه الدابة في الحاشية  
 التي قبل هذه . (٦) كذلك ، أي أنه أرمل لا زوج له .  
 (٧) في الأصل : « سرى » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أثبتنا .

ويقال : أَقْبَحُ هَزِيلَيْنِ : المرأةُ والفرَسُ ، وأَطْيَبُ غَتٍّ أَكَلَ غَتَّ الإِبِلِ ، وأَطْيَبُ الإِبِلِ لَحْمًا مَا أَكَلَ السَّعْدَانِ<sup>(١)</sup> ، وأَطْيَبُ الْغَنَمِ لَبَنًا مَا أَكَلَ الْحَرْبُثَ<sup>(٢)</sup> .

ويقال : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقَاءٌ مُرَوِّبٌ ، وهو القى يُسْقَى مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُتَخَضَّ وَتُخْرَجَ زُبْدَتُهُ .

ويقال : سَقَانَا ظَلِيمَةً وَطَبِهُ<sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ ظَلَمْتُ أَوْطَبُ<sup>(٤)</sup> الْقَوْمِ .

وقال الشاعر :

وصاحب<sup>(٥)</sup> صِدْقٍ لَمْ تَنْلُفْ شَكَاتَهُ      ظَلَمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَمِيدًا أَجْرُ  
يعنى وَطَبَ لَبَن .

وكان<sup>(٦)</sup> الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِذَا طَبَخَ اللَّحْمَ قَالَ : هَلُّثُوا إِلَى طَعَامِ الْأَحْرَارِ .  
قال سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ : إِنِّي لَأَتَقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ لِي مَرْحَبًا فَيَلِينُ لَهُ قَلْبِي ،  
فَكَيْفَ بَيْنَ أَطَا بَسَاطِهِ ، وَآكَلُ ثَرِيدِهِ ، وَأَزْدَرِدُ عَصِيدِهِ ؟ .

حكى أَبُو زَيْدٍ : قَدْ<sup>(٧)</sup> هَجَأَ غَرَّتِي<sup>(٨)</sup> : إِذَا ذَهَبَ ، وَقَدْ أَهْجَأَ طَعَامُكُمْ  
غَرَّتِي : إِذَا قَطَعَهُ . قال الشاعر :

(١) السعدان : نبت تشبه شوكته حلة الثدى ، وهو من أفضل مرعى الإبل ،  
ويقال في المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

(٢) الحربث : نبت منبسط له ورق رقيق طيب الرائحة يزبل بخر القم .

(٣) في الأصل : « وطى » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « طيبة » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في الحيوان ، ولم ينسبه كما هنا .

(٦) في (١) : « وقال » ؛ وهو تبديل من الناسخ .

(٧) في (١) : « قال » ؛ وهو تحريف . (٨) الغرث : الجروع .



والشراب تملؤا ، إذا شَبِعتَ منهما وامتَلأتَ . ويقال : لَفَأَتْ <sup>(١)</sup> اللحمَ عن العظم  
لَفَأً <sup>(١)</sup> إذا جَلَفَتْ <sup>(١)</sup> اللحمَ عن العظم . واللَّفِيئَةُ <sup>(٢)</sup> هي البَضْعَةُ التي لا عَظْمَ فيها  
نحو النَّحْضَةِ <sup>(٢)</sup> والهَبْرَةِ والوَذْرَةِ <sup>(٢)</sup> .

وَأَنشَدَ يعقوب :

سَقَى <sup>(٣)</sup> اللهُ الفَضَا وَخُبُوتَ قَوْمٍ متى كانت تكون لم ديارا  
أَناسٌ لا يُنادِي <sup>(٤)</sup> الضَّيْفُ فيهم ولا يَقْرُونَ آيَةً صِغارا  
قال الأصمعي : قال ابن هُبَيْرَةَ : تَعَجَّلُ الغَداءُ يَزِيدُ في المَرِوءَةِ ، وَيَطْيِبُ  
النَّكْمَةُ ، وَيُعِينُ على قَضَاءِ الحَاجَةِ .

قال بعض العرب : أَطْيَبُ مَضْغَةٍ أَكَلَهَا النَّاسُ صَيِّحَانِيَّةً مُصَلَّبَةً <sup>(٥)</sup> .  
ويقال : آكَلُ الدَّوَابِّ ، بِرِذْوَنَةٍ رَغُوثٍ وهي التي يَرْضَعُهَا وَلَدُهَا <sup>(٦)</sup> .  
قال أبو الحارث حميد : ما رَأَيْتُ شَيْئًا أَشَبَّهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ قِدْرِ  
سَقِيَّتِ اللَّبَنِ كَثِيرَةِ الشُّكْرِ .

(١) في الأصل : « لَفَأَتْ ... لَفَأَتْ إِذَا جَلَتْ » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث .  
(٢) في الأصل : « واللَّفِيئَةُ ... البَضْعَةُ ... والودنة » ؛ وهو تحريف في هذه  
الكلمات الثلاث .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر : سل الله ؛ وهو تحريف لا يستقيم به  
المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . ولم نجد هذين البيتين فيما راجعناه من الكتب . والخُبُوتُ :  
جمع خَبِتَ ، وهو المَطْمَئِنُّ من الأرض .

(٤) لا ينادي الخ ، أي أنهم لا يكلفون الضيف مؤونة السؤال .

(٥) الصيغاني : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المنغ . والمصلب : الذي خلط  
بالصلب ، وهو الودك ، وهو مثل يضرب للمتلائين المتوائمين . وفي الأصل : « مقلية »  
بالقاف والياء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن مجمع الأمثال .

(٦) يلاحظ أن تفسير البرذونة الرغوث بهذا المعنى المذكور هنا غير صحيح ، إذ البرذونة  
لا ولدها . والرغوث من البراذين هي التي لا تكاد ترفع رأسها من العلف . أما التي يرضعها  
ولدها فهي الرغوث من الشياه . فلعل في الكلام نقصا ، وتكملته : « والشاة الرغوث  
هي التي ... الخ » .

فَأَجْزَاهُمْ<sup>(١)</sup> رَبِّي وَدَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ مَّطْعَمٍ غَيْرِ مُهْجِيٍّ<sup>(٢)</sup>  
 قال : ويقال بَأَزَتْ<sup>(٣)</sup> بُؤْرَةً فَأَنَا أَبَارُهَا ، إِذَا حَفَرْتَ حَفِيرَةً يُطْبَخُ فِيهَا  
 وَهِيَ الْإِرَّةُ . ويقال : أَرَتْ إِرَةً فَأَنَا أَثْرُهَا وَأَرَا .

وقال حسان :

تَخَالُ قُدُورَ الصَّادِ<sup>(٤)</sup> حَوْلَ بُيُوتِنَا قَنَابِلَ دُهْمًا فِي الْمِبَاءِ صَيِّمًا  
 قال أبو عبيدة : كان الأصمعي بخيلا ، وكان يجمع أحاديث البخلاء ويوصي  
 بها ولده . وَيَتَعَدَّثُ بِهَا .

وكان أبو عبيدة إذا ذكر الأصمعي أنشد :

عَظُمُ الطَّعَامِ بَعَيْنُهُ فَكَانَتْهُ هُوَ نَفْسُهُ لِلْآكِلِينَ طَعَامُ  
 ويقال : أَسَأَزْتُ ، إِذَا أَبْقَيْتَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالاسْمُ الشُّورُ  
 وَجَمَاعَتُهُ الْأَسَارُ . ويقال : قَادَتْ<sup>(٥)</sup> الْخَبْزَةَ فِي الْمَلَّةِ<sup>(٦)</sup> أَفَادُهَا<sup>(٥)</sup> إِذَا خَبَزَتْهَا  
 فِيهَا . وَالْمِقَادُ<sup>(٥)</sup> : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُخْبَزُ بِهَا وَيُشْوَى . ويقال : تَمَلَّأْتُ مِنَ الْأَكْلِ

(١) في الأصل : « فَأَجْزَاهُمْ » بالجيم ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « مُهْجِيٍّ » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « تَأَرَتْ ثُورَةٌ فَأَنَا أَثَارُهَا » ؛ وهو تصحيف في الكلمات الثلاث .

(٤) الصاد : النحاس ، وقيل نوع منه . وفي الأصل : « الضَّان » ؛ وهو تحريف .

والقنابل : طوائف الخيل ، الواحد قنبل وزان جعفر وقنبلة . وفي الأصل : « قَنَادِيل » ؛ وهو

تحريف . وفي ديوان حسان : « فِي الْمَلَّةِ » ، والمعنى عليه يستقيم ؛ وفي الأصل « فِي الْمَلَّةِ »

والظاهر أن هذا اللفظ عرف عما أثبتنا نقلًا عن محاضرات الأدباء . وقبل هذا البيت :

إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَمَحَلَتْ كُنَّ عَلَيْهَا ثُوبٌ عَصَبٌ مِسْهَمًا

وفي ديوان حسان : « حَسِبْتُ قُدُورَ » مكان قوله : « تَخَالُ » .

(٥) في الأصل : « قَادَتْ ... وَأَفَادُهَا .. وَالْمِقَادُ » ؛ وهو تحريف في هذه

الكلمات الثلاث .

(٦) الملة : موضع النار .

وقال الشاعر :

وإني لأستحي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً

ضم<sup>(١)</sup> عثمان بن رواح<sup>(٢)</sup> السَّفرُ ورفيقاً له ، فقال له الرفيق : امض إلى الشوق فأشتر لنا لحماً . قال : والله ما أقدر . قال : فمضى الرفيق واشترى اللحم ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطبخها الرفيق . ثم قال : قم الآن فأترد . قال : والله إني لأعجز عن ذلك . فترد الرفيق . ثم قال : [ قم ] الآن فكل . فقال : والله لقد استحييت من كثرة خلافي عليك ، ولولا ذلك ما فعلت .

قال يونس : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية ، فسمعتة يقول : قولي إنه نائم . فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك<sup>(٣)</sup> حتى أخرج إليك .

قال أردشير : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر بن عبد الله : هلاك الرجل أن يحتقر ما في بيته أن يقدمه إلى ضيفه ، وهلاك الضيف أن يحتقر ما قدم<sup>(٤)</sup> إليه .

وقال الشاعر :

يا ذاهباً في داره جائياً<sup>(٥)</sup> بفيز معنى وبلا فائدة  
قد جن أضيافك من جوعهم فأقرأ عليهم سورة المائدة

(١) في إحدى النسختين : « صم » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « ابن دراج » وهو تصحيف . (٣) في (أ) : « فركابك »

(٤) في الأصل : « واتدم » مكان قوله : « ما قدم » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « خائباً » يعني ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .



وقال ابن بَدْر:

ونحن نبذل عند القحط ما أكلوا      من السديف إذا لم يؤسر القزع<sup>(١)</sup>  
وننخر السكوم<sup>(٢)</sup> عبطاً<sup>(٣)</sup> في أرومتنا      للنازلين إذا ما استنزوا شيعوا

وقال آخر:

أطعني بيضاً وناولني      من بعد ما ذقت فقهه قدحا  
وقال أي الأصوات تسألني<sup>(٤)</sup>؟      يزيد ، إني أراك مقترنا  
قلت صوت المنلى وجر دقة<sup>(٥)</sup>      إن خاب ذا الاقتراح أو صلحا  
فقطب الوجه وأنثني غضباً<sup>(٦)</sup>      وكان سكران طافحاً فصحا  
قلت : إني مزحت ، قال : كذا      رأيت حراً بمثل ذا مزحا ؟  
قال ابن حبيب : كان الرجل إذا اشتد عليه الشتاء تنحى ونزل وحده  
لئلا ينزل به ضيف فيكون ضيقاً مستعجباً .

وهذا ضد قول زهير :

بسط البيوت لكي تكون مطية      من حيث توضع جفنة استرفيد  
فإذا كان الشتاء انحاز الناس من الجذب والجهد ، وإذا أخصبوا أغاروا  
للثأر لا للسؤال .

(١) السديف : لحم السنام . والقزع بالقاف : السحاب . وفي الأصل : « القزع » بالفاء .

(٢) السكوم واحد كوماه بفتح الكاف ؛ وهي الناقة العظيمة السنام .

(٣) في الأصل : « غيظاً » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : « فاسلني » يريد ؛ وهو تحريف .

(٥) الجر دقة : الرغبة ، فارسية . وفي الأصل : « خودة » ؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « حمنا » ؛ وهو تحريف .

وقال الشاعر في عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبَّاس :

ففي السنةِ الجَدْبَاءِ أَطْعَمْتَ حَامِضًا    وَحُلُوا وَشَعْمًا تَامِكًا<sup>(١)</sup> وَسَنَامًا  
وقال مجاهدٌ في قول الله عزَّ وجلَّ : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا) ، أى طعامًا ،  
يقال : أَتَّكْنَا عند فلانٍ ، أى طَعِمْنَا .

ذكر الأصمعيُّ أن أعرابياً خرَّج في سفرٍ ومعه جماعة ، فأرْمَلَ<sup>(٢)</sup> بعضهم  
من الزاد ، وحَضَرَ وقتُ الغداء وجعل بعضهم ينتظر بَقْضًا بالغداء ، فلما أبطأ  
ذلك عليهم عَمَدَ بعضهم إلى زاده فألقاه بين يَدَي القَوْمِ ، فأقبلوا يأكلون ،  
وجلس صاحبُ الزادِ بعيداً لِلتَّوْفِيرِ<sup>(٣)</sup> عليهم ، فصاح به أعرابي : يَا سُودَدَاهُ !  
وهل شَرَفٌ أَفْضَلُ من إطعامِ الطعامِ والإيثارِ به في وقتِ الحاجةِ إليه ؟ لقد  
آثرتَ في مَخْمَصَةٍ ويومِ مَسْغَبَةٍ ، وتفرَّدتَ بمكرمةٍ قَعْدَ<sup>(٤)</sup> عنها مَنْ أَرَى من  
نُظَرَائِكَ ، فلا زالتَ نِعْمُ اللَّهِ عليك غَادِيَةً وَرَائِحَةً .

وفي مثله يقول حاتم الطائي :

أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ    إِذَا مَا مَدَدْنَاها وَحَاجَاتُنَا مَعَا  
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى    مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا  
قال : المَخْمَصَةُ : المَجَاعَةُ . وَالْمَخْمَصُ : الْجُوعُ .

قال شاعرٌ يَدُمُ رجلاً :

يَرَى الْخُمْصَ تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَى شَبْعَةً    يَبْتَ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ<sup>(٥)</sup> الهمِّ مُبْهِمًا

(١) التامك : الكثير العظيم . (٢) أرمل من الزاد : فرغ ما عنده منه .

(٣) في الأصل : « يعدُّ القوفر » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا معنى له ، ولعل

الصواب ما أثبتنا . (٤) في الأصل : « قعد » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل « من شدة » ؛ وهو خطأ من النسخ . والبيت لحاتم الطائي .

وقال المرقش الأكبر :

إن يُخَصِّبُوا يَغْنَوْا بِمُخَصِّبِهِمْ أَوْ يُجَدِّبُوا فَجُدُّوهُمْ أَلَمْ  
[ وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ <sup>(١)</sup> إِلَى أَخِي لَهُ ] : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُرْوَى ظَمًا أَخِيكَ  
بِقُرْبِكَ ، وَتُبَرِّدَ غَلِيلَهُ بِطَلْمَتِكَ ، وَتَوَسَّ وَحْشَتَهُ بِأَنَسِكَ ، وَتَجْلُوَ غِشَاءَ  
نَظِيرِهِ بِوَجْهِكَ ، وَتُزَيِّنَ مَجْلِسَهُ بِجَمَالِ حُضُورِكَ ، وَتَجْعَلَ غَدَاكَ عِنْدَهُ فِي  
مَنْزِلِكَ الَّذِي هُوَ فِيهِ سَاكِنٌ ، وَتَمْتَنَ لَهُ السُّرُورَ بِكَ بَاقِيَ يَوْمِكَ ، مُؤَثِّرًا لَهُ  
عَلَى شَغْلِكَ ، فَعَلْتَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ هَذَرَ دِمَائِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَفَطُ الْقَبِيلِ <sup>(٢)</sup> عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ  
قَالَ بَعْضُ الْخُلَطَبَاءِ <sup>(٣)</sup> : الْعَجَبُ مِنْ ذِي جِدَّةٍ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ يَطْوِي جَارُهُ  
جَوْعًا وَقَرًا ، وَأَفْرُخُهُ شُعْتُ جُرْدٍ مِنَ الرَّيشِ ، وَهُوَ مِنْبُطَانٌ مَحْتَشٍ مِنْ خُلُوهِ  
وَحَامِضِهِ ، مُسَكَّنٌ فِي كِنْتِهِ وَدِفْنِهِ ، مَزِينٌ لَهُ شَهْوَةٌ عَنْ أَدَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ لَجَارُهُ  
وَقَرِيبُهُ وَذِي حُلَّةٍ بِطَرِيٍّ <sup>(٤)</sup> رَفِيٍّ كَيْفَ يَأْمَنُ سَلْبًا مَفَاجِئًا ؟ أَمَّا لَوْ وَجَّهَ بَعْضُ  
فَضْلِهِ إِلَى ذِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ مُسْتَدِيمًا لِمَا أُولَى ، مُسْتَزِيدًا مِمَّا أُوتَى .

قال الشاعر <sup>(٥)</sup> :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَعِيفٍ مُقْبِلٍ      مُتَسَرِّبٍ لِي سِرِّبَالٍ تَحُلِ أَغْشَبِ

(١) في (١) : « كاتب » ثم ذكر الكتاب .

(٢) في الأصل : « القليل » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : « الحكماء » .

(٤) في (ب) : « وذو خلة يطور به » ؛ وهو تحريف .

(٥) هو العلوي صاحب الزنج ، كما في مجموعة المعاني .



أَوْثَمَا إِلَى الْكَوْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي  
[ وفي هذه الأبيات ما يُسْتَحْسَن <sup>(١)</sup> :

كَمْ قَدْ وَلَدْتُمْ مِنْ كَرِيمٍ مَا جِدَ دَائِي الْأَظَاوِيرِ أَوْ غَمَامٍ مُمْطِرٍ  
سَدِكتُ <sup>(٢)</sup> أَنَامِلُهُ بِقَائِمٍ مَرْهَفٍ وَبَنَشْرٍ عَائِدَةٍ وَذِرْوَةٍ مِنْسَبَرٍ  
يَلْقَى السُّيُوفَ بِوَجْهِهِ وَبَنَحْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتِهِ مَقَامَ الْإِمْفَرِ  
وَيَقُولُ الطَّرْفُ : اصْطَبِرْ لَشَبَابِ الْقَنَا وَقَالَ آخَرُ :

وَقَالَ وَقَدَّمَ <sup>(٣)</sup> كَشَكِيَّةَ فَكُلْ شَبَعًا إِنِّهَا فِي النَّهْيَةِ  
تُطْفِئُ الْمُرَارَ وَتَنْفِي الْخُمَارَ وَمَا بَعْدَهَا فِي النَّهْيَاتِ غَايَةِ  
وَلَا تَتَوَقَّعْ أَخِيرًا بِعَجِيكَ فِي أَوَّلِ الْمُسْتَطَابِ الْكِفَايَةِ  
وَقَالَ آخَرُ :

كَأَنَّمَا قُوَّةُ إِذَا تَمَدَّدَا لِلْقَمِّ أَخْلَاقُ جِرَابٍ أَسْوَدَا  
كَأَنَّهُ مُخْتَرِصٌ <sup>(٤)</sup> قَدْ جَوَّدَا جَانِي جِرَادٍ فِي وَعَاءٍ مِثْلَدَا <sup>(٥)</sup>

(١) وردت هذه النكلة في (ب) مطبوسة الحروف تنعذر قراءتها ، مهمل من النقط ما ظهر منها ؛ وقد أثبتناها هكذا أخذنا من السياق . وبعضها عن مجموعة المعاني .

(٢) سَدِكتُ أَنَامِلُهُ إلخ ، أى أولمت بقاءم السيف ، يقال : سَدِكتُ بالسيف ، إذا أولع به وخنقت يده في عمله .

(٣) في الأصل : « وقد قدم القوم » ؛ وهو تحريف ، كما أن قوله : « القوم » زيادة من الناسخ لا يستقيم بها وزن البيت .

(٤) المختصر الذى يضع في خرسه ( بكسر الحاء ) أى جرابه ما يريد . وفي ( أ ) التى ورد فيها هذا الشعر وحدها دون ( ب ) مختصر ؛ وهو تصحيف . كما أن فيها : « هنأ » مكان « كأنه » ولا معنى له أيضا .

(٥) أورد في اللسان هذا الشطر ، مادة « قلد » شاهدا على أن القلدة ( بكسر الهم ) الرجل المجمع .

وصاحب صاحبت غير أبعدا تراه بين الحربتين مُسْتَدَا<sup>(١)</sup>  
الحربية : الغرارة .

وقال جابر بن قبيصة : ما رأيت أحلم جليسا ، ولا أفضل<sup>(٢)</sup> رفيقا ،  
ولا أشبه سريرة بقلانية ، من زياد .

وقال جابر أيضا : شهدت قوما رأيتهم بعيني ، فما رأيت أقرأ لكتاب  
الله ، ولا أفقه في دين الله ، من عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وما رأيت رجلا  
أعطى من صلب ماله في غير ولاته ، من طلحة بن عبيد الله . وما رأيت رجلا  
أسود من معاوية . وما رأيت رجلا أنصع<sup>(٣)</sup> ظرفا ، ولا أخضر جوابا ،  
ولا أكثر صوابا ، من عمرو بن العاص . وما رأيت رجلا العفة عنده أنفع  
منها عند غيره ، من المغيرة بن شعبه .

ويقال : ما كان الطعام مريثا ولقد مرأ ، وما كان الرجل مريثا وقد مرؤ .  
وقال لنا القطان أبو منصور رئيس أهل قزوين : الرجل من أرض أردبيل  
إذا دخل بلدا يسأل فيقول : كيف الخبز والمبرز<sup>(٤)</sup> ، ولا يسأل عن غيرها .  
ف قيل له : لم ذلك ؟ فقال : يأخذ الخبز والمبرز ، يأكل ويسأل<sup>(٥)</sup> إلى الصباح .  
قال الشاعر :

وما تُفْسِنَا الأيامُ لا نَنْسَ جُوعَنَا      بدارِ بني بذرٍ وطولِ التَّلدِّدِ

(١) أورد في اللسان هذين الشطرين مادة (حرب) . والذي في الأصل :

وصاحب صاحب عيرا يعيدا تراه بين الحربتين ... الخ

ولا يخفى ما في ذلك من تحريف .

(٢) في الأصل : « أغضب » .

(٣) في (١) : « أيضيق طرف » ؛ وأمل صوابه ما أثبتنا .

(٤) البرز : المطلق للبعث .

(٥) في كلتا النسختين : « يسرج » بالسين ؛ وهو تحريف .

ظَلَّلْنَا كَأَنَّا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَا تَمَّ      عَلَى مَيِّتٍ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنٌ مَلْعَدٍ  
يُحَدِّثُ بَعْضُ بَعْضًا عَنْ مُصَابِهِ      وَيَأْمُرُ بَعْضُ بَعْضًا بِالتَّجَلُّدِ

وقال آخر :

دَعُونِي فَإِنِّي قَدْ تَفَدَّيْتُ أَنَا      فَإِنْ مَسَّ كُنِّي خُبْرَ كَمْ فَاقْطَعُوا يَدَيَّ  
وقال آخر يَصِفُ دَارَ قَوْمٍ :

الجوعُ دَاخِلُهَا وَاللَّوْحُ<sup>(١)</sup> خَارِجُهَا      وَلَيْسَ يَقْرُبُهَا خُسْبَزٌ وَلَا مَاءٌ  
قال المَلَالَى : أَنَّى رَجُلٌ أَبَا هَرِيرَةَ فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ صَائِمًا فَدَخَلْتُ بَيْتَ  
أَبِي فَوَجَدْتُ طَعَامًا ، فَتَسَيَّتُ فَأَكَلْتُ . قَالَ : اللَّهُ أَمْلَعَكَ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ  
بَيْتًا آخَرَ فَوَجَدْتُ أَهْلَهُ قَدْ حَلَبُوا لَقَحْتَهُمْ فَسَقَوْنِي ، فَتَسَيَّتُ فَشَرِبْتُ . فَقَالَ :  
يَا بُنَيَّ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَلَّمَا اعْتَدْتَ الصِّيَامَ .

وقال الشاعر :

وَجَدْتُ وَعْدَكَ زُورًا فِي مَزْوَرَةٍ<sup>(٢)</sup>      ذَكَرْتَ مَبْتَدِئًا إِحْكَامَ طَاهِيهَا<sup>(٣)</sup>  
فَلَا شَفَى اللَّهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا      وَلَا عَلَتْ كَفٌّ مُلْقٍ كَفَّهُ فِيهَا  
فَأَحْبِسْ رَسُولَكَ عَنِّي أَنْ يَجِيءَ بِهَا      فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَنْ تَقَاضِيهَا  
قال مطرّف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ عن أبيه : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا ،

(١) اللوح : العطش . والذي في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر « والنوح »  
وما أثبتناه هو المناسب لقوله بعد : « ولا ماء » .  
(٢) المزورة : مرقعة تحمل بغير لحم يصفونها للرضى .  
(٣) في الأصل : « ظاهيها » ؛ وهو تحريف .



وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْغَرَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفِزُّ نَكَمَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

وقال آخر :

وَأَحْمَرُ مُبَيَّضُ الزُّجَاجِ كَأَنَّهُ رِداءُ عَرُوسٍ مُشْرَبٌ بِخَلْقٍ  
لَهُ فِي الْحَشَا بَرْدُ الْوِصَالِ وَطَعْمُهُ (١) وَإِنْ كَانَ يَلْقَاهُ بَلَوْنِ حَرِيقٍ  
كَأَنَّ بَيَاضَ اللَّوْزِ (٢) فِي جَنَابَتِهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءِ عَفِيقٍ  
قال يونس : أَشَدُّ طَعَامٍ ضَرًّا مَا كَانَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ ، وَهُوَ اللَّبَأُ الَّذِي  
لَا يُوْجَدُ إِلَّا فِي الْوِلَادَةِ كُلِّ عَامٍ وَإِنْ كَانَ مَزِيدًا .

حَكَى يونس : التَّنَافِيطُ (٣) ، أَنْ يُنْزَعَ شَعْرُ الْجِلْدِ (٤) ثُمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ  
ثُمَّ يُوْكَلُ ، وَذَلِكَ فِي الْجَذَبِ .

وقال الشاعر :

جَاوَرْتُ شَيْبَانَ فَأَخْلَوْنِي جِوَارُهُمْ إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لَلْجَارِ  
وَكَتَبَ ابْنُ دِينَارٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : وَكَثِيبَتَ تَفْضُلًا مِنْكَ تَعْتَذِرُ مِنْ تَأْخِيرِكَ  
عَنْ قَضَاءِ حَقِّ زِيَارَتِي بِقُصُورِ يَدَيْكَ عَنْ بَرٍّ يُشْبِهُنِي وَبُشْبُوكٍ ؛ فَأَمَّا مَا يُشْبِهُنِي  
فِي هَذَا الْوَقْتِ فَرَغِيفٌ وَسَكْرُجَةٌ كَأَمَّخٍ حَرِيفٍ يَنْقُبُ اللِّسَانَ بِحِرَافَتِهِ .  
وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ إِذَا أَنْشَدَ : « أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي » يَقُولُ :

(١) فِي (ب) : « وَطِيه » .

(٢) فِي (١) : « اللَّوْنُ » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ تَعْتَذِرُ قِرَاءَتِهَا . وَقَدْ

أَبْتَنَاهَا هَكَذَا تَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنَاءِ بِمَدِّ تَقْلِيلِهَا عَلَى عِدَّةٍ وَجُوهٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْحَلْدُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

لو شهدتُ قاتله لقلت : كلبُ الحارس يقوم مقامك . هذه قصةٌ في حضور ما يشبهني ، فأما ما يشبهك فتعذر كما قيل :

• ومطلبٌ مثلي إن أردتَ عسير<sup>(١)</sup> •

وقال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما أعددتُ في كِنَاتِي سَهْمًا غيرَكَ . فقال : لا تُعدني في كِنَاتِيكَ فوالله لو قتُ فيها لَطَلْتُهَا ، ولو جلستُ فيها لخرقتها . ولئن أنتظرتَ بي ما يشبهك طال الانتظار ، والعامَّةُ تتمثل<sup>(٢)</sup> — على خساسةٍ لفظها — : « إذا أردتَ ألا تزوجَ أبنتَكَ فنالِ بمهرها » . وأملِ فيكَ على الأحوال بعيد ، وثلثي فيكَ جميل ، ولستُ أخشى فيما لي عندك الفَوْتُ فأعجله ، • وهل يُلقمَ الكلبُ إلا الحجرَ • .

العربُ تقول : لثيمٌ جَبَانٌ<sup>(٣)</sup> .

وقال أعرابي : لا يكنْ بطنُ أحدِكُم عليه مفرمًا ، ليكسِرهُ بالثُميرةِ والكسيرةِ والبُقيلةِ والمُلَيْكةِ .

قال ابنُ الأعرابي : الفرزدقُ ، الرّغيفُ الواسعُ .

قيلَ لابنِ القريةِ<sup>(٤)</sup> : تكلم . فقال : « لا أحبُّ الخبزَ إلا يابسا » . أراد لا أحبُّ أن أتكلَّمَ إلا بعد الارتشاء .

وروى أبو عبيدة في تفسير بيتِ الأعشى في ديوانه :

(١) في (١) : « عزيز » .

(٢) في (١) : تقول .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل ، والظاهر أن لها بقية سقطت من النسخ .

(٤) في الأصل : « ابن القرم » .

(١) [إذا ما هم جلسوا بالعشي] فأحلام عاد وأيدي هضم قال : شبههم بأنسال عاد ، وهم ثمانية ذؤ وأحلام وسؤد : مالك — وهو سيّد الثمانية — وعمار وطقيّل (٢) ، وشمر ، وقرزعة (٣) ، وحمة ، وتيض (٤) ، ودقيف ؛ وهم الذين بعث لقمان بن عاد جارية بعس من ابن ، فقال لها : إيتي الحى فأدفعيه إلى سيّدهم لا تسألى عنه . فأتت الجارية الحى ، فرأتهم مختلفين بين عامل ولاعب ، وثمانية على رؤوسهم الطير وقاراً ؛ ورأت جارية من الحى ، فأخبرتها بما قال لقمان ؛ قالت : هؤلاء سادة الحى ، وأسأف لك كل واحد منهم ، فأدفعى العس إلى من شئت أما هذا فقمار ، أخاذ ودار (٥) ، لا تحمّد له نار ، المعشبات عقّار (المعشبة : التى تسمّن على شجر قديم) ، وأما هذا فحمة ، غداؤه كل يوم ناقة سنمة (٦) ، وبقرة شحمة ، وشاة (٧) كدّمة . وأما هذا فقرزعة (٣) ، إذا لقي جائماً أشبعه ، وإذا لقي قرناً جعجه (٨) وقد خاب جيش لا يغزومه . وأما هذا فطقيّل ، غصبه حين يغضب ويبل ، ورضاه حين يرضى سئيل ، ولم تحمّل مثله على ظهرها إبل ولا خيل ، وأما هذا فشمر ،

- (١) لم يرد هذا الشطر الذى بين مربعين فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن شعر الأعرابي الطوبى فى أوربا . وفى الأصل : « وأنشد » مكان قوله : « وأيدى » ؛ وهو تحريف . وهضم بضمتين : جمع هضم ، وهو الجواد المتلاف .  
 (٢) فى الأصل : « وتميل » ؛ وهو تحريف .  
 (٣) كذا ورد هذا الاسم فى كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم فى ( ١ ) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد من نصّ على تصحيحه بالمبارة .  
 (٤) كذا ورد هذا الاسم فى ( ١ ) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام هنا وفى صفحة ٥٠ سطر ٣ . ولم نجد من نصّ على تصحيحه فيما راجعناه من المظان .  
 (٥) ودّره : أهلكه .  
 (٦) فى الأصل : « شبة » ؛ وهو تحريف .  
 (٧) فى الأصل : « وسماه » ؛ وهو تحريف . والشاة الكدّمة : الغليظة السمينة .  
 (٨) جعجه : نحره .



ليس في أهله بالشحيح المتتر، ولا المُسْرِف البطر، ولا يَخْدَع الحى إذا أوْتَمِر<sup>(١)</sup>.  
 وأما هذا فدُقَيْف، قارى الضيف، ومُعِيدُ السيف، ومُعِيل<sup>(٢)</sup> الشَّاء والصَّيفِ  
 وأما هذا فنَيْضٌ، أَسَنَتَ الحى فرض، فَعَدَلَ مَرَضُهُ عِنْدَهم إِنْشَاتَهُمْ  
 (أى قَحَطَهُمْ)، فقاموا<sup>(٣)</sup> عليه فأَوْسَعَهُمْ دَقِيقًا وَلَحْمًا غَرِيضًا، وَمِنْكَأَ  
 رَمِيضًا<sup>(٤)</sup>، وكسأهم ثيابًا بِيضًا؛ وأما هذا فَمَالِكٌ، حَامِيَتُنَا<sup>(٥)</sup> إذا غَزَوْنَا،  
 وَطُغْمٌ وَلِدَانِنَا إذا شَتَوْنَا<sup>(٦)</sup>، ودافع كلَّ كَرِيهَةٍ إذا عَدَتْ عَلَيْنَا. فدَفَعَتِ  
 العُسَّ إلى مَالِكٍ، فكان سَيِّدَهُمْ.

بَشَّرَتْ أَمْرًا زَوْجَهَا بَأَن أَبْنَاهَا مِنْهُ قَدْ انْقَرَّ<sup>(٧)</sup>، فقال: أَتُبَشِّرُ بَنِيَّ بَعْدُ  
 الْخُبْرُ؟ اذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ.

قال الشاعر:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي أَبَا زَيْنٍ      بَكْرَ بْنَ نَطَّاحٍ بِفَلَسَيْنِ  
 كَأَنَّمَا الْآكِلُ مِنْ خُبْرِهِ      يَقْلَعُ مِنْهُ شَحْمَةَ الْعَيْنِ  
 وَأَنْشَدَ غَلِيمٌ مِنْ بَنِي دُيُورٍ<sup>(٨)</sup>:

يَا بْنَ الْكِرَامِ حَسَبًا وَنَاثِلًا      حَقًّا أَقُولُ لَا أَقُولُ بَاطِلًا

(١) أوْتَمِر: استشير.

(٢) يقال: أعال الرجل أهله، إذا كفاهم ومانهم، كما لهم.

(٣) قاموا عليه، أى قاموا بخدمته وما يصلحه في مرضه.

(٤) الرميض: الحاد، يريد هنا حدة الرائحة. والذي في الأصل: «رفيضا»؛ ولعله محرف عما أثبتنا. أولاده: «فضيضا»، أى متفتتا متكسرا.

(٥) حاميَتنا الخ، أى أنه يحصى بيوت الحى من المغيرين إذا خرج الرجال للغزو.

(٦) في الأصل: «سنونا»؛ وهو تحريف.

(٧) انقَرَّ الغلام وانقَر: نبت ثفره.

(٨) في الأصل: «دينار»؛ وهو تحريف.

إليك أشكو الدهر والزلازلا وكل عام نفتح الحماثلا<sup>(١)</sup>  
 التفتيح : القشر ، أى قشروا حماثل سيوفهم فباعوها لشدة زمانهم .  
 وأنشد :

سلا أم عباد إذا الريح أغصت وجلل أطراف الرعان ققامها<sup>(٢)</sup>  
 وجئت بقايا الطرق إلا نصية<sup>(٣)</sup> بعدد الأشافي<sup>(٤)</sup> والمواسي سئلها  
 وخم إلى الليل منزل رفقة ترامت بهم طغيا<sup>(٥)</sup> داج ظلامها  
 تكاد الصبا تهتزهم من ثيابهم شديدا بأرباط الرجال اعتصامها  
 لقد علمت أنى مفيد ومتلف ومطعم أيام يحب طعامها  
 وقال آخر :

إن بني غاضرة الكراما إن يقيم الضيف بهم أعواما  
 يكن قراء اللحم والسناما أو يصبح الدهر لم غلاما  
 يكن ظريفا وجهه كراما

وقال سماعة بن أشول :

رأت إبلا لأبني عبيد تمنعت من الحق لم تورك بحق إياها<sup>(٦)</sup>

(١) فى الأصل : « الحلائلا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « قيامها » ؛ وهو تحريف . وأطراف الرعان ، يريد أطراف الجبال .

(٣) فى الأصل : « نصية » بالفاء والصاد ، وهو تصحيف .

(٤) الأشافي : اللثاقب ، وأحدته إثنى بكسر الهززة وسكون الشين والفاء المفتوحة .  
 وفى الأصل : « نصد السلافي » وهو تحريف . يقول : إن سنامها لم يبق فيه ما تخرجه  
 الأشافي ولا المواسي : جمع موسى .

(٥) الطغيا : الظلمة الشديدة .

(٦) كذا ورد هذا الشطر فى ( ١ ) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجده فيما  
 راجعناه من الكتب .

فَقَالَتْ أَلَا تَعْدُو لِقَاحُكَ هَكَذَا      فَقُلْتُ أَبْتُ ضِيْفَانَهَا وَعِيَالَهَا  
فَمَا حَلَبْتُ إِلَّا الثَّلَاثَةَ<sup>(١)</sup> وَالثُّنَى      وَلَا قِيَّلْتُ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالَهَا  
وَأَنْشَدَ أَبُو الْجَرَّاحِ :

أَرَى الْخُلَانَ قَدْ صَرَمُوا وَصَالِي      وَأَضْحَوْا لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ  
وَمَا أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ      سِوَى خَفٍ<sup>(٢)</sup> الْمَنَاحِ وَالسَّوَامِ  
وَقَالَ آخَرُ :

خِرْقٌ إِذَا وَقَعَ<sup>(٣)</sup> الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَا      لَمْ يَطْوِ دُونَ دَقِيقِهِ ذُو الْعِزَّوْدِ  
حَتَّى تَوُوبَ بِهِ قَلِيلًا .....<sup>(٤)</sup>      حَمْدَ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ  
وَقَالَ آخَرُ :

تَزَوَّدْتُ إِذَا أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ<sup>(٥)</sup> غَادِيَا      إِلَيْكَ وَنَحْوِ<sup>(٥)</sup> النَّاسِ لَا أَتَزَوَّدُ  
أَرَانِي إِذَا مَا جِئْتُ أَطْلُبُ نَائِلًا      نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِكَ كَأَنَّكَ أَرْمَدُ

(١) الثلاثة بضم الـثاء ، أى الثلاثة بفتحها ؛ يريد أنها لم تحلب إلا الثلاثة من الآنية أو الالنين . وقيل بضم القاف وتشديد الياء المكسورة : ذكره ثعلب هكذا ؛ ورواها بعضهم قيات بفتح القاف من القيل بمعنى اللبن الذى يعرب وقت القائلة (السان) ( مادة ثلث ) .  
(٢) خف المنائح ، أى خفستها ، مصدر خَفَّ ؛ يريد قلدة المنائح ، جمع منيعة ، وهى الناقة المنوحة للانتفاع بوبرها وولدها ولبنها . وفى الأصل « جف » بالميم ؛ وهو تحريف .  
(٣) فى الأصل : « رنغ المطى من الرحا » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين . ويريد توائى المطايا وتخاذلها عن المشى من طول السفر وشدة ما أصاب حوافرها من المشى . يصف بمدوحه بالسكرم فى هذه الحال ، وأنه خرق أى كريم متغرق فى المعروف وأن ذا مزوده ( أى صاحب زاده القيم عليه ) لم يُخَفِّفْ دقيقه ولم يُخَبِّثْهُ ، بل يبذله للمرملين من الرفاق .  
(٤) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ناقصا ؛ ولم تنف عليه فيما راجعناه من الكتب .  
(٥) فى الأصول : « نحول » مكان « نحوك » و « حق » مكان « ونحو » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .



ويقال : أزواد<sup>(١)</sup> الركب من قریش أبو أمية بن المغيرة ، والأسود<sup>(٢)</sup> ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، ومُساقر بن أبي عمرو بن أمية عم عتبة كانوا إذا سافروا خرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً ، ولم يوقدوا ناراً كانوا يكفونهم .

وقال الشاعر :

وبالبدو جود<sup>(٣)</sup> لا يزال كأنه ركامٌ بأطراف الإكامِ يَمُورُ

وقال آخر :

والناسُ إن شِيعَتْ بَطُونُهُمْ فقيرُهُم<sup>(٤)</sup> من ذاك لا يشبعُ

وقال آخر :

دورٌ تُحاكى الجنانَ حسناً لكن سُكَّانَها خِساسُ

متى أرى العُجندَ ساكِينِها وفي دَهايزِها يَدَّاسُ

وقال آخر :

لولا مخافة ضغفني عن ذوى رحى وحال مُعْتَصِمٍ بى من ذوى عَدَمٍ

وحاجة الأخ<sup>(٥)</sup> تَبْدُولِي فَأُنْجِحُهَا لم أثنِ في عملٍ كفى على قلى

وقال آخر :

وأورُ ضيفي حين لا يُوجد القري بَقِيَّاتِي أَحْبُوه وأزقُ طاوياً

(١) في الأصل : « ازدار الراكب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٢) في شرح القاموس « زمعة بن الأسود » .

(٣) في الأصل : « جوع » ؛ وهو تحريف ، إذ ليس من المعروف تشبيه الجوع بالسحاب المتراكم ، وإنما يشبه بذلك الجود .

(٤) في الأصل : « فقيرتهم في » ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لاح » ، وهو تصحيف .

وما أَسْتَكْثَرَتْ نَفْسِي لِإِذِلِّ وَجْهِهِ تَوَالًا وَإِنْ كَانَ النَّوَالُ حَيَاتِيَا  
وقال المبرد : البَطْنُ : الذى لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ . والرَّغِيبُ : الشَّدِيدُ  
الْأَكْلُ . وَالْمَنْهُومُ : الذى تَمْتَلِي بَطْنُهُ وَلَا تَنْتَهَى نَفْسُهُ .

وأنشد ابن الأعرابي :

وإنَّ قَرَى أَهْلَ النَّبَاجِ أَرَانِبٌ      وإن جاءَ بَعْدَ الرِّيثِ فهو قَلِيلُ  
إذا صَدَّ مَثْفُورٌ<sup>(١)</sup> وَأَعْرَضَ مَعْرَضٌ      فيومٌ على أَهْلِ النَّبَاجِ طَوِيلُ  
وقال آخر :

يَمِينُكَ<sup>(٢)</sup> فِيهَا الْخِصْبُ وَالنَّاسُ جُوعٌ      وقد شَمِلَتْهُمْ حَرْجَفٌ<sup>(٣)</sup> وَدَبُورُ  
وقال آخر :

أَلَقْتُ قَوَائِمَهَا خَسًا<sup>(٤)</sup> وَتَرَنَّتْ      طَرَبًا كَمَا يَتَرَنَّمُ السَّكْرَانُ  
يَعْنِي قِدْرًا . وَقَوَائِمُهَا ، يَعْنِي الْأَثَافِي . وَخَسًا : فَرَدَ .  
وَأُنْشَدَ :

يُدْسُ غِذَاهُ الْعَرَبِ الْعَرْمُوعُ<sup>(٥)</sup> حَوَابَةٌ      تُنْقِضُ بِالضُّلُوعِ  
الرَّمَاعُ<sup>(٦)</sup> : دَاءٌ . وَحَوَابَةٌ : دَلْوٌ كَبِيرَةٌ . وَالْحَوْبُ وَالْحَوْبُ : الْإِثْمُ .

(١) المثغور : الذى سقطت أسنانه لا يقدر على الأكل

(٢) فى الأصل : « عينك » ؛ وهو تحريف .

(٣) المرجف : الريح الشديدة ، وكنى بالمرجف والدبور من الجذب ، وفى الأصل :  
« وقد شملهم جرجف ودبور » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « قرائمها حسا » وهو تحريف فى كلتا الكلمتين ؛ والتصحيح عن  
كتب اللغة .

(٥) فى الأصل : « العرب المرفوع » ؛ خوانه « الخ البيت » ؛ وهو تحريف كما ترى .

(٦) عبارة الأصل : الرماع وخوانه داء كثيرة ؛ وهو تحريف فى جميع هذه الألفاظ  
وقد ذكر اللغويون أن الرماع داء فى البطن يصفر منه الوجه . وتُنْقِضُ الضلوع ، أى تسمع  
الاضلاع نقيضا ، أى صوتا من ثقل تلك العلو .

والحيبة : الحال . والحوبة : النفس<sup>(١)</sup> .

العرب تقول : ماء لا تبين<sup>(٢)</sup> معه ولا غيره . خبز قفار : لا أدم معه .  
وسويق جاف هو الذي لم يكت بسمن ولا زيت . وحفظل مبسل ، وهو أن  
يؤكل وحده .

قال الراجز :

بئس الطعام الحفظل المبسل يا جمع منه كبدى وأكسل<sup>(٣)</sup>  
ويجمع أيضا .

وقال أبو الجراح : المبسل يحرق الكبدة . والمبسل<sup>(٤)</sup> : أن يؤكل  
بتمر<sup>(٥)</sup> أو غيره ، يقال بكلوله<sup>(٦)</sup> لنا ، أى خلطوه . قال : وعندنا طعام يقال  
له : الخولع وهو أن يؤخذ الحفظل فينقع مررات حتى تخرج سرارته ،  
ثم يخلط معه تمر ودقيق فيكون طعاما طيبا .

وقال : الخليطة والنخيسة والقطيبة : أن يحلب لبن الضأن على لبن  
المعزى ، والمعزى على لبن الضأن ، أو حلب الثوي على لبن الغنم .  
قال :

• اسقنى<sup>(٦)</sup> وأبرد غليلي •

(١) يلاحظ أن استطراد المؤلف هنا يذكر الحوب لا مناسبة له ، فإن الحوابة في البيت  
إنما هي من مادة « حاب » ، والحوب القى ذكره من مادة ( حوب ) .

(٢) يريد بالتبين ما يعم أنواع العلف .

(٣) في الأصل : « وأبسل » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالبدال مكان الباء ؛ وهو  
تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة . يقال : بكله : إذا خلطه .

(٥) في الأصل : « ممرا وغيره » ؛ وهو تحريف .

(٦) لم ترد في الأصل بقية هذا البيت ؛ ولم نجده فيها راجعاه من الكتب .



مَلِيَ الرَّجُلُ : سَمِنَ بَعْدَ هُزَالٍ .

قِيلَ لَطْفِيلَ الْعَرَائِسِ : كَمْ أَثْنَيْنِ فِي أَثْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَرْغِفَةٍ .

وقيل له : حُكِيَ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ نَحْنُ الْعَرَبُ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ ،

فَقَالَ : إِنَّ هَذَا النَّصَبَ عَلَى الْمَذْحِ .

وَقَالَ الْعُمَانِيُّ :

مِنْ كُلِّ جِلْفٍ <sup>(١)</sup> لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا جَعَدٍ يُرَى مِنْهُ التَّصْنَعُ رَيْثًا <sup>(٢)</sup>

لَمْ يَتَجَبَّشًا مِنْ طَعَامٍ بَشَمًا ..... <sup>(٣)</sup>

وَلَمْ يَبْتَ مِنْ قَتَرَةٍ مُوصِمًا <sup>(٤)</sup> يَغْمِزُ صُدُغَيْهِ وَيَشْكُو الْأَعْظَمَا

إِذَا أَجَاعَ بَطْنُهُ تَحَزْمًا <sup>(٥)</sup> لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يَخْشَ الظِّلَا

يَكْفِيهِ مِنْ قَارِصَةٍ <sup>(٦)</sup> مَا يَمَمًا

(١) في الأصل حلف بالخاء المهملة ؛ وهو تصحيف . وقوله : لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا ، إما أن يفسر بأنه لَمْ يَكُنْ مُتَمَلِّمًا ، مأخوذ من الصرم بكسر الصاد وهو الحلف الذي له نعل . وإما أن يراد أنه لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ مأخوذ من الصرمة بكسر الصاد ، وهي القطعة من الإبل من الأربعين إلى الخمسين ؛ وقيل غير ذلك في عددها .

(٢) ريثما ، أى يصنع ريثما ينال بغيته . وفي الأصل ريثما ؛ وهو تحريف .

(٣) ورد في هذا الموضع الذى وضعنا فيه هذه النقطة شطر من هذه الأرجوزة مهمل أكثر حروفه من النقطة ومعلوم بعضها ، ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه ، كما أننا لم نعتد على الأرجوزة في المصادر التى بين أيدينا ؛ وما هو هذا الشطر كما في الأصل :

\* ولم يرحنا غمراثا أدما \*

(٤) يقال وصمته الحمى بتشديد الصاد إذا جعلت في جسده فترة . ويقال وصمته النصب إذا فتر جسده وأكسله . وفي الأصل : « فترة » بالالف ؛ وهو تصحيف .

(٥) في ( ١ ) التى ورد فيها وحدها هذا الشعر : إذا أجاع قبطة تخدما . وهو تحريف في جميع هذه الألفاظ . وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا .

(٦) القارصة : الطائفة من البن الحامض الذى يحذى اللسان بحرافته .

وَخَلَّةٌ<sup>(١)</sup> مِنْهُ إِذَا مَا أُعِيْمَا      أَصَابَ مِنْهُ مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا  
لَا يَفْقِرُ الشَّارِفَ إِلَّا نُحْرِمَا<sup>(٢)</sup>      وَلَا يَعَافُ<sup>(٣)</sup> بَصَلًا وَسَلَاجِمَا  
يَوْمًا وَلَمْ يَفْقَرُ لِبَطِّيخٍ فَمَا      فَهُوَ صَحِيحٌ لَا يَخَافُ سَقَمًا  
أَسْوَدَ كَالْمُحْرَاثِ<sup>(٤)</sup> يُدْعَى شَجْعَمَا<sup>(٥)</sup>      صَبَّحَتْ<sup>(٦)</sup> مِنْ طُولِ مَا تَأْتِمَا  
لَمْ يَيْلُ<sup>(٧)</sup> يَوْمًا سَوْرَةً مِنَ الْعَمَى      وَلَمْ يَعْجِ الْمَسْجِدَ الْمَكْرَمَا  
وَلَمْ يَزُرْ حَاطِيمَهُ وَزَمَرَمَا      وَلَا تَرَاهُ يَطْلُبُ التَّفْهِمَمَا  
لَوْ لَمْ يَرْبُ<sup>(٨)</sup> مُسْلِمًا مَا أَسْلَمَا      مَا عَبْدَ أَثْنَانِ جَمِيعًا صَنَمَا  
عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرُّجَالِ مَفْنَمَا      إِذَا رَأَى مُصَدِّقًا تَجَهَّمَا  
وَهَزَّ فِي الْكَفِّ وَأَبْدَى الْمِعْصَمَا      هِرَاوَتَيْنِ<sup>(٩)</sup> تَبْقَعُ سَلَمَا  
يَتْرُكُ<sup>(١٠)</sup> مَا رَامَ رُقَاتَا رِمَا      وَإِنْ رَأَى إِمْرَةً<sup>(١١)</sup> تَزْعَمَا  
لَمْ يَقْطَعْ شَيْئًا وَإِنْ تَرْغَمَا      وَإِنْ قَرَأَ عَنْهُدًا لَهُ مُنْعَمَمَا  
هَانَ عَلَيْهِ شَقٌّ مَا قَدْ رَقَمَا      وَأَنْ يَدُقَ حِلِيْمَةً لُخْجَمَا

(١) وَخَلَّةٌ مِنْهُ ، أى من اللبن ، واحدة الخَلَّةُ ، معروف ، أى الطائفة منه . والخَلَّةُ قد يكون من اللبن كما في كتب اللغة .

(٢) فِي الْأَصْلِ : لَا يَعْرِفُ الشَّادِفَ الْمُحْتَرَمَا ؛ وَفِيهِ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، وَسِيَاقُ الشَّرِّ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا . وَالشَّارِفُ : الْمُسْنَدُ مِنَ الْإِبِلِ ، أَيْ لَا يَطْرُقُ النَّاقَةُ إِلَّا فِي الْحِجِّ حِينَ يَجِبُ عَلَيْهِ عَقْرُهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا يَأْنِفُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْمُحْرَاثُ : حَدِيدَةٌ تَحْرُكُ بِهَا النَّارُ .

(٥) الشَّجْعَمُ مِنَ الْحَيَاتِ : الشَّدِيدُ الْفَلِيطُ . وَفِي الْأَصْلِ : سَجَمَا بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٦) الصَّبْحُ : الشَّدِيدُ الْمُجْتَمِعُ الْأَلْوَاخِ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « يَيْلُ » بِالْكَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « يَرْثُ » بِالثَّاءِ الْمَثَلَةُ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٩) فِي الْأَصْلِ : « لَهَاوَةٌ بَيْشَةٌ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(١٠) فِي الْأَصْلِ : « يَنْزِلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(١١) الْإِمْرَةُ : الضَّعِيفُ الرَّأْيُ الَّذِي يُوَافِقُ كَلَامَ مَنْ لَا يَرِيدُ وَلَا رَأْيَ لَهُ

صَنَصَانُهُ مَاضٍ إِذَا مَا صَمَمَا إِذَا أَعْتَرَتْهُ عِزَّةٌ<sup>(١)</sup> ثُمَّ أَتَمَمَى  
فِي ثَرَوَْةٍ الْحَيِّ إِذَا مَا يَمَمَا ظَلَّ يَرَى حُكْمًا عَلَيْهِ مُبَرَّمَا<sup>(٢)</sup>  
أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ وَأَلَّا يُظْلَمَا

وقال آخر :

مَا كَانَ يُنْكَرُ فِي نَدَى مُجَاشِعٍ أَكَلُ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْقَيْشِلِ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر :

بِلَادٌ كَأَنَّ الْجُوعَ يَطْلُبُ أَهْلَهَا  
بِذَخِلِ<sup>(٤)</sup> إِذَا مَا الضَّيْفُ صَرَّتْ جَنَادِبُهُ<sup>(٥)</sup>

وقال آخر :

كَرِيَهُ لَا يُعْطِمُ الْكَرِيَا<sup>(٦)</sup> بِاللَّيْلِ إِلَّا جِرْجَرًا مَقْلِيًا  
مُخْتَرَقًا نِصْفًا وَنِصْفًا نِيًا  
وقال الأصمعي : قال الهيثم بن جرّاد — وَذَمَّ قَوْمًا — : وَاللَّهِ مَا أَتَمَّ آلُ

(١) في الأصل : « غمرة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « منها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) الوارد فيها وحدها هذا الشعر « غزى » مكان « ندى » ، وجرير مكان  
خزير ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن النقائض ؛ والبيت لجرير . والخزير : لحم يقطع  
صفاراً ويلقى في الماء فإذا أميت طبخاً ذرّ عليه الدقيق .

(٤) في الأصل : « بدخل » ؛ وهو تصحيف .

(٥) صرير الجندب مثل يضرب للأمر يشتد حتى يلقى صاحبه . والأصل فيه أن الجندب  
إذا رمض في شدة الحر لم يقر في الأرض ، وطار فتسمع لرجليه صريراً . والجندب طائر أصغر  
من الصدى يكون في البراري .

(٦) إذا أكريت إنساناً بعيرك أو أكرأك بعيره فكل منكما كرى صاحبه ، قاله في  
اللسان وأنشد هذا الرجز . والجرجر : الفول بلغة أهل العراق ؛ أو هو ثبت . والذي في  
الأصل « كدنة » مكان قوله « كرية » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بعد تقليب هذه  
الكلمة على عدة وجوه .



فَلَاةٍ فَيَمُصِّمُكُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ آلُ رَيْفٍ فَمَا كُلُّونَ . فَقِيلَ : لَوْ زِدْتَ ؟ فَقَالَ : مَا بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ .

قال : وما أشبه هذا الجواب بقَوْلِ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ<sup>(١)</sup> حين قيل له :  
لِمَ لَا تَطِيلُ الْمَجَاءُ ؟ قَالَ : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .  
وقيل لابن<sup>(٢)</sup> عُمَرَ : لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ بِدَعَوَاتٍ ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ عَافِنَا وَارْحَمْنَا  
وَارْزُقْنَا . فَقِيلَ لَهُ : لَوْ زِدْتَنَا ؟ فَقَالَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

قال شاعر :

إِذَا أَغْلَقَ الْبَابَ الْكَرِيمُ مِنَ الْقَرَى فليس على باب الفَرَزْدَقِ حَاجِبُ  
فَتَى يَشْتَرِي جُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا أُغْبِرَ مِنْ بَرْدِ الشَّاءِ الْكَوَاكِبُ  
قال : وكلَّ لحمٍ وخُبْزٍ أَنْضَجَ دَفِينًا فهو مَلِيلٌ ، وما كان في تَنْثُورٍ فهو  
شِوَاءٌ ؛ وما كان في قَدْرِ فهو حَمِيلٌ<sup>(٣)</sup> .

قال الأحنفُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ  
نَزَلُوا فِي مُقَلَّةٍ<sup>(٤)</sup> الْجَلِّ وَحَوْلَاءِ النَّاقَةِ مِنْ أَنْهَارٍ مُتَفَجِّرَةٍ ، وَثِمَارٍ مُتَدَلِّيةٍ ، وَنَزَلْنَا

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (١) : « ابْنُ عُلْفَةَ » .

(٢) فِي (ب) « لِأَبِي عَمْرٍو » .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَلَمْ نَجِدْ هَذَا اللَّفْظَ بِهَذَا الْمَعْنَى فِيهَا رَاجِعًا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ ؛ وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُورِ « قَدِيرٌ » أَيْ مَطْبُوعٌ فِي الْقَدْرِ ؛ وَلَعَلَّ قَوْلَهُ حَمِيلٌ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ مُصَدِّقٌ عَنْ حَمِيلٍ بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ الشَّعْمُ الْمَذَابُ ، فَيَكُونُ هُنَا كَلَامٌ سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ قَبْلَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمَصْحُفَةِ الَّتِي نَحْنُ بِمَصْدَدِهَا .

(٤) مُقَلَّةُ الْجَلِّ وَحَوْلَاءُ النَّاقَةِ يَتِمُّنَّ لِبَهْمَا فِي الْحَصْبِ وَالنَّعْمَةِ ، فَيُقَالُ : هُمُ فِي مِثْلِ حَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ حَدَقَةَ الْبَعِيرِ أَخْصَبُ مَا فِيهِ ، لِأَنَّ بَهْمًا يَعْرِفُونَ مَقْدَارَ سَمْنِهِ ، وَفِيهَا يَبْقَى آخِرُ النَّتْقِ ، وَهُوَ مَخِ الْعَظْمِ . وَيُقَالُ صَارُوا فِي حَوْلَاءِ النَّاقَةِ إِذَا صَارُوا فِي خَصْبٍ ؛ وَإِذَا وَصِفَتِ الْأَرْضُ قَبْلَ كَانِهَا حَوْلَاءُ النَّاقَةِ ، لِأَنَّ مَاءَ الْحَوْلَاءِ أَشَدُّ مَاءَ خَضْرَاءِ . وَالْحَوْلَاءُ : الْمَاءُ الْقَدِيمُ يَخْرُجُ عَلَى رَأْسِ الْوَلَدِ إِذَا وَلَدَ ، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ فِعْلَاءُ بِالسَّكْرِ مَمْدُودًا إِلَّا حَوْلَاءُ =

بَسْبَخَةٍ نَشَاشَةٍ<sup>(١)</sup> يَأْتِينَا مَاؤُنَا فِي مِثْلِ حَلْقُومٍ<sup>(٢)</sup> النِّعَامَةِ أَوْ مَرَىءِ الْحَمَلِ ، فِيمَا  
أَنْ تَشُقَّ لَنَا نَهْرًا ، وَإِمَّا أَنْ تَرْفَعَنَا إِلَيْكَ .

قال جابر : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْقَنَمِ ،  
وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَكْرِمُوا الْإِبِلَ إِلَّا فِي بَيْتٍ يُبْنَى ، أَوْ دَمٍ يُفْدَى ،  
أَوْ عَزَبٍ يَنْزَوِجُ ، أَوْ حَمَلٍ حِمَالَةٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا تَجَارَتُكَ ؟ قَالَ : أبيع الإبل ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ  
أَنْ أَفْوَاهَهَا حَرْبٌ<sup>(٣)</sup> ، وَجُلُودَهَا جَرَبٌ ، وَبَعْرُهَا حَطَبٌ ، وَتَأْكُلُ الذَّهَبَ .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الْإِبِلُ لِلْبُعْدِ ، وَالْبِغَالُ لِلثَّقَلِ ، وَالْبَرَاذِينُ لِلْجَمَالِ  
وَالدَّعَّةُ ، وَالْحَمِيرُ لِلْعَوَاجِ ، وَالنَّخِيلُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ .

وَقَالَ آخَرُ :

يَقْذِفَنَّ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْفَلَاصِمِ<sup>(٤)</sup> قَذْفَ الْجَلَامِيدِ بِكَفِّ الرَّاجِمِ  
يُرِيدُ بِالْأَعْنَاقِ الْحُلُوقَ .

== وَعَنْبَاءٌ وَسِيرَاءٌ . وَقِيلَ : الْحَوْلَاءُ : غُلَافٌ أَخْضَرُ كَأَنَّهُ دَلْوٌ عَظِيمَةٌ مَمْلُوءَةٌ مَاءً وَتَنْفَقُ حِينَ تَقَعُ  
عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ قَائِدُ السَّلَى ، أَيْ يَخْرُجُ لِبَلِّهِ ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا هُمُ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى . انْظُرْ  
مَا يَعُولُ عَلَيْهِ لِلْعَبِيِّ وَلِسَانُ الْعَرَبِ .

(١) لَشَاشَةٌ ، أَيْ نَزَازَةٌ بِالنِّسَاءِ لَا يَجِبُ ثَرَاهَا ، وَلَا يَنْبَغِي حَرَاةُهَا .  
(٢) حَلْقُومُ النِّعَامَةِ وَمَرَىءُ الْحَمَلِ : مِثْلَانِ فِي قِلَّةِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ وَضِيقِ مَسَايِلِهِ إِلَيْهِمْ .  
(٣) حَرْبٌ ، أَيْ ذَاتُ حَرْبٍ ، وَهُوَ وَالْكَلْبُ وَاحِدٌ وَزَنَا وَمَعْنَى ؛ وَجُلُودُهَا جَرِبٌ  
أَيْ ذَاتُ جَرِبٍ .

(٤) الْفَلَاصِمُ : جَمْعُ غَلَصِمَةٍ ، وَهِيَ رَأْسُ الْحَلْقُومِ . يُرِيدُ أَنَّ هَذِهِ الْإِبِلَ تَقْذِفُ الطَّعَامَ  
فِي حُلُوقِهَا وَأَعْنَاقِهَا قَذْفَ الْحَبَارَةِ . يَصْنَعُهَا بِقُوَّةِ الْقَذْفِ قَذْفَ الطَّعَامِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ :  
« يَقْدِمَنَّ » مَكَانَ « يَقْذِفَنَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال آخر :

تَنَارُ إِذَا مَا الرُّوعُ أَبْدَى عَنِ الْبُرَى      وَتَقْرَى عَبِيْطَ اللَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسٌ<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا نَاقَ<sup>(٢)</sup> مُصْرَمَةً      تَرْغَى الْقَلَاةَ وَلَا قَعْبٌ مِنَ اللَّبَنِ

وقال أبو الصلت :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ<sup>(٣)</sup> مِنْ لَبَنِ      شَيْبًا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

وَوَصَفَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ التَّجَارِ فَقَالَ : لَا يَوْجَدُ الْأَثَرُ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالسُّلْطَانِ وَمُدَبِّرِيهِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّا لَا نَعْدَمُ مِنْ أَحَدِهِمْ خُلُقًا دَقِيقًا وَدِينًا رَقِيقًا ، وَحِرْصًا مُسْرِفًا ، وَأَدَبًا مُخْتَلِفًا ، وَدَنَاءَةً مَعْلُومَةً ، وَمُرُوءَةً مَعْدُومَةً وَإِنْفَاءً اللَّفِيفَ<sup>(٤)</sup> ، وَجُحَازَةً عَلَى الطَّفِيفِ ، يَبْلُغُ أَحَدُهُمْ غَايَةَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فِي عِلْقٍ<sup>(٥)</sup> وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، إِذَا اشْتَرَاهُ مِنْهُ أَوْ بَاعَهُ إِيَّاهُ ، إِنْ بَايَعَكَ مُرَابِحَةً<sup>(٦)</sup> وَخَبَّرَ بِالْأَثْمَانِ ، قَوَّيَ الْإِيْمَانَ عَلَى الْبُهْتَانِ ، وَإِنْ قَلَّدَتْهُ

(١) البيت لدى الرمة ، والبرى : الخلاخيل ، والماء الجامس : الجامد . يقولون انهم يشارون على النساء إذا اشتد الفزع ، وكشف الرعب عن سيقانهن فأبدى من خلاخلهن ، فهم إذ ذاك يحمونهن ويكفينهن ما يفرعهن ؟ ثم يقول في الشطر الثاني لانهم كرام ، إذا اشتد البرد وجد الماء يقرون أضيافهم عبيط اللحم ؟ وفي رواية سديف ؟ وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا : يغار إذا ما الزرع أبدى عن الثرى      ويقرى الخ . . . . . وفيه تصحيف في بعض كلماته كما ترى ؟ والتعويب عن ديوان ذي الرمة وغيره .

(٢) الناق : جمع ناقة . وفي ( ١ ) التي ورد فيها وحدها هذا البيت : « لا ناب » بالباء ؟ وهو تحريف ، إذ الناب الواحدة — وهي للسنة من الإبل — لا تكون مصرمة ، أي بالغة صرمة ؟ وهي عدة من الإبل تبلغ الأربعين .

(٣) القعب : القيدح الضخم . (٤) الفيف : الصديق .

(٥) العلق : النفيس من اللتاع .

(٦) يريد بالمربحة هنا أن يقول المشتري للبائع : أربحك في هذه السلعة كذا فوق ما اشتريتها به من الثمن أو أن يقول البائع للمشتري ذلك .



الْوَزْنَ أَعْنَتَ لِسَانَ الْمِيزَانِ ، لِيَأْخُذَ بِرُجْحَانٍ أَوْ يُعْطَى بِنُقْصَانٍ ؛ وَإِنْ كَانَ لَكَ قَبْلَهُ حَقٌّ لَوَاهُ مُحْتَجًّا فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ الشُّوفِيِّينَ ، يَرْضَى لَكَ مَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِنَقْدٍ وَيُعْطِيكَ بِغَيْرِهِ ، وَلَا يَرَى أَنْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمُبَايَعَةِ مِثْلَ مَا لَهُ ؛ إِنْ اسْتَنْصَحْتَهُ غَشَّكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ كَذَبَكَ ، وَإِنْ صَدَّقْتَهُ حَرَبَكَ مُتَمَرِّدُهُمْ صَاعِقَةٌ عَلَى الْعَامِلِينَ ، وَصَاحِبُ مَنَّتِهِمْ نِقْمَةٌ عَلَى الْمُسْتَرْسِلِينَ <sup>(١)</sup> ؛ قَدْ تَعَاظُوا الْمُنْكَرَ حَتَّى عُرِفَ ، وَتَنَا كَرُوا الْمَعْرُوفَ حَتَّى نُسِيَ ، يَتَمَسَّكُونَ مِنَ الْمَلَّةِ بِمَا أَصْلَحَ الْبِضَائِعَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا كُلَّمَا عَادَتْ بِالْوَضَائِعِ <sup>(٢)</sup> ؛ يُسْرِ أَحَدُهُمْ بِحِيلَةٍ يُرْزَقُهَا <sup>(٣)</sup> لِسَلَامَةٍ يَنْفَعُهَا ، وَغِيْلَةٍ لِمُسْلِمٍ يَخْصِيهِ الْإِسْلَامُ ، فَإِذَا أَحْكَمَ حِيلَتَهُ وَغِيْلَتَهُ غَدًا قَادِرًا عَلَى حَرْدِهِ ، فَنَرَوْهُ وَصَرَّ ، وَآبَ إِلَى مَنْزِلِهِ [ بِحِطَامٍ قَدْ جَمَعَهُ مَغْتَبِطًا بِمَا أَبَاحَ مِنْ دِينِهِ ] وَانْتَهَكَ مِنْ حُرْمَةِ أَخِيهِ ، يَعُدُّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ حِذْقًا بِالْمَكْتَسَبِ ، وَرِفْقًا بِالْمَطْلَبِ ، وَعِلْمًا بِالتَّجَارَةِ ، وَتَقَدُّمًا فِي الصَّنَاعَةِ .

(٣) فَلَمَّا بَلَغْتُ قِرَاءَتِي هَذَا الْمَوْضِعَ قَالَ الْوَزِيرُ : إِنْ كَانَ هَذَا الْوَاصِفُ عَنَى الْعَامَّةَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي وَصْفِهِ الْخَاصَّةَ أَيْضًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا شَائِنَةً فِي أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْكَتَّابِ وَالنَّبَّاءِ <sup>(٤)</sup> وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ لَقَدْ حَالَ الزَّمَانُ إِلَى أَمْرٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّعْتُ ، وَلَا تَسْتَوْعِبُهُ الْأَخْبَارُ ، وَمَا عَجَبِي إِلَّا مِنْ الزِّيَادَةِ عَلَى مَرِّ السَّاعَاتِ ، وَلَوْ وَقَفَ لَعَلَّهُ كَانَ يُرْجَى بَعْضُ مَا قَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْهُ ؛ وَأَعْتَرَضَ الْقُنُوطُ دُونَهُ .

(١) السمت : هيئة أهل الخير وطريقتهم . والمسترسلون : من استرسل إليه إذا انبسط إليه واستأنس ثقة به وانسكلا على ما بينهما من ود وصلة . وفي الأصل : المترسلين ، وهو تحريف . (٢) الوضائع : الخسائر .

(٣) في (١) « يزورها » بتشديد الواو ؛ وهو وإن صح به المعنى إلا أنه لا يستقيم به السجع . (٤) النبَّاء : الدهاقين ورؤساء القرى ، الواحد نَبَّاءٌ .

فقال ابن زُرعة وكان حاضراً : هذا لأن الزمان من قبل كان ذا لبوس من الدين رائع ، وذا يدٍ من السياسة بسيطة ، فأخاَقَ اللبوسُ [وبلى ، بل تمزق] وقفى ، وضغت اليدُ بل شلت وقطعت ، ولا سبيلَ إلى سياسة دينية لأسباب لا تنفق إلا بطل فلسفية ، وأمور سماوية ، فحينئذ يكون انقيادُ الأمور الجامحة<sup>(١)</sup> لها ، في مقابلة حِران الأمور الجامحة<sup>(٢)</sup> عنها ، وذلك مُنتظر في وقته ، وتمنى ذلك قبل إبانهِ وسواسُ النفس ، وخورُ الطباع ، والناس أهدافٌ لأغراض الزمان ومقلَّبون بمحوادث الدهور<sup>(٣)</sup> ، ولا فكاً لهم من المكاره ، ولا اعتلاق لهم بالحاب [إلا] بالدواعي والصوارف التي لا سبيل لهم إلى تحويل هذه إلى هذه ، ولا إلى تبديل هذه بهذه ، واختيارهم للتوجه إلى محبوبهم أو الإعراض عن مكروهم ضعيفٌ طفيف ، ولولا ذلك لكانت العسرات تزول في وقت ما يُراد<sup>(٤)</sup> ، والغبطة تملك<sup>(٥)</sup> بإدراك ما يتمنى ، وهذا شأؤُ محكوم به بقوة النفس ، غير مُستيقظٍ إليه<sup>(٥)</sup> بقوة الحس .

فقال الوزير : أحسنت يا أبا عليٍّ في هذا الوصف ، « وإن نفثك<sup>(٦)</sup> ليدلَّ على أكثر من ذلك » ، ولو كان البال ظافراً بنعمة ، والصدر فارغاً من كربة ، لسكنا نبُلُغ من هذا الحديث مبلغاً نشفي به غليلنا [قائلين] ونشفي به مُستمعين ،

(١) ورد هذان اللفظان في كلتا النسخين كل منهما مكان الآخر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما ترى .

(٢) في (ب) « الأمور » .

(٣) كذا في (ب) والذي في (١) « في فوت الإيراد » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) « تدرك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في كلتا النسخين : « عليه » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٦) كذا ورد هذا الكلام الذي بين هاتين الملامتين في (ب) والذي في (١) « وأن قبله كبدك على أعز من ذلك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف كما ترى لا يفهم له معنى .



ولكنني قاعدٌ معكم وكأني غائب ، بل أنا غائبٌ من غير كاف التشبيه ، والله ما أملكُ تصرُّفي ولا فِكْري في أمْري ، أرى واحداً في قَتْلِ حَبْلٍ<sup>(١)</sup> ، وآخر في حَفْرِ بئرٍ ، وآخر في نَضْبِ فَنَحْ ، وآخر في دَسِّ حِيَلَةٍ ، وآخر في تَقْبِيحِ حَسَنٍ ، وآخر في شَحْذِ حَدِيدٍ ، وآخر في تَمْزِيقِ عِرْضٍ ، وآخر في اخْتِلاقِ كَذِبٍ ، وآخر في صَدْعِ مُلْتَمِمْ ، وآخر في حَلِّ عَقْدٍ ، وآخر في نَفْثِ سِجَرٍ ، ونارى مع صاحبي رَمَادٍ ، وريحهُ على عاصِفةٍ ، ونَسِيْمِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَمُومٌ ، ونَصِيْبِي مِنْهُ مُهُومٌ [وغموم] ، وإني أحدثكم بشيءٍ تَعْلَمُونَ [به] صِدْقِي في شَكْوَايَ ، وتَقِفُونَ مِنْهُ على تَفْسُخِي<sup>(٢)</sup> تَحْتَ بَلْوَايَ ، ولولا أنني أظنُّ بالحديث لَهَبًا قد تَضَرَّمْ صَدْرِي بِهِ نَارًا ، وَأَحْتَشَى فُوَادِي مِنْهُ أَوَارًا ؛ لما تَحَدَّثْتُ بِهِ ، ولو اسْتَطَعْتُ طَيِّهَ لَمَّا نَبَسْتُ بِحَرْفٍ مِنْهُ ، ولكن كِتْمَانِي للحديث أَنْقَبَ لِحِجَابِ الْقَلْبِ مِنَ الْعَتَلَةِ لِسُورِ الْقَصْرِ .

دَخَلْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فَوَصَلْتُ<sup>(٣)</sup> إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لِي قَدْ أَعَدْتُ الْخِلْمَةَ فَالْبَسْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْأَسْمَدِ ، فَقُلْتُ أَفْعَلُ ، وَفِي تَذَكُّرِي<sup>(٤)</sup> أَشْيَاءٌ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرْضِهَا .

فَقَالَ : هَاتِ ، فَقُلْتُ : يُتَقَدَّمُ<sup>(٥)</sup> بِكَذَا وَكَذَا ، وَيُفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : عِنْدِي جَمِيعُ ذَلِكَ ، أَمْضِ هَذَا كُلَّهُ ، وَأَصْنَعْ فِيهِ مَا تَرَى ، وَمَا فَوْقَ يَدِكَ يَدٌ ، وَلَا عَلَيْكَ لِأَحَدٍ اعْتِرَاضٌ ؛ فَانْقَلَبْتُ عَنِ الْمَجْلِسِ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْحُجْرَةِ ، وَفِيهَا تَحَدَّثَتْ دُمُوعِي ، وَعَلَا شَهيقِي ، وَتَوَالَى نَشيجِي ، حَتَّى كِدْتُ أَفْتَضِحَ

(١) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مهمل بعض حروفها من النقط تتمذرو قراءتها .

(٢) في كلتا النسختين « تفسخي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « قد دخلت » . (٤) في (أ) « وفي فكري » .

(٥) يتقدم بكذا ، أي يؤصم به .



فَدَنَا مِنِّي بَعْضُ خَدَمِي مِنْ ثِقَاتِي ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ النَّاسُ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ  
 بِرُوزِكَ بِالْخِلْعَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالتَّشْرِيفِ الْمَيُّونِ ، وَأَنْتَ فِي نُوحٍ وَنَدَمٍ ؟ فَقُلْتُ :  
 قَنَحَ عَنِّي سَاعَةٌ حَتَّى أَطْفِئُ نَارَ صَدْرِي ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَارِضُ لِأَنِّي كُنْتُ  
 عَرَضْتُ عَلَى صَاحِبِي تَذْكَرَةً مُشْتَمَلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، وَلَمْ  
 يُنَظِرْنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا زَادَنِي شَيْئًا فِيهَا ، وَلَا نَظَرَ نِي عَلَيْهَا ، وَلَعَلِّي قَدْ بَلَوْتُهُ  
 بِهَا ، وَأَخَفَيْتُ مَغْزَايَ فِي ضَمْنِهَا ، فَخُيِّلَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ أَنَّ غَيْرِي يَقِفُ  
 مَوْقِفِي ، فَيَقُولُ فِي قَوْلِي زُخْرَفًا ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ أَسْرًا مَوْلُغًا ، فَيُمِضِي ذَلِكَ  
 أَيْضًا كَمَا أَمَضَاهُ لِي ، فَوَجَدْتُنِي <sup>(١)</sup> بِهَذَا الْفِكَرِ الَّذِي قَدْ فَتَقَ لِي <sup>(٢)</sup> هَذَا  
 النَّوعَ مِنَ الْأَمْرِ كَرَامٍ عَلَى صَفْحَةِ مَاءٍ ، أَوْ كَقَابِضٍ فِي جَوْءٍ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هَوَاءٍ ؛  
 أَوْ كَمَنْ يَنْفُخُ فِي غَيْرِ فَحْمٍ ، أَوْ يَلْعَبُ فِي قَيْدٍ <sup>(٣)</sup> ، وَلَقَدْ صَدَّقَ الْأَوَّلُ حَيْثُ قَالَ :  
 وَإِنْ أَسْرًا دُنْيَاءُ أَكْبَرُ مَهْمَةٍ لَمَسْتَسِيكَ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ  
 غَيْرَ أَنِّي أَذْكَرُ لَكُمْ مَا عَنِّي لِي <sup>(٤)</sup> مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

اعْلَمُوا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ مَا نَظَّمَهُ <sup>(٥)</sup> الْمَاضِي — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَأَصْلَحَهُ ، وَبَنَاهُ  
 وَقَوَّمَهُ ، وَنَسَجَهُ وَنَوَقَهُ <sup>(٦)</sup> لَا يَسْتَحِيلُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَّ

(١) فِي (ب) « فَوَجَدْتُهُ » ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي (١) .

(٢) فِي (١) « فِي » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِي مَد » ؛ وَظَاهِرُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَنَاسِبُ مَا هُنَا ؛ وَلَعَلَّهُ عَرَفَ  
 عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (ب) : « مَا عَرَفِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) : « مَا يَظْهَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) : وَقَوَّمَهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاحِظُ أَنَّ (١) وَحَدِّثَهَا هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ  
 فِيهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا .

الحال تدوم على ذلك المنهاج ، وتستمر على ذلك السَّيَّاح ، ونكون قد أخذنا بطريق من السَّعادة ، وبلغنا لأنفسنا بعض ما كُنَّا نسلط عليه التَّمتُّى من الإرادة فنَجْمَعُ بين علوِّ المرتبة ، وشرفِ الرِّئاسة ، ونيلِ اللَّذَّةِ ، وإدراكِ السرور ، وأصطناعِ العُرفِ ، وكسبِ الثَّناء ، ونشرِ الذِّكرِ ، وبعْدِ الصَّيتِ ، فعاد ذلك كله بالضدِّ ، وحال إلى الخلافِ ، ووقفَ على الفكرِ المضني ، والخوفِ المُقلقِ ، واليأسِ الحَيِّ ، والرجاءِ الميتِ ؛ وما أحسنَ ما قال القائل :

أُظْمِئْتُ<sup>(١)</sup> الدُّنْيَا فَلَمَّا جَشْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَى مَصَائِبِهَا  
فَقَالَ لَهُ ابْنُ زُرْعَةَ : إِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ ، وَلَا يُسْتَنْجَزُ الْخَيْرُ إِلَّا مِنْهُ ،  
وَلَا يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ إِلَّا بِهِ ، فَسَلِّهِ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ [وَحُسْنِ النِّيَّةِ] وَأَنْوَ الْخَيْرِ ، وَبُثِّ  
الْإِحْسَانَ ، وَكُلْ أَعْدَاءَكَ إِلَى رَبِّكَ الَّذِي إِذَا عَرَفَ صِدْقَكَ وَتَوَكَّلَكَ عَلَيْهِ  
قَلَّلَ حَدَّكُمْ ، وَعَفَرَ حَدَّكُمْ ، وَسَبَّحَ الْفُرَاتَ إِلَى جَمْرِهُمْ حَتَّى يُعْطِفَهَا ، وَسَلَّطَ الْأَرْضَةَ  
عَلَى أَبْدَانِهِمْ حَتَّى تَقْرَضَهَا ، وَشَغَلَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ ، وَصَدَّعَ  
شَمْلَ جَمِيعِهِمْ ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْكَ صَاغِرِينَ ضَارِعِينَ ، وَعَرَضَهُمْ عَلَيْكَ خَاضِعِينَ ،  
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ عَلَى الْمُسِيئِينَ .

قال : والله لقد وجدتُ رَوْحًا<sup>(٢)</sup> كثيراً بما قلتُ لكم وما سمِعتُ منكم ،  
وأرجو أن الله يُعِينُ الْمَظْلُومَ ، وَيُهَيِّنُ الظَّالِمَ . قد تَمَطَّى اللَّيْلُ ، وَتَغَوَّرَتِ النُّجُومُ ،  
وَحَنَّ الْبَدَنُ إِلَى التَّرَفِّهِ ؛ فَإِذَا شِئْتُمْ<sup>(٣)</sup> . فَأَنْصَرَفْنَا مُتَعَجِّبِينَ .

(١) في (١) : « أظمتني » . وفي (ب) : أظمتني ؛ وهو تحريف في كتابنا اللسغتين .  
والبيت العتني .

(٢) الروح ينتح الرأ والراحة كلاهما بمعنى واحد .

(٣) هذه الجملة أريد بها الإيذان بالانصراف .



## الليلة الثالثة والثلاثون

هَذَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَالِحَةِ — وَكَانَ قَدْ أَسْتَزَادَنِي — فَكَتَبْتُ (١) لَهُ هَذِهِ الْوَرَقَاتِ وَقَرَأْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عِنْدَ كُلِّ مَا مَرَّ بِمَا يَكُونُ صِلَةً لِذَلِكَ الْحَدِيثِ ، خَزَلْتُهُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ .

قَالَ سَمَادُ الرَّأْيَةِ : عَنْ قَتَادَةَ قَالَ زِيَادُ لَغَيْلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ تَحْدِثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْشِهَا لِنَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى النُّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا . فَقَالَ غَيْلَانُ : حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : تَوَالَّتْ عَلَى الْعَرَبِ سِنُونَ [ سَبْعٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ] حَصَّتْ (٢) كُلُّ شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ عَلَى بَكْرِ لِي فِي الْعَرَبِ ، فَكُنْتُ سَبْعًا لَا أَذُوقُ فِيهِمْ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْأَلُ بَعِيرِي مِنْ حَشَرَاتِ [ الْأَرْضِ ] حَتَّى دَنَوْتُ (٣) إِلَى حِوَاءِ (٤) عَظِيمٍ ، فَإِذَا بِبَيْتِ جَجِيشِ (٥) عَنِ الْحَيِّ ، فِلْتُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةٍ حَسَنَةٍ (٦) ، فَقَالَتْ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ آثَرْنَاكَ بِهِ ، وَالِدَاكَ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاهِهِ ، جُسْ هَذِهِ الْبُيُوتَ فَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَقَبِله . فَقَعَلْتُ حَتَّى دَنَوْتُ (٧) إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِي صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ (مِنْ) طَعَامٍ ؟ قَالَ :

(١) فِي (ب) : « أَهْلَكَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . يُقَالُ : حَسَّ الشَّعْرَ وَمَحَوهُ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَلَعَتْ » . (٣) الْحِوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ .

(٤) الْجَجِيشُ : مَنْ قَوْلُهُمْ : رَجُلٌ جَجِيشٌ الْحُلْ إِذَا نَزَلَ فَاحْصِيَةً عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَخْتَلِطْ بِهِمْ . وَرِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ وَالْمَنْزَالَ عَنْ مَنَازِلِ ذَلِكَ الْحَيِّ .

(٥) طَوَالَةٌ حَسَنَةٌ ، أَيْ طَوِيلَةٌ حَسَنَةٌ .

(٦) فِي (ب) : « دَفَعَتْ إِلَيْهِ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .



لا ، قال : فوالله ما وَقَرَ في أُذُنِي شيءٌ كان أشدَّ عليَّ منه . فقال : هل عندك مِن شراب ؟ قال : لا ، ثم تَأَوَّه وقال : قد أَبْقَيْنَا في خَرَجِ فِلَانَةٍ <sup>(١)</sup> شيئاً لطارقٍ إن طَرَقَ ، قال : فأت به ، فَأَتَى العَطَنَ فَأَبْتَعَهَا ، فحَدَّثَنِي عَمِّي أَنَّهُ شَهِدَ فَتَحَ أَصْفَهَانَ وَتُسْتَرَمِهْرَجَانَ <sup>(٢)</sup> قَذَقَ وَكَوَّرَ الْأَهْوَازَ وَفَارِسَ ، وَجَاهَدَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَكَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدَهُ ، قال : فَمَا سَمِعْتُ شيئاً قطُّ كَانَ أَلَدَّ إِلَيَّ مِنْ شَخْبِ تِلْكَ النِّاقَةِ فِي تِلْكَ الْعُلْبَةِ ، حتى إِذَا مَلَأَهَا قَفَاضَتْ مِنْ جَوَائِبِهَا وَارْتَفَعَتْ عَلَيْهَا رُغْوَةٌ كَجُمَّةٍ <sup>(٣)</sup> الشَّيْخِ أَقْبَلَ بِهَا نَحْوِي فَبَعَثَ بِعُودٍ أَوْ حَجَرٍ ، فَسَقَطَتِ الْعُلْبَةُ مِنْ يَدِهِ ، فحَدَّثَنِي أَنَّهُ أُصِيبَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ [وَوَلَدِهِ] وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَمَا أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ أَعْظَمَ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِ الْعُلْبَةِ ؛ فَلَمَّا رَأَى <sup>(٤)</sup> كَذَلِكَ رَبُّ الْبَيْتِ خَرَجَ شَاهِراً سَيْفَهُ ، فَبَعَثَ الْإِبِلَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَعْظَمِهَا سَنَامًا ، عَلَى ظَهْرِهَا مِثْلُ رَأْسِ الرَّجُلِ الصَّعِلِ <sup>(٥)</sup> ، فَكَشَفَ عَنْ فَوْهَتِهِ <sup>(٦)</sup> ثُمَّ أَوْقَدَ نَارًا ، وَأَجْتَنَّبَ سَنَامَهَا ، وَدَفَعَ إِلَى مُدْبَةِ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِضْطَلَّ وَاجْتَمَلَ <sup>(٧)</sup> فَجَعَلْتُ أَهْوَى بِالْبَضْعَةِ إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِنَامَهَا أَكَلَتْهَا ، ثُمَّ مَسَحْتُ مَا فِي يَدَيَّ مِنْ إِهَائِلِهَا عَلَى جِلْدِي ، وَكَانَ قَدْ قَحَلَ <sup>(٨)</sup> عَلَى عَظْمِي حَتَّى كَانَتْ شَنْ <sup>(٩)</sup> ، ثُمَّ شَرِبْتُ مَاءً وَخَرَزْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ ، فَمَا أَتَقْتُ إِلَى السَّحَرِ .

- (١) فِلَانَةٌ : كُنْيَاةٌ عَنْ اسْمِ بَعْضِ نِيَاقِهِ . وَفِي ( ١ ) : النَّلَابَةُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
 (٢) تَسْتَرٌ : مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ بِخُوزِسْتَانَ . وَمِهْرَجَانٌ قَذَقٌ : كَوْرَةٌ ذَاتُ مَدَنٍ وَقُرَى قَرِيبِ الصَّيْمَرَةِ ، مِنْ نَوَاحِي الْجِبَالِ . وَغَيْرَ هَذَيْنِ مِنَ الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا مَعْرُوفٌ فَلَا يَمْتَنِي لِلتَّعْرِيفِ بِهِ .  
 (٣) الْجُمَّةُ : مَجْمُوعُ شَعْرِ الرَّأْسِ ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْوُفْرَةِ .  
 (٤) فِي ( ب ) : « فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ » . ( ٥ ) الصَّعِلُ : الدَّقِيقُ الرَّأْسُ .  
 (٦) فَوْهَةُ الشَّيْءِ : أَعْلَاهُ ، يُرِيدُ أَعْلَى السَّنَامِ . وَفِي الْأَصْنَافِ مَا يَشْبَهُ فِي الرِّسْمِ كَلِمَةَ عَرَقُوبِهَا وَلَا يَمْتَنِي لِكَشْفِ عَرَقُوبِ النَّاقَةِ هُنَا . ( ٧ ) اجْتَمَلَ الشَّعْمُ : أَذَابَهُ فِي النَّارِ .  
 (٨) قَحَلَ عَلَى عَظْمِي ، أَيِ يَبِسَ مِنْ وَهْجِ الْحَرِّ وَبَعْدَ عَهْدِهِ بِالْمَاءِ .  
 (٩) الشَّنُّ : الزَّادَةُ الْيَابِسَةُ الْخَلْفَةُ .

فَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فَدَنِيَ  
الْمَنْزُولُ بِهِ <sup>(١)</sup> . قُلْتُ : عَامِرُ <sup>(٢)</sup> بَنُ الطَّقِيلِ . قَالَ : أَبُو عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَبُو عَلِيٍّ .  
وَاسْتَعَادَنِي الْوَزِيرُ [أَدَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ] هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّعْجُبِ ،  
وَقَالَ : صَدَقَ الْقَاتِلُ فِي الْعَرَبِ : مُنِعُوا الطَّعَامَ وَأَعْطُوا الْكَلَامَ .

تَفَدَّى أَبُو الْعَيْنَاءِ عِنْدَ ابْنِ مَكْرُمٍ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُرَاقًا <sup>(٣)</sup> ، فَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ :  
قِدْرُكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبِخَتْ بِشِطْرِنَجٍ <sup>(٤)</sup> .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا قِدْرًا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ ، فَقَالَ : هَذِهِ قِدْرُ أُمِّ قَبْرِ ؟  
وَأَكَلَ عِنْدَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ يَوْمًا ، فَسُقِيَ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ، ثُمَّ طَلَبَ  
الرَّابِعَةَ فَسُقِيَ شَرْبَةً حَارَّةً ، قَالَ : [لَعَلَّ] مَزْمَلَتَكُمْ <sup>(٥)</sup> تَعْتَرِيهَا حَتَّى <sup>(٦)</sup> الرَّابِعِ .  
قَالَ سَلَمَةٌ : بَقِيَ أَبُو النَّمِقَامِ بِيَنْغَدَادَ وَكُنَّا نَأْتِيهِ وَنَسْمَعُ مِنْهُ ، فَجَاءَنَا بِجَفْنَةٍ  
فِيهَا جُودَابٌ <sup>(٧)</sup> فَجَعَلَ أَصْحَابُنَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ أَتَانَاهُمْ بِسَقُودٍ فِيهِ بَرَابِيعٌ فَسَلَّتْهَا  
فِي الْجَفْنَةِ ، فَعَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ دُهِوا ، فَجَعَلُوا يَسْتَقِيمُونَ مَا أَكَلُوا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِي جَارَتَانِ بَأَيْتَهُمَا أَبَدًا ؟  
قَالَ : « بَأَذْنَاهُمَا يَا أَبَا مَنْكَ <sup>(٨)</sup> » .

(١) فِي (١) : « عَلَيْهِ » .

(٢) عَامِرُ بْنُ الطَّقِيلِ : هُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ الْعَامِرِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَيْدٍ .

(٣) الْعُرَاقُ : الْعِظَامُ الَّتِي أَخَذَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ .

(٤) يُرِيدُ بِهَذِهِ الْمَاةِ وَصَفَ مَا فِي الْقِدْرِ بِالْبَيْسِ وَالْعِلَابَةِ كِيَادِقِ الشَّطْرِنَجِ .

(٥) الْمَزْمَلَةُ : جَرَّةٌ أَوْ خَايِيَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَسْطِهَا ثَقْبٌ فِيهِ قَصَبَةٌ مِنَ الْفِضَّةِ أَوْ الرِّصَاصِ

يُشْرَبُ مِنْهَا .

(٦) حَتَّى الرَّابِعِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ يَوْمًا وَتَدَعِي يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ تَجِيءُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ .

(٧) الْجُودَابُ : طَعَامٌ يَتَّخِذُ مِنْ سَكَّرٍ وَأَرْزٍ وَلَحْمٍ ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ .

(٨) فِي (ب) : « إِلَيْكَ » .

وقال حكيم : يَنْبَغِي أَلَّا يُعْطَى الْبَخِيلُ أَكْثَرَ مِنْ قُوْتِهِ ، لِيُحْكَمَ  
عليه بِمَثَلٍ مَا حَكَمَ [ به ] على نفسه .

وقال الشاعر :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ<sup>(١)</sup>      يَا كُلُّ مَنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً  
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْخَةٌ<sup>(٢)</sup>      يَزُخُّهَا ثُمَّ يَنَامُ الْفَخَّةُ  
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ<sup>(٣)</sup>      يَا كُلُّ مَنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَسَلَةً  
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَقَةٌ<sup>(٤)</sup>      وَنَشَقَةٌ<sup>(٥)</sup> يَمْلَأُ مِنْهَا كَفَّةً  
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ<sup>(٦)</sup>      يَا كُلُّ مَنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيْدَةً

وقال أبو فرعون الشاشي يخاطب الحجاج :

يَا خَيْرَ رَكْبٍ سَلَكَوا طَرِيقًا      وَيَمَمُوا مَكَّةَ وَالْعَتِيقًا  
وَأَطَعُوا ذَا الْكُكَّةِ وَالسَّوِيْقَا      وَالْحُشْكَنَانَ<sup>(٧)</sup> الْيَابِسَ الرَّقِيقَا

(١) القوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ؛ وينسب هذا الشعر إلى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) في رواية : « طوبى لمن كانت » النخ . والازخة : زوجة الرجل لأنه يزخها ، أى يجامعها ؛ والفخة : نومة الفداء ، وقيل نومة التعب . وفي الأصل : الفخة بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٣) الدوخلة : سفينة من خوص يوضع فيها التمر والرطب ؛ وهى كالزليل . والملة : المرأة .  
(٤) في رواية : « طوبى لمن كانت » النخ ، والمهرشفة : خرقه ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تعصر في الإناء ؛ وإنما يفعل ذلك إذا قل الماء . ذكره صاحب اللسان وأورد هذا البيت شامداً عليه .

(٥) في الأصل : « ومنشر » ؛ وهو تحريف . والنشفة : خرقه تنشف بها اليد .  
(٦) الكرديدة : القطعة العظيمة من التمر . وهو ثان جيدة ؛ أى وهو في راحة ودعة .  
(٧) الحشكنان : الخبز اليابس ، وهو المعروف عندنا بالبسكوييت . انظر المعجم الفارسي الانجليزي لاستاينجاس .



وقال آخر :

رَأَيْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ      وَمِنْهُ الْكَفُّ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الطاعم »<sup>(١)</sup> الشاكر بمنزلة الصائم الصابر .  
قَبْلَ مُزِيدٍ<sup>(٢)</sup> جَارِيَةٌ بِخَرَاءَ ، فقال لها : أَظْنَتِ تَعَشَيْتِ بِكَرِشٍ ، أَوْ احْتَشَيْتِ  
صَحْنًا<sup>(٣)</sup> ؛ فقالت : مَا أَكَلْتُ إِلَّا خَرْدَلًا . قال : قَدْ ذَهَبَ النُّصْفُ الثَّانِي  
وَبَقِيَ مَا قَبْلَهُ .

قال شاعر :

وَبَاتُوا يُعْمَشُونَ الْقَطِيعَاءَ ضَيْفَهُمْ      وَحَدَّثَهُمُ الْبَرْنِيُّ فِي جُلَلِ دُسْمِهِ<sup>(٤)</sup>

وقال آخر :

وَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتَسْكَى<sup>(٥)</sup> مِنْ مَتَاحَةٍ      وَلَا مَنَعُوا الْبَرْنِيَّ إِلَّا مِنَ الْبُخْلِ  
سَمِعْتُ الْحِجَاجِيَّ يَقُولُ : كُلِّ الْخُبْزِ أَوْ السَّمَكِ ، فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا كَانَ  
مُطِيعًا ؛ فَإِذَا نَفَيْتَ قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ وَالسَّمَكِ ؛ فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا لَمْ  
يَقْصِكَ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ أَوْ السَّمَكِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدُهُمَا

(١) الطاعم ، أى ذو الطعام ، أو الطعوم .

(٢) فى كلتا النسختين « مزيد » بالياء المثناة ؛ وهو تصحيف . ومزيد بالموحدة هو صاحب النوادر المعروف .

(٣) الصحن والصحناء — وعمدان ويقصران — إدام يتخذ من السمك الصغار ؛ مشة مصلح للمعدة

(٤) القطيعاء : التمر السهريز ، والتمر السهريز : الصغير ، وهو أردأ التمر ؛ وقيل هو البسر قبل أن يدرك ؛ والبرني نوع جيد من التمر . والجلّة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . والدسم : الغلاظ .

(٥) الأوتسكى ، هو التمر السهريز ؛ وهو والقطيعاء التى تقدم شرحها فى الحاشية السابقة واحد ؛ وفى المخصص « القوم » مكان « البخل » ؛ وفى الأصل : « الأربكى » مكان « الأوتسكى » ؛ وهو تحريف .

لأن التقدير في النفي لا تأكل أحدهما ، والتقدير في الإيجاب أنت أيهما شئت ؛  
فهذه خاصية أو . السويقي : الحشيش<sup>(١)</sup> ، لأنه رُضَّ وكُسِرَ . المجسنة : رَحَى  
صغيرة يُجسُّ بها . رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الشَّيْثَانَ<sup>(٢)</sup> عِنْدَ  
أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَقَالَ : « حَارٌّ حَارٌّ » ، وَأَمَرَ بِالسَّنَا<sup>(٣)</sup> .

وَيُقَالُ : أَكَلُ الْبَطِيخِ<sup>(٤)</sup> بَجَفَرَةٍ ، أَيْ يَقْطَعُ مَاءَ الْفَسَاخِ .

وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَظِيمُ الْمَجْرَاشِ<sup>(٥)</sup> أَيْ الْوَسَطُ ، فَرَسٌ مُجَرَّشٌ<sup>(٥)</sup> الْجَنَيْنِ  
وَأَجْرَأَشْتُ<sup>(٥)</sup> الْإِبِلَ ، إِذَا بَطَنْتَ ، وَابِلٌ مُجَرَّشَةٌ<sup>(٥)</sup> أَيْ بَطَانٌ ؛ وَيُقَالُ :  
كَثَاةٌ<sup>(٦)</sup> قَدِيرٌ كَمْ ، وَهِيَ مَا أُرْتَفَعَ مِنْهَا عِنْدَ الْغَلَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عُبَيْسٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « لَيْسَ  
بِمُؤْمِنٍ مَنْ بَاتَ شَبَعَانِ [ رَيَّانَ ] وَجَارُهُ جَانِعٌ طَاوٍ » .

قَالَ عُمَرُ : مُذْمِنٌ اللَّحْمِ كَذْمِنُ الْخَمْرِ .

وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَذُمُّ أَصْحَابَهُ يَوْمَ جَبَلَةَ :

(١) في الأصل : « الحشيش » ؛ وهو تصحيف .

(٢) الشَّيْثَانُ : نبات له حب كالمدس ، وأوراقه تشبه الطرخون . وفي النهاية لابن الأثير  
عن أم سلمة أنها شربت الشَّيْثَانَ الخ فقال إنه حارٌّ حارٌّ ، وفسر الشَّيْثَانُ بأنه حب كالحمص يطبخ  
ويشرب ماؤه للتداوي ، وقيل إنه نوع من الشَّيْبِ ، أخرجه الزَّيْتُونِيُّ عن أسماء بنت عميس .  
(٣) السَّنَا . نبات معروف في الأدوية ، له حمل لما ييس وحركته الريح سمعت له زجلا  
الواحدة ستانة ، ومرفه بعضهم بأنه نبات يشبه الحناء ، زهره إلى الزرقة وحبّه مفرطج إلى  
الطول مريض الأوراق وأجوده المجازي ، ويعرف بسنامكة ؛ وقد يقال له السَّنَا الْمَسْكِي ؛ ونوع  
آخر ينبت يلاذ الروم ويقال له السَّنَا الرَّوْمِي .

(٤) في الأصل : « البطيخ » بالحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٥) وردت هذه الألفاظ التي تحت هذا الرقم في الأصل بالحاء والسين المهملتين ؛ وهو  
تصحيف ؛ والتصويب عن كتب اللغة .

(٦) في الأصل : « كباة » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف ، والتصويب عن كتب اللغة .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالكَأْسَ الْأَنْفَ  
لِلْمُضَارِبِينَ الْمَامَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قيل لدب: لم تفقر رجلاً في ليلة من كثرة ما تأكل [من] عنبه؟ فقال:  
لا تُلْنِي، فإن بين يدي أربعة أشهر أنجحِرُ فيها فلا أَلَمَطُ إِلَّا بِالْهَوَاءِ.

قال ابن الأعرابي: إذا أقدَحَ<sup>(١)</sup> الرجلُ امرأةً بعدَ سرقةٍ فأطعمَ لحمه  
المساكينَ سُميَ مَتَمِّمًا، وبه سُميَ ابنُ نُؤَيْرَةَ، ومن ذلك قولُ النابغة:

إِنِّي أَتَمُّ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَثْنَى الْأَيْدِي<sup>(٢)</sup> وَأَكْسُو الْجَفْنَةَ الْأُدْمَا

الْثَرْتَمُ<sup>(٣)</sup> مِنْ فُتَاتِ الطَّعَامِ، ويقال الثَرْتَمُ أيضًا [ما فضلَ من<sup>(٤)</sup> الطعام  
في الإناء]، ويقال: طعامٌ ذُو نُزُلٍ<sup>(٥)</sup>. والمَلِيحُ والمِلْحُ: السَّمْنُ، يقال:

تَمَلَّحَتِ الْجَارِيَةُ وَتَجَلَّحَتْ إِذَا سَمِنَتْ.

وقال أبو الطمحان القيني<sup>(٦)</sup>:

وَإِنِّي لأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا كَشَطَتْ مِنْ جِلْدٍ أَشَعَتْ آغْبَرًا

هكذا سمعتُ. ويقال: سَمِنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَرَسٌ<sup>(٧)</sup>، والخَرَسُ<sup>(٧)</sup>: الدَّنُّ

بَعِيْنُهُ. وفي المثل: «إِنَّ آخِرَ الْخَرَسِ<sup>(٧)</sup> لَدُرْدِي» أي آخِرُ الدَّنِّ دُرْدِي.

(١) أقدح الرجل، أي ضرب بالفداح في اليسر.

(٢) كذا ورد هذا البيت في اللسان؛ والتي في الأصل: «مثنى الأتافي» مكان قوله:  
مثنى الأيدي؛ وهو تحريف. والأدم: بضمين هو الأدم بتسكين الدال، أي ما يؤتد به.  
يقول: إنه يفوز بهذا اللحم فيطعمه المساكين.

(٣) في الأصل: التريم؛ وهو تصحيف. والتصويب عن كتب اللغة.

(٤) لم ترد هذه العبارة في (١) المنقول عنها وحدها هذا الكلام، غير أنها تكلمة يقتضيها  
سياق الكلام أخذاً من كتب اللغة؛ وواضح أن الكلام بدونها يكون ناقصاً.

(٥) ذو نزل، أي ذو بركة.

(٦) في الأصل: «العني»؛ وهو تصحيف.

(٧) في الأصل: «الحرش»؛ وهو تصحيف في المواضع الثلاثة التي تحت هذا الرقم.



وَأُنشِدُ :

حَبْدًا الصَّيْفُ حَبْدًا مِنْ أَوَانٍ      وَزَمَانٍ يَفُوقُ كُلَّ زَمَانٍ  
 زَمَنُ الْخَمْرِ وَالْمَسَاوِرِ وَالْجَشَدِ      نِ<sup>(١)</sup> وَوَرْدِ<sup>(٢)</sup> الْخِلَافِ وَالرَّيْحَانِ  
 زَمَنٌ كَانَتْ الْمَضَائِرُ<sup>(٣)</sup> فِيهِ      بَلْجُومِ الْجَدَاءِ وَالْحُمْلَانِ  
 وَصُدُورُ الدُّجَاجِ بِالْخَلِّ وَالْمُرِّ      وَنَثَرِ السَّدَابِ وَالْأَنْجَذَانِ<sup>(٤)</sup>  
 وَرِسْمَانٍ مِنَ الْقَرَارِيحِ تُغَلَى      بِعَصِيرِ الْأَغْنَابِ وَالرُّثْمَانِ  
 وَشَرَا الْوَزَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَا      رِصَ بَيْنِ الْحَلِيبِ وَالْأَلْبَانِ  
 وَنَقَى السَّوِيْقِ بِالسَّكَّرِ الْمُنْدِ      يَحُولُ فِي الثَّلْجِ فِي الزُّجَاجِ الْبِمَانِ  
 وَقِلَالٌ تُعْطَى مِنْ بَكْرَاتٍ      مَرْوِيَّاتٍ غَلَائِلَ الْعَطْشَانِ  
 وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ الْعِلْمِ ، فَأَنْشَدَ ابْنُ عُبَيْدٍ الْكَاتِبُ لِسَابِقِ الزُّبَيْرِيِّ قَوْلَهُ :  
 الْعِلْمُ يَبْجُلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبٍ صَاحِبِهِ      كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ  
 وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ      أَسَاتَ إِجَابَةً وَأَسَاتَ فَهْمًا

(١) الجشن : لفظ فارسي معناه مجتمعات الناس في الأعياد والولائم ونحو ذلك ، كما في المعجم الفارسي الإنجليزي لاستاينجاس . ولم نجد للمساور معنى يناسب السياق ، فلعله تحريف لم نهند إلى وجه الصواب فيه . وفي الأصل : (ومن) مكان (زمن) ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل « وبرد » مكان (وورد) ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومن كانت المضار » ؛ وفيه تحريف لا يخفى . والمضائر : جمع مضيرة وهي لحم يطبخ باللبن المضير ، أي الحامض ، وقد يخلطون به الحليب . أما كيفية عملها فقد ذكرت في كتب الأطلمة فانظرها .

(٤) الأنجذان : نبات له أصل أغلظ من الإصبر ، وقرون كقرون اللوياء ، فيها حب كالمدس ؛ وهو فارسي معرب .

آخر :

الْعِلْمُ يَنْفَعُ أَقْوَامًا فَيَنْتَفِعُهُمْ<sup>(١)</sup> كَالغَيْثِ يَذْرِكُ عِيدَانَا فَيُحْيِيهِمَا  
فقال الوزير : عندي في صحيفة حفظ الصُّبَا : الْعِلْمُ سِرَاجٌ يُجَلِّي الظُّلْمَةَ ،  
وَضِيَاءٌ يَكْشِفُ الْعَمَى .

التَّذَلُّلُ مَكْرُوهٌ إِلَّا فِي أَسْتَفَادَتِهِ ، وَالْحِرْصُ مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِهِ ، وَالْحَسَدُ  
مَنْعِيٌّ عَنْهُ إِلَّا عَلَيْهِ .

ثم عاد الحديث إلى المأكلة :

(٣)

حدثني مُطَهَّرُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ عَنْ ابْنِ قَرَارَةَ الْعَطَّارِ قَالَ : اجْتَمَعَ ذَاتَ  
يَوْمٍ عِنْدِي عَلَى الْمَائِدَةِ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مُقَلَّةَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ ، وَكَانَ ابْنُ  
مُقَلَّةَ يُفَضِّلُ الْهَرِيسَةَ ، وَكَانَ الْيَزِيدِيُّ يُفَضِّلُ الْجُوذَابَةَ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
يَصِفُ النُّوعَ الَّذِي يَقُولُ بِهِ وَيُؤَثِّرُهُ ، فَقَالَ الْيَزِيدِيُّ : الْهَرِيسَةُ طَعَامُ الشُّرَقِيِّينَ  
وَالسُّقَلَةِ ، وَلَيْسَتْ الْجُوذَابَةُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؛ فَقَالَ لِي ابْنُ مُقَلَّةَ : مَا أَسْمُ الْجُوذَابَةِ  
بِالْفَارْسِيَّةِ ؟ فَقُلْتُ جَوْزَابَ<sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ : ضُمَّ الْكَافُ<sup>(٣)</sup> . وَفَهِمْتُ مَا أَرَادَ ،  
فَقُلْتُ : نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ عَافَيْتَهَا نَفْسِي ، وَسَكَتَ الْيَزِيدِيُّ .

قال يزيد بن ربيع : الْكَبَابُ طَعَامُ الصَّعَالِيكِ ، وَالْمَاءُ وَالْمِلْحُ طَعَامُ  
الْأَعْرَابِ ، وَالْمِرَائِسُ وَالرُّهُوسُ طَعَامُ السَّلَاطِينِ ، وَالشُّوَاهُ طَعَامُ الدُّعَارِ ، وَالْخُلُّ  
وَالزَّيْتُ طَعَامُ أُمَّثَالِنَا .

(١) ينفعهم ، أي يروئهم ، وفي الأصل « ينفعهم » بالفاء ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا  
أخذنا من التشبيه . (٢) ضبطنا هذا اللفظ بفتح الجيم وبالزاي بعدما لما تقتضيه النكته  
الآتية . وهذا اللفظ بالفارسية ينطق بالقال أو الزاي كما في معجم استاينجاس بمعنى الطعام الذي  
يتخذ من اللحم والأرز والسكر والبندق .

(٣) أراد بالكاف هنا الكاف الفارسية وهي تنطق جيا مصرية ، ويغير إلى لفظ جوز  
بالفارسية وهو الفساء ؛ فهو يفره من هذا الطعام بهذه النكته .

وَحَدَّثَنِي أَبُو ضَبْعُونَ الصُّوفِيُّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرِو الشَّارِيُّ <sup>(١)</sup> صَاحِبُ  
الْخَلِيفَةِ : انْهَضْ بِنَا حَتَّى نَتَغَدَّى ، فَإِنَّ عِنْدِي مَصُوصًا <sup>(٢)</sup> وَهَلَامًا <sup>(٣)</sup> وَبَقِيَّةَ  
مُطَجَّنَةٍ ، وَشَيْئًا مِنَ الْبَازَنْجَانِ الْبُورَانِيِّ الْبَائِتِ الْخَمْرِ . قُلْتُ : هَذِهِ كُلُّهَا تَزَايِينُ  
الْمَائِدَةِ ، فَأَيْنَ الْأَذْمُ ؟

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يُكْثِرُ أَكْلَ الْجُذَابِ  
وَلَا يُؤْثِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ يَقُولُ : يَشُدُّ الْعَصْدَيْنِ ، وَيَقْوَى السَّاعِدَيْنِ ، وَيَجْلُو  
النَّظِيرَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي سَمْعِ الْأَذْنَيْنِ ، وَيُحَمِّرُ الْوَجْنَتَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي الْمَنِيِّ ، وَهُوَ  
طَعَامُ شَعْيٍ ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟

وَبَلَغَ النَّصُورَ وَصَفُهُ هَذَا ، فَقَالَ : بِحَقِّ مَا وَصَفَهُ ، وَلَا تَقْبَلُ أَكْلَهُ .  
وَقَالَ وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَّاحِ : التَّمَتَيْنِ <sup>(٤)</sup> عَلَى الْمَائِدَةِ خَيْرٌ مِنْ زِيَادَةِ لَوْنَيْنِ ،  
وَكَأَلُ الْمَائِدَةِ كَثْرَةُ الْخُبْزِ ، وَالسَّيِّدُ الْأَبْيَضُ أَحْلَى مِنَ الْأَصْفَرِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يَحِبُّ <sup>(٥)</sup> الْجُذَابَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ [يَحْضُرُ] عِنْدَهُ  
يَمِيبُ الْجُذَابَ ، فَقَالَ يَحْيَى : إِنْ ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا تَوَقَّفْتُ عَنْ شَهَادَتِهِ ، وَحَكَمْتُ  
عَلَيْهِ بِضَعْفِ الْحَسِّ وَقَلَّةِ التَّمْيِيزِ ، فَبَلَغَ الرَّجُلَ ذَلِكَ ، فَأَحْتَرَسَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى  
يَوْمًا : مَا قَوْلُكَ فِي الْجُذَابِ ؟ فَقَالَ : أَشْرَفُ مَا أَكَلِ وَأَطْيَبُهُ ، سَهْلُ الْمَدْخَلِ ،  
لَذِيذُ الْمَطْعَمِ ، حَيِّدُ الْغِذَا ، قَلِيلُ الْأَذَى . قَالَ : أَصَبْتَ ، هَكَذَا أُرِيدُكَ .  
أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ عِبَّاسٍ قَالَ : مَا مِنْ دَاخِلٍ إِلَّا وَلَهُ حَيْرَةٌ ، فَأَبْدَاهُ

(١) كَذَا فِي (ب) : وَالَّذِي فِي (أ) : « ابْنُ أَبِي عَمْرَةَ الشَّرَافِيِّ » .

(٢) الْمَصُوصُ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَطْبَخُ وَيَنْقَعُ فِي الْحَلِّ ؛ وَيَكُونُ مِنْ لَحْمِ الطَّيْرِ خَاصَّةً .

(٣) الْهَلَامُ كَغَرَابٍ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ عَجَلٍ بِجِلْدِهِ ؛ وَقِيلَ حَرَقَ السَّكْبَاجَ الْبَرْدَ الْمَصْفَى

(٤) التَّمَتَيْنِ : تَهْوِيَةُ الطَّعَامِ بِالْأَفَاوِيهِ .

مِنَ الدَّهْنِ .

(٥) فِي (أ) : « يُوْثِرُ » .



بالسلام ، وما مِن مَدْعُوٍّ إِلَّا وَلَهُ حِشْمَةٌ ، فابْدُوهُ بِالْيَمِينِ <sup>(١)</sup> .

قال سَخْدَانُ : قلتُ لجاريةٍ آردتُ شراءَها — وكانت ناعمة البدنِ رَطْبَةً شَطْبَةً <sup>(٢)</sup> غَضَّةٌ بَضَّةٌ — : ما كان غِذاؤُكَ عند مولايك ؟ قالت : المَبْطَنُ . قلتُ : وما المَبْطَنُ ؟ قالت : الأُرْزُ الرِّيانُ مِنَ اللَّبَنِ ، بالمالِودَجِ الرِّيانِ من العَسَلِ ، والخبيصةُ الرِّيانَةُ مِنَ الدَّهْنِ والسكرِ والزَّعفرانِ . قلتُ : حقٌّ لكِ .

وقال ابنُ الجصاصِ الصُّوفِيُّ : دَخَلْتُ على أَحْمَدَ بنِ رَوْحِ الأَهْوَازِيِّ فقال : ما تقولُ في صَحْفَةِ أُرْزٍ مَطْبُوعٍ ، فيها نَهْرٌ مِنْ سَمْنٍ ، على حافَتَيْها كُثبانٌ مِنَ الشُّكْرِ المَنْخُولِ ، فدمَعَتْ عَيْنِي ، فقال : مالك ؟ قلتُ : أبْكَى شَوْقاً إِلَيْهِ ، جعلنا الله وإياكَ مِنَ الوارِدِينَ عليه بالنَّوَاصِةِ والرَّدَّادَتَيْنِ . فقال لي : ما النَّوَاصِةُ [والرَّدَّادَتانِ] <sup>(٣)</sup> ؟ قلتُ : النَّوَاصِةُ الإِبْهَامُ ، والرَّدَّادَتانِ : السَّبَابَةُ والوُسْطَى . فقال : أحسنتَ ، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ .

شَكَرَ رجلٌ إلى عُمَرَ الجُوعَ فقال : أَكْذَكَ وَأَنْتَ تَنْتُ نَنْتُ <sup>(٤)</sup> الحَمِييتُ ؟ أَيْ تَرْتَشِعُ كَمَا يَرْتَشِعُ الزَّقُّ .  
وقال ابنُ سَكْرَةَ :

أَطْمَعَنِي فِي خَرُوفِكُمْ خَرَفِي      فَجِئْتُ مُسْتَفْجِلاً وَلَمْ أَقِفْ  
وَجِئْتُ أَرْجُو أَطْرَافَهُ فَعَدَّتْ      فِي طَرَفِ السَّيَاكِ <sup>(٥)</sup> فِي طَرَفِ

(١) في (١) : « بالتمييز » ؛ وهو تحريف .

(٢) الشطبة : الجارية الحسناء الغضة ؛ وقيل الطويلة .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها أخذاً من الجواب .

(٤) في الأصل : « تمت مت » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلاعاً للصادر التي بين أيدينا ، ونصه فيها ؛ وفي حديث عمر أنه جاءه رجل فقال له : هلكت . فقال له : أهلكت وأنت تنت كما ينت الحميت ؟ .

(٥) في الأصل : « والشمال » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن يتيمة الدهر .

وَحَذِّرُونِي مِنْ ذِكْرِ رُزَّتِهِ      يَا حَرَّ صَدْرِي لَهَا وَيَا لَهْفِي  
عَايِنْتُهُ وَالَّذِي يُفَضِّلُهُ      وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى شَفَا جُرْفِ  
مَا حَلَّ بِي مِنْكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِي      مَا كُنْتُ إِلَّا فَرِيسَةً التَّلَفِ  
ويقال : القانع غني وإن جاع وعري ، والحريص فقير وإن ملك الدنيا .  
قيل لإبراهيم الخليل — عليه السلام — : بأي شيء أتخذك الله خليلاً ؟  
قال : بأني ما خيَّرتُ بين أمرين إلا اختَّرتُ الذي لله ، وما أهتممتُ لما  
تكفل لي به ، وما تفدَّيتُ وما تعشَّيتُ إلا مع ضئيف .

وأعترض حديثه فقال : أنشدني بيتي ابن غسان البصريُّ في حديثٍ  
بختيار ، يعني عزَّ الدولة ، فأنشدته :

أَقَامَ عَلَى الْأَهْوَاِ سِتِّينَ لَيْلَةً      يَدْبِرُ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى تَدْمَرَا  
يَدْبِرُ أَمْرًا كَانَ أَوَّلُهُ عَمَى      وَأَوْسَطُهُ تُكْلًا وَآخِرُهُ خَرًا  
فقال : ما أعجبَ الأمورَ التي تأتي بها الدهور ! عُدْ إِلَى قِرَاءَتِكَ ،  
فَعُدْتُ وَقَرَأْتُ .

رَوَى فِي الْحَدِيثِ : لَا تَأْكُلُوا ذِرْوَةَ الثَّرِيدِ ، فَإِنَّ الْبَرَكََّةَ فِيهَا .  
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَمَلِكُ الْمَجِينِ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ ،  
وَالرَّقَّةُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَالبَلاغَةُ أَحَدُ السَّبْعَيْنِ <sup>(١)</sup> وَالتَّمْنَى أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ <sup>(٢)</sup>  
أَرَادَ مُزَبَّدٌ أَضْحِيَّةً فَلَمْ يَجِدْهَا ، فَأَخَذَ دِيكًا لِيُضَحِّيَ بِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جِيرَانَهُ  
شَاةَ شَاةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ سَبْعُ شَيْءٍ ، فَقَالَ دِيكِي أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِسْحَاقَ  
لَأَنَّهُ فُذِيَ بِكَبْشٍ ، وَدِيكِي بِسَبْعَةٍ .

(١) في الأصل : الشيعين ؟ وهو تحريف ؟ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « السلون » ؟ وهو تحريف لا معنى له .

الْكُتْلُ : اللَّحْمُ <sup>(١)</sup> ، وَالْعَيْمَةُ <sup>(٢)</sup> : شَهْوَةُ اللَّبَنِ ، وَالْقَرَمُ : شَهْوَةُ اللَّحْمِ .  
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ أَكْلِ  
 الْبَلَسِ » . قِيلَ : هُوَ التِّينُ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

يَمُنُّ عَلَى التَّزْوِيجِ شَيْخِي      وَفِي التَّزْوِيجِ لِي هَمٌّ وَشُغْلُ  
 وَكُنْتُ مِنَ الْهُمُومِ رَخِيًّا بِالِ      فَحَلَّ مِنَ الْهُمُومِ عَلَيَّ ثِقْلُ  
 فَقُلْتُ لَهُ : مَذَنْتَ بِغَيْرِ مَنْ      وَمَالَكَ بِالَّذِي آمَدَيْتَ فَضْلُ  
 أَعْزَابِ الْعَشِيرَةِ لَوْ عَلِمْتُمْ      بِحَالِي حِينَ لِي بَيْتٌ وَأَهْلُ  
 عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ فِي حَالٍ عَيْشٍ      رَخِيٍّ مَالَهُ يَا قَوْمُ عَدْلُ  
 قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ : أُمِّلَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِالْكُوفَةِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِهَ السَّمَرَ إِلَّا فِي الْفِقْهِ ، يَرِيدُ كَثْرَةَ السَّمَرِ إِلَّا فِي الْفِقْهِ .  
 قِيلَ لِمَيْسِرَةِ الرَّأْسِ <sup>(٣)</sup> : مَا أَكْثَرُ مَا أَكَلْتَ ؟ قَالَ : مَائَةٌ رَغِيفٍ بِكَئِلَجَةٍ  
 مِلْحٍ ؛ فَقِيلَ هَذَا أَكَلْتُكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَ : آكَلْتُ فِي بَيْتِي رَغِيفَيْنِ ، وَأَخْتَشَى <sup>(٤)</sup>  
 إِلَى اللَّيْلِ فِشْلَ الْخَيْلِ .

تَنَاولَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ تُفَاحَةً فَأَكَلَهَا ، فَقِيلَ : وَيْحَكَ ، تَأْكُلُ  
 التَّحِيَّاتِ ؟ فَقَالَ : وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ .

يُقَالُ : الطُّعْمَةُ : الْكُسْبُ . وَيُقَالُ : جِثْتُ بِالطُّعْمَةِ . وَالطُّنْمُ : الطَّعَامُ :

(١) الكتل : اللحم ، أى القطع منه ، الواحدة كتلة ، وفي الأصل « الكيل » بالباء ؛  
 وهو تصحيف .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل مضطربة الحروف تنذر قراءتها ، وما أُمِتَتْ  
 من كتب اللغة . (٣) في (ب) : « الرأس » .

(٤) في كلتا النسختين : « وأتجشأ » ؛ وهو تحريف .



وَالطُّغْمُ : الذُّوقُ . وَهَذِهِ الْأَرْضُ طُعْمَةٌ لَكَ وَطُعْمَةٌ .

قال إسحاق : كنت يوما عند أحمد بن يوسف الكاتب ، فدخل أحمد بن أبي خالد الكاتب ونحن في الغناء ، فقال : والله ما أجد شيئا مما أنتم فيه . قال إسحاق : فهان على وخف في عيني ، فقلت له كالمستهزئ به ، جُعِلْتُ فداك ، قصدت إلى أرق شيء خلقه الله وأليينه على الأذن والقلب ، وأظهره للشروع والفرح ، وأنفاه للهم والحزن ، وماليس للجوارح منه مؤونة غليظة ، وإنما يقرع السمع وهو منه على مسافة ، فتطرب له النفس ، فذمته ؟ ولكنه كان يقال : لا يجتمع في رجل شهوة كل لذة ، وبعد ، فإن شهوة كل رجل على قدر تتركه ومزاجه . قال : أجل ، أما أنا فالطعام الرقيق أعجب إلى من الغناء . فقلت : إني والله ولحم البقر والجواميس والطيوس الجبلية بالبازنجان المبرر أيضا تقدمه ؟ فقال : [ الغناء <sup>(١)</sup> ] يختلف فيه ، وقد كرهه قوم . قلت فامختلف <sup>(٢)</sup> فيه أطلقه لنا حتى نجزموا على تحريمه ، أعلمت — جعلت فداك — أن الأوائل كانت تقول : مَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ [ على ] حقيقة مات . فقال : اللهم لا تسمعناه على الحقيقة إذا فتموت . فاستظرفته في هذه اللفظة ، وقدموا إليه الطعام فشغل من ذم الغناء .

قال سعيد بن أبي عروبة : نزل الحجاج في طريق مكة ، فقال لحاجبه : انظر أعرابيا يتغذى معي ، وأسأله عن بعض الأمر ، فنظر الحاجب إلى أعرابي بين شملتين ، فقال : أجب الأمير ، فأتاه ، فقال له الحجاج : إذن فتغذى معي . فقال : إنه دعاني من هو أولى منك فأجبت . قال : ومن هو ؟ قال : الله عز

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في كلتا النسختين : « فالاختلاف » ؛ وسياق الكلام يقتض ما أثبتنا .

وَجَلَّ دُعَايَ إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ، قَالَ : أَيْ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صُمْتُهِ  
لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَنْطِرُ وَصُمُّ غَدًا . قَالَ : إِنْ صُمَمْتُ لِيَ الْبَقَاءِ  
إِلَى غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدُرُ  
عَلَيْهِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْخَبَازَ ؛ وَلَكِنْ الْمَافِيَةَ  
طَيَّبْتَهُ ، وَلَمْ يُفْطِرْ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ .

قَالَ أَعْرَابِي : هَذَا الطَّعَامُ مَطْيَبَةٌ لِلنَّفْسِ ، تَحْسَنَةُ لِلْجِسْمِ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو طَيْفَلَةَ الْجَرْمَازِيُّ<sup>(١)</sup> : قَالَ  
أَعْرَابِيٌّ : صُمَمْتُ رَجُلًا فَأَتَانَا بِخُبْزٍ مِنْ بُرٍّ كَأَنَّهُ مَنَاقِيرُ النَّفْرَانِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَتَانَا  
بِهَمَزٍ كَأَغْنَقِ الْوَرْلَانِ<sup>(٣)</sup> ، يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ .

وَقَالَ آخَرُ : وَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَأْكُلُ بِالتَّيْنِ وَالْقَمْ وَالْيَدِ وَالرَّأْسِ وَالرَّجْلِ :  
لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ اسْمِهِ لَمَا ذَكَرَهُ ، وَلَوْ طَلَعَ وَلَدُهُ الْعَائِبُ عَلَيْهِ مَا عَرَفَهُ :

يَلْعَبُ بِالْخَمْسَةِ فِي قَصْمَةٍ لِعَبِّ أَخِي الشُّطْرَنْجِ بِالشَّاهِ

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : كَانَ الْمُحَسِّنُ الضَّبِّيُّ<sup>(٤)</sup> شَرِيحًا عَلَى الطَّعَامِ ، وَكَانَ  
دُمِيًّا ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ذَاتِ يَوْمٍ : كَمْ عِيَالُكَ ؟ قَالَ : تِسْعُ بَنَاتٍ . قَالَ : فَأَيْنَ مِنْ  
مَنْكَ . فَقَالَ : أَنَا أَحْسَنُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ آكَلُ مِنِّْي ؛ فَضَحِكَ . وَقَالَ : جَازٌ<sup>(٥)</sup>  
مَا سَأَلْتَ لَهِنَّ . وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ [ فَقَالَ ] :

(١) فِي الْأَسْلَ : « الْجَرْمَازِيُّ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) النَّفْرَانُ : جَمْعُ نَفْرَضٍ مَفْتُوحٍ ، وَهُوَ فَرْخُ الصَّفُورِ أَوْ طَائِرٌ يَفْعُهُ .

(٣) الْوَرْلَانُ : جَمْعُ وَرْلٍ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ دَابَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالضَّبِّ .

(٤) فِي (١) الْحَقِيقِيُّ مَكَانَ : « الْمُحَسِّنِ » ، وَفِي (٢) « الْأَلْسِي » مَكَانَ الضَّبِّيِّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) جَازٌ مَا سَأَلْتَ ، أَيْ قَدْ أَمَرْنَا بِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : السَّرُورُ تَوْقِيعُ جَائِزٍ ، أَيْ نَافِذٌ

مَاضٍ ؛ وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « جَاءَ » .



إذا كنت مُرتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ      فَنَادِ<sup>(١)</sup> زِيَادًا أَوْ أَخَا لَزِيَادِ  
يُحِبُّكَ امْرُؤٌ يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ      إِذَا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلِّ جَوَادِ  
وقال سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ :

ثُمَّ أَطْعِمُ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ      أَهْلَ اللَّحْلَةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَادِي<sup>(٢)</sup>  
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَ اغْتِرَابُهُمْ      وَأَرْمَلُوا الزَّادَ أَنِّي مُنْفِدُّ زَادِي  
وقال السَّمَّاحُ بْنُ بَكْرٍ :

وَالسَّالِي الشَّيْزِيُّ<sup>(٣)</sup> لِأَضْيَافِهِ      كَأَنَّهَا أَغْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعِ  
لَا يَخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ      إِلَّا وَهُمْ مِنْ نَسَبِهِ رِوَالُ شِبَاعِ  
أُورِدَ أَعْرَابِيٌّ إِلَيْهِ ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَاءِ أَنْ يُجِيزُوهُ ، وَقَالُوا : إِبْلُكَ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ  
أُورِدْتَ فَشَرِّطْ أَنْ تَقِفَ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ وَتَسْقَى مَا جَاءَكَ مِنْهَا ، وَلَا تُحَاجِزُ<sup>(٤)</sup>  
بِهَا ؛ قَالَ : أَفْعَلُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رُبَّ طَبِيعٍ مَرَجَلٍ مُلْهَوِّجٍ      يَسْلُتُهُ الْقَوْمُ وَلَمَّا يَنْضَجِ  
حُشٌّ<sup>(٥)</sup> بِشَىءٍ مِنْ ضِرَامِ الْعَرَفَجِ<sup>(٦)</sup>  
فَأَنْقَضَتْ الْإِبِلُ كُلَّهَا عَلَى الْمَاءِ فَشَرِبَتْ .

قال الشاعر :

شُرْبُ النَّدِيدِ عَلَى الطَّعَامِ قَلِيلُهُ<sup>(٦)</sup>      فِيهِ الشُّبُّ فَمَاءٌ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ

(١) في (١) : « فبادر » . (٢) الجادى : طالب الجدوى .  
(٣) الشَّيْزِيُّ بكسر الشين وفتح الزاي خشب أسود تصنع منه القصاع . ويريد هنا  
نفس القصاع ؛ وأغضاد الحوض ما شد حوله من البناء . وفي الأصل : « السرى » مكان قوله :  
« الشيزى » ؛ وهو تصحيف . (٤) المحاجزة : المانعة .  
(٥) حش النار : أوقدها ، والعرفج ضرب من النبات سهل سريع الاتقاد وهو من شجر  
البصيف وهو لين أغبر إلى الخضرة له ثمرة خشنة كالحمك وزهره أصفر ولهبه شديد الحمرة  
(٦) في الأصل : « بلية » ؛ وهو تحريف .



وإذا شربت كثيره فكثيره مَرَجَ عَلَيْكَ رَكائبَ الشَّيْطَانِ  
فَتَكُونُ بَيْنَ الضَّاحِكِينَ كَبُومَةٍ غَمَاءَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْغُرَبَانِ  
فَأَحْذَرُ بِجُهْدِكَ أَنْ تُرَى كَجَنِيْبَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ تُفَادُ بِالْأَرْسَانِ  
قال سحرة المصنّف في بعض كتبه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان  
الفارسي : أَنْ اتَّخِذْ لَنَا سُورًا ، أَيْ طَعَامًا كَطَعَامِ الْوَلِيمَةِ ، وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ .  
قال شيخنا أبو سعيد السّيرافي : أَخْطَأَ هَذَا لِلنَّأْوِلِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ سَلْمَانَ اتَّخَذَ لَنَا خَنْدَقًا يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، لِأَنَّهُ حَضَّ (١) عَلَى ذَلِكَ ،  
وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّفْظِ .

وقال جَعْفَرُ بْنُ الْمُؤَسَّسِ فِي وَصْفِ عَصِيدَةٍ :  
وَمَاءَ عَصِيدَةٍ جَمَاءٌ تَحْكِي إِذَا أَبْصَرْتَهَا مَاءَ الْخَلْقِ (٢)  
تَزِلُّ عَنْ الْأَمَةِ تَمْرٌ سَهْلًا وَتَجْرِي فِي الْعِظَامِ فِي الْعُرُوقِ  
قال الحسن بن سهل : أَشْيَاءٌ تَذْهَبُ هَبَاءً ، دِينَ بِلَا عَقْلٍ ، وَمَالٌ بِلَا بَذَلٍ  
وَعِشْقٌ بِلَا وَصْلٍ . فقال حميد : بَقِيَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ بِلَا نَقْلِ (٣) ، وَلَحْصَةٌ بِلَا فَضْلٍ .  
فيل لصوفي : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الْمَوْتُ .  
وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال آ كَلْ حَتَّى يَقَعَ عَلَى الشُّبَاتِ فَأَنَامَ عَلَى  
وَجْهِهِ ، وَتَتَجَانَّى أَطْرَافِي عَنْ الْأَرْضِ .  
وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ أُدْخِلَ إصْبَعِي فِي حَلْقِي فَيَصِلَ  
إِلَى الطَّعَامِ .

(١) فِي الْأَسْلِ : « خَمْسٌ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٢) فِي الْأَسْوَلِ « تَجَلَّى » سَكَانٌ « تَحْكِي » وَ « الْخَلْقُ » مَكَانٌ « الْخَلْقُ » ؛ وَهُوَ

تَحْرِيفٌ . وَالْخَلْقُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ قَوَاهِ الزَّهْفَرَانِ

(٣) النَّقْلُ : مَا يَنْتَقِلُ بِهِ عَلَى الطَّعَامِ .

قال يعقوب : أصبحتُ خائفا : لا أشتهى الطعام . وخُلوْف البطنِ تَغْيَرُهُ .

ويقال : مَفَسَنِي بَطْنِي ، وهو النَّفْس ، ورجل مَمْفُوس .

ويقال : غَمَزَنِي <sup>(١)</sup> بَطْنِي وَمَا سَكَنِي .

والعامة تقول : كُلُّ مَا فِي الْقَدْرِ تُخْرِجُهُ الْمَغْرَقَةُ ، ورجل مُقَرَضِبٌ <sup>(٢)</sup>

وَقَرَضِبٌ <sup>(٣)</sup> وَقَرَضَابٌ <sup>(٤)</sup> إِذَا كَانَ أَكُولًا ، وكذلك السَّيْفُ وَاللَّحْزُ ، قال الشاعر :

وَلَيْسَ يَرُدُّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كُلُّ مَا ضَى الْعَزَائِمُ

ومرَّ ابنُ عامرٍ على عامرِ بنِ عبدِ القيسِ وهو يأْكُلُ بَقْلًا بِمِلْحٍ ، فقال :

لَقَدْ رَضِيتَ بِالْيَسِيرِ . فقال : أَرْضَى مِنِّي بِالْيَسِيرِ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا عِوَضًا

عَنِ الْآخِرَةِ .

(٤) قال عبد الملك بن مروان : لَا تَسْتَاكَنَّ إِلَّا عَرَضًا ، وَلَا تَأْكُلَنَّ إِلَّا عَضًا

وَلَا تَشْرَبَنَّ إِلَّا مَصًّا ، وَلَا تَرْكَبَنَّ إِلَّا نَصًّا <sup>(٥)</sup> ، وَلَا تَعْقِدَنَّ إِلَّا وَصًّا .

ويقال : مَا قَرَّاحٌ ؛ وَخُبْزٌ قَفَّارٌ : لَا أَدَمَ مَعَهُ ، وَسَوِيقٌ جَافٌ ، وَلَبَنٌ

صَرِيحٌ : لَمْ يَخَالِطْهُ شَيْءٌ .

وقال سعيد بن سلمة : شَيْثَانٌ لَا تَشْبَعُ مِنْهُمَا بَيْغَدَادٌ : السَّمَكُ وَالرُّطَابُ .

قال أعرابي : أَكَلْتُ « فِرْسِيكَةً » <sup>(٥)</sup> وَعَلَى خَوْخَةٍ ، فَجَاءَ غَلَامٌ حَزَوْرٌ <sup>(٦)</sup>

فَنَظَرَ حُرَّتِي <sup>(٧)</sup> .

(١) في الأصل : « عمرني » بالعين والراء المهملتين ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : قرضب وقرضب ؛ وما أثبتناه عن كتب اللغة .

(٣) النص : الارتفاح . (٤) في الأصل : « يقدن » مكان « يقدن » ؛ وهو

تحريف . وما أثبتناه هو اللام للوس ، وهو الإحكام في العمل .

(٥) في الأصل : ( الفرشلة ) بالثين المعجمة واللام ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ والتصحيح

والضبط عن المختص . (٦) الحزور : الغلام الذي اشتد وقوى وخدم .

(٧) في الأصل : « حديتي » بالذال ؛ وهو تحريف .

الفَرَسِيكة : الخَوْخَة المقدَّدة . والخَوْخَة : القبيصُ الأخضرُ بطنُ بقرٍ .  
والحرَّةُ<sup>(١)</sup> : الأذن .

قيل لحاتم الأصمَّ : بِمِ رُزِقْتَ الحِكْمَةُ ؟ قال : بِمَخْلَوةِ البطنِ ، وسَخَاوةِ  
النَّفْسِ ، ومكابدةِ اللَّيْلِ .

وقال شقيق البُلخِيّ : العِبَادَةُ حِرْفَةٌ ، وحَابُوتُهَا الغَلَوَةُ ، وآلَتُهَا الجُوعُ .  
قال لُثَمَانُ : إِذَا أُمْتَلَأَتِ الْمِعْدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ،  
وقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وقال عمر : لَوْلَا الْقِيَامَةُ لَشَارَكْنَاكُمْ فِي لَيْلٍ عَيْشِكُمْ .

وقال بعض العرب : أَقِيلَ طَعَامُكَ تَحْمَدُ مَنَامُكَ .

قال يمحى بن مُعَاد : الشَّبَعُ يُكْنَى بِالْكَفْرِ .

وقال غيره : الْجُوعُ يُكْنَى بِالرَّحْمَةِ .

وقال أعرابيٌّ :

تَحَيَّرْتُ مِثْلَ خَيْفَةٍ أَنْ أَضِيفَهَا      كَمَا انْحَاذَتْ الْأَقْمَى نَخَافَةَ ضَارِبٍ  
وَذَكَرَ الْمُهَلَّبُ اللَّحْمَ [ فَقَالَ ] إِذَا التَّقَى الْوَارِدُ وَالنَّابِرُ فَتَوَقَّعِ الْفَسَادَ .

### الليلة الرابعة والثلاثون

وقال الوزيرُ في بعض الليالي : قد والله ضاق<sup>(٢)</sup> صَدْرِي بِالْفَيْظِ لَمَّا يَبْلُغُنِي<sup>(١)</sup>

عن العامة من خَوْضِهَا فِي حَدِيثِنَا ، وَذَكَرِهَا أَمُورُنَا ، وَتَقَبُّمِهَا لِأَسْرَارِنَا ، وَتَقْيِيرِهَا  
عَنْ مَسْكُونِ أَحْوَالِنَا<sup>(٣)</sup> ، وَمَكْتُومِ شَأْنِنَا ، وَمَا أُدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنِّي لَأُؤْمُ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَدِيَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « فَانْسَ » . (٣) فِي (ب) : « أَخْبَارُنَا » .



الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيد وأزجل وتنكيل شديد ، لعل ذلك يطرح  
 الهيبة ويخسب المادة ، ويقطع هذه المادة ، لحام الله ، ما لم لا يقبلون على  
 شؤونهم المهمة ، ومعايشهم النافعة ، وفرائضهم الواجبة ؟ ولم ينقبون عما ليس  
 لهم ، ويرجعون بما لا يجدي عليهم ، ولو حققوا ما يقولون ما كان لهم فيه عائدة  
 ولا فائدة ؛ وإني لأعجب من لهجهم <sup>(١)</sup> وشفقهم بهذا الخلق حتى كأنه من  
 الفرائض المحتومة ، والوظائف المألوفة ؛ وقد تكرر منا الزجر ، وشاع الوعيد ،  
 وفشا الإنكار بين الصغار والكبار ، ولقد تعايى على هذا الأمر وأغلق دؤني  
 بابه ، وتسكأف على حجابيه ، والله المستعان .

قلت : أيها الوزير ، عندي في هذا <sup>(٢)</sup> جوابان : أحدهما ما سمعت من شيخنا  
 أبي سليمان ، وهو من تفوق في الفضل والحكمة والتجربة ومحبة هذه الدولة <sup>(٣)</sup>  
 والشفقة عليها من كل هبة ودبة ؛ والآخر مما سمعته من شيخ صوفي ، و  
 الجوابين فائدتان عظيمتان ، ولكن الجملة خشاء ، وفيها بعض الغلظة ، والحق  
 مرة ، ومن توخى الحق أحتمل مرارته .

قال : فأذكر الجوابين وإن كانا غليظين ، فليس يذنبع بالدواء إلا  
 بالصبر على بشاعته ، وصدود الطبع عن كراهته .

قلت : أما أبو سليمان ، فإنه قال في هذه الأيام : ليس ينبغي لمن كان الله  
 عز وجل جعله سائس الناس : عامتهم وخاصتهم ، وعالمهم وجاهلهم . وضعيفهم  
 وقويهم ، وراجحهم وشائليهم ، أن يضجر مما يبلغه عنهم أو عن واحد منهم  
 لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقولهم ، وحلمه أفضل من حلولهم ،

(١) في (ب) : « بحجم » . (٢) في (ب) : « لهذا » .

(٣) في (١) : « هذه المقالة » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

وَصَبْرَهُ أَنْتُمْ مِنْ صَبْرِهِمْ ؛ ومنها أنهم إنما جُعِلُوا تحت قدرته ، وَنِيطُوا بِتَدْيِيرِهِ ، رَاخِطُوا بِتَضْرِيْعِهِمْ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، لِيَتَقَوَّمَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَيَصْبِرَ عَلَى جَهْلِ جَاهِلِيَّهِمْ ، وَيَكُونَ عِمَادُ حَالِهِ مَعَهُمُ الرِّفْقُ بِهِمْ ، وَالْقِيَامُ بِمَصَالِحِهِمْ ، ومنها أَنَّ التَّلَاقَةَ الَّتِي بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ قُوَّةٌ ، لِأَنَّهَا إِلَهِيَّةٌ ، وَهِيَ أَوْشَجُ مِنَ الرَّحِمِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ ، وَالْمَلِكُ وَالِدٌ كَبِيرٌ ، كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ مَلِكٌ صَغِيرٌ ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الْوَالِدِ فِي سِيَاسَةِ وَلَدِهِ مِنَ الرِّفْقِ بِهِ ، وَالْحُفُوفِ عَلَيْهِ ، وَالرُّفَّةَ لَهُ ، وَاجْتِلَابِ الْمُنْعَمَةِ إِلَيْهِ ، أَكْثَرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْوَلَدِ فِي طَاعَةِ وَالِدِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلَدَ غَرِيْبٌ ، وَقَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْكَوْنِ ، وَجَاهِلٌ بِالْحَالِ ، وَعَارٍ مِنَ التَّجَرُّبَةِ ، كَذَلِكَ الرَّعِيَّةُ الشَّيْبَةُ بِالْوَلَدِ ، وَكَذَلِكَ لِلْمَلِكِ الشَّيْبَةُ بِالْوَالِدِ ؛ وَمَا يَزِيدُ هَذَا الْمَعْنَى كَشْفًا ، وَيُكَسِّبُهُ لُطْفًا ، أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَكُونُ مَلِكًا إِلَّا بِالرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ الرَّعِيَّةَ لَا تَكُونُ رَعِيَّةً إِلَّا بِالْمَلِكِ ، وَهَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَضَايِفَةِ ، وَالْأَسْمَاءِ الْمُتَنَاصِفَةِ ؛ وَبِسَبَبِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الْمُخْصَكَةِ وَالْوُضْعَةِ الْوَشِيْبَةِ ، مَا لَهَجَتِ الْعَامَّةُ بِتَعَرُّفِ حَالِ سَائِسِهَا ، وَالنَّاضِرِ فِي أَمْرِهَا ، وَالْمَالِكِ لَزَامِهَا ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَيَانٍ مِنْ رِقَاقَةِ عَيْشِهَا ، وَطِيبِ حَيَاتِهَا ، وَدُرُورِ مَوَارِدِهَا ، بِالْأَمْنِ <sup>(١)</sup> الْفَاشِي بَيْنَهَا ، وَالْعَدْلِ الْفَاضِ عَلَيْهَا ، وَالْخَيْرِ الْمَجْلُوبِ إِلَيْهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ جَارٍ عَلَى نِظَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ .

قَالَ : وَلَوْ قَالَتِ الرَّعِيَّةُ لِسُلْطَانِهَا : لَمْ لَا نَخْوَضُ فِي حَدِيثِكَ ، وَلَا نَبْتَخِثُ عَنْ غَيْبِ أَمْرِكَ ، وَلَمْ لَا نَسْأَلُ عَنْ دِينِكَ وَنَحْلَتِكَ وَعَادَتِكَ وَسِيرَتِكَ ؟ وَلَمْ لَا نَقِفُ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَمَصَالِحِنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ ، وَخَيْرَاتُنَا مُتَوَقَّعَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِالْأَمْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



من جهتك ، ومسررتنا ملحوظة<sup>(١)</sup> بتدبيرك ، ومساءتنا مضرورة باهتمامك ،  
وتظلمتنا مرفوع بعزك ، ورفاهيتنا حاصلة بحسن نظرك وجميل اعتقادك ،  
وشائع رحمتك ، وبلغ اجتهادك ، ما كان جواب سلطانها وسائسها ؟ أما كان  
عليه أن يعلم أن الرعية مصيبة في دعواها التي بها استطلت ، بلى والله ، الحق  
مُعترف به وإن شغب الشاغب ، وأغنت المغنت .

قال : ولو قالت الرعية أيضاً : ولم لا تبحث عن أمرك ؟ ولم لا تسمع كل  
غث وسمين منا ؟ وقد ملكت نواصيتنا ، وسكنت ديارنا ، وصاдрتنا  
على<sup>(٢)</sup> أموالنا ، وحلت بيننا وبين ضياعنا ، وقاسمتنا مواريتنا ، وأنسيتنا  
رفاعة<sup>(٣)</sup> العيش ، وطيب الحياة ، وطمانينة القلب ، فطرقنا مخوفة ، ومساكننا  
منزولة<sup>(٤)</sup> ، وضياعنا مقطعة ، ونعمنا مسلوبة ، وحرماننا مستباح ، ونقدنا  
زائف ، وخراجنا مضاعف ، ومعاملتنا سيئة ، وجنديتنا متفطرس ، وشرطينا  
منحرف ، ومساجدنا خربة ، ورؤوفها منتهبة ، ومارستاناتنا خاوية ، وأعداؤنا  
مستكلبة ، وعيوننا سخيئة ، وصدورنا مغيظة ، [ وبليتنا متصلة ] ، وفرحنا  
مغدوم ؛ ما كان الجواب أيضاً عما قالت وما لم تقل ، هيبة لك ، وخوفاً على  
أنفسها من سطوتك وصوتك ؟

وحكى لنا في عرض هذا الكلام أنه رُفِعَ إلى الخليفة المفتضد أن طاقة  
من الناس يجتمعون [ بباب الطاق ويجلسون ] في دكان شيخ تبنان ،  
ويخوضون في الفضول والأراجيف وفنون من الأحاديث ، وفيهم قوم سراة

(١) في (ب) : « ملحظة » ؛ وهو تحريف . (٢) في (أ) : « عن أموالنا » .

(٣) في (ب) : « رفاعة » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف ؛ ورفاعة العيش : خفضه ولينه .

(٤) في (ب) : « ومنازلنا مسكونة » .



وَتَنَاءٌ<sup>(١)</sup> وَأَهْلُ بُيُوتَاتٍ سِوَى مَنْ يَسْتَتِرُقِ السَّمْعَ مِنْهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ ، وَقَدْ تَفَاقَمَ فَسَادُهُمْ وَإِفْسَادُهُمْ ، فَلَمَّا عَرَفَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ ضَاقَ ذَرْعًا ، وَحَرَجَ صَدْرًا ، وَأَمْتَلَأَ غَيْظًا ، وَدَعَا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَرَمَى بِالرَّقِيعَةِ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْظِرْ فِيهَا وَتَفَهَّمْهَا . فَقَعَلَ ، وَشَاهَدَ مِنْ تَرَبُّدِ<sup>(٣)</sup> وَجْهِ الْمُعْتَصِدِ مَا أَرْعَجَ سَاكِنَ صَدْرِهِ ، وَشَرَّدَ آيَةَ صَبْرِهِ ، وَقَالَ : قَدْ فَهَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَا الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : تَتَقَدَّمُ بِأَخْذِهِمْ وَصَلْبِ بَعْضِهِمْ وَإِحْرَاقِ بَعْضِهِمْ وَتَفْرِيقِ بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ ، كَانَ الْهَوْلُ أَشَدَّ ، وَالْمُيَبَّةُ أَفْشَا ، وَالزُّجْرُ أَنْجَعُ ، وَالْعَامَّةُ أَخْوَفُ . فَقَالَ الْمُعْتَصِدُ — وَكَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْوَزِيرِ — : وَاللَّهِ لَقَدْ بَرَّذْتُ لَهَيْبَ غَضَبِي<sup>(٤)</sup> بِفُورَتِكَ هَذِهِ ، وَنَقَلْتُ إِلَى اللَّيْنِ بَعْدَ الْغِلْظَةِ ، وَحَمَطْتُ عَلَى الرَّفْقِ ، مِنْ حَيْثُ أَسْرَفْتُ بِالْخَرْقِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَجِيزُ هَذَا فِي دِينِكَ وَهَذِيكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُكَ بِبَعْضِ مَا رَأَيْتَ بِعَقْلِكَ وَحَزَمِكَ لَكَانَ مِنْ حُسْنِ الْمُوَازَرَةِ وَمَبْذُولِ النَّصِيحَةِ وَالنَّظَرِ لِلرَّعِيَّةِ الضَّعِيفَةِ الْجَاهِلَةِ أَنْ تَسْأَلَنِي<sup>(٥)</sup> الْكَفَّ عَنْ الْجَهْلِ ، وَتَبْعَثَنِي عَلَى الْحِلْمِ ، وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الصَّفْحَ وَتُرَغِّبَنِي فِي فَضْلِ الْإِغْضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ سَاءَنِي جَهْلُكَ بِحُدُودِ الْعِقَابِ وَبِمَا تُقَابِلُ بِهِ هَذِهِ الْجَرَائِرَ ، وَبِمَا يَكُونُ كُفًّا لِلذُّنُوبِ ، وَلَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ بِهَذَا الرَّأْيِ وَدَلَلْتَ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَقِلَّةِ الرَّحْمَةِ وَبُيُوسِ الطَّيْنَةِ وَرِقَّةِ الدِّيَانَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ وَدِيعَةَ اللَّهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا ؟ وَأَنَّ اللَّهَ يُسَائِلُهُ عَنْهَا كَيْفَ مُسْتَهَا ؟ وَلَعَلَّهُ

(١) التناء : الدهاقين والرؤساء .

(٢) الرقعة : الرقعة المرفوعة .

(٣) في كلتا النسختين : « من يريد » ؟ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) : « لهيب غيظي بحسوتك » ؟ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في (١) : « على » ، ولم يظهر منها في (ب) إلا نون ويا ، وسائرهما مطبوس .

لَا يَسْأَلُهَا عَنْهُ ، وَإِنْ سَأَلَهَا فَلْيُؤْكَدِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ أَلَا تَذَرِي أَنَّ أَحَدًا مِنْ  
الرَّعِيَّةِ لَا يَقُولُ مَا يَقُولُ إِلَّا لَظْمَ لِحِقَّةٍ أَوْ لَحِقَ جَارِهِ <sup>(١)</sup> ، وَدَاهِيَةَ نَالَتَهُ أَوْ نَالَتْ  
صَاحِبَهَا ؟ وَكَيْفَ نَقُولُ لَهُمْ : كُونُوا صَالِحِينَ أَتَقْبِلُونَ عَلَى مَعَاشِكُمْ ، غَيْرَ  
خَائِضِينَ فِي حَدِيثِنَا ، وَلَا سَائِلِينَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي كَلَامِهَا : غَلَبْنَا  
السُّلْطَانَ فَلَيْسَ فَرَوْتَنَا ، وَأَكَلْ خُضْرَتَنَا ، وَحَقَّقُ الْمَلُوكَ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفٌ ،  
وَإِنَّمَا يُحْتَمَلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَكَالُفِهِ ، وَمَكَارِهِ تَصَارِيْفِهِ ، إِذَا كَانَ الْعَيْشُ فِي  
كَنْفِهِ رَافِقًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ قَوِيًّا ، وَالصَّدْرُ عَلَيْهِ بَارِدًا ، وَالْقَلْبُ مَعَهُ سَاكِنًا ،  
أَتُظَنُّ أَنَّ الْعَمَلَ بِالْجَهْلِ يَنْفَعُ ، وَالْعُذْرَ بِهِ يَسَعُ ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ ،  
وَلَا الصَّوَابُ مَا ذَكَرْتُ ، وَجَنَّةُ صَاحِبِكَ وَابْسُكُنْ ذَاخِرَةَ وَرِيقُ ، وَمَعْرُوفًا  
بِخَيْرٍ وَصِدْقٍ ، حَتَّى يَعْرِفَ حَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَيَقِفَ عَلَى شَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي  
مَعَاشِهِ ، وَقَدَرِ مَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ وَمُنْقَلِبٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ فَعَلَّقَهُ  
بِهِ ، وَمَنْ كَانَ سَيِّئُ الْحَالِ فَصَلَّهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يُعِيدُ نَضْرَةَ حَالِهِ ، وَيُفِيدُهُ  
طُمَأْنِينَةً بِهِ ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الرَّهْطِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ مَكْنِيٌّ ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُهُ إِلَى  
دُكَّانِ هَذَا التُّبَّانِ الْبَطْرُ وَالزَّهْوُ ، فَادْعُ بِهِ ، وَأَنْصَحْهُ ، وَلَا طِفْهُ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ  
لَكَ ظَنًّا مَسْمُوعًا ، وَكَلَامًا مَرْفُوعًا ؛ وَمَتَى وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُنْهِ ذَلِكَ  
مِنْكَ لَمْ تَجِدْكَ إِلَّا فِي عَرَصَةِ الْمَقَابِرِ ، فَاسْتَأْنِفْ لِنَفْسِكَ سِيرَةً تَسْلُمُ بِهَا مِنْ <sup>(٢)</sup>  
سُلْطَانِكَ ، وَتُحَمَّدُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِخْوَانِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ عِظَةً لِفَيْرِكَ  
بَعْدَ مَا كَانَ غَيْرُكَ عِظَةً لَكَ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الْأَخْذَ بِالْجَرِيرَةِ الْأُولَى مُخَالِفٌ لِلْسَّيْرِ  
لِلثَلَى ، لَسَكَانَ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ مَا تَرَاهُ ، وَمَا تَرَاهُ تَوَدُّ أَنَّكَ لَوْ سَمِعْتَهُ قَبْلَ أَنْ

(١) فِي كَلَامِ النَّسَخِيِّينَ : « دَارَةٌ » بِالذَّالِ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « عَلَى » مَكَانَ « مِنْ » ؟ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .



تراه . فإنك يا عبید الله إذا فعلت ذلك فقد بالغت في العتوبة ، وملكت طرفي  
للمصلحة ، وقمت على سواء السياسة ، ونجوت من الحوب والمأثم في العاقبة .  
قال : وفارق الوزير حَضْرَةَ [ الخليفة ] ، وعمل بما أَسْرَبَ به على الوجه  
اللطيف ، فعادت الحال ترف بالسلامة العامة ، والعافية العامة ؛ فنقدم إلى الشيخ  
التَّبان برفع حال من يقعدُ عنده حتى يواسى إن كان مُحْناجًا ، ويُصرف إن  
كان متعطلاً ، ويُنصح إن كان متعطلا .

فقال الوزير : ما سمعتُ مثلَ هذا قط ، وما ظننتُ أن الخطب في مثل هذا  
يبلغُ هذا القدر ؛ فهاتِ الجوابَ الآخرَ الذي حفظته عن الصوفي . فقلت : إن  
كان هذا كافياً فإن ذلك فضل .

فقال : هكذا هو ، وإن فيما مرَّ لكفاية ، وما يزيد على الكفاية ، ولكن  
الزيادة من العلم داعيةٌ إلى الزيادة من العمل ، والزيادة من العمل جالبةٌ  
الانتفاع بالعلم ، والانتفاع بالعلم دليلٌ على سعادة الإنسان ، وسعادة الإنسان  
مقسومةٌ على اقتباس العلم والتماس العمل ، حتى يكون بأحدهما زارعاً ، وبالأخر  
حاصداً ، وبأحدهما تاجراً ، وبالأخر راجحاً .

فوصلت الحديث وقلت : حدثني شيخ من الصوفية في هذه الأيام قال : كنتُ  
بنيسابور سنة سبعين وثلثمائة ، وقد اشتعلت خراسان بالفتنة ، وتبللت دولة  
آل سامان بالجور وطول المدة ، فلجأ محمد بن إبراهيم صاحب الجيش إلى قايين<sup>(١)</sup> ،  
وهي حصنه ومعقله ، وورد أبو العباس صاحب جيش [ آل ] سامان نيسابور  
بمعدة عظيمة ، وعدة عميمة ، وزينة فاخرة ، وهيئة باهرة ، وغلا السفر ،

(١) قايين : بلد قريب من طبرستان ، بين نيسابور وأصفهان ؛ وهي فرقة خراسان .



وأخيفت الشُّبُل ، وكَثُرَ الإِرْجَافُ ، وساءتِ الظُّنُونُ ، وضجَّتِ العائمة ، والتَّسَّ  
الرأى ، وأنْقَطَعَ الأملُ ، ونَبَحَ كَلْبٌ كَلْبٌ من كلِّ زاوية ، وزأَرَ كُلُّ أَسَدٍ  
من كلِّ أجمة ، وضَبَحَ كُلُّ ثَغْلَبٍ مِنْ كُلِّ تَلْمَةٍ .

قال : وكُنَّا جماعةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إلى دُورَةٍ<sup>(١)</sup> الشُّوقِيَّةِ لَا تُبْرِحُهَا ، فتارةً  
نَقْرَأُ ، وتارةً نُصَلِّي ، وتارةً نَنَامُ ، وتارةً نَهْدِي ، والجُوعُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ ، ونَحْوُضُ  
في حديثِ آلِ سامان ، والواردِ مِنْ جِهَتِهِمْ إلى هَذَا الْمَسْكَانِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى  
السَّيَاحَةِ لِأَسْدَادِ الطَّرِيقِ ، وَتَخَطُّفِ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولِ الْخَوْفِ ، وَغَلَبَةِ  
الرُّغْبِ ، وَكَانَ الْبَلَدُ يَتَّقِدُ نَارًا بِالشُّوَالِ وَالتَّعَرُّفِ وَالإِرْجَافِ بِالصَّدَقِ  
وَالكَذِبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالْمَوَى وَالْعَصْبِيَّةِ ؛ فَضَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبِلَتْ سَرَائِرُنَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْتَوَلَى عَلَيْنَا الْوَسْوَاسُ ، وَقَلْنَا لَيْلَةً : مَا تَرَوْنَ يَا صِاحِبَانَا<sup>(٣)</sup> [ مَا ] دَفَعْنَا إِلَيْهِ  
مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْكَرِيهَةِ ، كَأَنَّا وَاللَّهِ أَصْحَابُ نَعْمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ  
عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وِلَايَةِ زَيْدٍ ، وَعَزَلِ عَمْرٍو ، وَهَلَاكِ بَكْرِ ،  
وَنَجَاةِ بَشَرٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَسِيرَةِ ، وَهَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ ،  
بِكُسْرَةٍ يَابِسَةٍ ، وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ مَعَ الْعَاقِبَةِ مِنْ بَلَايَا  
مُطْلَبِ الدُّنْيَا . فَا هَذَا [ الَّذِي ] يَغْتَرِينَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا  
نَاقَةٌ وَلَا تَجَمُّلٌ ، وَلَا حَظٌّ وَلَا أَمَلٌ ، قَوْمُوا بِنَا غَدًا حَتَّى نَزُورَ أَبَا زَكْرِيَاءَ الزَّاهِدَ ،  
وَنَظْلَ نَهَارَتَنَا عِنْدَهُ لَاهِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ ؛ فَاتَّفَقَ  
رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَفَدَوْنَا<sup>(٤)</sup> وَصَرْنَا إِلَى أَبِي زَكْرِيَاءَ الزَّاهِدِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا رَحَّبَ

(١) في نسخة « ورة » مكان « دورية » . والوتر : ما وتر بالأعمدة من البيوت .

(٢) في (ب) : « أفسنا » . (٣) في كلتا النسخين : « بأصحابنا دفننا » ؛ وفي

(ب) بين قوله « بأصحابنا » وقوله « دفننا » فراغ يسع كلمة ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا

إذ هو مقتضى السياق . (٤) في (ب) : « فسرنا » مكان قوله « ففدونا » .

بنا ، وفَرِحَ بِزِيَارَتِنَا ، وقال : ما أَشَوْقَنِي إِلَيْكُمْ <sup>(١)</sup> ، وما أَلْهَفَنِي <sup>(٢)</sup> عَلَيْكُمْ ! الحمد لله الذي جَمَعَنِي وَإِيَّاكُمْ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ ، حَدَّثُونِي مَا الَّذِي سَمِعْتُمْ ، وماذَا بَلَغَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ ، وَأَمْرُ هَؤُلَاءِ السَّلَاطِينِ ؟ فَرَجُّوا عَنِّي ؛ وَقُولُوا لِي مَا عِنْدَكُمْ ، فَلَا تَكْتُمُونِي شَيْئًا فَمَالِي وَاللهَ سَرَعَنِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَّا مَا أَتَصَلَّ بِمَحْدِيثِهِمْ ، وَأَقْتَرَنَ بِمُخْبَرِهِمْ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الْعَابِدِ مَا وَرَدَ ، دُهِشْنَا وَأَسْتَوَّ حَشْنَا ، وَقَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا انظُرُوا مِنْ أَى شَيْءٍ هَرَبْنَا <sup>(٣)</sup> ، وَبَأَى شَيْءٍ عَلِقْنَا ، وَبَأَى دَاهِيَةً دُهِينَا . قال : فَخَفَّفْنَا الْحَدِيثَ وَأَنْسَلْنَا ، فَلَمَّا خَرَجْنَا قَلْنَا : أَرَأَيْتُمْ مَا بُلِينَا بِهِ ، وَمَا وَقَعْنَا عَلَيْهِ ؟ ( إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ) . مِيلُوا بِنَا إِلَى أَبِي عَمْرٍو الزَّاهِدِ فَلَهُ فَضْلٌ وَعِبَادَةٌ وَعِلْمٌ وَتَقَرُّدٌ فِي صَوْمَعَتِهِ حَتَّى تُنْقِمَ عِنْدَهُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، قَدْ نَبَا بِنَا الْمَسْكَنُ الْأَوَّلُ ، وَبَطَلَ قَصْدُنَا فِيمَا عَزَمْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَشِينَا إِلَى أَبِي عَمْرٍو الزَّاهِدِ وَأَسْتَأْذَنَّا ، فَأَذِنَ لَنَا ، وَوَصَلْنَا إِلَيْهِ فَسُرَّ بِحُضُورِنَا ، وَهَشَّ لِرُؤُوسِنَا ، وَأُبْتَهَجَ بِقَصْدِنَا ، وَأَعْظَمَ زِيَارَتِنَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَصْحَابَنَا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ ؟ فَقَدْ وَاللهَ طَالَ عَطَشِي إِلَى شَيْءٍ أَسْمَعُهُ ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ الْيَوْمَ أَحَدٌ فَأَسْتَخْبِرَهُ ، وَإِنْ أُذِنِي لَدَى الْبَابِ لِأَسْمَعَ قَرْعَةً أَوْ أَعْرِفَ حَادِثَةً ، فَهَاتُوا مَا مَعَكُمْ وَمَا عِنْدَكُمْ ، وَقُصُّوا عَلَيَّ الْقِصَّةَ بِقَصِّهَا وَنَعْسَهَا ، وَدَعُّوا التَّوَرِيَّةَ وَالْكِنَايَةَ ، وَأَذْكُرُوا الْفَتْ وَالْتِمِينَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ هَكَذَا يَطِيبُ ، وَلَوْلَا الْعَظْمُ مَا طَابَ الْأَحْمُ ، وَلَوْلَا النَّوَى مَا حَلَا التَّمْرُ ، وَلَوْلَا الْقِشْرُ لَمْ يَوْجَدْ الْأَبُ ، فَعَجَبْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ عَجَبِنَا مِنَ الزَّاهِدِ الْأَوَّلِ ، وَخَاطَفْنَا الْحَدِيثَ ،

(١) فِي (ب) : « إِلَى زِيَارَتِكُمْ » . (٢) فِي (ب) : « وَالْهَنَى » .

(٣) وَرَدَ فِي (١) مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بَاءٌ وَنُونٌ بَعْدَهَا أَلِفٌ . وَفِي (ب) لَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا

إِلَّا هَاءٌ وَنُونٌ وَأَلِفٌ ؛ وَالسِّيَاقُ يَتَضَعُ مَا أَتَيْنَا .



وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَرَجْنَا ، وَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ أَظْرَفَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَغْرَبَ مِنْ شَأْنِنَا ؟ انْظُرُوا مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ تَعْرِيجُنَا ( إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ مُعْجَابٌ ) وَتَلَدُّدُنَا وَتَبَلُّدُنَا وَقَلْنَا يَا أَسْحَابُنَا : أَنْطَلِقُوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الضَّرِيرِ ، وَإِنْ كَانَ مَضْرِبُهُ <sup>(١)</sup> بَعِيدًا فَإِنَّا لَا نَجِدُ سَكُونَنَا إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا نَنْظُرُ بَضَائِقَنَا إِلَّا عِنْدَهُ ، لَزُهِدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَشُغْلِهِ بِنَفْسِهِ مَعَ زَمَانَتِهِ فِي بَصَرِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَقَلَّةِ فِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ؛ وَطَوِينَا الْأَرْضَ إِلَيْهِ ، وَدَخْلَنَا عَلَيْهِ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَآئِهِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَمَّا سَمِعَ بِنَا أَقْبَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِّنَّا يَلْسُهُ بِيَدِهِ وَيُرَحِّبُ بِهِ ، وَيَدْعُو لَهُ وَيَقْرُبُ ، فَلَمَّا أَنْتَهَى أَقْبَلَ عَلَيْنَا [ وَقَالَ ] : أَمِنَ السَّمَاءُ نَزْلَتِي عَلَى ؟ وَاللَّهُ لَسَكَّانِي قَدْ وَجَدْتُ بِكُمْ مَأْمُولِي ، وَأَحْرَزْتُ غَايَةَ سُؤْلِي ، قُولُوا لِي غَيْرَ مُخْتَشِمِينَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؟ وَمَا عَزَمَ [ عَلَيْهِ ] هَذَا الْوَارِدُ ؟ وَمَا يُقَالُ فِي أَمْرِ ذَلِكَ الْهَارِبِ إِلَى قَائِلِينَ ، وَمَا الشَّائِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ ؟ وَمَا الَّذِي يَتَهَمَسُ بِهِ نَاسٌ دُونَ نَاسٍ ؟ وَمَا يَقَعُ فِي هَوَاجِسِكُمْ وَيَسْتَبِقُ إِلَى نَفُوسِكُمْ <sup>(٢)</sup> ؟ فَإِنَّكُمْ بُرُدُ الْآفَاقِ ، وَجَوَالَةِ الْأَرْضِ ، وَلَقَاطَةِ الْكَلَامِ ، وَيَنْسَاقُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَقْطَارِ مَا يَتَعَذَّرُ عَلَى عِظَاءِ الْمُلُوكِ وَكِبَرَاءِ النَّاسِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ مَا أَنْسَى الْأَوَّلَ وَالثَّانِي ، وَمَا زَادَ فِي عَجَبِنَا أَنَّا كُنَّا نَعُدُّهُ فِي طَبَقَةٍ فَوْقَ طَبَقَاتِ جَمِيعِ النَّاسِ فَخَفَّفْنَا الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَلَسْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَفِقْنَا نَتَلَاوَمُ عَلَى زِيَارَتِنَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ ، وَظَهَرَ لَنَا مِنْ حَالِهِمْ ، وَازْدَرَيْنَاهُمْ ، وَأَنْقَلَبْنَا مَبْجُوجِينَ إِلَى دُورَتِنَا الَّتِي غَدَرْنَا مِنْهَا مُسْتَطَرِّقِينَ كَالْأَيْنِ ، فَلَقِينَا فِي الطَّرِيقِ شَيْخًا مِنَ الْحُكَمَاءِ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَاصِمِيُّ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ قَدْ شَحَنَهُ بِعِلْمِنَا

(١) يريد بمضربه بيته ، مستعار من مضرب الحياض .  
(٢) ن (ب) : د إلى قلوبكم ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .



وإشارتنا ، وكان من الجوّالين الذين نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأَمْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ ؛ فَقَالَ لَنَا : مَنْ أَيْنَ دَرَجَتُمْ ؛ وَمَنْ قَصَدْتُمْ . فَأَجْلَسْنَا فِي مَسْجِدٍ ، وَعَصَبْنَا حَوْلَهُ ، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِ قِصَّتَنَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَلَمْ نَحْذِفْ مِنْهَا حَرْفًا . فَقَالَ لَنَا : فِي طَيِّ هَذِهِ الْحَالِ الطَّارِئَةِ غَيْبٌ لَا تَقِفُونَ عَلَيْهِ ، وَسِرٌّ لَا تَهْتَدُونَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا غَرَّكُمْ ظَنُّكُمْ بِالزَّهَادِ ، وَقَلْتُمْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ [ عَنْهُمْ كَالْخَيْرِ ] عَنْ الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُمْ الْخَاصَّةُ ، وَمِنْ الْخَاصَّةِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ، لِأَنَّهُمْ بِاللَّهِ يَلُودُونَ ، وَإِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، وَمَنْ أَجَلُهُ يَتَهَالَسُ كَوْنَهُ ، وَبِهِ يَتِمَّ الْكَوْنُ .

قُلْنَا لَهُ : فَإِنْ رَأَيْتَ يَا مُعَلِّمُ الْخَيْرِ أَنْ تَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْغِطَاءَ ، وَتَرْفَعْ لَنَا السُّتْرَ ، وَتَعْرِفَنَا مِنْهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ ، لَنَكُونَ شَاكِرِينَ ، نَكُونَ مِنَ الْمَشْكُورِينَ . فَقَالَ : نَعَمْ ، أَمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَلْهَجُ بِمَحْدِثِ كِبَرَائِهَا سَامِعَةً لِمَا تَرْجُو مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْحَيَاةِ وَسَعَةِ الْمَالِ وَدُرُورِ الْمَنَافِعِ وَأَتِّصَالِ جَلَبِ وَنَفَاقِ السُّوقِ وَتَضَاعُفِ الرُّبْحِ ؛ فَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَارِفَةُ بِاللَّهِ ، الْعَامِلَةُ لِلَّهِ ، فَإِنَّهَا مُؤَلَّاةٌ أَيْضًا بِمَحْدِثِ الْأُمْرَاءِ ، وَالْجَبَّارَةِ الْعِظَاءِ ، لَتَقِفَ عَلَى تَصَارِيفِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَجَرَْيَانِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ ، وَنُفُوزِ مَشِيئَتِهِ فِي تَحَابُّهِمْ وَمَسْكَرِهِمْ فِي حَالِ النِّعْمَةِ <sup>(١)</sup> عَلَيْهِمْ ، وَالْأَنْتِقَامِ مِنْهُمْ ، أَلَا تَرَوْنَهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ : ( حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ) ، وَبِهَذَا الْاِعْتِبَارِ يَسْتَنْبِطُونَ خَوَافِي حِكْمَتِهِ ، وَيَطْلَعُونَ عَلَى تَتَابُعِ نِعْمَتِهِ وَغَرَائِبِ نِقْمَتِهِ ، وَهَاهُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ زَائِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ غَيْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ حَائِلٌ ،

(١) فِي كِلْتَا النِّسْخَتَيْنِ : « النِّعْمَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَيَصِيرُ هَذَا كُلُّهُ سَبِيلاً قَوِيّاً لَمْ يَفِضْ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّيَازِ بِاللَّهِ ، وَالْخُشُوعُ  
لِلَّهِ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ ، وَيَتَّبِعُونَ بِهِ مِنْ حِرَانِ الْإِبَاءِ ، إِلَى أَنْقِيَادِ الْإِجَابَةِ ،  
وَيَتَنَبَّهُونَ مِنْ رَقْدَةِ النِّقَلَةِ ، وَيَكْتَبِحُونَ بِالْيَقَظَةِ مِنْ سِنَّةِ السَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ ،  
وَيَجِدُّونَ فِي أَخْذِ الْعَتَادِ ، وَكَتْسَابِ الزَّادِ إِلَى الْمَادِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْخُلَاصِ مِنْ  
هَذَا الْمَكَانِ الْخَرِجِ بِالْمَسْكَارَةِ ، الْخُفُوفِ بِالرَّزَايَا ، الَّذِي لَمْ يُفْلِحْ فِيهِ أَحَدٌ  
إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَدَمَهُ وَتَلَّاهُ ، وَهَرَبَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى مَحَلٍّ لَا دَاءَ فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ ؛  
سَاكِنُهُ خَالِدٌ ، وَمَقِيمُهُ مُطْمَئِنٌّ ، وَالْفَائِزُ بِهِ مَنْعَمٌ ، وَالوَاصِلُ إِلَيْهِ مَكْرَمٌ ، وَبَيْنَ  
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَفِي غَيْرِهَا فَرْقٌ يَضِحُّ لِمَنْ رَفَعَ اللَّهُ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ،  
وَفَتَحَ بَابَ السِّرِّ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَتَشَابَهُ الرَّجُلَانِ فِي فِعْلٍ ، وَاحِدُهُمَا مَذْمُومٌ ،  
وَالْآخَرُ مَحْمُودٌ ، وَقَدْ رَأَيْنَا مُصَلِّياً إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ،  
وَأَخْرَجَ إِلَى جَانِبِهِ أَيْضاً يَصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ فِي طَرَفٍ<sup>(١)</sup> مَا فِي كُفٍّ الْآخَرِ ، فَلَا تَنْظُرُوا  
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصِلُوا بِنَظَرِكُمْ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَإِنَّ الْبَاطِنَ  
إِذَا وَاطَأَ الظَّاهِرَ كَانَ تَوَحُّداً ، وَإِذَا خَالَفَهُ إِلَى الْحَقِّ كَانَ وَحْدَةً ، وَإِذَا خَالَفَهُ  
إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ ضَلَالَةً ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ مُرْتَبَةٌ لِأَصْحَابِهَا ، وَمَوْقُوفَةٌ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛  
لَيْسَ لَغَيْرِ أَهْلِهَا فِيهَا نَفْسٌ ، وَلَا لِغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا مِنْهَا قَبَسٌ .

قال الشيخ الصوفي : فوالله ما زال ذلك الحكيم يحشو آذاننا بهذه  
وما أشبهها ، ويملاً صدورنا بما عنده حتى سررنا<sup>(٢)</sup> وأنصرفنا إلى متعشنا وقد  
استفدنا على يأسٍ منّا فائدة عظيمة لو تمنيناها بالغرْمِ الثَّيْلِ والسَّحَى الطَّوِيلِ  
لَكَانَ الرَّبْحُ مَعَنَا ، وَالزِّيَادَةُ فِي أَيْدِينَا .

(١) الطر : الاستلال .

(٢) في كلتا النسختين : « سعدنا » .



فلما سمع الوزيرُ هذا عَجِبَ وقال : لا أدري : أكلامُ أبي سُليمانَ في ذلك الاحتجاجِ أبلغُ ، أم الحكايةُ عن المُقْتَضِدِ أَشْفَى ، أم روايةُ الشيخِ الصوفيِّ أطرفُ ، وما عَلِمْتُ أَنَّ في البَحْثِ عن سِرِّ الإِرْجافِ هذه اللَّطِيفَةَ الخَفِيَّةَ ، وهذه الحِجَّةَ الجَلِيَّةَ ، وكُنْتُ أرى أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لَا يَرْتَجِعُونَ إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَتَصِيبُ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَهْذُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنْ بِنَاءُ أَمْرِهِمْ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالْجَهْلِ .

فقلتُ : لو جُمِعَ كَلَامُ أَنتَهُمِمْ وَأَعْلَامِهِمْ لَزَادَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ وَرَقَةٍ عَمَّنْ تَقَفُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ التَّقَارِيَةِ ، سِوَى مَا عِنْدَ قَوْمٍ آخَرِينَ لَا نَسْمَعُ بِهِمْ ، وَلَا يَبْلُغُنَا خَبَرُهُمْ . قَالَ : فَأَذْكُرُ لِي جَمَاعَةً مِنْهُمْ . قلتُ : الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْعَالِمُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدِ الْمُحَاسِنِيِّ ، وَرُوَيْمٌ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ ، وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ ، وَأَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ ، وَالْفَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ وَهُوَ يَقُولُ : إِلَى مَتَى تُرَدِّدُنِي فِي سِكَكِ الْمَوْصِلِ ، أَمَا أَنَّ لِاحْيَبِّبٍ أَنْ يَلْتَقِيَ حَبِيبَهُ ؟ فَمَاتَ بَعْدَ جُمُعَةٍ .

فقال : هَذَا عَجَبٌ . وَلَقَدْ مَرَّ فِي هَذَا الْفَنِّ مَا كَانَ فَوْقَ حُسْبَانِي وَأَكْثَرُ مِمَّا كَانَ<sup>(٢)</sup> فِي ظَنِّي ، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ حَقِيرٍ يُطْلَعُ مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ .

وقال : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ؛ فَأَنشَدْتُهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

رَجَمْتُ عَلَى السَّغِيهِ بِفَضْلِ خَلِيٍّ      وَكَانَ تَحَلَّمِي عَنْهُ لِحَاجًا  
وظَنُّ بِي السَّافَاهَةِ فَلَمْ يَجِدْنِي      أَسَافُهُ وَقَلْتُ لَهُ : سَلَامًا

(١) عمن تقف ، أى مرويّة من تقف ، وفي كلتا النسختين على ما تقف ، وقوله على هنا لا ملقضى له .

(٢) في (ب) : « وأكثر مما دار في خلدي » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .



فَقَامَ يَجْرُؤُ رِجْلَيْهِ ذَلِيلًا      وَقَدْ كَسَبَ الْمَذَلَّةَ وَالْمَلَامًا  
وَفَضْلُ الْحِلْمِ أَبْلَغُ فِي سَفِيهِ      وَأُخْرَى أَنْ يَنَالَ بِهِ أُنْتِقَامًا

(٣) قال : ما أعجب أمر العرب ، تأمرُ بالحلم مرةً ، والصبر والكظم مرةً ، وتَحُثُّ بعد ذلك على الانتصاف وأخذ الثأر ، وتَذمُّ السفه وقمع العدو ! وهكذا شأنها في جميع الأخلاق ؛ أعني أنها رُبَّمَا حَضَّتْ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالرِّضَا بِالْمَيْسُورِ ، وَرُبَّمَا خَالَفَتْ هَذَا ، فَأَخَذَتْ تَذَكُّرُ أَنْ ذَلِكَ فَسَالَةٌ وَنُقْصَانُ هِمَّةٍ وَلِينُ عَرِيكَةٍ وَمَهَانَةُ نَفْسٍ ؛ وَكَذَلِكَ أَيْضًا تَحُثُّ عَلَى الْبَسَالَةِ<sup>(١)</sup> وَالْإِقْدَامِ وَالْأَنْتِصَارِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْجَسَارَةِ ؛ وَرُبَّمَا عَدَلَتْ<sup>(٢)</sup> إِلَى أَضْدَادِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا وَالضَّرَائِبِ وَالْأَحْوَالِ ؛ فِي أَوْقَاتٍ يَحْسُنُ فِيهَا بَعْضُهَا ، وَيَقْبَحُ بَعْضُهَا ، وَيُعْذَرُ صَاحِبُهَا فِي بَعْضِهَا ، وَيُلَامُ فِي بَعْضِهَا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبَائِعَ مُخْتَلِفَةً ، وَالْقَرَائِنَ<sup>(٣)</sup> مُتَعَادِيَةً ، فَهَذَا يَمْدَحُ الْبُخْلَ فِي عُرْضِ الْحَزْمِ ، وَهَذَا يَحْمَدُ<sup>(٤)</sup> الْأَقْتِسَادَ فِي بُحْلَةِ الْأَحْتِيَاظِ ، وَهَذَا يَذُمُّ الشَّجَاعَةَ فِي عُرْضِ طَلَبِ السَّلَامَةِ ؛ وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ يَحْسُنُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَسْكَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ، بَلْ لَسَكَلْ ذَلِكَ وَقْتُ وَحِينٌ وَأَوَانٌ .

قال : وَلَعَمْرِي إِنَّ الْقِيَامَ بِحَقَائِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَخُدُودِهَا صَعْبٌ ، لِأَنَّهَا لَا تَوْجِدُ إِلَّا مُتَلَابِسَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، وَتَخْلِيصُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِحَدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ وَوُزْنِهِ مِمَّا يَنْفُوتُ ذَرَعَ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ الْمُنَّةِ ، الْمُنْتَهِي الطَّيْنَةِ .

قال : وَمِنْهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَالَ لِلْإِسْكَندَرِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرِذْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ ،

(١) نِي (١) : « الْفَسَالَةُ » ؛ وَفِي (ب) : الْفَسَالَةُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ .

(٢) نِي (ب) : « عَمِدَتْ » .

(٣) نِي (١) : « وَالْقَرَائِنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) نِي (١) : « يَمْدَحُ » ؛ وَهُوَ تَكَرُّارٌ مَعَ مَا سَبَقَ .

ولا تُرِدُ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ ؛ ولو قَلَبَ عَلَيْهِ قَالِبٌ فَقَالَ : لا ، «ولسكن أريد رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ ، ولا تُرِدُ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ» ، لَكَانَ الْفَضْلُ وَاقِعًا ، وَالذَّغْوَى قَائِمًا .  
وكان يُحْكِي عن أعرابيٍ حَدِيثَ مُضْعِكٍ : قيل لأعرابي : أتريد أن تُصَابَ في مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ ؟ فقال : لا ، ولكني أُحِبُّ<sup>(١)</sup> أن تُصَابُ الْأُمَّةُ في مَصْلَحَتِي .

قال : وليس يجوز أن يكون الناسُ مُخْتَلِفِينَ في ظَاهِرِهِم بِالصُّوَرِ وَالْخُلَى حَقِ يُعْرِفُ بِهَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو ، وَبَكْرٌ مِنْ خَالِدٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ في بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَذَا مَطْبُوعًا عَلَى الشَّحِّ وَإِنْ مَدَحَ الْجُودَ ، وَهَذَا مَجْبُولًا عَلَى الْجُبْنِ وَإِنْ تَشَبَّحَ لِلشَّجَاعَةِ ؛ وَلَيْسَ يَجُوزُ في الْحِكْمَةِ أَنْ يَكْتُمُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا<sup>(٢)</sup> ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُضَمَّ الْجِنْسُ وَالنَّوْعُ وَلَا يَأْتَلِفُوا ؛ وَكُلُّ مَا أَسَغَتْهُ الْحِكْمَةُ أُبْرِزَتْهُ الْقُدْرَةُ ، وَكُلُّ مَا جَادَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ شَهِدَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ؛ فَسَبْحَانِ مَنْ لَهُ هَذَا التَّدْيِيرُ اللَّطِيفُ ، وَهَذَا الْعِزُّ الْغَالِبُ ، وَهَذَا السِّرُّ الْخَافِي ، وَهَذِهِ الْعَلَانِيَةُ الْبَاهِيَّةُ ، وَهَذَا الْفِعْلُ الْمُخَكَّمُ ، وَهَذَا النَّفْتُ الْمُسْتَعْمَلُ .

وَحَكَيْتُ أَيْضًا فِي شَيْءٍ جَرَى ، قَالَ حَكِيمٌ فَارِسِي : قَدْ جَرَّ بَنَاءُ الْمُلُوكِ ، فَإِذَا مَلَكْنَا السَّمَحُ الْجَوَادُ جَادَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَإِذَا مَلَكْنَا الْبَخِيلُ بَخِلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .

قال أبو سليمان : هَذَا إِذَا صَحَّ فَهُوَ شَاهِدُ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ الْمُتَّصِلِ بِالْمَلِكِ السَّمَحِ ، وَنُضُوبِهِ عَنِ الْمَلِكِ الْبَخِيلِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ إِلَهٌ بَشَرِيٌّ .  
وَقَالَ مَرَّةً : مَا التَّمَنَّى ؟ — وَقَدْ كَانَ جَرَى مَا أَفْتَضَى السُّؤَالَ عَنْهُ — .

(١) في (ب) : «أريد» .

(٢) رواية (ب) : «ولا يختلفوا في باطنهم حتى يكون مطبوعا» ؛ وفيها تكرار ظاهر.



فقلت : أَحْفَظْ نَفْسًا لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ التَّمَنَّى فَضْلُ حَرَكَةِ النَّفْسِ . فقال :  
جَوَابُ رَشِيقٍ وَإِنْ كَانَ قَتِيرًا إِلَى الْبَسْطِ .

فقال : هَاتِ مِنْ حَدِيثِ يُونَانَ شَيْئًا آخَرَ ، فقلتُ : قال أَرِمَنْطَوَطَالِيسُ :  
لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا الْعِلْمَ بِتَقْيِضِهِ ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ  
لِنَنْقُصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ ، وَتَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

قال : حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ فِيهِ جَوَابٌ حَاضِرٌ ، وَلِلْبَدِيَّةِ فِيهِ تَوْقُذٌ ظَاهِرٌ . (٦)

فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الزُّهْرِيَّ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْدِّثَهُ وَيَرْوِيَ لَهُ ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ ،  
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ الْمِيثَاقَ عَلَى الْجُهَالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ  
الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَحَدَّثَنِي :

وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الرَّوْرُودِيُّ ؛ قَالَ : وَقَفَ سَائِلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ  
الْأَنْكَادِ عَلَيْنَا فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَجْلِسِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَأَبْنُ  
مَعْرُوفٍ ، وَأَبُو تَمَامٍ الزَّيْدِيُّ ، فَسَأَلَ وَأَلَحَّ ؛ فَقُلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ — وَقَدْ  
ضَجَرْتُ مِنْ إلحاحه وَصَفَاقَةٍ وَجْهَهُ — : يَا هَذَا : نَزَلَتْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .  
قَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ يُنْجَبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . فَضَحِكَتِ الْجَمَاعَةُ ،  
وَوَهَبْنَا لَهُ دَرَاهِمَ .

وَمِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ الْمُسْكِتِ الَّذِي خَزَّ الْكَبَدَ وَنَقَبَ الْفَوَادَ <sup>(١)</sup> مَا جَرَى  
لَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَتِّيِّ <sup>(٢)</sup> مَعَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، فَإِنَّ ابْنَ عَمْرِو قَالَ لِلْبَتِّيِّ <sup>(٣)</sup> :  
أَنْتَ وَاللَّهِ شَمَامَةٌ وَلَكِنَّهَا مَسْمُومَةٌ . فَقَالَ الْبَتِّيُّ <sup>(٤)</sup> عَلَى النَّفْسِ : لَكُنْكَ أَيُّهَا  
الشَّرِيفُ شَمَامَةٌ مَسْمُومَةٌ ، عَطُرْتُ <sup>(٥)</sup> الْأَرْضَ بِهَا ، وَسَارَتْ الْبُرْدُ بِذِكْرِهَا .

(١) فِي (ب) : « الْقَلْب » . (٢) فِي (ب) . « الْبَتِّي » .

(٣) فِي نَسْخَةٍ « فَطَنْت » ؛ وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى « وَطَلَّت » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ فِي كَلَامِنَا  
النَّسْغَتَيْنِ ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَهْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .



وقال نصر بن سيار بخراسان لأعرابي : هل أتخمنت قط . قال : أما من طعامك وطعام أبيك فلا . فيقال : إن نصرأحم من هذا الجواب أياماً ؛ وقال : ليتني خرشت ولم أفه بسؤال هذا الشيطان .

وجرى حديث الذكور والإناث ، فقال الوزير ، قد شرف الله الإناث (٧) بتقديم ذكرهن في قوله عز وجل : ( يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ) قلت : في هذا نظر ؛ فقال : ما هو : قلت قدّم الإناث — كما قلت — ولكن نكّر ، وآخر الذكور ولكن عرّف ، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم . ثم قال : هذا حسن . قلت : ولم يترك هذا أيضاً حتى قال : ( أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ) فجَمَعَ الجنسَيْن بالتذكير مع تقديم الذكور ، فقال : هذا مستوفي .

وقال : ما معنى كأس أنف ؟ فكان من الجواب أن يعقوب قال : يقال كأس أنف ، أي لم يشرب منها قبل ذلك ؛ وكذلك يقال : روضة أنف ، إذا لم يكن رعاها أحد .

وقال لقيط :

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأُنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قال : ما النشيل ؟ فإن الشواء والرغف معرّوفان . قلت : ما ضمته القدر من اللحم وغيره ، لأنه يُنشَلُ ويُعرف ؛ فقال : هذا باب إن الحنأ عليه جوع .

(٩) قال : ما تحفظ في حديث الأكل ؟ قلت : الأكل والذم<sup>(١)</sup> .  
 ومن مليحه ما حضرني . قيل لجميز<sup>(٢)</sup> : ما تشتهي ؟ قال : بسيس مقل<sup>(٣)</sup>  
 بين غليان قدور ، على رائحة شواء ، يجنب خبيص . فضحك — أضحك<sup>(٤)</sup>  
 (١٠) الله سنه بالفرح والسرور . وانتظام الأحوال وأتساق الأمور — . وقال : هات  
 حديثاً نخرج به مما كنا فيه . فقلت : كتب سعد بن أبي وقاص إلى رستم  
 صاحب الأعاجم : إسلامكم أحب إلينا من غنائمكم ؛ وقتالكم أحب إلينا من  
 صلحكم . فبعث إليه رستم : أنتم كالذباب إذ نظر إلى العسل فقال : من  
 يوصلني إليه بدرهمين ، فإذا نشب فيه قال : من يخرجني منه بأربعة ، وأنت  
 طامع ، والطمع سيؤدبك . فأجابه سعد : أنتم قوم تحادون الله وتعايدون  
 أنفسكم ، لأنكم قد علمتم أن الله يريد أن يحول الملك عنكم إلى غيركم ، وقد  
 أخبركم بذلك حكماؤكم وعلماءكم ، وتقرر ذلك عندهم ، وأنتم دائماً تدفعون  
 القضاء بنحوركم ، وتتلقون عقابه بصدوركم ، هذه جرأة منكم وجهل فيكم ،  
 ولو نظرتم لا تبصرتم ، ولو أبصرتم لسلتم ، فإن الله غالب على أمره ، ولما  
 كان الله معكم كانت علينا ريحكم ، والآن لما صار الله معنا [ صارت ]  
 ريحنا عليكم ، فأنجوا بأنفسكم ، واغتنموا أزواحكم ، وإلا فأصبروا لحر السلاح  
 وألم الجراح ، [ وخزي<sup>(٥)</sup> الأفضاح ] ، والسلام .

كتب حذيفة إلى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إن العرب

(١) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في اللث : «أكلوا ذماً» في الشيء يؤكل وينم ؛ ذكره صاحب المقدم ، ولم يرد في كتب الأمثال الأخرى .

(٢) في الأصل : « حير » بالحاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا قلا عن عيون الأخبار وغيره .

(٣) في (١) : « والصاني » مكان هذه الزيادة المنقولة عن (ب) .

قد تَغَيَّرَتْ ألوانُها ولحومُها . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : ارْتَدَّ الْعَرَبُ مَنْزِلًا  
مَرَّاحًا . فَأَرْتَادَ لَمْ الْكُوفَةُ ، وَهِيَ بُقْعَةٌ حَضَبَاءُ ، وَرَمْلَةٌ حَرَاءُ ، فَقَالَ سَعْدٌ :  
اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَلَتْ ، وَالْأَرْضِ وَمَا أَفْلَتْ ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرَتْ ، بَارِكْ  
لَنَا فِي هَذِهِ الْكُوفَةِ .

وَسَمِعَ عُمَرُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

مَا سَأَلْنَا مِثْلَكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ أَبْرَ بِالْأَقْصَى وَبِالْأَضْحَابِ

بعد النبي صاحب الكتاب

فَنَحَسَهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَبَيْتُكَ .

قَالَ عُمَرُ وَهُوَ بِمَكَّةَ : لَقَدْ كُنْتُ أَرْغَى لِإِبْلِ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْوَادِي  
فِي مُدْرَعَةٍ صُوفٍ ، وَكَانَ فُظًّا يُتَعَبَّنِي إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي إِذَا قَصُرْتُ ، وَقَدْ  
أُمْسَيْتُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا يَنْبِيءُ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَائِئُهُ	يَنْبِيءُ الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي هُرْمُزِي يَوْمًا خَزَائِنُهُ	وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلْتُ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَسْرِي الرِّيحُ بِهِ	وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا كَلَّفُوا مُعْبِدُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا	مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ
خَوْضٌ هُنَاكَ مَوْزُودٌ بِلاَ كَذِبٍ	لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِنَا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُ الدَّوَابِّ الْحَدِيدُ الْقَوَادِ ، الصَّحِيحُ الْأَوْتَادُ .

وَقَالَ عُمَرُ : كَانَتِ الْعَرَبُ أَسَدًا فِي جَزِيرَتِهَا يَا كُلَّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَلَمَّا  
جَمَعَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَقُمْ لَمْ شَيْءٌ .



رَأَى رُسْتَمُ فِي التَّوَمِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَخَذَ سِلَاحَ فَارِسَ  
وَحَتَمَ عَلَيْهِ وَدَقَّمَهُ إِلَى عُمَرَ ، فَارْتَاعَ رُسْتَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَيَقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ .  
وَقَالَ : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ، فَأَنَشِدْتُهُ لِبَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَسْتُ بِمُدْعِي يَوْمًا مُطِيعًا إِلَى مَنْ لَسْتُ آمَنُ أَنْ يَجُورَا  
وَلَكِنِّي مَتَى مَا أَخْشَى مِنْهُ أَتَّحِلِفُ صَاحِبًا عَضْبًا تَوُورَا  
وَأَنْزِلُ كُلَّ رَايِيَةٍ بَرَّاحٍ أَكُونُ عَلَى الْأَمِيرِ بِهَا أَمِيرَا  
وَأَنَشِدَنِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، وَلَقَدْ تُمَثَّلَ بِهِ :

إِنِّي لَعَيْنٌ تَبْعَةٍ صُمٍّ مَكَايِيرُهَا إِذَا تَقَادَحَتِ الْقَضَبَاءُ<sup>(١)</sup> وَالْعُشُرُ  
وَلَا أَلِينُ لَغَيْرِ الْحَقِّ أَتْبَعُهُ حَقِّي يَلِينُ لِضُرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ  
وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ : قَلِيلُ السَّفَةِ يَمْحُو كَثِيرَ الْحِلْمِ ، وَأَذْنِي الْأَنْتِصَارِ  
يُخْرِجُ مِنْ فَضْلِ الْأَغْتِفَارِ ، وَكَأَنَّ طَالِبَ الْمَعْرُوفِ الْمَعْدِرَةَ<sup>(٢)</sup> عِنْدَ الْأَمْتِنَاعِ ،  
وَالشُّكْرُ عِنْدَ الْأَصْطِنَاعِ ، وَكَأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِلَيْهِ تَعْجِيلُ الْمَوْعُودِ ، وَالْإِسْعَافُ  
بِالْوُجُودِ .

(١) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر دون (ب) هكذا :  
إلى لمن سمع به كاسرها أو أينما رجب المضينة والقشر  
وهو كما ترى مملوء بالتصعيف والتعريف في جميع كلماته تقريباً ؛ وقد بحثنا عن هذا الشعر في  
المصادر التي بين أيدينا فلم نجد غير البيت الثاني ؛ وهو منسوب في مجموعة المعاني إلى عبد الله  
ابن الزبير الأسدي ولم نجد في ترجمته ؛ وقد قلنا جميع كلمات هذا البيت على جميع ما تحتمله  
من الوجوه حتى استقام وزنه ومعناه على هذا الوجه الذي أثبتنا . والنبح : شجر تتخذ منه  
أجود الرماح . وصمّ مكاسرها ، أي صلبة . ويقال : تقادح الشجر إذا كان رخوا ، فحق  
حركته الريح حك بعضه بعضاً فأورى نارا فإذا أريد الانتفاع به في إيراد النار بعد لم يور .  
والقصباء : جماعة القصب . والمعر : شجرة تتخذ منه الزناد .  
(٢) في (١) : القدرة ؛ وهو تحريف .

فقال : مَنْ أَفْضَلُ هَؤُلَاءِ ؟ يَعْنِي بَنِي الْعَبَّاسِ . فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أُنْقَدِمَ<sup>(١)</sup> ، وَالْمَأْمُونُ [ أُنْجَدُّهُمْ ] ، وَالْمُعْتَصِمُ أُنْجَدُّهُمْ ، وَالْمُعْتَصِدُ أَقْصَدُهُمْ . فَقَالَ : كَذَلِكَ هُوَ . وَقَالَ : فَالْبَاقُونَ ؟ [ قُلْتُ ] لَيْسَ<sup>(٢)</sup> فِيهِمْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ يُوحَدُ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ فِي نَقْصِهِ وَزِيَادَتِهِ مُشَاكِلٌ لِبُغْيَرِهِ . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرْكٌ .

### الليلة الخامسة والثلاثون

- وقال ليلة : ما الفرقُ بين الإرادة والاختيار ؟ فكان من الجواب أن كلَّ<sup>(١)</sup> مُرَادٍ يُخْتَارُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُخْتَارٍ مُرَادًا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْتَارُ شُرْبَ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ وَشُرْبَ الْوَلَدِ النَّجِيبِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَيَخْتَارُ طَرَحَ مَتَاعِهِ فِي الْبَحْرِ [ إِذَا أُلْجِيَ ]<sup>(٢)</sup> وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَهَما وَإِنْ كَانَا أَنْفَعَالَيْنِ فَأَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْاِخْتِيَارُ — لَا يَحْدُثُ إِلَّا عَنْ جَوَلَانٍ وَتَنْقِيرٍ وَتَمْيِيزٍ ، وَالْآخَرُ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ — يَفْجَأُ وَيَبْغَتْ<sup>(٣)</sup> وَرَبَّمَا تَحَلَّى عَلَى طَلَبِ الْمُرَادِ بِالْكُرْهِ الشَّدِيدِ ؛ وَفِي عُرْضِ الْاِخْتِيَارِ سَعَةٌ لَتَمَكُّنَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي عُرْضِ الْإِرَادَةِ . وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُ الْإِرَاغَةَ فِي مَوْضِعِ الْإِرَادَةِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ رَاغٍ يَرُوعُ ، وَالثَّانِي مِنْ رَادٍ يَرُودُ ، وَالْهَمْزَةُ مُجْتَلَبَةٌ لَتَعْدَى .
- قال : فما الفرقُ بين المحبة والشهوة ؟ فكان الجواب أن الشهوة أَلْصَقُ<sup>(٤)</sup> بِالطَّبِيعَةِ ، وَالْمَحَبَّةُ أَصْدَرُ عَنْ النَّفْسِ<sup>(٥)</sup> الْفَاضِلَةِ ، وَهَما أَنْفَعَالَانِ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ

(١) فِي (١) : « أُنْقَدِمَ » وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا فِي (ب) غَيْرُ الْمَاءِ وَالْمِيمِ ؛ وَسَاءَتْ رِهَا

مَطْمُوسٌ ؛ وَلِلَّ الْعَوَابِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السَّجْعُ .

(٢) الَّذِي فِي (١) : « أَشْرَفَهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُ أَنْ كَلِمَةً « فِيهِمْ » غَيْرَ

مَوْجُودَةٍ فِي (ب) ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ فِي (١) : « أَشْرَفَهُمْ » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « أَحَبَ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَيُثَبَّت » ، وَفِي (ب) وَيُثَبِّت ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (١) : « الطَّبِيعَةُ » مَكَانَ « النَّفْسِ » .



الأَنفَعَالَيْنِ أَشَدُّ تَأَثُّراً ، وهو أُنْفَعَالُ الشَّهْوَةِ ، وأنه <sup>(١)</sup> يقال : شَهِيَ وَاشْتَهَى <sup>(٢)</sup> ،  
ويقال في الآخر : حَبَّ وَأَحَبَّ ، وَيَتَدَاخَلَانِ كَثِيراً بِالِاسْتِعْمَالِ ، لِأَنَّ اللَّغَةَ جَارِيَةً  
عَلَى التَّوَسُّعِ ، كَمَا هِيَ جَارِيَةٌ عَلَى التَّضْيِيقِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّضْيِيقِ فُزِعَ إِلَى التَّحْدِيدِ  
والتَّشْدِيدِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّوَسُّعِ جُرِيَ عَلَى الْأَقْتِدَارِ وَالْأَخْتِيَارِ <sup>(٣)</sup> ، وَفِي عُرْضِ  
هَذَيْنِ بَلَاءٍ آخَرَ ، لِأَنَّهُ بَيْنَ الْإِيْجَازِ وَالْإِطْنَابِ ، وَبَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالتَّصْرِيحِ ،  
وَبَيْنَ الْإِيْجَازِ <sup>(٤)</sup> وَالْإِطْنَابِ . فَقَالَ : هَذَا بَابٌ .

(٣) ثُمَّ نَاوَأَنِي رَقْعَةً بِمُخَطَّطَةٍ فِيهَا مَطَالِبُ نَفِيسَةٍ تَأْتِي عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ : بَاحِثٌ  
عَنْهَا أَبَا سَلِيمَانَ وَأَبَا الْخَيْرِ وَمَنْ تَعَلَّمَ أَنْ فِي مُجَارَاتِهِ فَائِدَةٌ مِنْ عَالِمٍ كَبِيرٍ ، وَمُتَعَلِّمٌ  
صَغِيرٌ ، فَقَدْ يُوجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعْضُ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ الْغَنِيِّ ، وَلَا تَحْقِرْ أَحَدًا فَاهً  
بِكَلِمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ أَطَافَ بِجَانِبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَوْ حَكَّمَ بِحَالٍ مِنَ الْفَضْلِ ؛  
فَالنَّفُوسُ مَعَادِنٌ ، وَحَصَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَحَرَّرَهُ فِي شَيْءٍ وَجِئْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الرُّقْعَةِ :

مَا النَّفْسُ ؟ وَمَا كَالُهَا ؟ وَمَا الَّذِي أُسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ  
يَايَنْتُ الرُّوحُ ؟ وَمَا الرُّوحُ ؟ وَمَا صِفَتُهُ ؟ وَمَا مَنَقَعَتُهُ ؟ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ  
النَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا أَوْ هُمَا ؟ وَهَلْ تَبْقَى ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَبْقَى فَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ  
الْإِنْسَانُ فِيهِ هَاهُنَا ؟ وَمَا الْإِنْسَانُ ؟ وَمَا حَدُّهُ ؟ وَهَلِ الْحَدُّ هُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَمْ بَيْنَهُمَا  
بَوْنٌ ؟ وَمَا الطَّبِيعَةُ ؟ وَهَلَّا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ هَلَّا أَغْنَتْ النَّفْسُ عَنِ

(١) فِي كِلَا النُّسخَتَيْنِ : « لِأَنَّهُ » وَالتَّعْلِيلُ هُنَا لَا مُقْتَضَى لَهُ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ صَوَابُ الْعِبَارَةِ  
مَا أَثْبَتْنَا . (٢) لَمْ نَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَشْهَى بِمَعْنَى شَهَى ، أَيْ اشْتَهَى  
كَمَا يُقِيدُهُ كَلَامُهُ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ أَشْهَاءَ بِمَعْنَى أَعْطَاهُ مَا يَشْتَهَى ، لَا بِمَعْنَى اشْتَهَى .  
(٣) فِي الْأَسْوَلِ : « وَالِاسْتِحْقَارِ » . وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا .  
(٤) فِي (١) : الْأَبْجَارُ وَالْإِطْنَابُ ، وَفِي (ب) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْبُوسَةً الْحُرُوفِ  
تَتَمَنَّرُ قِرَاءَتُهَا ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا أَخْذًا مِنَ الرَّسْمِ الْوَارِدِ فِي النَّسْخِ .



الروح ؟ وهلا كَفَتِ الطبيعة ؟ وما العقل ؟ وما أنحاؤه ؟ وما صَدِيقُهُ ؟ وهل يُثَقِّلُ العقل ؟ وهل تَتَنَفَّسُ النَّفْسُ ! وما مَرَّ تَبَّتُهُ (أَغْنَى العقل) عند الإله ؟ وهل يفعل ؟ وهل يَفْعَلُ<sup>(١)</sup> ؟ وإن كان يفعل ويفعل<sup>(١)</sup> فَيَسْطُ الفِعْلُ فيه أكثر من قِسط الأفعال ؟ وما المَعَادُ المِشَارُ إليه ؟ أهو للإنسان ؟ أم لِنَفْسِهِ ؟ أم لهما ؟ وما الفَرْقُ بين الأَنْفُسِ ، أغنى نفسَ عمرو وزَيْدٍ وبَكْرِ وخالد ؟ ثم ما الفَرْقُ بين أنفُسِ أصناف<sup>(٢)</sup> الحَيَوَانِ ؟ وهل المَلَكُ حَيَوَانٌ ؟ فقد علمت أنه يقال له : حَيٌّ ، وهل فيه حياة ؟ وعلى أيِّ وَجْهِ يُقَالُ : إن الله عزَّ وجلَّ حَيٌّ والمَلَكُ حَيٌّ والإنسان حَيٌّ والفرَس حَيٌّ ؟ وهل يقال : الطبيعة حَيَّة ، والنفس حَيَّة ، العقل حَيٌّ ؟ فإن هذا وما أشبهه شَاغِلٌ لِقَلْبِي ، وجائِمٌ في صَدْرِي ، ومُعْتَرِضٌ بين نَفْسِي وفِكْرِي ؛ وما أَحِبُّ أن أبوحَ به لكلِّ أَحَدٍ ، وقد بَيَّنَّتُهُ<sup>(٣)</sup> في هذه الرُّقعة ، فإن أُخْبِيتَ أن تَعْرِضَها على أبي سُلَيْمَانَ فَأَفْعَلْ ، ولكن لا تَدْعَ خَطِيئَتَهُ ، بل انسخه له ، وحصل ما يُجِيبُكَ به ، ويصدعُ لك بِحَقِيقَتِهِ ، ولَخَصُّهُ ، وزِنُهُ بِلَفْظِكَ السَّهْلِ ، وإفصاحِكَ البَيِّنِ ، وإن وَجَبَ أن تُبَاحِثَ غَيْرَهُ فَأَفْعَلْ ؛ فهذا هذا ؛ وإن كان الرجوعُ فيه إلى السُّكُتِ المَوْضُوعَةِ من أجله كافياً ، فليس ذلك مِثْلَ البَحْثِ عنه باللسان ، وأخذِ الجوابِ عنه بالبيان ، والكتابُ مَوَاتٌ ، ونَصِيبُ الناظرِ فيه مَنزُورٌ ، وليس كذلك المَذَاكِرَةُ والمُناظَرَةُ واللُّوَاثَةُ<sup>(٤)</sup> ، فإن ما يُنَالُ من هذه أَعْضَ وأَطْرَأ ، وأَهْنَأُ وأَمْرَأُ ،

(١) في (١) : « يفعل » مكان « يفعل » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم ،

وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « أصحاب » مكان قوله « أصناف » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) في (ب) : « نثرته » ، والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٤) في نسخة « واللوازة » .

للبَدَن . وعلى هذا ؛ ولعلَّ آخَرِينَ يقولون في تَحْدِيدِهَا وَنَعْمِهَا أَقْوَالًا أُخَر ، لَأَنَّ  
 الْمَلْحُوظَ<sup>(١)</sup> بَسِيط ، وَالْمَذْرُوكَ بَعِيد ، وَالنَّاضِرِينَ كَثِيرُونَ ، وَالْبَاحِثِينَ مُخْتَلِفُونَ ،  
 وَالكَثْرَةُ فَاتِحَةُ الْأَخْتِلَافِ ، وَالْأَخْتِلَافُ جَالِبٌ لِلْحَيْرَةِ ، وَالْحَيْرَةُ خَانِقَةٌ  
 لِلْإِنْسَانِ ، وَالْإِنْسَانُ ضَعِيفُ الْأَسْرِ<sup>(٢)</sup> ، مَحْدُودُ الْجُمْلَةِ ، مَحْصُورُ التَّفْصِيلِ ،  
 مَقْصُورُ السَّغَى ، مَمْلُوكُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، غِشَاوُهُ كَثِيفٌ ، وَبَاعُهُ قَصِيرٌ ، وَفَائِقُهُ<sup>(٣)</sup>  
 أَكْثَرُ مِنْ مُدْرَكِهِ ، وَدَعْوَاهُ أَحْضَرُ مِنْ بُرْهَانِهِ ، وَخَطْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ ،  
 وَسُؤَالُهُ أَظْهَرُ مِنْ جَوَابِهِ ، فَعَلَى هَذَا كُلِّهِ الْأَعْتَرافُ بِهَا — أَعْنَى بِالنَّفْسِ  
 وَبِوَجْدَانِهَا — أَسْهَلُ مِنَ الْقَحْصِ عَنْ كُنْهٍهَا وَبُرْهَانِهَا .

قال : وإنما صَعِبَ هذا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ  
 النَّفْسَ إِلَّا بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مُحْجُوبٌ عَنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا  
 فَلَا مَرُءَ أَنْ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ أَصْفَى ، وَنُورُهُ أَشْعَى ، وَنَظَرُهُ أَعْلَى ، وَفِكْرُهُ  
 أَثْقَبَ ، وَلَحْظُهُ أَبْعَدَ ، كَانَ مِنَ الشُّكِّ أَنْجَى ، وَعَنِ الشُّبْهِةِ أَنْأَى ، وَإِلَى الْيَقِينِ  
 أَقْرَبَ ؛ وَالْإِنْسَانُ ذُو أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، مِنْ جُمْلَتِهَا نَفْسُهُ ، فَلِكَثْرَةِ مَا هُوَ بِهِ  
 كَثِيرٌ يَفْجَزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا هُوَ بِهِ وَاحِدٌ ، أَى إِنْسَانٍ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا  
 النَّفْسُ حَقًّا ، وَهَذَا الْمَقُولُ صِدْقًا ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ فِي مَرْكَبٍ ، وَالنَّفْسُ مَبْسُوطَةٌ ،  
 وَإِنَّمَا فِيهِ جُزْءٌ لَا يَسِيرُ وَنَصِيبٌ قَلِيلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَسِيطِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ بِجُزْءٍ مِنْهَا كُلَّهَا  
 وَبِقَلِيلٍ مِنْهَا جَمِيعُهَا<sup>(٤)</sup> ؛ هَذَا مَعْدَرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا ، وَبَعِيدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛

(١) في كلا الأصلين : « المخلوط » . . . و « المذكور » ؛ وفي كلتا الكلمتين تصحيف  
 وقلب ، صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) الأسر : القوة . وفي (ب) : « الأس » بضم الهمزة وتشديد السين ؛ والمعنى يستقيم  
 عليه أيضاً . (٣) في كلا الأصلين « وفلنته » ؛ وهو تحريف .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مهملة الحروف من النقط معطوس بعض  
 حروفها . والسياق يقتضى ما أثبتنا .



وأجعل هذه الخدمة مقدمة على كل شيء لك ، فإنني ناظرٌك ، طامعاً في الجواب  
المقنع الشافي .

فعرَضْتُها كما رسم على أبي سليمان وقرأتها [ عليه ] ، وتمَهَلْتُ في إيرادها  
بمخضرتِه ، فلما فهمها ووقفَ عليها تعجب وقال : هذه مسائل المتحكِّمين <sup>(١)</sup> ،  
وطَلَبَاتِ المدِّلين ، وأقترحات المُقَدِّرين ، ومُنِيَّةُ الأولين والآخرين .

قلتُ : هو كما قلتَ أيُّها الشيخ ، ولا بدَّ من جوابٍ يُعرَضُ عليه يأتي  
على بعض مآرب النفس ، وإن لم يأت على قاصية ما في المطلوب ، فقال كلاماً كثيراً  
واسعاً أنا أخشيه على وجهه من طريق المعنى ، وإن انحرفتُ عن أعيان لفظه ،  
وأَسبابِ تَظْهِيره ، فإن ذلك لم يكن إملاءً ولا نسخاً ، واجتهدُ أن ألزِمَ مَثَنَ  
المُرَاد ، وتَمَّتِ المقصود — إن شاء الله — [ عز وجل ] .

(٤) قال : أمّا قوله : ما النفس ، فإنَّ التحديد يُغَوِّز ، والرَّسْمُ لا يَشْفِي ، والوصفُ  
مَقْصَرٌّ عن الغاية ، لأنها ليس لها جنسٌ ولا فضل فينشأ الحدُّ بهما [ ومنها ] ؛  
والأسم الشائع — أعني النفس — أَخْلَصُ إلى المطلوب ، وأخضَرُ لِمَقْصُودٍ من  
التحديد ، ولهذا ما اختلفَ الناسُ قديماً وحديثاً في حدِّها ؛ فقال قائل : النفسُ  
مِزَاجُ الأَرْكَانِ . وقال قائل : النفسُ تَأَلَّفُ الأُسْطَقْسَاتِ ؛ وقال قائل : النفسُ  
عَرَضٌ <sup>(٢)</sup> مُحَرَّكٌ <sup>(٣)</sup> بذاته . وقال قائل : النفسُ هَوَائِيَّةٌ . وقال قائل : النفسُ  
رُوحٌ حارَّةٌ . وقال قائل : النفسُ طبيعةٌ دائمةُ الحَرَكَةِ . وقال قائل : النفسُ  
تَمَامٌ لجسمٍ طبيعيٍّ ذي حياة . وقال قائل : النفسُ جوهرٌ ليس بجسمٍ مُحَرَّكٌ

(١) في كلا الأصلين : « المتعَلِّين » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « عَدَد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٣) في ( ب ) : « متحرِّك » .



وَيَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَّفْسَ قُوَّةً إِلَهِيَّةً وَاسِعَةً بَيْنَ الطَّبِيعَةِ الْمُعْرِقَةِ لِلْأُسْطَقُسَاتِ وَالْعُنَاصِرِ الْمُتَهَيَّئَةِ ، وَبَيْنَ الْعَقْلِ الْمُنِيرِ لَهَا ، الطَّالِعِ عَلَيْهَا ، الشَّائِعِ فِيهَا ، الْحَاطِطِ بِهَا ؛ وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو طَبِيعَةٍ لَا تَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي بَدَنِهِ [ كَذَلِكَ هُوَ ذُو نَفْسٍ ، لَا تَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي آرَائِهِ ] وَأَبْجَائِهِ ، وَمَغَالِبِهِ وَمَآرِيهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو عَقْلٍ لَتَمِيزِهِ وَتَصْنَفِهِ ، وَأَخْتِبَارِهِ وَفَحْصِهِ وَأَسْتِنْبَاطِهِ ، وَيَقِينِهِ وَشَكِّهِ ، وَعِلْمِهِ وَظَنِّهِ <sup>(١)</sup> ، وَفَهْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ وَبَدِيهَتِهِ وَذِكْرِهِ ، وَذِهْنِهِ وَحِفْظِهِ وَفِكْرِهِ ، وَحِكْمَتِهِ وَثِقَتِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو اعْتِرَافٍ بِالْأَحَدِ <sup>(٢)</sup> الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى جَعْدِهِ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ هُوِيَّتِهِ ، وَكَيْفَ يَجِدُ أَثَرَ الْجَعْدِ ، أَوْ يُحِسُّ بِمَسَةِ مِنَ الشَّكِّ ؟ وَسِنْخُهُ يَنْبُؤُ عَنْ ذَلِكَ ، وَفِطْرَتُهُ تَأْبَاهُ ، وَلِهَذَا النُّبُوُّ وَالْإِبَاءُ <sup>(٣)</sup> يَفْزَعُ إِلَيْهِ ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَيَطْلُبُ الْقَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَيَلْتَمِسُ الْخَيْرَ مِنْ لَدُنْهِ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ السُّلْسِلَةِ الْوُثِيقَةِ الَّتِي لَا يَفْصِمُهَا شَيْءٌ لَا فِي زَمَانٍ وَلَا فِي مَكَانٍ ، وَلَا فِي بَقْعَةٍ وَلَا فِي مَنْامٍ ؛ فَهَذَا هَذَا ؟ وَفِيهِ مَقْنَعٌ .

وَأَمَّا فِعْلُ النَّفْسِ ، فَقَدْ وَضَحَ أَنَّهُ إِثَارَةُ الْعِلْمِ مِنْ مَظَانِّهِ ؛ وَأَسْتِخْلَاصُهُ مِنَ الْعَقْلِ بِشَهَادَتِهِ ، مَعَ إِفَاضَاتِهَا أُخَرَ ، وَإِنَالَاتِهَا مِنْهَا جَلِيلَةً عِنْدَ الْإِنْسَانِ ، بِهَا يَنَالُ مَا يَسْكُنُ بِهِ ، وَبِكَمَالِهِ يَجِدُ السَّعَادَةَ ، وَبَسْمَاعَاتِهِ يَنْجُو مِنْ شِقْوَتِهِ .

(٥) وَأَمَّا قَوْلُهُ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، فَإِنَّهَا أَفَادَتْ وَمَا اسْتَفَادَتْ ، إِلَّا أَنْ تُجْعَلَ إِفَادَتُهَا لِلْقَابِلِ مِنْهَا اسْتِفَادَةً لَهَا ؛ وَفِي هَذَا تَجَوُّزٌ ظَاهِرٌ ، وَلَا يَقَالُ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ وَالْعَالَمِ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ . وَلَكِنْ

(١) فِي (ب) : « وَفَطْنَتِهِ » .

(٢) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ « بِالْحَدِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسَيَاتُ الْكَلَامِ الْآتِي يُقْتَضَى مَا أَثْبَتْنَا .

وَيُرِيدُ بِالْأَحَدِ : إِلَهَهُ تَعَالَى .

(٣) فِي (١) : « الْبَنُونَ وَالْآبَاءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَا الْفَعْلَيْنِ .

يقال : ما الذى أفادت : فَيُعَلِّمُ حِينَئِذٍ بِالْعِيَانِ أَنَّهَا أَفَادَتْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، صَوَرًا  
مُخْتَلِفَةً ، وَمَنَافِعَ بَحَّةً بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ ؛ وَأَمَّا الْقَصْدُ الثَّانِي فَأَضْدَادُ هَذِهِ ، وَهَذَا  
الْقَصْدُ مَفْرُوضٌ بِاللَّفْظِ لِيَكُونَ مُعِينًا عَلَى تَبْلِيغِ الْحِكْمَةِ إِلَى أَهْلِهَا .

(٦) وَأَمَّا قَوْلُهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ بَايَنْتَ النَّفْسُ الرُّوحَ فَهُوَ ظَاهِرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ  
جِسْمٌ يَضْمُفُ وَيَقْوَى ، وَيَصْلُحُ وَيَفْسُدُ ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ ،  
وَبِهِ تُفِيضُ النَّفْسُ قُوَاهَا عَلَى الْبَدَنِ ، وَقَدْ يُحْسُ وَيَتَحَرَّكُ ، وَيَلْدُ وَيَتَأَلَّمُ ؛  
وَالنَّفْسُ شَيْءٌ بَسِيطٌ عَلَى الرُّثْبَةِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْفَسَادِ ، مَنْزَعٌ عَنِ الْأُسْتِحَالَةِ .

وَأَمَّا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ جِسْمًا [ فَلِلْبَسَاطَةِ الَّتِي وَجَدَتْ لِلنَّفْسِ وَلَمْ تَوْجَدْ  
لِلْجِسْمِ ، وَبَيَانُ هَذَا أَنَّ كُلَّ نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى الْجِسْمِ تَزُهِتُ عَنْهُ النَّفْسُ ، وَكُلُّ  
نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى النَّفْسِ نَبَا عَنْهُ الْجِسْمُ ؛ فَذَلِكَ كَانَ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَتَتْ  
مَذَاكِرَةٌ فِي النَّفْسِ مِنْذُ لَيَالٍ بِشَرْحٍ مُعْنٍ ، وَبَيَانٍ تَامٍ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ  
أُحْوِجُ إِلَى الْإِلْهَامِ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ . وَإِذَا بَطَلَ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ  
جِسْمًا ] فَهِيَ بِالْأَوَّلِ تَكُونُ عَرَضًا أَفْعَمُ وَأَخَاقٍ ، لِأَنَّهُ لَا قَوَامَ لِلْعَرَضِ بِنَفْسِهِ .

(٧) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَبْقَى ؟ فَكَيْفَ لَا تَبْقَى وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا  
ضِدٌّ ، وَلَا يَدْبُ إِلَيْهَا فُسَادٌ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلَى ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَبَلَّى  
وَيَفْسُدُ وَيَخْلَقُ وَيَبْطُلُ وَيَمُوتُ وَيَفْقِدُ ، لِأَنَّهُ يَفَارِقُ النَّفْسَ ، وَالنَّفْسُ تَفَارِقُ  
مَاذَا حَتَّى تَكُونَ فِي حُكْمِ الْإِنْسَانِ بِشَكْلِهِ ؟ وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ لَعَمْرِي  
تَمُوتُ وَتَبْلَى ، فَأَمَّا وَالْإِنْسَانُ بِهَا كَانَ حَيًّا وَجَبَّ أَلَّا يَكُونَ حُكْمُهَا  
حُكْمَ الْإِنْسَانِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : أَوْهَا ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّفْسَ مَتَى لَمْ تَكُنْ جِسْمًا ، وَلَا عَرَضًا عَلَى  
حِدَةٍ أَنَّهُ لَا تَكُونُ أَيْضًا بِهَا نَفْسًا ، لِأَنَّ الْبَيِّنُونَ الَّتِي مَنَعَتْ فِي الْأَوَّلِ هِيَ



الَّتِي تَمْنَعُ فِي الثَّانِي ، وَلَيْسَتْ النَّفْسُ وَالْعَرَضُ كَالْخَلِّ وَالشُّكْرُ حَتَّى إِذَا جُمِعَ  
بَيْنَهُمَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرٌ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَ إِذَا اخْتَلَطَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرٌ ،  
لَهُ قَوَامٌ مَا ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوَامَ مُسْتَقِلٌّ مِنْهُمَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْبَسِيطُ وَغَيْرُ  
الْبَسِيطِ ، فَهَذَا هَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَفْنَى <sup>(١)</sup> ، فَقَدْ بَانَ أَنَّهَا تَبْقَى وَلَا تَفْنَى ، وَلَيْسَ يَطْرَأُ عَلَيْهَا  
مَا يُفْنِيهَا ، لِبَسَاطَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ التَّرَكِيبِ الْمَجِيبِ [ الْمَعْرُضِ ] لِلتَّحْلُلِ .  
وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَاهُنَا ، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ  
لِأَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَعْدِنِ الْكَرَامَةِ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ ، فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى عِلْمِ الْعَالَمِ  
السُّفْلِيِّ الَّذِي لَا ثَبَاتَ لَهُ وَلَا صُورَةَ ، لَغَلَبَةِ الْحَيَلُولَةِ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرِ الْحَيَلُولَةِ  
حَيَلُولَةَ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ النِّقْصِ ، وَأَعْتَرَضُ الْأَلَمَ ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا نُقِلَ <sup>(٢)</sup> مِنْ  
كَرْبِ حَبْسٍ ضَيِّقٍ إِلَى رَوْضٍ بُسْتَانٍ نَاضِرٍ بِهَيْجٍ مُوْنِقٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ فِيهِ  
فِي حَالٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ مُؤْذِيًا لِنَفْسِهِ ، وَكَارِبًا لِقَلْبِهِ ، وَقَادِحًا فِي رَوْحِهِ ،  
وَآخِذًا مِنْ حُبُورِهِ وَغَبْطَتِهِ ، وَمُذْخِلًا لِلتَّنْغِيصِ عَلَيْهِ فِي نَشْوَتِهِ .

(٨) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْإِنْسَانُ ، فَالْإِنْسَانُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَنْظُومُ بِتَدْيِيرِ الطَّبِيعَةِ لِلْمَادَّةِ  
الْمَخْصُوصَةِ بِالصُّورِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْمُوَيَّدُ بِنُورِ الْعَقْلِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وَهَذَا وَصْفٌ  
يَأْتِي عَلَى الْقَوْلِ الشَّائِعِ عَنِ الْأَوَّلِينَ إِنَّهُ حَيٌّ نَاطِقٌ مَائِتٌ [ أَيْ حَيٌّ ] مِنْ قِبَلِ  
الْحَيِّ وَالْحَرَكَةِ ، نَاطِقٌ مِنْ قِبَلِ الْفِكْرِ وَالتَّمْيِيزِ ، مَائِتٌ مِنْ قِبَلِ السَّيْلَانِ  
وَالْأَسْتِحَالَةِ ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ حَيٌّ شَرِيكُ الْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ ، وَمِنْ  
حَيْثُ هُوَ مَائِتٌ هُوَ شَرِيكُ مَا يَتَبَدَّلُ وَيَتَحَلَّلُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ هُوَ

(١) فِي الْأَمْوَالِ : « وَهَلْ تَبْقَى » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ إِذْ قَدْ سَبَقَ هَذَا السُّؤَالُ .

(٢) فِي (ب) : « نَجَا » .



إنسان عاقلٌ حَصيفٌ ، ومن حيث يبلغ إلى مُشاكَّهة المَلَكِ بقوة الاختيار البَشَرِيّ ، والنور الإلهي ، — أغنى يُنَعَتُ<sup>(١)</sup> في حياته هذه التي وَهَبَتْ له بدءاً ، بصحّة العقيدة وملاحِ العمل وصِدْقِ القول — هو مَلَكٌ ، فإن لم يكن مَلَكاً فهو جامع لصفاته ، ومالكٌ لِجَلِيَّتِهِ ، ولكلّ كان جنسه مشتبهاً على التماؤت الطويل العريض ، كان نوعه مشتبهاً على التماؤت الطويل العريض ؛ ومن كان نوعه كذلك كانت آحاده كذلك ، وكما أن الجنس يَرْتَقِي إلى نوعٍ كامل ، كذلك النوع يَرْتَقِي إلى شخصٍ كامل .

وأما قوله : هل الحدّ هو الحقيقة ، أو بينهما بَوْنٌ ، فإن الحدّ راجعٌ إلى (٩) واضعيه ومُتَقَصِّيه<sup>(٢)</sup> بدلالة أنه يَضَعُهُ وَيَقْصِلُهُ<sup>(٣)</sup> ، وَيُخَلِّصُهُ وَيُسَوِّيهِ وَيُضْلِعُهُ . فأما الحقيقة فهي الشيء وبها هو ما هو ، حدّه صاحبه أم لم يحدّه ، رَسمه قاصده أم لم يرسمه ، فلهو حظ الحقيقة عينُ الشيء [ وهو موضوع الحدّ ليس هو عين الشيء ] .

وأما قوله : وما الطبيعة فهي أيضاً قوة نفسية ، فإن قلتَ عقليّة لم تُبعد ، (١٠) وإن قلتَ إلهيّة لم تُبعد ، وهي التي تَسْرِي في أثناء هذا العالم تحرّكاً ومُسَكَّنَةً ، ومُجَدِّدَةً ومُبْلِيَةً ، ومُنْشِئَةً ومُبِيدَةً ، ومُخَيِّئَةً ومُحْيِيَةً ، وتصاريفها ظاهرة للحسّاس ، وهي آخرُ الخُلُقَاء في هذا العالم ، وهي بالموادّ أُعْلِقَ ، والموادّ لها أُعْشِقَ ؛ وليس لها تَرَقَّى النفس في الثاني<sup>(٤)</sup> إلى عالمِ الرُّوح ، لأنّه لا كَوْنَ هُنَاكَ ولا فساد ، فلورَقِيَّتْ إلى هُنَالِكَ لَبَقِيَّتْ عاطلة ، وليس كذلك النفس ،

(١) في (١) : « يقيني » : وفي (ب) : « يقتني » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين ولعل الصواب ما أثبتنا . (٢) في كلتا النسختين : « ومقتضيه » ؛ وهو تحريف لا معنى له في هذا الموضع . (٣) في كلتا النسختين : « ويبطله » . وهو تحريف . (٤) في الثاني ، أي في العالم الثاني .

فإن لها في عالمها البهجة والغبطة ، والحبور والشُّرور ، والدوام والخلود  
والخلافة الإلهية ، وهذا هناك في مُقابلة ما كان لها ههنا من الفضائل التي لا يأتي  
عليها إحصاء ، ولا يحصّلها استقصاء .

(١١) وأما قوله : وهَلَّا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ ، فهو يُغْنِي عنها ، ولكن في  
جِنْس الحيوان الذي لم يكْمُل فيكون إنساناً . فأما في الإنسان فلا ، لأن  
الإنسان بالنفس هو إنسان لا بالروح ، وإنما هو بالروح حتى لحسب .

وأما قوله : وهَلَّا أَغْنَتْ النفسُ عَنِ الرُّوحِ ، فإن الرُّوح كالآلة للنفس  
حق يُنفَّذ تديرها بوساطته في صاحب الرُّوح ، وليس ذلك لتعجز النفس ،  
ولكن لتعجز ما يُنفَّذ فيه التدبير ، وإذا حَقَّقَ هذا الرَّمْزُ لم يكن هناك تعجز  
لأنه نظامٌ موجودٌ على هذه الصورة ، ومصورة قائمةٌ على هذا النظام ، فليس  
لأحد أن يُعَلِّلَ ذلك بِلَمْ ولا بكَيْفَ إلا من طريق الإفتناع .

(١٢) وأما قوله : هَلَّا كَفَتْ الطَّبِيعَةُ . فقد كَفَتْ في مواضعها التي لها الولاية  
عليها مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ ، كما كَفَتْ النفسُ في الأشياء التي لها عليها الولاية مِنْ  
قِبَلِ الْعَقْلِ ، كما كَفَى الْعَقْلُ في الأمور التي له الولاية عليها مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وإن  
كان مجموعُ هذا راجعاً إلى الإله ، فإنه في التفصيل محفوظٌ أُلُودٌ على أربابها ؛  
وهذا كَالْمَلِكِ الَّذِي لَهُ في بِلَادِهِ بَجَاعَةٌ فيصنِّدُونَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَيَنْتَهُونَ إِلَى أَمْرِهِ ،  
وَيَتَوَخَّوْنَ فِي كُلِّ مَا يَمْقُدُونَهُ وَيَحْلُوتُهُ ، وَيَنْقُضُونَهُ وَيُزِمُونَهُ ، مَا يَرْجِعُ إِلَى  
وِفَاقِهِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَهُ وَأَمْرُهُ ، وَقَدْ كَفَاهُ أُولَئِكَ الْقَرْمُ ذَلِكَ كُلَّهُ .

فإن قال قائلٌ : فكيف ممثلت سياسة إلهية بسياسة بشرية ، وأين هذه  
مِنْ تِلْكَ ؟



فالجواب أن البشر المسكين لم يجد هذه السياسة من تلقاء نفسه ، ولا بما هو به مهين ضعيف عاجز مسكين ؛ بل بما فاض عليه من تلك القوى وتلك الصور ، فهو إذا أبرز شيئاً أبرز على مثال تلك ، لأنه قد أعطى القلب ، فقد سهل عليه أن يفرغ فيه ، وذهب له الطابع ، فهو يختم به ؛ وهى على ذلك فهو يجرى عليه ، وهذا سوق إلى وإلى وإن كان الأنسياق<sup>(١)</sup> بشرياً ، ونظم ربوبي وإن كان الأنظمة إنسياباً ؛ وفي الجملة إحدى السياستين ، أعنى البشرية هى ظل للأخرى ، أعنى الإلهية ، والشغليات منقادة لمنفعة للملوكيات ، والملوكيات مسئوليات على الشغليات ، بحق العدل وما هو مقتضاها ، ولأن هذه قواعل ، أعنى الملوكيات ، وتلك قواعل ، أعنى المنفعليات ، ووجب ذلك لأن الصورة في الفاعل أغلب ، والهيولى في القابل أغلب ، والمالكان متواصلان ، والسياستان متماثلتان ، والسيرتان متعادلتان ، والتدبيران متقابلان ، ولكن التدبير إذا نفذ في الشغلي يسمى بشرياً ، وإذا نفذ في الملوكي يسمى إلهياً ، وإن كانا في التحقيق إلهيين ، وإنما اختلفا بحسب الصدور والورود ، والفصول والوصول ، والشخص<sup>(٢)</sup> والبلوغ ؛ والعادة جارية بأن يشبه الإنسان شيئاً من الأشياء بالشمس والقمر ، ولا يشبه الشمس والقمر بشيء آخر ، لأن للأعلى النعت الأول ، وللأسفل النعت الأرذل ؛ فهذا كما ترى .

وأما قوله : وما العقل ، وما أنحاؤه ، وما صنيعة ؟ فإن الجواب عن هذا (١٣) لو وقع<sup>(٣)</sup> في خلد كثير ، لكان محمولاً على التقصير ، وكذلك فيما تقدم ؛ ولكن

(١) في كلتا النسختين : « الاشتياق » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) يريد بالشخص هنا الاحتمال ، وهو في مقابلة البلوغ .

(٣) في كلتا النسختين « أنه لو وقع » . والظاهر أن قوله « أنه » زيادة من الناسخ .



هذا مكان قد اقترح فيه الإيجاز والتقريب ، وهذان لا يكونان إلا بحذف الزوائد المفيدة ، وإلا لا يتفرق العلائق الموضحة . وبعد ، فالعقل أيضاً قوة إلهية [ أبسط من الطبيعة ، كما أن الطبيعة قوة إلهية ] أبسط من الأسطوانات ، وكما أن الأسطوانات أبسط من المركبات ؛ وعلى هذا حتى تنتهي المركبات إلى مركب في الغاية ، كما بلغت المبسوطات إلى مبسوط في النهاية ؛ فالتقى الطرفان على ما يقال له : كل ، فلم يكن بعد ذلك مطلب لا في هذا الطرف ولا في هذا الطرف ؛ والعقل هو خليفة الله ، وهو القابل للفيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا قذى ؛ وإن قيل : هو نور في الغاية لم يكن ببعيد ، وإن قيل بأن اسمه مفعول عن نعمته لم يكن بمنكر ؛ وإنما عجزنا عن تحديد هذه البسائط لأننا حاولنا عند علمها<sup>(١)</sup> أن تكون في صورة المركبات أو قريبة منها ، وأن نصير لنا أصناماً تمثلها ونوكل بها<sup>(٢)</sup> ؛ وهذا منا تعجرف مردود علينا ، وخطأ يلزمنا الاعتذار منه إلى كل من أحس به منا ؛ وينبى أن نتوب إلى الله في كل وقت من وصفه بما لا يليق به ، ومن طرح الوهم على شيء قد حجبته عن معارفنا ، ورفعنا عن عقولنا ، وقصرنا على حدودنا اللازمة لنا ، وأشكالنا المشتعلة علينا ؛ هذا حديث العقل إذا لحظ في ذروته .

فأما إذا فحس عن آثاره في حضيضه فإنه تمييز وتخصيل وتصنع وحكم وتصويب وتخطئة ، وإجازة وإيجاب وإباحة ؛ وإياك أيها السامع أن يكون مفهومك من هذه الأسماء والأفعال والحروف أشياء متميزة فتجعل شيئاً واحداً أشياء ، ومن كثر الواحد فهو أشد خطأ ممن وحد الكثير ، لأن تكثير

(١) في كلنا النسختين : « علمائها » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في كلنا النسختين : « وتوكل » ؛ وهو تحريف .

الواحد انحطاطاً إلى المركز ؛ وتوحيد الكثير استقلاء إلى المحيط ، بل يجب أن يكون محصولك منها شيئاً واحداً لم تصل إليه إلا بترادف هذه الكلمات ، وتصاحب هذه الصفات .

وأما أمحاؤه ، فعلى قدر ما يقال : فلان عاقل وفلان أغفل من فلان ، وفلان في عقله لومة<sup>(١)</sup> ، وفلان ليس بعاقل ؛ وأصحاب العقل أنصباؤهم منه مختلفة بالقلة والكثرة ، ، والصفاء والكدر ، والإنارة والظلمة ، واللطافة والكثافة ، والحققة والخصافة ، كما تجدهم مختلفين في الصور والألوان والخلق بالطول والقصر ، والحسن والقبح ، والأعتدال والانحراف ، والرد والقبول ، إلا أن هذا القليل يذكر بالحس ، ويشهد بالعيان ، ويعين بالحضور ، وذلك القليل محجوب عن هذا كله ، فلم يجر أن تكون الإحاطة بتفاوت ما غاب [ عنا ] في وزن [ الإحاطة<sup>(٢)</sup> ] بتفاوت ما حضر ، فإنهما ما تباينا ليأتلفا ، بل ليختلفا ، وهذا التفاوت مُعترف به إذا اعتبر من خارج ، وذلك أنك تجد أصحاب المال أيضاً يتباينون في مقادير ما يملكون من المال ، ولا يتفقون على مقدار واحد منه عند جماعتهم ، ولا يتفقون على نوع واحد أيضاً من أعيان المال ، لأن هذا يملك الصامت ، وذلك يملك الناطق ، وهذا يمارس القز ، وهذا يمارس الصوف ، وهذا ينظر في الصرَف ، وهذا يبيع الحيوان ، وكل منهم صاحب مال ومباشر له ؛ وعلى هذا المثال أخذى أهل العقل في مطالبهم ، فصار هذا يملك بعقله غير ما يملك الآخر ، أعني أن هذا ينظر في الهندسة ، وهذا في الطب ،

(١) في (١) : « لومه » ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف تتعذر قراءتها ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها .



وهذا في النحو، وهذا في الفقه؛ والعبارة تمنع من إشباع هذا المعنى، وحصر هذا الفن، فعلى هذا أنحاؤه، وإنها لكثيرة إن لم تكن بلا نهاية.

وأما صنيعه، فهو الحكم بقبول الشيء ورده، وتحسينه وتقصيحه، إذا كان المروض عليه على جهته غير مموه ولا منشوش، ولا مشتبه فيه ولا ملبوس، فإن كان مموهاً اختلف حكمه، لأن العقل يرى الباطل حقاً في وقت، ويرى الحق باطلاً في وقت، معاذ الله من هذا، ذلك للحس المنقوص، والذهن الملبوس، لأن<sup>(١)</sup> العارض مموه معروضه على العقل، فحكم له بما يستحقه، إلا أن يكون العارض لم يشمر بذلك التمويه، ولم يفتن لذلك النش، فينشد يهديه العقل ويرشده، ويفتح عليه، وينصح له.

وأما قوله: وهل يعقل العقل، فإن الأولى أن يقال: العاقل يعقل بالعقل معقوله، ألا ترى أنه يقال: السراج أضاء البيت، ويبعد أن يقال: أضاء نفسه، لأنه مضي بنفسيه، فليس به ققر إلى أن يضيء نفسه، وإنما أضاء غيره.....<sup>(٢)</sup> ولو عقل العقل لعقل بالعقل، وهذا إذا استمر كان مردوداً، ونحن إذا قلنا: عقل العاقل معقوله، فإنما نصيفه بأنه أنفعل أنفعال كمال، والعقل يرى من هذا الأنفعال ألا يتوخى أنه يعقل الإله الذي هو به ما هو، فإنه يجوز أن يضر<sup>(٣)</sup> به أنفعال لا تق به يكون عبارة عن شوقه<sup>(٤)</sup> إليه، وكاله به، وأقتباسه منه، وهذا صراط حديد، والواطي عليه على خطر شديد، والوقوف

(١) وردت هنا كلمة: « لكن » . في الأصول وهي زيادة من الناسخ .

(٢) ورد موضع هذه النقط في كلتا النسختين: « إل لأنه أضاءه » ، ولا مقتضى لهذه

العبارة هنا كما يظهر لنا . (٣) في كلتا النسختين: « يضر به » بالنون مكان الراء؛

ولم ننبين له معنى في هذا الموضع؛ ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعله « يضل به » باللام .

(٤) في كلتا النسختين: « سوقه » بالسين وهو تصحيف .



دونه أصدع بالحجة ، وأوضح للعدر ، لأن الإنسان خوار بالطبع ، وإن كان جسوراً بالنفس .

وأما قوله : وهل تتنفس النفس ، فإن أريد بذلك النفس النامية (١٤) والحيوانية فهو قريب ، وأما الناطقة فإن ذلك يبعد منها [ لأن ذلك النفس استمداد شيء به يكون الشيء حياً ] أو كالحى ؛ والناطق غنية عن ذلك .  
فإن قيل : فهل تنقبس من العقل وتستيد ؟ قيل : هذا لا يسمى تنفساً ، وليس اللفظ يُبعد عن الحقيقة تأويل في الوضع ؛ ولا وجه في الاحتمال (١) وإدخال العويص في المكان الذي يحتاج فيه إلى رفع اللبس وزوال الإشكال ، مداجاة في العلم [ وخيانة للحكمة ] وجناية على المستنصيح .  
وأما مرتبته (٢) عند الإله فقد وضع بأنه كالشمس تطلع فتحي ، وتضيء فتبفع .

فإن قيل : فالعقل أينما هكذا ، قيل : العقل أيضاً شمس أخرى ، ولكنها تطلع على النفس التي ليست حاوية لجدارٍ وسطح ، وبرٍّ وبحر ، وجبلٍ وسهل ، لأنه لما كان العقل أشرق من النفس — لأنه مُستخلف للنفس ، والنفس خليفته — كان إشراقه اللطيف ، ومنافعه في إشراقه أشرف ، وأيضاً فإن الشمس تجدها بالحس لما غروب وطلوع ، وتجل وكسوف ، وليس كذلك العقل ، لأن إشراقه دائم ، ونوره منتشر ، وطلوعه سرمد ، وكسوفه مقდوم ، وتجليه غير متوقف (٣) .

(١) في (ب) : « الاحتمال » .

(٢) مرتبته ، يعني العقل .

(٣) في كلتا النسختين : « متوقع » بالعين ؛ وهو تحريف .

فإن قيل : نرى العقل يعزبُ عن الإنسان في وقتٍ [ ويثوبُ إليه في وقت ] . فالجواب أن الوصف الذي كنا ننته (١) به ونصدع ببيانهِ لم يكن لعقل زيد وعمر، وبكرٍ وخالد ، لأن ذلك يُنته بالطلوع والغروب ، وبالحضور والغيوب ، لأنه ما هنا مضافٌ ومُنحازٌ (٢) ، أو كالمُنحاز ، وليس كذلك هو ، فإنه هناك على بهجته التامة ، وسلطانه القاهر ، وملكوته الأفيح ، وبسيطه الفائق (٣) ، وفضائه العريض .

وأما قوله : وهل ينقل ، فقد مرَّ الكلامُ عليه في طيِّ ما مرَّ ، وليس للتكرار وجه ، ولا في التطويل عذر .

وأما قوله : فقسطُ الفعل أكثر ، أم قسطُ الأنفعال ، فإن هذا يُلحظُ من وجهين ، إذا لُحِظَ قبُولُهُ من قِيضِ الإله فقسطُ الأنفعال أظهر ، وإذا لُحِظَ قِيضُهُ على النفس فقسطُ الفعل فيه أكثر ، لأنه بجوده على غيره يُشَارِكُهُ مَنْ جَادَ عليه بجوده ، وهذا لطيفٌ جدًا .

(١٥) وأما قوله . وما الأماد ، فما أسهلَ مُطَالَبَةُ السَّائِلِ بهذا الأمرِ الصَّعبِ المائل الذي كلُّ أمرٍ متعلِّقٌ به ، وكلُّ رجاء حائمٌ حوله ، وكلُّ طمعٍ مُتَوَجِّهٌ إليه ، وكلُّ شيءٍ مقصورٌ عليه ، وكلُّ إنسانٍ به يهيم ، وكلُّ مُصرِّحٍ عنه يُصرِّح ، وكلُّ كانٍ عنه يَكْنِي ، وكلُّ مترنِّمٍ به يحدو ، وكلُّ لحنٍ إليه يُشِير ، وكلُّ سامعٍ إليه يَطْرَب ، ونزجٍ فنقول — على العمى والبيان ، وعلى الزحف والعدوان : — إن عودَ النفس إنما هو تَخْلِيَّتُهَا للبدن إذا حانَ وقتُ التَّخْلِيَةِ ، إما لأن البدنَ

(١) في (١) : « تنع » ؛ وفي (ب) : « تنس » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في كلتا النسختين : « مختار أو كالمختار » ؛ وهو تحريف في كلا الموضوعين .

(٣) في (١) : « الغائب بالبين والباء » ؛ وفي (ب) : « الفائق » بالفاء والناء ؛ ولعل

الصواب ما أثبتنا .



غير مُحْتَمِلٍ لمادة الحياة ، وإما لأنَّ النفسَ قد أزمعتُ أمرًا آخرَ ، ولا يَتِمُّ لها ذلك إلا بتَخْلِيَةِ هذا ؛ وإما لهما .

فإن قال قائل : فما نصيبُ الإنسان من عَوْدِ النفس الذي هو تَخْلِيَتُهَا لِلْبَدَنِ وخُروجها عنه ، وترك استمالتها له . فالجوابُ من طريق التمثيل ، والرضا بالرأى الأصوب ، والحكم الأجلّي أن يقال : لو قيل لرجلٍ من عُرضِ الدّاسِ وافرٍ أو ناقصٍ : إنك إذا فارقتَ هذا العالمَ بقيتَ عينُكَ الباصرة ، وأذنُكَ السامعة ، هل ترى ذلك نعمةً عليك ، وإحسانًا إليك ، فإنَّ عينَكَ إذا بقيتْ أبصرتَ العالمَ بعدك كما كنتَ تُبصرُهُ وهي معك ، بل تُبصرُ أحسنَ من ذلك الإبصارِ ، لأنها كانت معك ترمدُ بسببك ، وتعيشي من أجلك ، وربما عرّضَ لها سوءًا بسوءِ تذكيرِكَ ، أو باتفاق ردىءٍ عليك ، من عشي أو عَمَى وخَفَشٍ وعَمَشٍ وعَوَرٍ وآفاتٍ<sup>(١)</sup> كثيرة ، وهي آمنةٌ بعدك من هذه الأغراضِ المسكرُوهة ، والأحوالِ الداهيةِ<sup>(٢)</sup> ، فإننا نعلمُ حقًا وعيانًا أنه يقول : قد رَضِيتُ بل أتمنّى هذا ، ومن لي به ، أي إن أُعْطِيتُ هذا فمن مني<sup>(٣)</sup> أسمعُ وأبصرُ ، وإذا كنتُ أكره الدنيا في حياتي إذا فقدتُها فكيف لا أحبُّ الدنيا إذا وجدْتُها ، فإن كان هذا التمثيلُ واقعًا ، وهذا التقريبُ نافعًا ، والحقُّ في تضاعيفه واضحًا ، فليكن ذلك مُطَرِّدًا في بقاءِ نفسِ الإنسانِ التي بها كان إنسانًا ، وبها كان يَنتمى في هذا العالمِ ، وبها كان يَعْلَمُ وَيَعْرِفُ وَيَحْكُمُ وَيُصَيِّبُ ، ويَجِدُ لَذَّةَ اللذِيذِ من ناحيةِ العقلِ والحسِّ ، وبها كان يَتَمَتَّى بالبقاء والدوامِ والخلودِ ،

(١) كذا في (ب) والذي في (١) : «وذنوب» ؛ وهو تبديل من النسخ . ولم يرد قوله : «كثيرة» في (ب) . (٢) في كلتا النسختين : «الناحية» ؛ وهو تصحيف . (٣) في كلتا النسختين : «مثلي» بالثاء واللام ، وهو تحريف صوابه ما أثبتناه كما يقتضيه السياق ، وأسمع وأبصر : وصفان للتفضيل .



وإنما استحال ذلك التَّجَنِّي من أجل كَوْنِهِ وِفْسَادِهِ الَّذِينَ لم يَكُنْ بُدٌّ مِنْ  
 أَنْتِهائِهِمَا إِلَى الْقَنَاءِ الَّذِي هُوَ مُفَارَقَةُ النَّفْسِ الْجَسَدِ وَتَخْلِيَتُهَا لِلْبَدَنِ ، وَنِسْبَةُ  
 نَفْسِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِنْسَانِ أَوْ كَدِّ وَالْعَاقُ مِنْ نِسْبَةِ الْعَيْنِ إِلَيْهِ ، أَلَا تَرَى  
 أَنَّهُ بِالنَّفْسِ إِنْسَانٌ ، وَبِالْبَدَنِ حَافِظٌ لَشَكْلِ [ الْإِنْسَانِ ] ؛ فَإِذَا كَانَ لِلْإِنْسَانِ  
 فِي هَذَا التَّمْثِيلِ فَائِدَةٌ مُمْتَنَّةٌ ، وَحَالَةٌ مُخْجَوِبَةٌ هَنِئْتُهُ ، أَعْنَى فِي بَقَاءِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ  
 حَتَّى يُبْصِرَ بِإِحْدَاهُمَا هَذَا الْعَالَمَ الْمَخْشُوعَ بِآلِفَاتٍ ، وَيَسْمَعَ بِالْآخَرَى مَا يَجْرِي  
 فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْأَسْتِحَالَاتِ ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَكُونَ رِضَاءُ بَقَاءِ النَّفْسِ فِي مَحَلِّ  
 الرُّوحِ وَالْأَمْنِ ، وَمَقَامِ الْكَرَامَةِ وَالسَّكِينَةِ عَلَى حَالِ الْخُلُودِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ،  
 إِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ ؛ وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْعَجِيبِ عَقْلٌ لَا يَغْلُقُ بِهِ ، وَرُوحٌ  
 لَا يَهْشُ لِسَمَاعِهِ ، وَنَفْسٌ لَا تَجِدُ حَلَاوَتَهُ ، وَصَدْرٌ لَا يَتَصَدَّعُ طَرَبًا عَلَيْهِ ،  
 وَالتَّيَاحَا<sup>(١)</sup> إِلَيْهِ ، فَإِنْ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ بِهِذِهِ الْفَائِدَةِ ، وَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ ،  
 لِعَازِبِ الرَّأْيِ ، ضَعِيفِ الْعَقْلِ ، خَفِيفِ الْمِثْقَالِ ، رَدِيءِ الْأَخْتِيَارِ ، قَلِيلِ  
 الْحَصَافَةِ ، سَيِّئِ النَّظَرِ ؛ حَيَّوَانٌ خَسِيسٌ ، فِي مَسْكَاتِ إِنْسَانٍ رَثِيسٍ ؛ فَقَدْ بَانَ — عَلَى  
 مَذْهَبِ التَّقْرِيبِ — مَا الْمَادُّ الْمُشَارُ إِلَيْهِ ، وَمَا الْإِنْسَانُ مِنْهُ ، وَمَا لِنَفْسِهِ بِهِ .

(١٦) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَيْ نَفْسِ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَبَكْرِ وَخَالِدٍ ،  
 وَمَا الْفَرْقُ أَيْضًا بَيْنَ أَنْفُسِ أَصْنَافِ الْحَيَّوَانِ ، فَإِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَنْفُسِ  
 بِقَدْرِ قِسْطِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْهَا ، وَهَذِهِ الْأَقْسَاطُ إِذَا أُجْتَمَعَتْ تَفَاوَتْ ، وَإِذَا  
 تَفَاوَتْ كَانَتْ مِنْهَا نَفْسٌ بَاقِيَةٌ حَيَّةٌ ، وَنَفْسٌ فَانِيَةٌ مَيِّتَةٌ ، أَلَا تَرَى الشَّمْسَ  
 كَيْفَ تَطْلُعُ عَلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُخْتَلِفَةِ بِالْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ ، وَبِالتَّعَرُّيجِ وَالْأَسْتِقَامَةِ ،  
 وَالْأَشْكَالِ الْكَثِيرَةِ ، فَيَقُولُ كُلُّ إِنْسَانٍ : مَشْرِقَتِي أَطْيَبُ مِنْ مَشْرِقَةِ فُلَانٍ ،

(١) "تياح" : الشوق . وفي الأصول : « وارتياحا » . وهو تحريف .

وما أشبهَ هذا الكلام ، وطلوعُ الشمس على جميعها طلوعٌ واحد ، ولكن  
حُظوظَ البقاع منها مُختلفة ؛ فليس بِمُنكرٍ [ أن تكون ] نفسُ زيدٍ أنجبى  
مِنَ الكدرِ ، وأخلصَ من الآفة ، وأوصلَ إلى السعادة ؛ ونفسُ بكرٍ على  
خلاف ذلك ، ومَرَاتِبُ هذه الأنفس موقوفَةٌ على الإضافاتِ الحاصلةِ لها  
بأصعابها ، والأنصباء المذخورة لها بأكتسابها .

فأما أنفسُ أصنافِ الحيوانِ كالفرسِ والخمارِ فإنها أنفسٌ ناقصةٌ غيرُ  
كاملة ، وهي ضعيفة ، لأنها لم تعجدْ إلا الإحساسَ والحركات ، لم يشعْ فيها نورُ  
النفسِ الشريفة ، ولم ينبثْ فيها شعاعُ العقلِ الكريم ؛ فوجبَ من هذا الوجهُ  
أن تكونَ تابعةً لأبدانها ، جاريةً على فسادها وبطلانها ، لأنَّ الحكمةَ  
أنتهتْ إلى ذلك الحدِّ في كونها حشواً لهذا العالمِ وزينةً ومنافعَ ومباليغَ إلى  
غاياتٍ وأغراض .

وأما قوله : وهل المَلَكُ حيوانٌ ، فقد عَلِمْتَ أَنَّهُ يقالُ له حَيٌّ ، وهذا وَقِفْ (١٧)  
على الأسماءِ الجارية ، والمادَّاتِ القائمة ، وكأنَّ الحيوانَ إنما شاعَ في غيرِ المَلَكِ  
لما فيه من الحسِّ والحركةِ والاهتداءِ والتَّصَرُّفِ على ما لاقَ بِجَنَسِهِ ونَوْعِهِ  
وشَخْصِهِ ؛ [فأما ما يَدَّأُو وَيُنَزُّهُ عن الصفاتِ فلم يُطْلَقْ عليه حيوانٌ ، ولكن يقالُ] :  
حَيٌّ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الأَسْمَاءِ إلى اللَّغْنِ المُشارِ إليه ، وبهذا التَّقْرِيبِ قيلَ أيضاً  
لِلَّهِ : إِنَّهُ حَيٌّ ، وَأَنْتَ إِذَا حَدَّثْتَ الْحَيَّ أَوْ الْحَيَاةَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَصِفَ اللَّهَ [جَلَّ  
وَعَلَا] بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .. وفي الجملة كُلُّ ما كانَ أُدْخِلَ في البَسَاطَةِ كانَ أُخْرِجَ  
مِنَ التَّرْكِيبِ ، وَكُلُّ ما كانَ أُخْرِجَ مِنَ البَسَاطَةِ كانَ أُدْخِلَ في التَّرْكِيبِ .

فأما المركَّبُ الَّذي ليس له من البسيطِ إلا النِّصِيبُ النَّزَرُ ، وإلا طَيفُ  
الخيالِ ، فاسمه واضحٌ والإشارةُ إليه سهلةٌ ، والبيانُ له مُدْرِكٌ ، لأنَّه مُحاطٌ



بحدوده في طوله وعرضه وعمقه .

وأما المركب البسيط الذي ليس له من التركيب إلا النصيب اليسير ، فاسمه غامض ، والإشارة إليه عسرة ، والبيان عنه مكفوف ؛ وهذا باب إذا حفظ فهم منه شيء كثير مما يقع فيه الغلط من الإنسان بفكره الرديء ؛ وينفع أيضاً نفعاً بيناً في التغايط العارض بين المتناظرين على جهة التنافس والتنافس

قال أبو سليمان : من حرم هذا الثغر أمن من جميع الأعداء ، ومن أهمله كانت جنايته على نفسه أعظم من جنايته مدوّه التأثير من ثغره .

وأما قوله : على أي وجه يقال لله حي والملك حي والفرس حي ، فقد دخل الجواب عنه في ضمن ما تشقّق القول به ، وتحقّق المعنى عليه في حديث المركب والبسيط ؛ وتزيد هاهنا حرفاً يكون رديفاً لما تقدم ، فنقول : أما الإنسان فإنه يقال له : حي بسبب الحس والحركة وما يتبعهما مما هو كمال الحي ، وكذلك الفرس وما أشبهه . وأما الملك فلما كان ما يستحقّه بيساطته معدوماً عندنا ، لم نقدر على شيء نصيفه به إلا ما نصيف به أنفسنا بيننا ، ولو كنا في عالم الملك ملنا كنا نذري بأي شيء ينبغي أن ينعى ويسمى ويذكر ويحسكى ، فإن من كان مناً في بلاد الصين فإنه يسمى الإنسان والفرس والحمار والبقر بها بتعالم أهلها بينهم ، وإذا كان هذا مشوّراً على ما ترى في الملك ، أغنى تسميته الحي ، ونعته بالحياة ، فالله الذي لا سبيل للعقل أن يدركه أو يحيط به أو يجده وجداناً أولى وأحرى أن يمسك عنه عجزاً وأستخذ ، ونضاولاً وأستغناء ، إلا بما وقع الإذن به من جهة صاحب الدين الذي هو مالك أزيمة العقول ومرشدها إلى السعادات ، وواقفها عند الحدود ، وزاجرها



عَنِ التَّخَطُّى إِلَى مَا لَا يَجُوزُ . فَعَلَى هَذَا قَدْ وَضَحَ أَنَّ الصَّمْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَغْوَدُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ التَّنْقِي ، لِأَنَّ الصَّمْتَ عَنِ الْمَجْهُولِ أَنْفَعُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمَعْلُومِ ، وَالنَّظَاهِرَ بِالْعَجْزِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْأَسْطِطَالَةِ بِالْقُدْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَلَيْسَ لِلْخَلْقِ مِنْ هَذَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ إِلَّا الْإِنِّيَّةُ وَالْهُيُوتَةُ ، فَأَمَّا كَيْفَ وَلِمَ مَا هُوَ فَإِنَّهَا طَائِرَةٌ فِي الرِّيَّاحِ كَمَا تَسْمَعُ وَتَرَى .

وَلَمَّا حَرَّرْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَحَمَلْتُهَا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ قَالَ لِي : هَذَا وَاللَّهِ جُهْدُ الْمَقِلِّ ، وَفِي غَلِيلِي بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّهَبِ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : سَنَقُولُ لَكَ كَلَامًا لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ الرِّضَا ، فَقُلْ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، فَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْرِضَ عَلَيْكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَلَوْ لَا عَجَلَةُ رَسُولِكَ فِي الْمَطَالَبَةِ ، وَإِذْلَالُهُ بِالْإِلْحَاحِ ، وَقَوْلُهُ : الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ وَالْإِيجَازُ ، لَا التَّطْوِيلُ وَالِإِسْهَابُ ، لَسَكَانَ الذَّنْبُجُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمِنْوَالِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَشْيِ . قَالَ : وَمِنَ الْمَعَالِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَازِرٌ ، وَلَا بِهَا خَائِرٌ ، أَنَّ السَّائِلَ يَحْضُرُ عَلَى التَّلَاحِيصِ الْمَفْهُومِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَزِيدُ الشَّيْءَ إِغْلَاقًا ، فَإِذَا أُمْتِثِلَ مَا يَرْتَمِمُ قَالَ : مَا شَفَّانِي الْقَوْلُ ؛ وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ : غَرِيقَ الْمُرَادِ فِي حَوَاشِي التَّكْثِيرِ ؛ فَلَيْسَ لِلْعَالِمِ تَخَلُّصٌ مِنْ أَسْتِزَادَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِ شُكْرٌ عَلَى مَبْدُولِ جُهْدِ الْعَالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَسْتِغْنَاءُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَالْأَوَّلَى فِيهَا لَا حِيلَةَ فِيهِ الرِّضَا بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَطَالَ اللَّهُ أَيَّامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَ عَلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ النُّعْمَةَ ، أَسْتَأْنِفْنَا نَظْرًا أَبْلَغَ مِنْ هَذَا النَّظَرِ ، بَيِّنَانٍ أَشَقَى مِنْ هَذَا الْبَيِّنَانِ ، وَطَرِيقٍ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الوزير : والله ما قلتُ قَوْلِي ذاك ، لأنَّ هذا الكلامَ سهْلٌ ، وهذا المُتَنَاولُ قَرِيبٌ ، وهذا الرَّمْيُ كَثْبٌ ، كَلًّا ، وإِنَّ لَأُظُنُّ بَلَّ أَحَقُّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي بَضَائِعِ أَصْحَابِنَا الَّذِينَ حَوَّلِي مَنْ يَذْرِكُ هَذِهِ الْمَعَانِي عَلَى هَذِهِ الصُّفَةِ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ مَنْ<sup>(١)</sup> يُفَزَعُ<sup>(٢)</sup> فِي شَرْحِهَا وَتَهْدِيهَا إِلَيْهِ .

ثُمَّ تَمَطَّى وَقَالَ : وَأُنْعِمَ سَادَ ، وَاضْعَفَ مُنْتَهَا ؛ ثُمَّ فَارَقَتْ الْمَجْلِسَ .

### الليلة السادسة والثلاثون

(١) وقال — دامت أيامه — كَيْفَ تَقُولُ عِنْدَ مَهْلٍ الشَّهْرُ شَيْئًا آخَرَ مِنْ لَفْظِهِ ؟  
فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : حَكَّى الْعَالِمُ : عِنْدَ هُلُولِ<sup>(٣)</sup> الشَّهْرِ وَمُسْتَهْلِلِهِ [ وَهَلْلِهِ ]  
وَاهْلَالِهِ وَأَسْتَهْلَالِهِ .

(٢) قَالَ : وَرَأَيْتُ الْحَاتِمِي يَقُولُ : عَشْرُ كَلِمَاتٍ جَاءَتْ وَعَيْنُهَا عَيْنٌ وَلَا لُهَا  
وَأَوُّ ، وَلَمْ أُؤَيِّرْ شَرْحَهُ لَهَا لِثِقَلِ رُوحِهِ ، وَمُغَالَاةِ بَنَفْسِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَا عِلْمَ إِلَّا  
عِنْدَهُ ، وَلَا فَائِدَةَ إِلَّا هِيَ مَعَهُ ، فَهَلْ فِي حِفْظِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

قُلْتُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، الْيَوْمَ ذَكَرَ الْأَنْدَلُسِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَعَدَّهَا ، وَقَدْ  
حَفِظْتُهَا ، فَقَالَ : هَاتِي يَا مُبَارَكُ ؛ فَكَانَ الْجَوَابُ : مِنْهَا الْبَعُو ، وَهُوَ الْجِنَايَةُ ،  
وَالْجَمْعُو ، وَهُوَ الطَّيْنُ ، وَالْدَّعْوُو ، مَصْدَرُ دَعَا دَعْوًا ، وَالسَّعْوُو : الشَّمْعُ ، وَالشَّعْوُو :  
هُوَ أَنْتِفَاشُ الشَّعْرِ ، وَالصَّعْوُو : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وَهُوَ أَيْضًا طَائِرٌ أَصْغَرُ مِنْ  
الْعُصْفُورِ ، وَالْقَعْوُو : مِنَ الْبَكْرَةِ ، وَاللَّعْوُو : الْحَرِيرِيُّ . وَالذُّبُّ فِي بَعْضِ

(١) الظاهر أن « من » زائدة . (٢) وردت هذه الكلمة في (١) مهملة

الحروف من النقط ، ووردت في (ب) هكذا « تفرع » .

(٣) لم نجد الهلول فيما راجعناه من كتب اللغة ، ولعل صوابه « هلال » أو لعله من  
الألفاظ التي انفرد المؤلف بروايتها عن مشايخه .

اللغات ، والمعو<sup>(١)</sup> : الجَنِيُّ من الرُّطْب ، والنَّعْو : الشَّقُّ في مِشْقَرِ البَعِير .

قال : هذا حَسَن ، لو أَنَّى به الحَاتِمِيُّ لَوَى شِدْقَه ، وقال : تَنَحَّ فَقَدْ  
جاء الأسد وغلب الطوفانُ وخرَجَ الدَّجَالُ وطلعت الشمسُ من المغرب ،  
ما بالُ أحمأيننا تفتريهم هذه الخيلاء ، ويغلبُ عليهم النقص ، ويستمكنُ  
منهم الشيطان .

قلت : قال أبو سليمان : كلٌّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حِفْظُ اللَّفْظِ وَتَضَرُّيفُهُ  
وَأُمْلِيَّتُهُ وَأَشْكَالُهُ بَعْدَ مَنْ مَعَانَى اللَّفْظِ ؛ والمعاني صَوْنُ الْعَقْلِ ، وَاللَّفْظُ صَوْنُ  
اللِّسَانِ ، وَمَنْ بَعْدَ مَنْ الْمَعَانِي قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَمَنْ قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ  
الْعَقْلِ كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَمَنْ كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحَقِّ خَفِيَ عَلَيْهِ  
قُبْحُ الذِّكْرِ .

### الليلة السابعة والثلاثون

وقال الوزير ليلة : ما أحوَجَ الجَبَّانَ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ أَحَادِيثَ الشُّجْعَانِ (١)  
وَمَا أَشَدَّ أُنْتِفَاعَ الضَّيِّقِ النَّفْسِ بِأَسْتِمَاعِ أَخْبَارِ الْكِرَامِ ، لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ فِي  
الْخَلْقِ أَغْرَاضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ مِنْهَا لَا زِمٌّ وَمِنْهَا لَا صِيقٌ .

قال : وكان<sup>(٢)</sup> عيسى بن زُرْعَةَ سَرَدَ عَلَى سَنَةِ سَبْعِينَ ، لِيَالِي كَانَتْ الْأَشْغَالُ  
خَفِيفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ بِالْمَاضِي — نَوَّرَ اللَّهُ قَبْرَهُ وَضَرِيحَهُ — عَائَةً ، وَالنَّظَرُ  
بِالْحُسْنَى شَامِلًا — أَشْيَاءَ فِي الْخُلُقِ أَنَّى بِهَا عَلَى عُمُودٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِي ، وَذَلِكَ

(١) في كلتا النسختين « والمعو » باللام ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا  
عن كتب اللغة .

(٢) في (١) « ولو كان » ؛ وقوله « لو » زيادة من الناسخ .



أنه ذَكَرَ العقلَ والمُحَقِّقَ ، والعِلْمَ والجهْلَ ، والحِلْمَ والسُّخْفَ ، والقناعةَ والشرَّ ، والحَيَاءَ والقِيَّةَ ، والرحمةَ والقسوةَ ، والأمانةَ والخيانةَ ، والبيقظَ والغفلةَ ، والثَّقَى والفُجُورَ ، والجُرْأَةَ والجبنَ ، والتواضعَ والكِبَرَ ، والوفاءَ والغدرَ ، والنصيحةَ والغشَّ ، والصدقَ والكذبَ ، والسَّخَاءَ والبُخْلَ ، والأناةَ والبَطْشَ ، والعدلَ والجورَ ، والنشاطَ والكسلَ ، والنُّسْكَ والفُتْكَ ، والحقَّ والصُّفْحَ ، وينبغي أن تزورَ عيسى وتذكرَ له هذه الجُمْلَةَ ، وتبعثه على إعادةِ حُدُودِها ، وإشباعِ القولِ فيها ، مع إيجازٍ لا يكون به مدخلٌ للخللِ ، ولا تقصيرٌ عن إيصالِ الآخرِ بالأوَّلِ .

فلقيتُ عيسى وعرفتُ به الحديثَ ، وأدلى ما رَسَمْتُهُ في هذا الجزء ، وعرضتُهُ على أبي سليمان ، فرَضِيهَ بعضَ الرِّضَا ، ولم يَسْخَطْ كلَّ السُّخْطِ ، وقال : تحديدُ الأخلاقِ لا يصحُّ إلا بضربٍ من التجوُّزِ والتسَمُّحِ ، وذلك أنها مُتَلَابِسَةٌ تَلَابُسًا ، ومُتَدَاخِلَةٌ تَدَاخُلًا ، والشَّيْءُ لا يَتَمَيَّزُ عن غَيْرِهِ إِلَّا بِبَيِّنُونَةٍ واقِعَةٍ تَظْهَرُ لِلْحِسِّ اللَّطِيفِ ، أو تَبْضِغُ لِلْعَقْلِ الشَّرِيفِ .

ثم قال : [ ألا ترى ] أن الفِكرَ مَشُوبٌ بالرَّوِيَّةِ ، والظَّنَّ مَخْلُوطٌ بالوَهْمِ ، والدُّكْرَ مَعْنَى التَّخَيُّلِ ، والبديهةَ جانحةٌ إلى الحِسِّ ، والأسْتِنْبَاطَ مَوْصُوفٌ بالغَوْصِ ، وما <sup>(١)</sup> هذا المعنى الذي مَيَّزَ التَّوَاضُعَ من شَوْبِ الضَّعَةِ ، أو خَلَصَ علُوُّ الهِمَّةِ من شَوْبِ الكِبَرِ ، أو فَرَزَ <sup>(٢)</sup> عِزَّةَ النَّفْسِ من نَقْصِ المُجِيبِ ، أو أَبَانَ الحِلْمَ عن بعضِ الضَّعْفِ ؟ ا هَذَا بالقولِ ربَّما سَهْلٌ وأَنقَادٌ ، ولكنَّ بالعقلِ رَبَّما عَزٌّ وأَعْيَاصٌ ، والأخلاقُ والخِلْقُ مُخْتَلِطَةٌ ، فمنها ما اخْتَلَطَ قَوِيٌّ

(١) في كلتا النسختين : « ومن هنا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين : « أو قرن » ؛ وهو تحريف .

شديد ، ومنها ما أختلأطه ضعيف مهمل ، ومنها ما [ اختلأطه ] نصفت بين  
اللين والشدة ، وهذه ينفع العلاج في بعضها ، وينبؤ العلاج عن بعضها ؛  
والحزم يقضى بالآ يتهاون بما يقبل العلاج لأجل ما لا يقبل العلاج .

قال : وهذا أيضاً يختلف بحسب المزاج والمزاج ، والإنسان والإنسان ،  
ألا ترى أنك لو رمت تحويل البخيل من العرب إلى الجنود كان أسهل  
عليك من تحويل البخيل من الرزم إلى الجنود ، والطمع في جبان الترك أن  
يتحول شجاعاً أقوى من الطمع في جبان الكرد أن يصير بطلاً .

قال : ومع هذا فوصف الأخلاق بالحدود — وإن كان على ما قدمناه —  
نافع جداً ، وإضمارها في النفس مثير أبداً ، فهذا هذا .

وأما ما قال أبو علي فإنه هذا . (٢)

قيل : ما الحلم ؟ قال ضبط الفكر بكف الغضب .

وقال شيخنا أبو سعيد السيرافي : اعتبره من ناحية الاسم تفتيل لطيفة<sup>(١)</sup>  
وذلك أن الحلم شريك التحلم ، « فكان الحلم [ الذي ] يعد فيمن يحلم<sup>(٢)</sup> » في  
عرض الحلم الذي لا يعاج عليه ولا يكثر له . قال : والتعلم نافع أيضاً ،  
وهو أخذ من التعلم ، لأن الثاني أقرب إلى الثاني ، كما أن الأول أقرب  
إلى الحقيقة .

وقيل لعيسى : ما العدل ؟ فقال : القسط القائم على التساوي . (٣)

وحكى جالينوس قال : إن الناس أشد حُبهم لأنفسهم يظنون أن لم  
ما يحبون ، فن أجل ذلك وقعوا في العجب ؛ فينبغي أن تكون محبتك لنفسك

(١) في الأصل « لطيفة » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مضطربة اللفظ لا يفهم المراد منها ، وسياق

الكلام يقتضي ما أثبتنا ، كما ورد في (ب) « هو » قبل كلمة « الذي » .



حَقِيقَتِهِ ، وَيَتِمُّ ذَلِكَ لَكَ إِذَا أَنْتَ صَبَرْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يَرَى مِنْ  
يَرَى أَنَّكَ عَلَيْهَا .

[ وَقَالَ : الْمُعْجَبُ ] يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحِقُّ لَهَا ؛ وَمَا أَحْسَنَ  
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُحِبَّ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ بِالْعَدْلِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهَا جِدًّا فَيُعْجَبُ  
أَنْ يَجْمَعَهَا مِنْ أَهْلِ اللَّحَبَةِ ، ثُمَّ يُحِبُّهَا مِنْ بَعْدِ .

(٤) قِيلَ : فَمَا الْحَسَدُ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْأَمْسِ عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ لغيرِهِ .

(٥) قِيلَ : فَمَا السَّكَاةُ ؟ قَالَ : إِفْرَاطُ الْحُزْنِ .

قَالَ أَبُو سَلْيَانَ : الْحُزْنُ وَالنَّعْمُ وَاللَّهْمُ وَالْأَمْسُ وَالْجَزَعُ وَالْخَوَرُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ  
وَمِنْ تَعَاطَى وَصَفَتْ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ طَالَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَعْظَ بَطَائِلُ ، وَيَكْفَى أَنْ نَعْرِفَ  
شَجَرَةَ التَّنَاحِ مِنْ شَجَرَةِ الشَّمْسِ ، وَشَجَرَةَ الْكُمُثْرِ مِنْ شَجَرَةِ السَّقَرِ جَلْ ؛  
فَإِنَّ عَوَاقِبَ الْمَعَارِفِ نَسَكِرَاتُ ، كَمَا أَنَّ فَوَاحِ الْمَعَارِفِ جَهَالَاتُ .

(٦) قِيلَ : فَمَا الشُّجَاعَةُ ؟ قَالَ : الْإِقْدَامُ فِي مَوْضِعِ الْفُرْصَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ .

قَالَ أَبُو سَلْيَانَ : الشُّجَاعَةُ إِذَا كَانَتْ نُطْقِيَّةً <sup>(١)</sup> كَانَتْ فُرْصَتُهَا تَعَاطَى  
الْحِكْمَةِ وَالِدَعْوَبَ فِي بُلُوغِ النَّايَةِ ، وَبَذَلِ الْقُوَّةِ فِي نَيْلِ الْبَغْيَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ  
غَضَبِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا شِفَاءُ الْغَيْظِ إِمَامًا مِنْ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِمَامًا مِنْ غَيْرِ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِذَا  
كَانَتْ مَهْرِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا التَّحَلَّى بِالْعَقَّةِ الْبَاتَةِ ، أَعْنَى فِي الْخُلُوةِ وَالْحِفْلِ .

قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ : الْعَقَّةُ وَاسِطَةٌ  
بَيْنَ الْمَقَارَفَةِ وَالْمِصْنَةِ ، وَالْمِصْنَةِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ .

وَحَكَى عِيسَى بْنُ زُرْعَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ — عِنْدَ تَدَافُعِ الْحَدِيثِ — أَنَّ  
مُورِسًا قَالَ : إِنَّ لَأَعْجَبُ مِنْ نَاسٍ يَقُولُونَ : كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ النَّاسُ

(١) نَطْقِيَّةٌ ، ي ف ك ر .



على رأي واحد ، ومنهاج واحد ، وهذا ما لا يستقيم ولا يقيم به نظام .  
 قال : وهب أن يكون الناس وكل واحد منهم مَلِكاً يأمرُ وينهى ويُسمع  
 له ويُطاع ، فمن كان التأمور المؤتمر ، والمنهى المنتهى ، والعاقل الحصيف يُعلمُ  
 أنه لا بد من التفاوت الذي به يكون التصالح ، كالعالم والمتعلم ، والآمر والمأمور  
 والصانع والمصنوع له .

ثم قال عيسى : من توابع الأخلاق المذمومة الغضب والكذب  
 والجهل والجور والدناءة .

قال أبو سليمان : أما الغضب فلا يكون مذموماً إلا إذا أُعْمِلَ في غير أوانه ،  
 وعلى غير ما يأذن الناموس الحق به ؛ وأما الكذب ففيه أيضاً مصالح ، كما أن  
 الصدق ربما أفضى إلى كثير من المفاسد — وإن كان الصدق قد فاز بالوصف  
 الأحسن ، والكذب قد وُصِفَ بالنفث الأفتح — فكم كذب نجى من شر ،  
 وكم صدق أوقع في هوة ، وبقي الآن أن نعرف الصدق مع أوانه ومكانه ،  
 فيؤتى به أو يُنهى عنه ، وكذلك الكذب على حدوه ومثاله .

قال : وأما الجهل والجور والدناءة فإنها أئافى الرذائل ، فيبتغى أن  
 يُنتقى منها جُملَةٌ وتُفصّل ، ولا يسلك أحدٌ إلى شيء منها [ سبيلاً ] فإنها أعدام ؛  
 — هكذا قال — ؛ والعدم كراهية ومهزوب منه ، والوجود على أنقص النعوت  
 أتم وأشرف من العدم على أزيد الصفات ، وإن كان لا زيادة في العدم إلا من  
 طريق الوهم العارض ما يصح وما لا يصح .

قيل : فما العجب ؟ قال وزن النفس بأكثر من مثقالها . (٧)

وقال أيضاً : العجب هو النظر في النفس بعين ترى القبيح جميلاً .

ويقال : المَعْجَبُ يدَّعي أن ما يَنْبَغِي أن يُعْجَبَ منه قد حصل له مِنْ غير أن يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ فأمَّا إذا كان ذلك حاصِلًا فالمَعْجَبُ ليس بِمَعْجَبٍ إِلَّا مِنْ طريق الأسم ، وإلاَّ فهو في الحقيقة إحساسٌ بِالْفَضْلِ المَعْشُوق ، وشُعُورٌ بِالسَّكَالِ المَوْمُوقِ ، وأَسْتِدْعَاءٌ لَزِيَادَةِ تَمَّا صارَ به هَكَذَا ، وأَسْتِعْدَادٌ لِقَبُولِ الْفَيْضِ مِنْ مَعْدِنِهِ بِالْأَخْتِيَارِ الثَّانِي والاعتِيَادِ الْأَوَّلِ .

(٨) قيل : فما الوفاء ؟ قال قضاء حقٍّ واجب ، وإيجاب حقٍّ غير واجب ، مع رِقَّةٍ أُنْسِيَّةٍ ، وخَفِيفَةٍ مَرَعِيَّةٍ .

(٩) قيل : فما الرَغْبَةُ ؟ قال : حركةٌ تكونُ مِنْ شَهْوَةٍ يُرْجَى بِهَا مَنَفَعَةٌ .  
قال أبو سليمان : الرَغْبَةُ إذا كانت نُطْقِيَّةً كانت مَبْعَثَةً عَلَى التَّحَلِّيِّ بِالْفَضَائِلِ ، وإذا كانت سَبْعِيَّةً أَوْ بَهِيمِيَّةً كانت مُلْهِجَةً بِمَوَاقِعِ أَضْدَادِهَا<sup>(١)</sup> مِنْ الرَّذَائِلِ .

(١٠) وقيل : ما المِهْنَةُ ؟ فقال : حركةٌ يَتَعَمَّطُهَا الْإِنْسَانُ بِلا حَقِيرٍ وَلَا اسْتِغْرَاءٍ .  
قال عليُّ بنُ عيسى : المِهْنَةُ صِنَاعَةٌ ، ولكنها [ إلى الذَّلِّ أَقْرَبُ ، وفي الضَّمَّةِ أَدْخَلَ ، والصَّنَاعَةُ مِهْنَةٌ ، ولكنها ] تَرْتَفِعُ عَنْ تَوَابِعِ المِهْنَةِ ، وفي الصَّنَاعَاتِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ الذَّلُّ أَيْضًا ، ولكن ذُلٌّ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حَقِيقَةِ الصَّنَاعَةِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ الْمَرَضِ الَّذِي بَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، والمرتبة والمرتبة .

(١١) قيل : فما العادة ؟ قال : حالٌ يأخذُ بِهَا الْمَرْءُ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مَسْنُونَةً يَجْرِي عَلَيْهَا تَجَرِّي مَا هُوَ مَأْلُوفٌ طَبِيعِيٌّ .

قال أبو سليمان : كَانَ هَذَا الْأَسْمَ لَيْسَ يَخْلُصُ إِلَّا لِمَنْ أَتَى شَيْئًا مِرَارًا ، فأمَّا فِي أَوَّلِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا النِّعْتُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مَأْلُوفًا بِالتَّكْرَارِ ، وَلِهَذَا

(١) أَضْدَادُهَا ، أَيِ أَضْدَادِ الْفَضَائِلِ .



ما صيغت الكلمة من عاد يعود وأعتاد يعتاد .

وأما قوله : طَبِيعِي ، فَعَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ ، لأنَّ الطَّبِيعِيَّ أَشَدُّ رُسُوخًا وَأَثْبَتُ عِرْقًا ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْإِنْتِقَاضِ ؛ فَأَمَّا الْمَادَّةُ فَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ عَلَيْهَا ، وَغَيْرُ مَأْمُونٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ .

قيل : كم الحركات ؟ قال : سِتَّةُ أَصْنَافٍ ، أَوَّلُهَا حَرَكَةُ الْإِنْتِقَالِ ، وَهِيَ (١) وَهِيَ ضَرْبَانِ : إِمَّا حَرَكَةُ الْجِسْمِ بِكُلِّهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَإِمَّا حَرَكَةَ كُنْهِ بِأَجْزَائِهِ كَالْفَلَكَ وَالرَّحَى ، وَالثَّانِي حَرَكَةُ الْكَوْنِ ، وَالثَّالِثُ حَرَكَةُ الْفَسَادِ ، وَالرَّابِعُ حَرَكَةُ الرُّبُوبِ (٢) ، وَالخَامِسُ حَرَكَةُ النَّقْضِ وَالْبَلَى ، وَالسَّادِسُ حَرَكَةُ الْأَسْتِحَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : أَمَّا فِي الْجِسْمِ فَمِثْلُ اللَّوْنِ ، وَأَمَّا فِي النَّفْسِ فَمِثْلُ الْفَضْبِ وَالرَّضَا ، وَالْعِلْمِ [ وَالْجَهْلِ ] (٣) .  
وَالثَّقَلَةُ مَكَانِيَّةٌ ، وَالْكَوْنُ وَالْفَسَادُ جَوْهَرِيَّانِ ، وَالْأَسْتِحَالَةُ هَيْئِيَّةٌ ، وَالنَّمُوُّ وَالْأَضْمِحْلَالُ (٤) مَكَانِيَّانِ .

قال الكندي : وَهَامِنَا حَرَكَةُ أُخْرَى ، وَهِيَ حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ ، إِلَّا أَنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَرَكَةِ الْكَوْنِ فَرْقًا ، لِأَنَّ هَذِهِ لَا مِنْ مَوْضِعٍ ، وَحَرَكَةُ الْكَوْنِ مِنْ فسادِ جَوْهَرٍ قَبْلَهُ بِحُدُوثِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنْ الْكَوْنُ خُرُوجٌ مِنْ حَالٍ خَسِيسَةٍ إِلَى حَالٍ نَفِيسَةٍ .

قال أبو سليمان : حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ عِبَارَةٌ بِسِيطَةٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ (٥) مِنْهَا

(١) في كلتا النسختين : « الدنو » ، وهو تصحيف . والربو : الزيادة ، وقد أثبتنا هذه الكلمة أخذاً مما يأتي بعد في توضيح هذه الحركات ، من قوله : « ولنمو » وإنما أثبتنا هنا الربو بالراء والباء لقربه من حروف الأصل . (٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في كلتا النسختين ، والسياق يقتضي إثباتها إذ لا يتحقق الاستحالة إلا بين الشيء وما يحالقه . (٣) يشير بالاضمحلال هنا إلى ما سبق من حركة النقض والبلى ، وهي الخامسة . (٤) في (ب) : « يظهر » مكان « يفهم » .



مَعْنَى مُرَكَّب . قَالَ : وَإِنَّمَا قُلْتُ [ هَذَا ] لِأَنَّ اللَّفْظَ تَظْهِيرُ اللَّفْظِ فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ  
وَلَيْسَ الْمَعْنَى تَظْهِيرَ الْمَعْنَى فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ، وَاللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ فِي التَّرَكُّبِ  
بَلُغَةً كُلُّ أُمَّةٍ ، وَالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي الْبَسَاطَةِ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ <sup>(١)</sup> وَالْعَقْلُ ، وَالْعَاقِلُ  
وَالْعَاقِلُ ، وَإِنَّمَا حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ مُشَارٌ بِهَا إِلَى مَقُومِ الْأَشْيَاءِ بِلا كُلْفَةٍ فَاعِلٍ ،  
وَلَا مُعَانَاةٍ صَانِعٍ ، وَإِنَّهَا بَدَتْ بِالْمُبْدِعِ مِنَ الْمُبْدِعِ لِلْمُبْدِعِ لَا عَلَى أَنَّ الْبَاءَ  
أَلَصَقَتْ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ [ مِنْ ] فَصَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ اللَّامَ أَضَافَتْ  
إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَالْأَمَارَاتِ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ  
بِالْإِبْدَاعِ ، فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُنْعَتَ بِهَا الْمُبْدِعُ ، وَلَوْ جازَ هَذَا لَكَانَ دَاخِلًا فِيهَا ،  
وَمَوْجُودًا بِهَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا . فَلَمَّا جَلَّ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِالْتَّحْقِيقِ فِي الْأَخْتِيَارِ  
وُصِفَ بِهَا بِالْأُسْتِعَارَةِ عَلَى الْأَضْطِرَارِ ، لِأَنَّهُ لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَذْكُرَهُ وَنَصِفَهُ  
وَنَدْعُوهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَقْصِدَهُ وَنَرْجُوهُ وَنَخَافَهُ وَنَعْرِفَهُ وَنَنْحُوهُ وَنَطْلُبَ مَا عِنْدَهُ  
وَنُوجِّهَهُ وَنُكَافِيَهُ <sup>(٢)</sup> ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ، وَلُطْفٌ مِنْهُ بِنَا ، وَحِكْمَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا  
وَالْإِلا كَانَتْ الْعِصْمَةُ تَنْبِيْرًا ، وَالطَّمْعُ يَنْقَطِعُ ، وَالْأَمَلُ يَضْعُفُ ، وَالرَّجَاءُ يَنْخَبِثُ ،  
وَالْأَرْكَانُ تَتَخَلَّخَلُ ، وَالذَّرَائِعُ تَرْتَفِعُ ، وَالْوَسَائِلُ تَمْتَنِعُ ، وَالْقَوَاعِدُ تَسِيحُ ،  
وَالرَّغَبَاتُ تَسْقُطُ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْمَلْسَكُوتُ  
تَأْتِي ذَلِكَ ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ سَلَامًا لَنَا إِلَيْهِ ، لَا حَقَائِقَ يَجُوزُ  
أَنْ يُظَنَّ بِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، عَلَى سَبِيلِ <sup>(٣)</sup> السَّيَاحِ الْمَمْدُودِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْمَخْدُودِ .

سَقَتْ كَلَامَ عِيسَى فِي تَصْنِيفِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفِقْرَةِ الَّتِي كَانَتْ  
مَحْفُوظَةً فِي حَرَكَةِ الْإِبْدَاعِ ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِقَوْمٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَيْرَةً عَارِضَةً

(١) فِي (ب) عَلَى قَدْرِ اللَّفْظِ ، وَفِيهِ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) الْمَكَاخِةُ : الْمَوَاجِهُةُ  
وَالْمَلَاكَاةُ . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ «لَا عَلَى سَبِيلِ» الخ. وَقَوْلُهُ «لَا» زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا يُلَوِّحُ لَنَا .

أورا كدة ، لا يَسْتَطِيعُونَ التَّنَفُّصَ عنها ، ولا يَقْدِرُونَ على البراءة منها ، للضلال الذي قد لَزِمَهُمْ ، والأصنام التي قد تَرَبَّعتْ في نُفُوسِهِمْ ، والأمثلة التي قد خَالَطَتْ عُقُولَهُمْ ، والأفياء التي أَسْتَضَحَبَوْهَا مِنْ إِيحَاسِهِمْ ؛ والقائل هذا ينبغي أن يتحرَّى وَيَتَلَبَّثَ حتَّى يَغْرَى مِنْ هذه الأشياء وَيَتَرَيَّث ؛ فحينئذ أضْمَنُ له أن يَصِحَّ توحيدُهُ ، وَيَتِمَّ تَجْرِيدُهُ ، وإلى التوحيد تنتمى الفلسفة بأجزائها الكثيرة ، وأبوابها المختلفة ، وطُرُقها المتشعبة .

وأنا أعوذُ بالله من صناعةٍ لا تُعَقِّقُ التَّوْحِيدَ ولا تدلُّ على الواحد ولا تدعو إلى عبادته ، والأعترافِ بوحْدانيته ، والقيامِ بحقوقه ، والمصيرِ إلى كَنَفِهِ ، والصبرِ على قضائه ، والتسليمِ لأمره ؛ وَوَجَدْتُ أربابَ هذه الصناعات ، أغني المهندسة والطب والحساب والموسيقى والمنطق والتنجيم مُعْرِضِينَ عن تجشُّم هذه الغايات ، بل وَجَدْتُهم تَارِكِينَ الإِلْهَامَ بهذه الحماكات ، وهذه آفةٌ نَسألُ الله السَّلامَةَ منها ، والعافية من عواقبها ؛ والسلام .

قيل : ما التَّام ؟ قال : بلوغُ الشيء الحدَّ الذي ما فوقه <sup>(١)</sup> إفراط ، (١٣) وما دونه تقصير .

قال أبو سليمان : التَّامُ أَلْيَقُ بِالْمَحْسُوسَاتِ ، وَالْكَامِلُ أَلْيَقُ بِالْأَشْيَاءِ الْمَعْقُولَةِ . قال : وليست هذه الْفُتْيَا مِنِّي جازمة ، ولا عن العربِ الْعَرَبِيَّةِ مَرْوِيَّةٌ ، ولكن إذا لَحَظْنَا الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةً ، طَلَبْنَا لها أَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعُونَةً لَنَا فِي تَحْدِيدِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ مِنْ <sup>(٢)</sup> طريقِ الإِقْنَاعِ الْكَافِ <sup>(٣)</sup> .

(١) ما فوقه ، أى الذى فوقه . وكذلك أيضاً « وما دونه » .

(٢) ورد فى كلتا النسختين « إلا من طريق » . وقوله « إلا » زيادة من الناسخ كما يلوح لنا .

(٣) فى كلتا النسختين « الكافى » والياء زيادة من الناسخ .



للبَدَلِ والتهمة ، أو من طريق البرهان الاطّيع بالحجة ، الراجع للشبهة ، أو من طريق التقليد الجارى على السّنن والمادة .

قال : ولهذا [ إذا ] قيل : ما أتمّ قامته إكان أحسن ، وإذا قيل : ما أكمل نفسه إكان أجمل .

(١٤) قيل له : هل يتساوى الكونُ والفساد فيبقى الشيء على ماهو به ؟ فقال : أما على الحقيقة فلا ؛ ولكن<sup>(١)</sup> على السّعة ، لأنّ الكون متصل بالفساد ، إلا أنهما يخفيان في مبادئهما حتى إذا امتدّ الآنان<sup>(٢)</sup> فصار آنا<sup>(٣)</sup> واحداً فحينئذٍ بان الكون من الفساد ، وبان الفساد من الكون ، وهذا بالأعتبار الحسى ؛ فأمّا العقل فيزّفع عن هذا ، لأنه يعلم حقيقة الشيء على ما هو عليه ، ولا يقبل من الحسّ حكماً ، ولا يختبئكم إليه أبداً .

وإنما الحسّ عاملٌ من عمال العقل . والعاملُ يجوز مرّةً ويعدّل مرّةً ، فأمّا الذى هذا هو عامله فهو الذى يتعقّبه ، فإن وجدّه جائزاً أبطل قضاءه ، وإن وجدّه عادلاً أنقض حكمه ، ومتى أسّشير الحسّ في قضايا العقل فقد وُضِعَ الشيء في غير موضعه ، ومتى أسّشير العقل في أحكام الحسّ فقد وُضِعَ الشيء في موضعه .

(١٥) قيل : فما الضّورة ؟ قال : التى بها<sup>(٣)</sup> يخرج الجوهر إلى الظهور عند اعتقاب الضّور إياه .

(١) فى (ب) : «أما» مكان «ولكن» ، وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم به الكلام إذ لا جواب لأما بعد ذلك .

(٢) فى (ب) : الآنان ... أبا واحداً ، وفى (١) : الاتاءان ... «أنا» واحداً ، وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٣) فى (ب) : «لها» ، وهو تحريف .



قال أبو سليمان : هذه الفُتَيَّا جُزْأِيَّةٌ ، الصُّوَرُ أَصْنَافٌ : إلهيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ ،  
وَفَلَكِيَّةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ ، وَأُسْطُقُوسِيَّةٌ وَصَنَاعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ وَلَفْظِيَّةٌ ، وَبَسِيطَةٌ  
وَمُرَكَّبَةٌ ، وَمُزَوَّجَةٌ وَصَافِيَّةٌ ، وَيَقْظِيَّةٌ وَنَوْمِيَّةٌ ، وَغَائِبِيَّةٌ وَشَاهِدِيَّةٌ .

ثم اندفع فقال : أما الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ — وهى أعلاها فى الرُّتَبَةِ والحَقِيقَةِ . وهى (١٦)  
أَبْعَدُ مِنَّا فى التَّحْصِيلِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى — فلا طَرِيقَ إِلَى وَصْفِهَا وَتَحْدِيدِهَا  
إِلَّا عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَسَاطَةَ تَغْلِبُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ تُرْسَمُ  
بِأَنَّ يُقَالَ : هِىَ الَّتِى تَجَلَّتْ بِالْوَحْدَةِ ، وَتَبَيَّنَتْ بِالِدَّوَامِ ، وَدَامَتْ بِالْوُجُودِ .

وَأما الصُّورَةُ الْعَقْلِيَّةُ فَهِيَ شَقِيقَةُ تِلْكَ ، إِلَّا أَنَّهَا دُونُهَا لَا<sup>(١)</sup> بِالْأَنْحِطَاطِ (١٧)  
الْحَسَنِ ، وَلَكِنْ بِالْمَرْتَبَةِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ فَضْلٌ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ  
النَّسَبِ ، وَإِلَّا فَالْوَحْدَةُ شَائِعَةٌ وَغَالِبَةٌ وَشَامِلَةٌ ، لَسَكُنَ الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ تُلَحَّظُ  
لَحْظًا ، وَلَا يُلَفَّظُ بِوَصْفِهَا لَفْظًا ، لِمُشَاكَلَتِهَا الصُّورَةَ النَّفْسِيَّةَ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ  
أُمْكِنَ أَنْ تُرْسَمَ فَيُقَالَ : هِىَ الَّتِى تُهْدِى إِلَى الْعَاقِلِ تَلَجَّأً إِلَى الْحُكْمِ ، وَثِقَةً  
بِالْقَضَاءِ ، وَطُمَأْنِينَةً لِلْعَاقِبَةِ ، وَجُزْأً بِالْأَمْرِ ، وَدُخُوضًا لِلْبَاطِلِ ، وَبِهَيْجَةً لِلْحَقِّ  
وَنُورًا لِلصِّدْقِ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ وَالصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الصُّورَةَ الإلهِيَّةَ تَرِدُ عَلَيْكَ  
وَتَأْخُذُ مِنْكَ ، وَالصُّورَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَصِلُ إِلَيْكَ فَتُعْطِيكَ ، فَالْأُولَى بِقَهْرٍ وَقُدْرَةٍ ،  
وَالثَّانِيَةُ بِرَفَقٍ وَأَطَافَةٍ ؛ وَتِلْكَ تَحْجُبُكَ عَنْ لِمَ وَكَيْفَ ، وَهَذِهِ تَفْتَحُ عَلَيْكَ لِمَ  
وَكَيْفَ ، وَتِلْكَ لَا تُنْعَى وَلَا تُطَلَّبُ ، وَهَذِهِ يُسْتَعَى إِلَيْهَا ، وَيُسْأَلُ عَنْهَا وَتُوجَدُ ،  
وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ بَرُوقٌ تَمُرُّ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ شَمُوسٌ تَسْتَدِيرُ ؛ وَتِلْكَ  
إِذَا حَصَلَتْ لَكَ بِالْخُصُوصِيَّةِ لَا نَصِيبَ لِأَحَدٍ مِنْهَا ، وَهَذِهِ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ فَأَنْتَ

(١) فى كلتا النسختين : «دونها بالأنحطاط» بسقوط «لا» النافية ، والسياق يقتضى إثباتها .

وغيرك شرع فيها ؛ وتلك للصّوّون والحفظ ، وهذه للتبذل والإفاضة  
 (١٨) وأما الصورة الفلكيّة فداخلة تحت الرّسم بالعرض ، ولوهم فيها أثرٌ  
 كثير ، ولأنّها مأخوذة من الجسم الأعظم صارت مشاكستها مقسومة بين البسيط  
 الذي لا تركيب فيه البتّة ، وبين المركب الذي لا يخلو من التركيب البتّة ؛  
 ولهذا صار تأثير الفلك في التحركات عنه أشدّ من تأثير الفلك عن المحرك  
 له ، وكأنّه أول [ محرك ] متحرك ؛ وليس هكذا <sup>(١)</sup> ماعلا عنه .  
 والفلك بما هو جسم منقوص الصورة ، وبما هو دائم الحركة شريف  
 الجواهر .

(١٩) وأما الصورة الطبيعيّة فتعلّقها بالمادّة القابلة لآثارها بحسب استعدادها لها ،  
 فلذلك ما هي مزرخة عن الدّرجة العلّيا ، وعشقها للقابل منها أشدّ من عشقها  
 للفيض عليها ، ولهذا أيضا كانت منافعها ممزوجة ، ومضارّها بحتة <sup>(٢)</sup> ، وهي  
 تجتمع بين الحكمة والبله ، وبين الجيد والرّدى ، ولو سألناها لم أنت ضارة  
 نافعة ؟ لقالت : بعدت ، فلما بعدت صوّبت وصعدت .

وسمعت أبا النّفيس يقول في وصف الطّبيعة كلاما له رَوّقي في النّفس <sup>(٣)</sup>  
 وأنا أصل هذه الجملة به .

قال : أيتها الطّبيعة ، ما الذي أقول لك ، وبأيّ شيء أؤخذك ، وكيف  
 أوجه العتب عليك ؟ فإنك قد جمعت أمورا منكّرة ، وأحوالا عسيرة ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « وليس هذا ماعلا عنه » . ولا يخفى ما في هذه  
 العبارة من التعريف .

(٢) في كلنا النسختين : « نجيّة » ، وهو تصحيف ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (ب) « في السمع » .



لا يَنِي نِظَامُكَ فِيهَا بِأَنْتِ تَارِكٌ عَلَيْهَا ، وَلَكِ بَوَادِرُ ضَارَّةٌ ، وَغَوَاثِلُ خَفِيَّةٌ تَبْدُو  
 مِنْكَ ، وَتَغُورُ فِيكَ ، وَتَرْجِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ حَكِيمَةٌ ،  
 قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ سَفِيهَةٌ ، فَالْبَلَّ مِنْكَ مَخْلُوطٌ بِالْيَقْظَةِ ، وَالْأُسْتِقَامَةُ فِيكَ  
 عَائِدَةٌ بِالْأُغْوَجَاجِ ، وَفِيكَ فُظَائِعُ وَنَزَائِعُ ، وَقَوَارِعُ وَبِدَائِعُ ، لِأَنَّ حَرَكَاتِكَ  
 تَسْتَنُّ مَرَّةً أَسْتِنَانَا تُعْشِقِينَ عَلَيْهِ ، وَتُحِبِّينَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَزِيغُ أُخْرَى زَيْفًا  
 تُمَقِّتِينَ عَلَيْهِ ، وَتُبْغِضِينَ بِسَبَبِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ حَرَكَاتُكَ نَقْضًا لِلْبِنَاءِ الْحَكْمِ  
 وَالصُّورَةِ الرَّائِعَةِ ، وَالنِّظَامِ الْبَهِيِّ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بِنَاءً لِلْمُنْتَقِضِ ، وَتَجْدِيدًا لِلْبَالِي  
 وَإِصْلَاحًا لِلْفَاسِدِ ، حَقٌّ كَأَنَّكَ عَابِتَةٌ بِلَا قَصْدٍ ، عَائِثَةٌ عَلَى عَمْدٍ ، وَعَلَى جَمِيعِ  
 صِفَاتِكَ مِنَ الْوَاصِفِينَ لَكَ لَمْ يَعْلَمْ <sup>(١)</sup> مَنْ ظَنَّ ، وَلَا رَأَى مَنْ تَخَيَّلَ ، وَلَا بَعْدَ لَفْظٍ  
 مِنْ تَأْوِيلٍ ، وَلَا حَالٍ مَعْنَى عَنْ تَوْثَمٍ ، وَلَا أَسْفَرَ حَقٌّ عَنْ بَاطِلٍ ، وَلَا تَمَيَّزَ  
 بَيَانٌ مِنْ تَمْوِيهِ ، وَلَا وَضَحَ نُصْحٌ مِنْ غِشٍّ ، وَلَا سَلِمَ ظَاهِرٌ مِنْ تَنَاقُضٍ ، وَلَا  
 خَلَّتْ دَعْوَى مِنْ مُعَارِضٍ ، فَلِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ وَاجْهَتُكَ بِمُخْطَابِي ، وَعَرَضْتُ  
 عَلَيْكَ مَا فِي نَفْسِي ، فَبِالَّذِي أَنْتِ بِهِ قَائِمَةٌ ، وَبِالَّذِي أَنْتِ بِهِ مَوْجُودَةٌ ،  
 وَبِالَّذِي أَنْتِ لَهُ مُنْقَلِبَةٌ ، وَإِلَيْهِ مُنْسَاقَةٌ ، إِلَّا خَبَّرْتَنِي عَنْكَ ، وَشَفَيْتِ غَلِيلِي مِنْكَ ،  
 وَنَعَتْ لِي غَيْبَ شَأْنِكَ ، وَجَعَلْتِ الْخَبَرَ عَنْكَ كَعِيَانِكَ ، وَإِنَّمَا ضَرَعْتُ  
 إِلَيْكَ هَذَا الضَّرْعَ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ هَذَا الْوَجْعَ ، لِأَنَّكَ جَارَتِي وَصَاحِبَتِي ،  
 وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِجَابٌ إِلَّا مَا هُوَ عَدُوٌّ مِنْكَ أَوْ مَنِيٌّ ، أَغْنَى بِمَا هُوَ مِنْكَ لُطْفٌ  
 سِحْرِيٌّ ، وَخَفَاءٌ سِرِّيٌّ ، وَأَغْنَى بِمَا هُوَ مَنِيٌّ مَا أُعْجِزُ عَنْ أَسْتِبَانَتِهِ وَاسْتِيضَاحِهِ  
 إِلَّا بِقُوَّةِ الْإِلَهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ إِحْرَارِكَ فِي أَفَانِينَ تَبْصُرُكَ ، وَأَعَاجِيبِ عَدْلِكَ  
 وَتَعْنِيْنِكَ .

(١) عبارة (١) « لَمْ نَرِ أَعْلَمَ مِنْ ظَنِّ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



وكان إذا بَلَغَ هذا الحَدَّ وما شا كَلَهْ أَخَذَ في كَلَامٍ كالجوابِ عَلَى طريقِ  
التأنيسِ والتسليَةِ والأُسْتِرَاحَةِ ، وهذا بالواجبِ ، لأن الإنسان بسبب أغراضه  
الجهولة ، وعوارضه الفاجئةِ الباغيةِ مِنَ الغيبِ والشهادةِ يفتقرُ افتقاراً شديداً  
إلى هذه الثموتِ التي تقدَّم ذِكْرُها ؛ وهذا كالدَّاءِ والدَّواءِ ! وليس لأحد أن  
يتهمَّ فيقول : هَلَّا أَرْتَفَعَ الدَّاءَ أصلاً فَيُسْتَعْفَى عن الدَّواءِ بُحْلَةً ، وهَلَّا وَقَعَ الدَّواءُ  
أبداً عَلَى الدَّاءِ ونَفَاةً وصَرْفَهُ . قَابَتْ هَذَا كَلَامٌ مَدْخُولٌ ، من عَقْلٍ كَلِيلٍ ،  
ولَعَنَ مَنْ جَهِلَ القِسْمَةَ الإلهيةَ في الأَزَلِ<sup>(١)</sup> بحسبِ شهادةِ العقلِ لَعِبَ  
به الوَسْوَاسُ في هذه المَوَاضِعِ ، وظَنَّ أَنَّ الأمرَ لو كان يَخْلَافُ ما هوَ عَلَيْهِ  
كان أَوْلَى وَأَنْتَمُ وَأَرْثَقُ وَأَحْكَمُ . يا وَيْحَهُ ! من أين يُوجِبُ هذا الحُكْمُ ؟ وبأيِّ  
شَيْءٍ يُثَبِّتُ هذا القَضَاءُ ؟ وكيف يَثْبُقُ بهذا الوَهْمُ ؟

وكان يقول أيضاً إِنَّ الطَّبيعَةَ تقول : أنا قُوَّةٌ من قوَى الباري ، مُوَكَّلَةٌ  
بهذه الأجسامِ المُسَخَّرَةِ حتَّى أَتَصَرَّفَ فيها بغايةِ ما عِنْدِي من النَقْشِ والتَّصَوُّيرِ  
والإِصْلَاحِ والإِفْسَادِ اللَّذِينَ لَوْلَاهُمَا لَمْ يَكُنْ لِي أثرٌ في شَيْءٍ ، ولا لشيءٍ أثرٌ  
مِنِّي ، وكانَ جُودِي وَعَدَمِي سَوَاءً ، وَحُضُورِي وَغِيَابِي واحداً ، ولو بَطَلْتُ بَطَلَ  
يُبْطَلَانِي ما أنا به ؛ وهَذَا زَائِفٌ من القَوْلِ ، وَخَطْلٌ من الرَّأْيِ ، وَتَحَكُّمٌ  
من الظَّنِّ ؛ ولو أُخْطِلَ إِرَادُ كُلِّ ما كانَ يَتَنَفَّسُ به هذا الشَّيْخُ في حالِ نَشَاطِهِ  
وَأَنْقِبَاضِهِ ، لكانَ ذلكَ مَرَاداً فُسيحاً ، وَمَشْرِعاً واسعاً ، وَلَكِنَّ ذلكَ مُعَذَّرٌ  
لِعَجْزِي عن الوَفاءِ به ، ولأنَّ هذه الرِّسالةَ تَتَقَلَّصُ عنه ، وإنما أَجُولُ في هذه  
الأَكْنافِ لِكَلْفِي بِالْحِكْمَةِ كيف دارَتِ العبارةُ بها ، وَأُمَكِّنْتُ الإِشارةَ  
إليها ، لا عَلَى التَّقْصِي لَهَا وَبُلُوغِ الغايةِ منها ، وَمَنْ يَقْدِرُ على ذلكَ ؟ ومن يُحَدِّثُ

(١) في (١) « الأول » وفي (ب) « الأولى » ، وهو تحريف .

نفسه بذلك ؟ العالم أبعد غورا وأعلى قلة وأثقل وزنا وأحد غربا وألطف أعراضا وأكثف أجراما وأعجب تركيبا وأغرب بساطة من أن يأتي عليه إنسان واحد ، وكل من<sup>(١)</sup> كان في مسكه ، وإن بلغ الغاية في دقة الذهن وحسن البيان وبلاغة اللفظ ، واستنباط الغامض في حاضر<sup>(٢)</sup>ه وغائبه ؛ هذا ما لا يتوهمه العقل<sup>(٣)</sup> .

وأنا أعوذ بالله من هذه الدعوى ، وأسأله أن يلهمني الشكر على ما فتح وشرح ، وهدى إليه ومنح ، وأطلع عليه وندح<sup>(٤)</sup> ، فإن الشكر قرع لباب المزيد ، والمزيد باعث على الشكر الجديد ، والشكر — وإن خلاص بالعرفان ، وجري بضروب البيان على اللسان — فإنه يقصر عن تواتر النعمة بعد النعمة ، وتظاهر الفائدة بعد الفائدة .

وأما الصورة الأسطقسية ، فهي لأمة لكل ذي حس<sup>(٥)</sup> بالتناظم الموجود<sup>(٢٠)</sup> فيها ، والتباين الآخذ بنصيبه منها ، ولما أنقسم إلى آحادها ، أغنى أن صورة الماء مباينة لصورة الهواء ، وكذلك صورة الأرض مخالفة لصورة النار ، فتحديد ما يقررهما مع غوصهما في كل أسطقس شديد ، واللفظ لا يصفو ، والمراد لا يمتاز .

(١) في (ب) «ما» مكان «من» وفي (١) «مسكة» مكان «مسكه» ؛ وهو تحريف في كلا القطين . والمسك : الجلد . ويريد به هنا الشكل ، أى كل من أشبهه وشاكله . أو يريد به من كان عبوسا في جسمه مقيدا بمادته .

(٢) في كلتا النسختين : « في آخره » مكان قوله : « في حاضره » ؛ وهو تحريف . وفي (١) و « غايته » مكان « وغائبه » الوارد في (ب) وهو ما اخترناه ليتقابل الوصفان .

(٣) في كلتا النسختين « إلا عقل » وفي قوله « إلا » تحريف ظاهر .

(٤) ندح الشيء : وسّعه ، وفي كلتا النسختين : و « قدح » بالقاف ، وهو تحريف .

(٥) في كلتا النسختين : « حسن » ، وهو تحريف .



(٢١) وَأَمَّا الصُّورَةُ الصَّنَاعِيَّةُ فَهِيَ أُبَيِّنُ مِنْ ذَلِكَ ، لَأَنَّهَا مَعَ غَوَصِهَا فِي مَادَّتِهَا بَارِزَةٌ لِابْصَرِ وَالسَّمْعِ وَلِجَمِيعِ الْإِحْسَاسِ ، كَصُورَةِ السَّرِيرِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْبَابِ وَالْخَاتَمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢٢) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّفْسِيَّةُ فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَرِيفَةِ وَتَوَابِعِهَا فِيمَا يُحَقِّقُهُمَا أَوْ يُخَدِّمُهُمَا<sup>(١)</sup> وَهِيَ شَقِيقَةٌ لِلصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ بِالْحَقِّ .

(٢٣) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْبَسِيطَةُ فَلَاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْبَسِيطِ مَا يَعْزُزُ رَسْمُهَا إِلَّا بِالْإِيمَاءِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ لَحِقَ هَذَا الْإِيمَاءُ سَامِعُهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلَا طَمَعُ فِي عِبَارَةٍ شَافِيَةٍ عَنْهَا .

(٢٤) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ بَادِيَةٌ لِلْحِسِّ بِآثَارِ الطَّبِيعَةِ فِي مَادَّتِهَا ، وَبَادِيَةٌ أَيْضًا لِلنَّفْسِ بِآثَارِ الْعَقْلِ فِي سَيِّجِهِ عَلَيْهَا ، وَكَأَنَّ بَيْنَ الْبَسِيطِ وَالْمُرَكَّبِ فَرْقًا يَكَادُ الْبَسِيطُ يَكُونُ بِهِ مُرَكَّبًا ، كَذَلِكَ بَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَالْمُرَكَّبِ فَرْقٌ يَكَادُ الْمُرَكَّبُ يَكُونُ بِهِ بَسِيطًا ؛ وَهَذِهِ مُجْمَلَةٌ تَقْسِيرُهَا مُعْوِزٌ .

(٢٥) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُنْزُوجَةُ فَهِيَ أُخْتُ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ ، وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ الصَّافِيَّةُ أُخْتُ الصُّورَةِ الْبَسِيطَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا تَمَازُجًا فِي اللَّفْظِ وَاللَّفْظِ ، إِذَا كَانَتَا مُتَصَاحِبَتَيْنِ<sup>(٢)</sup> وَلَمْ تَكُونَا مُتَعَمِّدَتَيْنِ .

(٢٦) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْيَقْظِيَّةُ فَهِيَ تَجْمُوعَةٌ مِنَ الْإِحْسَاسِ ، لَجَرَيَانِهَا<sup>(٣)</sup> عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا ، وَمَا لَهَا وَبِهَا .

(٢٧) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّوْمِيَّةُ فَهِيَ أَيْضًا مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ أُخْتِهَا ، أَعْنَى الْيَقْظِيَّةِ ، لِأَنَّهَا إِغْضَاءُ عَيْنٍ وَفَتْحُ عَيْنٍ ، أَعْنَى أَنَّ النَّائِمَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِثَالَاتِ الْإِحْسَاسِ

(١) فِي (١) « لَوْعْدُ مِنْهَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كُلِّمَا النَّسَخَتَيْنِ : « إِذَا كَانَا مُتَصَاحِبَيْنِ » الْخِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كُلِّمَا النَّسَخَتَيْنِ « وَجَرَيَانِهَا » بِالْوَاوِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



وعوارض الكون والفساد ، وُفُتِحَ عليه بابٌ إلى وجدانِ شيءٍ آخرٍ يَجْرِي كَظِلِّ الشَّخْصِ من الشَّخْصِ ، فإن كان ذلك من وادى الطبيعة أوماً إلى آثار الأخلاط ، وإن كان من وادى النفس أوماً إلى نصب التماثيل ، وإن كان من وادى العقل صَرَحَ بحقائق الغيب في عالم الشهادة إما بالتقريب وإما بالتهذيب أعنى إما بوقوعه عَقِيبَ ذلك ، وإما بَعْدَ مُهْلَةٍ .

(٢٨) وأما الصُّورَةُ الغائِبِيَّةُ والشَّاهِدِيَّةُ فقد أَتَصَلَ الكلامُ في شَرْحِهَا بما تَقَدَّمَ من حَدِيثِ الصُّورَةِ اليَقِظِيَّةِ والتَّوَمِيَّةِ ، وَالْعِبَارَةُ عن الشَّاهِدِ مَقْصُورَةٌ على وجدانِ المَشَاعِرِ ، وَالْعِبَارَةُ عن الغائبِ مَقْصُورَةٌ على ما تَعَلَّقَ<sup>(١)</sup> على المَشَاعِرِ ، وفي الغائبِ شَاهِدٌ هُوَ الْمُلْحُوظُ<sup>(٢)</sup> من الغائبِ ، وفي الشَّاهِدِ غَائِبٌ هُوَ الْمُبْحُوثُ عَنْهُ في الشَّاهِدِ ، فَالشَّاهِدُ غَائِبٌ بِوَجْهِه ، وَالْغَائِبُ شَاهِدٌ بِوَجْهِه ، حَقٌّ إِذَا اسْتَجْمَعَا لَكَ كُنْتَ بِهِمَا فِي شِعَارِهِمَا . وَالْإِلَهِيُّونَ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ هم الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِطَتَيْنِ ، وَعَلَوْا هَاتَيْنِ الذَّرْوَتَيْنِ ، فَتَوَحَّدُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِمَخَصِصِهِمْ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ نَقَائِصِهِمْ ، فَلَوْ قُلْتَ : مَا هَؤُلَاءِ<sup>(٣)</sup> بَشَرٌ كُنْتَ صَادِقًا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ فِي وَصْفِ الْعِصَابَةِ حَيْثُ وَصَفَ فَقَالَ :

فِينَا وَفِيكَ طَبِيعَةٌ أَرْضِيَّةٌ تَهْوِي بِنَا أَبَدًا لِشَرٍّ<sup>(٤)</sup> قَرَارٍ  
لَكِنَّا مَقْصُورَةٌ مَأْسُورَةٌ مَغْلُوبَةُ السُّلْطَانِ فِي الْأَحْرَارِ  
فَجُسُومُهُمْ مِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي بِهِمْ وَنُفُوسُهُمْ تَسْمُو سُمُوءَ النَّارِ

(١) في (ب) الوجود في هذه العبارة وحدها دون (أ) «تعلق من» ، وهو تحريف

(٢) في (ب) الوجود في هذه العبارة وحدها دون (أ) «الملحوظ» ، وهو تحريف .

(٣) في (أ) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) «هؤلاء ما يبشر» ، وفيه

تقديم وتأخير وقما من الناسخ كما لا يخفى .

(٤) في (أ) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) «لشر» ، وهو تحريف .

لولا مُنَازَعَةُ الْجُسُومِ نُفُوسَهُمْ      نَفَذَتْ بِسَوَرَتِهَا مِنَ الْأَقْطَارِ  
عَرَفُوا لِرُوحِ اللَّهِ فِيهِ فَضْلًا مَا      قَدْ آثَرُوا مِنْ صَالِحِ الْآثَارِ  
فَتَنَزَّهُوا وَتَسَكَّرُوا وَتَعَظَّمُوا      عَنْ لُؤْمِ طَبْعِ الطَّيْنِ وَالْأَحْجَارِ  
نَزَعُوا إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي مِنْهُ آتَتْ      أَرْوَاحُهُمْ وَسَمَوْا عَنْ الْأَغْوَارِ  
وَهَذَا وَصَفٌ بَاطِنٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْقَوْمِ (١).

فَأَمَّا مَا وَرَاءَ هَذَا فَهُنَاكَ خَبَرٌ ثَقِيٌّ (٢) بِمَا قَرَّرَ وَقَالَ :

(٢٩) وَأَمَّا الصُّورَةُ اللَّفْظِيَّةُ فَهِيَ مَسْمُوعَةٌ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ الْأُذُنُ ، فَإِنْ كَانَتْ عَجَبًا  
فَلَهَا حُكْمٌ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاطِقَةً فَلَهَا حُكْمٌ ، وَعَلَى الْحَالَيْنِ فَهِيَ بَيْنَ مَرَاتِبٍ ثَلَاثٍ :  
إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْسِينُ الْإِفْهَامِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْقِيقُ الْإِفْهَامِ ،  
وَعَلَى الْجَمِيعِ فَهِيَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى خَاصٍّ مَالِهَا فِي بُرُوزِهَا مِنْ نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَوُصُولِهَا  
إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ ؛ وَلِهَذَا الصُّورَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى إِذَا مَازَجَهَا اللَّحْنُ  
وَالْإِبْقَاعُ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِيقَارِ ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُعْطِي أُمُورًا ظَرِيفَةً ، أَعْنَى أَنَّهَا تَلِدُ  
الْإِحْسَاسَ ، وَتُلْهِبُ الْأَنْفَاسَ ، وَتَسْتَدْعِي السَّكَّاسَ وَالطَّاسَ ، وَتُرَوِّحُ الطَّبْعَ ،  
وَتُنْعِمُ الْبَالُ ، وَتُذَكِّرُ بِالْعَالَمِ (٣) الْمَشُوقِ إِلَيْهِ ، الْمُتَلَهِّفِ عَلَيْهِ .

هَذَا مُنْتَهَى كَلَامِهِ عَلَى مَا عُلِقَ بِهِ الْحِفْظُ ، وَلَقِنَهُ الذَّهْنُ ؛ وَلَوْ كَانَ مَأْخُودًا عَنْهُ  
بِالْإِمْلَاءِ لَكَانَ أَقْوَمَ وَأَحْكَمَ ، وَلَكِنَّ السَّرْدَ بِاللَّسَانِ ، لَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْإِمْكَانِ  
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَهَذَا هَذَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا بَابٌ فِي غَايَةِ الْإِيْفَاءِ وَالْأَسْتِيفَاءِ ، وَمَنْ يَتَحَكَّكُ بِالْأَعْتِرَاضِ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) «الْقَوْلُ» مَكَانَ «الْقَوْمِ» ،  
وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِيمَا يَظْهَرُ لَنَا .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «حَرْسُهُ» ، مَكَانَ قَوْلِهِ :  
« خَبَرٌ ثَقِيٌّ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَفْهَمُ لَهُ مَعْنَى . (٣) لَعَلَّهُ يَرِيدُ بِالْعَالَمِ : عَالَمُ الرُّوحِ .



عليه فقد صغى<sup>(١)</sup> ، وأبدى صفحته بالبهت ، ودل من عقليه على الدخل<sup>(٢)</sup> ،  
ومن أخلاقه على الخل<sup>(٣)</sup> ؛ لقد وهب الله لهذا الرجل مقامًا عاليًا ، ولا عجب فإنه  
معرض بهذا عما فاته .

وقال : أنشدني في الحمر شيئًا غريبًا ، فأنشدته :

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ يَنْحُ طَرُ حِينَ يَخْطِرُ فِي مُورِدِ  
يَسْتَقِيكَ مَنْ جَفَنَ اللَّجِينِ إِذَا سَقَاكَ دُمُوعَ عَشَجَدِ  
حَتَّى تَغْلُنَ الشَّمْسَ تَنْدُ زِلْ أَوْ تَغْلُنَ الْأَرْضَ تَصْعَدُ  
فَإِذَا سَقَاكَ بِعَيْنِهِ وَيَفِيهِ ثُمَّ سَقَاكَ بِالْيَدِ  
حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ تَعْدُ مَتَّ الدَّرَمِ فَوْقَ<sup>(٤)</sup> الزَّبْرِجَدِ

قال : أحسنت والله ؛ هاتِ زيادة : فقلت :

وَعَذْرَاءُ<sup>(٥)</sup> تَرْغُو حِينَ يَضْرِبُهَا الْفَعْلُ كَذَا الْبِكْرِ تَنْزُوحِينَ يَفْتَضُّهَا الْبَقْلُ  
تُدِيرُ عِيونًا فِي جُفُونٍ كَأَنَّمَا سَمَالِيْقُهَا بِيضٌ وَأَحْدَاثُهَا نُجْلُ  
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حَوْلَ إِنَائِهَا شَدُورٌ<sup>(٦)</sup> وَدُرٌّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلُ

(١) صغى : مال .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الرجل » ؛ وهو تصحيف  
والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « المال » ؛ وهو تصحيف ؛  
وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها دون (ب) هذا الشعر ما نصه :

حياك بالياقوت فوق \* ق الدر من تحت الزبرجد

وهو تبديل من الناسخ - وابه ما أثبتنا . إذ الحمر للشبهة بالياقوت إنما تكون تحت الحب  
للشبه بالدر ؛ وكلاهما فوق الكأس المشبهة بالزبرجد .

(٥) يريد بالعذراء : البكر من الحمر . ويريد بالفعل : الماء الذي تخرج به .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « أناسا شذود » وهو تحريف في  
كلتا الكلمتين .



تَوَهَّمْتُهَا فِي كَاسِهَا فَكَأَنَّمَا      تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ بِذُرِّكَ الْعَقْلُ  
إِذَا اشْتَبَكَتْ رِجْلَايَ مِنْ سَوْرَةِ الْكَرَى      دَرَجْتُ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا يَذْرُجُ الطَّقْلُ  
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

وَكَمْ عَائِبٍ لِلْخَمْرِ لَوْ أَنَّ أُمَّه      تَبُولُ مُدَامًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا  
وَلآخر :

خَلِيلِي لَوْمَانِي<sup>(١)</sup> عَلَى الْخَمْرِ أَوْ دَعَا      فَإِنْ تَجِدَا عِنْدِي عَلَى اللَّوْمِ مَطْمَعَا  
وَشَبَابِي<sup>(٢)</sup> سَنَا نَارٍ لَعَلَّ قَدِيمَنَا      بَنَجْرَانِ أَنْ يَلْقَى سَنَاهَا قِيَامَنَا  
فَمَا رَاعَنَا إِذْ أُرْقِدَتْ فَوْقَ رَبْوَةٍ      مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا رَاكِبَانِ قَدْ أَوْضَعَا  
فَهَشَا إِلَيْنَا نَمِ قَالَا : أَلَا أَنِمَا      مَسَاءَ قُتِلْنَا : دَامَ ذَاكَ لَنَا مَعَا  
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنٍ لَوْ سَقَوَا      جِبَالِ شَمَامٍ<sup>(٣)</sup> مَا سَقَوْنِي لَفَنَّتِ  
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الكَاسُ لَا تَذَرِي وَلَا الْخَمْرُ      مِنْ أَيْ شَيْءٍ عَجَّلَ الشُّكْرُ  
أَسْكَرَنِي مِنْ قَبْلِ شُرْبِي لَهَا      مِنْ دَابَّةِ الْإِغْرَاضِ وَالْهَجْرُ  
قُلْتُ لَهُ وَالْخَمْرُ فِي كَاسِيهِ<sup>(٤)</sup>      كَأَنَّهَا فِي كَفِّهِ بَذْرُ

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « أوماني » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وسنا » بالسين والتون ؛ وهو تصحيف .

(٣) شمام : جبل لباهلة له رأسان يسميان ابني شمام ؛ ويضرب بهما المثل في الاجتماع

وعدم الفرقة .

(٤) عبارة (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « في كفه » كَأَنَّهَا فِي كَاسِهِ ؛

وهو خطأ من الناسخ ؛ وسيأتي المعنى يتنقى ما أثبتنا . إذ المعروف تعبيه الكأس بالبدر ،

لا تشبيه الخمر به .

أَنْتَ لَعْمَرِي الْحَمْرُ يَا سَيِّدِي لَيْسَ الَّذِي سَقَيْتَنِي الْعَمْرُ  
آخِرَ :

تَرَكْتُ النَّبِيذَ لِأَهْلِ النَّبِيذِ فَخَارَ لِي اللَّهُ فِي تَرْكِهِ  
وَقَدْ كُنْتُ قَدِمًا بِهِ مُفْجَبًا أَرْوَحُ وَأُغْدُو إِلَى سَفْكِهِ<sup>(١)</sup>

فقال : قد جرى هذا أيضاً على التمام . اختتم مجلسنا بدعاء الصوفية .

قلتُ : سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونَ يَدْعُو فِي الْجَامِعِ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ  
اجْعَلْ قَوْلَنَا مَوْصُولًا بِالْعَمَلِ ، وَعَمَلَنَا مُحَقَّقًا لِلْأَمَلِ ، وَلَا تُضَايِقْنَا فِيمَا نَتَحَوَّلُ بِهِ ،  
وَنَتَقَلَّبُ لَكَ فِيهِ ، وَكُنْ عَلَيْنَا بِسِتْرِكَ ، وَسَوْغِنَا بِرِّكَ ، وَأَلْهِمْنَا شُكْرَكَ ،  
وَخَفِّ عَلَى أَفْوَاهِنَا ذِكْرَكَ ، وَأَخْصِصْنَا بِكَ مَا هُوَ أَلْيَقُ بِكَ ؛ اللَّهُمَّ  
اسْمَعْ وَأَسْتَجِبْ وَقَرِّبْ . وَأَنْصَرَفْتُ .

### الليلة الثامنة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً بِحَضْرَةِ الْوَزِيرِ — أَعْلَى اللَّهِ كَلِمَتَهُ ، وَأَدَامَ غِيْظَتَهُ ، وَوَالَى  
نِعْمَتَهُ — أَحَقُّ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ بُوْهِىَ بِهِ ، وَأَكْمَلُ مَنْ شُوهِدَ  
فِي عَصْرِهِ — حَدِيثُ ابْنِ يَوْسُفَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَنَائَتِهِ وَرَثَاتِهِ ، وَعِبَارَتِهِ<sup>(٢)</sup>  
وَحَسَّاسَتِهِ .

قلتُ له : عِنْدِي حَدِيثٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَزِيرَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، عَارِفٌ بِهِ .

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر «بتكة» بالباء والتاء مكان قوله «سفكه»  
ولم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا إذ المعروف تشبيه الخمر بالدم المسفوك ؛  
وقد جاء هذا كثيرا في الشعر .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) «وعبارته» بالباء الموحدة ؛  
وهو تصحيف .

قال : ما ذاك ؟ قلت : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي الْقَنُوقِيُّ قَالَ :  
 كُنْتُ فِي الصُّحْبَةِ إِلَى هَمْدَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَكُنَّا جَمَاعَةً وَفِينَا ابْنُ حَرْبَارٍ<sup>(١)</sup>  
 أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ فِي جَنْبِهِ ابْنُ يُوسُفَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ — بِرَدِّ اللَّهِ  
 مَضْجَعَهُ — قَالِ لَأَبْنِ شَاهُوِيَّةَ : سِرْ إِلَى ابْنِ حَرْبَارٍ<sup>(٢)</sup> وَقُلْ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ  
 إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِنَّا نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا مَعُونَةً ، فَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ عِنْدَنَا ، وَتَوَالَى تَبَرُّمُنَا  
 بِكَ ، وَتَبَرُّمُكَ بِنَا ، وَلَيْسَ لَكَ بِحَضْرَتِنَا مَا تُحِبُّهُ وَتَقْتَرِحُهُ ، وَالسَّلَامَةُ لَكَ  
 فِي مُبْعَدِكَ عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُفْضِيَ ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِنَا . وَكَلَامًا فِي هَذَا النَّوعِ .

قال : وَنَقَدَ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ آخَرُ مِنَ الْمَجْلِسِ يَشْهَدُ التَّبْلِيغَ وَالْأَدَاءَ<sup>(٣)</sup> ،  
 وَيَسْمَعُ الْجَوَابَ وَالْأَبْتِدَاءَ — عَلَى رَأْسِهِ كَانَ مَعَهُودًا فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ — فَلَقِيَ  
 ابْنَ حَرْبَارٍ<sup>(١)</sup> وَشَافَهُ بِالرُّسَالَةِ عَلَى النَّامِ ؛ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ لَمَّا سَمِعَ : الْأَمْرُ لِلْمَلِكِ ،  
 وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنَّ النَّاسَ يَجْدُودِيهِمْ يَنَالُونَ حُظُوظَهُمْ ، وَبِمُحْظُوظِهِمْ  
 يَسْتَقْدِمُونَ جُدُودَهُمْ ؛ وَلَوْ وَفَّقْتُ مَا كَانَ هَجِيئًا ، فَقَدْ نَالَ مَنْ هُوَ أَنْقَصُ مِنِّي ،  
 وَبَلَغَ النَّيَّ مَنْ أَنَا أَشْرَفُ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ غَالِبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ عَنْهَا  
 مَرْتَحَلٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَلَكِنْ أَيُّهَا الشَّيْخُ لِي حَاجَةٌ :  
 أَحِبُّ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَلِكَ كَلِمَةً عَنِّي . قَالَ : هَاتِيهَا ؛ قَالَ : تَقُولُ لَهُ : أَنَا صَاحِرٌ إِلَى  
 مَا رَسَمْتَ ، وَمُمْتَثِلٌ مَا أَمَرْتَ ، بَعْدَ أَنْ تَقْضَى لِي وَطَرًا فِي نَفْسِي ، قَدْ تَقَطَّعَ  
 عَلَيْهِ نَفْسِي ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ فَيُقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفَ بَيْنَ اثْنَيْنِ قِيَصْفَعَانِهِ  
 مَائَتِينَ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : إِذَا لَمْ تَبْذُلْ جَاهَكَ لِمَتَلَهْفٍ ، وَلَا عِنْدَكَ فَرَجٌ لِمَكْرُوبٍ ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ تَقِفْ عَلَى تَصْحِيحِهِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ فِيهِ ابْنُ

« حَذْقِيَار » فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَسْمَائِهِمْ .

(٢) فِي ( ١ ) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحَدَّثَنَا « وَالْأَرَاء » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَشْف » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



ولا يرثي لضعيف ، ولا يعطاه لسائل ، ولا جائزة لشاعر ، ولا مرتعى لمُنْتَجِع ،  
ولا مأوى لضعيف ، فلم يُخاطَبُ بسيدنا ، وتقبَّلُ لك اليدُ ، ويقامُ لك إذا طَلَمْتَ ؟  
قال ابن شاهويه : فقبَّلَ أن تقيتُ الملكَ أفصح<sup>(١)</sup> له الذي كان معي مُشْرِفاً  
على . فلما دَخَلْتُ الدارَ عُرِّفَ ، فقال : على به ، فحضرته وابنُ يوسفَ قاعدٌ  
بين يديه على رُسمِهِ . فقال لي : هاتِ الجوابَ عما نَقَذْتَ فيه ؛ فقلت : الجوابُ  
عندك ، فقال : ما أعجَبَ هذا ! أنتِ حَمَلْتَ الرسالةَ وأطالِبُ غيرَكَ بالجوابِ ؟  
قال : فتلويتُ حياءً من ابنِ يوسفَ ، فقال : هاتِ يا هذا الحديثَ بنفسه ، فوالله  
لا أقنعُ إلا به ، ما هذا التواني والتكاسلُ ، فكرهتُ اللجاجَ ، فسردته على  
وجهه ، ولم أغادر منه حرفاً ، وابنُ يوسفَ يتقدَّدُ في إهابه<sup>(٢)</sup> ، ويتغير<sup>(٣)</sup> وجهه  
عند كلِّ لفظةٍ تمرُّ به ، فأقبلَ عليه الملكُ وقال : كيف ترى يا أبا القاسمِ  
الكَّيسَ ؟ فقال : يا مولانا ، إنما أنا أقضي الحاجةَ بك ، فإذا لم تنقِضها كيف  
أكون ؟ فإن الحوائجَ كلها إليك .

قال : صدقتَ ، أنا لا أقضي حاجةً لك ، لأنك لا تنقِضُ بها وجهَ الله ،  
ولا تبني بها مكرمةً ، ولا تحفظُ بها مروءةً ، وإنما ترثي عليها ، وتُصارعُ  
بها ، وتجعلني باباً من أبوابِ تجارتِكَ وأرباحِكَ ، ولو كنتِ أعلمُ أنكِ تنقِضُ  
حاجةً لله أو لمكرمةً أو لرحمةٍ ورقَّةٍ لكان ذلك مهلاً على ، وخفيفاً عندي ،  
لكنك معروفةٌ المذهبِ في الطمع والحيلة ، وجرتِ النارُ إلى قرصِكَ ، وشرَّهكَ  
في جميعِ أحوالك ؛ وليس الذنبُ لك ، ولكن لمن رآكَ إنساناً وأنتِ كُلُّبٌ .

(١) في كلا الأصلين : « ما أفصح » . و « ما » زيادة من النسخ .

(٢) في (ب) « في ثيابه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « يتغير » .

وَصَدَقَ — صَدَّقَ اللهُ قَوْلَهُ — فَإِنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ ، وَأَتَمَّ النَّاسِ ،  
وَأَقْدَرَ النَّاسِ ، لَا مَنَظَرَ وَلَا مَخْبَرَ .

وَكَانَتْ أُمَّهُ مُفَنِّئَةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُوهُ مِنْ أَسْقَاطِ النَّاسِ ، وَنَشَأَ مَعَ  
أَشْكَالِهِ ، وَكَانَ فِي مَكْتَبِ<sup>(١)</sup> الرَّبَّضِيِّ عَلَى أَحْوَالٍ فَاحِشَةٍ ، وَوَرَقَ زَمَانًا ، ثُمَّ  
إِنَّ الزَّمَانَ نَوَّهَ بِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ ، وَالْأَيَّامُ ظُهُورٌ وَبُطُوفٌ ؛  
وَمَا يَسْتَقْطُ الْفَاضِلُ إِذَا عَانَدَهُ الْجَدُّ ، كَذَلِكَ يَرْتَفِعُ السَّاقِطُ إِذَا سَاعَدَهُ الْجَدُّ  
فَهَذَا هَذَا ؛

فَقَالَ : مَا كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي ، وَإِنَّهُ لَمِنْ الْغَرِيبِ .

ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ خَبَرْتُكَ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ وَانْتَشَرَتْ ، وَتَفَاقَتْ  
وَتَعَاظَلَّتْ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : خَبَرْتُ مِنْ شَهِدٍ أَوَّلَهَا ، وَغَرِقَ فِي وَسْطِهَا ، وَنَجَا فِي آخِرِهَا .  
قَالَ ؛ حَدَّثَنِي فَإِنْ فِي رِوَايَتِهِ وَسَمَاعِهِ تَبْصِيرَةٌ وَتَمَجُّبٌ ، وَزِيَادَةٌ فِي التَّجَرُّبَةِ .  
وَقَدْ قِيلَ : تَجَارِبُ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مَرَايَا<sup>(٢)</sup> الْمُتَأَخِّرِينَ ، كَمَا يُبْصَرُ فِيهَا مَا كَانَ ،  
يُتَبَصَّرُ بِهَا فِيمَا سَيَكُونُ ، وَالشَّاعِرُ قَدْ قَالَ :

وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شَبْهٌ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كُنَاسٌ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ

وَلَيْسَ مِنْ حَادِثَةٍ مَاضِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ تُعَرِّفُكَ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ مِنْهَا لِتَكُونَ عَلَى  
أَهْبَةٍ فِي أَخْذِكَ وَتَرْكِكَ ، وَإِقْدَامِكَ وَنُكُولِكَ ، وَقَبْضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَهَذَا  
وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى كُلُّ الْوَقَايَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يُبَاقِي فِي التَّهْلُكَةِ كُلَّ الْإِلْقَاءِ .

(١) فِي (ب) «مَكْتَبٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَفِي (أ) «الرَّمْضِيُّ» بِالْمِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) «مَرَايَا» ، وَفِي (ب) «مَرَامِي» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .



كان أول هذه الحادثة النظمية البشعة التي حيرت العقول وولّعت الألباب ،  
وسافر عنها التوفيق ، وأستولى عليها الخذلان ، وعُدِمَتْ فيه البصائر ، شئ لا كلا  
شئ ، وإذا أراد الله [ تعالى ذكره ] أن يُعْظِمَ صغيراً قتل ، وإذا شاء أن يُصَغِّرَ  
عظيماً قَدَر ، له الخلق والأمر ، ولا مُعَقَّبَ لِجُحُكِهِ ، ولا رادَّ لِقَضَائِهِ ، ولا صارِفَ  
لِقَدَرِهِ ؛ وقُدْرَةُ الإنسان محدودة ، وأستطاعته مُتَنَاهِيَةٌ ، وأختياره قصير ، وطاقته  
مَعْرُوفَةٌ ؛ وكلُّ ما جاوز هذا الحدَّ وهذا<sup>(١)</sup> التَّناهي فهو الذي يَجْرِي على الإنسان  
شاء أو أبى ، كَرِه أو رَضِيَ ، وماهنا يُنْزَعُ إلى الله مِنْ نازِلِ الْمَكْرُوه ،  
وحادثِ الْمَحْذُور .

وذاك أن الرُّومَ تهايجت على المسلمين ، فسارت إلى نصيبين بِجَمْعٍ عَظِيمٍ  
زائدٍ على ما عهِدَ على مَرِّ السَّنين ، وكان هذا في آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، فُخِيفَ<sup>(٢)</sup>  
النَّاسُ بِالْمَوْصِلِ وما - تَوَلَّاهَا ، وأخذوا في الانحدار على رُغْبٍ قُدِفَ في قُلُوبِهِمْ ،  
ليكون سبباً لما صار إليه [ الأمر ] ؛ وماجَ النَّاسُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ واضطربوا ،  
وتَقَسَّمَ هذا الموجُ والاضطرابُ بين الخاصة والعامة ؛ وصارتِ العامة طائفتين ،  
طائفة تَرِقُّ لِلدِّينِ ولما دَمَّ الْمُسْلِمِينَ ، وتَسْتَعِظِمُ ذَلِكَ فَرَقاً بما يُنْتَهَى إليه ، بعد  
ما يُؤْتَى عليه ؛ وطائفة وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا في العَيْثِ والفساد ، والنَّهْبِ والغارةِ  
بوساطةِ التَّعَصُّبِ لِلْمَذْهَبِ .

وافترقت الخاصة أيضاً فرقتين : فرقة أَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ حَيَّةً<sup>(٣)</sup>  
لِلإِسْلَامِ ، ونَهَضَتْ إلى الغزو ، وأنْبَعَثَتْ في نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، إذ قد أُضْرِبَ

(١) في (ب) ؛ « وهو » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « خلق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « حيا » ؛ وهو تحريف .



السلطان عن هذا الحديث ، لأنهما كيه في القصف والعزف ، وإغراضه عن الصالح الدينية ، والخيرات السياسية ؛ وطائفة اختارت السكون والإقبال على ما هو أحسن لمادة الوثوب والهيج ، وأقطع أشغب الشاغب ، وأقمع خلاف المتهم ؛ فإن الاختلاف إذا عرض خفي موضع الاتفاق ، والتبس الأمر على الصغار والكبار ؛ وبمثل هذا فتحت البلاد ، ومليكت الحصون ، وأزيلت النعم ، وأريقَت الدماء ، وهتكت المحارم ، وأيدت الأمم ؛ ونعوذ بالله من غضب الله ومما قرب من [ سُخْطِ ] الله ؛ وإذا أراد الله أمراً كثر بواعيته ، وفرق نوابه<sup>(١)</sup> .

ولما اشتعلت النائرة ، واشتغلت النائرة ، صاح الناس : النفير النفير ، وإسلاماء ، وأحمداء ، واصوماء ، واصلائاء ، واحجاء ، واغزواء ، وأسرءاء ، في أيدي الرؤوم والطغاة . وكان عز الدولة قد خرج في ذلك الأوان إلى الكوفة لصيد ، ولأغراض غير ذلك ؛ فاجتمع الناس عند الشيوخ والأمثال والوجوه والأشراف والعلماء ، وكانت النتيجة<sup>(٢)</sup> بعد حسنة ، والناس في ظل السلطان مبيت ومقيل ، يستمذبون وردء ، ويستسهلون صدرء ، وعجوا وضجوا ، وقالوا : الله الله ، انظروا في أمر الضعفاء وأحوال النقاء ؛ وأغضبوا الله ولدينه ؛ فإن هذا الأمر إذا تفاقم تعدى ضعفاءنا إلى أقويائنا ، وبطل رأي كبرائنا في تدبير صفرائنا ؛ والتدارك واجب ، وهو الإسلام ، إن لم نذب عنه غلب الكفر ، وهو الأمن والسكون إن لم يحتفظا ، فهو الخوف والبلاء وذهاب الجرث والنسل ،

(١) في كلتا النسختين : « نوابه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

ونوابث الأمر : مشيرات دفينه ومظاهرات خفية .

(٢) في (١) « الثقة » وفي (ب) « البقية » وفي (١) « تعد » مكان قوله « بعد » ؛

وهو تحريف .

وَفَضِيحَةُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَسَكَنَ الْمَشَائِخُ مِنْهُمْ ، وَطَيَّبُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَقَوَّوْا مُنْتَهَمَهُمْ  
وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرْتَثُوا<sup>(١)</sup> فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ مُجْتَهِدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا اللَّهَ  
ضَارِعِينَ ؛ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَأَجْتَمَعَ الْقَوْمُ : أَبُو تَمَّامِ الزَّيْنَبِيُّ ، وَمُحَمَّدُ  
ابْنُ صَالِحِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَابْنُ مَعْرُوفِ الْقَاضِي ، وَابْنُ غَسَّانِ الْقَاضِي ، وَابْنُ  
مُسْكَرَمٍ — وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّهُودِ فِي سُوقِ<sup>(٢)</sup> يَحْيَى — وَابْنُ أَيُّوبَ الْقَطَّانِ  
الْعَدْلُ وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْفَقِيهَ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى وَالْعَوَّامِيُّ صَاحِبُ الزَّيْرِيِّ<sup>(٣)</sup> ،  
وَابْنُ رُبَاطٍ شَيْخُ الْكَرْنَجِ ، وَنَائِبُ الشَّيْبَةِ<sup>(٤)</sup> وَلِسَانُ الْجَمَاعَةِ ، وَابْنُ آدَمَ  
التَّاجِرُ<sup>(٥)</sup> ، وَالشَّالُوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ ؛ وَتَشَاوَرُوا  
وَتَفَاوَضُوا ، وَقَلَّبُوا الْأَمْرَ ، وَشَعَّبُوا الْقَوْلَ ؛ وَصَوَّبُوا وَصَّعَدُوا ، وَقَرَّبُوا وَبَعَّدُوا<sup>(٦)</sup>  
وَالْتَأَمَّ لَمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ الْأَمِيرِ بِخَتِّيارٍ إِلَى الْكَوْفَةِ وَتَلْقَاهُ  
وَتُعْرِفَهُ<sup>(٧)</sup> مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ مِنَ الْأَهْتَامِ ؛ وَأَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ،  
وَأَنَّ الذُّعْرَ قَدْ مَلَكَهُمْ ؛ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ نَظِيرٌ  
سَائِسٌ لَمْ يُفَضَّ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعَ لِلَّهِ إِنَّمَا وَلَاهُ  
مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَتَقَيَّظَ فِي لَيْلِهِ ، مَتَفَكِّرًا فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا ، وَيُنْفَقَ فِي نَهَارِهِ أَمْرًا  
وَنَاهِيًا مَا يَعُودُ بِمَرَاشِدِ الدِّينِ ، وَمَنَافِعِ الدَّائِنِينَ وَالْقَاصِينَ<sup>(٨)</sup> وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « يَرْتَوَا » بِالنَّاءِ وَسُقُوطِ الْهَمْزِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سُوقٌ يَعْنِي كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ ، كَانَتْ بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَدَارِ الْمَلِكَةِ ؛  
وَمِنْ مَنَسُوبَةٍ إِلَى يَعْنِي بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ؛ وَهِيَ عَمَلَةُ ابْنِ حِجَّاجِ الشَّامِرِ الْمَعْرُوفِ .

(٣) فِي (ب) « الزَّهْرِيُّ » مَكَانَ « الزَّيْرِيِّ » .

(٤) فِي (أ) « وَنَائِبُ السَّبْعَةِ » وَفِي (ب) « بَابُ السَّبْعَةِ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) « الشَّامِرُ » .

(٦) فِي (أ) « وَقَعَدُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي (ب) « وَتَعْلَمُهُ » ؛ وَالْعَنْيُ يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٨) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) « الْوَارِدِينَ وَالْقَاصِدِينَ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ أَوَّلًا بِالسِّيَاقِ .



وكلاماً على هذا الطابع ، وفي هذا النسخ ؛ فأتفق جماعة على صريمة الرأي في الحركة إلى الكوفة ، منهم أبو كعب الأنصاري ، وأبو الحسن مذرّة القوم ، وعلى ابن عيسى ، والعمامي ، وابن حسان القاضي صاحب الوقوف ، وأبو أحمد الجرجاني القاضي البليغ ، وابن سيار القاضي أبو بكر ، وأبو بكر الرازي .  
وأما جعل ، فإنه ذكر ما به من وجع الفرس ، واستعفى .

وأما أبو سعيد السيرافي ، فإنه ذكر ضعفنا وسننا ، وقال : أنا <sup>(١)</sup> أعين في هذه النائية بإقامة رجل جليل مزاح العلة بالفرس والسلاح ، وقعد الجمل الغفير ، وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد ، وانتظرتة ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم — وكان وافر الحظ من سوء الأدب ، قليل التبعاشي من أهل الفضل والحكمة — ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز التغافل عنه ، والإمساك دونه ، فأذن <sup>(٢)</sup> لهم بين المغرب والعقمة ، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا .

فقال أبو الوفاء الهمداني لأبي بكر الرازي : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقتنع العصابة .

فقال أبو بكر : الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، لا مفزع إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه الصير ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله للبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله [ تعالى ] قد حصّ على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ،

(١) في (١) « لا » ، وهو تحريف .

(٢) في (ب) « فأمر » .



والذَّبُّ عن الحرِّيم والإسلام والمسلمين في الدهر الصالح ، والزمان الطيبين ؛ فكيف إذا اضطرب الحبل وانتكشت مريته ، وأبرز مَصُونُهُ ، وعُرِّيَ حَرِيمُهُ بالاستباحة ؛ ونيل جانبهِ بالضمِّ ، وضع مَنَارُهُ بالرَّغْمِ ، وقصِدَ رُكْنُهُ بالهَدمِ ، وأنت أيها<sup>(١)</sup> المولى من وراء سُدَّةِ أمير المؤمنين الطيع لله ، والحامل لأعباء مُمَيَّناته ، والناهض بأثقال نوائبه وأحداثه ؛ والمفرغ إليك ، والمعوَّل عليك ، فإن كان منك جدٌّ وتشهيرٌ فما أقربَ القَرَجَ بما قد أظَلَّ وأزيج ، وإن كان منك تَوَانٍ وتقصيرٌ فما أصعبُه من خطب ؟ وما أبعدُه من شعب !! وقد جثناكَ نُحَقِّقُ عندَكَ ما بَلَغَكَ من تَوَسُّطِ هذه الطاغية أطرافَ المَوَصِّلِ وما والاها ، وأنَّ الناسَ قد جَلَّوْا عن أوطانهم ، وفَتِنُوا في أديانهم<sup>(٢)</sup> وضعفوا عن حَقِيقَةِ إيمانهم ؛ للرَّغْبِ الذي أذهَلَهُم ، والخَوْفِ الذي وهَلَهُمْ ؛ وإِنَّمَا هم بَيْنَ أَطْفَالٍ صِغار ، ونِسَاءٍ ضِعَافٍ ، وشيوخٍ قد أَخَذَ الزَّمانُ منهم ، فهم أرضٌ لكلِّ واطئ ، ونَهْبٌ لكلِّ يد ؛ وشباب لا يَقِفُونَ لعدوِّهم لِقْلَةً سَلاحِهِمْ ، وسوءُ تَأْتِيهِمْ<sup>(٣)</sup> في القِراعِ والدِّفاعِ ؛ ونحن نَسْأَلُكَ أنْ تَتَوَخَّيَ في أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يُزِيلُكَ عنده ، ويكونُ لك في ذلك دُخْرٌ من مَنَافِعَتِهِ وبِتَخْتِيَارٍ مُطَرِّقٍ .

ثم اندفع على بن عيسى فقال : أيها الأمير ، إن الصغيرَ يُتَدَارَكُ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ ، فكيفَ يَجُوزُ إِلَّا يُسْتَقْبَلَ بِالْجِدِّ والأَجْتِهَادِ وهو قد عَسَا وَكَبُرَ . واللهِ إنَّ<sup>(٤)</sup> بنا إِلَّا أَنْ يَظُنُّ أَهْلُ الْجَبَلِ وَأَذْرَبِيجَانُ وَخُرَّاسَانُ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا ذَابٌ

(١) كذا في (ب) . وعبارة (١) « وأنت أمير الأمير المولى ما وراء سيده » ، ولا يخفى

ما فيها من اضطراب .

(٢) في (١) « ديارهم » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في (ب) ؛ والذي في (١) بأسهم ؛ وهو تحريف إذ أن سوء البأس في هذا الموضع

مما يحمد لا مما يباب . (٤) « إن » في هذا الموضع نافية بمعنى « ما » .

عن حريمنا ، ولا ناصِرٍ لِدِينِنَا ، ولا حافظٍ لَبَيْضَتِنَا ، ولا مُفَرِّجٍ لَكُرْبَتِنَا ،  
ولا مَنْ يَهْمُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا ، فَاللهَ اللهُ ، لا تَجُرُّنَّ عَلَيْنَا شِمَاتَهُمْ بِنَا ،  
وخذُ بِأَيْدِينَا بِقُوَّتِكَ ، وَحُسْنِ نِيَّتِكَ ، وَحِمْدِ طَوْبِيتِكَ ، وَعِزِّكَ وَسُلْطَانِكَ ،  
وَأَوْلِيائِكَ وَأَعْوَانِكَ ، وَأَكْتُبُ قَبْلَ هَذَا إِلَى عُدَّةِ الدَّوَالَةِ بِمَا يَنْبَغُهُ عَلَى حِفْظِ  
أَطْرَافِهِ ، وَحِرَاسَةِ أَكْنَافِهِ ، مَعَ اسْتِطْلَاعِ الرَّأْيِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمُطَالَعَةِ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِكَ وَمَشُورَتِكَ .

ثم رفع الأنصارى رأسه وقال : ليس في تكرير الكلام — أطال الله  
بقاء الأمير — فائدة كبيرة ، ولئن كان الإيجاز في هذا الباب لا يَكْفِي ،  
فَالْإِطْنَابُ فِيهِ أَيْضًا لَا يُغْنِي ، وَاللهُ لَوْنَهَضَتْ بِنَا وَنَحْنُ أَحْرَاضٌ <sup>(١)</sup> كَمَا تَرَى  
لَا تُقَلِّبُ مَخْصَرَةً <sup>(٢)</sup> بَكْفٍ ، وَلَا نَزَمِي دُخْرُوجَةً <sup>(٣)</sup> بَيْدٍ ، وَلَا نَعْرِفُ سِلَاحًا  
إِلَّا بِالْأَسْمِ ، لَنَهَضْنَا وَسِيرْنَا تَحْتَ رَابِيتِكَ ، وَتَصَرَّفْنَا بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ،  
وَقَدَّيْنَاكَ بِأَرْوَاحِنَا ضَنْبًا بِكَ ، وَبَعَثْنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَحْدَانَنَا وَأَوْلَادَنَا الَّذِينَ  
رَبَّيْنَاهُمْ بِنِعْمَتِكَ ، وَخَرَجْنَاهُمْ فِي أَيَّامِكَ ، وَأَدْخَرْنَاهُمْ لِلنَّوَازِلِ إِذَا قَامَتْ ،  
وَالْحَوَادِثِ إِذَا تَرَامَتْ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قِلَّةٌ فَخُذْ مِنْ مُوسِرِنَا وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ  
فِي حَالِهِ ، فَإِنَّهُ يُفَرِّجُ عَنْهُ طَاعَةً لَكَ ، وَطَمَعًا فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ .

(١) في (ب) «أحراس» بالصاد ؛ وهو تصحيف . والأحراض : جمع حرض بالتحريك  
وهو الكال المعنى والمعرف على الهلاك .

(٢) في (١) «محصره» بالهاء المهملة ؛ وفي (ب) «محصرة» بالحاء المهملة والضماد المعجمة  
وهو تصحيف في كلتا النسختين . والمحصرة : ما يتوكل عليه من عصا ونحوها .

(٣) في كلتا النسختين «محبوحة» وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ، ولعل  
صوابه ما أثبتنا . والدخروجة : ما يدخرجه الجمل من البندق ، أو لعله حَدْجَةٌ بالتحريك  
يقال تراموا بالحدج وهو المنطل الصغير .



وقال العوامي<sup>(١)</sup> : والله ما سُمِّيتَ لِلدَّوْلَةِ عِزًّا ، إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ — تعالى —  
 قد ذَخَرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ كَنْزًا ، وجعلَ لِمِ يَدَيْكَ وَبِقَدِيرِكَ راحةً وفَوْزًا ، ولم  
 يُعَرِّضْكَ لِهَذِهِ الْفَادِحَةِ إِلَّا لِيَخْصُصَكَ بِانْفِرَاجِهَا [ عَلَى يَدِكَ ] وَيُبْقِيَ لَكَ بِهَا  
 ذِكْرًا يَطْبُقُ الْأَرْضَ وَيَبْلُغَ أَمْرَاءَ خُرَّاسَانَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ فَيُصِيبَهُمُ  
 الْحَسَدُ عَلَى مَا هِيَ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ لَكَ مِنْهَا .

وَنَظَرَ بِخُتْيَارٍ إِلَى ابْنِ حَسَّانِ الْقَاضِي — وَكَانَ مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ  
 خِدْمَتِهِ — فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،  
 وَمَا الْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ ، وَالْمَصَاقِعُ الْأَلْبَاءُ ؛ وَإِنْ سِرَّاجِي لَا يَزِدُّهُرِي  
 شَمْسِهِمْ ، وَإِنْ سَحَابِي لَا تَبِلُ عَلَى بِلَالِهِمْ<sup>(٣)</sup> : وَقَدْ قَالُوا فَاأَنْعَمُوا<sup>(٤)</sup> ، وَجَرَوْا<sup>(٥)</sup>  
 فَأَمَعُوا ، وَلَيْسَ قُدَّامَهُمْ إِمَامٌ ، وَلَا وَرَاءَهُمْ أَمَامٌ ؛ لَكِنِّي أَقُولُ : مَا بَجَشَمْنَا  
 إِلَيْكَ هَذِهِ السَّكَلَفَ إِلَّا لِنَنْظُرَ عَلَى ضَمَفٍ أَزْكَائِنَا ، وَعُلُوِّ أَسْتَانَا<sup>(٦)</sup> وَقَلَّةِ  
 أَعْوَانِنَا<sup>(٧)</sup> ، لِأَنَّا<sup>(٨)</sup> رَأَيْنَاكَ أَهْلًا لِنَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ، وَالْأَهْتَامِ بِحَالِنَا ، وَبِمَا  
 يَمُودُ نَفْعُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا .

فَقَالَ عِزُّ الدَّوْلَةِ : مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَّقَ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَاقْدَ أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ ،  
 وَفَكَّرْتُ فِيهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَشُّمَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَمَا أُعْجِبُنِي

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « الْعِرَاقِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا أَخْنَا مِمَّا سَبَقَ .

(٢) فِي (ب) « وَهَبَ » مَكَانَ قَوْلِهِ « هَيَّا » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَفِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٣) الْبِلَالُ بِكسْرِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا : الْمَاءُ .

(٤) أَنْعَمُوا : جَوَّدُوا .

(٥) فِي (أ) « وَحَرَّرُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « شَأْنُنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا ، كَمَا أَنَّ فِي (أ)

وَحَدَّثَنَا « وَغُلُو » بِالْفَيْنِ الْمَعْجَمَةُ مَكَانَ الْمَهْلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ أَيْضًا .

(٧) فِي (أ) « إِخْوَانُنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « لَكُنَّا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، فَإِنَّ الْأَسْتِثْرَاكَ هُنَا غَيْرُ مَفْهُومٍ .



هذا التفرُّيعُ مِنَ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ ، وما كَانَ يَجُوزُ لِي أَنْ أَنْعَسَ عَلَى هذه الكَارِثَةِ ، وَأَنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَهَا ، وَأَعْمَرِي إِنَّ النِّفْلَةَ [ عَلَيْنَا ] أَغْلَبَ ، وَالشَّهْوَةَ فِينَا أَعْمَلَ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ <sup>(١)</sup> مَتَى تَهْتَجِينَ شَدِيدَ ، وَتَوْبِيخُ فَاحِشَ ، وَإِنَّ هَذَا الْجُلُوسَ لَمَّا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِالزَّائِدِ وَالنَّاقِصِ ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَإِنَّكُمْ لَتَبْظُنُّونَ أَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوَلَا يَبْقَى لِأُمُورِكُمْ ؛ كَلَّا ، وَلَكِنْ كَمَا تَكُونُونَ يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ ؛ هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِينَا وَفِيكُمْ ؛ وَاللَّهُ لَوْ لَمْ تَكُونُوا اشْتَبَاهِي لَمَّا وَلِيْتُكُمْ ، وَلَوْ لَا <sup>(٢)</sup> أَنَّنِي كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ ، لَمَّا جُعِلْتُ قِيًّا عَلَيْكُمْ ؛ وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَيْبِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ وَغَضُّ غَيْرِهِ ، وَتَهْتَجِينَ سُلْطَانِهِ ؛ أَيُظَنُّ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ أَنَّنِي غَيْرُ عَالِمٍ بِنِفَاقِهِ ، وَلَا عَارِفٍ بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؛ يَلْقَانِي بِوَجْهِ صُلْبٍ ، وَلِسَانٍ هَذَّارٍ يُرَى مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْحَسَنُ الْبَهْرِيُّ يَعْظُ الْحَبَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ بِأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ ابْنُ التَّمَاكِ يُرْهِبُ الْفُجَّارَ ؛ هَذَا قَبِيحٌ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا لَكَانَ عِيًّا وَعَجْزًا ؛ جَزَى اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ شَيْخَنَا خَيْرًا حِينَ جَلَسَ ، وَكَذَلِكَ أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا مَكَافَاةَ أَبِي سَعِيدٍ السَّيْرَافِيِّ ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِي مُسَاعَدَةِ تَكْمُلِ رُشْدَا لَمَّا تَوَقَّفَ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ — يُرِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى — فَوَاحِقُ أَبِي إِنْنِي لِأَحِبُّ لِقَاءَكَ ، وَأَوْثَرُ قُرْبِكَ ، وَلَوْلَا مَا يَبْلُغُنِي مِنْ مُلَازِمَتِكَ لِمَجْلِسِكَ ، وَتَذَرِيْسِكَ لِمُخْتَلِفَتِكَ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ كُنَّا بِكَ عَلَى كِتَابِكَ فِي الْقُرْآنِ ، لَفَلَّيْتُكَ عَلَى زَمَانِكَ ، وَلَا أَسْتَكْثَرْتُ مِمَّا قَلَّ حَظِّي مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَمَّا مَدْفُوعٌ

(١) فِي (١) « رَأَيْتُمُوهُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « وَلَوْ أَنِّي » ؛ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) الْمُخْتَلَفَةُ : الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ .

إليها ، فإنها وازعة على هوى النفس ، وطاعة الشيطان ، ومنازعة الأكفاء ،  
وجمع المال ، وأخذ من حيث يجب أولاً ، وتفرقة فيمن يستحق  
ومن لا يستحق ، وإلى الله أفزع في قليل أمرى وكثيره ، إذا شئتم .

قال لى أبو الوفاء — وهو الذى شرح لى المجلس من أوله إلى آخره — :  
لقد شاهدت من عز الدولة فى ذلك المجلس المنصور<sup>(١)</sup> فى جده وشهامته ، وثبات  
قلبه وقوة لسانه ، مع بجمع لذيذ ولثغة خلوة .

قال : ولقد قلت له بعد ذلك : أيها الأمير ، ما ظننت أنك إذا خلعت رداءك  
ونزعت حذاءك تقول ذلك المقال ، وتجول ذلك المجال ، وتنال ذلك المال ،  
لقد أنصرف ذلك الرهط على هيئة لك شديدة ، وتعظيم بالغ ، ولقد تداولوا  
لفظك ، وتنبهوا معانيك ، وتشاحوا<sup>(٢)</sup> على نظمك ، وقالوا : ما يذنبى لأحد  
أن يسىء ظنه بأحد إلا بعد الخبرة والعيان ، وإلا بعد الشهادة والبيان ؛  
أهذا يقال له متخلف أو ناقص ؟ لله دره من شخص ! والله أبوه من فتى مدره !  
ولما بلغ هذا المجلس الذين قعدوا عن المسير إليه — أغنى عز الدولة —  
حمدوا الله تعالى ، وعلموا أن الخبرة كانت قرينة اختيارهم .

قال الوزير : قرأت ما دونه الصابى أبو إسحاق فى ( التاجى ) فما وجدت  
هذا الحديث فيه . قلت : لعله لم يقع إليه ، أو لعله لم ير التطويل به ، أو لعله لم  
يستخف ذكر عز الدولة على هذا الوجه . قال : هذا ممكن ؛ فهل سمعت فى  
أيام الفتن بغيرية ؟

(١) يريد بالمنصور أبا جعفر الخليفة العباسى المبروك .

(٢) تشاحوا على نظمك ، أى أن كلا منهما ضمن بما يحفظه منه على صاحبه ، وفى (ب)

« وتساخروا » ؛ وهو تحريف .



قلتُ : كلُّ ما كُتِبَ فيه [ كان ] غريباً بديعاً ، عجيباً شنيعاً ، حصلَ لنا  
مِنَ العَيَّارِينَ قُوَاد<sup>(١)</sup> ، وأشهرهم<sup>(٢)</sup> ابنُ كَبْرَوَيْه ، وأبو الدُّود<sup>(٣)</sup> ، وأبو الذُّباب ،  
وأُسودُ الزُّبْد ، وأبو الأَرْضِ<sup>(٤)</sup> ، وأبو النَّوَاجح ، وشَنَّت الغارة ، واتَّصل  
النَّهْب ، وتَوَالَى الحَرِيقُ حتى لم يَصِلْ إلَيْنَا للملأ من دِجَلَةَ ، أغْنَى الكَرْخ .

فَإِنْ غَرِيبٍ مَا جَرَى أَنَّ أُسودَ الزُّبْدِ كانَ عَبْدًا يَأْوِي إِلَى قَنْطَرَةٍ<sup>(٥)</sup> الزُّبْدِ  
وَيَلْتَقِطُ النَّوَى وَيَسْتَعِظِمُ مَنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَسْكَانَ يَلْهُو وَلَعِبٌ ، وَهُوَ عُزَيَّانُ  
لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِمُخْرَقَةٍ ، وَلَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَلَا يُبَالَى بِهِ ، وَمَضَى عَلَى هَذَا دَهْرٌ ، فَلَمَّا حَلَّتِ  
النَّفْرةُ<sup>(٦)</sup> أَغْنَى لَنَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، وَفَشَا الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ ، وَرَأَى هَذَا الْأُسودُ مِنْ  
هُوَ أضعَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ ، مَلَبَّ سَيِّفًا وَشَعَدَهُ ، وَنَهَبَ وَأَغَارَ  
وَسَلَبَ ، وَظَهَرَ مِنْهُ شَيْطَانٌ فِي مَسْكَانِ إِنْسَانٍ ، وَصُبْحَ وَجْهِهِ ، وَعَذَبَ لَقْظُهُ ،  
وَحَسُنَ جِسْمُهُ ، وَعُشِقَ وَعَشِقَ ، وَالْأَيَّامُ تَأْنَى بِالْغَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ  
الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي مَوَاعِظِهِ : الْمُتَعَبِرُ كَثِيرٌ ، وَالْمُتَعَبِّرُ قَلِيلٌ . فَلَمَّا دُعِيَ قَائِدًا وَأَطَاعَهُ

(١) فِي (١) « قَوْل » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (ب) « وَأَسْمَاؤُهُمْ » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَابْنُ الرُّود » بِالرَّاءِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا . إِذْ هُوَ  
الْمُنَاسِبُ لِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ .

(٤) كَذَا فِي (١) وَالَّذِي فِي (ب) « أَبُو الْأَرَمِيِّ » .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الرِّيد » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا قَلِيلًا عَنْ كِتَابِ بَغْدَادٍ  
لِلْأَسْتَاذِ لَوْسْتَرَانِجِ Le Strange ؛ وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا يَبِيعُونَ الزُّبْدَ عِنْدَ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ فَأَضْيَعَتْ إِلَيْهِ  
وَهِيَ قَنْطَرَةُ الْبَطْرِيقِ أَيْضًا . وَفِي يَأْقُوت : قَنْطَرَةُ رَحَى الْبَطْرِيقِ ، وَهِيَ عَلَى نَهْرِ الصَّرَاةِ .

(٦) فِي (١) : « حَلَفَ الْخَنْصَرَةُ » وَفِي (ب) « حَلَبَ الْبَقَرَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي

كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .



رجالاً وأعطاهم وفرَّق<sup>(١)</sup> فيهم ، وطلبَ الرّأسَ عليهم ، صار جانبُه لا يُرام ، وجمّاه لا يُضام .

فمّا ظهرَ من حُسْنِ<sup>(٢)</sup> خُلُقِهِ — معِ شرِّهِ<sup>(٣)</sup> ولَعْنَتِهِ ، وسَفِكِهِ لَدَمٍ ، وَهَتِكِهِ لِحُرْمَةِ ، ورُكُوبِهِ لِلْفَاحِشَةِ ، وتَمَرُّدِهِ عَلَى رَبِّهِ الْقَادِرِ ، ومَالِكِهِ الْقَاهِرِ — أَنَّهُ اشْتَرَى جَارِيَةً كَانَتْ فِي النَّخَاسِينِ عِنْدَ الْمُوَصِّلِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ حَاوَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، فامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَسْكُرُهُنِ مِنِّي ؟ قَالَتْ : أَسْكُرُكَ كَمَا أَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : فَمَا تُحِبُّنِ ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبِيعَنِي ، قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أُعْطِيكَ وَأَهْبُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي ابْنِ الدَّقَاقِ عِنْدَ مَسْجِدِ ابْنِ رَغْبَانَ<sup>(٤)</sup> فَتَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْئَتِهِ وَسَمَاحَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى كَلَامِهَا ، وَتَرَكَ مُكَافَأَتَهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا ، فَلَوْ قَتَلَهَا مَا كَانَ أَتَى مَا لَيْسَ مِنْ فَعْلِهِ فِي مِثْلِهَا ؛ قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا وَاللَّهِ طَرِيفٌ ، فَمَا كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ ؟ قُلْتُ : صَارَ فِي جَانِبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَجَمَّاه ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ فَهَلَكَ بِهَا .

قَالَ : وَكَيْفَ سَلِمْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ ؟ قُلْتُ : وَمَقَى سَلِمْتُ ؟ جَاءَتِ النَّهَابَةُ إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ<sup>(٥)</sup> وَشَتُّوا النَّارَ وَأَكْتَسَحُوا مَا وَجَدُوا فِي مَنْزِلِي مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٍ وَأُثَاثٍ ، وَمَا كُنْتُ ذَخَرْتُهِ مِنْ تَرَاثِ الْعُمَرَاءِ وَجَرَّدُوا السَّكَاكِينَ

(١) فرق فيهم ، أى فرق الأعطية فيهم .

(٢) في (١) « من خُفٍ » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « شره » ؛ والماء الأول زيادة من الناسخ .

(٤) مسجد ابن رغبان في غربي بغداد . والقى في (١) ابن رغبان بالمعين الهمزة ؛

وهو تصحيف .

(٥) إلى بين السورين ، أى إلى هذه المحلة السماة بهذا الاسم في بغداد .

على الجارية في الدار يطالبونها بالمال ، فأنشقت مرارستها ، ودُفِنَتْ في يومها ،  
 [ وأُتْسِيتُ ] وما أملك مع الشيطان فجرة<sup>(١)</sup> ، ولا مع الغراب نقرة .  
 أيها الشيخ — وفَقَّكَ اللهُ في جميع أحوالك ، وكان لك في كل مقالك  
 وفعلك — إنما نثرتُ بالقلم ما لاقَ به ؛ فأما الحديث الذي كان يجري بيني  
 وبين الوزير فكان على قَدَرِ الحال والوقتِ [ والواجب ] ؛ والاتساعُ يتبعُ  
 القلمَ ما لا يتبعُ اللسان ، والرؤية<sup>(٢)</sup> تتبعُ الخطَّ ما لا تتبعُ العبارة ، ولما كان  
 قصدي فيما أغرضه عليك ، وألقيه إليك ، أن يبقى الحديثُ بعدي وبعذك ،  
 لم أجدُ بداً من تنميقِ يزْدَانُ به الحديث ، وإصلاحِ يحسُنُ معه المنزى ،  
 وتكلفِ يتبلغُ المراد الغاية ، فليتمَّ العذرُ عندك على هذا الوصف ، حتى يزول  
 العتب ، ويُستحقَّ الحمدُ والشكر .

### الليلة التاسعة والثلاثون

(١) وقال الوزير ليلة : يعجبني الجوابُ الحاضر ، واللفظُ النادر ، والإشارة  
 الحُلوة ، والحركة الرضيّة ، والنغمة المتوسّطة ، لا نازلةً إلى قعرِ الخلق ،  
 ولا طافيةً على الشفة .

فكان من الجواب : اقتراحُ الشيء على الكمال سهّل ، ولكن وجدّانه

(١) في (١) « نحوه » . وفي (ب) « نغرة » وهو تحريف في كلتا النسختين سوابه  
 ما أثبتنا ، أي لا أملك ما أغر به فجرة واحدة مع الشيطان . ويشبهون المجلة في السجود بنقر  
 الغراب ، فيريد بالعبارة الثانية أنه لا يملك سجدة مستعجلة مع الغراب تشبه نقرة من نقراته .  
 ويريد بالبارتين أنه لا يملك عملاً خبيثاً ولا طيباً مهما قلّا . هذا ما يلوح لنا من معنى هاتين  
 العبارتين .

(٢) في الأصول : « والرق به يتسع الحظ ما لا تسع الخ » وهو تحريف ؛ وسياق  
 الكلام يقتضيه ما أثبتنا .



على ذلك صعب ، لأنَّ التَّمَنِّيَّ صَفْوُ النَّفْسِ الْحَسَنَةِ ، وَثَقِيلَ التَّمَنِّيِّ فِي الْفُرْصَةِ (١)

الْمَحْشُورَةِ بِالْحَيْلُولَةِ .

وقد قال المدائنيُّ : أحسنُ الجواب ما كان حاضراً مع إصابتِهِ التَّمَنِّيِّ وإيجاز اللفظِ وبلوغ الحِجَّةِ .

وقال أبو سليمان شارحاً لهذا : أما حُضُورُ الْجَوَابِ فَلْيَكُنْ الظَّفَرُ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَأما إيجاز اللفظِ فَلْيَكُنْ صَاقِياً مِنَ الْحَشْوِ ، وَأما بُلُوغُ الْحِجَّةِ فَلْيَكُنْ حَسْباً لِلْمُعَارَضَةِ .

قال : ما أحسنَ ما وَشَّحَ هَذِهِ الْفَقْرَةَ بِهِذِهِ الشَّدْرَةُ !

وحَكَى المدائنيُّ قال : قال مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : ما مِنْ شَيْءٍ يُوْتَاهُ الْعَبْدُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَوَابٍ حَاضِرٍ ، فَإِنَّ الْجَوَابَ إِذَا تُعْقِبَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَقْعٌ .

وحَكَى المدائنيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ الْأَهَمِّ التَّيْمِيِّ : أَخْبِرْنِي عَنْ الزُّبَيْرِ قَانَ بْنِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : مُطَاعٌ فِي أَذْنَيْهِ ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَا نَعُ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَقَالَ الزُّبَيْرِ قَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ، فَقَالَ عَمْرٍو : أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَزِمَ (٢) الْمُرُوءَةَ ، ضَيِّقُ الْعَطَنِ ، لَثِيمُ الْخُلَالِ ، أَتَحَقُّ الْوَالِدِ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأُخْرَى ، وَلَقَدْ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَسَخِطْتُ فَقُلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لَحِكْمًا » .

(١) فِي (١) « فِي الْعُرْضَةِ » ؛ وَفِي (ب) « فِي الْعُرْضِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِيهِمَا .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « زَمَنٌ » بِالْبُتُونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَزَمَرُ الْمُرُوءَةِ : قَلِيلُهَا .



وقال أبو سليمان : السُّحْرُ بالقَوْلِ الأَعْمُ والرَّسْمُ المُنْفِيدُ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَضْرُبٍ :  
 سِحْرٌ عَقْلِيٌّ ، وهو ما يَدَّرُ من الكلام المُشْتَمِلِ على غريب اللَّغْنِ في أَىِّ فنٍّ  
 كان ؛ وسِحْرٌ طَبِيعِيٌّ ، وهو ما يَظْهَرُ مِنْ آثَارِ الطَّبِيعَةِ في العَنَاصِرِ المُتَهَيِّئَةِ<sup>(١)</sup>  
 والمَوَادِّ المُسْتَجِيبَةِ<sup>(٢)</sup> ، وسِحْرٌ صِنَاعِيٌّ ، وهو ما يوجَدُ<sup>(٣)</sup> بِمُخَفَّةِ الحَرَكَاتِ المَبَاشِرَةِ ،  
 وتَصْرِيفِهَا في الوُجُوهِ الخَفِيَّةِ عَنِ الأبْصَارِ المُحَدِّقَةِ ، وسِحْرٌ إلهِيٌّ وهو ما يَبْدُو  
 مِنَ الأنْفُسِ الكَرِيمَةِ الطَّاهِرَةِ بِاللَّفْظِ مَرَّةً ، وبالفِعْلِ مَرَّةً . وعَرَضُ كُلِّ وَاحِدٍ  
 من هَذِهِ الضُّرُوبِ وَاسِعٌ ، وَكُلُّ حِذْقٍ وَمَهَارَةٍ وَبُلُوغٍ قَاصِيَةٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ  
 هُوَ سِحْرٌ ، وَصَاحِبُهُ سَاحِرٌ .

وقال المدائني : نظرَ ثابتُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ إلى أَهْلِ الشَّامِ فَشَتَّهُمْ ،  
 فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ ، أَتَشْتُمُّهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ فَقَالَ :  
 صَدَقْتَ ، وَلَكِنَّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ قَتَلُوا أَبَاكَ .

وقال عبدُ الملكِ بنُ مَرْوَانَ لثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ : أَبُوكَ كَانَ  
 أَعْلَمَ بِكَ حِينَ شَتَمَكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَذَرِي لِمَ كَانَ يَشْتُمُّنِي ؟  
 إِنِّي نَهَيْتُهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُ بِهِمَا ،  
 وَقُلْتُ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ  
 وَأَخَافُوهُ ، ثُمَّ جَاؤَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَشَرَّدُوهُمْ .  
 فَعَرَّضَ بِالْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ — وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ — وَكَانَ النَّبِيُّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَفَاةً .

(١) ورد في (ب) هذان اللفظان « التهيئة والاستجابة » مهملة حروفهما من النقط

تتمذر قراءتهما .

(٢) في (١) يؤخذ .

وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بينهم ، لم يروا أن يدفعوا عنه . فقال له عبد الملك : لعنك الله .

وقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لعلمت ، فقال معاوية : كنت أكون ابن أبي سفيان ينشق عن الأبطح ، وكنت أنت ابن خالد منزلك أجياد ، أغلاه مدرة ، وأسفله عذرة .

وقال المدائني : قال ابن الضحاك بن قيس الفهري<sup>(١)</sup> لهشام بن عبد الملك قبل أن يملك — وهو يومئذ غلام شاب — يا بن الخلائف ، لم تطيل شعرك وقصصك ؟ قال أكره أن أكون كما قال الشاعر :

قصير القميص فاعن عند بيتي وشر غراس في قرشي مر كبا<sup>(٢)</sup>

قال : وهذا النعر لأبي خالد<sup>(٣)</sup> مروان بن الحكم ، هجأ به الضحاك ابن قيس .

وحكى أيضاً ، قال : مرة عطاه بن أبي<sup>(٤)</sup> صيني بعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعطاه على فرس له ؛ فقال له عبد الرحمن : يا عطاه ، لو وجدت زمام زق الجمر خاليا ما كنت تصنع به ؟ قال : كنت آتى به دور بني النجار فأعرفه فإنه ضالة من ضوألهم ، فإن عرفوه<sup>(٥)</sup> وإلا فهو لك لم يعدك ، ولكن

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « العزى » ، وهو تحريف .  
 (٢) المركب : الأصل والنبت . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فركا » وهو تحريف لا معنى له . وفيها أيضا « فراش » مكان « غراس » ؛ وهو تحريف .  
 (٣) لم نجد في الكتب التي بين أيدينا أن أبا خالد كنية لمروان بن الحكم .  
 (٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : قال ابن عطاه ص ابن صيني . وفي العبارة اضطراب ظاهر لا يستقيم به المعنى ، كما لا يخفى .  
 (٥) حذف الجواب هنا للعلم به وهو « فهو لهم » .



أَخْبَرَنِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ، أَفَرِيعَةُ أَمْ ثَابِتٌ؟ قَالَ: لَا أَذْرِي. قَالَ: فَلِمَ يَغْنِيكَ<sup>(١)</sup> مَا فِي كَنَانِ الرُّجَالِ وَأَنْتَ لَا تَذْرِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ؟ بَلْ فَرِيعَةُ أَكْبَرُ مِنْ ثَابِتٍ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا عَنْ قَلْبِي؟ فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ مِنْ قَوْمِهَا: وَاللَّهِ يَا فَرِيعَةُ إِنَّكَ لَجَبِيلَةٌ، فَمَا بَالُ أَزْوَاجِكَ يُطَلِّقُونَكَ؟ قَالَتْ: يُرِيدُونَ الضِّيقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَحَكَى أَيْضًا قَالَ: قَالَ أَبُو السَّفَرِ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ إِذْ رُفِعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَبْرُ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَعَنَّ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُكَذِّبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ [خَالِدُ بْنُ] أُسَيْدٍ<sup>(٢)</sup> أَسِيدُ — وَهُوَ فِي الْقَوْمِ —: لَا بَلْ لَعَنَّ اللَّهُ أَبَا قُحَافَةَ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْرَى الضَّيْفَ، وَلَا يَمْنَعُ الْغَنِيمَ، وَلَا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَبَّيَ الْمُشْرِكُونَ فَعُمُّوهُمْ بِالسَّبِّ، وَلَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّ الْأَمْوَاتِ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ؟».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَّارَةَ: فَذَا كَرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَعَرَفَنِي، فَقَالَ: فِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عِنْدَكُمْ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: قَالَ خَالِدُ بْنُ أُسَيْدٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا يَسُرُّنِي أَبْنَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَأَنْ أَبَا قُحَافَةَ وَلَدَهُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَالَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّهُمْ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ».

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ: «يَنْهِيكَ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.  
(٢) هَذِهِ التَّكْلِمَةُ الَّتِي بَيْنَ صَرِيحَيْنِ لَمْ تَرَدْ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا إِذْ أَنْ أُسَيْدًا أَبَا خَالِدٍ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ.



وحكى قال : رمى عمر بن هبيرة الفزاري إلى عرام بن شبيب<sup>(١)</sup> بخاتم له  
فضة — وقد زوج — فعمد عليه عرام سيرا وردة إلى ابن هبيرة . أراد ابن  
هبيرة قول الشاعر :

لقد زرت عينك يا بن ملثني كما كل ضبي من اللوم أزرق  
وعرض له عرام بقول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلوبك وأكتبها بأسيار<sup>(٢)</sup>  
وقال المدائني : وكان ابن هبيرة يسير هلال<sup>(٣)</sup> بن مكمل النميري ،  
فتقدمت بغلة النميري بغلة ابن هبيرة . فقال : غص من بغلتك . فالتفت  
إليه النميري فقال : أصلىح الله الأمير ، إنها مكتوبة ، وإنما أراد ابن هبيرة :  
فغص الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا<sup>(٤)</sup>  
وأراد النميري قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلوبك وأكتبها بأسيار  
وقال الوليد العنبري<sup>(٥)</sup> : مرت امرأة من بني نمير على مجلس لم ،  
فقال رجل منهم : أيتها الرسحاء<sup>(٦)</sup> . فقالت المرأة : يا بني نمير ، والله ما أظنم

(١) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربا ، والذي في (١) التي وردت فيها وحدها  
هذه القصة « شنير » بالنون ، وهو تصحيف .

(٢) أكتبها بأسيار ، أي اخزم حياها لثلاثي عليها .

(٣) في العقد الفريد « سنان بن مكل » . وفي نهاية الأرب أيوب بن ظبيان ، وفي  
كتاب الكناية والتعريض للثعالبي « شريك بن محمد » .

(٤) البيت لجرير .

(٥) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « النيدى » ، ولم نجد النيدى  
هذا ضمن أسماء الرواة ، والذي وجدناه في أسمائهم الوليد العنبري كما في تاريخ الطبري .

(٦) في نهاية الأرب مرت أمهات من العرب بمجلس من مجالس بني نمير ، وهو أنسب .

(٧) الرسحاء : التي خف لحم إتيها ووركيها .

الله ولا أطمعُ الشاعر ، قال الله عز وجل ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ )  
وقال الشاعر :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ      فلا كَغَبَاً بلغت ولا كِلَاباً

وقال : سرّ الفرزدقُ بخالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له خالد : يا أبا فراس ،  
ما أنت الذي لما رأيتهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، فقال له الفرزدق : ولا أنت  
الذي قالت الفتاة لأبيها فيه : ( يا أبتِ استأجره إن خيرَ مَنْ استأجرتَ  
القويُّ الأمينُ ) .

قال : ودخل يزيدُ بنُ مُسلمٍ على سليمان بن عبد الملك ، وكان مُصَفِّراً  
نحيفاً ، فقال سليمان : على رَجُلٍ أَجْرَكَ رَسَنَكَ <sup>(١)</sup> وَسَلَطَكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَعْنَةُ  
الله . فقال : يا أمير المؤمنين إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مَدِيرٌ ، فلو رَأَيْتَنِي وَهُوَ  
عَلَى مُقْبِلٍ لَأَسْتَعِظْتَ مَنِي يَوْمَئِذٍ مَا اسْتَصَغَرْتَ الْيَوْمَ . قال : فَأَيْنَ الْحَبَّاجُ ؟  
قال : يَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْبِكَ وَأَخِيكَ ، فَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ .

وقال عباد بن زياد : كنتُ عند عبد الملك بن مروان إذ أتاه أبو يوسف  
حاجبُهُ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه بُثَيْنَةُ . قال : أُبْثَيْنَةُ جَمِيلٌ ؟ قال : نعم ،  
قال أَدْخِلْهَا ، فَدَخَلَتْ أُمْرَأَةً أَذْمَاءَ طَوِيلَةً مُيَعَّمَةً أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً ، فقال له  
يا أبا يوسف أَلْقِ لَهَا كُرْسِيًّا ، فَأَلْقَاهُ لَهَا ، فقال لها عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَيْحَكَ مَا رَجَا  
مِنْكَ جَمِيلٌ ، قالت : الذي رَجَبَتْ مِنْكَ الْأُمَةُ حِينَ وَلَّتْكَ أُمْرَهَا .

وقال سعيدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَّانٍ : إِنَّ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلُوا عَلَى  
مُعَاوِيَةَ ، فقال : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، قُرَيْشٌ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْكُمْ لَهُمْ ، فَإِنْ يَكُنْ

(١) أَجْرَكَ رَسَنَكَ ، أى تركك وشأنك تفعل ما تشاء . والرَّسَنُ اللَّيْثُ وَدَقْدَقُهُ الدَّابَّةُ .



ذَلِكَ لِقَتْلِي أَحَدَ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ بَذْرِ مِثْلَهُمْ ؛ وَإِنْ يَكُنْ لِإِمْرَةٍ <sup>(١)</sup> فَوَاللَّهِ مَا جَعَلْتُمْ لِي إِلَى صَلَاتِكُمْ سَبِيلًا ؛ خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَصَلَّيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ . فَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا قَوْلُكَ « إِنْ يَكُنْ لِقَتْلِي أَحَدٌ » فَإِنْ قَتَلْنَاكَ شَهِيدَ وَحَيِّينَا تَائِقٌ <sup>(٢)</sup> ، وَأَمَّا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا خَذَلْنَا عُثْمَانَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُثْمَانَ إِلَى قَتَلَتِهِ <sup>(٣)</sup> ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا قَتَلْنَا أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا صَلَّيْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَإِنَّمَا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلِهِ خُبْرًا ، فَإِنْ لُغِمْنَا فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

ثُمَّ قَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَجْرُؤُ ثَوْبَهُ مُنْضَبًا ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : رُدُّوهُمْ ، فَرُدُّوهُمْ ، فَتَرَضَّاهُمْ حَتَّى رَضَوْا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . وَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فَرَّغَ مِنْ مَنَظِقِهِ حَتَّى ضَاقَ بِي عَجَلِي .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ : دَخَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا عَلَيَّ ، وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ جُنْدِي <sup>(٤)</sup> يَوْمَ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا دُونَ (ب) هَذَا الْكَلَامِ « لَدَهْرِهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِمُصَوَّبِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يُوْخَذُ بِمَا يَأْتِي بَعْدَ فِي جَوَابِ الْأَنْصَارِ مِنْ قَوْلِهِمْ : وَأَمَّا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ الْخ . وَبَرِيدٌ بِالْإِمْرَةِ أَنَّهُ لَا يُولِيهِمُ الْأَعْمَالُ .

(٢) تَائِقٌ أَيُّ إِلَى أَنْ يَسْتَشْهَدَ . وَفِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَرَدَتْ تِلْكَ السَّكَنَةُ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ . وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا أَوْ لَعَلَّ صَوَابَهَا « مَائِتٌ » .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « قَتَلْنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) « جَدِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



صِفِّينَ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَنَآيَا تَلْظَى فِي أَسْنَتِكُمْ<sup>(١)</sup>، وَهَجَوْتُ مُنَى<sup>(٢)</sup> بِأَشَدِّ مِنْ وَخْزِ الْأَشَافِ<sup>(٣)</sup> حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَا حَاوَلْتُمْ مِثْلَهُ<sup>(٤)</sup>، قُلْتُمْ : ازْعَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مَهَبَاتٌ ، «أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِذْرَةَ»<sup>(٥)</sup> ، فَقَالَ قَيْسٌ : نَطْلُبُ مَا قَبْلَكَ بِالْإِسْلَامِ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ لَا سِوَاهُ ، لَا بِمَا تُمُتُّ بِهِ إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ، وَأَمَّا عِدَاؤُنَا لَكَ فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ ؛ وَأَمَّا هَجَاؤُنَا إِيَّاكَ فَقَوْلُ يَزُورُ بِإِطْلَهِ ، وَيَنْتَبِهُ حَقُّهُ ، وَأَمَّا قَتْلُنَا جُنْدَكَ يَوْمَ صِفِّينَ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ نَرَى أَنْ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا أَسْتِقَامَةُ الْأَمْرِ لَكَ فَعَلَى كُرْهِهِ كَانَ مِنَّا ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ رَعَاهَا ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ «أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِذْرَةَ» ، فَلَيْسَ دُونَ اللَّهِ يَدٌ تَحْجُزُكَ ؛ فَشَأْنُكَ . فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَدَخَلَ ، وَخَرَجَ قَيْسٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ : دَخَلَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ زُفَرُ : لَوْ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ سَخَاةٌ مُصْنَعَةٌ وَكَانَ لِمُصْعَبٍ عِبَادَةٌ عَبْدُ اللَّهِ لَكُنَّا مَا شَاءَ الْمُتَمَتِّئُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كَانَ سَخَاةً

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة «ولهجوت منى» ، وهو تحريف .

(٢) في (١) «الأنافى» بالثاء ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة «مثله» بالثاء ؛ وهو تصحيف ، والتصحيح عن العقد الفريد ج ٢ من ١٤٦ طبع بولاق .

(٤) وردت هذه العبارة في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة «بأى الحقيقين» ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن مجمع الأمثال . والحقيقين : اللذين المحققون والعذرة : العذر . وأصله أن رجلاً نزل بقوم فاستسقام لبنا ، فاعتلوا عليه وزعموا أن لابن عديم ، وكان اللين محقونا في وطاب عندهم ، فقال هذا المثل ؛ وهو مثل يضرب للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له . يقول : إن اللين المحققون لديهم يكذبونكم في عذرهم . والذي في العقد الفريد «أبى الخير العذرة» .

مُصْطَب إِلَّا لَعِبًا ، وَلَا كَانَتْ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عِبَتًا ، وَلَكِنْ لَوْ كَانَ لِلضَّحَّاكِ  
أَبْنِ قَيْسٍ مِثْلُ رَجَالِ مَرْوَانَ لَكَانَتْ قَيْسٌ أَرْبَابًا بِالشَّامِ ، فَقَالَ زُفَرٌ : لَوْ كَانَتْ  
لِمَرْوَانَ صُحْبَةُ الضَّحَّاكِ لَكَانَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ لَهُ مِثْلَ صُحْبَتِهِ  
وَمُصْرَعِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُنْصِرُ مَرْعَى <sup>(١)</sup> لَمَا تَرَكَكَ  
وَالسَّكَّامَ . فَقَالَ زُفَرٌ : إِرْبَعًا <sup>(٢)</sup> عَلَى أَنْفُسِكَ وَدَعَانَا وَخَلِيفَتَنَا وَاسْعَبَا ذِيُولَكَا  
عَلَى خِيَانَةِ خُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَالبَصْرَةَ .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : غَابَ مَوْلَى الْزُبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ حِينًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ  
قُرَيْشٍ لَمَّا رَجَعَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتَ قَوْمًا يُبَغِضُونَ طَلْعَتَكَ ، وَفَارَقْتَ قَوْمًا  
لَا يُحِبُّونَ رَجْعَتَكَ . قَالَ الْمَوْلَى : فَلَا أَنْتُمْ اللَّهُ تَمَنَّ قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَيْنًا ، وَلَا  
أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَى مَنْ فَارَقْتُ بِخَيْرٍ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَانَ مَرْثَدُ بْنُ حَوْشَبٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَرَى  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ كَلَامٌ حَتَّى تَسَابَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَبْنِي ، قَالَ :  
وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْبَهُ بِكَ مِنْكَ بِأَبِيكَ ، وَلَأَنْتَ كُنْتَ أَغْيَرَ عَلَى أُمِّي مِنْ أَبِيكَ  
عَلَى أُمِّكَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانٌ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ لَا بَنُ .

وَسَابَ مَرْثَدُ أَخَاهُ ثُمَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ : يَا حَلَقِي <sup>(٣)</sup> ، فَقَالَ لَهُ مَرْثَدُ :

(١) يشير خالده بهذه العبارة إلى قول زفر بن الحارث :

وقد يثبت المرعى على دمن الثرى . وتبقى حزازات النفوس كما هيا  
وهذا البيت من أبيات قالها زفر حين فرّ بعد وقعة مرج راحط التي قتل فيها الضحّاك  
وانتصر فيها مروان ، وكان زفر من أصحاب الضحّاك .

(٢) اربعا : يخاطب خالدا وأخاه أمية .

(٣) يتهمه بداء قبيح ؛ ويقال أتان حلقية إذا تداولتها الحر فأصابها داء في رجليها .  
والحلاق في الأتان ألا تشبع من السفاد .



يا خَيْث ، أَنَسَانِي مُسَابَةَ الصَّبِيَّانِ ، فَوَاقَهُ إِنَّكَ لَا بُنَى ، وَلَقَدْ غَلَبَنِي حَوْشِبَ  
عَلَى أُمِّكَ ، وَقَدْ أَلْتَحَتَهَا بِكَ <sup>(١)</sup> .

وَقَالَ ابْنُ عُيَاشٍ الْمُنْتَوَف <sup>(٢)</sup> لِأَبِي شَاكِرِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْ قَصَّرْتَ  
قَيْصَكَ ، قَالَ لَهُ : مَا يَضُرُّكَ مِنْ طَوْلِهِ . قَالَ : تَدَوُّسُهُ فِي الطَّيْنِ ، قَالَ وَمَا  
يَنْفَعُكَ مِنْ دَوُّسِهِ .

وَقَالَ : كَانَ عَلَى نَبَالَةٍ <sup>(٣)</sup> رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ ، مَنْ  
الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ غَنِيمَةً فِي دُورِ بَاهِلَةَ بْنِ يَغْفَرٍ فَأَرْحَلْ  
قِسْمٌ قَتِيبةَ أَثْمَمٍ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قَتِيبةُ أَصْبَحُوا فِي تَجْهَلٍ

فَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : مَا أَذْرِي غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ الَّذِي يَقُولُ :

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةَ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ <sup>(٤)</sup>  
قَالَ : وَتَكَلَّمَ ابْنُ ظُبْيَانَ التَّيْمِيُّ يَوْمًا فَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ ،

(١) يتضح من القصة أن مرثدا وثمالة أخوان لأب ، وبذلك يستقيم الكلام .  
(٢) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربا . والتي في (١) التي وردت فيها وحدها هذه  
القصة « الثبوق » ؛ وهو تحريف .  
(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تأييده » مكان قوله : « يا شدة » .  
و « على سجيعة » مكان قوله « على سخيعة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين صوابه ما أثبتنا  
قلا عن الأغاني ج ١٩ ص ٧٦ طبع بولاق . والبيت لحداش بن زهير ، والسخيعة : طعام يتخذ  
من الدقيق وهو دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وهو لقب لفريش كانت تسميه به  
لكثرة اتخاذهم لهذا الطعام . وهذا البيت من أبيات أربعة وردت في الأغاني في خبر طويل  
فاظره ثم . وما هي الأبيات الثلاثة بعد هذا البيت :

إِذْ يَتَقِنَا هِشَامُ بِالْوَيْدِ وَلَوْ أَنَا تَقَفْنَا هَعَامَا شَالَتْ الْخَدَمُ  
بَيْنَ الْأَرَاكِ وَيَيْنَ الْمَرْجِ لِبَطْحِهِمْ زُرُقُ الْأَسْنَةِ فِي أَطْرَافِهَا السَّمُ  
فَإِنْ سَمِعَ بِمَيْشِ سَاكٍ شَرَفَا وَبَطْنٌ مِنْ فَأَخَفُوا الْجُرْسَ وَاكْتَسَمُوا



إيها أبا مَطَر<sup>(١)</sup> ، فإن لقوم في الكلام نصيباً ، فقال : والله ما إليك حِثٌّ ، ولو أن بكر بن وائل أجمعت في بيتٍ يقال لأتيتهم . فقال له مالك ، إنما أنت منهم من سهام كِنَانَتِي . فقال ابنُ ظَبْيَان : أنا منهم من سهام كِنَانَتِكَ ؟ فوالله لو قتُ فيها لَطَلْتُهَا ، ولو قعدتُ فيها لخرَقْتُهَا ، وإني والله ما أراك تَنْتَهِي حتى أَرْمِيكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُرَشْ<sup>(٢)</sup> ، تَذِلُّ به شَفَتَاكَ ، وَيَجِفُّ لَهْ رِيْقُكَ .

وقال رجلٌ للأخنف : بأيِّ شيءٍ سُدَّتْ تَمِيَا ؟ فوالله ما أنت بأجودِم ولا أشجعِمهم ولا أجمَلِهم ولا أشرفِهم ، قال : بخلافٍ ما أنت فيه . قال : وما خلافٌ ما أنا فيه ؟ قال : تركي ما لا يعنيني من أمورِ الناس كما عفاكَ من أَمْرِي ما لا يعينيك .

ووفدَ عَلِيْمٌ بن خالد الهَجَمِيُّ عَلَى هِشَامٍ وعنده الأبرش [ الكلبي ] ، فقال له الأبرش الكلبي : يا أخا بني الهَجَمِ ، مَنْ القائل :

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بِمَنْ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بِمَنْ  
أَلَكُمْ يَقُولُهُ ؟ قال : نعم ، لنا يَقُولُهُ ، ولكنكم يَمَعَشَرُ كُلُّ تَعْبِرُونَ<sup>(٣)</sup>  
النِّسَاءِ وَتَجْزُونَ<sup>(٤)</sup> الشَّاءَ ، وَتَكْدُرُونَ الْعَطَاءَ ، وَتَوَخَّرُونَ الْعِشَاءَ ، وَتَبِيعُونَ الْمَاءَ .

(١) في (١) « إنها أبا فطر » ، وهو تحريف ، وقد أثبتنا هذه الكنية عن الكامل للمبرد . والذي في (ب) إنما ينتظر القوم .

(٢) يقال راح السهم بريشه إذا وضع عليه الريش ليكون أسرع له . ويريد هنا سهماً من القول .

(٣) تعبرون النساء أي تتركون ختانهن . يقال امرأة معبرة إذا طال بظرها . وفي الأصل تعبرون بالياء المثناة وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « وتعبرون » ؛ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

إلا من كانت أمُّهُ زَنَى بها رَجُلٌ مِنَّا فَتَزَعِ إلَيْنَا . فقال له الثَّوَيُّ . وكذلك كلُّ مَنْ [ لم ] يقل الشَّعْرَ مِنْكُمْ ، فَإِنَّمَا زَنَى بِأُمِّهِ رَجُلٌ مِنَّا فَحَمَلَتْ بِهِ ، فَتَزَعِ إلَيْنَا ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَقُلْ الشَّعْرَ .

وقال رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ لِرَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَجَمِ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَلَمْ أَرَفِيهَا ثَنَوِيًّا . فقال له الثَّوَيُّ : أَصَعِدْتَ الْغُرْفَ ؟ قال : لا . قال : فَمِنْ ثَمَّ لَمْ تَرَهُمْ ، هُمْ فِي الْغُرْفِ .

قال ابنُ عِيَّاشٍ : مَا قَطَعَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ مَاجِنًا<sup>(١)</sup> شَارِبَ خَمْرٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى بَيَانِ التَّبَّانِ<sup>(٢)</sup> الَّذِي أَتَى<sup>(٣)</sup> بِهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ ، فَقَالَ لِي : مَا وَقَفْتُكَ هَاهُنَا يَا أَبَا الْبَجَرَّاحِ ؟ قُلْتُ : أَنْظِرْهُ إِلَى هَذَا الشَّقِيِّ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ؛ قَالَ : وَمَا أَتَى بِهِ فِي نَبَوِيَّتِهِ ؟ قُلْتُ : بِتَحْلِيلِ الْخَمْرِ وَالزَّيْنَا — وَأَنَا أَعْرِضُ بِهِ — فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا يُقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُبْرَى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

قال المدائنيُّ : ابنُ عِيَّاشٍ أَبْرَصٌ .

وقال : دَخَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ عَلَى عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ — وَهُوَ يَهْزَأُ بِهِ — [ أَمْسَيْتَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ الْعَشِيَّةَ جَمِيلًا فَلَوْ عَلَّقْتَ تَمِيمَةً تَنْفِي

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « مَا حَارَبَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « ابْنُ بَيَانَ » . وَلَمْ نَجِدْهُ فِي رَاجِعِنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا تَقْلًا عَنِ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ، وَبَيْنَ الْأَخْبَارِ . وَبَيَانَ هَذَا ، هُوَ ابْنُ سَمْعَانَ التَّمِيمِيَّ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ الزَّائِفَةِ وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ الْمَعَارِ إِلَى بَقُولِهِ تَمَالَى : « هَذَا بَيَانَ لِلنَّاسِ » .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « أَرَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي الْكُتُبِ أَنَّ الَّذِي صَلَبَ بَيَانًا هَذَا هُوَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا ابْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١١٩ هـ .



بها عنك العين ؟ فعرف أنه يهزأ به [ فقال : أصلح الله الأمير —

أَفَنِي الشَّبَابَ الَّذِي قَارَقْتُ بِهِجَتَهُ مَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقٍ  
لَمْ يَتْرُكْ لِي فِي طَوْلٍ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا تُخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةُ<sup>(١)</sup> الْحَدَقِ  
وقال للدائني : وَقَعَ بَيْنَ الْمُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيِّ وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْزَةَ  
ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ بَيْنَ يَدَيَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ<sup>(٢)</sup>  
وَخَالِدُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَرَاقِ — وَكَانَ مُتَحَامِلًا عَلَى بِلَالٍ ، وَكَانَ الْعُرْيَانُ عَلَى شَرْطَةِ  
خَالِدٍ — فَقَالَ الْعُرْيَانُ لِبِلَالٍ : إِي وَ اللَّهِ مَا أَنَا بِأَبْيَضِ الرَّاحَتَيْنِ ، وَلَا مُنْتَشِرِ  
الْمُنْخِرَيْنِ ، وَلَا أَرْوَحِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا مُحَدِّدِ الْأَسْنَانِ ، وَلَا جَعْدٍ قَطَطٍ ، فَقَالَ  
بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ أَتَعْنِينِي<sup>(٣)</sup> بِهَذَا ؟ قَالَ : لَا وَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ كَلَامٌ يَتْلُو بَعْضُهُ  
بَعْضًا . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ ، أُرِيدُ أَنْ تَشْتُمَ أَبَا بَرْزَةَ وَأَشْتُمَ أَبَاكَ ، وَتَشْتُمَ  
أَبَا مُوسَى وَأَشْتُمَ جَدَّكَ ، هَذَا وَ اللَّهِ مَا لَا يَكُونُ ، فَقَالَ الْعُرْيَانُ : إِي وَ اللَّهِ  
مَا أَجْعَلُ أَبَا مُوسَى فِدَاءَ الْأَسْوَدِ ، وَلَا أَبَا بَرْزَةَ فِدَاءَ الْهَيْثَمِ ، فَمَتَلَى وَمَثَلَتْ  
فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ<sup>(٤)</sup> :

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي      وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَطِقٍ<sup>(٥)</sup>  
لَا أَيْعُ النَّاسَ عِرْضِي إِنْ نِي      لَوْ أَيْعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفَقُ

(١) في رواية : « لذعة » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « القسري » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « استعن » ؛ وهو تحريف إذ لا يناسب معناه سياق الكلام .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الدائني » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذان البيتان :

أيا مسكين لمن تعرفني      ولمن تبادر لي حد نطق

وهو تحريف ؛ والتصحيح عن الأغاني في ترجمة مسكين الدارمي .



قال للدائني : جرى بين وكيع بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلام في معاوية واختلفا ، فقال الرجل لو كيع : ألم يتبلفك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان ومعاوية وعتبة فقال : « لعن الله الراكب والقائد والسائق » ، فقال وكيع : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيما عبد دهموت عليه فأجعل ذلك (له أو عليه) راحة » ؛ فقال الرجل : أفسرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن والديك فكان ذلك لما رحمة . فلم يجر إليه جواباً .  
تكلّم صغصعة عند معاوية ففرق ، فقال : وبهرك القول يا صغصعة ؟  
فقال : إن الجياد نضاحة بالماء .

هكذا قال لنا السيرافي ، وقد قرأت عليه هذه الفقرات كلها ، وإنما جمعتها للوزير بعد إحصائها وروايتها .

قال علي بن عبيد الله : شهدت الحجاج خارجاً من عند عبد الملك بن مروان ، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد ؟ فقال : إلى أن يكتفوا عن قولهم في أبيك : إنه كان يشرب الخمر .

قال المدائني : أسرت مزينة حسان بن ثابت — وكان قد هاجم — فقال :  
مُزِينَةُ لَا يَرَى فِيهَا خَطِيبٌ وَلَا فِلْدَنْجٌ يُطَافُ بِهِ خَضِيبٌ  
أَنَاسٌ هَلِكُ الْأَخْسَابُ فِيهِمْ يَرَوْنَ النَّيْسَ يَعْدِلُهُ الْحَبِيبُ  
فَأَتَتْهُمْ الْخَزْرَجُ يَفْتَدُونَهُ ؛ فقالوا<sup>(١)</sup> : نغاديه بتييس ؛ فغضبوا وقاموا ؛ فقال لهم حسان : يا إخوتي خذوا أخاكم وادفنوا إليهم أخاهم .

وقال المدائني : فرق عمر بن الخطاب بين منظور بن أبان وبين امرأته —

(١) فقالوا ، أي أسروه ، وهم بنو مزينة .

وكان خلفَ عليها بعد أبيه — فتزوَّجها طلحةُ بنُ عبدِ الله ، فلقبته منطور ، فقال له : كيف وجدتَ سُورِي ؟ فقال : كما وجدتَ سُورَ أبيك . فأفحَمَه .

وقال حاطب بنُ أبي بَلْتَعَة : بعثني النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المُقَوِّسِ مَلِكِ الإسكندرية ، فأتيتُه بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبلغتُه رسالته ؛ فضحك ثم قال : كتبَ إلى صاحِبِكَ أن أتبعه على دينه ، فما ينفعه — إن كان نبيا — أن يدعُو الله أن يسُلِّطَ على البحر فيُفِرِّقني فيَكْتَنِي مَوُوتِي ويأخذَ مُلْكِي ؟ قلتُ : فما صنعَ عيسى إذ أخذته اليهودُ فربطوه في حبلٍ وحلقوا وسطَ رأسه ، وجعلوا عليه إكليلَ شوك ، وحملوا خشبته التي صلَّبوه عليها على عنقه ، ثم أخرجوه وهو يَبْكِي حتى نَصَبُوهُ على الخشبة ، ثم طَمَنُوهُ حياَ بحربة حتى مات ؛ هذا على زعمِك ، فما منعه أن يسألَ الله فيُنْجِيَه ويُهْلِكَهم فيُكْفِي مَوُوتَهُمْ ويَظْهَرَهُمْ وأصحابه عليهم ؟ وما منعَ يحيى بنَ زكريا حين سألتِ امرأةُ المَلِكِ المَلِكَ أن يَقتله فقتله ، وبعثَ برأسه إليها حتى وُضِعَ بين يديها ، أن يسألَ الله تعالى أن يَنْجِيَه ويُهْلِكَ الناسَ ؟ فأقبلَ على جُلسائه وقال : إلهُ الله والحكيم ، وما يَخْرُجُ الحكيمُ إلا من عند الحكماء .

قال المدائني : أَبْطَأَ على رَجُلٍ من أصحابِ الجَنْدِ بنِ عبدِ الرحمن ما قبله <sup>(١)</sup> — وهو على خراسان — وكان يقال لِرَجُلٍ : زاملُ بنُ عمرو بنِ بني أسد بن خزيمة ، فدَخَلَ على الجَنْدِ يوماً فقال : أصلحَ الله الأميرَ ، قد طالَ أنتِظاري ، فإن رأى الأميرُ أن يَضْرِبَ لي مَوْعِداً أصيرُ إليه فَعَل . فقال : مَوْعِدُكَ العَشْرُ ؛ فخرج زاملٌ متوجّهاً إلى أهله ؛ ودخلَ على الجَنْدِ بعد ذلك رَجُلٌ من أصحابه فقال : أصلحَ الله الأميرَ .

(١) ما قبله ، أي ما قبل الجند من العطاء .



أَرِحْنِي بِخَيْرِ مَنْكَ إِنْ كُنْتَ فَاعِلاً وَإِلَّا فِيمَا دُ كَيْعَادٍ زَامِلٍ  
 قال : وَمَا قَعَلَ زَامِلٌ ؟ قال : لِحَقِّ بَاهِلِهِ . فَأَبْرَدَ الْجَنَيْدُ فِي أَثَرِهِ بَرِيداً  
 وَبَعَثَ يُعْهِدُهُ إِلَى السُّكُورَةِ <sup>(١)</sup> الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا ، [فَأَذْرَكَ] <sup>(٢)</sup> بَنِي سَابُورَ ، فَزَلَّهَا .  
 وَامْتَدَّحَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِشِعْرِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ ؛  
 فَقِيلَ <sup>(٣)</sup> : أُلْغِي عَلَى كَلَامِ الشَّيْطَانِ ؟ فَقَالَ : أُبَيِّنِي الْخَيْرَ لِنَفْسِي الشَّرِّ .  
 قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : أَنِي الْعَبْدَانِيُّ حَمَادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ مَلَأَ عَيْنَهُ كُفْلاً  
 قَدْ ظَهَرَ مِنْ تَحَاجِيرِ عَيْنَيْهِ ، وَعِنْدَ حَمَادٍ جَمَاعَةٌ . فَقَالَ لَهُ حَمَادُ : كَأَنَّكَ أُمْرَأَةٌ  
 تُنْقَسَاءُ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي تُكَلِّي . قَالَ : عَلَى مَنْ ؟ قَالَ : عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ .  
 وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِيَخْبِي <sup>(٤)</sup> : إِنْ ابْنَتِكَ تَشْكُو تَزْوِيجَكَ وَتَزْعُمُ  
 أَنَّهُ <sup>(٥)</sup> يَبُولُ فِي دِثَارِهِ <sup>(٦)</sup> . قَالَ : فَهُوَ يَبُولُ مِنْهَا فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ دِثَارِهِ <sup>(٦)</sup> .  
 وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا عَقِيلٌ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ . فَقَالَ عَقِيلٌ : هَذَا مُعَاوِيَةُ عَمَّتُهُ  
 سَمَاءَةُ الْخَلْبِ .

قال : وَدَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَارَبَ فِي خَطْوِهِ ، فَقَالَ  
 أَبُو جَعْفَرٍ : كَبُرَتْ سِنَّكَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَجَلْدٌ .  
 قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ . قَالَ : إِنْ فِيكَ لِبَقِيَّةٌ . قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) بعث يعهده إلى السكورة ، أي بعث إلى السكورة التي يدرك بها يؤمنه . يقال  
 أعهد إذا أمته وكفله . (٢) لم ترد هذه الكلمة في ( ١ ) التي وردت فيها وحدها  
 دون (ب) هذه القصة ؛ وسيأتي الكلام يقتضي إثباتها .

(٣) في ( ١ ) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فقال » ؛ وهو خطأ ؛ أو لعل  
 اسم القائل قد سقط من النسخ كما يظهر لنا .

(٤) يريد يحيى بن الحكم أخا مروان . (٥) أنه أي زوجها .

(٦) في ( ١ ) التي وردت فيها وحدها دون (ب) هذه القصة « داره » ؛ في كلا الموضوعين  
 وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .



قال المنصور لسفيان بن معاوية المهلبى ، ما أسرع الناس إلى قومك ؟  
قال، سفيان :

إنَّ العرائين<sup>(١)</sup> تلقاها مُحَسَّدَةً وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَّادًا  
فقال : صدقت .

قال المدائنى : حضر قومٌ من قُرَيْشٍ مجلسَ معاويةَ وفيهم عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ  
وعبدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةِ الْجُمَحِيِّ وعبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ؛  
فقال عمرو : احمداوا الله يا معشر قُرَيْشٍ إذ جعل والى أموركم من يُنْفِى<sup>(٢)</sup> على  
القذى ، وَيَتَصَامُ عَنْ الْعَوْرَاءِ ، وَيَجْرُ ذَيْلَهُ عَلَى الْخَدَائِعِ . قال عبد الله بنُ  
صفوان : لو لم يكن لهذا المشينا إليه الضراء ، ودَبَبْنَا<sup>(٣)</sup> له الخمر ، وقلَبْنَا له ظَهْرَ  
المِجَنِّ ، ورجونا أن يقوم بأمرنا مَنْ لَا يُطْعِمُكَ مَالٌ مِضْر .

وقال معاوية : يا معشر قُرَيْشٍ ، حَتَّى مَتَى لَا تُنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟  
فقال عبد الرحمن بنُ الحارث : إنَّ عُمَرَا وَذَوِي عُمَرَ وَأَفْسَدُوكَ عَلَيْنَا  
وَأَفْسَدُونَا عَلَيْكَ ، مَا كَانَ لَوْ أَغْضَيْتَ عَلَى هَذِهِ ؟ فقال : إنَّ عُمَرَا لى ناصع ،  
قال أَطْعَمْنَا<sup>(٤)</sup> أُنْمَةً ، ثُمَّ خُذْنَا بِمِثْلِ نَصِيحَتِهِ ، إِنَّكَ يَا مُعَاوِيَةَ تَضْرِبُ  
عَوَامَّ قُرَيْشٍ بِأَيْدِيكَ فِي خَوَاصِّهَا كَأَنَّكَ تَرَى أَنَّ كِرَامَهَا جَارُوكَ<sup>(٥)</sup> دُونَ لثَامِهَا ،

(١) عرائين القوم : عليهم ، تشبها بعرائين الأنوف .

(٢) فى نسخة : « يقضى على الهدى » .

(٣) فى ( ١ ) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام دون ( ب ) « ووهنا له الحمى » مكان  
« ودببنا له الخمر » ؛ وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، يقال : مشى  
إلى خصمه الضراء ودب إليه الخمر بفتح الحاء والميم إذا مشى إليه مستخفيا ليختله . والضراء :  
الشجر الملتف : والخمر : ما وارك من جرف ونحوه .

(٤) فى ( ١ ) التى وردت فيها وحدها هذه القصة « منذ » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا فى ( ١ ) التى وردت فيها وحدها هذه القصة . وجاروك ، أى جروا معك فيما  
تريد . وفى بعض الكتب جاروك . يريد أنه يعطى كرامهم خوفا منهم واتقاء لحرهم .

وَأَيْمُ اللَّهِ : إِنَّكَ لَتَفْرَغُ<sup>(١)</sup> مِنْ إِيَّاهُ قَعْمٌ فِي إِيَّاهُ ضَخْمٌ ، وَلَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حُلَّ عِقَالُهَا ثُمَّ لَا تُنْظِرُكَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا بَنَ أَخِي<sup>(٢)</sup> مَا أَحْجَجَ أَهْلَكَ إِلَيْكَ . ثُمَّ أَنْشَدَ مُعَاوِيَةُ :

أَغْرَى رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَشَابَعُوا عَلَى سَفَهٍ ، مِمَّا الْحَيَا وَالتَّكْرُمُ ؟  
وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَانَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَحْدُثُهُ —  
وَعِنْدَهُ الْحِجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ — فَقَالَ لَهُ عَمْرُوٌ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ —  
يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ — فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَكْنِي ذَلِكَ الْفَاسِقُ ؟  
لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ عَمْرُوٌ : أَلَيْ تَقُولُ هَذَا لَا أُمَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ عِمْرَانَ الْجَنَّةِ خَدِيجَةِ  
وَصَفِيَّةِ وَأَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ، بَلْ لَا أُمَّ لَكَ أَنْتَ يَا بَنَ الْمُسْتَفْرِمَةِ<sup>(٣)</sup> بِعَجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ .  
وَقَالَ : لَمَّا صَنَعَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَغْيِلَانَ الْوَاعِظِ مَا صَنَعَ ، قَالَ لَهُ  
رَجُلٌ : مَا ظَلَمَكَ اللَّهُ وَلَا سَلَّطَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَحِقٌّ ؛ فَقَالَ  
غَيْلَانُ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ جَاهِلٌ بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ .

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : أَعْجَبْتَنِي كَلِمَةً مِنْ أُمِّهِ ؛ قُلْتُ لَهَا وَمَعَهَا طَلَبُ :  
مَا عَلَيْهِ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : فَلِمَ غَطَّيْنَاهُ إِذَا ؟

وَقَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مُعَاوِيَةَ بِبَعْضِهِ ، فَقَالَ :  
أَنَّى عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ظَنَّ الْحَكِيمِ كِهَانَةٌ .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَحْدَهَا : « لَتَفْرَغَ » ، وَلَمْ نَتَّبِعْ لَهُ مَعْنَى .  
وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَا بَرَّاحَ » مَكَانَ « يَا بَنَ أَخِي » ، وَلَمْ نَتَّبِعْ لَهُ مَعْنَى . وَالصَّوَابُ  
مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . وَبَعْدَ قَوْلِهِ « مَا أَحْجَجَ أَهْلَكَ إِلَيْكَ » قَوْلُهُ « فَلَا تَفْجَعُهُمْ بِنَفْسِكَ » .

(٣) الْمُسْتَفْرِمَةُ بِعَجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ : عِبَارَةٌ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قَدْ شَتَمَ بِهَا الْحِجَّاجَ  
فِي بَعْضِ كُتُبِهِ إِلَيْهِ . وَبِعَجْمِ الزَّيْبِ : نَوَاهُ . وَيُرِيدُ أَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ تَسْتَفْرِمُ بِهِ أَيْ تَضَعُهُ فِي  
فَرْجِهَا لِيَضِيقَ .



وقيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في علي وعثمان وفي حرب الجمل وصيفين ؟ قال : تلك دماء كف الله يدي عنها ، فانا أكره أن أغمس لسانى فيها .

وقال : طلق أبو الخندف امرأته أم الخندف ، فقالت له : يا أبا الخندف طلقتنى بعد خمسين سنة ، فقال : مالك <sup>(١)</sup> عندي ذنب غيره .

وقال : لقي جرير الأخطل فقال : يا مالك ، ما فعلت خنازيرك ؟ قال : كثيرة في مرج أفتح ، فإن شئت قريناك منها ، ثم قال الأخطل : يا أبا خزرة ما فعلت أهنالك ؟ قال كثيرة في وادٍ أروح ، فإن شئت أنزيناك <sup>(٢)</sup> على بعضها . وقال الشعبي : ذكر عمرو بن العاص عليًا فقال : فيه دُعابة ، فبلغ ذلك عليًا فقال : زعم أن النابغة أنى تلعباة تمرأحة ذو دُعابة أعافس وأمارس ؛ هيئات ، يمتنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب فني هذا عن هذا له واعظ وزاجر ، أما وشر القول الكذب — إنه ليعد فيخلف ، ويحدث فيكذب ، فإذا كان يوم الناس فإنه زاجر وأمر ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال ، فإذا كان ذاك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمتنع القوم أسفه .

قال المدائني : بعث المفضل [ الضبي ] إلى رجل بأضحية ، ثم لقيه فقال : كيف كانت أضحيتك ؟ فقال : قليلة الدم . وأراد قول الشاعر :  
ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللوم للضبي لحما ولا دما

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تمالك » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « أفريناك » بالفاء والراء ؛

وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .



وقال المدائني : مرَّ عقيلُ بنُ أبي طالبٍ على أخيه عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه تيسٌ ، فقال له عليٌّ : إنَّ أحدَ ثلاثتنا أحقُّ . فقال عقيلٌ : أنا أنا وتيسى فلا .

وكلمَ عامرُ بن عبد قيسٍ حُمرانَ يوماً في المسجد . فقال له حُمران : لا أكثرَ اللهُ فينا مثلكَ . فقال عامرٌ : لكن : أكثرَ اللهُ فينا مثلكَ ، فقال له القوم : يا عامر ، يقول لك حمران ما لا تقول مثله ؟ فقال : نعم يكسحون طرُقنا ، ويحُوكون<sup>(١)</sup> ثيابنا ، ويخززون خفافنا . فقيل له : ما كنّا نرى أهلكَ تعرفُ مثلَ هذا ، قال : ما أكثرَ ما نعرفُ ممَّا لا تظنُّون بنا .

وقال : مرَّ جرير بن عطية على الأحوص وهو على بغلٍ ، فأدلى البغلُ فقال الأحوص : بئلك يا أبا حَزْرَةَ على خمسِ قوائمٍ . قال جرير : والخامسةُ أحبُّ إليك .

ومرَّ جريرٌ بالأحوص<sup>(٢)</sup> وهو يفسقُ بامرأةٍ وينشدُ :

يَقْرُ بَعَيْنِي مَا يَقْرُ بَعَيْنَهَا — وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ  
فقال له جرير : فإنه يَقْرُ بَعَيْنَهَا أَنْ تَقْعُدَ عَلَى مِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، أَفَتَرَاكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟

فقال الوزير : مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْكِبَارِ<sup>(٣)</sup> كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْفَنَّ وَلَهُ فِيهِ غَزَارَةٌ وَأَنْبَعَاثٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى الْإِيرَادِ . قلتُ : أبنُ عبادٍ على هذا ، وَيَبْلُغُ مِنْ قُوَّتِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ<sup>(٤)</sup> أَشْيَاءَ شَبِيهَةً بِهَذَا الضَّرْبِ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فقال : الكذبُ لا خيرَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ويحولون » ؛ ولا يخفى ما فيها من تحريف ظاهر .

(٢) عبارة (ب) « ومر جرير بالأحوص وهو ينشد » ثم ذكر البيت .

(٣) في (ب) « الكتاب » . (٤) في (١) « ينقل » ؛ وهو تحريف .

فيه ، ولا حلاوة لراويه ، ولا قبول عند سامعيه .

وقال: أرسل بلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة فأتاه ، فقال : أتدرى لأى شيء أرسلت إليك ؟ قال : نعم ، لتصنع بى خيراً . قال : أخطأت ولكن لأسىء بك . فقال : أما إذ قلت ذلك لقد حكم المسلمون حكمين ، فسخر أحدُهما بالآخر . فقال الوزير : أيقال سخر به فكان الجواب أن أبا زيد حكاه ، وصاحب التصنيف قد رواه ؛ وسخر منه أيضاً كلامٌ ، وإنما يقال هو أفصح ، لأنه فى كتاب الله عز وجل ، وإلا فكلأهما جائز .

وقال حمزة بن بيض الحنفى للفرزدق : يا أبا فراس ، أئما أحب إليك أن تسبق الخير أم يسبقك ؟ قال : ما أريد أن أسبقه ولا أن يسبقنى ، بل نكون معاً . ولكن حدثنى أئما أحب إليك : أن تدخل منزلك فتجد رجلاً على حرامك ، أو تجد ما قابضة على قدم الرجل . فأفحصه .

فلما قرأت الجزء فى ضروب الجواب المنجم . قال : ما أفتح<sup>(١)</sup> هذا النوع من الكلام لأبواب<sup>(٢)</sup> البديهة وأبعثه لرواقد الذهن وما يتفاضل الناس عندي بشيء [ أحسن<sup>(٣)</sup> ] من هذه الكلمات الفوائق الروائق ، ما أحسن ما جمعت وأتيت به .

### الليلة الأربعون

وقال مرة أخرى : حدثني عن اعتقادك فى أبى تمام والبُخترى ، فكان (١)

(١) كذا فى (ب) . والذى فى (ا) « ما أصح » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « لأنواع » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٣) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد فى كلتا النسختين ، والسياق يقتضيه ،

لذا لا تم العبارة بدونها .

الجواب : إن هذا الباب مُخْتَلَفٌ فيه ، ولا سبيل إلى رَفْعِهِ ، وقد سَبَقَ هذا من الناس في الفَرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ وَمِنْ قَبْلِهِمَا فِي زُهَيْرٍ وَالنَابِغَةِ حَتَّى تَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ ، مع علوِّ مراتبِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالتَّبَيُّانِ ، لَكِنْ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْدٍ الْعَرُوضِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَأَلَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي تَمَامٍ وَالبُّحْتَرِيِّ ؛ فَقُلْتُ : أَبُو تَمَامٍ يَعْلُو عُلُوًّا رَفِيعًا ، وَيَسْقُطُ سُقُوطًا قَبِيحًا ، وَالبُّحْتَرِيُّ أَحْسَنُ الرِّجَالِ نَمَطًا ، وَأَعَذِبُ لَفْظًا ؛ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ ظَنِّي فَمَادَ ظَنِّي يَقِينَا

فَقُلْتُ : وَهَذَا أَيْضًا شِعْرٌ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ .

فَقَالَ : هَذِهِ حِكَايَةٌ مَفِيدَةٌ مِنْ هَذَا الْعَالِمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَحُكْمٌ يُلَوِّحُ مِنَ الْإِنْصَافِ ، وَقَدْ أَغْنَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ خَوْضٍ كَثِيرٍ .

(٢) وَدَعَا ذَا ؛ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتِ الْآفَةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَفْتَرَقُوا هَذَا الْأَفْتَرَاقَ ، وَتَبَايَنُوا هَذَا التَّبَايُنَ ، وَخَرَجُوا إِلَى التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ وَإِبَاحَةِ الدِّمِ وَالْمَالِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالْجُرْحِ وَبِالْقَذَعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالتَّقَاطُعِ !

فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْمَذَاهِبَ فُرُوعُ الْأَدْيَانِ ، وَالْأَدْيَانُ أَصُولُ الْمَذَاهِبِ ، فَإِذَا سَأَغَ (١) الْأَخْتِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ — وَهِيَ الْأَصُولُ — فَلِمَ لَا يَسُوعُ فِي الْمَذَاهِبِ وَهِيَ الْفُرُوعُ .

فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ (٢) ، الْأَدْيَانُ اخْتَلَفَتْ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَهِيَ أَرْبَابُ الصِّدْقِ وَالْوَحْيِ الْمُوثُوقِ بِهِ ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى الصِّدْقِ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاهِبُ .

فَقِيلَ : هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا دَانِعَ (٣) لَهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتِ الْمَذَاهِبُ نَتَائِجَ

(١) فِي (ب) « شَاع » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٢) فِي (١) وَلَا سِيَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) فِي (١) « وَلَا رَابِعَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



الآراء، والآراء ثمرات العقول، والعقول منافع الله للعباد، وهذه النتائج مختلفة بالصفا والكدر، وبالكمال والنقص، وبالقلة والكثرة، وبالخفاء والوضوح؛ وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف والأفراق وإن كانت تلك منوطة بالنبوة؛ وبعد، فما دام الناس على فطر كثيرة، وعادات حسنة وقبيحة، ومناشئ محمود ومذمومة، وملاحظات قريبة وبعيدة، فلا بد من الاختلاف في كل ما يختار ويختب، ولا يجوز في الحكمة أن يقع الاتفاق فيما جرى تجرى المذاهب والأديان؛ ألا ترى أن الاتفاق لم يحصل في تفضيل أمة على أمة، ولا في تفضيل بلد على بلد، ولا في تقديم رجل على رجل، ولو لم يكن في هذا الأمر إلا التمسب واللجاج والهوى والمحك والذهاب مع السابق إلى النفس، والموافق [للمزاج]، والخفيف على الطباع، والمائل للقلب، لكان كافياً بالغاً بالإنسان كل مبلغ.

وشيخنا أبو سليمان يقول كثيراً: إن الدين موضوع على القبول والتسليم، والبالغة في التعظيم<sup>(١)</sup>، وليس فيه «لم» و«لا» و«كيف» إلا بقدر ما يؤكد أصله ويشد أزره، ويبنى عارض الشيء عنه، لأن ما زاد على هذا يوهن [الأصل] بالشك، ويقدح في الفرع بالتهمة.

قال: وهذا لا يخص ديناً دون دين، ولا مقالة دون مقالة، ولا نحلة دون نحلة، بل هو سار في كل شيء في كل حال في كل زمان، وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع القطرة ونفى الطباع وقلب الأصل، وعكس الأمر؛ وهذا غير مستطاع ولا ممكن؛ وقد قيل: «إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون».

(١) في كلنا النسختين «والتعظيم» بالواو؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

وقال لنا القاضي أبو حامد المروزي : أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عديم أن بغداد أطيب من البصرة ، وأنا اليوم في كلابي معهم كما كنت في أول كلابي لم ، وكذلك حالهم معي ، فهذا هذا . أنظر إلى فضل ومرعوش — وهما من سقط الناس وسفلتهم — كيف لهيج الناس بهما وبالتعصب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرعوشياً وإما فضلياً .

ولقد أجتاز ابن معروف وهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلق بعض هؤلاء المجان بلجام بقلبه ، وقال : أيها القاضي ، عرفنا ، أنت مرعوشي أم فضلي ، فتعير وعرف ما تحت هذه الكلبة من السعة والفطنة ، وأن التخلص بالجواب الرقيق أجدى عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة ؛ فالتفت إلى الحراني — وكان معه وهو من الشهود — فقال : يا أبا القاسم ، نحن في محلة من ؟ قال : في محلة مرعوش ؛ فقال ابن معروف : كذلك نحن — عافاك الله — من أصحاب محلتنا لا نختار على اختيارهم ؛ ولا نتميز فيهم . فقال العيار : انش أيها القاضي في ستر الله ؛ مثلك من تعصب الجيران . فقال الوزير — أحسن الله توفيقه — هذا كله تعصب وهوى وتمأحك<sup>(١)</sup> وتكلف . قيل : هذا وإن كان هكذا فهو داخل فيما عداه من حديث الدين والمذهب والصناعة والبلد .

قال أبو سليمان : وأصلحة عامة نهي عن المراء والجدال [ في الدين ] على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين<sup>(٢)</sup> ، وهم في غاية العداوة

(١) في (١) « وتماسك » ؛ وهو تعريف .

(٢) في (ب) « الجدل » مكان « الدين » ؛ وهو خطأ من النسخ .



للإسلام والمسلمين ، وأبعد الناس من الطمأنينة واليقين .

ثم حدث فقال :

اجتمع رجلان : أحدهما يقول بقول هشام ، والآخر يقول بقول الجواليقي ؛ فقال صاحب الجواليقي لصاحب هشام : صِف لي ربك الذي تعبده ، فوصفه بأنه لا يد له ولا جارحة ولا آلة ولا لسان ، فقال الجواليقي : أيسرك أن يكون لك ولدٌ بهذا الوصف ؟ قال : لا ، قال : أما تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاها لولدك ؟ فقال صاحب هشام : إنك قد سمعت ما نقول ، صِف لي أنت ربك ؛ فقال : إنه جعدٌ قَطَط في أتم القامات وأحسن الصور والقوام . فقال صاحب هشام <sup>(١)</sup> : أيسرك أن تكون لك جارية بهذه الصفة تطوها ؟ ! قال : نعم ، قال : أما تستحي من عبادة من تحب مباحصة مثله ؟ ! وذلك لأن من أحب مباحصة فقد أوقع الشهوة عليه .

فقال : هذا من شؤم الكلام ونكد الجدَل ، فلو كان هناك دين لكان لا يدور هذا في وهم <sup>(٢)</sup> ولا ينطق به لسان .

وحكى أيضاً قال : أبتلي غلامٌ أعجميٌّ بوجع شديد ، فجعل يتأوه ويتلوى ويصيح . فقال له أبوه : يا بُنَيَّ أصبر وأحمد الله تعالى . فقال : ولماذا أحمده ؟ قال لأنه أبتلاك بهذا ؛ فأشدَّ وجع الغلام ورفَعَ صوته بالتأوه أشدَّ مما كان ، فقال له أبوه : ولمَ أشتدَّ جزعك ؟ فقال : كنت أظنُّ أن غير الله أبتلاني بهذا فكنت أرجوه أن يعافيني من هذا البلاء ويصرفه عني ، فأنا إذ كان هو

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة « الجواليقي » مكان « هشام » ، وهو خطأ . من الناسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا . وعبارة (ب) « فقال له » ثم ذكر كلامه .  
(٢) في (ب) « في خاطر » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .



الَّذِي أُبْتَلَانِي بِهِ فَمِنْ أَرْجُو أَنْ يُعَافِيَنِي ! فَإِلَّا أَنْ أَشْتَدَّ جَزَعِي ، وَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي . قَالَ : وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي أُبْتَلَاهُ هُوَ الَّذِي أَسْتَصْلَحَهُ بِالْبَلَاءِ لَيَكُونُ إِذَا وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ شَاكِرًا لَهُ عَلَيْهَا بِحَسْبِ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ تَامٍ لَكَانَ لَا يَرَى مَا قَالَهُ وَتَوَهَّمَهُ لَا زِيًّا .

وَحَكَى أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ حَجَّ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَفَّةِ فَطَفِقَ يَدْعُو وَيَقُولُ : يَا مَنْ خَلَقَ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَالْهَوَامَّ الْعَادِيَةَ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَضَرَبَهُمْ بِالزَّيْمَانَةِ وَالْعَصَى وَالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ ؛ فَوَثَبَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَبَّوْهُ وَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . فَأَظْهَرَ لَمْ النَّدَامَةَ ، وَالتَّقَارُفَ <sup>(١)</sup> فَخَلَّوْا عَنْهُ بَعْدَ مَا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ بِهِ ، فَرَجَعَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَفَّةِ ، وَجَعَلَ يُنَادِي : يَا مَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَلَا الْهَوَامَّ ، وَلَا سَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَضْرِبْ النَّاسَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . فَوَثَبُوا [ عَلَيْهِ ] أَيْضًا وَقَالُوا لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : مَا أَدْرِي كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَثَبْتُمْ عَلَيَّ ؛ وَإِنْ قُلْتُ : [ إِنَّ اللَّهَ ] لَمْ يَخْلُقْهَا وَثَبْتُمْ عَلَيَّ . فَقَالُوا : هَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَهُ بِقَلْبِكَ وَلَا تَدْعُ اللَّهَ بِهِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شُؤْمِ الْكَلَامِ وَشُبُهَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا يَجُوزُ <sup>(٢)</sup> أَنْ يُعْتَقَدَ شَيْءٌ بِالْتَّقْلِيدِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ ، ثُمَّ يَدَّلُّونَ وَيَخْتَلِفُونَ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ مَبْكَافِيَّةٌ .

وَكَانَ ابْنُ الْبِقَالِ يَجْهَرُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً : لِمَ مِلْتَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْأَدِلَّةَ مُتَدَافِعَةً فِي أَنْفُسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَهَا

(١) عبارة (١) « وفارق علوا عنه » ؛ وهو تحريف : والتعارف : التقارب والمدانة .

(٢) كذا في (١) والذي في (ب) « لا يجب » . ولعلها معرفة عن « لا يجب » .

بالبناء للمجهول .

يُزَخِّرُ فُونَهَا وَيُمَوِّهُونَهَا لِيُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا كَأَصْحَابِ الزُّيُوفِ الَّذِينَ يَغُشُّونَ  
النَّدَى لِيَنْفُقَ عِنْدَهُمْ ، وَتَدُورُ الْمُغَالَطَةُ<sup>(١)</sup> بَيْنَهُمْ . قُلْتُ لَهُ : أَمَا تَعْرِفُ بِأَنَّ الْحَقَّ  
حَقٌّ وَالْبَاطِلَ بَاطِلٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَا يَتَبَيَّنُ<sup>(٢)</sup> أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ . قُلْتُ :  
أَفَلَا تَهْ لَا يَتَبَيَّنُ لَكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ ؟  
قَالَ : لَا أَجِبُهُ إِلَى حَقِّ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَا أَجِبُهُ أَيْضًا إِلَى  
بَاطِلِ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَلْتَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ  
بِالْحَقِّ قُلْتُ : إِنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَيْهِمَا وَلَمَّا مَتَكَافَأَتْ ، وَإِنِهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى حِذْقِ الْحَازِقِ  
فِي نُصْرَتِهِ ، وَضَعْفِ الضَّعِيفِ فِي الذَّبِّ عَنْهُ . قُلْتُ فَكُنْتُكَ قَدْ رَجَعْتَ عَنْ  
اعْتِرَافِكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَبِالْبَاطِلِ أَنَّهُ بَاطِلٌ . قَالَ : مَا رَجَعْتُ . قُلْتُ  
فَكُنْتُكَ تَدَّعَى الْحَقَّ حَقًّا جُمْلَةً وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تُتِمِّزَ بِالتَّفْصِيلِ .  
قَالَ : كَذَا هُوَ . قُلْتُ : فَمَا نَفْعُكَ<sup>(٣)</sup> بِالْاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنِ الْبَاطِلِ  
فِي الْأَصْلِ ، وَأَنْتَ لَا تُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا فِي التَّفْصِيلِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا نَفْعِي  
مِنْهُ . قُلْتُ فَلِمَ لَا تَقُولُ : الرَّأْيُ أَنْ أَقِفَ فَلَا أَخْكُمَ عَلَى الْأَدِلَّةِ بِالتَّكَاثُفِ ، لِأَنَّ  
الْبَاطِلَ لَا يُقَاوِمُ الْحَقَّ ، وَالْحَقَّ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ ، إِلَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بَصَرِي  
فَأَرَى الْحَقَّ حَقًّا فِي التَّفْصِيلِ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا عَلَى التَّحْصِيلِ ، كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ ،  
وَأَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَصَرِي عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي غَضَّ بَصَرِي عَنْهُ فِي  
الثَّانِي ؟ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا قُلْتُ . قُلْتُ : أَنْظُرْ إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ ،  
وَلَا تَتَكَلَّفَ النَّظَرَ مَا دَامَ بِكَ عَمَى أَوْ عَشَا أَوْ رَمَدٌ .

(١) كَذْ فِي (١) وَالَّذِي فِي (ب) « الْعَامِلَةُ » .

(٢) فِي كَلِمَاتِ التَّسْعَتَيْنِ « يَبِينُ » بِسِقُوطِ « لَا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يُوْخَذُ مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ .

(٣) فِي (١) « تَفْعَلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



وحكى لنا أبو سليمان قال : وصف لنا بعض النصارى الجنة فقال : ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح . فسمع ذلك بعض المتكلمين فقال : ما تصف إلا الحزن والأسف والبلاء .

وقال أبو عيسى الوراق — وكان من حذاق المتكلمين — إن الأمر بما يعلم أن الأمور لا يفعلها سفيه ، وقد علم الله من الكفار أنهم لا يؤمنون ، فليس لأمرهم بالإيمان وجه في الحكمة .

قال أبو سليمان : أنظر كيف ذهب عليه السر في هذه الحال ، ومن أين أتوا ، وكيف لزمتهم الحجة .

وقال أبو عيسى أيضاً : العاقب الذي لا يستصلح بمقوبته من عاقبه ، ولا يستصلح به غيره ، ولا يشقى غيظه بمقوبته جائر ، لأنه قد وضع العقوبة في غير موضعها . قال : لأن الله تعالى لا يستصلح أهل النار ولا غيرهم ، ولا يشقى غيظه بمقوباتهم ، فليس للعقوبة وجه في الحكمة . هذا غرض كتابه الذي نسبته إلى الغريب المشرقي .

وقال أبو سعيد الخضري — وكان من حذاق المتكلمين ببغداد ، وهو الذي تظاهر بالقول بتكافؤ الأدلة — إن كان الله عدلاً كريماً جواداً عليماً رءوفاً رحماً فإنه سيصير جميع خلقه إلى جنته ، وذلك أنهم جميعاً على اختلافهم يجتهدون في طلب مرضاته ، فيهربون من وقع سُخطه بقدر علمهم ومبلغ عقولهم ، وإنما تركوا اتباع أمره لأنهم خدعوا ، وزين لهم الباطل باسم الحق ، ومثلهم في ذلك مثل رجل حمل هدية إلى ملك ، فعرض له في الطريق قوم شأنهم الخداع والمكر والاستلال<sup>(١)</sup> ، فنصّبوا له رجلاً ، وسمّوه باسم الملك

(١) في (١) «والاستلال» وفي (ب) «والاسترسال»؛ وهو تحريف في كلتا النسختين.



الذى كان قصده ، فسلم الهدية إليهم ؛ فالملك الذى قصده إن كان كريماً فإنه يقدِّره ويرزحه ويزيدُ في كرامته ويرثه حين يقفُ على قِصته ، وهذا أولى به من أن يفضَّضَ عليه ويُعاقبه .

وقال أبو سليمان : ذكروا أن رجلاً رأى قوماً يتناظرون ، فجلس إليهم فرآهم مُختلفين ، فأقبلَ على رجلٍ منهم فقال : أنزلني أن أقولَ بقولِكَ وأنا لا أعلمُ ألبكُ مُحِقٌّ ؟ فإن قلتَ : نعم ، قلتُ لك : إن بعضَ جُلسائك يدعونى إلى مخالفتِكَ وأتباعِهِ ، وليس عندى عِلْمٌ بالمُحِقِّ منكم ؛ وإن ألزمتني أن أتبعَ كلَّكم فهذا مُحالٌ ، وإن قلتَ : لا يلزمك أن تتبعنى ولا غيرى إلا بعدَ العلمِ بالمُحِقِّ منكم ، لم يخلُ العلمُ بذلك من أن يكونَ فعلى أو فعلى غيرى ، فإن كان العلمُ فعلاً لغيرى قد صيرتُ مضطرباً ، ولا أستوجبُ عليه حمداً ولا ذمّاً [ وإن كان الفعل لى ] فمن أعظمُ جهالةٍ ممن يفعل ما يلزمه الأمرُ والنهى به ، وإن قصَّرَ صبرَهُ ذلك إلى العطبِ والهلاك ، مع أن هذا القولَ يؤدِّى إلى أن أكونَ أنا المُعْتَرِضُ على نفسى ، لأنه إنما يلزمنى ذلك إذا علمتُ أنى أقدرُ أن أعلمَ وألا أعلمَ .

وحكى لنا أيضاً قال : سئل عندنا رجلٌ من المتعصِّين بسجستانٍ فقيل له : [ ما دليلك على صحةِ مقالتك ؟ فقال لا دليل ولا حجة . فقيل له ] وما الذى أحوجَكَ إلى هذا ؟ قال : لأننى رأيتُ الدليلَ لا يكون إلا من وجوه ثلاثة : إما من طريقِ النبوةِ والآيات ، فإن كان إنما يثبت من هذه الجهة فلم أشاهد شيئاً من ذلك ثبتت عندى مقالته .

وإما أن يكونَ يثبت بالكلام والقياس فإن كان إنما يثبت بذلك فقد

رَأَيْتُنِي سَرَّةً أَخْصِمُ وَسَرَّةً أَخْصَمُ ، ورَأَيْتُنِي أُعْجِزُ عَنِ الْحِجَّةِ فَأَجِدُهَا عِنْدَ غَيْرِي ، وَأَتَنَبَّهُ إِلَيْهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَصِحُّ عِنْدِي مَا كَانَ بَاطِلًا ، وَيَفْسُدُ عِنْدِي مَا كَانَ صَحِيحًا ؛ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَيَّ مَا وَصَفْتُ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَقْضِيَ لَشَيْءٍ بِصَحَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ ، وَلَا أَقْضِيَ عَلَى شَيْءٍ بِفَسَادٍ لَعَدَمِ الْحِجَّةِ .

وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ ثَبَتَ بِالْأَخْبَارِ عَنِ الْكُتُبِ فَلَمْ أَجِدْ أَهْلَ مِلَّةٍ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّهِمْ سَبِيلًا . وَكَانَ تَصْدِيقُ الْفِرْقَةِ الْوَاحِدَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا جَوْرًا ، لِأَنَّ الْفِرْقَ مُتَسَاوِيَةٌ فِي الدَّعْوَى وَالْحِجَّةِ وَالذَّبِّ وَالنُّصْرَةِ . فَقِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَدِينُ بِدِينِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى شِعَارِهِ وَحِلْيَتِهِ ، وَهَذِيهِ وَهَيْئَتِهِ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ لَهُ حَرَمَةً لَيْسَتْ لغيرِهِ ، وَذَاكَ أَنِّي وَلِدْتُ فِيهِ ، وَنَشَأْتُ عَلَيْهِ ، وَتَشَرَّبْتُ حَلَاوَتَهُ ، وَأَلِفْتُ عَادَةَ أَهْلِهِ ، فَكَانَ مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ خَانًا يَسْتَظِلُّ فِيهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَالسَّمَاءُ مُصْحِيَّةٌ ، فَأَدْخَلَهُ صَاحِبُ الْخَانِ بَيْتًا مِنَ الْبُيُوتِ مِنْ غَيْرِ تَخَبُّرٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِصَلَاحِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ جَوْدًا ، وَوَكَّفَ الْبَيْتُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْمُنْدُقِ فَرَأَاهَا أَيْضًا تَكِفُ ، وَرَأَى فِي صَحْنِ الدَّارِ رَدْعَةً ، فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ مَكَانَهُ وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى بَيْتٍ [ آخَر ] وَيَرْبِجَ الرَّاحَةَ ، وَلَا يُلَطِّخَ رِجْلَيْهِ بِالرَّدْعَةِ وَالْوَحَلِ اللَّذَيْنِ فِي الصَّحْنِ ؛ وَمَالَ إِلَى الصَّبْرِ فِي بَيْتِهِ ، وَالْقَامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا مَثَلِي ، وَلِدْتُ وَلَا عَقْلَ لِي ، ثُمَّ أَدْخَلَنِي أَبَوَايَ فِي هَذَا الدِّينِ مِنْ غَيْرِ خِيَرَةٍ مِنِّي ، فَلَمَّا قَسَّيْتُ عَنْهُ رَأَيْتُ سَبِيلَهُ سَبِيلَ غَيْرِهِ ، وَرَأَيْتُنِي فِي صَبْرِي



عليه أعزّ مني في تركه ، إذ كنت لا أدعه وأميلُ إلى غيره إلا باختيار مني  
لذلك ، وأثرة له عليه ؛ ولست أجده حجة إلا وأجدُ لغيره عليه مثلها .

وحكى لنا ابنُ البقال — وكان من دُعاة الناس — قال : قال ابن  
المهيم : جُمع بيني وبين عثمان بن خالد ، فقال لي : أحبُّ أن أناظرك  
في الإمامة ؛ فقلت : إنك لا تناظرني ، وإنما تُشيرُ عليّ ؛ فقال : ما أقبلُ  
ذلك ، ولا هذا موضعُ مشورة ، وإنما اجتمعنا للمناظرة ؛ فقلت له : فإننا  
قد اجتمعنا على أن أولى الناس بالإمامة أفضلهم ، وقد سبقنا القوم الذين يتنازع في  
فضلهم ، وإنما يُعرفُ فضلهم بالنقل والخبر ؛ فإن أحببتَ سَلَّتُ لك ما تزويه  
أنت وأهلُ مذهبك في صاحبك ، وتسلمُ لي ما أرويه أنا وفرقتي في صاحبي ،  
ثم أناظرك في أيِّ الفضائل أعلى وأشرف ؛ قال : لا أريد هذا ، وذلك أني  
أروى مع أصحابي أن صاحبي رجُلٌ من المسلمين يُصيبُ ويُخطئُ ، ويعلمُ  
ويجهلُ ؛ وأنت تقول في صاحبك : إنه معصومٌ من الخطأ ، عالمٌ بما يحتاج  
إليه . فكيف أَرْضَى هذه الجملة ؟ قلت : فأقبلُ كلَّ شيء تزويه أنت  
وأصحابك في صاحبي من خد أو دم ، وتقبلُ أنت كلَّ شيء أرويه أنا  
وأصحابي في صاحبك من خد أو دم ؛ قال : هذا أقبحُ من الأول ، وذلك  
أنى وأصحابي تزوي أن صاحبك مؤمنٌ خيرٌ فاضلٌ ، وأنت وأصحابك تزوون  
أن صاحبي كافرٌ منافقٌ ؛ فكيف أقبلُ هذا منك وأناظرك عليه ؟

قال ابن المهيم : فلم يبقَ إلا أن أقول : دَعِ قَوْلَكَ وقولَ أصحابك ،  
وأقبلُ قولي وقولَ أصحابي ؛ قال : ما هو إلا ذاك ؛ قلت : هذه مشورة ، وليست  
مناظرة . قال : صدقت .



وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : [ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ قَالَ : ] نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْأَمْنَانِ اللَّذَانِ نَهَانَا عَنْ عِبَادَتِهِمَا مَعْقُولَانِ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْوَاحِدُ الَّذِي أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ مَعْقُولٌ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعٍ وَاحِدَةٍ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَقَدْ نَهَانَا عَمَّا يُعْقَلُ وَأَمَرَنَا بِمَا لَا يُعْقَلُ ، وَهَذَا يُعْلَمُ مَا فِيهِ فَانْظُرْ حَسَنًا .

وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَخْشَادِ قَالَ : تَنَازَرَا رَجُلَانِ فِي وَصْفِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْجِدَالُ ، فَتَرَاضِيَا بِأَوَّلٍ مَنِ يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ، فَطَلَعَ أَعْرَابِيٌّ ، فَأَجْلَسَاهُ وَقَصَّاهُ قِصَّتَهُمَا ، وَوَصَفَا لَهُ مَذْهَبَيْهِمَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لِأَحَدِهِمَا — وَكَانَ مُشَبَّهًا — : أَمَّا أَنْتَ فَتَصِفُ صِنًا ، وَقَالَ لِثَانِي : وَأَمَّا أَنْتَ فَتَصِفُ عَدَمًا ، وَكَلَّا كَمَا تَقُولَانِ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْلَمَا .

وَقَالَ لَنَا الْأَنْصَارِيُّ أَبُو كَعْبٍ : قَالَ ابْنُ الطَّحَّانِ الضَّرِيرُ الْبَصْرِيُّ — وَكَانَ يَقُولُ يَقُولُ جَهْمٌ — : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَاتٍ ، فَيُنْذِمُونَ عَلَى مَا قَصَرُوا فِيهِ مِنْ تَنَاوُلِ اللَّذَاتِ ، وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْعِقَابَ ، فَنَالُوا الثَّوَابَ ؛ وَكَانَ يَتَلَوُّ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ الثَّلَاجِ قَالَ ، قَالَ أَبُو عُمَانَ الْأَدِمِيُّ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا سَاتِرَ فِيهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ سَاتِرٍ مَانِعٌ ، وَكُلُّ مَانِعٍ آفَةٌ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ آفَةٌ ، وَلِهَذَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْحُورَ يُرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً

سِوَى مَا تَحْتَ ذَلِكَ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ ، كَالسَّلَكِ فِي الْيَاقُوتِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :  
الْجَنَّةُ إِذَا أُولَى مِنَ الْحَمَامِ ، إِذْ قِيلَ : بئسَ البَيْتُ الحَمَامِ ، يُذْهِبُ الْحَيَاءَ ،  
وَيُبْدِي التَّوَرَةَ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ رَبَاطِ السَّكُوفِيِّ — وَكَانَ رَئِيسَ الشَّيْعَةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ أَرِ  
أَنْطَقَ مِنْهُ — قَالَ : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —  
مِنْ أَيْنَ جَاءَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ  
كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ  
مَا صَدَّقَ <sup>(١)</sup> وَلَا أَخَذَ عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ  
قَوْلًا أَوْ رَأَاهُ يَفْعَلُ فَعَلًا ثُمَّ غَابَ وَنُسِخَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نُسِخَ  
مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا قَبِلُوا مِنْهُ وَلَا أَخَذُوا  
عَنْهُ وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَوْلًا فَوَهِمَ فِيهِ ،  
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَهِمَ مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَهْمِ ، وَشَهِدَ  
وَلَمْ يَغِيبْ .

قَالَ : وَإِنَّمَا دَلَّ بِهَذَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : كُنْتُ إِذَا سُئِلْتُ أُجِبْتُ ،  
وَإِذَا سَكَتُ أُبْتَدِئْتُ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ زُرْعَةَ النَّصْرَانِيُّ قَالَ : قِيلَ لِلْمَسِيحِ : مَا بَالُ الرَّجُلَيْنِ  
يَسْمَعَانِ الْحَقَّ فَيَقْبَلُهُ أَحَدُهُمَا وَلَا يَقْبَلُهُ الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّاعِي  
الَّذِي يَصُوتُ بِغَنَمِهِ فَتَأْتِيهِ هَذِهِ الشَّاةُ بِنِدَائِهِ ، وَلَا تَأْتِيهِ هَذِهِ .

قَالَ أَبُو سَلْيَانَ : هَذَا جَوَابٌ مَبْتُورٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سَنَنٌ ، وَلَعَلَّ التَّرْجُمَةَ قَدْ

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالتَّى فِي (١) : « مَا حَدَّثَ » .

حافت عليه ، والمعنى أنحرَف عن الغاية ؛ وليس يَجُوز أن يكون حال الإنسان كيف كان ، حال الشاةِ في إجابةِ الداعي وإبائها<sup>(١)</sup> ، فإن له دواعيَ وموانعَ عقليةً [ وحسيةً ] .

فقال الوزير : هذا أيضاً بابٌ قد مضى مُستوفى ، ما الذى سمعتَ اليوم ؟ فقلتُ : رأيتُ ابنَ برمويه فى دَعْوَةٍ ، وترأى الحديث فقال : رأيتُ اليومَ الوزيرَ شديدَ العُبوس ، أهو هكذا أبداً ، أم عَرَضَ له هذا عَلَى بَخْتى ؟ فقال ابنُ جبلة : لعله كان ذاك لسبب ، وإلا فالْبِشْرُ غالبٌ عَلَى وَجْهِه ، والبَشاشةُ مألوفةٌ منه . فقال ابنُ برمويه : ما أَحْسَنَ ما قال الشاعر :

أخوالبِشْرِ محمودٌ عَلَى حُسْنِ بِشْرِهِ      ولن يَقدَمَ البَغضاءُ مَنْ كان عايساً  
فقال علىُّ بنُ محمد — رسولُ سِجِسْتان — : ما أَذْرِي ما أَنتما فيه ، ولكن يقال :  
ما أَرْضَى الغَضبان ، ولا أَسْتَعِظَفَ السلطان ، ولا مَلَكُ الإخوان ؛ ولا اسْتُلَّت  
الشَّخْفاء ، ولا رُفِعَت البَغضاء ؛ ولا تُوقَى الحذور ، ولا اجْتَلِبَ السرور ؛  
بمثل البِشْرِ والبرِّ ، والهديةِ والعطيةِ .

وقال الوزير : هاتِ مُلَحَّةَ المجلس<sup>(٢)</sup> .

فكان الجواب : قال أبو همام ذاتَ يوم : لو كان النخلُ لا يَحْمِلُ  
بعضُه إلا الرُّطْبَ ، وبعضُه [ إلا ] البُشْرَ ، وبعضُه إلا الخلال<sup>(٣)</sup> ، وكنا متى

(١) كذا فى (١) . والذى فى (ب) : « وإتيانه » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « الوداع » مكان قوله : « المجلس » .

(٣) الخلال بفتح الحاء : البسر إذا اخضر واستدار .



تَنَاولْنَا مِنَ الشُّمْرَانِخِ بُسْرَةً خَلَقَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُسْرَتَيْنِ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ بِأَس .  
ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لو كُنْتُ تَمَنَّيْتُ بِدَلِّ نَوَافِ الثَّمَرِ زُبْدَةً  
كَانَ أَضْوَبَ .

وسأل الوزيرُ : هل يقال في النساءِ رجُلَةٌ ؟ (٣)

فكان الجواب : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيرَافِيُّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِي عَائِشَةَ  
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ] : « كَانَتْ رَجُلَةً الْعَرَبِ » ، وَإِنَّمَا  
ضَاعَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ عَلَى سَرَةِ الْأَيَّامِ بِغَلَبَةِ الْمُجْهَمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهِ لَكَذَلِكَ ،  
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : كَانَ يُقَالُ : لو كَانَ لِأَبِيهَا ذَكَرٌ مِثْلُهَا لَمَا خَرَجَ  
الْأَمْرُ مِنْهُ .

قال : هل تَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْئًا ؟ فَقُلْتُ : لَهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الشَّرِيعَةِ ،  
وَالرَّوَايَةُ عَنْهَا شَائِعَةٌ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَقَدْ نَطَقَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا بِمَا حُفِظَ وَأُذِيعَ ،  
لَكِنِّي أَحْفَظُ لَهَا مَا قَالَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ :

خَرَجْتُ وَالنَّاسُ يُجْتَمِعُونَ ، وَعَلَى فِيهِمْ ، فَقَالَتْ : أَقْتُلِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
عُثْمَانَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ إِلَى تَسْدِيدِ الْحَقِّ وَتَأْكِيدِهِ  
أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ طَاعَةِ مَنْ خَالَفَ عَايَهُ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا  
زَادَ كَلَّمَ اللَّهُ صِحَّةً فِي دِينِهِ ، أَزْدَدْتُمْ تَشَاؤُلًا عَنْ نُصْرَتِهِ طَعْمًا فِي دُنْيَاكُمْ ، أَمَّا وَاللَّهِ  
لَهَدَمُ النِّعْمَةِ أَيْسَرُ مِنْ بُنْيَانِهَا ، وَمَا الزَّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ ، بِأَمْرٍ مِنْ  
زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالْكَفْرِ ؛ أَمَّا لَنْ كَانَ فَنِيَّ أَكُلُهُ ، وَاخْتَرِمَ أَجَلُهُ ، إِنَّهُ  
لَيَصِيرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا عَلِمْنَا [ خَلْقًا ] .  
تَزُوجُ أَبْنَتِي نَبِيَّ غَيْرِهِ ؛ وَلَوْ غَيْرَ أَيْدِيكُمْ قَرَعَتْ صَفَاتِهِ لَوُجِدَ عِنْدَ تَلْغِي

الحرب متعجراً<sup>(١)</sup> ، ولِسُيُوفِ النَّصْرِ مُتَقَلِّدًا ، وَلِسُكُنْهَا فِتْنَةٌ قُدِحَتْ بِأَيْدِي  
الظَّلَمَةِ ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ حَاطَ الْإِسْلَامَ وَأَكْغَدَهُ ، وَعَضَّدَ الدِّينَ وَأَيَّدَهُ ؛ وَلَقَدْ  
هَدَمَ اللَّهُ بِهِ صَيَاصِيَ أَهْلِ الشَّرْكِ ، وَوَقَّمَ<sup>(٢)</sup> أَرْكَانَ الْكُفْرِ ؛ لِلَّهِ الْمُصِيبَةُ بِهِ ،  
مَا أَفْجَعَهَا ! وَالْقَجِيعةُ بِهِ مَا أَوْجَعَهَا ! صَدَّعَ وَاللَّهُ مَقْتَلَهُ صَفَاةَ الدِّينِ ، وَثَلَمَتْ  
مُصِيبَتُهُ ذِرْوَةَ الْإِسْلَامِ ، تَبًّا لِقَاتِلِهِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّلَبُّسِ بِدَمِهِ ،  
وَالرُّضَا بِقَتْلِهِ .

فقال الوزير : ما أفصحَ لسانها ، وأشجعَ جنانها ، في ذلك المحفل الذي  
يَتَبَلَّلُ فيه كلُّ قُلُقُلٍ<sup>(٣)</sup> !

وَرَوَيْتُ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ : مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرٌ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ  
الْبَاسِ<sup>(٤)</sup> ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَالتَّذَمُّمُ لِلجَّارِ ،  
وَالتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ ، وَالْكَافَأَةُ بِالصَّنَائِعِ ، وَفِرَى الضَّيْفِ ، وَرَأْيُهُنَّ الْحَيَاءُ .  
فقال : وَاللَّهِ لَكَأَنَّهَا نَفَّاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا كَانَ أَشْهَمَهَا ،  
وَأَعْلَى نَظَرَهَا ، وَأَبْيَنَ جَوَابَهَا ! !

(٤) وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَمْرَاءَ تَهْلَمَتْ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ قَتَيْبَةَ بِخُرَاسَانَ ، فَزَبَرَهَا ،  
وَلَمْ يَنْظُرْ فِي قِصَّتِهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَكَ إِلَى خُرَاسَانَ لِتَنْظُرَ  
هَلْ تَنْبُتُ خُرَاسَانُ بِعَامِلٍ أَمْ لَا ؛ فَقَالَ لَهَا مُسْلِمٌ : اسْكُتِي وَيَلَاكَ ، فَظَلَامَتُكَ  
مَسْمُوعَةٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ .

(١) في (١) : « متعركا » ؛ وهو تحريف .

(٢) وقم أركان الكفر : كسرهما وأذلها .

(٣) القلقل : السريع الخفيف المصان .

(٤) في (١) : « الناس » بالنون . ووردت هذه الكلمة في (ب) لا تقط فيها .

ولعل الصواب ما أثبتنا .

وقال مسلم : ما وَخَزَ قَلْبِي قَطُّ شَيْءٌ مِثْلُ قَوْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَلَقَدْ آلَيْتُ  
الْأَسْتَهِينَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى .

وشبهه بهذا قول الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ : رَأَيْتُ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ إِنْسَانًا  
فَارْدَرْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَيُّ شَيْءٍ تَصْلُحُ أَنْتَ ؟ عَلَى غَيْظٍ مِنِّي وَتَفَضُّبٍ ؛ فَقَالَ :  
أَنَا أَصْلَحُ لِأَنْ يُقَالَ لِي : هَلْ يَصْلُحُ مِثْلُكَ لِمَا أَنْتَ فِيهِ أَوْ لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ  
مَا وَفَّرْتُ كَلِمَتَهُ فِي أُذُنِي حَتَّى أَظْلَمَ عَلَى الْجَوِّ وَنَكِرْتُ نَفْسِي .

وكان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَضِيٌّ ، أَمَرَ أَنْ يُحْجَبَ  
عَنِ نِسَائِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرَبِّمَا أُجْتَزَأَتْ أَمْرَاةٌ  
بِمِثْلِهَا ، وَلِلْعَيْنِ حَظُّهَا .

قال عبد الرحمن بن سعيد القرشي : كان لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ خَصِيٌّ  
يُقَالُ لَهُ خَالِدٌ ، وَكَانَ وَضِيئًا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدَ الْقَامَةِ ، فُخْمًا أَبْيَضَ ، فَأَمَرَ  
هَشَامٌ مَسْلَمَةَ مَالِغِدُوٍّ عَلَيْهِ ، فَعَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَأْذِنْ لِأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ،  
فَاسْتَخَفَّ وَقَالَ كَلِمَةً سَمِعَهَا مَسْلَمَةُ ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْلَمَةُ إِلَى هَشَامٍ  
لَمْ يَزَلْ يُذَاكِرُهُ شَيْئًا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ فُرْشِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبِساطِ  
وَمَسْلَمَةُ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ مُغَمِّمًا بِعِمَامَةٍ  
وَشَيْءٍ ؛ فَقَالَ مَسْلَمَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ  
يَا أَبَا سَعْدٍ ، هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ قَالَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَضَمَّةٌ مِنْ هَذَا  
خَيْرٌ مِنْ مُجَامَعَةِ رَجُلٍ ، فَقَلِقَ هَشَامٌ وَجَعَلَ يَتَضَوَّرُ حَتَّى قَامَ مَسْلَمَةُ ، ثُمَّ أَمَرَ  
بِالْخَادِمِ فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَشَامٌ ، إِنِّي  
نَحَيْتُهُ لِمَا بَلَغَكَ ، فَجَنَاهُ ، فَلَحِقَ الْخَادِمُ بِالشَّغِيرِ .



(٥) وجَرَى حديثُ النَّفْسِ وأنها كيف تَعْلَمُ الأشياءَ ، فقيل : النَّفْسُ في الأصلِ عَلَّامةٌ ، والعِلْمُ صُورَتُهَا ؛ لكنها لما لَابَسَتْ البَدَنَ ، وصارَ البَدَنُ بها إنسانًا ، اعترضَتْ حُجُبٌ بينها وبينَ صُورَتِها كثيفةٌ ولطيفةٌ ، فصارت تَخْرِقُ الحُجُبَ بكلِّ ما أَسْتَطَاعَتْ لتَصِلَ إلى ما لها مِنْ غَيْبِها ، فصارت تَعْلَمُ المَاضِيَ بِالأَسْتِخْبَارِ والتَّعَرُّفِ والبحثِ والمَسْئَلَةِ والتَّنْقِيرِ ، وتَعْلَمُ الآتِيَ بالتَّائِي والتَّوَكُّفِ والتَّبَشِيرِ والإنذارِ ، وتَعْلَمُ الحَاضِرَ بالتَّعَارُفِ<sup>(١)</sup> والمُشَاهَدَةِ ومَجَالِ الحِسِّ ؛ وهذه لِلْعُلُومَاتِ كُلِّها زَمَانِيَّةٌ ، ولهذا انْقَسَمَ بينَ المَاضِي والآتِي والحَاضِرِ . فأما ما هو فَوْقَ الزَّمانِ فإنَّها تَعْلَمُهُ بِالمُصَادَقَةِ الخَارِجَةِ مِنَ الزَّمانِ ، العَالِيَةِ عَلَى حَضَرٍ<sup>(٢)</sup> الدَّاهِرِ ، وهذه عبارةٌ عن وَجِدَانِها ، لما لها في غَيْبِها بِالْحَرَكَةِ اللَّائِقَةِ بها ، أعْنِي الحَرَكَةَ الَّتِي هِيَ فِي نَوْعِ الشُّكُونِ ، وَأَعْنِي بِهَذَا السُّكُونِ الَّذِي هُوَ فِي نَوْعِ الحَرَكَةِ ؛ وَلَمَّا قُدِّدَ الاسمُ الخاصُّ بِهَذَا للمَعْنَى ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الإِخْبَارِ والأَسْتِخْبَارِ إلَّا ما كَانَ مألُوفًا بِالزَّمانِ ، أَلْتَبَسَتْ العبارةُ عَنْهُ بِاعْتِمَادِ الشُّكُونِ فيما يُلْحَظُ مِنْهُ الحَرَكَةُ ، وَأَعْتَمَدَ الحَرَكَةَ فيما يُلْحَظُ مِنْهُ الشُّكُونِ ، فصارَ هَذَا الجُزْءُ<sup>(٣)</sup> كَأَنَّهُ نَاقِضٌ وَمَنْقُوضٌ ، وَهَذَا لِجَذَبِ<sup>(٤)</sup> تَحَلُّ الحِسِّ مِنْ نَبْذِ<sup>(٥)</sup> العَقْلِ ، وَخِصْبِ<sup>(٦)</sup> مَرَادِ العَقْلِ بِكُلِّ ما عُلِقَ بِالْمَوْجُودِ أَلْحَقَ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَسْوَارِ وَلَا مَعْنَى لِلتَّعَارُفِ هُنَا .

(٢) فِي (ب) : « حَضَرٌ » .

(٣) فِي (ب) : « الْخَبَرُ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجُزْءُ » .

(٤) فِي (أ) : « الْجُزْءُ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجَذَبُ » .

(٥) فِي (أ) : « نَبْذٌ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ .

(٦) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « وَخَصَّتْ مَوَادَّ الْعَقْلِ » ؛ وَمَا أُبَيِّنُاهُ هُوَ

مَا يَحْتَضِرُهُ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

فقال الوزير : ما أعلی نَجْدَ هذا الكلام ! وما أعمق غَوْزَه ! وإني لأعذِرُ كلَّ مَنْ قَابَلَ هذا المَسْمُوعَ بالرَّدِّ ، وأُعْتَرَضَ عَلَى قَائِلِهِ بالتَّكْبُرِ ؛ ولَعَمْرِي إِذَا تَعَايَتِ الأشياءُ بالأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ ، وعَرَضَ العَجْزُ عن إِبَانَتِهَا بِحَقَائِقِ الأَلْقَابِ ، حَارَ العَقْلُ الْإِنْسَانِي ، وَحَيَّرَ الفَهْمُ الْحَسِّيَّ ، وَأَسْتَحَالَ لِلزَّاجِ الْبَشَرِيِّ وَتَهَافَّتَ التَّرَكِيبُ الطَّيْنِيُّ ، وَقَدَّرَ النَّاطِرُ فِي هَذَا الْفَنِّ ، وَالْبَاحِثُ عَنْ هَذَا الْمُسْتَكْنِ ، أَنَّهُ حَالِمٌ ، وَأَنَّ الْعِلْمَ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، وَلَا جَدْوَى مِنْهُ .

وهذا كله هكذا ما دام مقيساً إلى الأمور القائمة<sup>(١)</sup> بشهادة الإخساس ؛ فإِذَا صَفَا النَّاطِرُ ، أَغْنَى نَاطِرَ الْعَقْلِ مِنْ قَدَى الْحَسِّ ، فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ يَكُونُ حَاضِرًا أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرُهُ ظَاهِرًا مُسْتَبَاقًا ؛ وَلَيْسَتْ شَهَادَةُ الْعَبْدِ كَشَهَادَةِ الْمَوْلَى ، وَلَا نُورُ الشَّهَى كَنُورِ الْقَمَرِ .

قال : أَنَشِدْنِي أَيْيَاتًا غَرِيبَةً جَزَلَةً ، فَأَنْشَدْتُ [ لَهْذِيَّةَ الْعُذْرِيِّ ] :<sup>(٢)</sup>

سَأَوِي إِلَى خَيْرٍ فَقَدْ فَاتَنِي الصُّبَا	وَصِيحَ بَرِيْعَانِ الشُّبَابِ فُنُفْرَا
أُمُورٌ وَأُلُوانٌ وَحَالٌ تَقَلَّبَتْ	بَنَا وَزَمَانٌ عُرْفُهُ قَدْ تَنَكَّرَا
أُصِيبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ سَلَمَى أَصَابَهُ	تَسَهَّلَ مِنْ أَرْكَانِهِ مَا تَوَعَّرَا
وَأِنْ تَنَجُّ مِنْ أَهْوَالٍ مَا خَافَ قَوْمُنَا	عَلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَسَّرَا
وَأِنْ غَالَنَا دَهْرٌ فَقَدْ غَالَ قَبْلُنَا	مُلُوكَ بَنِي نَضْرٍ وَكِسْرَى وَقِيصَّرَا
وَذِي نَيْرٍ <sup>(٣)</sup> قَدْ عَابَنِي لَيْنَانِي	فَاعْيَا مَدَاهُ عَنْ مَدَايِ فَأَنْصَرَا

(١) في نسخة : « الغائبة » مكان « القائمة » .

(٢) النيرب : المقد . والتي في (١) : « نيرب » . وفي (ب) : « سرب » ؛

وهو تحريف في كلتا النسختين .



فَإِنْ يَكْ دَهْرٌ نَأْتِي فَأَصْـسَابِي      بَرِيْبٍ فَمَا تُشَوِي <sup>(١)</sup> الْحَوَادِثُ مَعْشَرًا  
فَلَسْتُ إِذَا الضَّرَّاءُ نَابَتْ بِجُبَّاءٍ <sup>(٢)</sup>      وَلَا جَزَعٍ إِنْ كَانَ دَهْرٌ تَغْيَرًا  
فَقِيلَ : مَا الْجُبَّاءُ ؟ فَقَالَ : الْجَبَانُ .

قال أبو سعيد : حكى العلماء أن فلانًا جببًا ، إذا نكَل .

فقال : ما أمتن هذا الكلام ، وألطف هذا الجَدَدَا وما أبعدَهُ من تَلْفِيْقِ  
الضَّرُورَةِ ، وهُجْنَةِ التَّكَلُّفِ ، لولا أن سامِعَهُ رُبَّمَا تَطَيَّرَ بِهِ ، وَأَنْكَسَرَ عَلَيْهِ .

(٧) فكان الجواب : قد مرَّ في القَالِ والزَّجْرِ والطَّيْرَةِ والأُخْتِيَاْفِ ما إذا  
تُحَقِّقَ لَمْ يُعْجَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الأَسْتِشْعَارِ ؛ وَلَقَمَزِي إِنْ اللَّذْكَوْرَ وَالْمَشْوَعِ  
إِذَا كَانَ حَسَنًا وَجَمِيلًا وَمَحْبُوبًا وَمُتَمَنِّي ، كَانَ أَخْفَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَخْلَطَ  
بِالنَّفْسِ ، وَأَغْبَثَ بِالرُّوحِ ؛ وَكَذَلِكَ <sup>(٣)</sup> إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى الضَّدِّ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ  
أَزْوَى لِلْوَجْهِ ، وَأَكْرَبَ لِلنَّفْسِ ؛ وَلَكِنْ الْأُمُورَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالشَّرُورِ لَيْسَتْ  
فَاشِيَةً مِنَ الطَّيْرَةِ وَالْعِيَاْفَةِ ، وَلَا جَارِيَةً عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَهِيَ عَلَى  
مَقَاصِدِهَا الَّتِي هِيَ غَايَاتُهَا ، وَمُتَوَجِّهَاتُهَا الَّتِي هِيَ نِهَايَاتُهَا ؛ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ  
عَارِضَةٌ لِلنِّسَاءِ وَأَشْبَاهِ النِّسَاءِ ، وَمَنْ بِنَيْتِهِ <sup>(٤)</sup> ضَعِيفَةٌ ، وَمَادَّتُهُ مِنَ الْعَقْلِ  
طَفِيفَةٌ ، وَعَادَتُهُ الْجَارِيَةُ سَخِيفَةٌ ؛ وَإِلَّا فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ صَحَّحَ أَنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ  
يَجْلِبُ الْمَحْبُوبَ وَيَكُونُ عِلَّةً لَهُ ؟ وَأَنَّ اللَّفْظَ الْخَلِيفَ يَجْلِبُ الْمَكْرُوهَ وَيَكُونُ

(١) تشوى : تخطى .

(٢) في (١) : « محيا » . وفي (ب) : « محبا » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين

سواء ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) كان الأولى أن يقول « ولا كذلك » أو « وليس كذلك » أو « وعكس ذلك »

فإن الآتي بعد ليس كالكفى ذكره قبل .

(٤) كذا في (ب) . والذي في (١) : « نفسه » .



عِلَّةٌ لَهُ ١٢ هذا خَوَرٌ في طباعِ قائله ، وتَأَثُّتُ<sup>(١)</sup> في غُنْصُرٍ مُسْتَشْعِرٍ ؛ ولو  
سَلَكَ الْعُلَمَاءُ وَالْبُعَرَاءُ هَذَا الطَّرِيقَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى  
فَسَادِ عَامٍ ؛ وَآثَرُ<sup>(٢)</sup> مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا أُعْجِبَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا  
لَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ سَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ لَا يَحْطُ إِلَىهِ ، بَلْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَلَى  
رَبِّهِ فِي مَسَرَّتِهِ وَمَسَاءَتِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِمَحْوَلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فِي اخْتِيَارِهِ  
وَتَسْكُرَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ رَاصٍ ، وَهَمَّةٍ<sup>(٣)</sup> صَاعِدَةٍ ، وَشَكِيمَةٍ  
شَدِيدَةٍ ، وَلَيْسَ يَوْجَدُ هَذَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُصَابُ بِهَذَا كُلُّ إِنْسَانٍ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ أَخَذَتِ الْمَسْئَلَةُ بِحَقِّهَا ، وَلِلْمُسْتَزِيدِ مِنْهَا ظَالِمٌ ، وَالزَّائِدُ  
عَلَيْهَا مُتَكَلِّفٌ .

وَقَالَ أَيْضًا : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ قَارِسٍ أَبِي الْفَتْحِ — فَقَدْ كُنْتُ  
عِنْدَهُ بِقَرْمِيسِينَ<sup>(٤)</sup> أَيَّامًا — وَمَا وَضَحَ لَكَ مِنْ تَقْدُّمِهِ وَتَأَخُّرِهِ فِي صِنَاعَتِهِ  
وَبِضَاعَتِهِ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّهُ شَيْخٌ فِيهِ مَحَاسِنٌ وَمَسَاوِيٌ ، إِلَّا أَنَّ الرُّجُحَانَ  
لَمَّا يُدْزَمُ بِهِ لَا لِمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ خَيْرَةً بِالتَّصَرُّفِ ، وَهُنَاكَ<sup>(٥)</sup>  
أَيْضًا قِسْطٌ مِنَ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِ الْمُهَنْدِسَةِ ، وَتَشَبُّهُ<sup>(٦)</sup> بِأَصْحَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَمُذَاكَرَةٌ

(١) فِي كَلِمَتَا النَّسَخَتَيْنِ : « وَتَأَثُّتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كَلِمَتَا النَّسَخَتَيْنِ : « وَآثَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ مُوَابَهٌ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) عِبَارَةٌ ( ١ ) : « وَهَمَّةٌ مُتَبَاعِدَةٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « وَهَمَّةٌ صَاعِدَةٌ » ؛ وَمَعْنَاهَا

لَا يَنْسَبُ سِيَاقَ الْكَلَامِ هُنَا .

(٤) قَرْمِيسِينَ بَلَدٌ قَرِبَ الدِّينُورِيِّينَ هَهُنَا وَحُلْوَانَ .

(٥) فِي ( ١ ) : « وَهَذَا » مَكَانَ « وَهُنَاكَ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي ( ١ ) : « وَنَسَبَةٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

في الحافلِ صالحه ؛ إلا أن هذا كله مرْدُودٌ بالرَّعونة والمكر<sup>(١)</sup> والايهام والخسنة والكذب والغيبة ؛ وقد كان قَرِينُهُ بقرَمِيسِينَ يَظُنُّ به خَيْرًا ، وَيَلْحَظُهُ بِهِنِ مَا ؛ فلما سَبَرَهُ ذَمُّهُ وَكَرِهَ أَنْ يُعَاجِلَهُ بِالصَّرْفِ لئلا يُخْصِمَ عَلَى اخْتِيَارِهِ بِالْخَطَا ، وَعَلَى تَصَرُّفِهِ بِالْهَوَى . وَلِلْكَبَرَاءِ وَذَوِي الْقُدْرَةِ زَلَاتٌ فَاحِشَةٌ ، وَقَعَلَاتٌ مُوَحِشَةٌ ، وَلَكِنْ أَيْسَ لَمْ [ عَلَيْهَا ] مَهْيَرٌ لِّلْخَوْفِ مِنْهُمْ ؛ فَلَمَّا تَمَادَى قَلِيلًا وَجَّهَ ابْنُ وَصِيفٍ حَقِي صَرْفَهُ<sup>(٢)</sup> وَقَيْدَهُ [ بَعْدَ مَا وَبَّخَهُ وَفَنَّدَهُ ] وَهَاهُو ذَا أَلْقَى هَهُنَا لَا يُقْبَلُ بِقَبْضَةٍ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ بِلَحْظَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَظُنُّ أَنَّ قَقَرَّ الدَّوْلَةَ إِلَى نَظَرِهِ كَقَقَرٍ لِلذَّنْفِ إِلَى عَافِيَتِهِ .

وله مع طاهر بن محمد بن إبراهيم شِرَارٌ<sup>(٤)</sup> وَقَبْقَبَةٌ<sup>(٥)</sup> ، وَتَنْذِيدٌ وَشُنْمَةٌ . وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَحْمَدَ أَمْسَى أَنَّ ابْنَ فَارِسٍ شَارِعٌ فِي أُمُورِ خَيْثَةٍ ، وَعَازِمٌ عَلَى أَشْيَاءِ قَبِيحَةٍ ، وَمُضَرَّبٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ ضَمَّتْهُمُ الْأَلْفَةُ ، وَاسْتَجَحَكَتْ بَيْنَهُمُ الثُّقَّةُ ، وَخَلَصُوا<sup>(٦)</sup> حَفَظَةَ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسًا لِلنِّعْمَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ ، وَمَا أَخَوْفَنِي عَلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ بِهِمْ عَذَابٌ

(١) في كلتا النسختين : « والفكر » ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « ضربة » .

(٣) في كلتا النسختين : « لا يلب بقبضة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

والقبضة : ما أخذ بأطراف الأصابع ، كما سبق ذلك في تفسير المؤلف لهذا اللفظ فلا عن بعض القنوين في الجزء السابق من هذا الكتاب . ويريد بهذه العبارة أنه رخيص .

(٤) شرار ، أى مشاركة بتشديد الراء . وفي نسخة : « سرار » بالسين المهملة .

(٥) من معاني القبقة : الهدير ، وصوت أنياب الفحل ، والحق ؛ فلهذا يريد ما تفيد .

هذه المعاني من أن بينهما مغاضبة وملاحاة وخصومة . وفي (أ) : « وقتنة » مكان « وقبقة » .

« وتبديل » مكان « وتنديد » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين .

(٦) في كلتا النسختين : « وحصلوا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

شُرْبُنَا ، وَأَمِنْ سِرْبُنَا ، كَفَانَا اللَّهُ فِيهِمْ وَكَفَانَا كُلَّ مَكْرُوهِ .  
 قَال : هُوَ أَضْيَقُ مَبْعَرًا ، وَأَمَّا مَنَظَرًا ، وَأَذَلُّ نَاصِرًا مِنْ ذَاكَ ؛ وَاللَّهُ لَوْ  
 تَفَحَّتْ عَلَيْهِ لَطَار ، وَلَوْ هَمَّتْ بِهِ لَبَار .

وَأَمَّا مَا قُلْتُ لِي أَيُّهَا الشَّيْخُ<sup>(١)</sup> إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ رِسَالَتَكَ إِلَى الْوَزِيرِ ،  
 حَتَّى أَقِفَ عَلَى مَقَاصِدِكَ فِيهَا ، وَأُسْقِبِينَ بَرَاعَتَكَ وَتَرْتِيبَكَ<sup>(٢)</sup> بِهَا ؛ فَأَنَا أَقْلُ  
 ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ، وَلَمْ أَكْتُبْ فِي طَوِيلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ  
 الْمَعْجِيَةِ إِلَّا رُقْعَتَيْنِ وَرِسَالَتَيْنِ ؛ فَأَمَّا الرُّقْعَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ حَدِيثَ  
 الْخَادِمِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ شَافَهْتُكَ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَحَوَتْ حَدِيثَ  
 ابْنِ طَاهِرٍ وَصَاحِبِ الرُّصَافَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنِّي .

### رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير

#### أما الرسالة الأولى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ حَلِّئْ بِالْتَوْفِيقِ ، وَأَيِّدْنِي بِالنُّصْرَةِ ، وَأَقْرِئْ  
 مَنَاطِقِي بِالسُّدَادِ ، وَاجْعَلْ لِي مِنَ الْوُزَرِ وَرِزْرِ الْمَمَالِكِ عُقْبَى فَارِجَةً<sup>(٣)</sup> مِنَ  
 الْغَمِّ ، وَخَاتِمَةً مُوصُولَةً بِالنَّجَاحِ ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .  
 كُنْتُ وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ ، وَفُزْتُ بِالشَّرَفِ مِنْهُ ، وَخَدِمْتُ دَوْلَتَهُ ،  
 وَعَلَاهُ مِنْ صَدْرِي بِخَيْبَتِهِ ، وَمِنْ قَوَادِي بِمَحِيضَتِهِ ، وَتَصَرَّفْتُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) يريد بالشيخ أبا الوفاء المهندس .

(٢) في كلتا النسختين : « برأيك » مكان « براعتك » . وفي (١) : « وقرنتك »  
 مكان « وترتيبك » .

(٣) في (١) : « نازحة » ؛ وهو تحريف .



يأذنه في شُجُونِهِ وفُتُونِهِ ، كلُّ ذلك آملاً في جَذْوَى أَخْذُهَا ، وَخُظْوَةِ أَخْطَى  
بِهَا ، وَزُلْفَى أَمِيسُ مَعَهَا ، وَمِثَالَةِ أَحْسَدُ عَلَيْهَا ؛ فَنَقْبَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَوَعَدَ عَلَيْهِ  
خَيْرًا وَلَمْ يَزَلْ أَهْلَهُ ، وَانْقَابَتْ إِلَى أَهْلِ مَسْرُورًا بِوَجْهِ مُسْفِرٍ ، وَنَحْيًا طَلْقٍ ،  
وَطَرْفٍ عَازِمٍ<sup>(١)</sup> ، وَأَمَلِي قَدَسَدًا مَا بَيْنَ أَفْقِي الْعِرَاقِ إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ ، حَتَّى إِذَا  
حَلَّتْ لِلنَّفْسِ : هَذَا مَعَانُ الْوَزِيرِ وَمَعْمَرُهُ ، وَجَنَابُهُ وَمَحْضَرُهُ ، [ فَانْشَرِحِي  
مُسْتَفْتِحَةً ، وَتِيْمَنِي مَقْرَحَةً ، وَأَطْمِئْنِي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، لَا كَدْرَةَ الشُّرْبِ ،  
وَلَا مَذْمُورَةَ الشُّرْبِ ] ، حَصَلْتُ مِنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ وَالضَّمَانِ ، عَلَى بَعْضِ فَعَلَاتِ  
الْزَّمَانِ ؛ وَلَا عَجَبُ فِي ذَلِكَ مِنْ الزَّمَانِ فَهُوَ بِمِثْلِهِ مَلِيءٌ ، وَلَهُ فَعُولٌ . وَبَقِيَتْ  
مَحْمُولًا بَيْنِي وَبَيْنَ إِذْكَارِهِ — قَرَنَ اللَّهُ سَاعَاتِهِ بِسَعَادَاتِهِ ، وَوَصَلَ عِزُّهُ<sup>(٢)</sup>  
يَوْمَهُ بِسَعَادَةِ غَدِهِ ؛ وَغَدَهُ بِامْتِدَادِ يَدِهِ — حَيْرَانَ لَا أَرِيشَ وَلَا أُبْرَى ، ثُمَّ  
رَفَعْتُ نَافِظِي ، وَسَدَّدْتُ خَاطِرِي ، وَفَضَلْتُ الْحِسَابَ لِي وَطَلَى ؛ فَوَضَّحَ الْعَذْرُ  
الْمَبِينُ ، الْمَارِئُ مِنْ اسْتِزَادَةِ الْمُسْتِزِيدِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ أَعْبَاءَ الْوِزَارَةِ تَوُودُ<sup>(٣)</sup>  
سِرَّهُ ، وَتَتَعَبُ<sup>(٤)</sup> بِاللَّهِ ، وَالْمَلِكَةَ تَفْزَعُ وَلَهَى عَلَيْهِ ، وَتُنَاقِي بِحِرَائِهَا<sup>(٥)</sup> لَهُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالِدَوْلَةَ تَسْتَمِدُّهُ التَّيْدِيرَ الثَّاقِبَ ، وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ ، سِوَى أُمُورٍ  
فِي خِلَافِ ذَلِكَ لَا يَحْرَرُهَا رَسْمٌ رَاسِمٌ ، وَلَا يَقَرُّهَا قَسْمٌ قَاسِمٌ ، وَلَا يَحْوِيهَا  
وَهْمٌ وَاهِمٌ ، وَلَا يَفُوزُ بِهَا سَهْمٌ مُسَاهِمٌ ، وَهُوَ يَخْطُرُ فِي حَوَاشِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ يَلْمِهَا تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ تَتَّبِعْ مَعْنَى وَصْفِ  
الْطَّرَفِ بِهَذَا الْوَصْفِ .

(٢) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « عَنْ » مَكَانَ « عِزٍّ » ؛ وَهُوَ  
تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « تَوَدُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « وَتَسْتَعِينُ » مَكَانَ « وَتَتَعَبُ » ؛  
وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « بِحِرَائِهَا » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

متأبطاً بواهظ الأثقال ، مفتتحة عوياً الأفعال<sup>(١)</sup> ، سامي الطرف ، فسيح الصدر ، بساماً على العيلات ، غير مكترث بهالك وهات ، يتلقى ما أغياب من ذلك بالي<sup>(٢)</sup> ، وما أشكل بالإيضاح ، وما عسر بالتدبير ، وما فسد بالإصلاح ، وما أرق بالعنق ، وما خرق بالرتق ، وما خفي بالتكشيف ، وما بدا بالتصريف ، وما أود بالتثقيف ، وما لبس بالتعريف ، حتى أنجم على هواء قاصيها ودائيتها ، وجري على مراده خافيتها وباديتها ، واستجاب لأمره أيتها ومناقداها ، وأنلف بلفظه نادرها ومعتادها ؛ فلما تيقنت<sup>(٣)</sup> ذلك كله وقتلته خبراً ، أمسكت عن إذكره — نفس الله مدته — سالف عهده ، ومتقدم وعده ، عالماً بأن أسرهما<sup>(٤)</sup> مرعى عنده في صدر الكرم ، ومكتوب لديه في صحيفة المجد ، وثابت قبله في ديوان الحسنى .

ولكن كان ذلك الامتنان<sup>(٥)</sup> على رغم مني<sup>(٦)</sup> ، لأنى قتلت في أثنائه بين جنبي قلباً مغروراً الرجاء ، ومنزوراً العزاء ، على عوارض لم تسنح في خلدي ، ولم أعقد على شيء منها يدي .

فالحمد لله الذي جعل معاذي إلى الوزير الكريم ، البر الرحيم ، والمنة لله الذي جعلني من عفاة جوده ، وناشئة عرفه ، ووارد عده ، وقادحي زنده ،

(١) في الأصول « الأفعال » ؛ وهو تصعيف .

(٢) في كلتا النسختين : « بالكي » بالكاف ؛ وهو تحريف لا معنى له هنا . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٣) في الأصل « نفتت » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « ايسرهما » ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول ؛ ولا معنى للامتنان هنا ، ولعل صوابه الكتمان أو « الإمساك » أو ما يفيد ذلك أخذاً من قوله قبل : فأمسكت عن إذكره .

(٦) في (١) على زعم من أبي فلبث إلى أبيابه . مكان قوله على رغم مني لأنى قتلت في أثنائه .



وَمُقْتَبِسِي نُورِهِ ، وَمُضْطَلِّي نَارِهِ ، وَحَامِلِي نِعْمَتِهِ ، وَطَالِبِي خِدْمَتِهِ ، وَجَعَلَ  
خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَوَايَةَ مَنَاقِبِهِ بِاللِّسَانِ الْإِثْنَيْنِ ، وَنَشَرَ فُضَائِلِهِ  
بِالْتَّنَاءِ الْأَحْسَنِ ، وَذَكَرَ آيَاتِهِ بِاللَّفْظِ الْأَفْصَحِ ، وَالْأَحْتِجَاجِ لِسَدَادِ آرَائِهِ  
بِالْمَعْنَى الْأَوْضَحِ ؛ فَلَا زَالَ الْوَزِيرُ — وَزِيرُ الْمَالِكِ — تَمْدُوحًا فِي أَمْوَارِ  
الْأَرْضِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَفِي نَوَادِي الرُّؤَسَاءِ وَالْعُظَمَاءِ ، مَا آبَ  
آئِبٌ <sup>(١)</sup> ، وَغَابَ غَائِبٌ ، بِمَنَّةٍ وَلُطْفِهِ .

قَدْ نَادَيْتُ الْوَزِيرَ حَيًّا سَامِعًا ، وَخَيْرًا جَامِعًا ، وَهَزَزْتُ مِنْهُ صَارِمًا قَاطِعًا ،  
وَشَبَّاهَا سَاطِعًا ، وَاسْتَسْقَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ سَحَابًا هَاطِلًا ، وَنَقَاخًا <sup>(٢)</sup> سَائِلًا ،  
وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُجَنِّبَنِي مَرَارَةَ الْخَيْبَةِ ، وَحَسْرَةَ الْإِخْفَاقِ ، وَعَذَابَ التَّسْوِيفِ ،  
قَدْ تَلَطَّفْتُ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ ، وَالْعَذْبِ الزُّلَالِ ، جُهْدَ الْمَقِلِّ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَوْلَى  
بِمَجْدِهِ ، فِي تَذْيِيرِ عَبْدِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .  
هَذَا آخِرُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى .

وَحَضَرَ وَصُولَهَا إِلَيْهِ بِهَرَامٍ — لَعْنَهُ اللَّهُ — وَتَكَلَّمَ بِمَا يَشْبَهُ نَذَالَتَهُ وَخِيسَتَهُ  
وَتَنَنَ نَيْتَهُ ، فَا كُنْتُ أَمَّنُهُ <sup>(٣)</sup> ؛ وَمَا أَشَدَّ إِشْفَاقِي عَلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ  
مِنْ شَوْمِ نَاصِيَةِ بِهَرَامٍ ، وَغِلِّ صَدْرِهِ ، وَقَلَّةِ نَصِيحَتِهِ ، وَلَوْمِ طَبِيعِهِ ، وَخُبْثِ  
أَصْلِهِ ، وَسُقُوطِ فَرْعِهِ ، وَدَمَامَةِ مَنَظَرِهِ ، وَلَآمَةِ مَخْبَرِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْعِبَادَ  
مِنْ شَرِّهِ ، وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ عُرِّهِ وَضُرِّهِ .

وَأَمَّا الرِّسَالَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْدَ اسْتِثْنَادَانِي إِيَّاهُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَغَلَبَ غَالِبٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٢) وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ بِالْيَاءِ وَالْفَاءِ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « أَمَلُهُ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا



في مخاطبة بالكاف ، حتى يجرى الكلام على ستن الأسترسال ، ولا يُعتر في طريق الكتابة بما يُزاحم عليه من اللفظ واللفظ ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الوزير . جعل الله أقدار دهرِكَ جارية على تحكّم آمالك ، ووصل توفيقه بمبايغ مرادِكَ في أقوالِكَ وأفعالِكَ ، ومكّنكَ من نواصي أعدائك ، وثبت أواخِي دَوْلَتِكَ على ما في نفوس أوليائك .

يحبُّ على كلِّ من آتاه الله رأيا نافيا ، ونصحا حاضرا ، وتنبها نافعا ، أن يخدمَكَ مُتَحَرِّيا لرُسوخ دعائم المملَكة بِسياسَتِكَ وريادَتِكَ<sup>(١)</sup> ، قاضيا بذلك حقَّ الله عليه في تقويَتِكَ وحياطَتِكَ . وإنى أرى على بابِكَ جماعة ليست بالكثيرة — ولعلها دون العشرة — يؤثرون لقاءك والوصول إليك لما تُجِنُّ صدورهم من النصائح النافعة ، والبلاغات المُجديّة ، والدلالات المفيدة ، ويرون أنهم إذا أهلوا لذلك فقد قضوا حقَّكَ ، وأدوا ما وَجَبَ عليهم من حُرْمَتِكَ ، وبلغوا بذلك مرادهم من تفضُّلِكَ وأصطناعِكَ ، وتقديمِكَ وتكريمِكَ ؛ والحجاب قد حال بينهم وبينكَ ، ولكلِّ منهم وسيلة شافئة ، وخدمة للخيرات جامعة ؛ منهم — وهو أهل الوفاء — ذوو كفاية وأمانة ، ونباهة ولباقة ؛ ومنهم من يصلح للعمل الجليل ، ولرتق الفتق العظيم ؛ ومنهم من يمتنع إذا نادى ، ويشكر إذا أصطنع ، وينذل المجهود إذا رُفِع ؛ ومنهم من ينظم الدر إذا مدح ، ويضحك الثغر إذا مزح ؛ ومنهم من قمد به الدهر لِسْنَه العالية ، وجلا بيبه البالية ، فهو موضع الأجر المذخور ، وناطق بالشكر المنظوم والنثور ؛ ومنهم طائفة أخرى قد عكفوا في بيوتهم

(١) في كلتا النسختين : « وزيادتك » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

كَلَى مَا يَفْنِيهِمْ مِنْ أَحْوَالِ أَنْفُسِهِمْ ، فِي تَرْجِيَةِ عَيْشِهِمْ ، وَعِمَارَةِ آخِرَتِهِمْ ،  
وَمَعَ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ خَصَاصَةِ مُرَّةٍ ، وَمُؤَنِّ غَلِيظَةِ ، وَحَاجَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ ؛  
وَلَمْ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَالتَّجَرُّبَةُ ، وَلَوْ وَثِقُوا بِأَنَّهُمْ إِذَا عَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ  
عَلَيْكَ ، وَجَهَّزُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ إِلَيْكَ حَفَلُوا مِنْكَ ، وَأَعْتَزُّوا  
بِكَ ، لَخَضَرُوا بِأَبْكَ ، وَجَسِمُوا الْمَشَقَّةَ إِلَيْكَ ؛ لَكِنَّ الْيَأْسَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ،  
وَضَعُفَتْ مُنْتَهُهُمْ ، وَعُكِّسَ أَمَلُهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ سَفَا التَّرَابِ ، أَخْفَ مِنَ الْوُقُوفِ  
عَلَى الْأَبْوَابِ ، إِذَا دَنَوْا مِنْهَا دُفِعُوا عَنْهَا ؛ فَلَوْ لَحَظْتَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ بِفَضْلِكَ ،  
وَأَذْنَيْتَهُمْ بِسَعَةِ ذَرْعِكَ وَكَرَمِ خِيَمِكَ ، وَأَصْفَيْتَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ بِسَمْعِكَ ،  
وَقَابَلْتَهُمْ بِمِلْءِ عَيْنِكَ ، كَانَ فِي ذَلِكَ بَقَاءً لِلنِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَصِيَّتٌ فَاشٍ بِذِكْرِكَ ،  
وَتَوَابٌ مُؤَجَّلٌ<sup>(١)</sup> فِي صَحِيفَتِكَ ، وَثَنَاءٌ مُعْجَلٌ<sup>(٢)</sup> عِنْدَ قَرِيبِكَ وَبَعِيدِكَ ؛ وَالْأَيَّامُ  
مَعْرُوفَةٌ بِالتَّقَلُّبِ ، وَالْأَيَّامُ مَا خِصَّةٌ بِمَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ذُو اللَّبِّ ، وَالْمَجْدُودُ  
مَنْ جُدَّ فِي جَدِّهِ ، أَعْنَى مَنْ كَانَ جَدُّهُ فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِحُظَّهِ مِنْ  
الْآخِرَةِ ، وَلَآنَ يُوَكَّلُ الْعَاقِلُ بِالْأَعْتَابِ بِغَيْرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُوَكَّلَ غَيْرُهُ  
بِالْأَعْتَابِ بِهِ .

أَيْهَا الْوَزِيرُ ، اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ صِنَاعَةٌ قَائِمَةٌ بِرَأْسِهَا ، قَلَّ مَنْ يَفْنَى بِرَبِّهَا<sup>(٣)</sup> ،  
أَوْ يَتَأَنَّى لَهَا ، أَوْ يَعْرِفُ حَلَاوَتَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ الْكِتَابَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ  
وَالْحِسَابِ .

وَسَمِعْتُ ابْنَ سُورِينَ يَقُولُ : آخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْأَصْطِنَاعَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ « بوجد » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ مُوَابَهَ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَفْتَضِيهِ قَوْلُهُ بَعْدَ « مُعْجَل » .

(٢) فِي (١) : « يَسْقَى تَرْبَهَا » مَكَانَ « يَفْنَى بِرَبِّهَا » . وَفِي (ب) : « بِرَبِّهَا » بِالْيَاءِ

الْمُثَنَّى ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ فِي كِلَا النِّسْخَتَيْنِ . يُقَالُ : رَبُّ الصَّنِيعَةِ يَرْبُهَا — بِضَمِّ الرَّاءِ — إِذَا  
عَمَّاها وَتَعَهَّدَهَا .



واستعلى الصنائع ، وارتاح لذِّكر الطَّيِّب ، واهتزَّ للمديح ، وطربَ على نَفَمَةِ  
السَّائِل ، وأغتنمَ خَلَّةَ المحتاج ، وأنتهبَ الكَرَمَ انتِهَاباً ، وألتهبَ في عِشْقِ  
النَّاءِ انتِهَاباً ، أبو محمد المهلبي ، فإنه قدَّم قَوْماً ونَوَّهَ بهم ، ونَبَّهَ على فضيلهم  
وأخوَجَ الناظرين في أمرِ المُلكِ إليهم ، وإلى كفايتهم ، منهم أبو الفضل  
العبَّاسُ بنُ الحسين ، ومنهم ابنُ معروف القاضي ، [ ومنهم أبو عبد الله  
اليُفَرَنْجِيُّ ] ، ومنهم أبو إسحاق الصَّابِيُّ ، وأبو الخطَّاب الصَّابِيُّ ، [ ومنهم  
أحمد الطَّوِيل ، ومنهم أبو التَّلاء صاعد ، ومنهم أبو أحمد ابنُ الميثم ، وابنُ  
حَنَفِي صاحبُ الديوان ] ، وفلان وفلان ، هؤلاء إلى غير هؤلاء <sup>(١)</sup> ،  
[ كَأبي تمام الزَّيْنَبِيُّ ، وأبي بكر الزَّهْرِيُّ ] ، وابن قريصة ، وأبي حامد  
المُرُوزِيُّ ، [ وأبي عبد الله البَصْرِيُّ ] ، وأبي سعيد السَّيرَافِي ، [ وأبي محمد  
الفارسي ] ، وابن دُرُشْتُوِيَه ، [ وابن البَقَّال ] ، وَالسَّريُّ ، وَمَنْ لَا يُخْفَى  
كَثْرَةُ مِنَ التَّجَارِ والعُدُول .

وقال لي [ ابنُ سُورِين ] : كان أبو محمد يَطْرَبُ على أَصْطَنَاعِ الرُّجَالِ كما  
يَطْرَبُ سَامِيعُ الْغِنَاءِ على الشَّبَائِرِ <sup>(٢)</sup> ، وَيَرْتَاحُ كما يَرْتَاحُ مُدِيرُ الكَأْسِ على  
العُشَائِرِ . وقال عنه : [ إِنَّهُ ] قال : والله لَا كَوْنَنَ في دولة الدَّيْلَمِ ، أَوَّلَ مَنْ  
يُذَكَّرُ ، إن قَاتُوا أَنْ كُنْتُ في دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ آخِرَ مَنْ يُذَكَّرُ .

فلولا أَنَّكَ — أَدَامَ اللهُ دَوْلَتَكَ — أَذِنْتَ لِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ كُلَّ  
مَا هَجَسَ في النَّفْسِ ، وَطَلَعَ به الرَّأْيُ مِمَّا فِيهِ مَرَدٌّ على مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا

(١) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « هذا إلى غير هذا » .

(٢) في كلتا النسختين : « السَّائِر » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق

الكلام . والشبائير : جمع شبور ، وهو من آلات اللوسيقى .



الثقل الباهظ ، وتنبيه على ما تبشيره بكاهلك الضخم ، لم يكن خطري  
يبلغ مواجهمتك بلفظ يثقل ، وإشارة تغلظ ، وكناية تخدش<sup>(١)</sup> ، لكناك  
والله يأخذ بيدك ، ويقرن الصنع الجميل بظاهرك وباطنك — قد رخصت  
لي في ذلك ، وخصصتني به من بين غاشية بابك ، وخدم دولتك ، فلذلك  
أقول ما أقول معتمداً على حسن تقبلك<sup>(٢)</sup> ، وجميل تكلمك<sup>(٣)</sup> ، ومنظري  
تفضلك ؛ وليس في أبواب السياسة شيء أجدي وأنفع ، وأنتى للفساد وأقم ،  
من الاعتبار الموقظ للنفس ، الباعث على أخذ الحزم ، وتجريد العزم ؛ فإن  
الوكال<sup>(٤)</sup> والموينا قلما يفضيان بصاحبهما إلى ذلك مأمول ، ونيل مراد ،  
وإصابة ممتنى . وقد قال رجلٌ كبير الحكمة ، معروف الحكمة : المعتبر  
كثير ، والمعتبر قليل . وصدق هذا الرجل الصالح ، وهو الحسن البصري :

لو أُعْتَبِرَ من تأخر بمن تقدم ، لم يكن من يتعسر في الناس<sup>(٥)</sup> ويندم ،  
ولكن الله بنى هذه الدار على أن يكون أهلها بين يقظة ونوم ، وبين فرح  
وترح ، وبين حيلة<sup>(٦)</sup> وورطة ، وبين حزم وغفلة ، وبين نزاع وسلوة ،  
لكن الآخذ بالحزم — وإن جرى عليه مكروه — أعذر عند نفسه وعند

(١) في كلتا النسختين : « تخرس » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه  
سياق ما قبله .

(٢) في كلتا النسختين : « تطلبك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) : « تكلمك » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (أ) : « الوكان » بالنون . وفي (ب) : « الوكالك » بالكاف ؛ وهو تحريف  
في كلتا النسختين .

(٥) في (ب) : « في الدنيا »

(٦) في كلتا النسختين : « غبطة » ؛ ولعله تحريف ، إذ الغبطة لا تقابل الورطة ،  
والذي يقابلها الحيلة كما أثبتنا .

كلٌّ من كان في مَسْكِهِ ، مِنْ الْمُلُوقِ بِيَدِهِ ، وَالْمُتَدَلَّى بِغُرُورِهِ ، وَالسَّاعِي فِي ثُبُورِهِ ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ الْعَقْلَ لِأَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَّضَهُ لِلنَّجَاةِ ، وَلَا حَلَاءَ بِالْعِلْمِ إِلَّا وَقَدْ دَعَاهُ إِلَى الْعَمَلِ بِشَرَائِطِهِ ، وَلَا هِدَاءَ الطَّرِيقَيْنِ (أَغْنَى الْغَى وَالرُّشْدَ) إِلَّا لِيُزَحِّفَ إِلَى أَحَدِهِمَا بِحُسْنِ الْأَخْتِيَارِ .

هذا بالأمسي أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير — وهو في وزارته وبَسْطَةُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ — قيل له ذات يوم : هذا التركي ساسنكر<sup>(١)</sup> تَفِيًّا بِظَلِّهِ ، وَاعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ ، وَاسْتَسْقِ بِسَجْلِهِ ، وَارْتَوِ مِنْ سُورِهِ ، وَلَا يَبْلُغْهُ عَلَيْكَ ، مَا يُوَحِّشُهُ مِنْكَ ، وَيُجَفِّيه<sup>(٢)</sup> عَلَيْكَ . وقد قيل :

« أَسْجُدْ لِقَرْدِ السُّوءِ فِي زَمَانِهِ »

وَإِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَطْعِ يَدِ جَائِرَةٍ ، فَاقْبَلْهَا مُتَهِمَةً<sup>(٣)</sup> مُنْجِدَةً غَائِرَةً . فَلَمْ يَفْعَلْ ، حَتَّى وَجَدَ أَعْدَاؤُهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ ، فَسَلَكُوهُ وَأَوْفَسُوهُ .

ثم قيل له في الوزارة الثانية : قَدْ ذُقْتَ مَرَارَةَ النَّكْبَةِ ، وَتَحَرَّقْتَ بِنَارِ الشَّمَاتَةِ ، وَتَأَرَّقْتَ عَلَى فَرَطَاتِ<sup>(٤)</sup> الْعَجْزِ وَالْفَسَالَةِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا كَانَ ، وَدَارَكَ بِمَا تَمَنَّيْتَ<sup>(٥)</sup> الزَّمَانُ ؛ فَأَنْظِرْ أَيْنَ تَضَعُ الْآنَ قَدَمَكَ ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ تُدِيرُ لِسَانَكَ وَقَلَمَكَ ، فَإِنْ مُخَلَّصَكَ مِنْ وَرَطَتِكَ بِالْمُرْصَادِ ، وَقَدْ

(١) لم نجد هذا الاسم فيما راجعناه من معجمات الأعلام التركية ؛ والذي وجدناه « سنجر » بالسین والجیم وبلا سین وألف في أوله .

(٢) في (١) : « ويخفه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسخين : « بهمه » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسخين : « فطرات » ؛ والظاهر أن في حروفه قلبا وقع من التناسخ . كما أن في كلتا النسخين : « وأرقت » مكان « وتأرقت » ؛ وما أثبتناه أولى للعلامة بينه وبين قوله قبل : « وتحترقت » .

(٥) في (ب) : « ظننت » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .



وَعَدَّتْ مِنْ نَفْسِكَ إِنَّ أَعَادَ اللَّهُ يَدَكَ<sup>(١)</sup> إِلَى الْبَسْطَةِ ، وَرَدَّ حَالَكَ إِلَى السَّرُورِ  
وَالْغَيْبَةِ ، أَنْكَ تَجْمِلُ الْمَامَلَةَ ، وَتَنْسَى<sup>(٢)</sup> الْمَقَابِلَةَ ، وَتَلْقَى وَلِيكَ وَعَدُوكَ  
بِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذَا ، وَالْكَفَّ عَنْ هَذَا ، حَتَّى يَتَسَاوَىا بِنَظَرِكَ ، وَيَتَعَبَّدَا  
لَكَ بِفَضْلِكَ .

فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ مَا دَلَّ عَلَى عِتْوِهِ وَثَبَاتِهِ<sup>(٣)</sup> ، لِأَنَّهُ قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ  
تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ] ؟  
وَقَالَ لِي الْقَوْمَسِيُّ<sup>(٤)</sup> — وَلَمْ يَعْلَمْ مَا فِي فَخْوَى هَذَا الْكَلَامِ — : مَا ذَاكَ ؟  
قُلْتُ : لِحَوَاهِ وَلَوْ عَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ لَعُدْنَا [ إِلَى مُقَابَلَتِهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ .  
وَصَدَقَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا لَبِثَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ  
إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أُورِدَهُ<sup>(٥)</sup> وَلَمْ يُعْصِرْهُ ، وَأَعْتَرَهُ وَلَمْ يُنْعِشْهُ ، وَسَلَّمْ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى  
أَسْتَلَّ رُوحَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ، شَاقِيًا بِهِ وَمُسْتَفِيًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ  
خُسْرًا ، وَلَوْ اتَّقَى اللَّهَ لَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِ يُسْرًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَهَذَا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ طَعْنَى وَبَنَى ، وَاقْتَحَمَ ظِلْمَاتِ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ ،  
وَطَارَ بِجَنَاحِ اللَّهِ وَالْعَرْفِ ، وَالشُّرْبِ وَالْقَصْفِ ، وَمَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَلَّ  
بَيْنَ إِمْنَالِ اللَّهِ وَإِمْلَانِهِ ، فُخِّقَ بِهِ مَا ذَهَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَمَالُهُ ، وَخُرِبَ بَيْتُهُ ،  
وافتَضَحَ أَهْلُهُ ، وَكَيْفَ كَانَ يَسْلَمُ ؟ أَمْ كَيْفَ كَانَ يَنْجُو وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ السَّرَّاجِ

(١) فِي (ب) : « أَعَادَ اللَّهُ بِكَ أَيْمَانَكَ الْبَسِيطَةَ » ؛ وَفِي بَعْضِ كَلِمَاتِهَا تَحْرِيفٌ لَا يَخْفَى .

(٢) كَذَا فِي (أ) . وَالَّذِي فِي (ب) : « وَتَنْسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَتَنْسَى الْمَقَابِلَةَ ،

أَيَّ لَا تَقَابِلُ الذَّنْبَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقَابِهِ بَلْ تَنْفُو .

(٣) وَثَبَاتُهُ ، أَيُّ ثَبَاتُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمُسْنَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، صَوَابُهُ مَا أَثَبْنَا .

(٥) أُورِدَهُ وَلَمْ يَصْدُرْهُ فَاعِلُ الْقَمَلَيْنِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ . أَيْ

أُورِدَهُ كَلَامَهُ الْخ .



بلا ذنب ، والجَرَ جَرَّائِي<sup>(١)</sup> بلا حجة ، وضربَ ابن مَعْرُوفٍ بالسَّيَاطِ  
وأبا القاسم — أخا لأبي محمد القاضي — وشَهْرَهُ على جَمَلٍ في الجانب الشرقي ١٩  
والتَّشْقَى حُلُوُ العِلَائيَةِ ، واسكنهُ مُرُءَ العاقبة ، وكانَ الحَفِيظَةُ إنما خُلِقَتْ  
لِيُفْتَقَدَ<sup>(٢)</sup> ، والحقْدَ إنما وُجِدَ لِيُبْلَغَ به ما يَسُرُّ الشَّيْطَانَ .

وكانَ العَفْوُ حَرَامَ ، والكُفْمُ<sup>(٣)</sup> محظور ، والمكافاةُ مأمورٌ بها .  
وهذا بالأُنسِ على بنِ محمدَ ذو الكَفَائيَتَيْنِ ، اغترَّ بِشَبَابِهِ ، ولَهَا عن  
العَزْمِ والأخْذِ به فيما كانَ أوَّلَى به ، وظَنَّ أَنَّ كِفَائيَتَهُ تَحْفَظُهُ ، ونَسَبَهُ مِنْ  
أبيه يَكْنُفُهُ ، وبراءَتَهُ تَحْتَجُّجُ لَهُ ، وذُنُوبَهُ الصَّغِيرَةَ تُفْتَقِرُ ؛ لِجَلَالَتِهِ المَذْكُورِ ،  
وغَنائِهِ المَشْهُورِ ؛ وَمَشَى فَعَثَ ، وراب<sup>(٤)</sup> فُخِّرَ ، والأوَّلُ يَقُولُ :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كَبَوَةً      لَمْ يَسْتَقْبِلْهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
فَأَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا      وَأَجَرَ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرَى

وقال لي الخليل — وكان لطيفَ المَحَلِّ عِنْدَهُ ، لِمَا كانَ يَرَى مِنْ  
أَخْتِصَاصِ أبيه له ، وَلِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَضْلِهِ عِنْدَهُ — : قُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا هَذَا ،  
فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ١٩ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَعَلَّلُ ١٩ وَقَدْ شُحِدْتَ المَوَاسِي ، وَحُدِّدْتَ  
الْأَنْيَابَ ، وَفُتِلَتِ المَرَاثِرُ<sup>(٥)</sup> ، وَنُصِبَتِ العِخَاخُ ، وَالْعَيُونُ مُحَدَّقَةٌ نَحْوَ القَطِيعَةِ ،

(١) فِي (١) : « الجَرَّجَانِي » .

(٢) فِي (١) : « لَتَعْتَدَ » . وَفِي (ب) : « لَتَنْفَذَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالطَّم » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَدَابَّ غَسِرَ » . وَفِي (ب) : « وَذَابَ غَثَرُ » ؛ وَلِلصَّوَابِ مَا أَقْبَتَنَا .

(٥) فِي (١) : « وَقَبِلَتْ » . وَفِي (ب) : « وَقَتَلَتْ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ فِي كِلْتَا

النُّسخَتَيْنِ . وَفِي (١) : « الدَّابِر » مَكَانَ « المَرَاثِرِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا . وَالمَرَاثِرُ :

الْجَبَالُ ، جَمْعُ صَهِيرَةٍ .

والأعناق صور<sup>(١)</sup> إلى الفظيعة ، وأنت لاهٍ ساهٍ عما يرادُ بك بعدُ ؛  
يسيبك<sup>(٢)</sup> هذا المزرفن<sup>(٣)</sup> وهذا الرُخى<sup>(٤)</sup> وهذا المِعْرَضُ<sup>(٥)</sup> ، وهذا الخليق ،  
وهذا النّيف ، وهذا المقرَّبُ الصّدغ ، وهذا المَصْفُوفُ الطّرة ، وبالكاس<sup>(٦)</sup>  
والطاس ، والغناء والقصف ، والنّاي والعود ، والصّبوح والغبوق ، والشراب  
المروّق العتيق ؛ والله ما أدري ما أصنع ، إن سكّنتُ عنك كيدتُ ، وإن  
نصحتُك خيفتُ منك ؛ ونعوذُ بالله من أشدّباه الرأى ، واشتباك الأمر ، وقلة  
الأحتراس ، والإعراض عما يجري من أفواه الناس .

يا هذا ، سوء الأستمسالكِ خيرٌ من حُسن الصّرعة ، وتلقّى الأمر بالحزم  
والشّهامة أولى من استدباره بالحسرة والنّدامة ، ومن لا تجرّبة له يفتّيسُ  
يمنّ له تجرّبة ، فإذا نقب الخلف دعى الأظلم . فقال : قد فرغ الله مما هو  
كائن ، وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

قال : قلتُ له : ما أظنّك الله على كائنات الأمور ، ولا أظنّك بعواقب  
الأحوال ، وإنما عرفّك حظّك بعد أن<sup>(٧)</sup> وفّر عقلك ، وأخضرك استطاعتك ،  
وأوضح لقلبك ما عليك ولك ، حتّى يستشفّ ويستكشف ، وملّكك

(١) صور ، أى مائلة . إلى الفظيعة ، أى إلى النكبة الفظيعة . وفي كلتا النسختين :  
« الفظيعة » . وما أثبتناه هو ما يستقيم به السجع الذى ألزمه المؤلف فى بعض فقراته .  
(٢) فى ( أ ) : « يعد تشبّثك » . وفى ( ب ) : « يعد بسيبك » ؛ وهو تحريف  
فى كلتا النسختين .

(٣) المزرفن الذى يجعل صدغيه كالزرفين ، وهى الحلقة .

(٤) كذا فى ( ب ) والذى فى ( أ ) « المزرجن » ، ولا معنى له هنا .

(٥) المِعْرَض بتشديد الراء الذى ثبت شعر عارضيه . كما يقال عذّر الغلام بتشديد التال  
إذا ثبت شعر عذاره .

(٦) وبالكاس متعلق بقوله قبل : « لاه » .

(٧) كذا فى ( ب ) . والذى فى ( أ ) : « مقدار » مكان « بعد أن » ؛ وهو تحريف .



النَّوَاصِيَ حَتَّى تَمُنَّ<sup>(١)</sup> وَتُرْسِلَ ، وَمَا طَالَبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَزَاحَ عِلَّتَكَ ، وَلَا عَاقِبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَنْذَرَكَ وَأَنْظَرَكَ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تُطَالِبُ أَنْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ مِنْ خَدَمِكَ وَحَشَمِكَ ، وَأَوْلِيَائِكَ وَأَعْدَائِكَ ، وَهَذَا الَّذِي أَغْذَلُكَ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي بِهِ تَعْذُلُ غَيْرَكَ وَتَرَاهُ ضَالًّا فِي مَسَلِكِهِ ، مَتَعَرِّضًا لِمَهْلِكِهِ .

فَقَالَ : أَيُظْلِمُنِي وَلِيٌّ نِعْمَتِي صُرَاحًا بِلَا ذَنْبٍ ، وَيَجْتَبِأُنِي<sup>(٢)</sup> بِلَا جَرِيْمَةٍ ، وَيُثْلِمُ دَوْلَتَهُ بِلَا حُجَّةٍ ؟

قُلْتُ : اللَّهُ يَقِيكَ وَيَكْفِيكَ ، نَرَاكَ بِلَا ذَنْبٍ ، وَنَجِدُكَ بَرِيًّا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَغَيْرُكَ لَا يَرَاكَ بِهَذِهِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَتَحَكَّمُ لَكَ بِهَذَا الْحُكْمِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى فُرْصَةً فَانْتَهِزْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ تَخْلُمُ بَقِصَةً<sup>(٣)</sup> فَاحْتَرِزْ مِنْهَا ؛ فَأَبْوَابُ النِّجَاحِ مُفْتَتِحَةٌ ، وَطُرُقُ الْأَمَانِ مُتَوَجِّهَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْتِيَاظِ وَاجِبٌ ، قَدْ قَرُبَ الشَّائِخُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَالْقِيَامَةُ قَدْ قَامَتْ بِالْإِرْجَافِ ، وَالطَّيْرَةُ قُشْعَرِيرَةُ النَّفْسِ ، كَمَا أَنَّ الْقَشْعَرِيرَةَ طَيْرَةُ الْبَدَنِ ، وَالْأَسْتِرْسَالُ كَلَالُ الْحَسَنِ ، وَالْقَالَ لِسَانُ الزَّمَانِ ، وَعُنْوَانُ الْحَدِثَانِ ، وَلَا يَقَعُ فِي الْأَفْوَاهِ إِلَّا مَا يُوجِبُ الْحَذَرَ ، وَيَبْعَثُ عَلَى الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَاسْتِقْرَاءِ الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ .

قَالَ : أَمَّا أَنَا بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ اسْتَظْهَرْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ نَيْسَابُورٍ ، وَبَفَخْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِهِمَاذَانِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبِعِزِّ الدَّوْلَةِ

(١) فِي (١) : « تَمَلَّ وَتَرَسَّدَ » . وَفِي (ب) : « تَعَدَّ » مَكَانَ « تَمَلَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا . وَتَمُنَّ وَتُرْسِلُ ، أَيْ تَمُنُّ بِالْفِعْلِ عَنْ أَسَاءٍ ، وَتُرْسِلُ مِنْ أَمْسَكْتَهُ ، أَيْ تَطْلُقُهُ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « يَجْبِينَا » .

(٣) فِي (١) : « بَعْضُ » بِالْعَيْنِ وَالضَّادِ . وَفِي (ب) : « بَقِصَةٌ » بِالْقَافِ وَالضَّادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .



وهو بمدينة السلام ؛ ومتى حَرَبَ حَارِبٌ ، ورَّابَ رَائِبٌ ، أَوَيْتُ إلى واحدٍ من هؤلاء .

قال : قلتُ : ها هنا ما هو أسهلُّ مِنْ هذا وإن كان أهولَ ، وأنجى وإن كان أشجى ، وأقرب وإن كان أعزب .

قال : ما هو ؟ فرج عني وأهديني .

قلتُ : لتأيدخلُ هذا الوارد [ الدار ] ، ويدنو من طرف البساط ، تُنْذِرُ رأسه عن كاهله ، وتُلْقِي شِلْوَه في مزبلة ، فإن الهيبة تقع ، والنائرة تخبو ، والعجب يغمُر ، والظنة تزول ، والصدر يشتت ، والأعتذار ينتفي ؛ ويكتب إلى مؤفده بأن الرأي أوجب هذا الفعل ، لأنه غلب على الظن أنه وافي لكَيْدِ يُوَصِّلُهُ إِلَى ، وبلاء يُفْرِغُهُ عَلَى ، فأزلتُ هذا الظن باليقين ، ودفعتُ الشبهة بالجلاء ، واستخلصتُ النور من الظلام ؛ ولأن تبعد ساقطاً مِنْ خَدَمِكَ ، يسوء ظني به مِنْ جِهَتِكَ ، ويقدح في طاعتي لك ، [ ويضرم في نار التهمة بيني وبينك ؛ خير لي في نصيحتي لدولتك ، وخير لك ] في بقائي<sup>(١)</sup> على أمرك ونهيك ، مِنْ أن يلتأت ضميري في سياسة دولتك ، وتحول نيّتي<sup>(٢)</sup> عما عاهدت من القيام بحق جُندِكَ ورعيّتك ، وحفظ قاصيتِكَ ودانيتِكَ .

فقال : هذا أعظم ، والله المستعان .

وليتني أصبت بهذا الرأي<sup>(٣)</sup> أمراً علا عقله ، فيقبله ببيان ، أو يرده

(١) كذا في (ب) . والذي في (١) : « ثنائ » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين : « بيني » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين هكذا « وليتني أصبت من أمر بهذا الرأي على

عقله » ؛ وفيها تهديم وتأخير وتحريف إذ لا معنى لها على هذا الوجه ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

بِرْهَان ، فَكَانَ يَقْوَى أَوْ يَضْعُف ، وَيُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَوْ يُخَجِّمُ عَنْهُ ، فَإِنَّ الْمُبْرَمَ أَقْوَى مِنَ السَّحِيلِ ، وَالسَّيِّئَ أَحْمَدُ مِنَ النَّعِيلِ ؛ ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ .  
وَكَانَ مَشَافِخُ الْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ يَرَوْنَ مَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْفَتَى أَمْرًا فَرِيًّا ،  
وظُلْمًا غَبَقَرِيًّا .

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِذَلِكَ أَمْرٌ ، وَلَا سَبَقَ بِهِ إِذْنٌ ، وَلَكِنْ  
لَمَّا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ ، وَقَعَ عَنْهُ إِسْكَ ، وَسُتِرَتْ الْكَرَاهِيَّةُ وَالْإِنْكَارُ .

\*\*\*

وَالْأُمُورُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ، وَهَوَادٍ وَأَمْجَازٌ ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ ؛  
وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ النِّجَاحَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّزَ  
فِي الْمَبَادِي ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ      وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ  
وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا لُمْتُ نَفْسِي عَلَى  
فَوْتِ أَمْرٍ بَدَأْتُهُ بِحَزْمٍ ، وَلَا تَحَمُّدَتُهَا عَلَى دَرَكِ أَمْرٍ بَدَأْتُهُ بِعَجْزٍ .

هَاهُنَا نَاسٌ إِذَا تَلَاقَوْا يَنْفُثُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَا هُوَ صَرِيحٌ وَكِفَايَةٌ ،  
وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ يَوْسُفَ ، وَيَسْتَعْلِي <sup>(١)</sup> الْحَبِيثُ مِنَ الْجَالِسِ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ  
مَكَانِ الرَّوَايَا .

<sup>(٢)</sup> وَلَيْسَ يَصِحُّ كُلُّ مَا يُقَالُ فَيُرَوَّى عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ يَخْفَى أَيْضًا كُلُّ  
مَا يَجْرِي فَيُمْسِكُ عَنْهُ ؛ وَالْأُمُورُ مَرَجَةٌ ، وَالْبَصْدُورُ حَرَجَةٌ ، وَالْأَحْتِرَاسُ

(١) عبارة (١) : « وَمسلم الحبيث من الجالسين فوق مشرعة » ؛ وفيها تحريف ظاهر  
وفي (ب) : « الحبيب » مكان « الحبيث » ؛ وهو تصحيف أيضا . ويريد بالحبيث ابن يوسف .  
(٢) ورد في (١) قبل قوله : « وليس يصح » قوله : « فصل » .

واجب ، والنصحُ مقبول ، والرأى مُشترك ، والنقّةُ بالله من اللوازمِ على مَنْ عَرَفَهُ وآمَنَ بِهِ ، وليس مِنْ الله عزَّ وجلَّ بُدٌّ على كلِّ حال .

واللهُ أسألُ الدِّفاعَ عنكَ ، والوقايةَ لك ، في مُصْنَبِكَ ومُمسَاكِ ، وفي مِيزَانِكَ ومَقِيلِكَ ، وشهادَتِكَ وَغَيْبَتِكَ ، ولذوي مليح<sup>(١)</sup> في هذا الباب نَفْخٌ وإيقاد ، وتناقلٌ وأثيار<sup>(٢)</sup> ، ومَسْئَلَةٌ وجواب .

وعند الشيخ أبي الوفاء مِنْ هذا الحديث ومن غيره مما يتصل به من ناحية ابنِ اليزيدي ما يجب أن يُصاحَ له بالأذنِ الواعية ، ويُقابَل بالنفسِ الراعية ، ويُداوَى بالدواءِ الناجع ، وتُخَسِّمَ مادَّته من الأصل ، فإنَّ الفسادَ إذا زال حَصَلَ مكانه الصلاح . وليس بَعْدَ المَرَضِ إلَّا الإِفْراق ، ولا بعدَ النَّزْعِ إلَّا الإِغراق .

إلى هاهنا انتهى نَفْسِي بالنُّصح وإن كانت شَفَقَتِي<sup>(٣)</sup> تتجاوزُهُ ، وحِرْصِي يَسْتَبْغِي عليه ، لكفى خادِم ، وكما يجب على أن أُخْدَمَ بِذِيَّاتِ<sup>(٤)</sup> الصدر ، فينبغي أن أُلْزَمَ الحَدِّ بِحُسْنِ الأدب .

والله إني لَوَادٌّ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ طَائِعٌ ، وَرَجَائِي اليومَ أَقْوَى من رَجَائِي أَمْسَ ، وَأَمَلِي غَدًا أَبْسَطُ<sup>(٥)</sup> من أَمَلِي اليومَ ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ الأَرْقَ بِاللَّيْلِ فِكْرًا فيما يقال ، وَتَحَفُّظًا<sup>(٦)</sup> بما يُنَال ، وتَوَهُّمًا لِمَا لا يكون [ إن كان ] ، وشرًّا العِدَا ، الذين يَتَمَنُّونَ لِأُولَى نِعْمَتِهِم الرَّدَى ، وَيَبْتَغُونَ النُّكَاثَ<sup>(٧)</sup> ،

(١) كذا وردت هذه العبارة في (ب) ولم تتبين من هم ذوو مليح .

(٢) في كلتا النسختين : « وتناقل وأثمار » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في كلتا النسختين : « شفتي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (أ) : « تبيان » . وفي (ب) : « بئيات » ، وهو تصحيف .

(٥) في (ب) : « أنشط » . (٦) في (ب) : « وغيظا » .

(٧) في (ب) : « البيايت » ، وهو تحريف .



وَيَكْسِرُونَ الْأَجْفَانِ<sup>(١)</sup>، وَيَتَخَازِرُونَ بِالْأَعْيُنِ، وَيَتَجَاهَرُونَ بِالْأَذْيِ إِذَا تَلَاقَوْا، وَيَتَهَامَسُونَ بِاللُّسُنِ إِذَا تَدَانَوْا، وَاللَّهُ يَضْرَعُ جُدُودَهُمْ، وَيُضْرِعُ خُدُودَهُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ وَهَذِهِ الرُّقَّةُ مَتْنِي وَالْحَقَاوَةُ، وَهَذِهِ الرُّعْشَةُ وَالْقَلَقُ، وَهَذَا التَّقْبَعُ وَالتَّفْرُوعُ كُلُّهُ، لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ، وَلَا شَاهِدْتُ شَيْئَكَ، كَرَّمَ خَيْمَ، وَلَيْنَ عَرِيكَ، وَجُودَ بَنَانٍ، وَحُضُورَ بَشَرٍ، وَتَهْلُلَ وَجْهٍ، وَحُسْنَ وَغَدٍ، وَقَرَبَ إِنْجَازٍ، وَبَذَلَ مَالٍ، وَحُبَّ حِكْمَةٍ<sup>(٢)</sup>.

قَدْ شَاهَدْتُ نَاسًا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَوْسَاطًا، فَمَا شَاهَدْتُ مَنْ يَدِينُ بِالْمَجْدِ، وَيَتَحَلَّى<sup>(٣)</sup> بِالْجُودِ، وَيَرْتَدِي بِالْعَفْوِ، وَيَتَأَزَّرُ<sup>(٤)</sup> بِالْحِلْمِ؛ وَيُمِطِي بِالْجَزَافِ، وَيَفْرَحُ بِالْأُضْيَافِ، وَيَصِلُ الْإِسْعَافَ بِالْإِسْعَافِ، وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ، غَيْرَكَ.

وَاللَّهُ إِنَّكَ لَنَهَبُ الدَّرْهِمِ وَالْدَيْنَارِ وَكَأَنَّكَ غَضَبَانُ عَلَيْهِمَا، وَتُطْعِمُ الصَّادِرَ وَالْوَارِدَ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَسْتَخْلَفَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا؛ ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إِلَى الثِّيَابِ الْعَزِيزَةِ، وَالْخَلْعِ النَفِيسَةِ، وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ، وَالْمَرَآكِبِ الثَّقَالِ، وَالْعِلْمَانِ وَالْجَوَارِي، حَتَّى الْكُتُبِ وَالِدَفَاتِرِ وَمَا يَضُنُّ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ؛ وَمَا هَذَا مِنْ سَجَايَا الْبَشَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ هَذَا نَبِيًّا صَادِقًا، وَوَلِيًّا لِلَّهِ مُجْتَبَى، [فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَّنَ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْفَقْرِ، وَرَفَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عِزَّ الْمَالِ]، وَهُوَ نَ عَلَيْهِمَ

(١) فِي (١): «الْأُظْفَارِ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) كَذَا فِي (ب). وَالَّذِي فِي (١): «وَبَذَلَ مَا أَوْجَبَ حِكْمَةً»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا لَا يَنْغْنَى.

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ: «وَيَنْتَحِلُ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ سَوَاءٌ مَا أَثْبَتْنَا، إِذْ لَيْسَ الْإِتْحَالُ الْجُودَ مَا يَمْدَحُ بِهِ.

(٤) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ: «وَيَبَارِزُ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

الإفراج عن كلِّ مُنْفِسٍ<sup>(١)</sup> ، يا قوتاً كان أو دُرّاً ، ذهباً كان أو فِضَّةً ؛ كفاك الله عَيْنَ الحاسِدين ، وَوَقَاكَ كَيْدَ المُفْسِدين ، الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْسِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهاد ، وَكَانُوا كَحَصَى لِحْجَتِهِمْ كَالْأَطْوَاد ؛ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِأَيْدِيكَ ، وَيَوَالُونَ أَعَادِيكَ ، وَيَتَجَمَّنُونَ لَكَ مَا أَرْجُو أَنْ اللَّهُ يَتَّعِيبَهُ بِرُءُوسِهِمْ ، وَيُنْزِلُهُ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ ، وَيُذِيقُهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُ بِهِمْ ، كَانَ اللَّهُ لَكَ وَمَعَكَ ، وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ .

أُطْلِتُ الْحَدِيثَ تِلْكَذَا بِمَوَاجِهَتِكَ ، وَوَصَلَّتْهُ خِدْمَةٌ لِدَوْلَتِكَ ، وَكَرَّرْتُهُ تَوْقِعاً لِحُسْنِ مَوْقِعِهِ عِنْدَكَ ، وَأَعَدْتُهُ وَأَبْدَيْتُهُ طَلَباً لِلْمَكَانَةِ فِي نَفْسِكَ .

وَأَرْجُو أَنْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا أُحْرِمَ هَبَّةً مِنْ رِيحِكَ ، وَنَسِيماً مِنْ سَعَرِكَ ، وَخَيْرَةً مِنْ نَظَرِكَ . لَمْ أَوْفُقْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْأَخِيرَةِ ، وَاللَّهُ مَا يَمُرُّ بِي يَأْسٌ مِنْ إِنْعَامِكَ فَأَقْوِيهِ بِالرَّجَاءِ ، وَلَا يَغْتَرِبْنِي وَنَمٌّ فِي الْخَيْبَةِ لَدَيْكَ فَأَتَلَفَاهُ بِالْأَمَلِ . إِنَّمَا قُصَارَى أُمْنِيَّتِي إِذَا حُكِّمْتُ أَنْ أُعْطَى فِيكَ سُؤْلِي بِالْبَقَاءِ الْمَدِيدِ ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَالْعَدْوِ الصَّرِيعِ ، وَالْوَلِيِّ الرَّفِيعِ ، وَالْعُدُولَةِ الْمُسْتَنْتَبَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْمُسْتَحْتَبَةِ ، وَالْأَمَالِ الْمَبْلُوغَةِ ، وَالْأَمَانِيِّ الْمَذْرُوكَةِ ، مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ النَّافِذَيْنِ ، بَيْنَ أَهْلِ الْخَافِقَيْنِ ؛ وَاللَّهُ يُبْلَغُنِي ذَلِكَ بِطَوْلِهِ وَمَنَّةِ .

وَأَخِيرُ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْوَزِيرُ : مَرُّ بِالصَّدَقَاتِ ، فَإِنَّهَا مَجْلَبَةُ السَّلَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ، مَدْفَعَةٌ لِلْمَكَارِهِ وَالْآفَاتِ ؛ وَاهْتِجِرِ الشَّرَابَ ، وَأَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُنْصَحِّفِ ، وَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْتِخَارَةِ ، وَإِلَى الثُّقَاتِ بِالْأَسْتِشَارَةِ ؛ وَلَا تَبْخَلْ عَلَى نَفْسِكَ بِرَأْيٍ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كَانَ خَامِلاً فِي نَفْسِكَ ، قَلِيلاً فِي عَيْنِكَ ،

(١) كَذَا فِي (١) . وَالنَّيْ فِي (ب) : « مفسر » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْكَلَامُ إِلَّا فِي بَدَلِ .



فَإِنَّ الرَّأْيَ كَالذَّرَّةِ الَّتِي رُبَّمَا<sup>(١)</sup> وَجِدْتَ فِي الطَّرِيقِ وَفِي الْمَزَبَلَةِ ، وَقَلَّ مَنْ  
فَرَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَإِلَى الصَّدِيقِ بِالْإِسْعَادِ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ  
النَّجَاحَ فِي مَسْئَلَتِهِ ، وَالْقَضَاءَ لِحَاجَتِهِ ؛ وَالسَّلَامَ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ بَعْدَ مَا قَرَأَ الرِّسَالَةَ : يَا أَبَا مَرْيَدَ<sup>(٣)</sup> ، بَيَّضْتُهَا ، وَعَجِبْتُ  
مِنْ تَشْقِيقِ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَمِنْ لُطْفِ<sup>(٤)</sup> إِرَادِكَ لَهَا ، وَمِنْ بِلَّةِ رِيَّتِكَ بِهَا .  
وَاللَّهُ يُحَقِّقُ مَا نَأْمُلُهُ لَهُ ، وَنَرْجُوهُ لَأَنْفُسِنَا ، وَيَنْحَسِرُ عَنَّا هَذَا الضُّبَابُ  
الَّذِي رَكَدَ هَلَيْنَا ، وَيَزُولُ الْقَيْمُ الَّذِي اسْتَعْرَضَ فِي أَمْرِنَا ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكُّلُنَا ،  
(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

رِسَالَةٌ فِي شَكْوَى الْبُؤْسِ وَرَجَاءِ الْمَعُونَةِ وَجَهَ بِهَا الْمُؤَلِّفُ إِلَى  
الشَّيْخِ أَبِي الْوَفَاءِ الْمُهَنْدِسِ الَّذِي كَتَبَ لَهُ الْمُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابَ .  
وَخَتَمَ كِتَابَهُ بِهَا :

أَيُّهَا الشَّيْخُ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ بِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَحَقَّقَكَ لَكَ وَفِيكَ وَبِكَ  
غَايَةَ الْمَأْمُولِ .

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَتَمْتُهُ بِالرِّسَالَتَيْنِ ، وَيَنْقَرُّ جَمِيعُ مَا جَرَى  
وَدَارَ<sup>(٥)</sup> عَلَى وَجْهِهِ ، إِلَّا مَا لَمَسْتُ بِهِ شَعْنًا ، وَزَيَّنْتُ<sup>(٦)</sup> بِهِ لَفْظًا ، وَزَيَّدْتُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «لَعَنَّا» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ  
يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «بِالإِسْعَادِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
وَالسِّيَاقُ الْكَلَامُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «يَا أَبَا فَرِيدَ» .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «لُطْفَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَدَانَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَرَبَّيْتُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



مَنْقُوصًا ، ولم أَظْلِمْ معنَى بالتَّحْرِيفِ ، ولا مِلْتُ فيه إلى التَّخْوِيرِ<sup>(١)</sup> ؛ وأرجو  
 أن يبيِّنَ وَجْهِي عِنْدَكَ بِالرُّضَا عَنِّي ، فقد كَادَ وَعْدُكَ فِي عَنَائِكَ<sup>(٢)</sup> يَأْتِي  
 عَلَيَّ ، وأنا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عِنَايَتَكَ عَلَيَّ ، كسابقِ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي ،<sup>(٣)</sup> حَتَّى  
 أُمْلِكَ بِهِمَا<sup>(٤)</sup> ما وَعَدْتَنِيهِ مِنْ تَكْرِيمَةِ هَذَا الْوَزِيرِ الَّذِي قَدْ أَشْبَعَ كُلَّ جَائِعٍ ،  
 وَكَسَا كُلَّ عَارٍ ، وَتَأَلَّفَ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مُسِيءٍ<sup>(٥)</sup> ، وَنَوَّهَ بِكُلِّ  
 خَامِلٍ ، وَتَفَقَّ<sup>(٦)</sup> كُلَّ هَزِيلٍ ، وَأَعَزَّ كُلَّ ذَائِلٍ ؛ ولم يَبْقَ فِي هَذِهِ الْجُمَاعَةِ  
 حُلٌّ قَرِيهِ وَبُؤْسِيهِ ، وَمُرَّةٌ وَيَاسِيهِ ، غَيْرِي ؛ مع خِدْمَتِي السَّالِفَةِ وَالْآفَةِ ،  
 وَبَذْلِي كُلِّ تَجَاهُدٍ ، وَنَسْخِي كُلِّ عَرِيصٍ ، وَرِقَايِي بِكُلِّ صَغَبٍ ؛ وَالْأُمُورُ  
 مَقْدَرَةٌ ، وَالْحُظُوظُ أَقْسَامٌ ، وَالْكَذْحُ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ مَا فِي اللَّوْحِ .

## فصل

خَلَّصَنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ<sup>(٧)</sup> مِنَ التَّكَلُّفِ ، أَنْقِذْنِي مِنْ لُئْسِ الْفَقْرِ ، أَطْلِقْنِي  
 مِنْ قَيْدِ الْفُرِّ ، اشْتَرِنِي بِالْإِحْسَانِ ، اِعْتَبِدْنِي بِالشُّكْرِ ، اِسْتَفِيلْ لِسَانِي  
 بِفُنُونِ الْمَدْحِ ، اِكْفِنِي مُؤُونَةَ الْقَدَاءِ وَالْعِشَاءِ .

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « التجويز » — بالجيم والزاي ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « غنائك » ؛ وهو تحريف سواه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٣) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « بأمر يرجى » ولا معنى لها على هذا الوجه ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما يقتضيه السياق .

(٤) بهما ، أي بالعناية والأهتمام .

(٥) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « شيء » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « وفقق » ؛ وهو تحريف .

(٧) يريد بالرجل أبا الوفاء وهو الذي قربته إلى الوزير .

إلى متى الكُسْبَرَةُ اليابسة ، والبَقِيلَةُ الذَّائِبَةُ ، والقَمِيمُ الرُّقْعُ ، وبارئى  
دَرْبِ الحَاجِبِ ، وسَدَابُ دَرْبِ الرُّوَاسِيْنَ ؟

إلى متى التَّأْدُمُ بالخُبْرِ والزَّيْتُونِ ؟ قد والله بِحِجِّ الخَلْقِ ، وتَغْيِيرِ الخُلُقِ ؛  
اللهُ اللهُ فى أَمْرِى ؛ اجْبُرْنِى فَإِنِّى مَكْسُورٌ ، اسْقِنِى فَإِنِّى صَدِيدٌ ، أَغْنِنِى فَإِنِّى  
مَلْهُوفٌ ، شَهِّرْنِى فَإِنِّى غُلٌّ ، جَلِّئِى فَإِنِّى عَاطِلٌ .

قد أَذَلَّنِى السَّفَرُ من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ ، وَخَذَلَّنِى الوُقُوفُ على بَابِ بَابٍ ،  
وَنَكَّرَنِى العَارِفُ بى ، وتَبَاعَدَ عَنِ القَرِيبِ مِنِّى .

أَغْرَكَ مِسْكُونُهُ حِينَ قَالَ لَكَ : قد لَتَيْتُ أَبَا حَيَّانٍ ، وقد أَخْرَجْتُهُ مع  
صَاحِبِ البَرِيدِ إلى قَرْمِيسِينَ ؟ !

واللهِ ثُمَّ وَحْيَاتِكَ الَّتِى هِىَ حَيَاتِى ، مَا انْقَلَبْتُ من ذَلِكَ بِنَفَقَةٍ شَهْرٍ ، واللهُ  
نَظَرَ لى بِالْعَوْدِ ، فَإِنَّ الأَرَاجِيفَ انْصَلَّتْ ، والأَرْضَ اقْشَعَرَّتْ ، والنَّفُوسَ  
أَسْتَوْحَشَتْ ، وَتَشَبَّهَ كُلُّ ثَعْلَبٍ بِأَسَدٍ ، وَفَتَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لَعْدُوهُ حَبْلًا  
مِنْ مَسَدٍ .

أَيُّهَا الكَرِيمُ ، ارْحَمْ ؛ واللهِ مَا يَكْفِينِى مَا يَصِلُ إِلَىَّ فى كُلِّ شَهْرٍ مِنْ  
هَذَا الرِّزْقِ المَقْتَرِ الَّذِى يَرْجِعُ بَعْدَ التَّبْتِيرِ والتَّيْسِيرِ إلى أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا مع هَذِهِ  
لِلثَوْنَةِ الْخَلِيفَةِ ، والسَّفَرِ الشَّاقِّ<sup>(١)</sup> ، والأَبْوَابِ الْمُحْجَبَةِ ، والوُجُوهِ الْمُقَطَّبَةِ ،  
وَالْأَيْدِى الْمُسَمَّرَةِ ، والنَّفُوسِ الضَّيِّقَةِ ، والأَخْلَاقِ الدَّائِنَةِ .

أَيُّهَا السَّيِّدُ ، أَقْصِرْ تَأْمِيلِى ، ارْزَعْ ذِمَامَ اللِّحْ بِينِى وَبَيْنَكَ ، وتَذَكَّرْ

(١) وردت هذه العبارة فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « والسمر  
الشارى » ؛ وهو تحريف سواه ما أثبتنا أخذنا من سياق الكلام .

العهد في صُحْبَتِي ، طَالِبُ نَفْسِكَ بِمَا يَقْطَعُ حُجَّتِي ، دَغْنِي مِنَ التَّعْلِيلِ الَّذِي  
لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَالتَّسْوِيفِ الَّذِي لَا آخَرَ مَعَهُ .

ذَكَرَ الْوَزِيرَ أَمْرِي ، وَكَرَّزَ عَلَى أُذُنِهِ ذِكْرِي ، وَأَمَّلَ عَلَيْهِ سُورَةَ مِنْ  
شُكْرِي ، وَأَبَقْتُهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى .

إِفْتَحَ عَلَيْهِ بَابًا يُفْرِي<sup>(١)</sup> الرَّاغِبَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ لَا يَسْتَغْنِي عَنِ  
الْمَرْغَبِ ، وَالْفَاعِلُ لِلتَّخِيرِ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ .

أَنْفَقَ جَاهَكَ فَإِنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَرِيضٌ ، وَإِذَا جُدْتَ بِالْمَالِ فَجُدْ أَيْضًا  
بِالْجَاهِ ، فَإِنَّهُمَا أَخَوَانُ .

سَرَّخَنِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَانِحِ أَوْ<sup>(٢)</sup> إِلَى أَبِي السُّؤْلِ الْكَرْدِيِّ<sup>(٣)</sup>  
أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ فِي الْجِبَالِ ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤْهِلْنِي بِرِسَالَةٍ إِلَى سَعْدِ الْمَالِمِيِّ  
بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ ، فَإِنِّي أَبْلُغُ فِي تَحْمُلِ مَا أَتَّحِلُ ، وَأُدَاءِ  
مَا أُوَدِّي ؛ وَتَزْيِينِ مَا أُزَيِّنُ ، حَدًّا<sup>(٤)</sup> أُمْلِكُ بِهِ الْحَمْدَ ، وَأَعْرِفُ فِيهِ بِالنَّصِيحَةِ  
وَأُسْتَوْفِي فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ . دَعِ هَذَا ، وَدَعِ لِي أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ رَأْسَ  
مَالٍ ، وَأُشَارِكُ بِقَالَ الْمَحَلَّةِ فِي دَرْبِ الْحَاجِبِ ، وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَا ، تَقَدَّمْ إِلَى  
كَسَجِ<sup>(٥)</sup> الْبَقَالِ حَتَّى يَسْتَعِينَ بِي لِأَيْبِصِ الدَّفَاقِرِ . قُلْتَ : الْوَزِيرُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « يَنْفَى » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ  
صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « لَوَالِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) وَلَمْ  
يَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « جَدَا » بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ بِالْكَافِ وَالسِّينِ وَالْجِيمِ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا  
الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ تَنْفِ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .



مَشْغُولٌ . فما أَصْنَعُ به إذا فَرَغَ ، فالشاعرُ يقول :

« تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ »

قد والله نَسِيتُ صَدْرَ هذا البيت ، وما بال<sup>(١)</sup> غَيْرِي يُنَوِّله وَيُمَوِّله مع شُغْلِهِ<sup>(٢)</sup> وأَحْرَمَ أَنَا ؟ أَنَا كما قال الشاعر :

وَبَرَقَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ  
والله إِنْ الْوَزِيرَ مع أَشْغَالِهِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَأَثْقَالِهِ الْبَاهِظَةِ ، وَفِكْرِهِ الْمَفْضُوزِ<sup>(٣)</sup>  
وَرَأْيِهِ الْمَشْتَرَكِ ، لِكَرِيمٍ مَاجِدٍ ، وَمُفْضِلٍ مُحْسِنٍ ، يَرْعَى الْقَلِيلَ مِنَ الْحُرْمَةِ ،  
وَيُمِطُّ الْجَزِيلَ مِنَ النُّعْمَةِ ، وَيُحَافِظُ عَلَى الْيَسِيرِ مِنَ الدِّمَامِ ، وَيَقْبَلُ مَذَاهِبَ  
الْكَرَامِ ، وَيَقْلُدُّ بِأَشْنَاءِ إِذَا سَمِعَ ، وَيَتَمَرَّضُ لِلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُتَّبِيعٍ ،  
وَيَزْرَعُ الْخَيْرَ ، رِيْعَصْدُ الْأَجْرِ ، وَيَوَاطِبُ عَلَى كَسْبِ الْمَجْدِ ، وَيَثَابِرُ عَلَى  
أَجْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَيَتَخَدَّعُ لِلْسَائِلِ ، وَيَتَهَلَّلُ فِي وَجْهِ الْأَمِلِ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ  
الْفَضَائِلِ إِلَّا فِي ذُرَاهَا ، رَحِيمٌ بِكُلِّ غَادٍ وَرَاحٍ ، وَلِكُلِّ صَالِحٍ وَطَالِحٍ .

وَأَنَا الْجَارُ الْقَدِيمُ ، وَالْعَبْدُ الشَّاكِرُ ، وَالصَّاحِبُ الْمَخْبُورُ ، وَلَكِنَّكَ مُقْبِلٌ  
كَالْمُفْرِضِ ، وَمُقَدَّمٌ كَالْمُؤَخَّرِ<sup>(٤)</sup> ، وَمُوقِدٌ كَالْمُخْمِدِ ، تُدْنِينِي إِلَى حَفْطِي  
بِشِمَالِكَ ، وَتَجْذِبُنِي عَنْ نَيْلِهِ بِيَمِينِكَ ، وَتُغَذِّبُنِي بِوَعْدِكَ كَالْعَسَلِ ، وَتُعَشِّبُنِي

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « وما نال

غيري سؤال وتحول مع شغله وآخر من أنا » ؛ وفيها تحريف ظاهر لا يستقيم به للعنى .

(٢) ينوِّله ويموِّله ، أى ينوله الوزير ويموِّله . مع شغله ، أى مع شغل الوزير .

(٣) المفضوز ، أى المتفرق غير المجتمع .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ومؤخر كالقدم » ؛ وفي

كلتا الكلمتين تديم وتأخير من الناسخ ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

بَيَّاسُ كَالْحَنْظَلِ ، « وَمَنْ <sup>(١)</sup> كَانَ عَتَبَهُ عَلَى مَظَنَّةٍ عَيْبِكَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَقْصِيرُهُ عَلَى نَيْقَتِهِ <sup>(٢)</sup> بِنَصْرِكَ » .

نعم ؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَعَرَفْتُ الْبَرَاءَةَ فَهَلَّا نَفَعْتَ ؟ وَاللَّهِ مَا أَدْرَى مَا أَقُولُ ، إِنَّ شُكْرُكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيحِ لَدَعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمِ ، وَإِنْ حَمِدْتُكَ عَلَى أَوْلَئِكَ الْجَمِيلِ ، أَفْسَدْتُ لَأَخْرُكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ .

قَدْ أَطَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا شُفِيتُ ، وَنَهَيْتُ وَعَلَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا رَوَيْتُ .  
وَأَخِرُ مَا أَقُولُ : إِفْعَلْ مَا تَرَى ، وَأَصْنَعْ مَا تَسْتَحْسِنُ ، وَأَبْلُغْ مَا تَهْوَى ،  
فَلَيْسَ وَاللَّهِ مِنْكَ بَدٌّ ، وَلَا عَنْكَ غِنَى .

وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ أَهْرَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مَقْرُونٌ  
بِالْيَاسِ ، وَالصَّبْرَ عَلَيْكَ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا الْوَسْوَاسِ ، وَالسَّلَامُ  
لِأَهْلِ السَّلَامِ .

### صورة ما كتبه الناسخ في آخر النسخة المرموز إليها بحرف (ا)

تم الجزء الثالث من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بحول الله وحسن توفيقه ،  
في شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على يد أضعف العباد شرف بن أميرة ،  
أصلح الله شأنه ، في مصر المحروسة ، حماها الله تعالى من الآفات والمآهات ،  
ومن عوادي الزمان . آمين يا رب العالمين .

### تم الكتاب

(١) كذا ورد هذا الكلام في الأصل . وفيه تحريف ظاهر لم نهند إلى وجه الصواب فيه .

(٢) على نيقته ، أى مع نيقته . « ويكون » هنا تامة .

## فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

- |                                 |                               |
|---------------------------------|-------------------------------|
| ابن حجاج الشاعر — ١٥٣ ح         | الأمدي — ٢٧                   |
| ابن حذقيار — ١٤٨ ح              | إبراهيم بن الجنيد — ٤         |
| ابن حرفبار = أبو محمد           | إبراهيم (الحنبل) — ٨٧، ٣      |
| ابن حسان القاضي — ١٥٧، ١٥٤      | الأبرش الكلبي — ١٧٤، ١٧٣      |
| ابن حفص (صاحب الديوان) — ٢١٣    | ابن أبي البغل — ٤٧            |
| ابن درستويه — ٢١٣               | ابن أبي بكرة — ٥              |
| ابن الدقاق — ١٦١                | ابن أبي عمرة الصرابي — ٧٦ ح   |
| ابن دينار — ٤٧                  | ابن الأمير — ٧٢ ح             |
| ابن رباط الكوفي شيخ الكرخ ونائب | ابن أحمد — ٢٠٦                |
| الشيعة — ١٩٧، ١٥٣               | ابن الأخشاد — ١٩٦             |
| ابن الزبير — ١٨٢                | ابن آدم — ٢٨                  |
| ابن زرعة النصراني = أبو علي     | ابن آدم التاجر — ١٥٣          |
| ابن زياد = عبيد الله            | ابن أسادة — ٢٨                |
| ابن السراج — ٢١٦                | ابن الأعرابي — ٤٨، ٣٠، ٢٦، ١٤ |
| ابن سكرة — ٧٧                   | ٨١، ٧٣، ٥٤                    |
| ابن السكيت = يعقوب              | ابن أيوب القطان — ١٥٣         |
| ابن سلام — ٢٩                   | ابن بدر — ٤١                  |
| ابن السكك — ١٥٨                 | ابن برمويه — ١٩٨              |
| ابن سمعون — ١٤٧                 | ابن البقال — ٢١٣، ١٩٥، ١٩٠    |
| ابن سورين — ٢١٣، ٢١٢            | ابن التلاج — ١٩٦              |
| ابن سيابة القاضي = أبو بكر      | ابن جبلة — ١٩٨                |
| ابن سيرين — ٣                   | ابن الجصاص الصوفي — ٧٧        |
| ابن شاهويه = أبو بكر            | ابن حبيب — ٤١، ٣٥، ٢٧         |
| ابن صيفي — ١٦٥ ح                |                               |
| ابن ضبعون الصوفي — ٧٦           |                               |
| ابن الضحاك بن ليس النهري — ١٦٥  |                               |



أبو أحمد اللوسوى — ١٦١  
 أبو أحمد بن الهيثم — ٢١٣  
 أبو الأرخنة — ١٦٠  
 أبو إسحاق الصائغ — ١٥٩ ، ٢١٣  
 أبو الأسود الدؤلى — ٣٣ ، ١٧٦  
 أبو أمية بن المغيرة — ٥٣  
 أبو أيوب الأنصارى — ١٠  
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى — ١٧٧  
 أبو بكر بن شاهويه — ١٤٨ ، ١٤٩  
 أبو بكر أحمد بن إبراهيم — ٧  
 أبو بكر الرازى — ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨  
 أبو بكر الزهرى — ٢١٧  
 أبو بكر بن سيار القاضى — ١٥٤  
 أبو بكر الصديق — ١٠ ، ١٠٣ ، ١٦٦ ، ١٩٩  
 أبو بكر = عبد الله بن الزبير  
 أبو تمام الزينى — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ٢١٣  
 أبو تمام (الشاعر) — ١٨٥ ، ١٨٦  
 أبو الجراح (ابن عياش) — ٥٢ ، ٥٥ ، ١٧٦  
 أبو جعفر النصور (الخليفة) — ١٥٩ ح ، ١٨٠ ، ١٨١  
 أبو الجوزاء — ٣١  
 أبو حاتم — ٨١  
 أبو الحارث حيد — ٣٩  
 أبو الحارث = الليث بن سعد  
 أبو حازم للدنى — ٦  
 أبو حامد الروروذى القاضى — ٩٠٠ ، ٢١٣ ، ١٨٨  
 أبو حزة = جرير القامر  
 أبو الحسن — ١٥٤  
 أبو الحسن الضرير — ٩٤  
 أبو الحسن الطوسى — ١٢ ، ١٣ ، ١٤  
 أبو الحسن الناصرى — ٩٤

ابن طاهر — ٢٠٧  
 ابن الطحان الضرير البصرى — ١٩٦  
 ابن ظبيان التيمى = عبيد الله زياد بن ظبيان  
 ابن طاهر — ٨٤  
 ابن عباد (المصاحب) — ٧ ، ١٨٤  
 ابن عباس — ٧٦ ، ٧٧  
 ابن عبدل النصورى — ١٠٠  
 ابن عبيد — ٥١  
 ابن عبيد السكاتب — ٧٤  
 ابن عطاء — ١٦٥ ح  
 ابن علقمة — ٥٩ ح  
 ابن عمر — ٥٩ ، ٥  
 ابن عياش (التوفى) — ١٧٢ ، ١٧٦  
 ابن غسان البصرى — ٧٨  
 ابن غسان القاضى — ١٥٣  
 ابن فارس = أبو الفتح  
 ابن قريمة — ٢١٣  
 ابن قرارة المطار — ٧٥  
 ابن القرية — ٤٨  
 ابن كبرويه — ١٦٠  
 ابن كيسان — ٦  
 ابن المبارك — ٤  
 ابن معروف القاضى — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٧  
 ابن مقله = أبو على  
 ابن مكرم — ٦٩ ، ١٥٣  
 ابن نورة — ٧٣  
 ابن هيرة = عمر  
 ابن الهيثم — ١٩٥  
 ابن وصيف — ٢٠٦  
 ابن اليزيدى — ٢٢٢  
 ابن يوسف = عبد العزيز  
 أبو أحمد الجرجانى — ١٥٤

أبو الحسن = علي بن عيسى الرماني  
 أبو الحسن الهيثم — ١٨  
 أبو الحسين البني — ١٠٠  
 أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠  
 أبو حيان — ٢٢٧  
 أبو خالد أزيد — ١٦٦ ح  
 أبو خالد الكاتب = أحمد  
 أبو خالد مروان بن الحكم — (كذا)  
 ١٨٠ ، ١٦٥  
 أبو الخطاب الصابي — ٢١٣  
 أبو خليفة الفضل بن الحباب — ٧  
 أبو الخندف — ١٨٣  
 أبو الخير — ١٠٦  
 أبو دلامة الأسدي — ٢٤  
 أبو الدود — ١٦٠  
 أبو القباب — ١٦٠  
 أبو زكرياء الزاهد — ٩٢  
 أبو زيد (النكوي) — ٣٧ ، ١٨٥  
 أبو زين = بكر بن نطاح  
 أبو سعيد الحضرمي — ١٩٢  
 أبو سعيد الخدري — ٥  
 أبو سعيد الخراز — ٩٧  
 أبو سعيد السيرافي — ٨٣ ، ١٢٩ ، ١٥٤ ،  
 ١٥٨ ، ١٧٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٣  
 أبو سعيد بن العاص — ١٦٦  
 أبو السفر — ١٦٦  
 أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨  
 أبو سليمان النعطق — ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ،  
 ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ،  
 ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،  
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،  
 ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ،  
 ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣  
 ١٩٧

أبو السؤل الكردي — ٢٢٨  
 أبو شاعر بن هشام بن عبد الملك — ١٧٢  
 أبو صالح — ٧٦  
 أبو الصلت — ٦١  
 أبو طغيلة الحرمازي — ٨١  
 أبو الطمغان القيني — ٧٣  
 أبو العباس (صاحب جيش آل سامان) — ٩١  
 أبو العباس البرد — ٥٤ ، ١٧٣ ح ، ١٨٦  
 أبو عبد الله البصري — ٢١٣  
 أبو عبد الله (هشام) — ١٢  
 أبو عبد الله اليزيدي — ٧٥  
 أبو عبد الله الخرق — ٢١٣  
 أبو عبيدة — ١٣ ، ٣٨ ، ٤٨  
 أبو عثمان الأدي — ١٩٦  
 أبو العلاء ساعد — ٢١٣  
 أبو علقمة — ١٨٥  
 أبو علي — ١٢٩  
 أبو علي الحسن بن علي القاضى التنوخى —  
 ١٤٨  
 أبو علي = عيسى بن زرعة  
 أبو علي = عامر بن الطفيل  
 أبو علي القالي (صاحب الأمالي) — ٣٦ ح  
 أبو علي بن مقلة — ٧٥  
 أبو عمر النشاري — ٢٦  
 أبو عمرو — ٣٣ ، ٥٩  
 أبو عمرو بن أمية — ٥٣  
 أبو عيسى الوراق — ١٩٢  
 أبو العيلاء — ٦٩  
 أبو الفتح بن فارس — ٢٠٥ ، ٢٠٦  
 أبو فراس (الفرزدق) — ١٦٨ ، ١٨٥  
 أبو فرعون الشاشي — ٣٤ ، ٧٠  
 أبو فرعون السدي — ٧  
 أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير =  
 العباس بن الحسين الوزير

أحمد بن إبراهيم = أبو بكر  
 أحمد بن أبي خالد الكاتب — ٨٠  
 أحمد بن روح الأهوازي — ٧٧  
 أحمد الطويل — ٢١٣  
 أحمد بن يوسف الكاتب — ٨٠  
 الأحنف بن قيس — ١٧٣ ، ٥٩  
 الأحوص الشاعر — ١٨٤  
 الأخطل الشاعر — ١٨٣  
 أردشير — ٤٠  
 أرسطوطاليس — ١٠٠  
 استاينجاس — ٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ،  
 ١٧٥ ح  
 إسحاق ( النبي ) — ٧٨  
 إسحاق الموصلي — ٨٠ ، ٧٩  
 أسد بن عبد العزيز — ٥٣  
 أسد المحاسبي — ٩٧  
 أسعد بن زرارة — ١٠  
 الإسكندر — ٩٨  
 أسماء بن خارجة — ٢  
 أسماء بنت عميس — ٧٢ ،  
 ١٨٢  
 أسود الزبد — ١٦٠  
 الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزيز  
 ٥٣  
 أسيد = أبو خالد  
 الأصمعي — ١٨ ، ١٦ ، ١٣ ، ٦ ح ،  
 ٨١ ، ٥٨ ، ٤٢ ، ٣٩ ، ٣٨  
 الأعشى — ١١ ، ٤٨ ، ١٧٤  
 الأعمش — ٣  
 أم أيوب — ٩  
 أم البنين — ٦  
 أم الجلال — ١٧٤  
 أم الخندف — ١٨٣  
 أم سلمة — ٧٢ ح

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨  
 أبو القاسم أخو محمد القاضي — ٢١٧  
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف  
 أبو خنافة — ١٦٦  
 أبو القينام — ٦٩  
 أبو الكرشاء — ٣٤  
 أبو كعب الأنصاري — ١٥٤ ، ١٥٦ ،  
 ١٩٦  
 أبو لهب — ١٨٠  
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي  
 أبو محمد بن حربار ( كذا ) — ١٤٨  
 أبو محمد الشالوسي — ١٥٣  
 أبو محمد العروضي — ١٨٦  
 أبو محمد الفارسي — ٢١٣  
 أبو محمد القاضي — ٢١٧  
 أبو محمد = مسعر بن مكرم  
 أبو محمد الهلبي — ٢١٣  
 أبو مهزوق — ٢٦  
 أبو مزيد — ٢٢٥  
 أبو مطر = عبيد الله بن زياد بن ظبيان  
 التيمي — ١٨٣  
 أبو منصور الفطان — ٤٥  
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧  
 أبو النجم — ٢٥ ، ٢٦ ح  
 أبو النفيس — ١٣٨  
 أبو النواج — ١٦٠  
 أبو هريرة — ٤٦  
 أبو حام — ١٩٨  
 أبو الوفاء المهندس — ١٥٤ ، ١٥٩  
 ٢٠٧ ح ، ٢٢٧ ، ٢٢٥  
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧  
 أبو يوسف ( حاجب عبد الملك بن مروان )  
 — ١٦٨



الثوري — ١٣ ، ٣٢

### (ج)

- جابر (ابن عبد الله) — ٤٠ ، ٦٠  
 جابر بن قبيصة — ٤٥  
 الجاحظ — ٢ ، ٣ ، ٢٥ ح  
 جالينوس — ١٢٩  
 الجرجاني — ٢١٧  
 الجرجاني — ٢١٧  
 جرير (الشاعر) — ٩ ، ٥٨ ح ، ١٦٧ ح ،  
 ١٨٣ ح ، ١٨٤ ، ١٨٦  
 جبل — ١٥٤  
 جعفران الموسوس — ٨٣  
 جيز — ١٠٢  
 جبل — ١٦٨  
 الجنيد بن عبد الرحمن — ١٧٩  
 الجنيد بن محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧  
 جهنم — ١٩٦  
 الجواليقي — ١٨٩

### (ح)

- حاتم الأصم — ٣ ح ، ٤ ، ٨٥  
 حاتم الطائي — ٤٢  
 الحاتمي — ١٢٦ ، ١٢٧  
 الحارث بن أسد المحاسبي — ٩٧  
 حاطب بن أبي بلتعة — ١٧٩  
 حامد الغفاري الترمذي (كنى) — ٣  
 الحجاج (ابن يوسف الثقفي) — ٨٠ ،  
 ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢  
 الحجاجي — ٧١  
 حذيفة — ١٠٢  
 حسان (ابن ثابت) — ٣٨ ، ١٦٥ ، ١٧٨

أم عباد — ٥١

أم هشام السلوية — ١٨

أمية أخو خالد — ١٧١

أمية بن عبد الله بن خالد — ١٧٠

الأندلسي (أبو العباس) — ١٨ ، ١٢٦

الأنصاري بن كعب — ١٩٦

أيوب بن طبيان — ١٦٧ ح

### (ب)

- بثينة جيل — ١٦٨  
 البحتري — ١٨٥ ، ١٨٦  
 بختيار (عز الدولة) — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،  
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩  
 بشار (ابن برد) — ٣١  
 بكر بن عبد الله المزني — ٣  
 بكر بن نطاح — ٥٠  
 بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري —  
 ١٧٧ ، ١٨٥  
 بهرام — ٢١٠  
 بهرام جور — ١٧٥  
 بيان التبان بن سحان التميمي — ١٧٦ ح

### (ت)

التوزي — ١٣ ح

### (ث)

- ثابت (ابن عبد الله بن الزبير) — ١٦٤ ،  
 ١٦٦  
 الثعالبي — ١٦٧ ح  
 ثعلب — ٥٢ ح  
 ثعلبة (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح

الحسن — ٥

الحسن البصري — ٣٥ ، ٣٧ ، ١٥٨ ،

٢١٤ ، ١٦٠

الحسن بن سهل — ٨٣

الحسن بن علي بن أبي طالب — ٢ ، ١٨٠

الحسن بن علي القاضي التنوخي = أبو علي

الحكم بن أبي العاص — ١٦٤

حماد بن أبي سليمان — ٥

حماد بن أبي حنيفة — ١٨٠

حماد الراوية — ٦٧

حمالة الخطيب — ١٨٠

حمدان — ٧٧

حمران — ١٨٤

حمزة بن بيش الحنفي — ١٨٥

حمزة المصنف — ٨٣

حملة (بن عاد) (كذا) — ٤٩

حميد — ٨٣

الحنبلوني (كذا) — ٢٨

حوشب — ١٩ ، ١٧٢

(خ)

خالد بن أسيد — ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١

خالد البرمكي — ١٥٣ ح

خالد الحصى — ٢٠١

خالد بن صفوان بن الأهم — ٦٠ ، ١٦٨

خالد بن عبد الله — ١٧٦ ح

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ١٧٠

خالد بن عبد الله (القسري) — ١٧٧

خالد القرشي — ١٧٠

خالد بن الوليد — ١٦٥

خالد بن يزيد بن معاوية — ١٧٨

خداش بن زهير — ١٧٢ ح

الخطاب (والد عمر) — ١٠٣

خديجة (أم المؤمنين) — ١٨٧

الخليل — ٢١٧

خيشمة — ٣

(د)

دفيف (كذا) — ٤٩ ، ٥٠

دوس — ٩

ديك الجن — ٣٤

(ذ)

ذو الرمة — ٦١ ح

ذؤيب بن عمرو — ١٥

(ر)

الربضي — ١٥٠

رجاء بن سلة — ١٥

رستم (صاحب الأعاجم) — ١٠٢ ، ١٠٤

رقية بن مصقلة — ٣٤

رويم — ٩٧

(ز)

زامل بن عمرو — ١٧٩ ، ١٨٠

الزبرقان بن بدر — ١٦٣

الزبير — ١٧١

الزبير الأسدي — ١٠٤ ح

الزبيرى — ١٤ ، ١٥٣

زفر بن الحارث الكلابي — ١٧٠ ، ١٧١

الزغفرى — ٧٢ ح

زمنة بن الأسود — ٥٣ ح

الزهري — ١٠٠ ، ١٥٣ ح

زهير (ابن أبي سلمى) — ٤١ ، ١٨٦

الزهيرى — ١٩٦

زياد — ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٧ ،  
١٧٤

(س)

سابق الزبيرى — ٧٤  
ساسنكر التركى ( كذا ) — ٢١٥  
سالم — ١٥  
سالم بن داره — ١٦٧  
السرى — ٢١٢  
سعد بن أبى وقاص — ١٠٢ ، ١٠٣  
سعد بن عباد — ١٠ ، ١٦٩  
سعد العالمى — ٢٢٨  
سعيد بن سلمة — ٨٤  
سعيد بن القاسم — ١٧ ح ، ١٦٦  
سعيد بن عبد الرحمن بن حسان — ١٦٨ ،  
١٦٩

سعيد بن عثمان بن عفان — ١٦٤  
سعيد بن أبى عروة — ٨٥  
سعيد بن المصيب — ٣١  
السفاح بن بكر — ٨٢  
سمويه القاسم — ٢٧  
سفيان الثورى — ٣٧  
سفيان بن معاوية المهلبى — ١٨١  
سلمان ( أى سليمان ) — ٨  
سلمان الفارسى — ٨٣

سلمة — ٦٩

سليمى — ٣٦

سليمان بن ثوبة — ٧

سليمان ( ابن داود عليه السلام ) — ٢٩ ،  
١٠٣

سليمان بن عبد الملك — ١٦٨ ، ١٧١ ،  
٢٢١

سماعة بن أشول — ٥١

سحمان التميمى — ١٧٦ ح  
سنان بن أبى حارثة — ٨٢  
سنان بن مكل — ١٦٧ ح  
سنجر — ٢١٥ ح  
السيرافى = أبو سعيد

(ش)

الشالوسى = أبو محمد  
شرف بن ميرة — ٢٣٠  
شريك بن محمد — ١٦٧ ح  
الشعبى — ٣٢ ، ١٨٣  
شفيع البلخى — ٨٥  
شمر ( ابن عاد ) ( كذا ) — ٤٩  
الشنوفى — ١٤

(ص)

الصابى = أبو إسحاق  
صمصمة — ١٧٨  
صفية ( أم المؤمنين ) — ١٨٢  
صهيب — ١٠

(ض)

الضحاك بن قيس الفهرى — ١٦٥ ، ١٧١

(ط)

طاهر بن محمد بن إبراهيم — ٢٠٦  
الطبرى — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح  
طفيل ( ابن عاد ) ( كذا ) — ٤٩  
طفيل العرائس — ٥٦  
طلحة بن عبدالله — ١٧٩



طلحة بن عبيد الله — ٤٩

الطوسي — ١٣

(ع)

عادية بنت فرعة الزبيرية (كذا) — ٩

عاصم بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب

العاصري — ٦٩

عاصم بن عبد القيس — ٨٤ ، ١٨٤

عائشة (أم المؤمنين) — ٦٩ ، ٧ ، ١٨٢ ، ١٩٩

عباد بن زياد — ١٦٨

العباس بن الحسين الوزير — ٢١٣ ، ٢١٥

العبداني — ١٨٠

عبد الأعلى القاسي — ١٥

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — ١٨١

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت — ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٦٨

عبد الرحمن بن حوشب — ١٦٣

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — ١٦٥

عبد الرحمن بن سعيد القرشي — ٧٠١

عبد العزيز بن يسار — ١٨

عبد العزيز بن يوسف — ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٢١ ، ١٤٩

عبد الله بن الزبير — ١٠٤ ح ، ١٦٤ ، ١٨٢

عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي — ١٨١

عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦

عبد الملك بن مروان — ٨٤ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠١

عبيد الله بن زياد — ١٧٦

عبيد الله بن زياد بن طيان — ٤٨ ، ١٧٢

عبيد الله بن سليمان — ٨٩

عبيد الله بن عباس — ٤٢

عتبة بن أبي سفيان — ١٧٨

عثمان بن خالد — ١٩٥

عثمان بن رواح — ٤٠

عثمان بن عفان — ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٩٩

عند الدولة — ١٥٦

مهرام بن شثير — ١٦٧

عروة بن الزبير — ١٨٢

الغريان بن الهيثم الهجيمي — ١٧٧

من الدولة = بمختار — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢١٩

عضد الدولة — ١٤٨

عطاء بن أبي سفيان — ١٦٥

عقبة — ٥٣

عقيل (ابن أبي طالب) — ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٤ ، ١٨٠

عقيل بن علفة — ٥٩

عكرمة بن ربيع الشيباني — ١٩

العلوي (صاحب الزنج) — ٤٣ ح

علي بن خالد الهجيمي — ١٧٣

علي بن أبي طالب — ٧٠ ح ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩

علي بن عبد الله — ١٧٨

علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦

علي بن عيسى — ١٦

علي بن عيسى الرمانى (أبو الحسن) — ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨

علي بن محمد (رسول سجستان) — ١٩٨

علي بن محمد ذو الكفائتين — ٢١٧

عمار — ١٩

عمار (ابن عاد) (كذا) ص ٤٩

العماني الشاعر — ٥٦

عمر (ابن الخطاب) — ١٠ ، ١٣ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣

الفضل بن العباس — ٧٩

( ق )

قنادة — ٦٧

قتيبة (ابن مسلم) — ١٧٢، ٣٢

قرزعة بن إمام ( كذا ) — ٤٩

القومسي — ٢٢١، ٢١٦

قيس بن سعد بن عباد — ١٧٠، ١٦٩

قيصر — ٢٠٣

( ك )

الكروسي الشاعر — ٢٩

كسج البقال ( كذا ) — ٢٢٨

كسري — ٢٠٣، ١٧٥

الكلابي — ١٤

كلثوم بن المدم — ١٠

الكيت — ١١

الكندي — ١٣٣

كهس ( كذا ) — ٧

( ل )

ليد ابن ربيعة — ٦٩ ح

لقمان ( الحكيم ) — ٨٥

لقمان بن عاد — ٤٩

لقيط بن زارة — ٧٢، ٦٠١

لوسترانج — ١٦٠ ح

الليث بن سعد — ٤

( م )

مالك بن دينار — ٣

مالك ( ابن عاد ) — ٤٩

١٧٨، ١٠٤، ١٠٣

عمر بن عبد العزيز — ١٨٣، ٦

عمر بن عمران — ٧

عمر بن حيرة الفزاري — ١٦٧، ٣٩

١٧٦

عمرو بن الأهم التميمي — ١٦٣

عمرو بن العاص — ١٨٢، ١٨١، ٤٥

١٨٣

عمرو بن عثمان الكلي — ٩٧

المواي — ١٥٧، ١٥٤، ١٥٣، ٢٨

ميس بن زوزة — ١٢٧، ٦٦، ٦٣

١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤

١٩٧

ميس بن عمر — ١٦

ميس بن مريم ( عليه السلام ) — ٣

١٧٩

( غ )

غسان بن ذهل — ٩ ح

الغلابي — ١٧٤

غيلان بن خرشة — ٦٧

غيلان الواعظ — ١٨٢

( ف )

الفتح الموصل — ٩٧

فخر الدولة — ٢١٩

الفراء — ١٣

فرج الرخجي — ١٢

الفرزدق — ١٦٨، ٥٩، ٣٤، ٣١

١٨٦، ١٨٥

فريسة — ١٦٦

فضل ( رئيس الفرقة التي تنسب إليه ) — ١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير — ٤٦  
 المطلب بن أسد بن عبد العزى — ٥٣  
 مطهر بن أحمد الكاتب — ٧٥  
 الطبيع بن (أمير المؤمنين) — ١٥٥  
 معاوية (ابن أبي سفيان) — ٤٥ ، ٦٠ ،  
 ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،  
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢  
 معاوية بن صمعة — ١٦  
 معاوية للهلي — ١٨١  
 المعتصم الخليفة — ١٠٥  
 المعتضد (الخليفة) — ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٥  
 المعتز بن أيوب — ٢٠١  
 معن بن أوس — ١٧  
 معن بن زائدة — ١٨٠  
 المنيرة بن شمعة — ٤٥  
 المنيع — ٣٤  
 المفضل الضبي — ١٨٣  
 المفوق (ملك الإسكندرية) — ١٧٩  
 المنصور (أبو جعفر الخليفة) — ٧٦ ، ١٠٥ ،  
 ١٥٩ ، ١٨١  
 منظور بن أبان — ١٧٨  
 المهلب (ابن أبي صفرة) — ٨٥  
 مهمل (ابن ربيعة الشاعر) — ١٧  
 موريث — ١٣٠  
 الموصل (أبو إسحاق) — ١٦١  
 ميسرة الرءاس — ٧٩  
 ميمون بن مهران — ٣

### (ن)

الناطقة الشاعر — ٧٣ ، ١٨٦  
 نصر بن سيار — ١٠١  
 نض (ابن عاد كذا) — ٤٩ ، ٥٠

مالك بن مسمع — ١٧٢ ، ١٧٣  
 للأمون (الخليفة) — ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٠١  
 للبرد = (أبو العباس)  
 للثني الشاعر — ٦٦ ح  
 مجاهد — ٤٢  
 المحبي — ٦٠ ح  
 المحسن الضبي — ٨١  
 محمد بن إبراهيم — ٩١ ، ٢٠٦ ، ٢١٩  
 محمد بن بشير — ٢٨  
 محمد بن بنية — ٢١٦  
 محمد بن خالد القرشي — ١٧٠  
 محمد بن صالح بن شيان — ١٥٣  
 محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧  
 محمد بن عبد الله (صل الله عليه وسلم) —  
 ١٠٣ ، ١٥٥  
 محمد بن عمار — ١٦٦  
 محمد بن عمر (الشريف) — ١٠٠  
 للدائني — ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،  
 ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،  
 ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،  
 ١٨٤  
 مرثد (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح  
 مرعوش (رئيس الطائفة المرعوشية) — ١٨٨  
 للرقش الأكبر — ٤٣  
 مروان بن الحكم = أبو خالد  
 مزبد — ٧١ ، ٧٨  
 مسافر بن أبي عمرو بن أمية — ٥٣  
 مسعر بن مكرم — ٣٤  
 مسكويه — ٢٢٧  
 مسكين الدارمي — ١٧٧  
 مسلم بن قتيبة — ٣٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠١  
 مسلمة بن عبد الملك — ١٦٣ ، ٢٠١  
 السبيع (عليه السلام) — ١٩٧  
 مصعب بن الزبير — ١٨ ح ، ١٧٠



وكيع بن الجراح — ١٧٨ ، ٧٦  
الوليد — ١٧٢ ح  
الوليد النبري — ١٦٧

(ي)

ياقوت ١٨ ح ، ١٦٠ ح  
يحيى بن أكنم — ٧٩  
يحيى بن الحكم (أخو مروان) — ١٨٠ ح  
يحيى بن خالد البرمكي — ١٥٣ ح  
يحيى بن زكريا — ١٧٩  
يحيى بن مطاذ — ٨٥  
يزيد بن ربيع — ٧٥  
يزيد بن مسلم — ١٦٨  
يزيد بن معاوية — ١٧٨  
اليزيدي = أبو عبد الله  
يغوث بن السكيت — ٢٤ ح ، ٣٠ ح ،  
٣٩ ، ٨٤ ، ١٠١  
يونس — ٤٠ ، ٧٤

(هـ)

حدية المفري — ٢٠٣  
هوز — ١٠٣  
هفام — ١٢  
هفام بن عبد الملك — ١٧٢ ، ١٦٥ ، ١٥٠ ،  
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠١  
هفام للتكلم ١٨٩  
هفيم — ٣٠  
هلال بن مكل النبري — ١٦٧  
الحلال — ٤٦  
هيان بن لقافة — ٣١  
الحيثم بن جراد — ٥٨

(و)

واصل بن مطاء — ١٥٨  
الوالدي — ٩

تم فهرست الأعلام



# فهرست أسماء الأماكن الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والملاؤنة لأبي حيان التوحيدي

بولاق — ١٧٠ ح  
البيت ( بيت الله الحرام ) — ٢٠  
البيضاء — ١٥٠  
بين السورين — ١٦١

( ت )

تباله — ١٧٢  
تسر — ٦٨  
تكرت — ١٨ ح  
تهامة — ٣٠

( ج )

الجامع — ١٤٧  
جامع البصرة — ١٠٠  
الجبال — ٦٨ ح  
جبال قمام — ١٤٦  
الجيل — ١٥٥ ، ٢٢١  
جرجان — ٧

( ح )

الحجاز — ١٠ ح ، ١٥٧  
الحرم — ٣٠  
حلوان — ٢٠٥ ح

( ا )

ابنا قمام — ١٤٦ ح  
أجباد — ١٦٥  
أحد — ١٦٩  
أفريجان — ١٥٥  
الأراك — ١٧٢ ح  
أرديل — ٤٥  
الإسكندرية — ١٧٩  
أصبهان — ٢٨ ، ٦٨ ، ٩١ ح  
الأهواز — ٦٨ ، ٧٨  
أوريا — ٤٩ ح ، ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح ،  
١٧٤ ح

( ب )

باب الطاق — ٨٨ ، ١٨٨  
باجيري — ١٨  
البصرة — ١٥ ح ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٧٩ ،  
٢٢٨ ، ١٨٨  
البطائح — ٢٢٨  
بلن مر — ١٧٢ ح  
بنباد ( دار السلام ) — ٦٩ ، ١٥٣ ح ،  
١٦١ ح ، ١٨٨ ، ١٩٧  
البقيع — ١٣



الصبيحة — ٦٨ ح  
المين — ١٢٤

(ط)

الطائف — ١٨٢  
طيس — ٩١ ح

(ع)

المراق — ٧ ح ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٨ ،  
٢٢١  
القيق — ٧٠  
عمان — ١٧٣

(غ)

الغنا — ٣٩

(ف)

فارس — ٦٨ ، ٩٩ ، ١٠٤

(ق)

قايين — ٩١ ح  
قبا — ١٠  
قربسين — ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧  
قزوين — ٤٥  
قنطرة البطريق — ١٦٠ ح  
قنطرة الزبد — ١٦٠

(ك)

الكرخ — ١٥٣ ، ١٦٠

(خ)

خراسان — ٩١ ح ، ١٠١ ، ١٥٧ ،  
١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٠٠  
خوزستان — ٧ ح ، ٦٨ ح

(د)

دار الكتب المصرية — ٢٤ ح  
درب الحاجب — ٢٢٧ ، ٢٢٨  
درب الرواسين — ٢٢٧  
الدينور — ٢٠٥ ح

(ر)

رعي البطريق — ١٦٠  
الرصافة — ١٥٣ ح ، ٢٠١ ، ٢٠٧  
الري — ١

(س)

سجستان — ١٧١ ، ١٩٣ ، ١٩٨  
سلي — ٢٠٣  
سوق يحيى — ١٥٣

(ش)

الشام — ٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ٢٢٨

(ص)

الصراة — ١٦٠  
صفين — ١٨٣  
صنعا — ٢٠٨

— ن —

مكتب الرضى — ١٥٠  
مكة — ١٦٤، ١٠٣، ٨٠، ٧٠، ٣٠ —  
١٦٦، ١٦٥  
مهرجان قنفق — ٦٨  
الوصل — ١٨٠ ح ١٧، ١٥١، ١٥٥

(ن)

النباج — ٥٤  
نجران — ١٤٦  
نصيبين — ١٥١  
التقيع — ١٣  
نهر الصراة — ١٦٠  
نيسابور — ١٨٠، ١٩١، ٢١٩

(هـ)

هفان — ١٤٨، ٢٠٥ ح ٢١٩

(ى)

اليمين — ١٥٧، ٢٠٨

الكعبة — ١٩٠  
الكوفة — ١٥٢، ١٠٣، ٧٩، ٥٩ —  
١٥٤، ١٥٣

(ل)

ليزيج — ١٧ ح

(م)

المجمع الطبى العربى — ٢٦ ح  
للمدينة — ١٦٤، ٣٩، ٢٣، ١٥، ١٣ —  
١٧١، ١٦٦، ١٦٥  
مدينة السلام (بغداد) — ١٥١، ١٥٣،  
٢٢٠

الرج — ١٧٢ ح

سراج راحط — ١٧١ ح

مسجد ابن رغبان — ١٦١

مفرحة الروايا — ٢٢١

مصر — ١٨١، ١٥٧، ٢٣٠

للطبعة العلمية — ٩ ح

تم فهرست الأماكن





## فهرست الكتب

### الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

#### لأبي حيان التوحيدي

ديوان حسان — ٣٨ ح  
ديوان الحماسة — ٢٨ ح  
ديوان ذي الرمة — ٦١ ح  
ديوان معن بن أوس — ١٧ ح

#### (ش)

شرح القاموس — ٥٣ ح  
شعر أعمى ممدان — ١٧٤ ح  
شعر الأعشى — ٤٩ ح ، ١٧٤ ح

#### (ع)

العقد القرين — ١٠٢ ح ، ١٦٧ ح  
١٢٠ ح  
عيون الأخبار — ١٠٢ ح ، ١٧٦ ح

#### (ف)

الفرق بين الفرق — ١٧٦ ح

#### (ك)

الكامل لابن الأثير — ١٧٦ ح  
الكامل للمبرد — ١٧٣ ح

#### (١)

إصلاح المنطق لابن السكيت — ٢٤ ح ،  
٣٠ ح ، ٣٢ ح  
الأغانى لأبي الفرج الأسفهانى — ١٧٢ ح ،  
١٧٧ ح  
الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي —  
٢٣٠

#### (ب)

البيان والتبيين للجاحظ — ٢٩ ح

#### (ت)

التاج لأبي إسحاق الصائغ — ١٥٩  
تاريخ الطبرى — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح  
التصنيف — ١٨٥

#### (ح)

الحيوان للجاحظ — ٢٥ ، ٣٧ ح

#### (د)

ديوان جرير — ٩ ح

مجموعة الماني - ٢٤ ح ، ٤٣ ح ، ٤٤ ح ،  
 ١٠٤ ح  
 المحاسن والأضداد للجاحظ - ٢٤ ح  
 محاضرات الأدباء للراغب - ٢٨ ح  
 المحصن لابن سيده - ٣١ ح ، ٧١ ح ،  
 ٨٤ ح  
 معجم البلدان لياقوت - ١٨ ح ، ١٦٠ ح  
 المعجم الفارسي الإنجليزي لأستينجاس -  
 ٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ، ١٧٥ ح

( ن )

النقائض - ٥٨ ح  
 النهاية لابن الأثير - ٧٢ ح  
 نهاية الأرب لنوري - ١٦٧ ح

( ي )

يتيمة الدهر لثعالي - ٧٧ ح

كتاب بغداد للأستاذ لوستراي - ١٦٠ ح  
 كتاب التلبيح على أغلاط ابن علي الثعال -  
 ٣٦ ح  
 السكناية والتعريض لثعالي - ١٦٧ ح

( ل )

لسان العرب لابن منظور - ١١ ح ،  
 ١٣ ح ، ٢٠ ح ، ٢٤ ح ، ٢٩ ح ،  
 ٣٠ ح ، ٣٣ ح ، ٣٦ ح ، ٤٤ ح ،  
 ٤٥ ح ، ٥٢ ح ، ٥٨ ح ، ٦٠ ح ،  
 ٧٠ ح ، ٧٣ ح

( م )

مايسر عليه في المضاف والمضاف إليه للمعني  
 - ١٣ ح ، ٦٠ ح  
 مجلة المجمع العلمي العربي - ٢٦ ح  
 مجمع الأمثال للميداني - ٣٥ ح ، ٣٩ ح ،  
 ١٧٠ ح

**فهرست أسماء القبائل والآدم والفرق**  
**الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة**  
**لأبي حيان التوحيدي**

( ت )	( ا )
الترك — ١٧٥، ١٢٩، ١٨	آل أبي طالب — ١٥٤
تميم — ١٧٣	آل أبي معيط — ١٧٦
	آل سامان — ٩٢، ٩١
( خ )	آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — ١٥٥
الخزرج — ١٧٨	الأطجم — ١٧٥
خوزان — ٧	الأنصار — ١٦٩، ١٦٨، ١٦٤
( د )	( ب )
الديلم — ٢١٣	بامكة بن يضر — ١٧٢
	بجيلة — ٩٠
( ذ )	بكر بن وائل — ١٧٣
ذوو مليح ( كذا ) — ٢٢٢	بنو أسد بن خزاعة — ١٧٩ ح ٢٤
( ر )	بنو بدر — ٤٥
الروم — ٧٢ ح ١٢٩، ١٥١، ١٥٢	بنو تيم الله — ١٩
	بنو الجلاح — ١٦
( ز )	بنو دبير — ٥٠
الزنج — ٤٣ ح	بنو عبادة — ١٤
	بنو العباس — ٢١٣، ١٠٥
	بنو غاضرة — ٥١
	بنو النجار — ١٦٥
	بنو نصر — ٢٠٣
	بنو نعيم — ١٦٨، ١٦٧



١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٢

١٨٢  
قيس — ١٧١

(ك)

السكر — ١٢٩  
كعب — ١٦٧ ، ١٦٨  
كلاب — ١٦٧ ، ١٦٨  
كلب — ١٧٣  
كليب — ٩ ح  
كليب بن وائل — ٣٤

(م)

مباشع — ٥٨  
مزينة — ١٧٨  
المسلمون — ١٥١ ، ١٨٥ ، ١٨٩

(ن)

النبط — ٧  
النصارى — ١٩٢  
نمير = بنو نمير

(هـ)

همدان — ١٧٤

(ي)

اليهود — ١٧٩  
يونان — ١٠٠

(س)

سفينة (لقب للرئيس) — ١٧٢

(ش)

شيبان — ٤٧

(ص)

الصوفية — ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٤٧

(ع)

عاد — ٤٩ ، ١٠٣  
العجم — ١٧٦ ، ١٩٠  
مدائن — ٨  
العرب — ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ح ، ١٨ ح ،  
٢٩ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ،  
٦٧ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٨ ،  
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٩ ،  
١٣٥ ، ١٦٧ ح ، ١٧٦

(ف)

فزارة — ٧٤

(ق)

القحطانية — ٨ ، ١٧٥  
قريش — ٥٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

تم فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق

## ملاحظات للدكتور مصطفى جواد

الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا بغداد

على بعض ألفاظ وردت في الجزء الأول والثاني من كتاب الإمتاع واللؤاسة فلفرها فيما يلي مع جزيل الفكر لكتابها الفاضل على حسن نيته وجيل تديره لما بذلناه في تصحيح هذا الكتاب من جهد .

### الجزء الأول

- ١ — ورد في الصفحة « م » من المقدمة في السطر « « لأني على الحسن التلويح » والصواب « المحسن » .
- ٢ — ص ٦ س ٥ « فوارضها » . الصحيح « عوارضها » .
- ٣ — ص ١٣ س ٨ « ويكون سيباً قوياً على حسن الحال وطلب العيش » . الصواب « قوياً إلى حسن الحال وطلب العيش » .
- ٤ — ص ١٦ س ٦ « الدهر الحال من الديانين » . الديان هوالة والأولى « الربانين » و « الديانين » وهم المنسوبون إلى الديانة . وهذه الكلمة من كلمات القرن الرابع للهجرة تبدلونها في أول صفحة من مروج الذهب للسعودي .
- ٥ — ص ٢١ س ١ « ولا محابة ولا انحياش » والصواب « محاورة » بالهاء ، قال الزمخشري في أساس البلاغة « ومن المجاز : حاوتني فلان عن كذا إذا خادعك منه وراوغك ، وظل فلان يحاوتني بخدعه ومعناه يباورني فعل الحوت في الماء .
- ٦ — وفي ص ٣٤ س ٩ « ولم يتفوح برده الفلسفة » وفي الأصل « لم يتفرخ » والصواب « يتضرج » .
- ٧ — وفي ص ٤٠ س ٣ « والأسر الربوبي » بضم الراء . والقى لأعلمه بفتح الراء .
- ٨ — ص ٤٤ س ٦ « تأجيل المنأ » . والقى أراء لمراعاة الأصل « تعجيل المنأ » أي المبادرة بإظهار الكراهية والبغضة .
- ٩ — ص ٤٥ س ٨ « كيف استكنى هذه الجماعة حوله » وفي الأصل « استكنيت » . فالصواب « استكنت هذه الجماعة حوله » . وفي أساس البلاغة : « واستكن الناس حوالبه : أخذوا به » .
- ١٠ — ص ٥٠ س ٧ « وبصرني » . والأولى « وبصرني » أي أتاح لي البصر .
- ١١ — وجاء في ص ٥١ س ٧ ذكر « التسمية » ولم تبدوها في كتاب لغة . والصحيح أنها

- وردت في غير مادتها فقد ذكرها المروى مؤلف الغريبين في مادة « نعل » من غريب الحديث ، ونقلها عنه للبارك بن الأثير في « النهاية » ونقل عن أحدهما القيوي في « نعل » من اللصباح المنير .
- ١٢ — من ٦٢ س ١١ « والتشيع الظاهر والدعوى المارية » الخ . ولا عمل للتشيع أبداً والصواب « التشيع » وهو تكلف الشيع . ومنه الحديث النبوي الشريف « للتشيع بما ليس فيه كلابس ثوبي زور » .
- ١٣ — من ٦٨ س ١٢ « بدافع ما يعلمه » والصواب « بدفع ما يعلمه » أي بإنكاره ، وما بعده حكاية وردت فيها الأعلام مصحفة وكانت جرت في عهد بني أمية فصيرها التصحيف مما جرى في عهد بني العباس . وفي الحكاية ذكر أمير المؤمنين المهدي . فالظاهر أن لفظ « المهدي » تصحيف اسم أمير من أمراء بني أمية كالمهلي وغيره ، وأما « كرز » الوارد في السطر ٧ فصوابه « كردين » وهو من رجال الدولة الأموية كما في عيون الأخبار « ج ١ س ١٧١ » وأما « دوست » الوارد في السطر ٩ فصوابه « درست » بالراء وهو من رجال العهد الأموي أيضاً كما في البيان والتبيين « ج ٢ س ١٢٧ » .
- ١٥ — من ٧٢ س ١٦ « وهم يحاضون به » والصواب « يتحاضون » .
- ١٦ — وفي ٧٩ س ٢ « ويتماورون » . والصواب « يتماورون » أي يغير بعضهم على بعض .
- ١٧ — من ٨٧ س ١٠ « وقع باليسير ورخي العيش » . والصواب « باليسير من رخي العيش » .
- ١٨ — من ١٠٣ س ١١ « كان يخط في هواه » وفي الحاشية أنه « يخط » وأنه تصحيف استوجب التصحيح . قلت : وهذا غير صحيح ، فالأصل هو النصيح ، قال الزمخدرى في أساس البلاغة « وخط في هواه وانخط فيه ، ويقال : أكل من حلوائهم فانخط في أهوائهم » .
- ١٩ — من ١٠٩ س ٢ « المصاع من صاع الشجاع أقرانه إذا حل عليهم ففرق جمهم » والصواب « مصاع يماصع » أي ضرب بالسيف خاصة .
- ٢٠ — من ١١٩ س ١٢ « أن يبر لهم ما صح له بالاعتبار » . والصواب « أن يبر لهم ما صح » .
- ٢١ — من ١٣٩ س ٧ « ويغم فيهم » والصواب « يشتم » من الغتم .
- ٢٢ — من ١٤١ س ١٣ « إلا أنه يأتي لابن عباد في سمته » . والصواب « تأتي » أي ترفق وتلطف .
- ٢٣ — من ١٤٢ س ١٤ « أو أطلع عن كبيرة رغبة » . والصواب « رغبة » .
- ٢٤ — من ١٤٤ س ١٣ « وسمن بخوا » والصحيح « سمن الير » وهو مذكور في حياة الحيوان .



## — ش —

- ٢٥ — ص ١٥٨ س ٧ « كل شيء يطلبه ويتوفاه » : الصواب « ويتوفاه » .
- ٢٦ — ص ١٦٢ س ٩ « المقاب يجلس » والصواب « تجلس » .
- ٢٧ — ص ١٦٨ س ٥ « إلى أن يترحل النهار » ترحل النهار يدل على عكس للراد بالمسكاية . والصواب « يترجل » أي يملو ويرتفع .
- ٢٨ — ص ١٧٠ س ٤ « ويستخفي في البحر » ، والصواب « في الشجر » .
- ٢٩ — ص ١٧٥ س ١١ « ثم انقضى لبن » . الصواب « أقمعه » ومصدره الإقماح أي رطبه وربيه باللبن .
- ٣٠ — ص ١٧٦ س ٣ « حوت يقال له : موفى » . الصواب « موفى » منسوب إلى اللوت ، لأنه يتأوت ويتهاك .
- ٣١ — ص ١٨٠ س ٤ « دابة يقال لها بالفارسية درباست » . والصواب « بادستر » وهو « الجند بادستر » .
- ٣٢ — ص ١٨٢ س ٨ « الجرذان » . والصواب « الفردان » جمع الفرد .
- ٣٣ — ص ١٩٠ س ٦ « لسرعة إحناء أجنحته » والصواب « لإعياء أجنحته » .
- ٣٤ — ص ١٩٧ س ١ « بما حاج الحبيب حبيب » صوابه « كما حاج الحبيب حبيب » .
- ٣٥ — ص ٢٠٠ س ١٤ « تحركه وتحسسه » . الصواب « تحشته » .
- ٣٦ — ص ٢٢١ س ١٢ « من لقبه الخرسى إلى أى شيء ينسب » . والصواب اللزم مربعة الخرسى إلى أى شيء تنسب .

## الجزء الثاني

- ٣٧ — ص ٥ س ١٥ « ولقنوها للناس » . والصواب « لقنوها الناس » فالفعل متعد إلى المفعولين بنفسه .
- ٣٨ — ص ١١ س ٥ « لكن الحريري غلام ابن طرارة هيجه يوماً في الوراين » . الصواب « الحريري » نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبري المشهور والصواب ابن طرارة ( بتخفيف الراء ) لا تفديدها .
- ٣٩ — ص ١٣ س ١٣ « ومزقتم بين مجتمعين » . والصواب « وفرقتم بين مجتمعين » .
- ٤٠ — ص ٧١ س ٦ « وإن هذا التمت من قولي ... » . الصواب « وأين » .
- ٤١ — ص ٢١ س ١٨ « الأفي تأخذ السم من الأصيلة » . صوابه « من الأصيلة » وهي نوع من الحيات .
- ٤٢ — ص ٥١ س ٥ « طالحات بالسلام » . صوابه « طالحات بالستام » .
- ٤٣ — ص ٥٩ س ١٤ « شرحتم كلمة « الصراة » بأنه نهر بالعراق ، وكان الأولى أن يقال « نهر كان يغتاد » .

- ٤٤ — س ٦٠ س ١ « ويا قصرأ بلامسناه » . الصواب « الستاة » وهي البنية التي  
تبني بين القصور وماء النهر لتعفظها من الماء .
- ٤٥ وجاء في س ٧٩ س ١ « وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ... »  
والذي في تاريخ بغداد « ج ٥ ص ٢١٣ » الخطيب البغدادي وأنساب  
السماعاني بمادة « الجلاء » أن ابن الجلاء توفي سنة « ٣٠٦ هـ » .
- ٤٦ — س ٩٣ س ١٢ « من صبر باب » . والمحفوظ في الحديث « صبر » .
- ٤٧ — س ١٣٦ س ٩ « ظاهر النفع في معاينة الروح » . والصواب « معاينة الروح » .
- ٤٨ — س ١٤٣ س ١٠ « ومقاساة الحُرقة » . والصحيح « الحُرقة » أي الفقر والموز .
- ٤٩ — س ١٥٦ س ٥ « فلما أجمنا على العجن والملك لم نجد الحراق » ، والصواب  
« الل » وهو الاختيار على « اللة » أي الجمر المختلط بالرماد .
- ٥٠ — س ١٥٧ س ٥ « الانخزال » . والصواب « الانخزال » .
- ٥١ — س ١٦٢ س ٧ « والزيادة والرفع » . والصواب « الزيع » .
- ٥٢ — س ١٦٧ س ٦ « [ القاطن ] في دار القطن عند جامع المدينة » صوابه القاطن في  
دار القطن كما هو في الأصل .
- ٥٣ — س ١٧٠ س ٥ « تشعب الخاطر » . الصواب عندي « تشعب الخاطر » .
- ٥٤ — س ١٧١ س ١٣ « ولا طرب ابن سُبر القاضى » . قلت : الصواب « ابن سُبر »  
بضم الصاد وفتح الباء .
- ٥٥ — س ١٧٤ س ٩٠ « وقد علق عنازا فهذه هم كما كننا » . والصواب « هم » بفتح  
الماء وهو موضع التكنة التي جاء الخبر من أجلها فإنه استعمل  
« هم » العامة العراقية بمعنى « أيضاً » ولا يزال العراقيون  
يستعملونها ، والكرد أيضاً ، قال الحريري في درة القواس  
« ويقولون للمخاطب هم فلت وهم خرجت » فيزيدون هم في  
افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط ، ومن الأخفش أنه قال  
لتلاميذه : جئوني أن تقولوا هم : وأن تقولوا بس وأن تقولوا  
ليس لفلان بخت . وقلك قال أبو حيان : « وأصحابنا يستلحون  
قوله هم ما هنا » . ولا استلج مع « هم » .
- ٥٦ — س ١٧٦ أيضاً س ١٢ « إذا أخذت في هزارها » . وفي الحاشية اعتذار من القموض .  
قلت : الهزار ما هنا من الفارسية بمعنى « الأنشودة » .
- ٥٧ — س ١٨٠ س ٣ « والبوارد والجوزيات » . قلت : أما البوارد فقد ذكرها محمد بن  
الحسن بن الكرم البغدادي في كتابه « الطيخ » س ٥٦  
فقال « الباب الخامس في المطبوعات والبوارد ... » وشرحها بلا داع  
طابع الكتاب فقال « هي البقول المطبوخة للوضوعة في الأعياء »

— ث —

الحامضة كالحل وماء الحصرم وماء التفاح ( كذا ) . . . » وأما  
« الجوزيات » فالظاهر أنها تصحيف « جوقابات » جمع « جوقابة »  
وهي معروفة بين ألوان الأطعمة والحلوى .

٥٨ — من ١٨٩ س ١٢ « ما يُكسبك الفكر » والصواب « يَكْسِبُكَ » بفتح الياء لأنه  
متعد إلى مفعوليه بنفسه .

٥٩ — من ١٩٥ س ١١ « مستغر بذنبه » . والصواب « مستغر » من الاستغفار  
وهو معروف .

٦٠ — من ٢٠٢ س ١١ « والقديم قدم » . وعندى أن الأصل « والقديم عدم » .  
والله يوفقنا وإياكم للصواب .

مصطفى جواد





## ملاحظات للأستاذ كراوس

على الأجزاء الثلاثة من كتاب الإمتاع واللؤاسة لأبي حيان التوحيدي

### الجزء الأول

- س ٣٨ : ٤ : بُكُش ، والصواب : بَكُش (= Bakhsus) .  
 ٥٨ : ١٠ : ابن ثوبخت — ابن ثوبخت .  
 « تعليق ٢ : كان علي بن ربن الطبري نصرانياً لا يهودياً أسلم .  
 ٧٩ : ٩ : ينفور ، صحه كرد علي فنفور ، والصحيح : ينفور .  
 ١٦٤ : ٣ : أدبوس ، والصواب : أديسوس (Odysseus) .  
 « ٧ : المنتصب ، والصواب للصمت كما في الديمري .  
 ١٩٨ : ١٤ : ٢٠٢ : ٢ : بحس من الإحساس ، والصواب : الأحساس جمع حس .

### الجزء الثاني

- س ٧٧ : ٦ : وهذا أشجى ، والصواب : إسحاق ، والإسحاقية فرقة من غلاة الشيعة قريبة للنصب من التصيرية ، ذكرها الفهرستان والجرجاني في التعريفات وغيرهما ومؤسسها أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبان النخعي الكوفي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ .  
 « : « : قطي . والأصح : القطي .  
 « ٧٨ : تعليق ١ : ليست الراوندية من أتباع ابن الراوندي للمحد بل هم فرقة من أتباع عبد الله الراوندي ، قالت بالوهية الخليفة منصور من آل بني عباس ، راجع مقالات الأشعري ص ٢١ وابن حزم ج ٤ ص ١٨٧ وابن الأثير في وقاتع سنة ١٤١ وما إليها من المصادر .  
 « ٨٤ : ١٥ : ٨٥ : ٢ : استنباتها ، وفي الأصل « أسباب إنباتها » أو « إنبات إنباتها » — أما الصواب بلا شك أنه « إنبات أَرْنِيَّاتِها » .  
 س ٨٤ : ١٦ : إلى تحقيق إنباتها ، وفي الأصول : ما ينالها أو مسابقتها — والصواب : إلى تحقيق ماتيتها ، والماتية تعادل الإنية .  
 ٨٧ : ٢ : العبارة « بمنزلة » صحيحة وهي ترد هكذا في كثير من الكتب المترجمة من اليونانية ومعناها « مثل » .  
 ٨٧ : ٥ : والمُرِّيَّان ، والصواب : والمِرِّيَّان ! أعني للرة السوداء والمرة الصفراء .  
 ٨٧ : ٦ : الأربع ، والأصح : الأربعة .

- ٩١ : ٢ : بالاستمرار : والصواب الاستمرار .  
 » : ١٠ : ورضوا بالزهد ، وأظن الصواب : ووسَّوا كما في س ١٢ .  
 ١٠٥ : ١٢ : لعل الصواب : أحذر [ من القذِّب (أو الغراب) وألس ] من العقبى . راجع  
 الأمثال للبيداني .  
 ١٠٧ : السطر الأخير : الطَّلَق ، والصواب الطَّلَق .  
 ١٠٨ : ٥ : يرسخ ؟ لعله يرشح ؟  
 ١٠٨ : ٧ : اللُّكَّ ، والصواب اللُّكَّ .  
 ١١٣ : » : بالحد والاسم ، أليس الصواب : بالحد والرسم .  
 » : ١٠ : و ١١ : ماله فيه (منه) ، والصواب عندي مائتته أو مائهته .  
 ١٥٣ الخ : ليس اسم الشاعر اليوناني كنديس بل هو إيبكوس (Ibykos) كما في  
 الأصول وقصته مع الكراكيم مضمومة متداولة عند كتاب اليونان ، وقد  
 اختارها Sobiecx موضوعاً لقصيدته له — أما اسم الملك فلا شك أنه  
 محرف ، وكان المنتظر أن يكون Polykrates الذي عاش إيبكوس الشاعر  
 في أيامه . ويلاحظ أن اسم إيبكوس مصحح في فهرس الأعلام لهذا الجزء .  
 فراجع .  
 ١٥٧ الخ : ينهي صديق M. Stern على أن هذه القصة (قصة الجيوس واليهودي)  
 وردت في رسائل إخوان الصفاء في الرسالة التاسعة من الجزء الأول منها  
 (س ٤٦ من القسم الثاني من الجزء الأول من طبعة بمباي) .  
 ١٥٧ : ١٥ : سفرة ، وفي الأصول : في سفره ، والصواب ، كما في رسائل إخوان  
 الصفاء : بظلة له عليها [ كل ما يحتاج إليه للمسافر ] في سفره .

### الجزء الثالث

- ١٠٨ : ١٦ : النفس عددٌ محرك بذاته ، كذا في كلتا النسختين وهو صحيح لا يحتاج إلى  
 تصحيح «عدد» بـعَرَض — وهو حد مدرسة فوثاغورس للنفس ،  
 راجع الترجمة العربية للآراء الطبيعية لفلوطرخوس التي نشرتها في ملحق  
 بحثي عن جابر بن حيان (س ٣٢٢ من الجزء الثاني) : « وأما فوثاغورس  
 فيرى أن النفس عددٌ محرك ذاته ويعني بقوله العدد الطل » — ولعل  
 الأصح أن يقرأ في «الإمتاع» محرك ذاته أو متحرك بذاته .  
 ١٣٠ السطر الأخير : موريس ؟ لعله أمورس ؟  
 ١٤٢ : ٢ ، ١٥ وكفلك ١٤٤ : ١٣ : الإحساس ، والصواب : الأحساس ، جمع  
 الحس .  
 ١٥٣ : ٧ : أظن أن قراءة نسخة ب (باب الشيعة) صحيحة ، فإن الشيعة تسمى رئيسها  
 القدي بل في الترتيب الإمام الغائب بابا .













